غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

المجلد الحادي الثلاثون

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

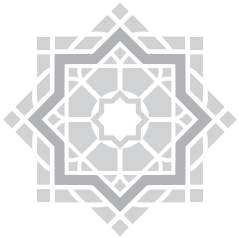
الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

نسخة مجانية

الدار الشامية
للطباعة والنشر والتوزيع

QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي



المحور الثالث

الفقه وأصوله

فقه الآداب الشرعية

٦٤ **أدب المسلم مع الله تعالى والنفس والناس والحياة**

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة



نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

غير مرخصة للطباعة

المحور الثالث

الفقه وأصوله
(فقه الآداب الشرعيَّة)

٦٤

أدب المسلم مع اللّٰه تعالى والنفس والناس والحياة

الإمـام يوسف القرضاوي

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

من الدستور الإلهي للبشرية

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ١٣].

﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤].

﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠].

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۞ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ [لقمان: ١٨، ١٩].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢].

QaradawiBooks.com

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثٌ مَنْ كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه ممَّا سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلَّا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**». متفق عليه.

قال سعد بن هشام: دخلت على عائشة رضي الله عنها وعن أبيها، فسألتها عن أخلاق رسول الله ﷺ، فقالت: أمَا تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قالت: كان خلقه ﷺ: القرآن. رواه مسلم.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّما بُعثتُ لأتمم صالح الأخلاق**». رواه أحمد.

عن أبي موسى الأشعري، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**إنَّ من إجلالِ اللهِ: إكرامَ ذي الشَّيْبَة المسلم، وحاملِ القرآنِ غيرِ الغالي فيه، ولا الجافي عَنهُ، وإكرامَ ذي السلطانِ المُقْسِط**». رواه أبو داود.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطبع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وحدَه، صدَق وعدَه، ونصر عبدَه، وأعزَّ جنده، وهزم الأحزاب وحده، وأزكى صلوات الله وتسليماته على مَن لا نبيَّ بعده، الذي أخلص لله عمله وقصْده، وبذل في الدعوة إلى الله جُهْده، وتحمَّل في الجهاد والثبات على الحق جَهْده، فأعدَّ العُدَّة، وعقد العقدة، ووفَّى العُهدة، وأعطى الزُّبْدة، وعلى آله وصحبه الذين حفظوا عهده، وذكروا ودَّه، وآتاهم الله رشده، وعلى مَن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(أما بعد)

فهذا كتابنا في فقه الآداب الشرعيَّة، الذي سمَّيناه: «أدب المسلم مع الله تعالى والنفس والناس والحياة»، وهو جزء من سلسلة: «تيسير الفقه للمسلم المعاصر في ضوء القرآن والسُّنَّة»، وهو جزء من محور الفقه في موسوعة أعمالنا الكاملة الذي يصور شمول المنهج الإسلامي وتنوعه وتوسُّعه، كما يصور توازنه وتكامله، ووسطيَّته واستقامته التي أشار إليها القرآن الكريم بقوله: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۞ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۞ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن: ٧ ـ ٩]، وقوله سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

كما يشير إلى علوه وسُمُوه بالدعوة إلى الحق والخير والجمال، التي تتمثل في الدعوة إلى الله الرحمن الرحيم، وإلى كل كمالات الإسلام والإيمان والإحسان.

ومن يقرأ ما كتبناه عن أدب المسلم، أو عن الآداب الإسلاميَّة المتكاملة، وارتباطها بسائر أنواع السلوك؛ يتبيَّن له بحق: أنَّ الإسلام هو المنهج الذي رسمه اللهُ للمسلمين: أفرادًا وأسرًا، وجماعات وأمة، شبابًا وشيوخًا، رجالا ونساءً، ريفًا ومُدُنًا، وبدوا وحضرًا، ليسيروا عليه في حياتهم كلها: حياتهم الفردية، وحياتهم الاجتماعية. حياتهم الدينية والروحية، وحياتهم المادية والدنيوية. وهو المنهج الذي طلب الله تعالى من المسلم أن يسأل ربه في كل يوم سبع عشرة مرة على الأقل أن يهديه إليه، حين يقرأ الفاتحة في صلواته الخمس: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

هذا الصِّراط، أو هذا المنهج، يصحب المسلم في رحلة الحياة كلها، من بدايتها إلى نهايتها، مِن لحظة الميلاد إلى ساعة الوفاة، وخصوصًا من ساعة التكليف، ولهذا وجدنا في الإسلام تشريعاتٍ وتوجيهات تتعلق بالمولود منذ رؤيته لنور الحياة، مثل: الفرح به، وحمد الله على ولادته بسلام، وقيام أمِّه بالسلامة، وتسميته، واختيار أحسن الأسماء له، والاحتفال به، والذبح عنه، وهو ما يُعرف باسم «العقيقة»، وغير ذلك من أحكام، جمعها الإمام ابن القيم في رسالة سمَّاها: «تحفة المودود في أحكام المولود». بل هناك أحكام شرعية تتعلق بالإنسان، وهو جنين في بطن أمه، أي قبل أن يولد ويعرف له

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

اســـم، كالأحكام التي تتعلق بالمرأة الحامل، والمحافظة على الجنين، وعلى حياته، فلا يجوز لها أن تجهض حملها عمدًا، ولو جاء من حرام، فهو لا ذنب له، وإن كان صـــوم رمضان يضرها أو يضره؛ فلا يجوز لها أن تصوم.. إلى غير ذلك مـــن الأحكام. ولهذا رأينا الرســـول الكريم يرجئ عقاب المرأة الغامدية، حتى تلـــد طفلها[1]، ويصبح في الإمكان استغناؤه عنها.

ولقد عبَّر الإمام الشهيد حســـن البنا، عن شمول المنهج الإسلامي، فقال وأجاد فيما قال: إنَّها الرســـالة التي امتدت طولًا حتى شملت آباد الزمن، وامتـــدت عرضًا حتى انتظمت آفاق الأمـــم، وامتدت عُمقًا حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة.

الامتداد الطولي للمنهج الإسلامي:

ويظل الإسلام يصحب الكائن الإنســـانيَّ في أطواره كلِّها: في مهده ورضاعه وفطامه، وتربيته وتعليمه وتغذيته، وإلهامه وإمداده، وتدريســـه وتدريبـــه وتفقيهه، فـــي صباه وشـــبابه، ويفاعتـــه ورجولتـــه، وكهولته وشيخوخته، بما فيها زواجه وإنجابه، ومعاشه، وعمله الديني والدنيوي، حتى يدخل القبر.

ومن ذلك: صحته ومرضه، في جسمه ونفسه، ووقايته وعلاجه، فردًا ومجتمعًا وأمة، حتى يقوم بكل ما يحتاج إليه، وما يُتطلَّب منه من أقوات ومأكولات ومشـــروبات وملابس ومســـاكن وأدوات للســـلم وللحرب، ولكل ما هو لازم أو مطلوب للإنسان.

(١) رواه مسلم في الحدود (١٦٩٥)، عن بريدة بن الحَصيب.

QaradawiBooks.com

والأحكام التي تتعلق بالمرض والاحتضار، وتلقين الشهادة، والوفاة، والتغسيل والتكفين والصلاة والدفن، معروفة لدى عامة المسلمين، وهي التي تُعرض في الفقه الإسلامي تحت عنوان: «أحكام الجنائز».

غير مرخصة للطباعة

الامتداد العرضي والأفقي للمنهج الإسلامي:

وكما يصحب الإسلامُ المسلمَ ـ طُوليًّا أو رأسيًّا أو زمنيًّا ـ عُمُرَه كله، يصحبه عَرْضيًّا أو أفقيًّا أو مكانيًّا في مجالات حياته كلها كذلك: في البيت، وفي المسجد، وفي المدرسة والجامعة، وفي السوق، وفي المزرعة، وفي المصنع، وفي المكتب، وفي المتجر، وفي كل عمل، يصحبه حين ينام، وحين يستيقظ، وحين يعمل ويكدُّ لدنياه، وحين يلهو ويُروح عن نفسه، وحين يتعبَّد لربِّه، وحين يتعامل مع خلقه، وحين يتعلم ويتثقَّف، وحين يسافر، وحين يُقيم، وحين يغدو ويروح، وحين يتعب، وحين يستريح. يشعر في ذلك كله أنَّه ملتزم بمنهج لا يجوز له التَّخلِّي عنه، أو الانفلات منه، بل يتلو دائمًا قول ربِّه: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١، ١٦٢].

الامتداد العمقي للمنهج الإسلامي:

وكما يمتدُّ الإسلام في حياة المسلم طُولًا وعَرْضًا، يمتدُّ فيها عُمْقًا، فهو ليس مع المسلم في أحواله المادية والظاهرية فحسب، التي يُعنى بها رجال القانون، ولكنَّه مع المسلم أيًّا كان وضعه، من ذكر أو أنثى، من حاكم أو محكوم، من غني أو فقير؛ في كل شؤونه وأحواله، الماديَّة والروحيَّة، والفكريَّة والاجتماعيَّة، والاقتصاديَّة والبيئية، إنَّه مع المسلم بأوامره ونواهيه، وتشريعاته ووصاياه، في تفكيره وثقافته، وفي عواطفه

QaradawiBooks.com

ومشاعره، في أكْلِه وشُربه، وفي مَلْبَسه، وفي زِينته، وفي مِشيته وجِلسته، وفي فرَحه وحُزنه، وفي ضَحِكه وبكائه، وفي نومه ويقظته، وفي جِدِّه وهزْله، وفي خلوته وجلوته.

لا يغفل الإسلام أنَّ الإنسان مخلوق ركَّبه الله تركيبًا عجيبًا، فهو مخلوق من طين، والطين لا يخلو من الكَدَر، ولكنَّ الله سواه ونفخ فيه من روحه، حين طلب من الملائكة أن تسجد تحية له، وطرد إبليس من حضرته حين رفض ذلك. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۞ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۞ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۞ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۞ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۞ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۞ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۞ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۞ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۞ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ۞ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۞ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الحجر: ٢٨ ـ ٤١].

إنَّه مع المسلم في علاقته بنفسه، وفي علاقته بربِّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وفي علاقته بأسرته، وفي علاقته بجيرانه وعُشَرائه، وفي علاقته بمجتمعه وأمته، وفي علاقته بأهل مِلَّته، وفي علاقته بمخالفي دينه، وفي علاقته بالعالم من حوله، مسالمين ومحاربين، وبالكون كله: أرضه وسمائه، ما يُرى وما لا يرى، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

QaradawiBooks.com

إنَّ هذا الدين هو منهج الله للإنسان، أي: للإنسان كله: الإنسان رُوحًا، والإنسان جسمًا، والإنسان عقلًا، والإنسان وجدانًا، والإنسان إرادة، الإنسان فردًا، والإنسان في أسرة، والإنسان في جماعة، والإنسان في دولة، والإنسان في أمة، والإنسان في محيطه العالمي. فهو يشرِّع له ويوجِّهه في كل أحواله، وفي أموره كافَّة؛ حتى لا يتيهَ في الدرب، ولا تتفرَّق به السُّبل، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

المسلم مقيَّد بشرع الله في كل حياته:

إنَّ المسلم مقَيَّد بحدود الله وأحكامِه وتعليماته في حياته كلها: في ثقافة فكره، وعواطف قلبه، وسلوك جوارحه. وبعبارة أخرى: في اعتقاداته وأفكاره، وشعائره وعباداته، وحلاله وحرامه، ومشاعره وأقواله، وأعماله وأخلاقه، في حبه أو كرهه، في سلمه وحربه، إذا تعامل مع أصدقائه أو مع أعدائه، مع أقرب الناس إليه، أو أبعد الناس عنه. فهو إذا تعلَّم أو فكَّر أو تعامل بعواطفه، مُقيَّد بأمر الله ونهْيه، أي: بشرع الله. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وهو إذا أحبَّ أو كَرِه، رضِيَ أو سخط، فرح أو حزن، قبل أو رفض؛ مقيَّد بشرع الله، ولهذا جاء في الحديث: «**لا يؤمنُ أحدُكم حتى يكونَ هواه تبعًا لما جئتُ به**»[1]. وقال ﷺ: «**ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجد حلاوة**

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة (١٥)، وابن بطة في الإبانة (٢٧٩)، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٢٠٩)، وصحح إسناده النووي في آخر الأربعين النووية، وقال الحافظ في فتح الباري (٢٨٩/١٣): رجاله ثقات. عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

الإيمان: أن يكون اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه ممَّا سواهما، وأن يحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلَّا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله كما يكره أن يُقذَف في النار»[1].

فهو يفرح بكل ما يناله هو أو من يحبه من خير، فرحَ المؤمنين لا فرح المستكبرين، الذين يفرحون بالماديات وحدها دون أن يؤدوا حقها، كفرح قارون الذي نصحه قومه وقالوا: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]. فبغى على قومه، ومشى في ركاب فرعون، وخسف الله به وبداره الأرض، ﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٨١].

وهو يحزن على ما يصيبه من هموم، ولكن لا يُخرجه الحزن عن إيمانه بربِّه، وعن صدقه في سلوكه، ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤]، وقال: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦]. فهو حزن شديد، ولكن لا يفقد صاحبه الأمل، ولا يوئسه من روح الله، ولا من رحمة الله التي وسعت كل شيء، ولذلك يقول تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]. فالفرح المتَّصلُ بالله مطلوب، كما أن فرح المعجب بنفسه، والفرح بالشر غير مطلوب، كما قال تعالى لأهل النار: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: ٧٥].

وهو إذا عبَّر عن فكره أو شعوره، بلسانه أو قلمه، بشعره أو نثره أو رسمه؛ مُقيَّد بشرع الله.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣)، كلاهما في الإيمان، عن أنس.

QaradawiBooks.com

فشرع الله تعالى ـ أي أمره ونهيه، وحلاله وحرامه ـ يحكمه في حياته كلها، منفردًا أو مجتمعًا، لا ينفصل هذا الشرع عنه، ولا ينعزل هو عن هذا الشرع؛ لأنَّ الله معه دائمًا، ولا يغيب عنه، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

وإنْ شرَّق المرء المسلم أو غرَّب، فالشريعة معه توجِّهه حيثما توجه، وتحكمه أينما سار، يمنة أو يسرة، كما قال تعالى لرسوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۞ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ١٨ ـ ٢٠].

ربط المسلم بربه دائمًا:

ومن خصائص المنهج الإسلامي: أنَّه يقصد ويعمل على ربط المسلم بربِّه في كل حين، وفي كل حال، في كل قول أو عمل، فإذا كان كل شيء في هذه الدنيا خلق من أجل الإنسان، ومنفعة الإنسان: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، فالإنسان كله قد خلق لله ﷻ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۞ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨].

فلذلك تتميَّز الآداب الإسلاميَّة كلها: في الطعام والشراب، واللباس والتزين، والزواج، والبيع والشراء، والتعلُّم والعمل، والصحبة والسفر، واللهو والترويح، وفي كل شؤون الحياة؛ بالمعاني الربَّانيَّة المرتبطة بها.

ولذلك نجد في كل هذه الألوان من الحياة الفرديَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة وغيرها أذكارًا مأثورة، تصل المرء بربه، وترطب لسانه بذكره، وقلبه بمحبته.

QaradawiBooks.com

فهو يبدأ طعامَه باسم الله، ويُنهيه بالحمد لله، وكذلك شرابه، وكذلك لباسه، وتجمله، يبدأ بذكر الله تعالى المناسب له، الذي ينبغي أن يحفظه ويذكره في كل مناسبة له، كما ذكر لنا القرآن نموذجًا، فقال: ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ۞ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۞ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٢ ـ ١٤]. فهو إذا ركب الدابة أو السفينة ذكر الله، وكذلك إذا ركب السيارة أو القطار أو الطائرة أو ما هو أسرع، ذكر الله.

الإسلام هو دين الله الواحد:

والإسلام هو دين الله تعالى الواحد، الذي أنزل به كتبه، وبعث به رسلَه، حسب حاجة الخلق، منذ خلق الله آدم أبا البشر، إلى أن ختم رسله بمحمد عليه وعليهم الصلاة والسلام. اتفقت رسل الله وأنبياؤه جميعًا على أصوله العقديَّة والأخلاقيَّة، وجعل لكل منهم شرعةً ومنهاجًا، كما قال تعالى في كتابه الخالد، الذي أنزله على نبيِّه الخاتم: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، وقال تعالى في سورة أخرى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

لهذا كانت عقائد الأنبياء، وقيمهم الأخلاقية الكبرى واحدة، وإنَّما تختلف شرائعهم، ولذا قال المسيح لليهود: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠].

وجاء الإسلام بالشريعة العامَّة الخالدة، التي نسخت كل الأحكام المرحلية، التي جاءت بها الشرائع السابقة، وكل الأحكام التي كان

QaradawiBooks.com

تشـــريعها لظروف خاصَّة، كالمحرَّمات التي حرمـــت على اليهود، جزاء على ظلمهم وبغيهم، كما قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۞ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [النساء: ١٦٠، ١٦١].

ولهذا أعلن عن شريعة محمد في كتب الأقدمين، من قبل أن يبعث، بما وصفـــه القـــرآن: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

هذا الإسلام العظيم، الذي حُفِظَ كتابُه المُبين: القرآن الكريم، فبقي كما أنزلـــه الله تعالـــى، ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هـــود: ١]. وتكفَّل الله ســـبحانه بحفظه، فقـــال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وامتنَّ ســـبحانه به على الأمة فقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

قال أُنَاس من اليهود: لـــو نزلتْ هذه الآية فينـــا لاتَّخذنا ذلك اليوم عيدًا. فقال عمر: أيَّـــة آية؟ فقالوا: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائـــدة: ٣]. فقال عمـــر: إنِّي لأعلم أي مكان أنزلت، أنزلت ورســـول الله ﷺ واقف بعرفة[١]. أيْ: أنزلت في يوم العيد في حجة الوداع.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٤٠٧)، ومســـلم في الإيمان (٣٠١٧)، عن طارق بن شهاب.

QaradawiBooks.com

وأعلن القرآن أن كل الرسل والأنبياء من قبلُ كانوا مسلمين.

فشيخ المرسلين نوح قال لقومه: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢]، وإبراهيم قال الله في شأنه: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]، ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١].

ويعقوب مع إبراهيم وبنيه مسلمون: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

ويوسُف قال لربِّه: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وموسى قال لقومه: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

والمسيح قال لقومه: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

والأنبياء في العصور كافة كانوا يدعون الناس إلى الإسلام، لا إلى أنفسهم أو أقوامهم أو مصالحهم، هذا هو شأن كل نبي، ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۚ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠].

ولذا أعلن الله ﷻ هذه الحقيقة الناصعة، التي أصبحت قاعدة عامَّة للبشرية كافة: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وإذا كان الناس في عصورهم المختلفة، قد بدا لهم أن يغيِّروا في حقائق هذا الدين الواحد، بما فيه من معتقدات ومفاهيم، وعبادات

QaradawiBooks.com

ومعاملات، وتشريعات وأخلاقيات، فقد شاء الله أن يبعث رسوله محمدًا، ويختم به الرسل، ليجدد هذا الدين الواحد، الإسلام الذي بعث به كل الرسل، ويُجلي أصوله، ويُرسي قواعده، ويشرح أهدافه، ويقيم أمَّته، ويُعلي حجته، ويرفع رايته، ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

منهجنا في هذا الكتاب:

ونحن في هذا الكتاب في سلسلة «تيسير الفقه للمسلم المعاصر في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، نحاول أن نضع أمام المسلم، رجلًا كان أو امرأة، في الشرق أو في الغرب، من العرب أو من العجم: «فقه الآداب الإسلاميَّة»، التي هي جزء أساس من الفقه الإسلامي المطلوب للمسلم وللحياة الإسلاميَّة.

ولهذا سمَّيناه «أدب المسلم مع الله والنفس والناس والحياة»، وهو أدب عُنيَ به الإسلام، في قرآنه وسنَّته، وعُني به الصحابة وتابعوهم بإحسان ﷺ، وعُني به علماء الأمَّة على اختلاف تخصُّصاتهم، فقهاء ومفسِّرون ومحدِّثون ومتصوفة، وإن لم يفردوا هذه الآداب بصورة واضحة، في الفقه الإسلامي، ولكنَّهم ذكروا أجزاء منها في كتب الفقه، في أبوابه المتفرقة، وبعضها جمعوها في أبواب خاصة، وبعضها ألَّفوه في كتب مستقلة، تشمل الآداب خاصة، كما فعل الإمام محمد بن مفلح الحنبلي «ت: ٧٦٢هـ»، الذي قال فيه ابن القيم: لا يوجد تحت قبة الفلك، أعلم منه بمذهب أحمد[1]. والذي ألف كتابه الشهير: «الآداب

(١) انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي (٣٤٠/٨)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، نشر دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

QaradawiBooks.com

الشرعيَّة والمنح المرعية»، ونشره العلامة السلفي المجدد الشيخ محمد رشـيد رضا، ثم نشـرته دار الرسـالة في بيروت بتحقيق الشيخ العالم المحقق: شعيب الأرناؤوط، والدكتور المحقق عمر حسن القَيَّام.

وقد انتفعنا بهذا الكتاب ما وسِـعنا، وانتفعنا بالكتب الأخرى، مثل «الإحياء» للإمـام أبي حامد الغزالي «ت: ٥٠٥هـ»، فقـد عُني في الربع الثاني من الكتـاب بهذه الآداب، فقد جعل الربـع الأول في العبادات، وجعل الربع الثاني في المعاملات، وبعضها في أسـس الآداب مباشرة، وبعضها فـي مفاهيم أخـرى، وإن كان لها صلة ما بهـذه الآداب، مثل الحلال والحرام، والعزلة والاختلاط، ونحوها.

وقد اسـتفدنا كثيرًا ممَّا كتبه الإمام الغزالي في هذه الآداب، ولكن تركنا الأحاديث الواهية والضعيفة والمكذوبة وما لا أصل له من كتابه، وكذلك المبالغـات المبنيَّة على هـذه الأحاديث، ومثلهـا ما بُني على الإسـرائيليَّات والمنامات، وما لا يعتد به عند الراسخين، وما عدا ذلك استفدنا منه، ولم نجد في ذلك أي غضاضة.

كما اسـتفدنا من كتاب الإمام ابن القيم في كتابـه: «زاد المعاد في هدي خير العباد» وغيره من الكتب.

وقد بدأنا كتابنا هذا بتمهيد طويل عن «الأدب» الذي هو موضوع هذا الكتاب، الذي اهتمَّ بـه أولًا علماء الحديث، وجعلـوا في كتبهم: كتاب الأدب كما في البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه. وألَّف الإمام البخاري كتابًا خاصًّا سمَّاه: «الأدب المفرد»، وكانت بدايتهم من الحديث المشهور: «**أدَّبني ربي فأحسن تأديبي**»[1] وحوله دندنوا.

(١) وهـو حـديث ضعـيف جدًّا، كمـا قـرَّر الحـافظ السَّـخـاوي فـي المقاصد الحسـنة (٤٥)، =

QaradawiBooks.com

كما عُنـــي المتصوفة بـــالأدب، وتحدَّثوا عنه في كتبهـــم ومؤلفاتهم الخاصة، وصنفوه ضمن «منازل الســـائرين» إلـــى مقامات ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، كما فعل الإمام الهروي (ت: ٤٨١هـ) في رسالته التي شـــرحها الإمام ابن القيم (ت: ٧٥١هـ)، على منهج شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨)، في كتابه: «مدارج الســـالكين»، وقد استفدنا منه، ومن كتب ابن القيم كلها، ومن مدرسة ابن تيمية، وعلمائها الأفذاذ.

وكذلك عُنِي بالأدب علماء اللغة العربيـــة وآدابها، وانتقلت الكلمة إليهم، لتضيف لهم علمًا كبيرًا واسعًا، يسمَّى: «علم الأدب».

وقـــد أُلِّفَتْ فيه الموســـوعات الأدبيَّة قديمًا وحديثًا، من شـــعر ونثر ورســـائل ووصايا وقصص وروايات ومقامات، ممَّا قدُم وما حدث. وما لا يزال يتصبب علينا ســـيولًا وأغادير، منها ما يـــروي، ومنها ما يُغرق، ومنها ما يصفو، ومنها ما يكدُر.

وواضح اختلاف معنى الأدب عند اللغويين عنه عند الشرعيين.

ولكل شريحة من شرائح المجتمع في ديننا آداب تخصها، مثل: أدب العالم، وأدب المتعلم، وأدب القاضـــي، وأدب الوزير، وأدب الكاتب، وأدب المدرس، وأدب الفقيه، وأدب المفتي والمستفتي، وأدب المملي

= وعزاه إلى العسكري في كتابه: الأمثال. بسنده إلى سيدنا عليٍّ عن النبي ﷺ، وبنحوه أخرجه ابن السَّمْعاني في أدب الإملاء والاستملاء صـ ١، عن ابن مسعود مرفوعًا بسند ضعيف. قال السخاوي: وبالجملة فهو كما قال ابنُ تيميّة لا يُعرَفُ له إسناد ثابت. وقال الإمامُ الزَّرْكشيُّ: حديث: «أدَّبني ربّي فأحسن تأديبي». معناه صحيح، لكنَّه لم يأتِ من طريق صحيح. وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثيـــر (٤/١)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، نشر المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

QaradawiBooks.com

والمستملي، وأدب المعيد، وأدب المناظرة، وأدب الكلام، وأدب الضيافة وأدب المائدة، إلى آخره.

وفي هذا الكتاب تحدَّثتُ بعد التمهيد الطويل عن الأدب وأهميته ووسائل اكتسابه، وعن الملامح العامة للآداب الإسلاميَّة: من ملاءمة الفطرة السليمة وتكميلها، وترقية الذوق الإنساني، والارتفاع بالإنسان عن مستوى الغرائز الحيوانية، ومن درك الأنانية إلى الأخوة والإيثار، والحرص على تميز المجتمع المسلم بمظهره ومخبره عن غيره من المجتمعات، وتكافله في رعاية هذه الآداب وحمايتها، ومسؤولية الدولة عن تعهد هذه الآداب وحراستها، وربط الإنسان بربه في كل أحواله وأحيانه.

ثم تحدثنا عن جملة كبيرة من هذه الآداب المهمَّة، وأطلنا في الحديث عنها حتى نُوفِّيها بعض حقِّها. وإن كان كل أدب منها يستحق أن يؤلف فيه كتاب خاص، فلا عجب من تطويلنا فيها، فهي تستحق.

وبدأنا بأول الآداب وأهمها وذروتها: الأدب مع الله تعالى، وألحقنا به الأدب مع رسوله ﷺ، فهو تتمة له.

ثم أتبعته ببعض آداب المسلم مع نفسه: أدب التبصُّر في تكوين الرأي، وأدب التمسك بالحق والثبات عليه.

ثم عن أدب المسلم في الحياة اليومية: أدب النوم واليقظة، وأدب الطعام والشراب، وأدب المشي في الطريق، وأدب الجلوس، وأدب اللباس والزينة.

QaradawiBooks.com

ثم عن أدب المسلم في الأسرة: أدب الخطبة، وأدب الزواج والزفاف، وأدب العشـرة الزوجية، وأدب الطـلاق والفـراق، وأدب التعامل مع الوالدين، وأدب التعامل مع الأولاد، وأدب التعامل مع ذوي القربى.

ثم عن أدب المسلم في الحياة الاجتماعية: أدب التعامل مع الضعفاء من اليتامى والمساكين وأبناء السبيل وما ملكت الأيْمان، وأدب الجوار، وأدب الصحبة والصداقة، وأدب الزيارة، وأدب التحية والسـلام، وأدب المجالـس، وأدب الحديـث، وأدب الضحك والمـزاح واللهو، وأدب الصحة والمرض، وأدب السفر والارتحال، وأدب الكسب والاحتراف، وختمت الآداب بالحديث عن أدب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولما كنتُ قـد كتبتُ عن جملـة كبيرة من الآداب فـي ثنايا كتبي، اكتفيت بما كتبتُ هناك بما يغني عن إعادته، وأحيل القارئ الكريم إليه في مواضعـه: مثل: آداب العبادة وشـمولها في «العبادة في الإسـلام»، وآداب العلم في كتبي: «الرسـول والعلم»، و«الحيـاة الربانية والعلم»، و«العقل والعلم في القرآن الكريم»، وآداب التعامل مع القرآن الكريم في «كيف نتعامل مع القرآن»، وآداب الجهـاد والمجاهدين في كتاب: «فقه الجهـاد»، وآداب الاختلاف في «الصحوة الإسـلاميَّة بيـن الاختلاف المشـروع والتفرق المذموم»، وآداب البيئة في «رعاية البيئة في شريعة الإسـلام»، وغير ذلك مـن الآداب الإسـلاميَّة ممَّا تناولتـه في خطبي ومحاضراتي وبرامجي ولقاءاتي.

ولا نعدُّ أنفسـنا قد اسـتوفينا جميع الآداب التي تلزم المسـلم في حياته، ولكن حسـبُنا أننا وضعنا أمامه أهم هـذه الآداب، ليتأدب بها، ويتعلَّم منها، ويتخذها نبراسًـا لحياته، حتى يفلح سعيه، ويصلح عمله،

QaradawiBooks.com

وتربح تجارته في الدنيا والآخرة. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠].

وهكذا نرى المسلم في حضَره وسفره، وفي يقظته ونومه، وجوعه وشبعه، وفي ضحكه وبكائه، وفي فرحه وحزنه، وفي تعبُّده الديني، وفي عمله الأسري، وعمله الثقافي، وعمله الاجتماعي، وعمله السياسي؛ له أدب مع ربه في كل حالة، يحفظه ويردده بلسانه وقلبه، ويقوم به بجوارحه وعقله، سائلًا ربَّه المغفرة والرحمة، وطالبًا منه النصرة والمعونة، ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ۝ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤٠، ٤١].

﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

فالمسلم ـ كما أشرنا ـ إذا تحرَّك بجوارحه لعمل ما، مقيَّد بشرع الله، مُبْتغٍ وجْهَ الله، ساعٍ إلى رضاه. فهو مخلوقٌ ربَّانيُّ الأساس، إنسانيُّ الوجْهة، عالَميُّ الهدف، أخلاقيُّ الغاية، إيمانيُّ الروح.

المسلم كل المسلم في عباداته، وفي معاملاته، وفي آدابه، وفي أخلاقه، وفي كل أنواع سلوكه: مع ربه، ومع نفسه، ومع أسرته، ومع مجتمعه، ومع أمته، ومع مخالفي ملته، مع المسالمين والمحاربين؛ ملتزم كل الالتزام بما يقيِّده به الإسلام، ولا يقيِّده الإسلام إلَّا بالحق

QaradawiBooks.com

والخير والجمال، حتى يرضى بالله تعالى ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبالقرآن إمامًا، وبمحمَّد ﷺ نبيًّا ورسولًا. ومثل هذا لا يصدر عنه إلَّا كل ما ينفع الناس ويمكث في الأرض.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ۝ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٨، ٩].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

الدوحة في الخامس من أبريل ٢٠١٧م
الثامن من رجب ١٤٣٨هـ
الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته

يوسف القرضاوي

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

تمهيد

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١

مفهوم «الأدب» في تراثنا العربي والإسلامي

الأدب إحدى الكلمات القلائل النادرة التي تشمل كلَّ ما جاء به الإسلام، مَثَلها مَثَل كلمة «الأمانة»، فهي في معناها المحدود: أداء الوديعة لصاحبها، ولكنها في معناها العام المراد بقوله سبحانه آخر سورة الأحزاب: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ [الأحزاب: ٧٢]: هي الإسلام كله.

قال القرطبي: «الأمانة تعمّ جميع وظائف الدين، على الصحيح من الأقوال، وهو قول الجمهور»[(١)].

كذلك كلمة: «العدل» فإن معناها الضيِّق: العدل في الحكم والقضاء، وهو ضد الظلم، لكنها في معناها العام شاملة للإسلام كله[(٢)].

ومن ذلك كلمة «الأدب»، فإنها تحمل هذا المعنى الشامل للإسلام كله، فإنَّ الأدب أدبٌ مع الله ﷻ، وأدبٌ مع مخلوقاته كلهم: أنبيائه،

(١) تفسير القرطبي (٢٥٣/١٤)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

(٢) كما شرحه ابن العربي في أحكام القرآن (١٥٣/٣، ١٥٤)، تفسير آية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

QaradawiBooks.com

وملائكته.. ومن سواهم، وأدب العبد مع نفسه، ومع من يتصل به اتصالًا وثيقًا كوالديه، أو اتِّصالًا خفيفًا، كمن يلقاه ولو مرةً في طريقه.

بل هو باختصار وإيجاز شديد: أدب العبد مع ربِّه بالتصديق بكل ما جاء عنه وبالعمل به.

ومن شواهد هذا العموم والشمول: ما حكاه الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى في «الرسالة القشيرية»، عن سيِّد التابعين سعيد بن المسيَّب رضي الله عنه قال: «مَن لم يعرف ما لله عز وجل عليه في نفسه، ولم يتأدَّب بأمره ونهيه: كان من الأدب في عزلة»[1].

معنى كلمة (أدب) في «القاموس» وشرحه «التاج»:

«الأَدَب ـ محركة ـ الذي يتأدَّب به الأديبُ من الناس، سُمِّي به؛ لأنَّه يأدُب النَّاس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح. وأصل الأدب: الدعاء. وقال شيخنا[2] ناقلًا عن تقريرات شيوخه: الأدب ملكةٌ تعصم من قامت به عمَّا يشينه.

وفي «المصباح المنير»: هو تعلُّم رياضة النفس ومحاسن الأخلاق.

وقال أبو زيد الأنصاري: الأدب: يقع على كل رياضة محمودةٍ يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل. ومثله في «التهذيب».

---

(١) الرسالة القشيرية (٤٤٥/٢)، تحقيق: الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود، نشر دار المعارف، القاهرة.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن الطيب بن محمد الفاسي، المتولد بفاس سنة ١١١٠هـ، والمتوفى بالمدينة المنورة سنة ١١٧٠هـ. قال عنه الزبيدي في مقدمة التاج: هو عمدتي في هذا الفن، والمقلِّد جِيدي العاطل بحُلي تقريره المستحسن. تاج العروس (٣/١)، نشر دار الهداية.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

وفي «التوشيح»: هو استعمال ما يحمد قولًا وفعلًا، أو الأخذ بمكارم الأخلاق، أو الوقوف مع المستحسنات، أو تعظيم من فوقك والرفق بمن دونك.

ونقل الخفاجي في «العناية» عن الجواليقي في «شرح أدب الكاتب»: الأدب في اللغة: حُسن الأخلاق وفعْل المكارم، وإطلاقه على علوم العربية مولَّدٌ حدث في الإسلام.

وقال ابن السيد البطليوسي: الأدب أدب النفس والدرس.

والأدب: (الظَّرْف) ـ بالفتح ـ و(حسن التناول)، وهذا القول شاملٌ لغالب الأقوال المذكورة، ولذا اقتصر عليه المصنف.

وقال أبو زيد: (أدُب) الرجل (كحسُن) يأدُب (أدبًا فهو أديبٌ ج: أدباء).

وقال ابن بزرج: لقد أدُبت (آدب) أدبًا حسنًا وأنت أديبٌ، و(أدَّبه)، أي: (علمه فتأدَّب) تعلَّم، واستعمله الزجَّاج في الله ﷻ فقال: والحق في هذا ما أدَّب الله تعالى به نبيَّه ﷺ.

(و) فلانٌ قد (استأدب) بمعنى تأدَّب، ونقل شيخنا عن «المصباح»: أَدَبْته أدبًا، من باب ضرب: علَّمته رياضة النفس ومحاسن الأخلاق. وأدَّبته تأديبًا مبالغةٌ وتكثيرٌ. ومنه قيل: أدَّبته تأديبًا، إذا عاقبته على إساءته؛ لأنَّه سببٌ يدعو إلى حقيقة الأدب.

وقال غيره: أدبه، كضرب، وأدَّبه: راض أخلاقه وعاقبه على إساءته لدعائه إياه إلى حقيقة الأدب. ثم قال: وبه تعلم أن في كلام المصنِّف[1]

(١) يعني: الفيومي صاحب المصباح المنير.

QaradawiBooks.com

قصورًا من وجهين. (والأُدبة بالضم والمأدُبة)، بضم الدال المهملة، كما هو المشهور، وصرح بأفصحيته ابن الأثير وغيره (و) أجاز بعضهم (المأدَبة) بفتحها، وحكى ابن جني كسرها أيضًا، فهي مثلثة الدال، ونصُّوا على أنَّ الفتح أشهر من الكسر: كل (طعام صنع لدعوة)، بالضم والفتح، (أو عرس) وجمعه المآدِب، قال صخر الغي يصف عُقابًا[1]:

كأن قلوبَ الطَّيْرِ في قعر عُشِّها نوى القَسْب ملقًى عندَ بعضِ المآدِبِ

قال سيبويه: قالوا: المأدَبة، كما قالوا: المدعاة، وقيل: المأدَبة من الأدب، وفي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه: «إن هذا القرآن مأدبة الله في الأرض، فتعلَّموا من مأدبته» يعني: مدعاته.

قال أبو عبيدٍ، يقال: مأدَبةٌ ومأدُبةٌ، فمن قال مأدُبةٌ أراد به الصنيع يصنعه الرجل فيدعو إليه الناس، شبَّه القرآن بصنيعٍ صنعه الله للناس، لهم فيه خيرٌ ومنافع، ثم دعاهم إليه. ومن قال مأدَبةٌ جعله مفعلة من الأدب.

وكان الأحمر يجعلها لغتين مأدُبة ومأدَبة بمعنى واحدٍ.

وقال أبو زيد: آدبتُ أودِب إيدابًا، وأدَبت آدِب أدبًا، والمأدُبة للطعام، فرَّق بينها وبين المأدَبة للأدب.

وآدب البلادَ يُؤدِب «إيدابا: ملأها» قسطًا و«عدلًا» وآدَب القومَ إلى طعامه يُؤدِبهم إيدابا وأَدَب: عمل مأدبة»[2].

---

(١) شرح أشعار الهذليين (٢٥١/١)، صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، رواية أبي الحسن النحوي عن أبي بكر الحلواني، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، نشر مكتبة دار العروبة.

(٢) تاج العروس مادة (أ.د.ب).

QaradawiBooks.com

وقال الحافظ ابن حجر: «الأدب: استعمال ما يُحمد قولًا وفعلًا. وعبَّر بعضهم بأنَّه: الأخذ بمكارم الأخلاق. وقيل: الوقوف مع المُسْتَحسنات»[١].

وذكر المُناوي تعريفًا آخر ـ زيادة على ما تقدَّم ـ نقله عن «شرح النوابغ»[٢] قال: «هو ما يؤدِّي بالناس إلى المحامد. أي: يدعوهم»[٣].

وكلُّ هذه المعاني مرادةٌ في معنى الأدب، داخلة في مُسمَّاه، ولا تعارض بين واحد منها والآخر.

استعمال كلمة «أدب» في علوم اللغة العربية:

كتب الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس مجمع اللغة العربيَّة بالقاهرة، وأستاذ الأدب العربي المتخصِّص، في مقدمة كتابه عن «الشعر الجاهلي» مقدمة نفيسة عن استعمال كلمة «أدب» في اللغة العربية، في عصر الجاهليَّة، والعصر الإسلامي بعهوده المختلفة من العصر النبوي والراشدي والأموي والعباسي وما بعدهما، لخَّص فيها تلخيصًا جيدًا ما انتهى إليه الرأي والبحث في هذه القضية، فقال: «كلمة (أدب) من الكلمات التي تطور معناها بتطور حياة الأمة العربية وانتقالها من دور البداوة إلى أدوار الحضارة. وقد اختلفت عليها معانٍ متقاربة، حتى أخذت معناها الذي يتبادر إلى أذهاننا اليوم، وهو: الكلام الإنشائي

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (٤٠٠/١٠)، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٢) النعم السوابغ شرح الكلم النوابغ للسعد التفتازاني صـ ١٣، تحقيق: جاك الأسود، نشر الدار العالمية للطباعة والنشر، وهو شرح لنوابغ الكلم للزمخشري.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (٢٢٤/١)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط١، ١٣٥٦هـ.

QaradawiBooks.com

البليغ، الذي يقصد به التأثير في عواطف القراء والسامعين، سواء أكان من الشعر أم من النثر.

وإذا رجعنا إلى العصر الجاهلي ننقِّب عن الكلمة فيه، لم نجدها تجري على ألسنة الشعراء، إنَّما نجد لفظة «آدِب» بمعنى الداعي إلى الطعام، فقد جاء على لسان طرفة بن العبد:

نحن في المَشْتاةِ ندعو الجَفَلَى لا ترى الآدِبَ فينا يَنْتَقِرْ[1]

ومن ذلك «المأدُبة» بمعنى الطعام الذي يُدعى إليه الناس، واشتقوا من هذا المعنى أدُبَ يأدُب، بمعنى صنع مأدبُة أو دعا إليها.

وليس وراء بيت طَرَفة أبيات أخرى تدل على أنَّ الكلمة انتقلت في العصر الجاهلي من هذا المعنى الحسي إلى معنى آخر، غير أننا نجدها تُسْتَخْدم على لسان الرسول ﷺ، في معنًى تهذيبي خلقي، ففي الحديث النبوي: «**أدَّبني ربي فأحسن تأديبي**»[2]. ويستخدمها شاعر مخضرم يُسمَّى سهم بن حَنْظلة الغَنَوي بنفس المعنى إذ يقول:

لا يمنعُ الناسُ منِّي ما أردتُ ولا أعطيهمُو ما أرادوا حُسْنَ ذا أدبا[3]

وربما استُخدمت الكلمة في العصر الجاهلي بهذا المعنى الخُلُقي، غير أنَّه لم تصلنا نصوص تؤيِّد هذا الظن.

---

(١) ديوان طرفة بن العبد صـ٤٣، تحقيق مهدي محمد ناصر الدين، نشر دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م .

(٢) سبق تخريجه صـ١٩.

(٣) نسبه في الأصمعيات لرجل من غني صـ ٥٦، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، نشر دار المعارف، مصر، ط ٧، ١٩٩٣م، وانظر: سمط اللآلي لأبي عبيد البكري (٧٤٠/١)، تحقيق: عبد العزيز الميمني، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

غير مرخص للطباعة

QaradawiBooks.com

ولا نمضي في عصر بنـــي أُميَّة حتى نجد الكلمة تـــدور في المعنى الخُلُقي التهذيبي، وتضيف إليه معنى ثانيًـــا جديدًا، وهو معنى تعليمي؛ فقد وجدت طائفة من المعلِّمين تسمَّى بـ «المؤدبين»، كانوا يعلمون أولاد الخلفاء ما تطمح إليه نفوس آبائهم فيهم من معرفة الثقافة العربية، فكانوا يلقِّنونهم الشـــعر والخطب وأخبار العرب وأنسابهم وأيامهم في الجاهلية والإسلام. وأتاح هذا الاستخدام الجديد لكلمة «الأدب» أن تُصبح مقابلة لكلمة «العِلْم» الذي كان يطلق حينئذٍ على الشريعة الإسلاميَّة، وما يتصل بها من دراسة الفقه والحديث النبوي وتفسير القرآن الكريم.

وإذا انتقلنا إلى العصر العباسي، وجدنا المعنيين التهذيبي والتعليمي يتقابلان في استخدام الكلمة، فقد سمَّى ابن المقفع رسالتين له تتضمنان ضروبًا من الحِكَم والنصائح الخلقية والسياســـية باسم «الأدب الصغير» و«الأدب الكبير».

وبنفس هذا المعنى سمَّى أبو تمَّام «ت: ٢٣٢هـ» الباب الثالث من «ديوان الحماسة» الذي جمع فيه مختارات من طرائف الشعر باسم: «باب الأدب»[١].

وينطبق هذا المعنى تمام الانطباق علـــى كتاب «الأدب» الذي عقده البخاري «ت: ٢٥٦هـ» في مؤلفه المشهور في الحديث، والمعروف باسم «الجامع الصحيـــح»[٢] كما ينطبق على كتـــاب «الأدب» الذي صنَّفه ابن المعتز (ت: ٢٩٦هـ).

---

(١) يبدأ من (٥٥٧/١) بمقطوعة مسكين الدارمي (رقم ٤٠٣): وفتيان صدق لست مطلع بعضهم. وينتهي (٦٢٣/١) بقصيدة الصلتان العبدي رقم (٤٥٩):

أشـــاب الصغيـــرَ وأفنـــى الكبير مـــرورُ الغـــداةِ وكـــرُّ العشـــيْ

تحقيق: د. عبد الله عسيلان، نشر جامعة الإمام، ١٩٨١م.

(٢) وله أيضًا: كتاب الأدب المفرد، ولأبي داود أيضًا في سننه: كتاب الأدب.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وفي هذه الأزمنة، أي في القرنين الثاني والثالث للهجرة وما تلاهما من قرون، كانت الكلمة تطلق على معرفة أشعار العرب وأخبارهم، وأخذوا يؤلفون بهذا المعنى كتبًا سمَّوها كتب «أدب» مثل: «البيان والتبيين» للجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، وهو يجمع ألوانًا من الأخبار والأشعار والخطب والنوادر، مع ملاحظات نقدية وبلاغية كثيرة.

ومثله كتاب «الكامل في اللغة والأدب» للمُبرِّد (ت: ٢٨٥هـ)، وقد وجَّه اهتمامه إلى اللغة لا إلى البلاغة والنقد، كما صنع الجاحظ، وقدَّم فيه صورًا من الرسائل النثريَّة التي ارتقت صناعتها في تلك العصور، جاء في مقدمته: «هذا كتاب ألَّفناه، يجمع ضروبًا من الآداب، ما بين كلام منثور، وشعر مرصوف، ومثل سائر، وموعظة بالغة، واختيار من خطبة شريفة، ورسالة بليغة»[(١)].

وممَّا أُلِّف في الأدب بهذا المعنى كتاب «عيون الأخبار» لابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ)، و«العِقْد الفريد» لابن عبد ربه (ت: ٣٢٨هـ)، و(زهر الآداب) للحصري (ت: ٤٥٣هـ)[(٢)].

كلمة «الأدب» عند أهل العلوم الدينيَّة:

ومن المهم هنا أن نتحدث عن كلمة «الأدب» في تراثنا الديني والشرعي، فلا ريب أنَّ الكلمة قد عُرفت عندهم كما عُرفت عند غيرهم، بل إنَّ القرون الأولى كان الجانب الديني فيها أظهر من غيره، كما يظهر ويتجلَّى ذلك للدارسين والباحثين[(٣)].

(١) الكامل في اللغة (٥/١)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٣، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

(٢) مقدمة الشعر الجاهلي للدكتور شوقي ضيف صـ ٧ ـ ٩، نشر دار المعارف، ط ١١.

(٣) وقد أُلِّفت فيه كتب كثيرة، وذكره علماء الحديث في كتبهم الاصطلاحية؛ إذ لا بد منه في نظرهم، لذلك جعلوا الأدب نوعًا وبابًا من أبواب علوم الحديث.

QaradawiBooks.com

ولقد ظهر لنا في بحث رجال اللغة: أنهم وجدوا الحديث الذي نسبوه إلى الرسول الكريم: «**أَدَّبني ربِّي فأحسنَ تأديبي**». وهو حديث معروف عند علماء الدين، وإن لم يبلغ درجة الصحَّة المعروفة عندهم، ولكنَّهم تقبَّلوه وتَحدَّثوا عنه وشرحوه، وخصوصًا المتأخرين منهم، كالعلامة المصري المُناوي (ت: ١٠٣١هـ) شارح «الجامع الصغير» للحافظ السيوطي.

حول معنى حديث: «أدبني ربِّي»:

قال المناوي: «**أَدَّبني ربي**»، أي: علَّمني رياضة النفس، ومحاسن الأخلاق الظاهرة والباطنة. والأدب: ما يحصل للنفس من الأخلاق الحسنة والعلوم المكتسبة.

«**فأحسن تأديبي**»، بإفضاله عليَّ بالعلوم الكسبيَّة والوهبيَّة، بما لم يقع نظيره لأحد من البشر.

قال بعضهم: أدَّبه بآداب العبوديَّة، وهذَّبه بمكارم أخلاق الربوبيَّة. لما أراد إرساله ليكون ظاهر عبوديته مرآة للعالم، كقوله: «**صلُّوا كما رأيتموني أصلِّي**»[(١)]، وباطن حاله مرآة للصادقين في متابعته وللصِّدِّيقين في السير إليه ﴿**فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ**﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال القرطبي: حفظه الله من صغره، وتولَّى تأديبه بنفسه، ولم يكِلْه في شيء من ذلك لغيره، ولم يزل الله يفعل به، حتى كرَّه إليه أحوال الجاهلية، وحماه منها، فلم يجرِ عليه شيء منها، كل ذلك لُطْف به، وعطْف عليه، وجمْع للمحاسن لديه.

وفي هذا من تعظيم شأن الأدب ما لا يخفى»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري في الأذان (٦٣١)، عن مالك بن الحُوَيرث.

(٢) فيض القدير (٢٢٤/١)، المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

تأديب الله حبيبه وصفيه محمدًا بالقرآن:

كان رسول الله ﷺ كثير الضراعة والابتهال، دائم السؤال من الله تعالى أن يُزيِّنه بمحاسن الآداب، ومكارم الأخلاق، فكان يقول في دعائه: «**اللهمَّ كما أحسنتَ خَلقي فحسِّن خُلقي**»(١). ويقول: «**اللهمَّ جنِّبني منكرات الأخلاق**»(٢). فاستجاب الله تعالى دعاءه وفاء بقوله ﷻ: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، فأنزل عليه القرآن وأدَّبه به، فكان خُلُقه القرآن.

قال سعد بن هشام: دخلت على عائشة رضي الله عنها وعن أبيها، فسألتها عن أخلاق رسول الله ﷺ، فقالت: أمَا تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قالت: كان خلقه ﷺ: القرآن(٣).

وإنَّما أدَّبه القرآن بمثل قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾ [النحل: ٩٠]، وقوله: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]، وقوله: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣]، وقوله: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢]، وقوله: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]، وقوله: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وقوله: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟

(١) رواه أحمد (٢٤٣٩٢)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين. عن عائشة.

(٢) رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٩١)، وقال: حسن غريب. وابن حبان في الرقائق (٩٦٠)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح. والحاكم في الدعاء (٥٣٢/١)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١٢٩٨)، عن عم زياد بن علاقة.

(٣) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٤٦)، وأحمد (٢٤٦٠١)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢]، ولما كُسِرَت رَبَاعِيَتُه ﷺ، وشُجَّ يوم أحد، فجعل الدم يسيل على وجهه، وهو يمسح الدم ويقول: «**كيف يُفلح قَـوْمٌ خَضَبوا وجه نبيهم بالـدم وهو يدعوهم إلى ربهـم؟**»[(١)] فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨] تأديبًا له على ذلك.

وأمثال هذه التأديبات في القرآن لا تُحصر، وهو عليه السلام المقصود الأول بالتأديب والتهذيب، ثم منه يشـرق النور على كافَّة الخلـق، فإنه أُدِّب بالقرآن، وأدَّب الخلق بـه، ولذلك قال ﷺ: «**إنَّمـا بُعثت لأتمِّم مكارم الأخلاق**»[(٢)]. ثم رغَّب الخلْق في محاسـن الأخلاق، ثـم لما أكمل الله تعالى خُلُقـه، أثنى عليه فقـال تعالـى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [ن: ٤]، فسبحانه ما أعظم شـأنه، وأتم امتنانه! ثم انظر إلى عميم لُطْفه، وعظيم فضله، كيف أعطى ثم أثنى؟ فهـو الذي زيَّنه بالخلق الكريم، ثم أضاف إليه ذلك، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. ثم بيَّن رسـول الله ﷺ للخلق أنَّ الله يحبُّ مكارم الأخلاق، ويبغض سفسافها[(٣)].

* * *

(١) رواه مسلم في الجهاد والسير (١٧٩١)، وأحمد (١٣١٣٨)، وابن ماجه في الفتن (٤٠٢٧)، عن أنس.

(٢) رواه أحمد (٨٩٥٢)، وقال مخرِّجوه: صحيح. والبخاري في الأدب المفرد في حسن الخلق (٢٧٣)، والحاكم في تواريخ المتقدمين (٦١٣/٢)، وقال: على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٥)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه الطبراني في الكبير (١٨١/٦)، والأوسـط (٢٩٤٠)، والحاكم في الإيمان (٤٨/١)، وقال: صحيح الإسـناد. وقال الذهبي: تفرد به أحمد بن يونس، وعلتـه أن ابن المبارك رواه عن الثوري، عن أبي حازم، عن طلحة ابن كريز مرسلًا. والبيهقي في الشهادات (١٩١/١٠)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٦٨٧): رواه الطبراني في الكبير والأوسط بنحوه، إلَّا أنَّه قال: «يحب معالي الأخلاق». ورجال الكبير ثقات. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٣٧٨)، عن سهل بن سعد.

QaradawiBooks.com

٢

أهمية الأدب في حياة المسلم وطرق اكتسابه

قال الإمام ابن القيم: «أدب المرء عنوان سعادته وفلاحه، وقلة أدبه عنوان شقاوته وبواره.

فما استُجْلِب خيرُ الدنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا استُجلب حرمانهما بمثل قلة الأدب.

فانظر إلى الأدب مع الوالدين: كيف نَجَّى صاحبه من حبس الغار حين أطبقت عليهم الصخرة[١]؟ والإخلال به مع الأم تأويلًا وإقبالًا على الصلاة كيف امتُحِن صاحبه بهدم صومعته، وضرب الناس له، ورميه بالفاحشة[٢]؟

وتأمَّل أحوال كل شقيٍّ ومغترٍّ ومُدْبِر: كيف تجد قلة الأدب هي التي ساقته إلى الحرمان؟

وانظر قلة أدب عوف مع خالد: كيف حرمه السلب بعد أن بَرَد بيديه[٣]؟

---

(١) إشارة إلى حديث الثلاثة أصحاب الغار، متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٧٤)، ومسلم في الرقاق (٢٧٤٣)، عن ابن عمر.

(٢) إشارة إلى حديث جريج الراهب، متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٣٦)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٥٠)، عن أبي هريرة.

(٣) إشارة إلى حديث عوف بن مالك قال: قتل رجل من حمير رجلًا من العدو، فأراد سلبه، =

QaradawiBooks.com

وانظر أدب الصِّدِّيق رضي الله عنه مع النبي ﷺ في الصلاة أن يتقدم بين يديه، فقال: ما كان ينبغي لابن أبي قحافة أن يتقدَّم بين يدي رسول الله[١]، كيف أورثه مقامه والإمامة بالأمة بعده؟ فكان ذلك التأخُّر إلى خلفه ـ وقد أومأ إليه أن: اثبت مكانك ـ جمْزًا[٢] وسعيًا إلى قُدَّام، بكل خطوةٍ إلى وراء مراحل إلى قُدَّام، تنقطع فيها أعناق المَطِيِّ. والله أعلم»[٣].

أدب الظاهر عنوان أدب الباطن:

وأدب الإنسان الذي يظهر من خلال كلامه وسلوكه وتصرفاته، إنَّما هو انعكاس لعقله وروحه وباطنه، وكلما زاد أدب إنسان، دل ذلك على كمال عقله ونفسه وروحه، فالأدب هو المرآة التي تظهر فيها خبيئةُ النفس، لذلك قالوا: الأدب صورة العقل، فصور عقلك كيف شئت. وقيل أيضًا: لا أدب إلَّا بعقل، ولا عقل إلَّا بأدب.

وقال الأحنف: الأدب نور العقل، كما أنَّ النار في الظلمة نور البصر[٤].

ولما ورد أبو حفص النيسابوري العراق، جاءه الجُنَيد، فرأى أصحابه وقوفًا على رأسه يأتمرون بأمره، فقال: أدَّبت أصحابك آدابَ

= فمنعه خالد بن الوليد... فمر خالد بعوف، فجر بردائه، ثم قال: هل أنجزت لك ما ذكرت لك من رسول الله ﷺ؟ فسمعه رسول الله ﷺ فاستغضب، فقال: «لا تعطه يا خالد...». رواه مسلم في الجهاد والسير (١٧٥٣)، وأحمد (٢٣٩٩٧).

(١) متفق عليه: رواه البخاري في فضل الصلاة (١٢١٨)، ومسلم في الصلاة (٤٢١)، عن سهل بن سعد الساعدي.

(٢) الجمز: الإسراع والوثب.

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم (٣٦٨/٢ ـ ٣٦٩)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

(٤) الآداب الشرعيَّة والمنح المرعية لابن مفلح (٥٥٢/٣)، نشر عالم الكتب.

QaradawiBooks.com

الملوك. قال: لا، ولكن حُسن الأدب في الظاهر، عنوان حسن الأدب في الباطن[١].

ويؤكد أبو حامد الغزالي هذا المعنى فيقول: «آداب الظواهر عنوان آداب البواطن، وحركات الجوارح ثمرات الخواطر، والأعمال نتيجة الأخلاق، والآداب رشْح المعارف، وسرائرُ القلوب هي مغارس الأفعال ومنابعها، وأنوار السرائر هي التي تُشرق على الظواهر فتزيِّنها وتجلِّيها، وتُبدِّل بالمحاسن مكارِهها ومساوئها. ومن لم يخشعْ قلبُه لم تخشع جوارحه. ومن لم يكن صدرُه مشكاةَ الأنوار الإلٰهيَّة، لم يُفض على ظاهره جمالُ الآداب النبويَّة»[٢].

لزوم الأدب للعلم والعمل:

قال السهروردي في «المعارف»: «بالأدب يُفهم العلم، وبالعلم يصلُح العمل، وبالعمل تُنال الحكمة»[٣].

ورُوي عن عمر ﷺ قال: تأدَّبوا، ثم تعلموا.

وقال أبو عبد الله البلخي: أدب العلم أكثر من العلم[٤].

وقال ابن المبارك: لا ينْبُل الرجل بنوعٍ من العلم ما لم يُزين عِلْمه بالأدب[٥].

---

(١) فيض القدير (٢٢٤/١).

(٢) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (٣٥٧/٢)، نشر دار المعرفة، بيروت.

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٢٣٩/١٠)، عن يوسف بن الحسين، وانظر: عوارف المعارف للسهروردي (٩٩/٢)، تحقيق: د. عبد الحليم محمود ود. محمود بن الشريف، نشر دار المعارف، القاهرة.

(٤) ذكره هو وسابقه ابن مفلح في الآداب الشرعيَّة (٥٥٢/٣).

(٥) رواه البيهقي في الشعب (١٥٦٧).

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

وقال ابن المبـــارك: قال لي مَخْلَدة بن الحســـين: نحن إلى كثير من الأدب أحوج مِنَّا إلى كثير من الحديث[١].

طرق اكتساب الأدب:

١ ـ التربية:

كان يقال: الأدبُ من الآباء، والصـــلاح من الله. ويقال: من أدَّب ابنه صغيرًا، قرَّت به عينُه كبيرًا.

وقال الحســـن في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦] قال: أدِّبوهم وعلِّموهم[٢].

وقال بعضهم:

قدْ ينفعُ الأدبُ الأحداثَ في صِغَرٍ ... وليس ينفـــعُ عندَ الشِّـــيبَةِ الأَدَبُ

إنَّ الغصـــونَ إذا قوَّمْتَها اعتدلت ... ولا تلين إذا قومتـها الخُشُـــب[٣]

وقال محمد بن سيرين: كانوا يقولون: أكرم ولدك، وأحسن أدبه[٤].

وعن ســـعيد بن العاص مرفوعًا: «**ما نَحَلَ والـــدٌ ولدًا أفضل من أدب حسن**»[٥].

---

(١) رواه الخطيـــب في الجامع لأخلاق الـــراوي (١١)، تحقيق د. محمود الطحان، نشـــر مكتبة المعارف ، الرياض.

(٢) رواه أبو عبد الله السلمي في البر والصلة (١٨٩)، وابن أبي الدنيا في العيال (٣٢٣).

(٣) من شعر ســـابق البربري، كما في جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٣٦٠/١)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، نشر دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه في الأدب (٢٦١٦٦).

(٥) رواه أحمد (١٥٤٠٣)، وقال مخرِّجوه: إســـناده ضعيف. والترمذي فـــي البر والصلة (١٩٥٢)، وقال: حديث غريب... وهذا عندي حديث مرســـل. والحاكم في الأدب (٢٦٣/٤)، وصحح إسناده، وقال الذهبي: بل مرسل ضعيف. عن جد إسماعيل بن أمية.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وعن جابر بن سَمُرة مرفوعًا: «**لأن يؤدِّب الرجلُ ولَدَه خيرٌ من أن يتصدَّق بصاعٍ**»[(١)].

٢ ـ الاقتداء بالنبي ﷺ:

وفي «العوارف»: كل الآداب متلقَّيات عن المصطفى ﷺ، فإنه مجمعها ظاهرًا وباطنًا[(٢)].

٣ ـ الاعتبار بالغير:

قيل لعيسى عليه السلام: من أدَّبك؟ قال: ما أدَّبني أحد، رأيتُ جهلَ الجاهل فاجتنبته[(٣)].

٤ ـ الاعتبار بالحوادث والأيام:

قال بعضهم: من لم يؤدِّبه والداه أدَّبه الليل والنهار.

* * *

(١) رواه أحمد (٢٠٩٧٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي في البر والصلة (١٩٥١)، وقال: حديث غريب. عن جابر بن سمرة.

(٢) عوارف المعارف (١٠٢/٢).

(٣) ذكره الغزالي في بداية الهداية صـ ٦٦، نشر مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

QaradawiBooks.com

٣

ملامح عامة للآداب الإسلاميَّة

غير مرخصة للطباعة

للآداب الإسلاميَّة التي حرص الإسلام في قرآنه وسنة نبيّه على غرسها وتثبيتها وتكميلها: ملامح وأهداف عامة، يعمل على إذاعتها وتعليمها ونشرها بين أبنائه، لتترسخ في أفهامهم، وتطمئن إليها قلوبهم، ويتدارسها أبناؤهم وبناتهم، وتنتقل من جيل إلى جيل، ومن طبقة إلى طبقة، حتى يصبحوا كأنَّهم مولودون بها، والواقع أنَّها من أثر التثقيف والتربية الدائمين.

١ ـ ملاءمة الفطرة السليمة وتكميلها:

وأول ما نُحسُّه ونلمسه من هذه الملامح الأساسية في هذه الآداب العامة: ملاءمة الفطرة السليمة، التي فطر الله تعالى عليها البشر، وأهَّلهم بأصل خلقه تعالى لهم أن يكونوا موحدين بالفطرة، معترفين بأن لا إلٰه إلَّا الله، كما قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ [الروم: ٣٠].

وكما أننا إذ نرجع إلى فطرة البشر السليمة البعيدة عن تأثير الغاوين والمفتونين بشياطين الجن والإنس، الذين أضلوا الناس عن الحق، وأصمُّوا آذانهم عن الخير، وأبعدوهم عن طريق الرشد، نجد هذه الفطرة أو الطبيعة الأصلية الحية تنادي كل إنسان من أعماقه إذا مسه الضر أن

يقول: يا رب نجِّني. وإذا عضَّه الفقر أن يقول: يا رب أغثني. وإذا أقعده المرض أن يقول: ربِّ أنِّي مسَّنِيَ الضر، وأنت أرحم الراحمين. فيدعوه أن يكشف ضرَّه، كما كشف الضر عن أيوب، وأن يرد عليه العافية والبصر كما ردَّهما على يعقوب، وسرعان ما يستجيب الله له كما استجاب لسيدنا يونس ذي النون، لمّا دعا ربه حين التقمه الحوت وهو مليم، ونادى في الظلمات: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. فاستجاب الله له، فنجَّاه من الغمِّ، وكذلك يُنجي المؤمنين.

ومن هنا كان على الإنسان المؤمن أن يكون دائمًا مع الله، مع ربه الذي خلقه فسواه فعدله، فيدعوه إذا نزلت به الشدة، وحلَّت به المحنة، ويخصُّه بالدعاء، ولا يشرك معه أحدًا، فسرعان ما يستجيب له، ويقول له: لبيك عبدي وسعديك، والخير مني إليك.

حينما تضيق بك سبل الحياة، وتشعر أنَّ الدنيا قد سُدَّت في وجهك، وغُلِّقت الأبواب كلها، فارجع إلى فطرتك، إلى جُوَّانيتك، ستجد ربك الذي لا يُغلق أبوابه أبدًا، بل يفتحها في وجه كل مخلوق، مهما غلُظ قلبه، وبعدت به الريح يمينًا وشمالًا، يقول له: عُد إلى ربك، فليس لك بابٌ غير بابه، ولا محراب غير محرابه، وقل: يا رب اقضِ حاجتي، وسُدَّ خُلَّتي، واستر عورتي، وآمِنْ روعتي، ورُدَّ عني من لا أقدر عليه إلَّا بك، وأنت على كل شيء قدير.

هنالك تجد كلَّ الأبواب قد فُتِّحت، وكلَّ الطرقات قد مُهِّدت، وكل المعوقات قد عُبِّدت؛ لأن هذا هو فضل الله تعالى ورحمته لعباده، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ

QaradawiBooks.com

﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨]، ويقول تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢]. ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

إن من جمال المنهج الإسلامي أنَّه لا يحارب دوافع الفطرة، ولا يستقذرها، إنَّما ينظِّمها ويُطهِّرها ويرفعها عن المستوى الحيواني ويرقيها بتشريعاته وآدابه.

إنَّ الإنسان فُطِرَ على حب الكمال، والميل إليه، ووظيفة الآداب الإسلاميَّة السمو بالإنسان إلى المستوى الذي تستطيعه طبيعته البشرية من مراتب الكمال، سواء أكانت هذه الآداب آدابًا اعتقادية أم آدابًا عبادية أم آدابًا في تعامله مع الخلق، كل الخلق، من إنسان وحيوان ونبات وجماد.

بل الناظر إلى بعض الآداب التي أرشد إليها النبي ﷺ، يجد هذا الامتزاج بين تلك الآداب والفطرة، حتى إنَّ النبي ﷺ يجعل هذه الآداب جزءًا من الفطرة.

فمن الآداب التي أرشد إليها النبي ﷺ في جانب التطهر والتنظف قوله: «**عشر من الفطرة: قصُّ الشارب، وإعفاء اللحية، والسِّواك، واستنشاق الماء، وقصُّ الأظفار، وغسل البراجِم، ونتفُ الإبْط، وحلق العانة، وانتقاص الماء**»[1].

(١) رواه مسلم في الطهارة (٢٦١)، وأحمد (٢٥٠٦٠)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

ومن ذلك التبكير بصلاة المغرب، يقول ﷺ: «**لا تـزالُ أُمَّتي بخيرٍ** ـ أو قال: على الفِطرةِ ـ **ما لم يُؤَخِّروا المَغرِبَ إلى أن تَشتَبِكَ النُّجومُ**»[(١)].

وفي آداب النوم قول النبي للبراء بن عـازب: «**إذا أتيتَ مضجعك، فتوضَّأ وُضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شـقِّك الأيمـن، وقل: اللهم أسلمتُ وجهي إليك، وفوضتُ أمري إليك، وألجأتُ ظهري إليك، رهبةً ورغبةً إليك، لا ملجـأ ولا منجى منك إلَّا إليك، آمنـتُ بكتابك الذي أنزلت، ونبيِّك الذي أرسلتَ**» قال: «**فإن مِتَّ مِتَّ على الفطرة، واجعلهن آخرَ ما تقول**»[(٢)].

فلا بد للمسـلم أن يكون ملائمًا لفطرته، مكمِّلًا لها بالآداب، مزيِّنًا لها بكل ما يصونها ويحميها، ويضمن لها البقاء والنماء والاستمرار.

٢ ـ ترقية الذوق الإنساني:

ومن الملامح المهمة التي يحاول الإسلام أن يرقى بها في الإنسان: الذوق. والـذوق كلمة خفيفة على اللسـان، ثقيلة فـي الميزان، تجعل الإنسـان رقيقًا في طبعه، طيِّبًا في مسلكه، متجاوبًا مع من حوله، يُحِسُّ بهم، ويفرح لفرحهم، ويحزن لحزنهم، وليس من أولئك الغلاظ القلوب، الذين يعيشون لأنفسـهم وحدها، ولا يبالون بغيرهم، وقد هيَّأ الله تعالى للرسول العالمي الأخير بالوحي الإلٰهي أن يصنع أمة عالية الذوق، داعية

(١) رواه أحمد (١٧٣٢٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود (٤١٨)، وابن خزيمة (٣٣٩)، كلاهما في الصلاة، والطبراني (١٨٣/٤)، والحاكم في الطهارة (١٩٠/١)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، عن أبي أيوب.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الوضوء (٢٤٧)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧١٠)، عن البراء بن عازب.

QaradawiBooks.com

إلى الخير، آمرة بالمعـــروف، ناهية عن المنكر، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقد عمل الإســـلام في تعاليمه وآدابه وعباداته ومعاملاته وشـــرائعه وأعماله كلها: أن يرقى بالإنســـان في ذَوقه الروحي والفكري والأدبي، والإسلام لا يعتبر العِوج الذي يغشـــى الجانب الإنساني هو الأصل، بل هو عكس الأصل، الذي تقوم عليه الشـــجرة الإنسانية، فلا يجوز لها أن ترتكز على القاعدين والمكسورين، والذين هم تحت الخط العام.

وكلَّف الإســـلام الإنســـان أن يمضي في طريقه محصَّنًا باســـم ربه الأعلى، كما قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾ [الأعلى: ١ ـ ٤].

وكان محمد ﷺ هو المثل الأعلى للإنســـان المتطلِّـــع إلى الأمام، والمتطلِّع إلى أعلى، ولذلك دعا هذا الإسلام الناس جميعًا، وإن اختلفت مواطنهم، واختلفت أنســـابهم، واختلفت صورهـــم: أن يعلُوا على هذه الاختلافات، برقي الذوق، ورقي المعرفة، التي تربط الإنسان بمن خلقه، ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٠ ـ ٥٢].

ويختلف النـــاس ما بين أصولهم المختلفة، التـــي ترجع إلى أصل واحد، وأب واحـــد، هو آدم عليه السلام: الإنســـان الأول، والـــذي لا يعرف الإنســـان المعاصر مبدأه الأول، وكيف تناســـل، وكيف اختلفت ذريته ما بين أسود وملون وأبيض، وما بين مفطورين على الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وما بين الفطر الأخرى التي اعوجت وانحرفت وســـارت عليهـــا الأمم المختلفة، وجاءتهم رُســـل الله داعية لهـــم، ومبينة ما طرأ

QaradawiBooks.com

عليهم من ظلم وفساد، فكان رسل الله معهم مبشِّرين ومنذرين، ودعَوهم إلى الإيمان بـالله كما يؤمن الناس الواعون المتبصـرون، الذين انتفعوا بإنذار رب العالمين لهم.

إنَّ الذوق الإنسـاني الـذي حاولـت الثقافة الإسـلاميَّة أن تحييه، وحاولت التربية الإسلاميَّة أن تسقيه وتزكِّيه، وحاول التشريع الإسلامي بكل مكوناتـه أن ينميـه ويقويه، نجـد كل هذه المعالـم والمكونات الإسـلاميَّة تتعاون وتتضافر في إمداد هذا الكائن الذي لا يسـتغني عنه الإنسان، والذي يحتاج إليه الجسم والروح، والعقل والقلب، وفي مثله خاطب الشاعر الحكيم في منظومته قائلًا[1]:

يا خادمَ الجسمِ كم تسعى لخِدْمَتِه أتطلبُ الربحَ ممَّا فيه خسـرانُ؟!
أقبلْ على النفْسِ واستكملْ فضائلِها فأنت بالنفسِ لا بالجسـمِ إنسانُ

ماذا نسمِّي هذه المعاني الجميلة، التي يدعو الإسلام إليها، ويجمع العقول والقلوب عليها، ويعبـر الناس عنها بالذوق؟ وهي تعرف بأكثر من الذوق، وبأدق من الذوق، وبأرق من الذوق، ولكن أجمل كلمة لها هي: الذوق.

نريد الذين يحبون الإنسان، ويتمنون ترقِّي الإنسان، وتخلُّق الإنسان بالأخـلاق الفاضلة، من المفكريـن والأدباء والشـعراء والعلماء وهواة المكارم ودعاة المعالي، وكل المعاني الكبيرة: أن يجتمعوا، ليبحثوا عن الأفكار الحلوة التي يلتقي الجميع عليها ويتنادون بها، سمِّها: اللياقة، أو

(١) هو أبو الفتح البُسْتي، انظر ديوانه صـ ١٨٣، تحقيق: درية الخطاب ولطفي الصقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٩٨م.

QaradawiBooks.com

الرقة، أو الملاءمة، أو الرفق، أو الاحتمال، أو اللطف، وحسن خلق، أو قل كما قال ابن زيدون في خطاب من يحبه[١]:

تهْ أحتملْ، واستطلْ أصبرْ، وعِزَّ أهنْ ... وولّ أُقْبِلْ، وقُلْ أسمَعْ، ومُرْ أُطِعِ

إن آداب الإسلام ترتقي بشعور المسلم وذوقه، ليحب كل جمال، ويتطلع إلى كل فضيلة، وينبو عن كل قبيح مادي أو معنوي، في الأفكار والأخلاق، وفي المظهر والمخبر، في تعامله مع الله، أو مع نفسه، أو مع غيره، هو في ذلك كله صاحب ذوق سليم، وخلق قويم، وإحساس رهيف.

وتأمل هذه النماذج القرآنية وكيف ترقى بالذوق العام للمجتمع المسلم الأول الذي كان أقرب إلى البداوة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ۞ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحجرات: ٢ ـ ٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

---

(١) ديوان ابن زيدون ورسائله صـ ١٧٠، تحقيق: علي عبد العظيم، نشر دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة.

QaradawiBooks.com

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [المجادلة: ١١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [النور: ٢٧، ٢٨].

﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ۝ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٨، ١٩].

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦].

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣١ ـ ٣٣].

وإذا نظرنا إلى السُّنَّة النبويَّة القولية والفعلية وجدناها تحوي آدابًا كثيرة تتعلق بالذوق العام، أو ما نطلق عليه بلغة عصرنا (الإتيكيت)، من ذلك:

ما رواه أبو داود، عن عبد الله بن بسر: كان رسولُ الله ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تِلقاء وجهه، ولكن مِنْ رُكْنِه الأيمن أو الأيسر،

QaradawiBooks.com

ويقول: «**السلام عليكم، السلام عليكم**» ذلك أنَّ الدُّورَ لم يكن عليها يومئذ ستور[١].

وروى عن رِبْعِيِّ بن حِرَاش: قال: جاء رجل من بني عامر، فاستأذنَ على رسول الله ﷺ وهو في بيت، فقال: أأَلِجُ؟ فقال رسولُ الله ﷺ لخادمه: «**اخرج إلى هذا، فعَلِّمْه الاستئذانَ، فقل له: قل: السَّلامُ عليكم، أأدخُل؟**» فسمع الرجلُ ذلك من رسول الله ﷺ، فقال: السلامُ عليكم، أأدْخُل؟ فأذِنَ لَهُ رسولُ الله ﷺ، فَدَخَلَ[٢].

وعن هَزِيلِ بن شُرَحْبِيلَ رضي الله عنه قال: جاء رجل يستأذن، فقام على الباب فقال له النبيُّ ﷺ: «**هكذا عنكَ أو هكذا، فإنما الاستئذانُ من النظر**»[٣].

وعنه أيضًا عن أيوب بن بَشِير بن كعب العدوي، عن رجل من عَنَزَةَ أنَّه قال: قلتُ لأبي ذَرٍّ: هل كان رسولُ الله ﷺ يُصَافِحُكم إذا لَقِيْتُمُوه؟ قال: ما لقِيتُه قط إلَّا صافحني، وبعَثَ إليَّ ذات يوم ولم أكُنْ في أهلي، فَجِئْتُ، فَأُخْبِرْتُ أنَّه أرسل إليَّ، فأتيتُه وهو على سَريره، فالتزمني، فكانت تلك أجودَ وأجودَ[٤].

---

(١) رواه أحمد (١٧٦٩٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الأدب (٥١٨٦)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٤٦٣٨).

(٢) رواه أحمد (٢٣١٢٧)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الأدب (٥١٧٧)، والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٠٧٥)، وصحح إسناده النووي في الأذكار (١٣١١)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٨١٩).

(٣) رواه أبو داود (٥١٧٤)، وابن أبي شيبة (٣٧٧/١٣)، كلاهما في الأدب، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٤٣١٠).

(٤) رواه أحمد (٢١٤٧٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الأدب (٥٢١٤)، وقال الحافظ في الفتح (٥٩/١١): رواه أحمد وأبو داود، ورجاله ثقات إلَّا هذا الرجل المبهم. الراوي عن عنزة.

QaradawiBooks.com

وعن أبي هريرة أن رسولَ الله ﷺ قال: «**يُسلِّم الراكبُ على الماشي، والماشي على القاعد، والقليلُ على الكثير**»(١).

وفي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**إذا انتعلَ أحدُكم، فليبدأْ باليمنى، وإذا خلَعَ، فليبدأْ بالشِّمال**». وقال: «**لا يَمشِ أحدُكم في نَعل واحدة، ليُحْفِهما جميعًا، أو لِيُنْعِلْهُما جميعًا**»(٢).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال النبيُّ ﷺ: «**إذا انقطع شِسْعُ أحدكم** ـ أو انقطع شِسْع نعله ـ **فلا يمشِ في نعلٍ واحدة، حتى يُصلح شِسْعَهُ، ولا يمشِ في خُفٍّ واحد، ولا يأكل بِشماله، ولا يحْتَبِي بالثوب الواحد، ولا يلتحف الصَمَّاءَ**»(٣).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: قال: جاء شيخ يريد النبيَّ ﷺ، فأبطأ القوم أن يُوسِّعُوا له، فقال النبيُّ ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَن لم يَرحَمْ صغيرَنا، ويُوقرْ كَبيرنا**»(٤).

وعن أبي موسى الأشعري، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**إنَّ من إجلالِ اللهِ: إكرامَ ذي الشَّيْبَة المسلم، وحاملِ القرآنِ غيرِ الغالي فيه ولا الجافي عَنهُ، وإكرامَ ذي السلطانِ المُقْسِط**»(٥).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الاستئذان (٦٢٣٢)، ومسلم في السلام (٢١٦٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٨٥٥)، ومسلم (٢٠٩٧)، كلاهما في اللباس.

(٣) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢٠٩٩)، وأحمد (١٤١١٨).

(٤) رواه الترمذي في البر والصلة (١٩١٩)، وقال: حديث غريب، وفي إسناده، وزربي ـ أحد رواته ـ له أحاديث مناكير. وأبو يعلى (٤٢٤٢)، وصحَّحه الألباني في صحيح الترمذي (١٥٦٥)، وله شاهد عن عبد الله بن عمرو رواه أحمد (٦٧٣٣)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح.

(٥) رواه أبو داود في الأدب (٤٨٤٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٥٧)، وحسّن إسناده النووي في رياض الصالحين (٣٥٤)، والعراقي في تخريج الإحياء صـ٦٥٥، وابن حجر في التلخيص الحبير (٢٤٦٠)، وحسَّنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٢٧٤).

QaradawiBooks.com

وعن المغيرة بن شُعبة: أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا ذهبَ المَذهَبَ أبعَدَ[١].

وعن ابن عمر: أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ إذا أرادَ حاجَةً لا يرفَعُ ثَوبَهُ حتَّى يَدنُو منَ الأرضِ[٢].

وعن أبي سعيد، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**لا يَخرُجُ الرجلانِ يَضرِبانِ الغائِطَ كاشِفَينِ عن عَورَتِهما يتحدَّثانِ، فإنَّ الله ﷻ يَمقُتُ على ذلك**»[٣].

وعن أبي هريرة، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**اتَّقُوا اللاعِنَيْنِ**» قالوا: وما اللَّاعِنانِ يا رسولَ الله؟ قال: «**الذي يَتَخَلَّى في طريقِ النَّاسِ أو ظِلِّهم**»[٤].

إن هذا الذوق يتعدى معاملة الكبير إلى معاملة الصغير، فهذا رسول الله ﷺ من ذوقه وملاطفته ونُبْله أن يعزِّي طفلًا صغيرًا مات عصفوره، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلُقًا، وكان لي أخ يقال له: أبو عمير ـ وهو فَطيم ـ كان إذا جاءنا، قال: «**يا أبا عُمَيْر، ما فعل النُّغَير؟**». لنُغَرٍ كان يلعب به، وربما حضرت الصلاة وهو في بيتنا، فيأمر بالبساط الذي تحته، فيُكنس، ثم يُنضَح، ثم يقوم ونقوم خلفه، فيصلِّي بنا[٥].

---

(١) رواه أبو داود (١)، والترمذي (٢٠)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٣٣١)، ثلاثتهم في الطهارة.

(٢) رواه أبو داود (١٤)، والترمذي (١٤)، والبيهقي (٩٦/١)، ثلاثتهم في الطهارة، وقال الترمذي في العلل الكبير (٨): سألت محمدًا عن هذا الحديث: أيهما أصح؟ فقال: كلاهما مرسل. ولم يقل أيهما أصح. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٤٦٥٢).

(٣) رواه أحمد (١١٣١٠)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود (١٥)، وقال: هذا لم يسنده إلَّا عكرمة بن عمار. والنسائي في الكبرى (٣٧)، وحسَّنه النووي في الخلاصة (١٥٩/١)، وكذا الألباني في السراج المنير (٤٣٩).

(٤) رواه مسلم في الطهارة (٢٦٩)، وأحمد (٨٨٥٣)، وأبو داود في الطهارة (٢٥).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٢٠٣)، ومسلم في الآداب (٢١٥٠).

QaradawiBooks.com

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كُنْتُ أَلْعَبُ بالبناتِ عند رسولِ الله ﷺ، وكانت تأتيني صواحِبي، فكُنَّ ينقَمِعنَ من رسولِ الله ﷺ، وكان يُسَرِّبُهُنَّ إليَّ فيَلْعَبْنَ مَعي[(١)].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ أُتِيَ بشراب، فشرب منه، وعن يمينه غلام، وعن يساره الأشياخُ، فقال للغلام: «**أتأذَنُ لي أَن أُعطيَ هؤلاء؟**» فقال الغلامُ: والله يا رسول الله، لا أُوثِرُ بنصيبي منك أحدًا. فَتَلَّهُ رسول الله ﷺ في يده[(٢)].

بل إن ذوقه ﷺ تعدى إلى البهائم العجماوات، فعن الوضين بن عطاء، أن جزارًا فتح بابًا على شاة ليذبحها، فانفلتت منه حتى أتت النبي ﷺ، وأتبعها فأخذها يسحبها برجلها، فقال لها النبي ﷺ: «**اصبري لأمر الله، وأنت يا جَزَّار، فسقها إلى الموت سوقًا رفيقًا**»[(٣)].

هذه بعض نماذج وأمثلة توضح كيف أنَّ الإسلام وآدابه يرقيان بالذوق العام للمسلم حتى مع الحيوان البهيم.

٣ ـ الارتفاع بالإنسان عن مستوى الغرائز الحيوانية:

ومن ملامح الآداب الإسلاميَّة أنَّها ترتفع بالإنسان في حياته كلها عن مستوى الغرائز البهيمية، التي لا يجب أن يجنح إليها، ويهبط إلى دركاتها.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١٣٠)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٤٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٦)، ومسلم في الأشربة (٢٠٣٠).

(٣) رواه عبد الرزاق في المناسك (٨٦٠٩)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب: هذا مُعْضل، والوضين فيه كلام (١٥٩/٢).

QaradawiBooks.com

سوَّى الله الإنسان، فخلقه في أحسن تقويم، وصوره فأحسن صورته، وناداه في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦ ـ ٨]. وأراد تعالى أن هذا الإطار الجميل الذي وضع الله فيه الإنسان، ليحمي الحقيقة التي تصاغ فيه، ويصونها من كل ما يشينها، فلا يولِّي عليها كائنا آخر يعادي الإنسان، ويحاول أن يهوي به إلى منحدر سحيق. كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾ [الحج: ٣١].

لقد أراد الله تبارك وتعالى أن يؤدِّب الإنسان بأدب يطهره ولا يلوثه، كما قال في سورة المدثر، وهي من أوائل من أنزل على محمد ﷺ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ [المدثر: ٤]. وهو يرتقي بهذا من الظاهر إلى الباطن، ومن البدن إلى الروح، ومن المادة إلى المعنى.

وهذا ما نلحظه في القرآن المكي النازل من أول الأمر، ومن أول آية نطق بها جبريل ليبلغها محمدًا ﷺ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] فهو يأمره أن يقرأ، ولكن أي قراءة هي؟ وباسم من تكون القراءة؟ إنَّ القراءة لا تُعتبر إذا لم تكن لله، وباسم الله، باسم الرب الخالق الأعلى.

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ فأول تعليم من تعاليم رسالته أن يقرأ، وأن تكون قراءته باسم الرب الذي خلق.

في الإنسان من معاني الحيوانية هذه «المعدة» المفتوحة، والتي خلق الله لها في الكون ما يملأ أحشاءها وأمعاءها، وجعل فيها من الإفرازات ما يقوم على هضم ما يدخل إليها من أصناف الطعام، وألوان الملذات التي يشتهيها الناس، ويتفنَّنون فيها، وفي أنواعها ولذائذها، الحلو منها

QaradawiBooks.com

والحامض والمالح.. إلخ. تتنوع هذه المأكولات، وتذهب كلها إلى تلك المعدة «أعظم معمل كيماوي» في العالم.

وانظر كيف يستطيع الإنسان أن يعيش على بعض الأطعمة البسيطة، ويُكمِّلها ببعض ما لا بد لها من الملح والتوابل والمحسنات ومكسبات الطعم.. إلى آخر ما يهتدي إليه الإنسان من الطعوم والأذواق والملاذِّ، وغير ذلك ممَّا لا عين من أعين السابقين رأت، ولا أذن سمعت.

غير أنَّ الذي ينبغي أن يحرص عليه الإنسان ليبقى في عليائه، منطلقًا إلى سمائه، مترقِّيًا إلى أجوائه، هو أفق أعلى من المعدة والأكل والشرب ولذة الجنس.

قد يغالب الإنسان الإنسان في المأكل والمشرب، ولكن ليس هذا هو مبتغى الإنسان، وقد يتغلب الإنسان على الإنسان الآخر بأنيابه وأضراسه، أو بأدوات حسية، أو بالآلات يصنعها، وقد وصل فيها اليوم إلى ما لا يُحسَب أنَّه من صُنْع الإنسان، إنَّ الإنسان الذي يهبط إلى هذا المستنقع الآسن هو الإنسان الحيواني أو البهيمي، الذي تتحكم فيه القوة السبُعية، التي هي للوحوش ذات الأنياب والأظافر.

وقد يصل الإنسان بالكيد، واستعمال العقل والذكاء والمهارة والعلم، وما في إمكاناته من أشياء هائلة، لا يكاد يصدقها الإنسان، وهي التي نقول لمن يملكها: هذا شيطان. كما قال الشاعر قديمًا:

وكنتُ امرأً من جندِ إبليسَ، فارتقى بيَ الحالُ حتى صار إبليسُ من جُندي![1]

(١) البيت في ديوان الخبز أرزي، قصيدة (٤٨)، صـ ١٢٣، ضمن مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء الأول، المجلد الأربعون، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

QaradawiBooks.com

أمَّا الإنسان الأرقى؛ فهو الذي يملك القوة والقدرة والحنكة والذكاء والمال والثراء، يملك ذلك كله وأكثر منه، ثم يسخِّره لأمر ربه الذي خلقه، وسخَّر له ما سخر، ليهديه إلى طريقه، كما قال تعالى على لسان سيدنا إبراهيم: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ۞ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ۞ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۞ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ۞ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٧٨ ـ ٨٢]. وكما قال سليمان حين قال بعدما رأى ما سخَّر الله له من قوى: ﴿هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّى لِيَبۡلُوَنِىٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

٤ ـ الارتفاع بالإنسان من درك الأنانية إلى الأخوة والإيثار:

ومن ملامح الأدب الإسلامي، الذي أدَّب الله به هذا المخلوق الراقي بطبيعته، العالي بفطرته، حين علَّمه ما لم يكن يعلم، فلقَّنه بالفطرة الربانية، التي وهبها الله له، ليستعين بها على الترقي إلى الأعلى، وعلى ترك الأنانية التي تهبط بالإنسان دائمًا إلى الأسفل فالأسفل، حيث يقول: أنا هنا، أنا هنا، يريد التراب، ويريد الطين، ويريد الحمأ المسنون. ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾ [الحجر: ٢٦].

لا بد للإنسان أن يعمل على أن يرتقي بهذه الفطرة، وأن ينقيها من ملوثاتها الطبيعية، ويغسلها من طينها وحَمَئها، فترتفع من ضيق الأنانية، وشح الملكية، إلى الأفق الأعلى: أفق الأخوة العامة، والإيثار الأعلى، إيثار الذي يريد أن يعطي، لا الذي يريد أن يأخذ، وأخوة الذي يريد أن يشبع ويُشبع غيره، لا الذي يريد أن يأكل وحده ويمنع رفده، هذا هو الإنسان الذي أراده الله، وأنزل شرائعه بما فيها من آداب، ليرتقى من اتبعها إليه.

QaradawiBooks.com

إنَّه الإنسان الذي يفكر في الآخرين قبل أن يفكر في «الأنا»، وإنَّما «الأنا» عنده أن يكون ذا يد عليا، تعطي غيرها، أن يكون سامقًا سموق النخلة الباسقة التي في كل جزء فيها نفع لغيرها، فـ «الأنا» عنده أن يفكر كيف يحيي الآخرين، ولو مات هو في سبيل إحيائهم، هو حيٌّ بإحيائهم.

كان في الجاهلية العربية، وفي كل الجاهليات: أنَّ الفارس حقًّا هو من يبذل نفسه، ويقدِّم رُوحه، ويتقدَّم الجيش ويخرج من المعركة بهذه النتيجة التي أعلن عنها عنترة معتزًّا بها ومفاخرًا[1]:

هلَّا سألتِ الخيل يا ابنة مالك إن كنتِ جاهلةً بما لم تَعْلَمِي!
يخبرك من شهد الوقيعة أنَّني أغشى الوغى، وأعفُّ عند المغنم!

هذا ما يسعى إليه الفرسان الكبار: أغشى الوغى، وأعفُّ عند المغنم.

وكما وصف الأنصار ﷺ بأنَّهم يقلُّون عند الطمع، ويكثرون عند الفزع، وقد قال تعالى في وصف المهاجرين والأنصار والذين جاؤوا من بعدهم: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ

(١) انظر: جمهرة أشعار العرب ٣٦٤، ٣٧٣، تحقيق علي محمد البجادي، نشر نهضة مصر. وشرح ديوان عنترة للخطيب التبريزي صـ١٧١، ١٧٢ ، تقديم وفهرسة مجيد طراد، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٢ م.

QaradawiBooks.com

هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ٨ ـ ١٠].

٥ ـ الحرص على تميز المجتمع المسلم بمظهره ومخبره عن غيره من المجتمعات:

ومن المعاني المهمة، والملامح العريقة، التي تتميز بها الآدابُ الإسلاميَّة، التي يحرص عليها القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة، ويُجمع عليها الصحابة الأكرمون، الذين هيَّأهم الله لنصرة هذا الدين، والدفاع عن نبيه الأمين، والحفاظ على المكارم الأخلاقية، التي بُعث بها الرسول ليتممها، كما قال ﷺ: «**إنَّما بُعِثْتُ لأتمِّم مكارمَ الأخلاق**»[1]: الحرص على التميز لأتباعه في المظهر والمخبر.

هؤلاء الصحابة من المهاجرين والأنصار، الذين مدحهم في كتابه، هم الذين ظلُّوا ثلاثة عشر عامًا في مكة، يلقَون الأذى، ويتحمَّلون الإهانة، ويصبرون ويتحملون ما لا تستطيعه الجبال الشم.

علَّمهم الإسلام أن يتميَّزوا بمجتمعهم التوحيدي المؤمن، وبمجتمعهم الأخلاقي المسلم، أن يتميَّزوا بمظهرهم وبمخبرهم، وبتوحيدهم وبأخلاقهم، فلا يؤمنون إلَّا بالله وحده، ولا ينحنون إلَّا لله وحده، ولا يركعون ولا يسجدون إلَّا لله وحده.

هذا المجتمع المسلم الصادق متميِّز بتوحيده، فلا يُسمع فيه إلَّا مثل هذه الكلمات الخفيفة على اللسان، الثقيلة في الميزان، الحبيبة إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

(١) سبق تخريجه صـ٣٧.

QaradawiBooks.com

لا يُرى فيه إنسان يركع لإنسان، أو يسجد لإنسان، أو يُظهر ما لا يليق إظهاره من أجل إنسان، الركوع والسجود والانحناء لله وحده.

المجتمع المسلم الملتزم بآداب الإسلام مجتمع متميز بمظهره، بحيث يعرفه الإنسان من مظهره العام: في أذانه، وفي إقامته، وصلوات الجماعة في مساجده الكبيرة والصغيرة، فكل ما في الأذان والإقامة، وكل ما في الصلوات من تكبيرات وتسبيحات وقراءات، كلها تعلن عن توحيد الله وتكبيره، والإعلان عن ضعْف خلقه، وعن حاجة الناس كل الناس إليه سبحانه.

وكل ما يسمعه الناس من تحيَّات، ومن تهانٍ، ومن تعازٍ، ومن مجاملاتٍ، كلها مبنيَّة على ما يمليه الإسلام على أهله من كلمات ودعوات وصلوات وتسليمات.

من يمشي في بلاد المسلمين، ويرى المسلمين في مجتمعاتهم أيًّا كانت، مجتمعات عاملة أو خاملة، كادحة أو مرتاحة، يجد أثر الصبغة الإسلاميَّة ما زال موجودًا في مظهر مجتمعاتها ومخبرها، في ظاهر أفرادها وباطنهم، وهذا أثر من آثار الآداب التي ربَّى الإسلام عليها المسلمين، والتي توارثها الأبناء عن الآباء.

إن لهذا المجتمع آدابه التي يتميز بها عن غيره من المجتمعات: في المأكل والمشرب، والزينة والملبس، والنوم واليقظة، والسفر والإقامة، والزمالة والعِشْرة، والعمل والراحة، والصداقة والصحبة، والزواج والطلاق، في العلاقة بين الرجل والمرأة، وفي العلاقة بين الولد وأبيه، وفي العلاقة بين القريب وقريبه، وفي العلاقة بين الجار وجاره، وفي العلاقة بين الكبير والصغير، وفي العلاقة بين الغني والفقير، وفي العلاقة

QaradawiBooks.com

بين البائع والمشتري، وفي العلاقة بين الرئيس والمرؤوس، وفي العلاقة بين الخادم والمخدوم.

٦ ـ تكافل المجتمع في رعاية هذه الآداب وحمايتها:

ومن خصائص الآداب العامة في الإسلام: أنَّ الإسلام رعاها وحماها في أمته الكبرى حين قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. وقال أيضًا في سورة آل عمران: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وهكذا جعلكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس، وتكونوا دعاة إلى الخير، آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر، وبهذا يكتب لكم الفلاح؛ فهذا هو سبيل الفلاح للأمة كلها، التي دعاها لتكون داعية إلى الخير، آمرة بالمعروف، ناهية عن المنكر. ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، فالأمة المسلمة أمة القرآن، أمة محمد، شهيدة الأمم، أمة الأمر والنهي، هي المستجيبة لله بالدعوة والأمر والنهي، وهي المكتوب لها الفلاح، ولا يكتب لغيرها.

فهذه الأمة تظفر بالفوز بالفلاح مرتين:

المرة الأولى: في تكافلها المعيشي والمادي، الذي يجعلها كالبنيان المرصوص، متصافَّة متحدة يتساند بعضها ببعض، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]. فهي كالأحجار المرصوصة بانتظام، بحيث يغطي بعضها

QaradawiBooks.com

بعضًا، ويرتبط بعضها ببعض، ويلتصق بعضها ببعض، ويُكمِّل بعضها بعضًا، ويقوي بعضها بعضًا، كما قال تعالى: ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

وهنا قال ﷺ: «**المؤمنُ للمؤمن كالبنيان، يشُدُّ بعضه بعضًا**». وشبَّك بين أصابعه[١].

وهذا التكافل فرضه الإسلام بفرض الزكاة، وهو الركن الثالث من أركان الإسلام، والذي رُبِط بالصلاة ثمانيًا وعشرين مرة في القرآن، وقد تزيد. كما فرضه ببعض الفرائض المالية الأخرى التي أوجبها الإسلام على أبنائه[٢].

وقد أوجب الإسلام هذا التكافل المادي في السلم والحرب، حتى يصبح المجتمع المسلم، كأعضاء الجسد التي يكمل بعضها بعضًا، كما قال ﷺ: «**مَثَلُ المؤمنين في تراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى**»[٣].

والجانب الآخر من تكافل المجتمع المسلم هو التكافل الأدبي، فهنا يتأتى القسم الثاني من التكافل الاجتماعي، وهو التكافل الذي يكون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الخير، والتناصح في الدين، والتعاون على البر والتقوى. فهذه كلها توجب

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٨١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى الأشعري.

(٢) راجع في ذلك كتابنا: مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٦)، عن النعمان بن بشير.

QaradawiBooks.com

التضامن الأدبي والعلمي والفكري بين المؤمنين، وتجعلهم كالجدار المرصوص، يشد بعضه بعضًا، وهو ما صوره الحديث النبوي حين شبَّههم بسفينة ذات طابقين أو أكثر، كما قال النبي ﷺ: «**مَثَلُ القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قومٍ استهموا على سفينة، فأصاب بعضُهم أعلاها، وبعضُهم أسفلَها، فكان الذين في أسفلِها إذا استقَوْا من الماء، مرُّوا على مَن فوقهم، فقالوا: لو أنَّا خرقنا في نصيبنا خَرْقًا ولم نؤذِ مَن فوقنا! فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجَوا، ونجَوا جميعًا**»[1].

ومن المهم هنا أن نذكر: أن آداب الإسلام العامة لكي يحياها الفرد والمجتمع، ولتعيش في ظلها الأسرة والأمة، وليحيا الجميع في ظلالها الوارفة، أفرادًا ومسؤولين، حكامًا ومحكومين، هي مسؤولية المسلمين جميعا، كل واحد لا بد عليه جزء من هذه المسؤولية، مؤتمَنٌ عليه، فلا يقول الحاكم: هذه آداب على الزوج والأب والقريب أن يراعيها في حدوده. أو يقول شيخ المسجد: هي مسؤولية الحاكم. أو يقول المجتمع: هذه مسؤولية الإعلام والساسة، أو يقول المدرس مثلًا: أنا مدرس مسؤول عن وظيفتي في مدرستي، ولست مسؤولًا عن غيرها.

المجتمع كله مسؤول عن كل الولايات الخاصة والعامة، وعن هذه الآداب، ولا يجوز لأحد أن يقول: هذه ولايتي، وليست لك ولاية عليها. أو هذه ولايتك، وليس لي أيّ مسؤولية عنها.

فالأصل في هذا أنَّ الفرد في المجتمع المسلم مسؤول عن كل شيء فيه، بقدر ما يستطيع.

(١) رواه البخاري في الشركة (٢٤٩٣)، وأحمد (١٨٣٦١)، والترمذي في الفتن (٢١٧٣).

QaradawiBooks.com

والنبي ﷺ يقول: «**كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته**»[١]. فالمسؤولية عامة، والرعاية عامة، وكل واحد له مسؤولية عن المجتمع كله بقدر ما، ولا يجوز لكل واحد أن يتخلَّى عن المسؤولية العامة، فإن كل واحد نعم هو مسؤول عن وظيفته الصغرى، الحاكم والأب والواعظ والمدرس.. إلخ، لكن الأمة كلها مسؤولة عن الدين وإقامته وتبليغه والحفاظ على آدابه.

لذا حثَّ الإسلام أتباعه على النصيحة في الدين، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهي أمور عامة على كل المسلمين، ولا يجوز لأحد أن يفرط فيها، ويقول: ليس عليَّ شيء! بل يجب أن تتواصى الأمة بهذه المسؤوليات التي يراها بعضهم صغيرة، ولكن بضمها بعضها إلى بعض، وتجميعها وتكاثرها، وإعطائها حقها، وإعطائها ما جعله الإسلام لها من الفضل والمكانة، تحفظ على المجتمع المسلم تميُّزه وتكافله وآدابه.

٧ ـ مسؤولية الدولة عن تعهُّد هذه الآداب وحراستها:

ومن ملامح الآداب الإسلاميَّة أنَّ الإسلام أوجب على الدولة أن ترعى هذه الآداب وتجعلها ضمن مسؤوليتها، فوظيفة الدولة (أو الخلافة) في الإسلام ـ كما بينها ابن خلدون ـ حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا، ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع (النبي ﷺ) في حراسة الدِّين وسياسة الدنيا به[٢].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٨٩٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

(٢) مقدمة ابن خلدون (٥١٨/٢)، تحقيق: د. علي عبد الواحد وافي، نشر لجنة البيان العربي، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

QaradawiBooks.com

بل إن دور الدولة أكبر من مجرد الحفاظ على هذه الآداب، إنَّها مسؤولة عن غرسها وتنميتها.

إن مناهج التربية والتعليم، ووسائل التثقيف والإعلام، وأدوات التوجيه والترفيه، يجب أن تسير كلها وفقًا لمفاهيم الإسلام، وآداب الإسلام، وأن تعمل كلها على غرس فضائل الإسلام، وتعظيم حرمات الإسلام.

يجب أن يكون الكتاب والرسالة، والمجلة والصحيفة، والقصة والمسْرحية والفيلم والأغنية، وكل ما ينتجه العلم والأدب والفن في خدمة الإسلام ومُثُله العليا وآدابه الراقية.

أمَّا أن يكون المسجد والمنبر في جانب، والمدرسة والجامعة، والصحافة والإذاعة، والتليفزيون والسينما والمسرح، وكل أجهزة التأثير والدعاية والتوجيه في جانب آخر، جانب التحلل من الدين، والإزراء بقيمه، والسخرية بتعاليمه، فهيهات أن يغني صوت المنبر شيئًا، وهذا إذا افترضنا أن تتاح له الحرية ليقول كلمة الحق.. وما تغني كلمة خافتة في ساعة من الأسبوع تضيع وسط الضجيج والصخب الهائل الذي تخرجه الإذاعات والصحف والأبواق الهدامة هنا وهناك؟!

متى يبلغ البنيان يومًا تمامه إذا كنتَ تبنيه وغيرك يهدم؟![1]

إن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي فرضه الإسلام هو واجب على عاتق الفرد والجماعة والدولة، ويعني حراسة هؤلاء جميعًا للحق في مختلف صوره، ومدافعتهم للبغي في مختلف صوره. وقد عرف

(١) من شعر صالح بن عبد القدوس، كما في البيان والتبيين للجاحظ (٣ / ٢٥٨)، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

QaradawiBooks.com

تاريخ الإسلام في هذا الصدد وظيفة المُحتَسب بالنسبة للحكومة، ودعوى الحسبة بالنسبة للأفراد، فجهود الأفراد تتضافر مع مقدرة الدولة وسلطانها لحماية آداب المجتمع المسلم، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

فلا صلاح للفرد إلَّا في مجتمع يساعده على النمو السليم، والتكيُّف الصحيح، والسلوك القويم. وذلك بأن تقوم على رأس المجتمع دولة تنفذ تشريعاته وتوجيهاته، وتحرس عقائده وشعائره، وتقيم مثله وآدابه، فالمجتمع هو التربة التي تنبت فيها بذرة الفرد والجماعة، وتنمو وتترعرع في مناخها، والانتفاع بسمائها وهوائها وشمسها. وما كانت الهجرة النبويَّة إلى المدينة، إلَّا سعيًا إلى مجتمع مستقلٍّ، تتجسَّد فيه عقائد الإسلام وقِيَمه، وشعائره وشرائعه، وتقوم عليه الدولة التي يرأسها النبي ﷺ.

وقد لمسنا في عصرنا محنة الفرد المسلم في المجتمعات التي لا تلتزم بالإسلام منهاجًا لحياتها، ناهيك بالمجتمعات التي تعادي شريعته، وتطارد دعوته، وكيف يعيش هذا الفرد في توتُّر وقلق وحَيْرة، نتيجة لما يحسُّ به من تناقض صارخ، بين ما يؤمن به من أوامر دينه ونواهيه من جهة، وما يُعايشه ويضغط عليه من أفكار المجتمع ومشاعره وتقاليده وأنظمته وقوانينه، التي يراها مخالفة لتوجيهات عقيدته، وأحكام شريعته، ودوافع أخلاقه، وروائع آدابه، ومواريث ثقافته، من جهة أخرى.

٨ ـ ربط الإنسان بربه في كل أحواله وأحيانه:

وممَّا يلحظه المسلم والمتأمل في الآداب العامة للإسلام: أدبٌ يشمل كل الآداب، ولا يغيب عن واحد منها، وحرص الإسلام العظيم حرصًا

QaradawiBooks.com

دؤوبًا على أن يغرسه بكل عناية، تجد هذا الأدب الكبير والعميق في أدب الفرد، وأدب الأسرة، وأدب الجماعة، وأدب الأمة، وأدب الحُكَّام، وأدب المحكومين، وأدب الرجال، وأدب النساء، وأدب الشيوخ، وأدب الشباب، بل أدب الأطفال.

هذا الأدب المحيط بكل الآداب، والمغذِّي لها، والمقوي لها، والمعين عليها، والداعي إليها هو: «الربانية»، أو ربط الإنسان في كل مراحل حياته، وفي كل مناحي حياته، في حياته الفردية والزوجية، وحياته المادية والروحية، وحياته الجادة والعاطفية، وحياته الضاحكة والباكية، وحياته الخشنة والناعمة، حياته أيًّا كانت، لا بد أن ترتبط بربه الأعلى، الذي خلق فسوى، والذي قدَّر فهدى.

وكل الآداب توصي بهذا الأمر، فإذا أكلتَ، فإن من أول أدب الأكل: أن تأكل باسم الله أول ما تأكل، وتشرب باسم الله أول ما تشرب.

وإذا استمتعت بزوجك في فراش نومك، وأقبلت على لذتك الجنسية لم تنسَ أن تقول: اللهمَّ جنِّبْنا الشيطان، وجنِّب الشيطان ما رزقتنا، باسم الله[1].

وإذا أردت أن تلبس ثوبًا جديدًا، فلا تنس أن تقول: الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة[2].

وإذا دخلت مسكنًا جديدًا، بنيته وأسسته ووسعته لنفسك وأهلك وعيالك وضيفك، فقد أعطاك الله مُلكًا جديدًا، وطلب منك أن تشكر نعمته، وتسأله تعالى المزيد منها، ثم تقول: الحمد لله الذي ملَّكني هذا

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الوضوء (١٤١)، ومسلم في النكاح (١٤٣٤)، عن ابن عباس.

(٢) رواه أبو داود في اللباس (٤٠٢٣)، وأبو يعلى (١٤٨٨)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٠٤٢): حسن لغيره. عن أنس.

QaradawiBooks.com

الشـــيء ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة، اللهم إنِّي أسألك من خيره وخير ما هو له، وأعوذ بك من شره وشر ما هو له.

وكلما استمتعت بشيء جديد؛ لأنك ملكته، فعليك أن تقول ما يقوله المؤمن حين يملك شـــيئًا جديدًا، كما إذا ملك الدابـــة التي يركبها، أو السفينة تهون عليه سفره الطويل: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخـــرف: ١٣، ١٤]، وهو ما يدعو به المســـلم كلما ركب حمارًا أو سيارة أو قطارًا أو طائرة.

وهكذا كلما تهيأ المؤمن لملابســـة شيء جديد، أو الاستمتاع بشيء جديد، يدعو الله تعالى بالدعاء الخاص به، ثم يمارس التمتع به بما يليق به من الاستمتاع الحلال، الذي لا إفراط فيه ولا تفريط.

وستجد في سورة الأنعام وفي ســـورة النحل أعدادًا كثيرة من النعم، وستجد في الحديث أيضًا ألوانا كثيرة من منح الله تعالى وخيراته.

وكل موحِّد عليه أن يعطيها حقَّها من الشـــكر، وأن يأخذ منها حقها من الاستمتاع، وأن يدعو بدعائها، وأن يحفظها ويرعاها، ولا يبخل بها عمن احتاج إليها إذا كان هو في غنًى عنها.

والدعاء المناسب هنا علمه الرسول للمؤمن أن يقول: «**اللهم أنِّي أســـألُك من خيرها، وخير ما هي له، وأعوذ بك من شـــرِّها، وشـــر ما هي له**»[1].

(١) رواه أحمد (١١٢٤٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده حســـن. وأبو داود (٤٠٢٠)، والحاكم (١٩٢/٤)، وصحَّحه على شـــرط مســـلم، ووافقه الذهبي، كلاهما في اللبـــاس، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٤٦٦٤)، عن أبي سعيد.

QaradawiBooks.com

وممَّا علَّمنا القرآن أن ندعو به: ﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠].

وإذا دخلت مكانًا لا تعرف فيه أحدًا فقل كما قال موسى حين توجه إلى مدين: ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢].

وإذا نصرت مظلومًا، واتُّهمت أنت بالظلم، قل: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧].

وإذا شعرت بتآمر الظالمين عليك، وضعُفَتْ قوتك عن مواجهتم، فقل: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يونس: ٨٥، ٨٦].

وإذا وهبت إليك نعمة من الله تعالى، فاقبلها، واشكر ربك عليها، وقل ما قال سليمان حين سُخِّر له ما سُخِّر: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

وإذا ضاقت عليك مسالك الحياة، وأظلمت الدنيا في وجهك، فلا تيأس من رَوح الله أبدًا، اقرأ قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۞ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة: ٤، ٥]. وقل ما قال يعقوب لأولاده حين بعثهم في قافلة إلى مصر، وقال لهم: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

وكاد يكون لكل باب أو كتاب في الفقه آداب ينبغي على المسلم أن يتأدب بها، ومن بين هذه الآداب أذكار وأدعية لله رب العالمين، ليكون المسلم موصولا بالله في حياته كلها.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

غير مرخصة للطباعة

الباب الأول

الأدب مع الله ورسوله

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

الفصل الأول

الأدب مع الله تعالى

أدب المسلم: أدب شامل وعميق ومتنوع. وقد تحدَّث عنه أهل الأدب من رجال الفقه والسلوك والتربية، فهم يقسمونه إلى أنواع:

فهناك أدب مع الله ﷻ، وأدب مع رسوله الذي بلَّغ رسالته إلى الناس، وأدب مع الناس، كلِّ الناس، القريبِ والبعيد، والمسلم وغير المسلم، والصغير والكبير، والضعيف والقوي، والمرأة والرجل، وإن كان اهتمام الإسلام الأكبر والأقوى بالضعفاء من الناس، مثل: اليتامى والمساكين وابن السبيل وما ملكت الأيمان.

وهو ما حفلت به آية «الحقوق العشرة» التي جاءت بها سورة النساء، وبدأتها بحقِّ الله تبارك وتعالى، فقال: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]. لهذا سنبدأ بما بدأ الله تعالى به، وهو الأدب مع الله سبحانه، والأدب مع رسوله، فهو مضاف إلى الأدب مع الله ﷻ، ولهذا جعلناهما أدبًا واحدًا في ضمن الأدب الديني الواسع الذي يجب أن يكون طليعة بينة لحياة المسلم. قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١]، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا

QaradawiBooks.com

مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

غير مرخصة للطباعة

ذروة الأدب: الأدب مع الله:

ونحن نؤكد ما ذكره كبار علمائنا المربِّين: أن ذروة الأدب هى: الأدب مع الله تبارك وتعالى، فإن أحق من نتأدب معه، في قولنا وعملنا، في عبادتنا ومعاملتنا، في عمل جوارحنا وعمل قلوبنا، في سرِّنا وعلانيَّتنا، أن نتأدَّب معه سبحانه أعلى أنواع الأدب وأصفاها وأثبتها وأخلصها.

كيف لا وهو أدب العبد مع ربه، أدب المخلوق مع خالقه، أدب المُحْدَث الفانِي مع الأزليِّ الباقي؟

وهو جل شأنه يستحق هذا الأدب الأكبر والأعمق منا؛ لأنَّه هو الذي خلقنا من العدم، وجعلنا شيئًا مذكورًا، وخلقنا في أحسن تقويم، وكرَّمنا أعظم تكريم، ورزقنا العقل الذي به نفكر، والإرادة التي بها نرجِّح، والقدرة التي بها ننفِّذ، ووهب لنا السمع والبصر والحواسَّ التي تصلنا بالعالم من حولنا، وخلق ما في السماوات وما في الأرض جميعًا منه، وأسبغ علينا نعمَه ظاهرةً وباطنةً، فكل ما في الكون من حولنا، عن أيماننا وعن شمائلنا، ومن بين أيدينا ومن خلفنا، ومن فوقنا ومن تحتنا، جعله الله في خدمتنا ومنفعتنا، ويصب كله في مصلحتنا، كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۞

QaradawiBooks.com

وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٢ ـ ٣٤]. فانظر كيف خلق الله هذه الأجرام الكبيرة، وسخَّر ما فيها من نِعَم جليلة لفائدة الإنسان. ولذا كرَّر في هذه الآيات كلمة ﴿لَكُمُ﴾ خمس مرات، لينبِّهنا على أنَّه خلق هذه النعم وسخرها لنا ولمصلحتنا، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣].

وقد ذكَّر الله الناس عامَّة، والمؤمنين خاصَّة، بهذه النعم التي أنعم بها على عباده: نعمة الحياة، ونعمة الزرع، ونعمة الماء، ونعمة النار، في سورة الواقعة، فقال: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۝ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ۝ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ۝ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ۝ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة: ٥٨ ـ ٧٤].

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١

الأدب مع الله بتوحيده وطاعته واتباع منهجه

والأدب مع الله رب العالمين، يتمثل في عدة أمور أولها: توحيده سبحانه، وهو يتضمن ثلاثة أشياء كلها تدخل في حقيقة توحيده، الذي يحبُّه من عباده ولا يقبل التفريط في شيء منه، فهناك:

أولًا: توحيد الربوبيَّة أو الخالقيَّة

وهو ما تقرُّ به الفطرة السليمة، وما ينطق به العقل الرشيد: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۞ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [الطور: ٣٥ ـ ٣٦].

وهذا ما اعترف به عرب الجاهلية، حين يُسألون عنه: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف: ٩]، ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۞ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: ٣١، ٣٢].

وكانوا يقرُّون بأنَّ الله تعالى هو الخالق الرازق مُدبِّر الأمر، ولكنَّهم مع هذا يأكلون خيره، ويعبدون غيره، أو يأكلون تمرَه، ويعصون أمرَه. ولذلك كان التوحيد الذي أكد عليه رسل الله وأنبياؤه الذين بعثهم إلى الخلق مبشرين ومنذرين هو الدعوة إلى توحيد العبادة أو توحيد الإلٰهية. وهو ما نتحدث عنه في الفقرة التالية.

QaradawiBooks.com

ثانيًا: توحيد العبادة لله رب العالمين، أو توحيد الإلٰهيَّة

بمعنى أنَّه لا إلٰه غيره، ولا يستحق أن يعبد في الأرض أو في السماء إلَّا هو، ولا أن تسجد له الجباهُ، وتنحني له الرؤوس راكعة ساجدة إلَّا الله، وهو ما دعا إليه كل رسول قومه، وما دعا إليه القرآن الكريم، وأنذر به المشركين، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. والطاغوت مشتق من الطغيان، وهو كل ما يعبد ويعظم ويشرك من دون الله ﷻ، وهو من مصادر الطغيان والفساد، في حين أنَّ التوحيد من مصادر العدل والصلاح، بل التوحيد هو العدل، والشرك هو الظلم؛ لأنَّ من يشرك بالله الخالق المنعِم العظيم الأعلى، مخلوقًا حقيرًا فانيًا لا يقدر على شيء؛ فقد ظلمَ التوحيد، وظلم نفسه، ولذا قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ١ ـ ٣]، ولذا حكم القرآن على عرب الجاهلية بالشرك الأكبر، الذي يوجب دخول النار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقال عن أهل الكتاب: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

ثالثًا: توحيد الحاكميَّة

وهذا هو التوحيد الثالث، الذي أكمل القرآن به حقيقة التوحيد الذي يرضاه الله من خلقه. وهو أن يوحَّد الله تعالى في تشريعه الذي شرَع

QaradawiBooks.com

لعبادته، فعليه أن يرضى به، ويتعبَّد بأحكامـــه، ويقبل جريانها عليه في دينه ونفسه، وعِرْضه ونسبه، ونسله وماله، وكل شؤون حياته. قال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ﴾ [الأنعام: ١١٤]، وقال في هذه السورة نفســها: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وهذا ما يسمونه توحيد الربوبية. وقال فيها أيضًا: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعـام: ١٤] وهذه تشير إلى توحيد العبادة أو توحيد الألوهية.

ولا بدَّ للإنســان المســلم الذي يريد أن يلقى ربه عابدًا مخلصًا له، بريئًا من كل ما يعبد من دونه في الأرض أو في السماء؛ لا بد له من هذه التوحيــدات كلهــا. ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٤ ـ ١٠٦].

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com



٢
طاعة الله فيما أمر به

غير مرخصة للطباعة

ومن واجب كل مسلم رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبالقرآن إمامًا، وبمحمد من الله نبيًّا ورسولًا: أن يطيع الله تعالى فيما أمره به في كتابه المبين، أو على لسان رسوله الذي ثبتت رسالته باليقين والأدلة القطعيَّة، فعليه أن يقول في الأمور الغيبية: آمنا وصدقنا. وفي العمليات: سمعنا وأطعنا. كما قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وكل ما أمر الله تعالى به، وكل ما نهى الله تعالى عنه بصراحة وجزم، فهو ممَّا تجب طاعته، امتثالًا للأمر، واجتنابا للنهي، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١].

ومن ذلك: العبادات الرُّكنيَّة، التي أجمع علماء الأمة على أن كل واحدة منها ركن من أركان الإسلام الخمسة العمليَّة. وهي بعد الشهادتين؛ شهادة ألَّا إلٰه إلَّا الله، وشهادة أن محمدًا رسول الله: إقامة الصلوات الخمس، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان كل سنة، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلًا مرة واحدة في العمر.

QaradawiBooks.com

وهناك طاعة الله تعالى في امتثال كل ما أمر به، من إيفاء العقود، وإنجاز الوعود، وإبرام العهود، وإقامة الحدود، وتحليل الحلال، وتحريم الحرام، والانتهاء عن كل ما حرَّم الله، من أكل أموال الناس بالباطل، بسرقة أموالهم، أو اختلاسها أو الغش فيها، ومن كل أنواع إيذاء الناس، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾ [النساء: ٢٩]، ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٨].

ومن ذلك ما يتعلق بأحكام الأسرة، وضرورة رعايتها والمحافظة عليها، قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾ [النور: ٣٢]، وقال: ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً ﴾ [النساء: ٣]. وقال: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ﴾ [النساء: ٤]. وقال: ﴿وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ۞ وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ۞ وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ۞ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَمَقۡتٗا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ١٩ ـ ٢٢].

* * *

QaradawiBooks.com

٣

اتباع المنهج الذي أمر الله به

وممَّا يجب على المكلَّف نحو ربِّه الذي خلقه وهداه ورزقه ودبَّر أمره: أن يتَّبع المنهج الذي أمره الله باتباعه، وهو الشريعة التي دَعا الله تعالى إليها عباده، ليقيموا بها أمره، ويتَّبعوا فيها طريقه المستقيم، الذي يتضمَّن العدل في الرعيَّة، والقضاء بالسويَّة، والأمانة في القضيَّة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ﴾ [النساء: ٥٨].

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [صٓ: ٢٦].

﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ۞ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٤٩، ٥٠].

وقال: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]

وقال: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]

وقال: ﴿وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

QaradawiBooks.com

فهذه ثلاث آيات في سورة واحدة في سياق واحد، تُنذر كل من حكم بغير ما أنزل الله.

ولو كان سهمًا واحدًا لاتَّقَيْتُهُ ولكنَّه سهمٌ وثانٍ وثالِثُ![1]

قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩].

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

* * *

(١) البيت للقاضي أبي بكر ابن العربي، كما في الحُلة السِّيَراء لابن الأبَّار (٦/١)، تحقيق: د. حسين مؤنس، نشر دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥م. بلفظ رمح بدل سهم.

QaradawiBooks.com

٤

محبة الله تعالى وعبادته الباطنة

كما أنَّ المطلوب من المسلم أن يحب الله ﷻ، حتى تكون عبادته عبادةً خالصة له. وحقيقةُ العبادة: أن يكون العبد بين غاية الحب لله تعالى، وغاية الخضوع والذل له. وقد قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

ووصف الله تعالى جنده المؤمنين الأقوياء الذين ادَّخرهم لنصرة دينه إذا ارتدَّ عنه المرتدون والمنافقون، ومَرَق عنه المارقون، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

وجعل النبيُّ ﷺ حب الله ورسوله أحب من كل ما سواهما: أول العناصر الثلاثة التي تُكون الإيمان الحقيقي الذي يذوق المؤمن حلاوتَه، فقال ﷺ: «**ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجد حلاوةَ الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه ممَّا سواهما، وأن يحبَّ المرءُ لا يحبُّه إلَّا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**»[1].

(١) سبق تخريجه صـ١٣.

QaradawiBooks.com

ووضع القرآن المسلم في مفاصلةٍ بين كل رَغَبات الحياة الدنيا ومشتهياتها، وبين حب الله ورسوله، ليختار أهلُ الإيمان أي الجهتين يسلكون، فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤]

وهذه المحبَّة لله ورسوله هي عبادة من العبادات القلبيَّة التي جاء بها الإسلام، وعُني بها، ودعا المسلمين إلى إتقانها، فليست العبادات هي الأربع الركنيَّة فقط، فهناك العبادات التي يتنفَّل بها المسلم بعد فرائضه، وفي سائر أوقاته من الذكر والتهليل والتسبيح والتحميد والتكبير، وتلاوة القرآن، والدعاء والاستغفار، والصلاة على النبي ﷺ. وكلها جاء بها القرآن العظيم، وفصَّلتها السُّنَّة النبويَّة، وألَّف فيها المسلمون الكتب، وأقاموا عليها أورادهم وتسابيحهم. وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢]، ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال ﷻ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال تعالى: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ٣٢]، وقال تعالى على لسان نوح: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٢]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]،

QaradawiBooks.com

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٩ ـ ٣٠].

وقال تعالى في الحديث القدسي الذي رواه أبو ذر عن رسول الله ﷺ عن ربه:

«يا عبادي، إنِّي حرَّمتُ الظلم على نفسي، وجعلتُه بينكم محرَّمًا، فلا تَظَالَموا، يا عبادي، كلُّكم ضالٌّ إلَّا مَنْ هديتُه، فاستهدوني أَهْدِكم، يا عبادي، كلُّكم جائع، إلَّا من أطعمتُه، فاستطعموني أُطْعِمْكم، يا عبادي، كلُّكم عارٍ، إلَّا مَنْ كسوتُه، فاستكسوني أَكْسُكم، يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفرْ لكم، يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضُرِّي فتضروني، ولن تبلغوا نفعي، فتنفعوني، يا عبادي، لو أن أوَّلَكم وآخِرَكم وإنسَكم وجِنَّكم كانوا على أتقى قلبِ رجلٍ واحدٍ منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي، لو أن أوَّلَكم وآخرَكم وإنسَكم وجنَّكم كانوا على أفجرِ قلبِ رجلٍ واحد، ما نقص ذلك من ملكي شيئًا، يا عبادي لو أن أوَّلكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحدٍ فسألوني، فأعطيتُ كل إنسانٍ مسألته، ما نقص ذلك ممَّا عندي إلَّا كما ينقص المِخْيَط إذا أُدْخِل البحر، يا عبادي، إنَّما هي أعمالُكم أُحصيها لكم، ثم أُوَفِّيكم إياها، فمن وجد خيرًا، فلْيحمدِ اللهَ، ومن وجد غير ذلك، فلا يَلُومَنَّ إلَّا نَفْسَه»[1].

إلى آخر ما جاء به القرآن وجاءت به السُّنَّة، من ترطيب اللسان بذكر الله تعالى من التسبيح والتحميد، والتهليل والتكبير، والحوقلة والدعاء،

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٧٧).

QaradawiBooks.com

والرقية، والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، والاستغفار لله تعالى، والتلبية لندائه، وذكر اسمه كثيرًا.

وقد ختم البخاري جامعه الصحيح بهذا الحديث: «**كلمتانِ خفيفتانِ على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحانَ الله وبحمده، سبحانَ الله العظيم**»(١).

ثم تأتي العبادات الباطنيَّة التي تملأ قلب المسلم وفكره، وساحة حياته وحياة أسرته وحياة مجتمعه، والدنيا كلها من حوله، وهي عبادات مقرُّها القلوب، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، وكما قال تعالى عن الذبائح والهدي التي تُهدى إلى الكعبة: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧].

لا تقبل العبادات الشعائريَّة إلَّا بعبادات قلبيَّة وأولها الإخلاص:

وبيَّن القرآن أنَّ العبادات الشعائريَّة الكبرى، من الصلاة والزكاة والصيام والحج، لا تقبل عند الله، إلَّا إذا كان معها عبادة قلبيَّة، وهي الإخلاص لله، كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]. فأيُّ عبادة من هذه العبادات خلت من الإخلاص، وأفسدها الرياء، فهي مرفوضة عند الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٥٦٣)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

ولهذا كانت هذه الذنوب الكبيرة من أشدِّ ما يُبْعد عن رضا الله سبحانه، مثل الرياء والعُجْب، واليأس من رَوح الله، والأمن من مكره، ونحوها. قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا ﴾ [التوبة: ٢٥]. ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]. ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩].

لا بد من تطهير الأنفس، وتصفية القلوب، وتنقية الضمائر من هذه الموبقات: «**إنَّ الله لا ينظر إلى أجسامِكم ولا صُوَرِكم، ولكن ينظرُ إلى قلوبِكم وأعمالِكم**»[(١)]. «**ألا وإن في الجسد مُضْغة، إذا صَلَحت صَلَح الجسدُ كُلُّه، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»[(٢)].

ولذلك ما زلنا نؤكِّد على العبادات القلبيَّة التي لا يلتفت إليها كثير من الناس، لتيههم وغفلتهم عنها، وهي التي تُعبِّر عن حقيقة إيمانهم، وتُعَرِّف بقيمتهم الحقيقيَّة عند الله.

وقد سمعتُ أحاديث الثلاثة الذين أخبر النبي ﷺ عنهم: أنهم أول من تُسَعَّر بهم النار يوم القيامة[(٣)]: المنافق والقارئ «أو العالم» والمجاهد، الذين رُفضت عباداتهم عند الله؛ لأنَّهم زيَّفوها على الله، وغلَّفوها بغلاف ظاهره الحسن، وهو زائف، فردَّها الله عليهم؛ لأنَّه تعالى لا يقبل الزيف، وهو سبحانه ناقد بصير.

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤)، وابن ماجه الزهد (٤١٤٣)، عن أبي هريرة.
(٢) متفق عليه: البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير.
(٣) رواه مسلم الإمارة (١٩٠٥)، وأحمد (٨٢٧٧)، والترمذي في الزهد (٢٣٨٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ولا بد أن نضع أمام المسلم الغيور على دينه، والحريص على نجاة نفسه، المقبل على آخرته، المعنيّ برضا ربه، هذه العبادات المعروفة عند أهل التقوى والإخلاص بالعبادات: القلبية أو الروحية.

عبادة: الشكر لله:

ومن الآداب أيضًا، والعبادات القلبيَّة المهمة: عبادة الشكر لله تعالى على نعمائه.

فلا يكفي في هذا أن يقول اللسان: الحمد لله. وقلبه محجوبٌ عن رؤية فضل الله تعالى، ولا يرى إلَّا الناس، الذين ساعدوه، والذين أمدُّوه أو مَولوه، فهذا ليس بشكر لله، ولكنَّه كفر به. قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

وقال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

وقد بدا قبول شكر داود، ولذلك زاده الله نعمة وفضلًا. ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۞ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ: ١٠، ١١].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۞ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۞ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٥ ـ ١٧]

والقرآن يأمر عباد الله بالشكر له وعدم الكفر به، كما قال تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ۞ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ٥١، ٥٢]

QaradawiBooks.com

والنِّعم التي يُسْبِغها الله على عباده متعدِّدة الأنواع والألوان، منها نعم ماديَّة، كما في نعمة سبأ وجنتيها عن يمين وشمال، ومنها نعم معنويَّة، كالنعمة التي آتاها الله لقمان، وهي الحكمة: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢].

ومن ذلك نعمة الله على الإنسان منذ ولادته، فقد غمره الله تعالى في نعمه المادية والمعنوية: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]، وقد طلب الله من الإنسان أن يشكر لله الذي خلقه، وهيَّأ له ما يحفظه ويُعينه من الأشياء، ويشكر لوالديه اللذين كانا سببًا في ميلاده وحياته وبقائه، مع فضل الله تعالى وإمداده.

عبادة الصبر لله:

وكما يُطالب الإنسان بشكر الله تعالى، يطالب بالصبر على بلائه. كما جاء في حديث صهيب الذي رواه مسلم: «**عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كلَّه خير، وليس ذاك لأحد إلَّا للمؤمن، إن أصابته سرَّاء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرَّاء، صبر فكان خيرًا له**»[(١)].

الصبر على طاعة الله:

وللمؤمن أنواع ودرجات من الصبر، فهناك صبر على طاعة الله، كما قال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ [مريم: ٦٥]، وقوله أيضًا: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢].

(١) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٢٩٩٩)، وأحمد (١٨٩٣٤)، عن صهيب الرومي.

QaradawiBooks.com

وقد استخدم القرآن هنا صيغة الافتعال من الصبر (اصطبر) مكان الصيغة المعتادة (اصبر)، لأنَّ الافتعال يدل على المبالغة في الفعل، فزيادة المبنى تدل في العادة على زيادة المعنى، وما ذاك إلَّا لأنَّ الطريق إلى طاعة الله مليئة بالمعوقات من داخل النفس ومن خارجها. وفيها يقول الشاعر:

إنِّي ابتليت بأربع يرمينني ... بالنَّبل عن قوس له توتير
إبليس والدنيا ونفسي والورى ... يا رب أنت على الخلاص قدير[1]

وثمت معنى نفسي عميق الأغوار، يجعل طاعة الله وعبادته صعبة على نفس الإنسان، وقد نبَّه على هذا المعنى الإمام الغزالي في «إحيائه»، فقال: «الصبر على الطاعة شديد؛ لأنَّ النفس بطبعها تنفر عن العبوديَّة، وتشتهي الربوبيَّة، ولذلك قال بعض العارفين: ما من نفس إلَّا وهي مضمرة ما أظهر فرعون من قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]. ولكن فرعون وجد له مجالًا وقبولًا، فأظهره، إذ استخفَّ قومه فأطاعوه، وما من أحد إلَّا وهو يدَّعي ذلك مع عبده وخادمه وأتباعه، وكل من هو تحت قهره وطاعته، وإن كان ممتنعًا من إظهاره، فإن استشاطته وغيظه عند تقصيرهم في خدمته واستعباده، ذلك ليس يصدر إلَّا عن إضمار الكِبْر ومنازعة الربوبيَّة في رداء الكبرياء.

فإذًا العبودية شاقَّة على النفس مطلقًا، ثم من العبادات ما يُكره بسبب الكسل كالصلاة، ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة، ومنها ما يكره بسببهما جميعًا كالحج والجهاد، فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد.

---

(١) ذكرهما القرطبي ولم ينسبهما في التذكرة صـ ٨٨٠، نشر مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٤٢٥هـ.

QaradawiBooks.com

ويحتاج المطيع إلى الصبر على طاعته في ثلاث أحوال:

الأولى: قبل الطاعة، وذلك في تصحيح النيَّة والإخلاص، والصبر عن شوائب الرياء ودواعي الآفات، وعقد العزم على الإخلاص والوفاء، وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النيَّة والإخلاص وآفات الرياء ومكايد النفس، وقد نبَّه عليه ﷺ إذ قال: «**إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى**»(١). وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، ولهذا قدّم الله تعالى الصبر على العمل، فقال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [هود: ١١].

الحالة الثانية: حالة العمل، كي لا يغفل عن الله في أثناء عمله، ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه، ويدوم على شرط الأدب إلى آخر العمل الأخير، فيلازم الصبر عن دواعي الفتور إلى الفراغ، وهذا أيضًا من شدائد الصبر، ولعله المراد بقوله تعالى: ﴿نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ۞ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ [العنكبوت: ٥٨، ٥٩]، أي: صبروا إلى تمام العمل.

الحالة الثالثة: بعد الفراغ من العمل، إذ يحتاج إلى الصبر عن إفشائه، والتظاهر به للسمعة والرياء، والصبر عن النظر إليه بعين العُجب، وعن كل ما يبطل عمله ويُحبط أثره، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [محمد: ٣٣]، وكما قال تعالى: ﴿لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، فمن لا يصبر بعد الصدقة عن المن والأذى، فقد أبطل عمله.

والطاعات تنقسم إلى فرض ونفل، وهو محتاج إلى الصبر عليهما جميعًا، وقد جمعهما الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ

(١) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (١)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٧)، عن عمر بن الخطاب.

QaradawiBooks.com

وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [النحل: ٩٠]، فالعدل هو الفرض، والإحسان هو النفل، وإيتاء ذي القربى هو المروءة وصلة الرحم، وكل ذلك يحتاج إلى صبر»[١].

الصبر عن معصية الله:

وهناك صبر عن المعصية، مثل صبر يوسف عليه السلام، حيث فُتنت به امرأة العزيز، وهي امرأة ذات منصب وجمال، وقد هيَّأت الأسباب، وغلَّقت الأبواب، وقالت: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ بصريح العبارة، فقال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [يوسف: ٢٣]، فردعها بكل الروادع الربانيَّة والأخلاقيَّة والعمليَّة، ومع هذا لم ترتدع، وقالت بصراحة أمام النسوة اللاتي دعتهن إلى قصرها، فأرتهن يوسف، فلم يملكن حين رأينه فجأة، إلَّا أن قطَّعن أيديهن بالسكاكين، التي في أيديهن، وقلن: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۞ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ [يوسف: ٣١، ٣٢].

ولقد كان يوسف عليه السلام مخيَّرًا بين محنتين: محنة في دينه؛ أن يستجيب لها، وينجو من السجن، وينضم إلى أرباب العشق، ويصبح من الفاسقين، أو يرفض، ويستقبل ما يأتي به القدر من نتائج. وهو ما صمَّم عليه.

لكنَّه ظل صابرًا عن المعصية، فانتصر في صبره، ورضي بمحنة الدنيا على محنة الدين، ودخل في السجن، ولبث فيه بضع سنين.

(١) إحياء علوم الدين (٤/٧٠).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الصبر على البلاء:

وهناك الصبر على البلاء، كما صبر أيوب عليه السلام على مرضه الذي طال عليه، وفقد من فقد من أولاده، كما ذكر القرآن: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۞ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤]، وقال الله تعالى عن أيوب: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [صٓ: ٤٤].

ولقد صبر المسلمون في سبيل عقيدتهم على ما نزل بهم من بلاء في أنفسهم وأهليهم وأموالهم، وكل ما لهم، كما قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣]، هذا في مكة. وفي العهد المدني: جاءت نوازل أخرى، ابتُلي بها المؤمنون وزلزلوا زلزالًا شديدًا، كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۞ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۞ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧].

وفي غزوة الأحزاب، كان بلاءٌ شديد، وصفه القرآن بقوله: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۞ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١٠ ـ ١١]، وهنا ظهر صبر المؤمنين الصَّادقين: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

QaradawiBooks.com

وفي سورة البقرة قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤].

الصبر على الدعوة ومشاقِّها ومتاعبها:

وهناك الصبر على الدعوة ومشاقِّها، وما يحفُّ بها من متاعب وآلام، تنوءُ بها الظهور، وتضعف عن حملها الكواهل، إلَّا من رحم الله.

وذلك أنَّ أصحاب الدعوة إلى الله يطلبون من الناس أن يتحرَّروا من أهوائهم وأوهامهم وموروثاتهم ومألوفاتهم، ويثوروا على شهوات أنفسهم، ومعبودات آبائهم، وعادات أقوامهم، وامتيازات طبقاتهم، وينزلوا عن بعض ما يملكون إلى إخوانهم، ويقفوا عند حدود الله فيما أمر ونهى، وأحلَّ وحرَّم، وأكثر الناس لا يؤمنون بهذه الدعوة الجديدة، فلهذا يقاومونها بكلِّ قوة، ويحاربون دُعاتها بكلِّ سلاح، مُدِلِّين بأنَّهم أكثر مالًا، وأعز نفرًا، وأقوى نفوذًا، وأوسع سلطانًا. فليس أمام دعاة الحق إلَّا أن يعتصموا باليقين، ويتسلَّحوا بالصبر في وجه القوة الضاربة، والسلطة الطاغية.

فالصبر هنا كما قال الإمام علي: سيف لا ينبو، ومطيةٌ لا تكبو، وضياء لا يخبو[(١)]. وكما جاء في الحديث الصحيح: «**الصبر ضياء**»[(٢)].

وهذا هو السر في اقتران التواصي بالصبر بالتواصي بالحق في سورة العصر: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٢، ٣]. فلا بقاء للحق بغير صبر.

---

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي صـ ٢٨٧، نشر دار الريان للتراث، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ.

(٢) جزء من حديث رواه مسلم في الطهارة (٢٢٣)، وأحمد (٢٢٩٠٢)، والترمذي في الدعوات (٣٥١٧)، عن أبي مالك الأشعري.

QaradawiBooks.com

وهو السر فيما ذكره الله على لسان لقمان الحكيم حيث وصّى ابنه بالصبر على ما يصيبه من بلاء وأذى عقب وصيَّته له بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله تعالى على لسانه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

كأنَّه يقول له: ما دُمتَ تدعو الناس إلى الخير، وتأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر، فوطِّن نفسك على احتمال المكاره منهم، وتقبُّل الأذى من جهتهم، فهم خصوم لمن يأمرهم بالمعروف؛ لأنَّه ثقيل عليهم، ولمن ينهاهم عن المنكر؛ لأنَّه محبَّب إليهم.

صور تمثِّل مشاقَّ الدعوة إلى الله:

ومشاقّ الدعوة إلى الله تتمثل في صور شتّى، وقد ذكر القرآن منها أنواعًا وأمثلة:

١ ـ تتمثل في إعراض الخلق عن الداعية، فليس أشقّ على نفس صاحب الدعوة أن يدعو بملء فيه، ويصيح بأعلى صوته، بشيرًا ونذيرًا، فلا يجد إلَّا آذانًا صُمًّا، وقلوبًا غُلْفًا!

رأينا ذلك مع نوح عليه السلام، حيث قال مناجيًا ربه: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ۝ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ۝ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُواْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا﴾ [نوح: ٥ ـ ٧].

ورأينا ذلك مع هود عليه السلام حين قال له قومه: ﴿يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [هود: ٥٣].

QaradawiBooks.com

ورأينا ذلك مع خاتم الرسل محمد ﷺ، حيث وصف الله حال قومه معه، فقال: ﴿حمٓ ۝ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [فصلت: ١ ـ ٥]، ولهذا قال الله لرسوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [النحل: ١٢٧].

وأوضح مَن يُمثِّل هذا النوع من الصبر: نوح عليه السلام، حيث لقي من الإعراض والصد ما لم يلقه نبيٌّ بعده.

٢ ـ وتتمثل متاعب الدعوة في أذى الناس بالقول أو الفعل، فليس أشدَّ على نفس الرجل المخلص في دعوته، البريء من الهوى، المحبِّ لخير الناس، من أن يمحِّض لهم النصح، فيتَّهموه بما ليس فيه، وأن يدعوهم إلى سبيل ربه بالحكمة، فيردوه بالقوة، ويعظهم بالحسنى، فيستقبلوه بالسُّوأى، ويجادلهم بالتي هي أحسن، فيقاومونه بالتي هي أخشن، ويدلهم على الخير، فيقذفونه بالشر، ويصدع فيهم بكلمة الحق، فلا يسمع منهم إلَّا كلمة الباطل.

وقد لا يقف الأمر عند هذا الحد، فكثيرًا ما يمتد الطغيان إلى الأموال فينهبونها، وإلى الأبدان فيعذِّبونها، وإلى الحريات فيسلبونها، وإلى الحرمات فينتهكونها، بل إلى الأنفس فيقتلونها، حتى الأرض التي نبتوا منها، وشبُّوا عليها، ونشؤوا في أحضانها، هم وآباؤهم وأجدادهم، يُخْرَجون منها إخراجًا.

وهذا ما أقسم القرآن على وقوعه للداعين إلى الله، حيث خاطب بذلك المؤمنين ليوطِّنوا أنفسهم على الصبر الطويل، فقال: ﴿لَتُبۡلَوُنَّ

QaradawiBooks.com

فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، ومن هنا أمر الله رسوله أن يصبر على إيذاء قومه بمثل قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾ [المزمل: ١٠].

والأنبياء جميعًا يمثلون هذا النوع من الصبر، ولهذا حكى الله على لسانهم هذا القول ردًّا على أقوامهم: ﴿وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢]، وعزى الله خاتم رسله بما حدث لإخوانه من قبله فقال: ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ٣٤].

ومن أتباع الرسل ذكر لنا القرآن هنا مثلًا رائعًا يتجلَّى في سحرة فرعون، حين وقع الحق وبطل ما كانوا يعملون، فأعلنوا إيمانهم برب موسى وهارون، وعندها قال لهم فرعون: ﴿ءَامَنتُمۡ بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۞ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٣ ـ ١٢٤].

فماذا كان موقف السحرة إزاء هذا الوعيد الهادر من ملك جبَّار يقول للناس: أنا ربكم الأعلى؟ لقد وقفوا بإيمانهم الجديد كالجبال الشُّمّ، متحدّين جبروت فرعون، مستعدين لكل ما يُرغِي به ويُزبد، سائلين الله تعالى أن يفرغ عليهم صبرًا يتحملون به العذاب راضين، ويستقبلون به المكاره مطمئنين.. ومن هنا قالوا لفرعون: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۞ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٥ ـ ١٢٦].

QaradawiBooks.com

٣ ـ وتتمثل مشاق الدعوة كذلك في صورة أخرى هي: طول الطريق، واستبطاء النصر، فقد جعل الله العاقبة للمتقين، وكتب النصر لدعاة الحقِّ من رسله وأتباعهم وورثتهم المؤمنين، ولكن هذا النصر لا يتحقَّق بين عشية وضحاها، ولا تشرق شمسه، إلَّا بعد ليل طويل حالك من الشدائد والمحن المتعاقبة، تزيغ لهولها الأبصار، وتبلغ القلوب الحناجر، ويظن الناس بالله الظنون، هناك يبتلي المؤمنون ويزلزلون زلزالًا شديدًا، كما صور القرآن الحالة النفسيَّة للمسلمين في غزوة الأحزاب.

وكم أكَّد القرآن هذه الحقيقة في أكثر من موضع، وبأكثر من أسلوب، فهو يخاطب المؤمنين في المدينة فيقول: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤].

يقولون: متى نصر الله؟ استبطاءً له، واستعجالًا لمجيئه، فيجيء معه الغوث للملهوف، والفرج للمكروب.

ويقول جل شأنه: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [يوسف: ١١٠].

الرجاء في رحمة الله والخوف من عذابه:

ومن الآداب والعبادات القلبية: الرجاء في رحمة الله تعالى، فبعض الناس ينظر إلى جانب، فيُغَلِّبُه على الله ﷻ، مع أنَّه تعالى هو الذي يُعرِّفنا بحقائق صفاته كما هي، وهي كلها تنحو منحى الوسط المعتدل، فمن الناس من يظن أنَّ الله سبحانه هو القوي المتين، ذو البطش الشديد، الذي لا يعجز عن شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو الذي يأخذ الكفرة والعصاة أخذ عزيز

QaradawiBooks.com

مُقْتدر، وينزل عليهم سخطه، ويصبُّ عليهم عذابه ونقمه، وينسى الجانب الآخر من صفاته ﷻ، وهو أنَّه ﴿ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤]، ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، ﴿قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

والواجب على المسلم الذي يحب أن يعرف الله معرفة حقيقيَّة صادقة: أن يجمع كل الآيات والنصوص التي تصف الله تبارك وتعالى، ويضمُّها بعضها إلى بعض؛ ليعرف من الجميع حقيقة ما وصف الله تعالى به نفسه، ووصفه به رسولُه.

ولذلك نقول للذين يصفون الله تعالى بأنَّه الكبير المتعال، المتكبِّر الجبار، القوي القدير، الذي إذا أراد شيئًا قال له: كن فيكون؛ يجب أن تعلموا أنَّه كذلك هو الغفور الرحيم، البَر الكريم، العليم الحكيم، الذي هو خير الراحمين، وأرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين، وخير الغافرين، الذي وسعت رحمته كل شيء، وسبقت رحمته غضبه، فلا بد لنا أن نضع هذه الصفات كما وضعها القرآن، قال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨]، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦]. ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠]، ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧]. وقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧]، ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩].

QaradawiBooks.com

وهكذا ترى القرآن دائمًا يجمع التخويف والتأمين، حتى في بعض الكلمات يقول ﷻ: ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٣٣] فقوله: ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ غير قول: «من خشي الجبار» أو «القهار»، يدل على أنَّه يريد إدخال اسم الرحمن في الخشية، ليكون التأمين والتخويف في الكلمة نفسها.

وهذا هو دأب القرآن دائمًا، كما في قوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩ ـ ٥٠]، وقال: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِي ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾ [الحديد: ٢٠].

وهناك كثير من العبادات القلبيَّة التي دعا إليها القرآن، وأمر أهل الإيمان أن يلتزموا بها، فيجعلوها من مقومات سلوكهم، ومن أركان حياتهم، من الرضا عن الله، والتوكل عليه، وخشية لقائه، وخوف حسابه، أو حب المرء لا يحبُّه إلَّا لله، وبُغضه لا يبغضه إلَّا لله، والتجالس في الله، والتزاور في الله، كما في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلَّا ظله، فمن هذه الأصناف السبعة نجد: «... **ورجلان تحابَّا في الله، اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه**»[1].

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٦٦٠)، ومسلم في الزكاة (١٠٣١)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

٥

إسناد العبدِ الخيرَ والطاعةَ إلى ربِّه والشرَّ والمعصيةَ إلى نفسه

ومن أدب المؤمن مع الله: أن يسند المعصية إلى نفسه، ويسند الطاعة إلى فضل ربه وتوفيقه، ولا يكون كالذي قال فيه بعض علماء السلف: أنت في المعصية جَبْري، وفي الطاعة قَدَري! يريد أنَّه إذا انزلق في المعصية، ووسوست له نفسه بعمل السوء، وغرَّته الحياة الدنيا، وغرَّه بالله الغرور، لا يلوم نفسه، بل يقول: قدَّره الله عليّ، وهو مكتوب في الأزل لا مَهْرب منه، هكذا أراد الله لي.. إلى آخر هذه العبارات، التي مجملها تبرئة نفسه، وتحميل الأقدار نتيجة ما فعل.

أمَّا في حال الطاعة، فلسانه لسان القدَرِية ـ يعني: المعتزلة ـ الذين يقولون: إنَّ المكلَّف هو خالق أفعال نفسه. فهو هنا يقول: أنا صليتُ، وأنا صُمت، وأنا بذلت، وأنا أنفقت. ناسيًا ـ أو متناسيًا ـ توفيق ربِّه، ولُطفه وعونه وإمداده، حتى يَسَّر له ما عمل من خير.

وإنَّ الأدب مع الله على عكس هذا النوع من الخلق، فما وفّق الله إليه من عمل قال: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات[1]. ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]. ويقول كما قال

(١) رواه ابن ماجه في الأدب (٣٨٠٣)، والطبراني في الأوسط (٦٩٩٩)، والحاكم في الدعاء (٤٩٩/١)، وصحَّح إسناده على شرطهما، وسكت عنه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٤٦٤٠)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

يوسف عليه السلام بعد أن علَّم صاحبيه في السجن بعض الأشياء: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ ۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۞ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٧، ٣٨].

فانظر كيف بدأ حديثه بقوله: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾. وأنهاه بقوله: ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾.

وأمَّا ما زلَّت فيه قدما العبد من معصية الله تعالى، سواء أكانت من معصية الجوارح أم من معاصي القلوب، فإنما يرجع ذلك إلى ظلم نفسه، وسوء اختياره، ونسيانه لربه.

كما رأينا ذلك في موقف أبينا آدم وزوجه، بعد أن أكلا من الشجرة: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وكذلك قال موسى بعد أن وكز الرجل القبطي فقضى عليه: ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾ [القصص: ١٥، ١٦].

وبعد ذلك اختاره الله وبعثه إلى فرعون وقومه، وهنالك قال له بنو إسرائيل لما كانوا في التيه في الصحراء: ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ [البقرة: ٦١]، فانظر إلى قولهم: ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾. وكأنما ليس هو ربّهم، إنَّما هو ربه وحده. ونسوا ما نزّل الله عليهم في هذه الصحراء من المنِّ والسلوى[1].

(١) المن هو: الكمأة أو ما يسمونه في بلاد الخليج الفجع (الفقع). والسلوى: الطيور المهاجرة التي تأتي في مجموعات غفيرة.

QaradawiBooks.com

وبذلك تشبَّهوا بالكفرة من فرعون وملئه الذين قالوا حين وقع عليهم الرجز والعذاب: ﴿يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف: ١٣٤].

ومن ذلك قولهم: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥].

ومن ذلك: أنهم حين قال لهم موسى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢١]. لم يسمعوا لنبيِّهم، ولم يستجيبوا لدعائه، رغم أنَّه قال عن الأرض: ﴿ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾. ورغم أنَّه حذَّرهم من النكوص والارتداد على أدبارهم، قالوا: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾، ورغم تحريض رجلين من العارفين من قومهم على الدخول، وأنهم غالبون بإذن الله، إذا دخلوا عليهم الباب، وإذا توكلوا على الله: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، ولكن القوم رفضوا النُّصح، وأعلنوا موقفهم المخزي بصراحة غريبة: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾.

انظر إلى سوء الأدب في تعبيرهم ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾! على خلاف ما قاله أصحاب محمد ﷺ في غزوة بدر: لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ ولكن: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون[1].

(١) رواه البخاري في تفسير القرآن (٤٦٠٩)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

ولا غرو أنْ قال موسى لربه شاكيًا آسيًا أسِفًا: ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾. القوم الفاسقون هم قومه بنو إسرائيل الذين عصوه ولم يطيعوه، وخذلوه ولم ينصروه، ومن هنا استحقوا أن يصدر عليهم الحكم الإلٰهي من فوق سبع سماوات عن الأرض المقدسة: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۚ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢١ ـ ٢٦].

نماذج عليا في الأدب مع الله:

لقد سجَّل القرآن لصفوة الخلق رسل الله تعالى وأنبيائه الذين اصطفاهم لحمل رسالته إلى جنس البشر، نماذج عليا في أدبهم مع الله إذا سألوه أو خاطبوه أو تعبدوا له.

أدب أيوب عليه السلام مع ربِّه:

انظر إلى أدب أيوب، حين ابتُلي بالمرض، وطال عليه، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]. فوصف حاله، ولم يبالغ في تبشيع ما أصابه؛ لأنَّه من الله في واقع الأمر، بل قال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾، والتعبير بـ «مسَّني» فيه تلطف، وهو مجرَّد من أيِّ شكوى أو أي طلب، ثم أثنى على ربِّه بأنَّه ﴿أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾، وهذه من العبارات التي ذُكِرت في القرآن، بلسان الأنبياء: إبراهيم ويعقوب ويوسف وموسى عليهم السلام، ومعها ﴿خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾. ولم يصرح أيوب بما يريد، أدبًا مع الله تعالى، كما قال القائل: علمه بحالي، يغني عن صريح سؤالي!

QaradawiBooks.com

أدب موسى عليه السلام :

وقريب من ذلك مناجاة موسى لربِّه في غربته في أرض مدين، التي رحل إليها من مصر ماشـيًا على قدميه، بعد أن سقى للمرأتين مروءةً منه، ثـم أَوى إلى الظـل، فقـال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٣٤]، أبدى فقره إلى الله، وإلى ما عنده من خير، ولم يطلب منه شيئًا، حياءً من ربه.

أدب ذي النون عليه السلام :

ومن هذا الأدب العالي: قولُ ذي النون، حين التقمه الحوت، فنادى في الظلمات: ظلمة البحر، وظلمة الليـل، وظلمة بطن الحوت: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

فاكتفى في هذه الآية الموجزة بإثبات ثلاث حقائق:

بإثبات التوحيد، والتنزيه لربه، والاعتراف بالظلم على نفسـه، ولم يسأل النجاة ممَّا هو فيه، أدبًا مع ربه جلَّ وعلا، ولكن الله استجاب له، وإن لم يسأل بلسـانه، وإنَّما سأل بلسـان حاله وفاقته. ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

قال رسول الله ﷺ: «**دعوةُ أخي ذي النُّون، ما دعا بها مكروبٌ إلَّا فرج الله كربته: لا إله إلَّا أنت سبحانَك إنِّي كنتُ من الظالمين**»(١).

(١) رواه أحمد (١٤٦٢)، وقال مخرِّجوه: إسـناده حسـن. والترمذي في الدعوات (٣٥٠٥)، قال: ورواه جماعة عن إبراهيم بن محمد بن سعد عن سـعد فلم يقل فيه عن أبيه. والحاكم في الدعاء (٥٠٥/١)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٨٣)، عن سعد بن أبي وقاص.

QaradawiBooks.com

أدب إبراهيم عليه السلام:

وإبراهيم خليل الرحمن يثني على ربِّه رب العالمين، فيقول: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ۞ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ۞ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨ ـ ٨٠]، أدبًا مع الله تعالى، فنسب إليه الشفاء، ولم ينسب إليه الإمراض، لم يقل: «والذي هو يمرضني ويشفين». كما أنَّه جعل المرض عَرَضًا طارئًا، فعلّقه على الشرط ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ﴾ ولم يجعله أمرًا ثابتًا متجدِّدًا كالهداية والإطعام والسقاية.

وقد تكرَّر في القرآن على ألسنة الأنبياء والمؤمنين نسبة الخير إلى الله تعالى، ونسبة الشر إلى غيره، أو بناء الفعل للمجهول فيما يخص الشر، كما ذكر القرآن عن مؤمني الجن أنهم قالوا: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠].

أدب المسيح عيسى عليه السلام:

ومن أدب النبوة مع الألوهية: أدب عيسى مع ربِّه يوم القيامة، إذا سأله ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِى بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِى نَفۡسِى وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِى نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

ولم يقل: «لم أقل». وإنَّما قال: ﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدًا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧]. فبيّن براءته من كل ما اتهمه به الظالمون، ثم قال: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]. أي: التعذيب والإثابة من شأنك مع عبادك،

QaradawiBooks.com

لا يشاركك أحد في أمرهم، ولا ينازع في شـأنهم، وإن تغفر لهم فأنت تغفر غفران صاحـب العزة والقدرة، وصاحـب الحكمة الذي يضع كل شيء في موضعه.

يقول الإمام ابن القيم في تفسـير الآيات الثلاث من أواخر سـورة المائدة من الكلام بين الله سـبحانه وعيسـى يوم القيامة: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٦ ـ ١١٨]: «وتأمل أحوالَ الرسل صلوات الله وسلامه عليهم مع الله، وخطابَهم وسـؤالَهم، كيف تجدها كلَّها مشحونة بالأدب، قائمة به.

قال المسـيح عليه السلام: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ [المائدة: ١١٦] ولم يقل: «لم أقله». وفرق بين الجوابين في حقيقة الأدب.

ثم أحال الأمر على علمه سبحانه بالحال وسرِّه، فقال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ [المائدة: ١١٦].

ثم برَّأ نفسَه عن علمه بغيب ربِّه، وما يختص به سبحانه، فقال: ﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦].

ثم أثنى على ربِّه، ووصفه بتفرده بعلم الغيوب كلها، فقال: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

QaradawiBooks.com

ثم نفى أن يكون قال لهم غير ما أمره ربه به ـ وهو محض التوحيد ـ فقال: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾ [المائدة: ١١٧].

ثم أخبر عن شهادته عليهم مدَّة مقامه فيهم، وأنَّه بعد وفاته لا اطلاع له عليهم، وأنَّ الله ﷻ وحده هو المنفرد بعد الوفاة بالاطلاع عليهم، فقال: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ [المائدة: ١١٧].

ثم وصفه بأن شهادته سبحانه فوق كل شهادة وأعم، فقال: ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٧].

ثم قال: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٨] وهذا من أبلغ الأدب مع الله في مثل هذا المقام، أي شأن السيد رحمة عبيده، والإحسان إليهم، وهؤلاء عبيدك ليسوا عبيدًا لغيرك، فإذا عذَّبْتهم ـ مع كونهم عبيدك ـ فلولا أنهم عبيد سوء من أبخس العبيد، وأعتاهم على سيدهم، وأعصاهم له؛ لم تعذِّبهم، لأن قربة العبودية تستدعي إحسان السيِّد إلى عبده ورحمته، فلماذا يعذِّب أرحم الراحمين وأجود الأجودين وأعظم المحسنين إحسانًا عبيدَه؟ لولا فرْط عُتُوهم، وإباؤهم عن طاعته، وكمال استحقاقهم للعذاب.

وقد تقدم قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة: ١١٦] أي: هم عبادك، وأنت أعلم بسرِّهم وعلانيتهم، فإذا عذَّبتهم: عذَّبتهم على علم منك بما تُعذِّبهم عليه، فهم عبادك، وأنت أعلم بما جنَوه واكتسبوه. فليس في هذا استعطاف لهم، كما يظنه الجهال، ولا تفويض إلى محض المشيئة والملك المجرَّد عن الحكمة، كما تظنه القدرية، وإنَّما هو إقرار واعتراف وثناء عليه سبحانه بحكمته وعدله، وكمال علمه بحالهم، واستحقاقهم للعذاب.

QaradawiBooks.com

ثم قال: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] ولم يقل: الغفور الرحيم. وهذا من أبلغ الأدب مع الله تعالى، فإنه قاله في وقت غضب الرب عليهم، والأمر بهم إلى النار، فليس هو مقام استعطاف ولا شفاعة، بل مقام براءة منهم. فلو قال: «فإنك أنت الغفور الرحيم» لأشعرَ باستعطافه ربَّه على أعدائه الذين قد اشتدَّ غضبه عليهم، فالمقام مقام موافقة للرب في غضبه على من غضب الرب عليهم، فعدل عن ذكر الصِّفَتين اللتين يسأل بهما عطفه ورحمته ومغفرته إلى ذكر العزة والحكمة، المتضمنتين لكمال القدرة وكمال العلم.

والمعنى: إن غفرت لهم، فمغفرتك تكون عن كمال القدرة والعلم. ليست عن عجْز عن الانتقام منهم، ولا عن خفاء عليك بمقدار جرائمهم، وهذا لأنَّ العبد قد يغفر لغيره لعجزه عن الانتقام منه، ولجهله بمقدار إساءته إليه، والكمال: هو مغفرة القادر العالم، وهو العزيز الحكيم. وكان ذكر هاتين الصفتين في هذا المقام عين الأدب في الخطاب.

نماذج أخرى من أدب الأنبياء والصالحين:

وكذلك قول إبراهيم الخليل ﷺ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨ ـ ٨٠]. ولم يقل: «وإذا أمرضني»، حفظًا للأدب مع الله.

وكذلك قول الخضر عليه السلام في السفينة: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]. ولم يقل: «فأراد ربُّك أن أعيبها». وقال في الغلامين: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢].

وكذلك قول مؤمني الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الجن: ١٠]، ولم يقولوا: أراده بهم ربُّهم. ثم قالوا: ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠].

QaradawiBooks.com

وألطف من هذا قول موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، ولم يقل: أطْعِمْني.

وقول آدم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، ولم يقل: رب قدَّرت عليَّ وقضيت عليَّ.

وقول أيوب عليه السلام: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، ولم يقل: فعافِني واشفني.

وقول يوسف لأبيه وإخوته: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ [يوسف: ١٠٠]، ولم يقل: أخرجني من الجُبِّ؛ حفظًا للأدب مع إخوته، وتفتِّيا عليهم[1] ألَّا يخجلهم بما جرى في الجب، وقال: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ [يوسف: ١٠٠]، ولم يقل: رفع عنكم جَهد الجوع والحاجة. أدبًا معهم، وأضاف ما جرى إلى السبب، ولم يضفه إلى المباشر الذي هو أقرب إليه منه، فقال: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ﴾ [يوسف: ١٠٠]، فأعطى الفُتُوَّة والكرم والأدب حقه. ولهذا لم يكن كمال هذا الخلق إلَّا للرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم».

أدب النبي محمد ﷺ مع ربه:

قال ابن القيم: «وجرت عادة القوم: أن يذكروا في هذا المقام قوله تعالى عن نبيِّه ﷺ، حين أراه ما أراه: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧].

(١) يعني اتصافًا بالفتوة معهم، وهي أحد مقامات الصوفية، يعرفها ابن القيم في المدارج (٣٢٣/٢) بقوله: الإحسان إلى الناس، وكف الأذى عنهم، واحتمال أذاهم، فهي استعمال حسن الخلق معهم.

QaradawiBooks.com

وأبو القاسم القُشَيْري صدَّر «باب الأدب» بهذه الآية، وكذلك غيره، وكأنهم نظروا إلى قول من قال من أهل التفسير: إنَّ هذا وصف لأدبه ﷺ في ذلك المقام، إذ لم يلتفت جانبًا، ولا تجاوز ما رآه، وهذا كمال الأدب. والإخلال به: أن يلتفت الناظر عن يمينه وعن شماله، أو يتطلَّع أمام المنظور. فالالتفات: زيغ، والتطلع إلى ما أمام المنظور: طغيان ومجاوزة. فكمال إقبال الناظر على المنظور: ألَّا يصرف بصره عنه يَمْنة ولا يَسْرة، ولا يتجاوزه. هذا معنى ما حصلته عن شيخ الإسلام ابن تيميَّة قدَّس الله روحه.

وفي هذه الآية أسرار عجيبة، وهي من غوامض الآداب اللائقة بأكمل البشر ﷺ: تواطأ هناك بصره وبصيرته، وتوافقا وتصادقا فيما شاهده بصره، فالبصيرة مواطئة له، وما شاهدته بصيرته فهو أيضًا حق مشهود بالبصر؛ فتواطأ في حقه مشهد البصر والبصيرة.

ولهذا قال سبحانه: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۞ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ [النجم: ١١، ١٢]. أي: ما كذب الفؤادُ ما رآه ببصره.

ولهذا قرأها أبو جعفر: ﴿مَا كَذَّبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ ـ بتشديد الذال ـ أي لم يكذب الفؤاد البصر، بل صدقه وواطأه، لصحة الفؤاد والبصر، أو استقامة البصيرة والبصر، وكونِ المرئي المشاهد بالبصر والبصيرة حقًّا.

وقرأ الجمهور: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ﴾ أي: بالتخفيف. وهو متعدٍّ، و«ما» ﴿مَا رَأَىٰٓ﴾ مفعوله: أي ما كذَّب قلبه ما رأته عيناه، بل واطأه ووافقه؛ فلِمواطأة قلبه لقالبه، وظاهره لباطنه، وبصره لبصيرته: لم يكذب الفؤادُ البصرَ، ولم يتجاوز البصر حدَّه فيطغى؛ ولم يمِلْ عن المرئي فيزيغ؛ بل اعتدل البصر نحو المرئي. ما جاوزه ولا مال عنه، كما اعتدل القلب في

QaradawiBooks.com

الإقبـــال على الله، والإعراض عمَّا ســـواه، فإنـــه أقبل علـــى الله بكُلِّيَّته. وللقلب: زيْغ وطغيـــان، وكلاهما منْتفٍ عن قلبه وبصـــره، فلم يزغ قلبه التفاتًا عن الله إلى غيره، ولم يطغ بمجاوزته مقامه الذي أقيم فيه.

وهذا غاية الكمال والأدب مع الله، الذي لا يلحقه فيه ســـواه، فإنَّ عادة النفوس، إذا أقيمت في مقام عال رفيع: أن تتطلع إلى ما هو أعلى منه وفوقه.

ألا ترى أن موســـى عليه السلام لمَّا أقيم في مقام التكليم والمناجاة: طلبت نفسُـــه الرؤية؟ ونبيُّنا ﷺ لما أقيم في ذلك المقام، وفَّاه حقه: فلم يلتفت بصرُه ولا قلبُه إلى غير ما أقيم فيه البتة، ولأجل هذا ما عاقه عائق، ولا وقف به مراد، حتى جاوز السماوات السبع، حتى عاتبَ موسى ربَّه فيه، وقال: يقول بنو إســـرائيل: إنِّي كريم الخلق علـــى الله. وهذا قد جاوزني وخلَّفني علوًّا، فلو أنَّه وحده! ولكن معه كل أمته[1].

وفي رواية للبخاري: «**فلما جاوزتُه بكى، قيل: ما يبكيك؟ قال: أبكي أنَّ غلامًا بُعث بعدي يدخل الجنة من أمَّته أكثر ممَّن يدخلها من أمَّتي**»[2]. ثم جاوزه عُلُوًّا فلم تُعِقْه إرادة، ولم تقف به دون كمال العبوديَّة هِمّة.

ولهذا كان مركوبه في مَسْراه يســـبق خطوُه الطَرْف، فيضع قدمه عند منتهى طرْفه، مشـــاكلًا لحال راكبه، وبُعْد شأوه، الذي سبق العالم أجمع

(١) رواه البزار (٩٥١٨) بلفظ: «يزعم بنو إســـرائيل أنِّي أفضل الخلق، وهذا قد خلفني، فلو أنَّه وحده ولكن معه كل أُمَّته». قال الهيثمي في مجمـــع الزوائد (٢٣٥): رجاله موثقون، إلَّا أنَّ الربيع بن أنس قال: عن أبي العالية أو غيره؛ فتابعيُّه مجهول. عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٠٧)، ومسلم في الإيمان (١٦٤)، عن مالك بن صعصعة.

QaradawiBooks.com

في سيْره، فكان قَدَمُ البُراق لا يختلف عن موضع نظره، كما كان قدمُه ﷺ لا يتأخر عن محل معرفته.

فلم يزل ﷺ في خِفارة كمال أدبه مع الله سبحانه، وتكميل مراتب عبوديَّته له، حتى خرق حُجب السماوات، وجاوز السبع الطباق، وجاوز سدرة المنتهى، ووصل إلى محل من القرب سبق به الأولين والآخرين. فانصبّت إليه هناك أقسام القُرب انصبابًا، وانقشعت عنه سحائب الحُجُب ظاهرًا وباطنًا حجابًا حجابًا، وأقيم مقامًا غَبَطه به الأنبياء والمرسلون، فإذا كان في المعاد أقيم مقامًا من القُرب ثانيًا، يغبطه به الأولون والآخرون، واستقام هناك على صراط مستقيم، من كمال أدبه مع الله ما زاغ البصر عنه وما طغى. فأقامه في هذا العالم على أقوم صراط من الحق والهدى، وأقسم بكلامه على ذلك في الذكر الحكيم، فقال تعالى: ﴿يسٓ ۞ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۞ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۞ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [يسٓ: ١ ـ ٤]، فإذا كان يوم المعاد أقامه على الصِّراط، يسأله السلامة لأتباعه وأهل سنَّته، حتى يجوزوه إلى جنات النعيم: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١]»[1].

من أدب المؤمنين في الدعاء:

من أدب المؤمنين مع الله ما حكاه القرآن عن الربَّانيين الذين قتل منهم من قتل في سبيل الله، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا. ﴿وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

(١) مدارج السالكين (٢/٣٥٨ ـ ٣٦٣).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فكان من أدبهم أن قدّموا اعترافهم لربِّهم بذنوبهم، وإسرافهم في أمرهم، طالبين المغفرة من مولاهم، ثم سألوا ربَّهم بعد ذلك التثبيتَ والنصر، أي إنَّهم اتَّهموا أنفسهم أولًا بالتقصير، بدل أن يتَّهموا الأقدار بالتخلِّي عنهم.

نماذج من أدب المسلم مع ربه في العبادات:

وممَّا ينبغي أن ننوه به في هذا المقام ما ذكره الإمام ابن القيم في «المدارج» من كلام له أهمية بالغة، فقد قال في بيان منازل السائرين عند شرح «مقام الأدب»: «ومن هذا أمر النبي ﷺ الرجل: أن يستر عورته، وإن كان خاليًا لا يراه أحد[1]، أدبًا مع الله، على حسب القرب منه، وتعظيمه وإجلاله، وشدة الحياء منه، ومعرفة وقاره.

فإن ستر العورة من الأدب، والوضوء وغسل الجنابة من الأدب، والتطهُّر من الخبث من الأدب، حتى يقف بين يدي الله طاهرًا. ولهذا كانوا يستحبُّون أن يتجمَّل الرجل في صلاته، للوقوف بين يدي ربه.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: أمر الله بقدر زائد على ستر العورة في الصلاة، وهو أخذ الزينة، فقال تعالى: ﴿**خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ**﴾ [الأعراف: ٣١]، فعلَّق الأمر بأخذ الزينة، لا بستر العورة، إيذانًا بأنَّ العبد ينبغي له: أن يلبس أزين ثيابه، وأجملها في الصلاة.

---

(١) إشارة إلى حديث معاوية بن حيدة قال: قلت: يا رسول الله، عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال: «**احفظ عورتك إلَّا من زوجتك**». قال: **قلت: يا رسول الله، إذا كان أحدنا خاليا؟ قال:** «**الله أحقُّ أن يُستحيا منه من الناس**». رواه أحمد (٢٠٠٣٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الحمام (٤٠١٧)، والترمذي في الأدب (٢٧٩٤)، وحسَّنه، وابن ماجه في النكاح (١٩٢٠).

QaradawiBooks.com

وكان لبعض السلف حُلَّة بمبلغ عظيم من المال، وكان يلبسها وقت الصلاة، ويقول: ربي أحقُّ من تجمَّلت له في صلاتي.

ومعلوم: أنَّ الله ﷻ يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، لا سيما إذا وقف بين يديه، فأحسن ما وقف بين يديه: بملابسه ونعمته التي ألبسه إياها ظاهرًا وباطنًا.

أدب المسلم في صلاته:

ومن الأدب: نهيُ النبي ﷺ المصليَ أن يرفع بصره إلى السماء[١].

فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدَّس الله روحه يقول: هذا من كمال أدب الصلاة: أن يقف العبد بين يدي ربه مُطرقًا، خافضًا طرْفه إلى الأرض، ولا يرفع بصره إلى فوق... إذ من الأدب مع الملوك: أنَّ الواقف بين أيديهم يطرق إلى الأرض، ولا يرفع بصره إليهم، فما الظن بملك الملوك سبحانه؟

وسمعته يقول في نهيه ﷺ عن قراءة القرآن في الركوع والسجود[٢]: إنَّ القرآن هو أشرف الكلام، وهو كلام الله، وحالتا الركوع والسجود حالتا ذل وانخفاض من العبد؛ فمن الأدب مع كلام الله: ألَّا يقرأ في هاتين الحالتين، ويكون حال القيام والانتصاب أولى به.

---

(١) إشارة إلى حديث: «**لينتهين أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة، أو لا ترجع إليهم**». رواه مسلم في الصلاة (٤٢٨)، وأحمد (٢١٠٤٢)، وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٠٤٥)، عن جابر بن سمرة.

(٢) إشارة إلى حديث: نهاني رسول الله ﷺ أن أقرأ راكعا أو ساجدا. رواه مسلم في الصلاة (٤٨٠)، والنسائي في التطبيق (١١١٩)، عن علي بن أبي طالب.

QaradawiBooks.com

ألَّا يستقبل بيت الله ولا يستدبره عند قضاء الحاجة:

ومن الأدب مع الله: ألا يستقبل بيتَه ولا يستدبره عند قضاء الحاجة، كما ثبت عن النبي ﷺ في حديث أبي أيوب[١] وسلمان[٢] وأبي هريرة[٣]، وغيرهم رضي الله عنهم، والصحيح: أن هذا الأدب: يعمُّ الفضاء والبنيان. كما ذكرنا في غير هذا الموضع.

وضع اليمنى على اليسرى عند القراءة:

ومن الأدب مع الله، في الوقوف بين يديه في الصلاة: وضع اليمنى على اليسرى، حال قيام القراءة، ففي الموطأ لمالك، عن سهل بن سعد: أنَّه من السُّنَّة، وكان الناس يؤمرون به[٤]، ولا ريب أنَّه من أدب الوقوف بين يدي الملوك والعظماء، فعظيم العظماء أحقُّ به.

أدب المصلي في حال قيامه:

ومنها: السكون في الصلاة. وهو الدوام الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣]. قال عبد الله بن المبارك، عن ابن لَهِيعَة، حدَّثني يزيد بن أبي حبيب، أنَّ أبا الخير أخبره قال: سألنا عقبة بن عامر عن قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ﴾: أهم الذين يصلون دائمًا؟ قال: لا، ولكنَّه إذا صلَّى لم يلتفت عن يمينه، ولا عن شماله، ولا خلفه[٥].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الوضوء (١٤٤)، ومسلم في الطهارة (٢٦٤).

(٢) رواه مسلم في الطهارة (٢٦٢)، وأحمد (٢٣٧١٣)، وأبو داود في الطهارة (٧).

(٣) رواه مسلم في الطهارة (٢٦٤)، وأحمد (٧٣٦٨)، وأبو داود في الطهارة (٨).

(٤) موطأ مالك (٥٤٦)، تحقيق: الأعظمي.

(٥) رواه ابن المبارك في الزهد (١١٨٩)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٦٧).

QaradawiBooks.com

قلت: هما أمران: الـــدوام عليهـــا، والمداومة عليها. فهـــذا الدوام. والمداومة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩]. وفسَّر الدوام بسكون الأطراف والطمأنينة.

وأدبه في استماع القراءة: أن يُلقِي السمع وهو شهيد.

أدب المصلي في ركوعه:

وأدبه في الركوع: أن يســـتوي، ويُعظِّم الله تعالى، حتى لا يكون في قلبه شـــيء أعظم منه، ويتضاءل ويتصاغر في نفسه، حتى يكون أقل من الهباء.

والمقصود: أنَّ الأدب مع الله تبارك وتعالى: هو القيام بدينه، والتأدب بآدابه ظاهرًا وباطنًا.

ولا يستقيم لأحد قط الأدبُ مع الله إلَّا بثلاثة أشياء: معرفته بأسمائه وصفاته، ومعرفته بدينه وشـــرعه، وما يحب وما يكره، ونفس مســـتعدة قابلة لينة متهيِّئة لقبول الحق علمًا وعملًا وحالًا. والله المستعان»[1].

* * *

(١) مدارج السالكين (٢/٣٥٨ ـ ٣٦٥) بتصرف.

QaradawiBooks.com

٦

شمولية العبادة وعلاقتها بالأدب مع الله

إن ممَّا يعين المسلم على أن يكون حسن الأدب في تعامله مع ربه، أن يصحح مفهوم العبودية لله، فالعبودية لله تشمل الحياة كلها، وتشمل الدين كله، وأن يعلم لله في شأنه كله وفي أمور حياته كلها: أوامر ونواهي ومحبوبات ومكروهات، فمن الأدب مع الله أن يحرص على طاعة الله فيما أمر وأحب، وأن يجتنب ما نهى عنه وكره.

وأود أن أقتبس هنا من ثاني كتاب ألفتُه في بداية توجُّهي إلى التأليف بعد كتاب «الحلال والحرام في الإسلام» الذي ألفته بتكليف من الدكتور محمد البهي المدير العام لإدارة الثقافة الإسلاميَّة بالأزهر الشريف، وهو كتاب «العبادة في الإسلام» فقد قلت في أحد فصوله:

وإذا عرفنا أنَّ الدين كله عبادة كما قال الإمام ابن تيمية، وعرفنا أنَّ الدين قد جاء يرسم للإنسان منهج حياته، الظاهرة والباطنة، ويحدد سلوكه وعلاقاته، وفقًا لما يهدي إليه هذا المنهج الإلٰهي، عرفنا أن عبادة الله تَسع الحياةَ كلها، وتنتظم أمورها قاطبة: من أدب الأكل والشرب، وقضاء الحاجة، إلى بناء الدولة، وسياسة الحكم، وسياسة المال، وشؤون المعاملات والعقوبات، وأصول العلاقات الدولية في السلم والحرب.

QaradawiBooks.com

ولهذا نجد كتاب الله الكريم يخاطب عباده المؤمنين بأوامر تكليفيَّة وأحكام شرعيَّة، تتناول جوانب شتَّى من الحياة، وفي سورة واحدة هي سورة البقرة نجد مجموعة من التكاليف كلها جاءت بصيغة واحدة: «كُتِبَ عليكم».

ولنقرأ هذه الآيات الكريمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى ﴾ [البقرة: ١٧٨]، ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾ [البقرة: ١٨٠].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

فهذه الأمور كلها من القصاص، والوصية، والصيام، والقتال، مكتوبة من الله على عباده، أي مفروضة عليهم، فعليهم أن يعبدوا الله بالتزامها والانقياد لها.

وبهذا البيان يتَّضح لنا حقيقة هامة ما زال يجهلها كثير من المسلمين، فبعض الناس لا يفهم من كلمة «العبادة» إذا ذكرت إلَّا الصلاة والصيام والصدقة والحج والعمرة، ونحو ذلك من الأدعية والأذكار، ولا يحسب أنَّ لها علاقة بالأخلاق والآداب، أو النظم والقوانين، أو العادات والتقاليد.

إنَّ عبادة الله ليست محصورة ـ إذن ـ في الصلاة والصيام والحج وما يلحق بها من التلاوة والذكر والدعاء والاستغفار، كما يتبادر إلى فهم كثير من المسلمين إذا دُعوا إلى عبادة الله، وكما يحسب كثير من

QaradawiBooks.com

المتديِّنين أنهم إذا قاموا بهذه الشعائر فقد وفَّوا الإلٰهية حقَّها، وقاموا بواجب العبودية لله كاملًا.

إن هذه الشعائر العظيمة والأركان الأساسية في بناء الإسلام ـ على منزلتها وأهميتها ـ إنَّما هي جزء من العبادة لله، وليست هي كل العبادة التي يريدها الله من عباده.

والحق أن دائرة العبادة التي خلق الله لها الإنسان، وجعلها غايته في الحياة، ومهمته في الأرض؛ دائرة رحبة واسعة، إنَّها تشمل شؤون الإنسان كلها، وتستوعب حياته جميعًا.

العبادة انقياد لمنهج الله وشرعه:

إنَّ مقتضى عبادة الإنسان لله وحده: أن يُخضع أموره كلها لما يحبه تعالى ويرضاه، من الاعتقادات والأقوال والأعمال، وأن يكيِّف حياته وسلوكه وفْقًا لهداية الله وشرعه، فإذا أمره الله تعالى أو نهاه، أو أحلَّ له أو حرَّم عليه؛ كان موقفه في ذلك كله: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ففرق ما بين المؤمن وغيره: أنَّ المؤمن خرج من العبوديَّة لنفسه وللمخلوقين إلى العبوديَّة لربِّه، خرج من طاعة هواه إلى طاعة الله، ليس المؤمن «سائبًا» يفعل ما تهوى نفسه أو يهوى له غيره من الخلق، إنَّما هو «ملتزم» بعهد يجب أن يفي به، وميثاق يجب أن يحترمه، ومنهج يجب أن يتَّبعه، وهذا التزام منطقي ناشئ من طبيعة عقد الإيمان ومقتضاه.

مقتضى عقد الإيمان: أن يُسْلم زمام حياته إلى الله، ليقودَها رسوله الصادق، ويهديه الوحي المعصوم.

QaradawiBooks.com

مقتضى عقد الإيمان: أن يقول الرب: أمـرتُ ونهيتُ، ويقول العبد: سمعتُ وأطعت.

مقتضى عقـد الإيمان: أن يخرج الإنسـان من الخضـوع لهواه إلى الخضوع لشرع مولاه.

وفي هذا يقول القرآن الكريـم: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ويقول: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

ليس بعابد لله ـ إذن ـ من قال: أصلِّي وأصوم وأحج، ولكنِّي حُرٌّ في أكل لحم الخنزير، أو شرب الخمر، أو أكل الربا، أو رفض ما لا يروقني من أحكام الشريعة، فأحكم فيه بغير ما أنزل الله!

ليس بعابد لله من أدَّى الشـعائر، ولكنَّه لم يخضع لآداب الإسـلام وتقاليده في نفسه أو أهله، كالرجل الذي يلبس الحرير الخالص، ويتحلى بالذهب، ويتشبَّه بالنساء، والمرأة التي تلبس ما يبرز مفاتنها، ولا يغطِّي جسدها، ولا تضرب بخمارها على جيبها.

ليس بعابد لله من ظن أن عبوديَّته لله لا تعدو جدران المسـجد، فإذا انطلق في ميادين الحياة المتشعبة، فهو عبد نفسه فقط، وبعبارة أخرى: هو حُـر في اتباع هواهـا، أو اتباع أهواء عبيد أنفسـهم من المخلوقين!

QaradawiBooks.com

من اتبع غير منهج الله فقد أشرك في عبادته:

إن من العبادة التي يغفلها كثير من الناس: الخضوع لشرع الله، والانقياد لأحكامه التي أحل بها الحلال، وحرم الحرام، وفرض الفرائض، وحدَّ الحدود.

فمن أدَّى الشعائر وصلى وصام وحجَّ واعتمر، ولكنَّه رضي أن يحتكم في شؤون حياته وأسرته الخاصَّة والعامَّة، أو في شؤون المجتمع والدولة، إلى غير شرع الله وحكمه، فقد عبدَ غير الله، وأعطى غيره ما هو خالص حقه سبحانه.

إنَّ الله وحده هو المشرِّع الحاكم لخلقه؛ لأنَّ الكون كله مملكته، والناس جميعًا عباده، وهو وحده الذي له أن يأمر أو ينهى، وأن يقول: هذا حلال، وهذا حرام، بمقتضى ربوبيَّته وملكه وألوهيَّته للناس، فهو ربُّ الناس، ملك الناس، إلٰه الناس.

فمن ادَّعى من الخلق أن له أن يشرع ما شاء، أمرًا ونهيًا وتحليلًا وتحريمًا، بدون إذن من الله، فقد تجاوز حدَّه، وعدا طَوره، وجعل نفسه ربًّا أو إلٰهًا من حيث يدري أو لا يدري!

ومَنْ أقرَّ له بهذا الحق وانقاد لتشريعه ونظامه، وخضع لمذهبه وقانونه، وأحلَّ حلاله وحرَّم حرامه؛ فقد اتَّخذه ربًّا، وعبده مع الله، أو من دون الله، ودخل في زُمرة المشركين من حيث يشعر أو لا يشعر!

إنَّ القرآن الكريم دَمَغ أهل الكتاب بالشِّرك، ورماهم بأنَّهم عبدوا أحبارهم ورهبانهم، واتَّخذوهم أربابًا من دون الله، وذلك حين أطاعوهم واتَّبعوهم فيما شرعوا لهم ممَّا لم يأذن به الله.

QaradawiBooks.com

قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].

وقد فسّر هذه الآية أعلم الناس بمراد ربه ـ ﷻ ـ من كلامه، وهو الرسول الذي لا ينطق عن الهوى، والذي أوحى الله إليه هذا القرآن ليبينه للناس ولعلهم يتفكرون، فلنُصغ إلى التفسير النبوي الكريم لهذه الآية الكريمة.

روى الترمذي وابن جرير ـ من طرق ـ عن عدي بن حاتم رضي الله عنه، أنَّه لما بلغته دعوة رسول الله ﷺ، فرَّ إلى الشام، وكان قد تنصَّر في الجاهلية، فأُسِرت أخته وجماعة من قومه، ثم مَنَّ رسولُ الله ﷺ على أخته وأعطاها، فرجعت إلى أخيها، فرغَّبته في الإسلام، وفي القدوم على رسول الله ﷺ، فقدم عدي إلى المدينة. وكان رئيسًا في قومه وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم، فتحدث الناس بقدومه، فدخل على رسول الله ﷺ وفي عنق عدي صليب من فضة، وهو يقرأ هذه الآية: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١] قال: إنَّهم لم يعبدوهم! فقال: «**بلى، إنَّهم حرّموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام، فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم**»[(١)].

(١) رواه الترمذي في التفسير (٣٠٩٥)، وقال: حديث غريب. وابن جرير في تفسيره (٢١٠/١٤)، والطبراني (٩٢/١٧)، والبيهقي في آداب القاضي (١١٦/١٠)، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (٣٢٩٣).

QaradawiBooks.com

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: وهكذا قال حذيفة بن اليمان[١]، وعبد الله بن عباس[٢]، وغيرهما في تفسير ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: إنَّهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا.

وقال السدي: استنصحوا الرجال، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم.

قال: ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا﴾ أي الذي إذا حرّم الشيء فهو حرام، وما حلله فهو الحلال، وما شرعه اتُّبِع، وما حكم به نفذ ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[٣].

شمول العبادة لكيان الإنسان كله:

هذا هو المظهر الثاني لشمول العبادة في الإسلام.

فكما شملت العبادة في الإسلام الحياة كلها، استوعبت كذلك كيان الإنسان كله.

فالمسلم يعبد الله بالفكر، ويعبد الله بالقلب، ويعبد الله باللسان، ويعبد الله بالسمع والبصر وسائر الحواس، ويعبد الله ببدنه كله، ويعبد الله ببذل المال، ويعبده ببذل النفس، ويعبده بمفارقة الأهل والوطن.

المسلم يتعبَّد الله بالفكر، عن طريق التأمُّل في النفس والآفاق، والتفكر في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء، والتدبُّر لآيات الله المنزلة وما فيها من هدى وحكمة، والنظر في مصاير الأمم

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٢١٣/١٤).

(٢) المصدر السابق (٢١٢/١٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٣٥/٤)، تحقيق: سامي محمد سلامة، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

وأحداث التاريخ وما فيها من عظة وعبرة، فهذا كله ممَّا يتقرَّب به المسلم إلى الله الذي أنزل كتابه إلى الناس؛ ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [صٓ: ٢٩]، ودعاهم في محكم كتابه إلى إعمال العقل نظرًا وتفكرًا وتعلمًا ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ۝ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١].

﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

وقد ورد عن ابن عباس: تفكر ساعة خير من قيام ليلة[(١)].

وقال الرسول ﷺ: «**من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سهَّل الله له طريقًا إلى الجنة**»[(٢)].

وقال الشافعي رضي الله عنه: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة[(٣)]. ونصَّ على ذلك أبو حنيفة رضي الله عنه.

وقال وهب: كنت بين يدي مالك رضي الله عنه، فوضعت ألواحي، وقمت أصلي، فقال: ما الذي قمت إليه بأفضل من الذي قمت عنه[(٤)].

ويتعبَّد المسلم لله بالقلب، عن طريق العواطف الربَّانيَّة والمشاعر الروحيَّة، مثل: حب الله وخشيته، والرجاء في رحمته والخوف من عقابه، والرضا بقضائه، والصبر على بلائه، والشكر لنعمائه، والحياء منه، والتوكل عليه، والإخلاص له. قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ

(١) رواه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (٤٢).

(٢) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩٩)، وأحمد (٧٤٢٧)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١١٩/٩).

(٤) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١١٦)، وانظر: مدارج السالكين (٤٤٠/٢).

QaradawiBooks.com

لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة: ٥]، ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

ويتعبَّد المسلم لله باللسان، عن طريق الذكر والتلاوة والدعاء والتسبيح والتهليل والتكبير، جاء في القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۞ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٤١ ـ ٤٢]، ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وقال ﷺ: «**اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه**»(١). وقال رجل للنبي ﷺ: إن شرائع الإسلام قد كثرت عليَّ، فمُرني بأمر أتشبَّث به. فقال: «**لا يزال لسانُك رطبًا من ذكر الله**»(٢).

والذكر نوعان: ذكر ثناء مثل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إلٰه إلَّا الله، والله أكبر.

وذكر دعاء مثل: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وقد جاء من النوعين عن النبي ﷺ أدعية وأذكار كثيرة، في مختلف المناسبات والأوقات، تجعل المسلم موصولَ القلب بربه، ورطْب اللسان بذكره تعالى: عند النوم واليقظة، وعند الإصباح والإمْساء، وعند الأكل والشرب، وعند السفر والأوبة، عند لبس الثوب، وركوب الدابَّة، وهبَّة الريح ونزول المطر.. وفي كل حال وكل حين، وقد ألّف العلماء في ذلك كتبًا شتى.

---

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٨٠٤)، وأحمد (٢٢١٤٦)، عن أبي أمامة الباهلي.

(٢) رواه أحمد (١٧٦٨٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في الدعوات (٣٣٧٥)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه في الأدب (٣٧٩٣)، والحاكم في الدعاء (٤٩٥/١)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، عن عبد الله بن بسر.

QaradawiBooks.com

والذكر المحمود هو ما اجتمع فيه القلب واللسان، ولا خير في ذكر اللسان إذا كان القلب ناسيًا غافلًا.

مراتب العبوديَّة الخمسون موزَّعة على القلب والبدن:

وقد قرأت لابن القيم رضي الله عنه تفصيلًا حسنًا في مراتب العبودية لله، وحظ القلب واللسان والجوارح والحواس كلها من هذه العبوديَّة الشاملة، رأيت أن أنقله هنا ـ ببعض تصرف ـ من كتابه القيم النافع «مدارج السالكين، شرح منازل السائرين إلى مقامات إيَّاك نعبد وإياك نستعين» قال:

«ورحى العبودية تدور على خمس عشرة قاعدة، من كمَّلها كمَّل مراتب العبوديَّة.

وبيانها: أنَّ العبوديَّة منقسمة على القلب واللسان والجوارح، وعلى كل منها عبوديَّة تخصُّه.

والأحكام التي للعبوديَّة خمسة: واجب، ومستحب، وحرام، ومكروه، ومباح. وهي لكل واحد من القلب واللسان والجوارح.

حظ القلب من العبوديَّة لله:

فواجب القلب: منه متفق على وجوبه، ومختلف فيه؛ فالمتفق على وجوبه: كالإخلاص، والتوكل، والمحبة، والصبر، والإنابة، والرجاء، والخوف، والتصديق الجازم، والنيَّة في العبادات. وهذه قدر زائد على الإخلاص، فإنَّ الإخلاص هو: إفراد المعبود عن غيره.

ونية العبادة لها مرتبتان:

QaradawiBooks.com

إحداهما: تمييز العبادة عن العادة.

والثانية: تمييز مراتب العبادات بعضها عن بعض.

والأقسام الثلاثة واجبة.

وكذلك الصبر واجب باتفاق الأُمَّة، قال الإمام أحمد: ذكر الله الصبر في تسعين موضعًا من القرآن، أو بضع وتسعين، وله طرفان أيضًا: واجب مستحق، وكمال مستحب.

وأمَّا المختلَف فيه: فكالرضا، فإن في وجوبه قولين للفقهاء والصوفية.

ومن هذا أيضًا اختلافهم في الخشوع في الصلاة، وفيه قولان للفقهاء، وهما في مذهب أحمد وغيره.

وعلى القولين، اختلافهم في وجوب الإعادة على من غلب عليه الوسواس في صلاته، فأوجبها ابن حامد من أصحاب أحمد[١]، وأبو حامد الغزالي في «إحيائه»[٢]، ولم يوجبها أكثر الفقهاء.

والمقصود أن يكون مَلِك الأعضاء ـ وهو القلب ـ قائمًا بعبوديَّته لله سبحانه هو ورعيته.

وأمَّا المحرَّمات التي عليه: فالكبْر، والرياء، والعُجْب، والحسد، والغفلة، والنفاق. وهو نوعان: كفر ومعصية.

---

(١) انظر: الإنصاف للمرداوي (٦٧٥/٣)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ود. عبد الفتاح محمد الحلو، نشر دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

(٢) إحياء علوم الدين (١٥٩/١، ١٦٠).

QaradawiBooks.com

فالكفر: كالشك، والنفاق، والشرك وتوابعها.

والمعصية نوعان: كبائر، وصغائر.

فالكبائر: كالرياء، والعُجْب، والكِبْر، والفخر، والخيلاء، والقنوط من رحمة الله، واليأس من رَوح الله، والأمن من مكر الله، والفرح والسرور بأذى المسلمين، والشماتة بمصيبتهم، ومحبة أن تشيع الفاحشة فيهم، وحسدهم على ما آتاهم الله من فضله، وتمنِّي زوال ذلك عنهم، وتوابع هذه الأمور التي هي أشد تحريمًا من الزنى، وشرب الخمر وغيرهما من الكبائر الظاهرة، ولا صلاح للقلب ولا للجسد إلَّا باجتنابها والتوبة منها، وإلا فهو قلب فاسد، وإذا فسد القلب فسد البدن.

وهذه الآفات إنَّما تنشأ من الجهل بعبوديَّة القلب، وترك القيام بها، فوظيفة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على القلب قبل الجوارح، فإذا جهلها وترك القيام بها امتلأ بأضدادها ولا بد، وبحسب قيامه بها يتخلص من أضدادها.

وهذه الأمور ونحوها قد تكون صغائر في حقه، وقد تكون كبائر، بحسب قوتها وغلظها، وخفتها ودقتها.

ومن الصغائر أيضًا: شهوة المحرَّمات وتمنيها. وتتفاوت درجات الشهوة في الكبر والصغر، بحسب تفاوت درجات المشتهى. فشهوة الكفر والشرك: كفر. وشهوة البدعة: فسق، وشهوة الكبائر: معصية. فإن تركها لله مع قدرته عليها أثيب، وإن تركها عجزًا بعد بذله مقدوره في تحصيلها: استحق عقوبة الفاعل، لتنزله منزلته في أحكام الثواب والعقاب، وإن لم يُنَزَّل منزلته في أحكام الشرع. ولهذا قال النبي ﷺ: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتلُ والمقتولُ في النار**». قالوا: هذا

QaradawiBooks.com

القاتل يا رسـول الله، فما بال المقتول؟ قال: «**إنَّه كان حريصًا على قتل صاحبه**»[١]. فنزَّله منزلة القاتل، لحِرصه على قتل صاحبه، وله نظائر كثيرة في الثواب والعقاب، وقد عُلم بهذا مستحبُّ القلب ومباحه.

حظُّ اللسان من العبوديَّة لله:

وأمَّا عبوديات اللسـان الخمس فواجبها: النطق بالشهادتين، وتلاوة ما يلزمه تلاوته من القرآن، وهو ما تتوقـف عليه صحَّة صلاته، وتلفظه بالأذكار الواجبة في الصلاة، التي أمر الله بها ورسوله، كما أُمر بالتسبيح في الركوع والسجود، وأمر بقول: «**ربَّنا ولك الحمد**» بعد الاعتدال، وأُمر بالتشهُّد، وأمر بالتكبير.

ومن واجبه: رد السلام، وفي ابتدائه قولان.

ومن واجبه: الأمر بالمعروف والنهي عـن المنكر، وتعليم الجاهل، وإرشاد الضالِّ، وأداء الشهادة المتعيِّنة، وصدق الحديث.

وأمَّا مسـتحبُّه: فتلاوة القرآن، ودوام ذكـر الله، والمذاكرة في العلم النافع، وتوابع ذلك.

ويحرم عليه اسـتماع الكفـر والبدع، إلَّا حيث يكون في اسـتماعه مصلحة راجحة، من ردِّه، أو الشـهادة على قائلـه، أو زيادة قوة الإيمان والسُّنَّة بمعرفة ضدهما من الكفر والبدعة.. ونحو ذلك، وكاستماع أسرار من يهرب عنك بسـرِّه، ولا يحب أن يطلعك عليه، ما لم يكن متضمنًا لحقٍّ لله يجب القيام به، أو لأذى مسلم يتعيَّن نصحه، وتحذيره منه.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٣١)، ومسلم في الفتن (٢٨٨٨)، عن أبي بكرة.

QaradawiBooks.com

وكذلك استماع أصوات النساء الأجانب التي تُخشى الفتنة بأصواتهن، إذا لم تدع إليه حاجة: من شهادة، أو معاملة، أو استفتاء، أو محاكمة، أو مداواة ونحوها.

وأمَّا السمع المستحب: فكاستماع المستحب من العلم، وقراءة القرآن، وذكر الله، واستماع كل ما يحبه الله وليس بفرض.

والمكروه: عكسه، وهو استماع كل ما يكره ولا يعاقب عليه.

والمباح: ظاهر.

حظ النظر:

وأمَّا النظر الواجب: فالنظر في المصحف، وكتب العلم عند تعيُّن تعلُّم الواجب منها، والنظر إذا تعيَّن لتمييز الحلال من الحرام في الأعيان التي يأكلها أو ينفقها أو يستمتع بها، والأمانات التي يؤدِّيها إلى أربابها ليميِّز بينها، ونحو ذلك.

والنظر الحرام: النظر إلى الأجنبيَّات بشهوة مطلقًا وبغيرها، إلَّا لحاجة؛ كنظر الخاطب، والمستام، والمعامِل، والشاهد، والحاكم، والطبيب، وذي المحرم.

والمستحب: النظر في كتب العلم والدين التي يزداد بها الرجل إيمانًا وعلمًا، والنظر في المصحف، ووجوه العلماء الصالحين والوالدين، والنظر في آيات الله المشهودة، ليستدل بها على توحيده ومعرفته وحكمته.

والمكروه: فضول النظر الذي لا مصلحة فيه، فإن له فضولًا كما للسان فضولًا، وكم قاد فضولها إلى فضولٍ عزَّ التخلصُ منها، وأعيا

QaradawiBooks.com

دواؤها. وقال بعض السلف: كانوا يكرهون فضول النظر، كما يكرهون فضول الكلام.

والمباح: النظر الذي لا مضرَّة فيه في العاجل والآجل، ولا منفعة.

ومن النظر الحرام: النظر إلى العورات، وهي قسمان:

عورة وراء الثياب، وعورة وراء الأبواب.

ولو نظر في العورة التي وراء الأبواب، فرماه صاحب العورة، ففقأ عينه، لم يكن عليه شيء، وذهبت هَدَرًا، بنص رسول الله ﷺ في الحديث المتفق على صحته[1]، وإنْ ضعَّفه بعض الفقهاء، لكونه لم يبلغه النص، أو تأوله.

وهذا إذا لم يكن للناظر سبب يباح النظر لأجله، كعورة له هناك ينظرها، أو ريبة هو مأمور، أو مأذون له في الاطلاع عليها.

حاسة الذوق وحظها من العبودية لله:

وأمَّا الذوق الواجب: فتناول الطعام والشراب عند الاضطرار إليه وخوف الموت. فإن تركه حتى مات، مات عاصيًا قاتلًا لنفسه.

قال الإمام أحمد وطاوس: من اضطر إلى أكل الميتة، فلم يأكل حتى مات، دخل النار[2].

---

(١) إشارة إلى الحديث المتفق عليه: اطلع رجل من جحر في حجر النبي ﷺ، ومع النبي ﷺ مِدْرى يحكُّ به رأسه، فقال: «**لو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينك، إنَّما جعل الاستئذان من أجل البصر**». رواه البخاري في الاستئذان (٦٢٤١)، ومسلم في الآداب (٢١٥٦)، عن سهل بن سعد الساعدي.

(٢) انظر: الاستذكار لابن عبد البر (٣٠٧/٥)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

ومن هذا: تناول الـــدواء إذا تيقَّن النجاة به مـــن الهلاك، على أصحِّ القولين. وإن ظن الشـــفاء به، فهل هو مستحب مباح، أو الأفضل تركه؟ فيه نزاع معروف بين السلف والخلف.

والذوق الحرام: كذوق الخمر، والسموم القاتلة، والذوق الممنوع منه للصوم الواجب.

وأمَّا المكروه: فكذوق المشتبِهات، والأكل فوق الحاجة، وذَوق طعام الفجاءة، وهو الطعام الذي تفجأ آكله، ولـــم يُرد أن يدعوك إليه، وكأكل أطعمة المرائين في الولائم والدعوات ونحوها.

وفي الســـنن: أنَّ رســـول الله ﷺ نهى عن طعام المُتَبَارِيَيْنِ[1]. وذوق طعام من يطعمك حياءً منك لا بطيبة نفس.

والذوق المســـتحبّ: أكل ما يُعينك على طاعة الله ﷻ، ممَّا أذن الله فيه، والأكل مع الضيف ليطيب له الأكل، فينال منه غرضه، والأكل من طعام صاحب الدعوة الواجب إجابتها أو المستحب.

وقد أوجب بعض الفقهاء الأكل من الوليمة الواجب إجابتها، للأمر به من الشارع.

والذوق المباح: ما لم يكن فيه إثم ولا رجحان.

حاسة الشم:

وأمَّا تعلّق العبوديات الخمس بحاسة الشم.

---

(١) رواه أبو داود (٣٧٥٤)، والحاكم (١٢٨/٤)، وصحح إســـناده، ووافقـــه الذهبي، كلاهما في الأطعمة، وقال الذهبي في الميزان (٣٣٤/١): صوابه مرســـل. وصحَّحه ابن القطان في بيان الوهم والإيهام (٢٦٠٣)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٦٩٦٥)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

فالشم الواجب: كل شـــم تعيّن طريقًا للتمييز بين الحلال والحرام، كالشـــم الذي تعلم به هذه العين هل هي خبيثة أو طيبة؟ وهل هي سم قاتل أو لا مضرة فيها؟ أو يميَّز به بين ما يملك الانتفاع به وما لا يملك؟ ومن هذا شمّ المقوم وربّ الخبرة عند الحكم بالتقويم.. ونحو ذلك.

وأمَّا الشـــم الحرام، فالتعمُّد لشـــمِّ الطيب في الإحرام، وشم الطيب المغصوب والمسروق، وتعمُّد شـــم الطيب من النساء الأجنبيات خشية الافتتان بما وراءه.

وأمَّا الشـــم المســـتحب، فشـــم ما يعينك على طاعـــة الله، ويقوي الحواس، ويبسط النفس للعلم والعمل، ومن هذا هدية الطيب والريحان إذا أهديت لك. ففي صحيح مســـلم، عن النبي ﷺ: «**مـــن عُرض عليه ريحانٌ، فلا يردّه، فإنه طيِّب الريح، خفيفُ المَحْمَل**»[1].

والمكروه: كشمِّ طِيب الظَّلَمة، وأصحاب الشبهات، ونحو ذلك.

والمباح: ما لا منع فيه مـــن الله ولا تَبِعة، ولا فيه مصلحة دينيَّة، ولا تعلق له بالشرع.

حاسة اللمس:

وأمَّا تعلق هذه الخمســـة بحاســـة اللمس، فاللمس الواجب: كلمس الزوجة حين يجب جماعها، والأَمَة الواجب إعفافها.

والحرام: لمسُ ما لا يحل من الأجنبيات.

(١) رواه مسلم في الألفاظ من الأدب (٢٢٥٣)، وأحمد (٨٢٦٤)، وأبو داود في الترجل (٤١٧٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

والمستحب: إذا كان فيه غضُّ بصرِه، وكفُّ نفسه عن الحرام، وإعفاف أهله.

والمكروه: لمس الزوجة في الإحرام للذة، وكذلك في الاعتكاف، وفي الصيام إذا لم يأمن على نفسه.

ومن هذا لمس بدن الميت ـ لغير غاسله ـ لأن بدنه قد صار بمنزلة عورة الحي تكريمًا له، ولهذا يستحب ستره عن العيون، وتغسيله في قميصه في أحد القولين. ولمس فخذ الرجل، إذا قلنا هي عورة.

والمباح: ما لم يكن فيه مفسدة ولا مصلحة دينيَّة.

البطش باليد والرجل:

وهذه المراتب أيضًا مرتَّبة على البطش باليد، والمشي بالرجل. وأمثلتها لا تخفى.

فالتكسب المقدور للنفقة على نفسه وأهله وعياله واجب. وفي وجوبه لقضاء ديْنه خلاف. والصحيح: وجوبه ليمكنه من أداء ديْنه، ولا يجب لإخراج الزكاة. وفي وجوبه لأداء فريضة الحج نظر، والأقوى في الدليل وجوبه لدخوله في الاستطاعة، وتمكنه بذلك من أداء النسك، والمشهور عدم وجوبه.

ومن البطش الواجب: إعانة المضطر، ورمي الجمار، ومباشرة الوضوء والتيمُّم.

والحرام: كقتل النفس التي حرَّم الله قتلها، ونهب المال المعصوم، وضرب من لا يحل ضربه.. ونحو ذلك، وكأنواع اللعب المحرم بالنص:

QaradawiBooks.com

كالنرد، أو ما هو أشـد تحريمًا منه عند أهل المدينة كالشطرنج، أو مثله عند فقهاء الحديث كأحمد وغيره، أو دونـه عند بعضهم[١]، ونحو كتابة البدع المخالفة للسنَّة تصنيفًا أو نسخًا، إلَّا مقرونًا بردِّها ونقضها، وكتابة الزُّور والظلم، والحكم الجائر، والقذف والتشـبيب بالنسـاء الأجانب، وكتابة ما فيه مضرَّة على المسـلمين في دينهم أو دنياهم، ولا سيما إن كسبتَ عليه مالًا: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقـرة: ٧٩]، وكذلك كتابـة المفتي علـى الفتوى ما يخالـف حكم الله ورسوله، إلَّا أن يكون مجتهدًا مخطئًا، فالإثم موضوع عنه.

وأمَّا المكروه: فكالعبث واللعب الذي ليس بحرام، وكتابة ما لا فائدة في كتابته، ولا منفعة فيه في الدنيا والآخرة.

والمسـتحبُّ: كتابة كل ما فيه منفعة في الدين، أو مصلحة لمسلم. والإحسان بيده بأن يعين صانعًا، أو يصنع لأخرق، أو يُفرغ من دلوه في دلو المستسقي، أو يحمل له على دابَّته، أو يمسكها حتى يحمل عليها، أو يعاونـه فيما يحتـاج إليه ونحو ذلـك. ومنه: لمس الركـن بيده في الطواف، وفي تقبيلها بعد اللمس قولان.

والمباح: ما لا مضرَّة فيه ولا ثواب.

وأمَّا المشي الواجب، فالمشي إلى الجمعات والجماعات، في أصحِّ القولين، لبضعة وعشرين دليلًا، مذكورة في غير هذا الموضع. والمشي حول البيت للطواف الواجب، والمشـي بين الصفا والمروة بنفسـه أو

(١) انظر رأينا في لعب الشـطرنج في كتابنا: الحلال والحرام في الإسلام صـ ٣٠٩، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م.

QaradawiBooks.com

بمركوبه، والمشي إلى حكم الله ورسوله إذا دُعِي إليه، والمشي إلى صلة رحمه، وبر والديه، والمشي إلى مجالس العلم الواجب طلبه وتعلمه، والمشي إلى الحج إذا قرُبت المسافة ولم يكن عليه فيه ضرر.

والحرام: المشي إلى معصية الله، وهو من رَجِل الشيطان، قال تعالى: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤]. قال مقاتل: استعن عليهم بركبان جندك ومشاتهم. فكل راكب وماش في معصية الله فهو من جند إبليس[١].

حتى الركوب على الدابة:

وكذلك تتعلق هذه الأحكام الخمس بالركوب أيضًا.

فواجبه في الركوب في الغزو، والجهاد، والحج الواجب.

ومستحبه: في الركوب المستحب من ذلك، ولطلب العلم، وصلة الرحم، وبر الوالدين، وفي الوقوف بعرفة نزاع: هل الركوب فيه أفضل، أم على الأرض؟ والتحقيق: أنَّ الركوب أفضل إذا تضمن مصلحة: من تعليم للمناسك، واقتداء به، وكان أعون على الدعاء، ولم يكن فيه ضرر على الدابة.

وحرامه: الركوب في معصية الله ﷻ.

ومكروهه: الركوب للَّهو واللعب، وكل ما تركه خير من فعله.

ومباحه: الركوب لما لم يتضمن فوت أجر، ولا تحصيل وزر.

(١) تفسير البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن (١٠٥/٥)، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرين، نشر دار طيبة، ط ٤، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

فهذه خمسون مرتبة على عشرة أشياء: القلب، واللسان، والسمع، والبصر، والأنف، والفم، واليد، والرجل، والفرج، والاستواء على ظهر الدابَّة[1] اهـ تفصيل ابن القيم.

وبهذا البيان المستوعب يتَّضح لنا شمول العبادة في الإسلام للإنسان كله، من قرنه إلى قدمه، ظاهره وباطنه، وأن حياة المسلم ليست حياة سائبة، إنَّما هي في جوهرها تعبد والتزام. ومعظم ما ذكره ابن القيم مقبول، والقليل منه جدًّا قد ينازع فيه، والموفق من هداه الله إلى أرجح الأقوال.

وأضيف إلى ذلك: الشمول الزماني، فعبادة الله تشمل حياة المسلم كل أزمنته وأوقاته: في مرحلة شبابه، وفي مرحلة كهولته، وفي مرحلة شيخوخته. فهو فيها كلها عابدٌ لله، قانتٌ لله، مخلصٌ لله؛ كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وهذه العبادة، تشمل الفرد والأسرة والجماعة والمجتمع الكبير والأمَّة الإسلاميَّة، فكلها مطالبة ومأمورة من الله تعالى ورسوله أن تعبد الله وحده لا شريك له، وأن يستعين به كل أبنائها ويتوكل عليه، وأن يقيم دينه في الأرض؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس: ٦٠، ٦١].

---

(١) مدارج السالكين (١/١٢٩ ـ ١٤١).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وبهذا تتَّسع العبادة التي جاء بها الإسلام في طولها لتشمل العمر كله شبابًا وكهولة وشـيخوخة، وتمتد في عرضها لتشـمل العالم كله بكل أجناسه وألوانه، ورجاله ونسائه، وشبابه وشيوخه، أغنياء وفقراء، ورؤساء ومرؤوسين، وحكامًا ومحكومين، بيضًا وسودًا وملوَّنين.

وتمتد في عمقها، لتشـمل العبـادة الدين كله، ما يخـص الأقوال والأعمال، وما يخص الجوارح والقلوب، وما يشـمل كيان الإنسان كله ظاهرًا وباطنًـا، من الحواس الخمـس، ومن العقل والقلـب، والإرادة والوجدان، وكل ما يتعلق بالإنسان.

* * *

نسخة مجانية
غير مرخص للطباعة
QaradawiBooks.com

٧

مقاومة قطاع الطريق إلى الله

ومن أدب المسلم مع الله، بعد الفوز بطاعته، والحذر من معصيته، والاعتصام بعبادته وتقواه، والتوكل عليه، والإنابة إليه: أن يقاوم قواطع الطريق إلى الله. فلا شك أن كل طريق يهدي إلى الحق، ويوصل إلى الخير في الدنيا وفي الآخرة، لا بد له من قواطع أو قطَّاع للطريق، يعرفها أو يعرفهم أهل هذا الطريق ويحذرون الناس منهم.

وكذلك طريق الآخرة، وطريق الاستقامة، وطريق التقوى، والطريق الموصل إلى الفوز بجنات النعيم، والبعد من نار الجحيم، لا بد لنا أن نعرف قواطع طريقه وقطاعه، حتى يتسلَّح السائرون في مراحل هذا الطريق، بالإرشادات اللازمة، وبالتعليمات المهمة، وبالأسلحة القويَّة، التي يحتاج إليها من سلك هذه السبيل، ليفوز بسعادة الدارين، وخصوصًا سعادة الآخرة: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقد بيَّن لنا العلماء الربَّانيون، بما عرفوه من كتاب ربِّهم، وسنة نبيِّهم، وخبرة أئمتهم: أن قواطع الطريق إلى الآخرة، تتركز في أربع: النفس، والشيطان، والدنيا، والناس أو الخلق. وهي التي شكا منها الصالحون من علماء وأدباء وشعراء، ونطق الشاعر بلسان حالهم، كما تعلمنا ذلك من شعرهم.

QaradawiBooks.com

وسنركز الحديث على كل واحد من هذه الأربع:

القاطع الأول: النفس:

أول عدوٍّ للإنسان الذي يتعامل مع الله سبحانه هو نفسه التي بين جنْبَيْه، وهي التي سمَّاها القرآن: الأمَّارة بالسوء، كما قالت امرأة العزيز: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣].

وكلمة «أمَّارة» من صيغ المبالغة، التي تدلُّ على أنَّ الأمر بالسوء ديْدنها الذي تهواه وتتفنن فيه، والمراد من السالك إلى الله: أن يكون واعيًا تمام الوعي، متنبهًا كل التنبه لهذه النفس، فإنها إذا تُركتْ وحدها وقعت في الخبائث، ولذلك نبَّهنا القرآن إلى ذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦]، و﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، و﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]، و﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١].

فهذه الآيات تشير إلى أن طبيعة الإنسان وحده، إذا لم يقيِّده الإيمان، والتربية على مقتضاه، يضل ضلالًا بعيدًا، ولذلك كان من الضروري الذي يحتاج إليه الإنسان، وتحتاج إليه نفسه: التزكية، التي تقوم بها النفس ذاتها، فلئن كان فيها الظلم والجهل والكنود والعجَلة والجدل والكفر بالنعمة، فإن فيها استعدادًا أصيلًا للتغلب على هذه النوازع. وقد قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ١٠ ـ ٧].

بيَّن القرآن أن في تركيبة النفس: استعدادها للتقوى، واستعدادها للفجور ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾، وأن جهد الإنسان لتزكيتها لن يضيع

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

سُدًى، ولن يذهب عبثًا، بل قرَّر القرآن بصريح العبارة: أن من زكَّى نفسه أفلح، ومن دسَّاها خاب: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾.

وكان من دور النَّبيين والمرسلين، والعلماء والدعاة الربَّانيين: أن يأخذوا بيد الإنسان، ويعلموه ويساعدوه، على تزكية نفسه، وقد استطاع مئات الملايين وآلاف الملايين من الناس أن يزكوا أنفسهم. كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۞ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤ ـ ١٥].

التزكية: طهارة ونماء:

والتزكية المطلوبة تتطلب أمرين هما من معناها: الطهارة والنماء.

فالمعنى الأول للتزكية: هو الطهارة، فعلى المسلم أن يُطهِّر نفسه من أدران الشِّرك والنفاق وأمراض القلوب، وكل عوامل السوء، وبواعث الشر والفساد، ويطهِّرها من الأفكار الرديئة، التي تزيِّن للناس الباطل في صورة الحق، وتظهر الحق في صورة الباطل، وتزيِّن لهم سوء أعمالهم، ومن الرذائل التي تهبط بالإنسان من قمة إنسانيته إلى أوحال الشهوات البهيميَّة، والافتراسات السبعيَّة، والإيذاءات الشيطانيَّة، بحيث تصبح نفسه نظيفة تمامًا من جراثيم الشر والباطل.

والمعنى الثاني: هو النماء، أو التنمية، فالإنسان كما هو مطالب بالتطهير لنفسه، مطالب بتنمية نفسه تنمية شاملة، وتزكيتها بالفضائل، وتحليها بالمكارم، بعد تخليتها من الرذائل والسفاسف.

وما جاء به الإسلام من عبادات كالصلاة والصيام والزكاة والحج، وغيرها...، إنَّما هي ـ مع أهميتها في نفسها ـ أدوات لها أهميتها في التزكية والتربية.

QaradawiBooks.com

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وقال تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ۝ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ ﴾ [الحج: ٢٧، ٢٨].

التحذير من اتباع هوى النفس وأهواء الآخرين:

التزكية المطلوبة للنفس: أن تمنعها من اتِّباع هواها، فنهيها عن الهوى، هو أول ما يسوق إلى الجنة: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١]، لهذا حذر القرآن منه أشدَّ التحذير: ﴿ أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ۝ أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤]، ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٣].

ولذا قال ابن عباس: شرُّ إلٰه عُبِد في الأرض الهوى[1].

وقال الله تعالى لداود: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [ص: ٢٦]. وقال الله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [القصص: ٥٠].

(١) انظر: المدخل لابن الحاج (١١٦/٣)، نشر دار التراث.

QaradawiBooks.com

وذمَّ الله قومًا فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ [محمد: ١٦].

وحذَّر الرجال الذين يقومون على التربية الإيمانية من هوى الأنفس، كما قال البوصيري[1]:

والنفس كالطفل إن تُهْمِلْه شبَّ على ... حبِّ الرضاع، وإن تفطمه ينفطمِ
فاصرف هـواها وحــاذر أن تُوَلِّيَه ... إنَّ الهوى ما تولَّى يُصم أو يَصِمِ

والقرآن يحذِّر الإنسان من اتباع هوى نفسه، أو اتباع أهواء الآخرين، كما قال تعالــى: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨]، ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ [المائدة: ٤٩].

كما يحذِّر القرآن من طاعة من يتَّبع هواه، كما قال تعالى لرســوله: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهــف: ٢٨] كما حذر الله موسى من قبل: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ﴾ [طه: ١٦].

إن أول جريمة وقعــت في الأرض، حين قتل ابن آدم الشــرير أخاه الطيب، حيث تقبل الله منه قربانه، ولم يتقبل من الشرير ﴿قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ۞ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۞ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢٧ ـ ٣٠]. لــم يكن هناك مجتمع ولا معلمون. إنَّما هي النفس الأمَّارة بالسوء.

(١) انظر: البردة مع شرح الباجوري صـ٣٧، نشر مكتبة الصفا، القاهرة .

QaradawiBooks.com

القاطع الثاني: الشيطان:

والقاطع الثاني: الشيطان، وهو العدو الخفي الذي يريد للإنسان كل شر، ولا يريد له أي خير، وعداوته قديمة للإنسان، منذ خلق الله آدم وخصَّه بما خصَّه من فضائل، أمره الله بالسجود له تحيةً وتكريمًا، فرفض الخضوع لأمر الله، وأبى واستكبر وكان من الكافرين. وقال متحديًا الجبروت الإلٰهي: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف: ١٢]. ومن المعلوم أن كلامه غير صحيح.

ثم حدثت مقاولة ومُجادلة بين الله وعدوه إبليس، وانتهت بتحدي إبليس لآدم وذريَّته: ﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧].

بادرهم من الجهات الأربع: من أمامٍ ومن خلف، وعن اليمين وعن الشمال، ولا يترك لهم بابًا إلَّا دخل عليهم منه، ولا طريقًا إلَّا سلكه؛ ليؤذيهم ويرديهم. لذا حذَّر القرآن من الشيطان وذرِّيته وأتباعه أن نتَّخذهم أولياء: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾ [الكهف: ٥٠].

يتدرج الشيطان مع الإنسان في إضلاله خطوة خطوة، ودركة دركة، ولذا يحذِّرنا القرآن من هذه الخطوات التي إن اتُّبعت فإنها تؤدِّي إلى الضلال المبين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [البقرة: ٢٠٨]. وقد تكرَّر هذا النهي وهذا التحذير من خطوات الشيطان أكثر من مرة.

وبيَّن لنا القرآن بعض هذه الخطوات متصلة، لنحتاط منها، ونجتنب شرها، حيث قال الشيطان: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ

QaradawiBooks.com

﴿ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩].

وأحيانًا يلخص طرائقه وخطواته في أمرين، وهما: الإغواء والتزيين. وقد صرَّح بهما إبليس أمام الله رب العالمين: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٣٩، ٤٠].

فهؤلاء عباد الله المخلَصون، الذين أخلصهم الله لدينه، أو المخلِصون، الذين أخلصوا دينهم لله، اعترف إبليس مع غروره بأنَّه لا سلطان له على هؤلاء. ولذلك قال الله تعالى ردًّا عليه: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ۝ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤١، ٤٢]. وفي مقام آخر قال: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الإسراء: ٦٥].

ولذا أمرنا الله ﷻ أن نستعيذ بالله من شر الشيطان، فهو كلْب كَلِب، وكلب عقور، ولا بد للسائر في الطريق أن يلجأ إلى صاحب الكلاب أن يبعدها عنه، ويبعد أنيابها أن تطوله، ولذا قال الله لرسوله ولكل من يصلح أن يوجه له الخطاب من بعده: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧، ٩٨]، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١ ـ ٦].

فهذه آخر سورة ختم بها المصحف الشريف تتضمَّن الاستعاذة بالله تعالى الذي وصف نفسه بثلاث صفات: أنَّه رب الناس، أي الذي خلقهم ورزقهم ودبَّر أمرهم، فلا يبغون غيره ربًّا. وأنَّه ملك الناس، أي الذي

QaradawiBooks.com

يحكمهم ويأمرهم وينهاهم، فلا يبتغون غيره حكمًا. وأنَّه إلٰه الناس، أي: الذي لا يستحق أن يُعبد غيره، وهو التوحيد الذي أنزل الله به كتبَه، وبعث به رسلَه، ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

فبيَّن الرب الملك الإلٰه للمؤمنين أن يستعيذوا من شرِّ هذا الشيطان الذي وصفه الله بالوسواس الخنَّاس، الذي شأنه الوسوسة في صدور الناس، والذي طبيعته أن يخنس ويختفي، فلا يعمل ظاهرًا، وإنَّما يدسُّ ويحتال، وخصوصًا على الناسي من الجِنَّة والناس، أمَّا الذي يذكر الله، ويستعين عليه بذكره وشكره وحسن عبادته، فهو مقهور عنه. ولهذا قال تعالى في أناس: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

لا بد من اليقظة القلبيَّة الواعية، ولا بد من الصحوة الفكريَّة العاقلة، ولا بد من الإرادة الحديديَّة المجاهدة للوقوف في وجْه الشيطان، كما وقف مع النفس الأمَّارة بالسوء، وبذلك يحمي المؤمن نفسه في معركة جهاد النفس والشيطان، كما قال الشاعر:

وخَالِفَ النَّفْسَ والشَّيْطَانَ واعْصِهما ... وإنْ هما مَحَّضَاكَ النُّصْحَ فاتَّهِمِ
ولَا تُطِعْ منهما خَصْمًا ولا حَكَمًا ... فأنت تعرفُ كيدَ الخَصْمِ والحَكَمِ[1]

القاطع الثالث: الدنيا:

والقاطع الثالث لطريق الآخرة، الطريق الموصل إلى الله تعالى، وإلى جناته، وإلى مرضاته، هو: الدنيا.

(١) من شعر البوصيري في البردة، انظر: البردة مع شرح الباجوري صـ ٣٩.

QaradawiBooks.com

فما الدنيا؟ وما المـــراد منها؟ وهل المراد أن يعتـــزل الناس العمل لعمارة الأرض، وعمـــل الحياة، وازدهار العمـــران؟ أو المراد: أن يعمل الناس، فتخضر الأرض، وتنبت الطيِّبات، فيحرمها الناس على أنفسهم، ويأكلوا الخبائث، ويلبسوا المرقوعات، ويسكنوا الأكواخ؟

إننا هنا لا بد أن نُبيِّن للناس المراد بالدنيا التي يحذِّر منها الله تعالى، وتحذِّر منها كتبه ورســـله، ويحذِّر منها آخر الكتب وهو القرآن الكريم، وآخر الرسل، وهو محمد ذو الخلق العظيم.

إن بعـــض المتصوفة وغلاة المتزهِّديـــن والمقلِّدين لنُسَّـــاك الهنود والرهبان والمغالين، وكل مـــن غلبت على نظراتهم النزعة التشـــاؤمية والسوداوية إلى الدنيا، قد اعتبروا الحياة الدنيا عبئًا ثقيلًا، أو داء وبيلًا على الإنسان، وعَدُّوا العيش فيها سجنًا، يعيش الإنسان فيها كما يعيش المســـجون في الســـجن، على أنَّ الناس في عصرنـــا الحديث، طفقوا يطورون في حياة المســـاجين، وأصبحت هناك شـــروط للسجن الذي يقضي فيه السارق والغاصب والمرتشي والقاتل والمجرم على اختلاف جرائمه، ســـنوات معينة. ولا بد له من تهيئة الغـــرف النظيفة، والمهيَّئة بالفراش والغطاء المناسب، والمرفِّهات الملائمة، والصحف والمجلات، والإذاعة والتلفاز. والإعانـــة على التعلُّم المنتظم لمـــن أراده، حتى إن منهم من حصل على البكالوريوس والماجستير والدكتوراه.

وفي مقابل هؤلاء هناك من غرقوا في الشـــهوات، وعبَّدوا أنفســـهم للماديات، ولم يعرفوا لهـــم هدفًا يركضون وراءه، غيـــر المنافع الفردية الدنيوية العاجلة. وهذا شأن الماديين في كل زمان ومكان.

QaradawiBooks.com

أمَّا منهج الإسلام فإنه يجعل الدنيا مزرعة للآخرة، ويرى العمل في عمارتها عبادة لله، وأداء لرسالة الإنسان، وينكر على غلاة المتدينين تحريم الزينة والطيبات، كما ينكر على الآخرين انهماكهم في الترف والشهوات. يقول الله في كتابه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾ [محمد: ١٢]. ويقول تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ﴾ [الأعراف: ٣٢، ٣١] ويذكر القرآن أنَّ السعادة والحياة الطيبة في الدنيا من مثوبة الله لعباده المؤمنين، فيقول: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٨] ويُعلِّم المؤمنين هذا الدعاء الجامع لحسنتي الدارين: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

إنَّ الدنيا دار أو مرحلة كُتب لنا أن نعيش فيها مدة من الزمن، هي العمر المقدر لنا أن نعيشه، ومقابلها: الآخرة، أو الدار الآخرة، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، أي: إنَّ الدار الآخرة هي الحياة الحقيقية للإنسان، لو تمَّ له العلم وعرف الحقائق. ويقول تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. وقال ﷻ: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

QaradawiBooks.com

ويطلق القرآن على هذه الحياة أو هذه المرحلة التي نعيشها أو نعيش فيها، أو تعيش فينا: الحياةَ الدنيا، والدنيا هنا مؤنث أَدْنَى، والأدنى يراد به أحيانا: الأقل، ويقابله الأكثر، كما قال تعالى: ﴿وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْ﴾ [المجادلة: ٧]، ويُراد بالأدنى أحيانا أخرى: الأسفل من الآخر، ويقابله: الأعلى، كما قال تعالى: ﴿أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌ﴾ [البقرة: ٦١].

وقد رأينا رسول الإسلام يحذر أمته من الدنيا ومتاعها وزينتها تحذيرًا شديدًا، يزلزل القلوب، ويزرع الخشية في النفوس، ويعلم الناس أنَّ الدنيا دار مفرّ، لا دار مقرّ، وأنَّها قنطرة إلى الآخرة، وعلى الناس أن يعبروها، ولا يعمروها، بمعنى: ألا يعتقدوا بقاءهم فيها، فهم عنها راحلون.

قال ﷺ: «**مَن كانت الآخرةُ همَّه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شَمْله، وأتته الدنيا وهي راغمة. ومَن كانت الدنيا هَمَّه، جعل الله فَقْرَه بين عينيه، وفرَّق عليه شَمْله، ولم يأتِه من الدنيا إلَّا ما قُدر له**»(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**مَن جعل الهمومَ همًّا واحدًا، كفاه الله همَّ دنياه، ومَن تشعَّبتْ به الهمومُ لم يبالِ اللهُ في أيِّ أودية الدنيا هلك**»(٢).

وقال ﷺ: «**إنَّ الدنيا حُلْوة خَضِرَة، وإنّ اللهَ مُستخلِفُكم فيها، فناظرٌ كيف تعملون، ألا فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء**»(٣).

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٦٥)، وسكت عنه، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٤٧٨٩): رواه الترمذي عن يزيد الرقاشي عنه، وقد وُثِّق، ولا بأس به في المتابعات. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٦٥١٠)، عن أنس.

(٢) رواه ابن ماجه في الزهد (٤١٠٦)، وحسَّنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٣١٤)، عن ابن مسعود.

(٣) رواه مسلم في الرقاق (٢٧٤٢)، أحمد (١١١٤٣)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

وقال عليه الصلاة والسلام: «**يقول العبد: مالي، مالـــي، إنَّما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنـــى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى، وما ســـوى ذلـــك فهو ذاهب، وتاركُه للناس**»(١).

وإن حب الدنيا لهو من أخطر أمراض الأنفس والقلوب، التي تصيب الناس، وفي الصحيحين: «**والله ما الفقرُ أخشى عليكم، ولكنِّي أخشى أن تُبْسَـــط عليكم الدنيا كما بُسِـــطَت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم**»(٢).

والمراد بحب الدنيا المذمـــوم: ليس ترك الدنيـــا بالكلية، أو تركها للكفار والفســـاق يبنونها ويتنعّمون بها، ونحن نتفـــرج عليهم، ونقول: ﴿ مَتَٰعٞ قَلِيلٞۖ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾ [آل عمـــران: ١٩٧]، فليس المراد برفض حب الدنيا: أن ندع الدنيا فارغة لا نعمل فيها، ولا نبني ولا نزرع، ولا نتاجر ولا نصنع، بل المراد: أن تملك الدنيا ولا تملكك، وأن تعيش فيها ولا تعيش فيك، وألا تتخذها ربًّا، فتتخذك لها عبدًا، وأن تكون فيها عبدًا لله سيدًا للكون.

فعلى كل سائر في طريق الله أن يحذر هذه الدنيا، وألا ينشغل بمغرياتها عن الآخرة، فالدنيا تتزيَّن للناس، وتفتنهم بما لديها من مال وبنين، ونساء وقناطير مقنطرة، وأنعام وحرْث، كما قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ [آل عمران: ١٤].

---

(١) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٢٩٥٩)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: البخاري في المغازي (٤٠١٥)، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٦١)، عن عمرو بن عوف الأنصاري.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فهذه هي مجمل شهوات الدنيا التي يلهث الناس وراءها، ويلغون عقولهم أو يجحدونها، من أجل الحصول عليها، بل ربما يقتل بعضهم بعضًا من أجلها.

وقد انتصر أهل الإيمان عليها عندما قارنوها بالآخرة، من ناحية الزمن، فالدنيا عمرها قصير، والآخرة هي دار الأبد، ومن ناحية المتاع، فهو متاع قليل، أيام معدودة، وأنفاس محدودة، ثم يتركك ويذهب إلى غيرك، وهو متاع غرور، يغُرُّ صاحبه ويخدعه بالبريق والزهو الذي يظهر عليه، وينسى ما يخبِّئه من غدر وضياع، ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۞ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٧، ٧٨].

القاطع الرابع: الناس:

ومن قواطع الطريق إلى الله وإلى الآخرة مع النفس، والشيطان، والدنيا: الناس من شياطين الإنس الذين يفتنون غيرهم مع شياطين الجن، والذين يزيِّنون الدنيا بزخارفها وزينتها بدلًا من الآخرة، ويريدون للناس أن يتخذوا الشياطين أولياء من دون الله.

وهؤلاء موجودون في كل عصر، يقول تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

وليس كلُّ الناس أعداء وقطَّاعًا للطريق، ولكن أكثر الناس، كما قال تعالى في القرآن: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦].

QaradawiBooks.com

كما بيَّن القرآن أن أكثر الناس لا يعقلون، ولا يعلمون، ولا يفقهون، ولا يؤمنون، ولا يشكرون. وأنَّ الصالحين قليل من الناس: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [صٓ: ٢٤]. ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

والإنسان يتأثر بهذه الكثرة الصَّادَّة عن سبيل الله، عن طريق العدوى، فالشرُّ يُعدي كما يعدي الأجربُ السليمَ، وعن طريق المحاكاة والتقليد الأعمى، كما يقلد الببغاء الإنسان، وعن طريق الوسوسة السرية والدعوة العلنية، بأساليبها التي لا حدود لها، ولا نهاية لها، ولهذا حذَّر الله رسوله فقال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩].

وخصوصًا إذا كان هؤلاء الناس يخالفونك في دينك أو اتجاهك، ويريدون أن يحرفوك عما أنت فيه، وأن يضمُّوك إليهم، فهنا يكون التحذير أكبر، كما قال تعالى آمرًا بتحكيم كتابه الذي أنزله، ومحذِّرًا من المخالفين الذين يكرهونه ولا يحبُّون انتشاره: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

ويُحذِّر القرآن من كثير من الأصناف الذين يُضلُّون الناس، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]. وفي سورة أخرى يقول: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۞ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۞ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۞ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۞ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۞ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۞ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ [القلم: ٨ ـ ١٤].

وحذَّر القرآن من طاعة الكافرين في مكايدتهم للمؤمنين، وصناعة الأباطيل لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ۞ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ

QaradawiBooks.com

﴿رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠٠، ١٠١]. وقد دلَّت التفاسير القرآنية على أن ﴿يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾، أي: بعد وحدتكم متفرقين، فهم يسعون باستمرار لتمزيق عُرى المسلمين، وتفكيك وحدتهم، والله تعالى يقول: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]. ويقول بعدها: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]. ويقول الرسول الكريم لأمته من بعده: «**لا ترجعوا بعدي كفَّارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**»[(١)].

احذر من كل مَن يريد إضلالك عن دينك، عن عقيدتك، بأن يريد أن يخرجك من مِلَّتك، أو يريد أن يزحزحك عن طريقك المستقيم، فهو يحاول أن يخرج أهل الإيمان من أصل إيمانهم، فإن هو عجز عن أهل الإيمان الصادقين، حاول مع أهل الإسلام: أن يفتنهم عن إسلامهم: عن صلاتهم، عن زكاتهم، عن صيامهم، عن حجهم، عن سائر فرائضهم وأركانهم.

فإن عجز عنهم لجأ إلى أهل الإحسان، يريد أن ينزلهم من درجة الإحسان التي هي أعلى درجة في سلم الترقِّي إلى الله، فينزلهم إلى درجة مَن هو أدنى منهم، وهو يعتبر إنزال الإنسان من درجة إلى أدنى مكسبًا له.

والمطلوب هنا: الحذر من شرار الناس، الذين يزيِّنون السوء، ويهدون غيرهم إلى طريق النار، ويزهِّدونهم في المعروف، ويرغِّبونهم في المنكر، ويفرشون لهم الطريق لعمل السيئات وترويجها، وللابتعاد

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢١)، ومسلم في الإيمان (٦٥)، عن جرير بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

عن الحسنات والدعوة إليها. وهؤلاء هم الخطر على الناس، كما أن شياطين الجن خطر عليهم.

وقال مالك بن دينار: إنَّ شياطين الإنس أشد عليَّ من شياطين الجن؛ وذلك أنِّي إذا تعوَّذت بالله ذهب عني شيطان الجن، وشيطان الإنس يجيئني، فيجرُّني إلى المعاصي عيانًا[١].

وهذا النبي ﷺ سُلِّط عليه قرينه من شياطين الجن، ولكن الله أعانه عليه فأسلم، كما في صحيح مسلم مرفوعًا: «**ما منكم من أحد إلَّا وقد وُكل به قرينه من الجن**» قالوا: وإيَّاك يا رسول الله؟ قال: «**وإيَّاي، إلَّا أنَّ الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرُني إلَّا بخير**»[٢].

وسمع الشافعي امرأة تنشد:

إنَّ النساءَ رياحينٌ خُلِقْنَ لكم وكلُّكم يشتهي شمَّ الرياحينِ!

فأجابها بقوله:

إنَّ النساءَ شياطينٌ خُلقن لنا نعوذُ باللهِ من شرِّ الشياطينِ![٣]

وما أظن ذلك صحيحًا عنه، ولكنا حُذِّرنا من فتنة النساء، كما حُذِّرنا من فتنة الأموال والأولاد، كما قال النبي ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنةً أضرَّ على الرجال من النِّسَاء**»[٤].

---

(١) تفسير القرطبي (٦٨/٧).

(٢) رواه مسلم في صفة القيامة والجنة والنار (٥٠٣٤)، وأحمد (٣٦٤٨)، عن ابن مسعود.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢٨٩/١)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي ود. عبد الفتاح محمد الحلو، نشر هجر للطباعة والنشر والتوزيع ط٢، ١٤١٣هـ.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٠٩٦)، ومسلم في الذكر (٢٧٤٠)، عن أسامة بن زيد.

QaradawiBooks.com

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤]

وقال: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٥].

أخالف الإمام الغزالي في الدعوة إلى العزلة عن الناس:

والإمام أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ جعل «الخلق» من قواطع الطريق إلى الله، ولكنَّه يريد التخلص من هذا العائق بالعزلة عن الناس، فإنهم يشغلونك عن الله، ويبعدونك عن الجنة، ويقرِّبونك من النار. والنجاة والخلاص في العزلة عن الناس، ويذكر الغزالي في ذلك الأحاديث التي ترغب في الاعتزال والبعد عن الناس.

ولكنِّي أخالف إمامنا الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك، وأرى أنَّه مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أوائل القرن السادس للهجرة (٥٠٥هـ)، ومرَّ على وفاته أكثر من تسعة قرون هجرية، قامت فيها دول وسقطت دول، وماتت مجتمعات، وحييت مجتمعات، ولا تزال حياة الناس مختلفة بالحركة والجدِّ والكفاح والجهاد من كل أصحاب الأديان من الكتابية والوثنيَّة واللادينية، بعضهم من بعض، ومن أصحاب الإيديولوجيَّات المختلفة، ومن طلاب الدنيا وأصحاب المتع والشهوات، وأصبحت الحياة تفرض على الناس أن يدخلوا فيها، ولا يدعوها، فهم إن تركوها لم تتركهم، وإن ابتعدوا عنها قاربتهم.

ولهذا نرى أن على المسلم الذي يعد نفسَه جزءًا من أمة الإسلام، أمة القرآن، أمة محمد عليه الصلاة والسلام: أن يعلم أن خلاصه في أن يندمج في الأمة، ويعمل فيها، ولا ينفصل أو ينعزل عنها، ويحمل عبئها كواحد منها. فهو واحد من أمة عرفها الله تعالى بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ

QaradawiBooks.com

﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال عنها: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

لا يجوز للمسلمين الذين يريدون وجْهَ الله تعالى ورضوانه، ويرجون رحمته ويخافون عذابه: أن يجعلوا كل همِّهم النجاة بأنفسهم أفرادًا ويتركوا الأمة لأعدائها يفترسونها، أو يحرفونها عن دينها ووجهتها، ولا يحاولوا أن يسمعوا لصرخاتها وهي توقظ النائمين، وتزعج اليقظين، وتقلق المطمئنين، وتدخل الحزن والتعب على المستريحين والمرفَّهين.

نحن ننادي المسلمين في كل مكان، ننادي كل من عنده قوة: في دين أو في دنيا، في فكر، أو في علم، أو في أدب، أو في صناعة، أو في جهاد، أو في مال، أو في بدن، أو في فن من الفنون، أو في أي ناحية من نواحى الحياة: أن ينضم ومعه قوته هذه إلى الأمة، أو إلى جماعة مؤمنة، تريد أن تنصر الحق، وتخذل الباطل، وتقوي العدل، وتضعف الظلم، وتعز جانب المؤمنين، وتقف ضد معاول الكائدين والمجرمين. كما قال سيدنا موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧].

نحن هنا نحشد أبناء الأمة الأقوياء، القادرين على العمل، الناصرين للرحمن، الخاذلين للشيطان: أن يشدَّ بعضهم أزْر بعض، ويتعاون بعضهم مع بعض ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقال: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ

QaradawiBooks.com

﴿عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]. وقال رسول الله ﷺ: «**المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيان، يشدُّ بعضه بعضًا**» وشبَّك بين أصابعه[١].

نحن هنا ندعو إلى تكوين الجماعات المؤمنة المجاهدة، الداعية إلى الخير، الآمرة بالمعروف، الناهية عن المنكر، كما قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

مناقشة الغزالي في الدعوة إلى الخلوة:

ولا يجوز لإمامنا الغزالي وأمثاله من المؤمنين بفكرة العزلة: أن يقفوا في وجه الأُمَّة إذا أرادت النهوض بواجباتها الكبرى، في حماية الأمة من أعدائها، وتقويتها من داخلها بحسن الزراعة والصناعة والتنمية والتربية والتعليم والتفنن، في مختلف جوانب الحياة، وسد كل أبواب الشرور والمفاسد والفتن، ما ظهر منها وما بطن. وإعداد القوة المستطاعة للدفاع عنها في الداخل والخارج، وإقامة العدل بين الناس، وإقامة الموازين بالقسط، وإرساء دعائم الحق في القضاء والتشريع والإعلام والحكم والتنفيذ، وأداء الأمانات إلى أهلها.

ولذلك لا أوافق على ما قاله الغزالي في كتابه «منهاج العابدين»: «ثم عليك ـ رفعك الله وإيَّانا لطاعته ـ بالتفرد عن الخلق، ولذلك لأمرين:

أحدهما: أنهم يشغلونك عن عبادة الله ﷻ، على ما حكي عن بعضهم أنَّه قال: مررتُ بجماعة يترامَون (بالسهام يتعلمون التهديف) وواحد جالس بعيدًا عنهم، فأردت أن أكلِّمه، فقال: ذكر الله أشهى إليَّ من

(١) سبق تخريجه صـ٦٢.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

كلامك. فقال: أنت وحدك. فقال: معي ربي وملكاي. فقلت: مَنْ سبق من هؤلاء؟ قال: مَنْ غفر الله له. فقلت له: أين الطريق؟ فأشار بيده نحو السماء، وقام وتركني. وقال: أكثر خلقك شاغل عنك!

قال الغزالي: فالخلق ـ إذن ـ يشغلونك عن العبادة، بل يمنعونك عنها، بل يوقعونك في الشر والهلاك، على ما قال حاتم الأصم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: طلبت من هذا الخلق خمسة أشياء، فلم أجدها: طلبت منهم الطاعة والزهادة فلم يفعلوا. فقلت: أعينوني عليهما إن لم تفعلوا. فلم يفعلوا. فقلت: ارضوا عني إن فعلت. فلم يفعلوا. فقلت: لا تمنعوني عنهما إذن. فمنعوني. فقلت: لا تدعوني إلى ما لا يُرضي الله العظيم، ولا تعادوني عليه إن لم أتابعكم. فلم يفعلوا. فتركتهم واشتغلت بخاصة نفسي»[1].

وأرى أن هذه الأقوال لا توجب البعد عن الناس، وأن هذا الرجل الذي جلس وحده، وانفرد عن الخلق بالعبادة، وترك من حوله من الرجال الذين يتسابقون في فن الرماية والتهديف لم يكن مصيبًا، في هذا الوقت الذي يُهدَّد المسلمون من جيرانهم من الروم أو من الصلبيين، يتعيَّن عليهم أن يتدربوا، وأن يعدُّوا أنفسهم وشبابهم للأيام القادمة، التي يعدُّ لها الرجال، وتنتظر الأبطال: ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٥، ٦]

ولا نرى أنَّه حين تدخل الأمة في حروب مع أعدائها الذين يتربَّصون بها، مثل الصلبيين الذين ظهروا في أواخر أيام الغزالي، ومثل التتار

(١) منهاج العابدين للغزالي صـ ٨٩، ٩٠، تحقيق: د. محمود مصطفي حلاوي، نشر مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

QaradawiBooks.com

الذين ظهروا بعده، ومثل أعداء الإسلام الذين لا يزالون يظهرون يوما بعد يوم: أنَّ الحل للصالحين والمتعبدين من أبناء الأمة أن يفرُّوا إلى الخلوات والفَلوات، ويغيبوا عن أعين الناس. بل الواجب عليهم أن يكونوا كما كان الأولون من رجال السلف الصالحين من أمثال إبراهيم بن أدهم، وعبد الله بن المبارك وأمثالهما؛ في صفوف المجاهدين. ولا سيما في هذه الأيام، فالجهاد الآن والأمة يُغار عليها أصبح فرض عين على الرجال القادرين.

لم يعد بإمكان الصالحين الفرار من الناس، فإنَّ الأجهزة الإعلاميَّة الحديثة تدخل عليهم مضاجعهم، وتسمعهم كل صوت، وتريهم كل صورة وكل واقعة. والأمة تحتاج إلى كل واحد منهم، ليسدَّ فيها ثغرة، ويستر فيها عورة، ويبني فيها حجرًا، ويغرس فيها شجرة، ويتعاون مع الصالحين من أمثاله، كما قال الرسول الكريم: «**المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيان، يشدُّ بعضه بعضًا**» وشبَّك بين أصابعه[1].

ثم على هؤلاء أن يُكوِّنوا منهم ومن غيرهم جنودًا قادرين على الدفاع عن الأمة إذا غُزيت، وقادرين على أن يردُّوا الغزاة بما لديهم من أسلحة تفوق أسلحتهم، كما قال تعالى في صلاة الخوف: ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [النساء: ١٠٢].

لسنا مع الغزالي في أنَّ العزلة واجبة الآن، بل الواجب الآن لإحياء الأمة الإسلاميَّة وبعثها من جديد إيمانيًّا وفكريًّا وأخلاقيًّا واجتماعيًّا وسياسيًّا: التعاون معًا في سدِّ ثغراتها، وتكميل ما نقص منها، ومقاومة النزعات العرقية والعصبية واللادينية التي تريد أن تمزقها إلى أمم شتى.

---

(١) سبق تخريجه صـ٦٢.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لا بد للأمة المسلمة الكبرى من العمل الجاد، والعمل الإسلامي، والعمل الجماعي، وأن يتَّحد أبناء الأمة فيما يجب عليهم لأنفسهم، ولأسرهم، ولمجتمعهم الصغير، ولأمتهم الكبرى، ولدولتهم القريبة والمنتظرة، وللإنسانية جمعاء.

إنَّ الأمة الإسلاميَّة مدعوَّة لتبليغ رسالة الله إلى العالم، فهل بلغتها؟ هل عندها من الدعاة بلغات العالم من يستطيعون أن ينادوا كل أمة بلسانها إلى الإسلام؟ ليس عندنا ـ والله ـ عشر المعشار، ولا أقل منه من المطلوب لنشر الإسلام في العالم، في حين أن رجال التنصير عندهم ملايين مُعدون للتنصير في كافة القارات، وبكل اللغات، وسائر الأساليب والآليات، ولتنصيرنا نحن المسلمين، فقد أصبحنا نحن من المهيَّئين لغزوهم، وعقدوا لذلك المؤتمرات، وأصدروا لذلك المنشورات، وهيؤوا لذلك الأفراد والجماعات، والمدارس والجامعات، وصرخنا في المسلمين أن يهيِّئوا قواهم ليدافعوا عن الأمة، ويحموا المسلمين من هجمات التنصير.

الأمة الإسلاميَّة مدعوة من أقصاها إلى أقصاها: أن تخرج من دائرة العالم الثالث، المحسوبة عليه كلها، وهو عالم التخلف والتدهور، والرضا بالدون، والقليل الهون، والوقوف في طابور الانتظار، ليعطيك المعطون من فضول نعمهم، وفضلات أرزاقهم، ممَّا يلقونه في صنايق القمامة، ونحوها، ونحن ـ للأسف ـ راضون بما يلقى إلينا؛ لأننا لا نعمل وهم يعملون، ولا نُنتج وهم يُنتجون، ولا نفكِّر وهم يفكرون.

الأمة الإسلاميَّة مدعوةٌ أن تعود إلى العالم من جديد، أن تبني نفسها من جديد، تعمِّر بناءها كله الذي فرّطت فيه، ولم توجِّه همَّتها إليه: بناء

QaradawiBooks.com

الفرد بناء سليمًا، كما أراده الله تعالى، واعي الفكر، طاهر القلب، خيِّر الوجدان، قوي الإرادة، صحيح الجسم، جيِّد التعلم، قادرًا على العمل، يعمل في الزارعة أو الصناعة، أو الإدارة، أو أي عمل يقدم خيرًا أو خدمة للأمة، تكبر أو تصغر، ولا يعيش عالة على الناس، يأكل من زرعهم، ولم يزرع أو يساهم في زرع، ويلبس ويداوى، ويستفيد ممَّا صنعت أيديهم، وهو لم يشارك في صنعة، ولم يسهم في أي عمل يفيد الدنيا بشيء، أيِّ شيء. فكيف يستحق الطعام الذي يأكله، أو الماء الذي يشربه؟ أو اللباس الذي يستره، أو المدرسة التي تعلمه، أو الجامعة التي تنضجه!

لا بد للأمة من أن تبني الأفراد، وأن تبني الأسر، وأن تبني المجتمعات، ثم تبني الأمة الكبرى، أمة الرسالة، أمة الهداية للعالم، تبنيها كلها بالعلم والأدب، والتربية والحرية؛ فهذه هي الحجارة الأساسية التي يلزم جمعها وصفها ورصها وإلصاق بعضها ببعض، لكي تبنى الأمم، وأهم ما تبنى عليه الأمم الأخلاق، كما قال شوقي:

فإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همُو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وقال أيضًا:

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتما وعويلا[1]

لا بد بعد بناء الأمة أن يجتمع بعضنا مع بعض، وإلا لم يكن هناك معنى لكلمة «أمّة»، فالأمة هي مجموع الشعوب الإسلاميَّة وإن اختلفت أوطانها، واختلفت أصولها، واختلفت لغاتها، واختلفت طبقاتها ومذاهبها، المهم أن يقوم البناء على التوحيد، وعلى عبادة الله وحده،

(١) انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٨٣/١)، نشر دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

وعلى أركان الإسلام العقديَّة والعمليَّة: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

ولا بد أن تتوحَّد شعوب الأمة وتجتمع وتتلاقى وتتساند، وتتضامن وتتعاون، لتكون كما وصفها رسولها، كالجسد الواحد، وكالبنيان الواحد، الذي يشدُّ بعضه بعضًا.

ولا بد أن تهيِّئ نفسها للجهاد في سبيل الله، فهي أمة يُطمع في خيرها، ويُخاف من بأسها، فيلزمها أن تكون قويَّة قوة عسكرية مرهوبة، تحمي ولا تهدِّد، وتحفظ ولا تبدِّد، وتيسِّر ولا تشدد، كل شدتها على من يعتدي عليها، أو على حرماتها، أو على عقيدتها، أو على أبنائها. ولذا قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

هذا ما نريده من كل وارث لتفكير الإمام الغزالي أن يفكر فيه، فلا يقول أحد: إنَّ المهم في الإسلام هو الفرد، بل المهم هو الفرد والأسرة والمجتمع، والأمة كلها. ولهذا خاطب الله في القرآن منذ نشأ المجتمع في المدينة بصيغة الجماعة دائمًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾. ولم يقل: يا أيها المؤمن. بل ذكر الأمة، وذكرها بصيغة الجمع: الذين آمنوا، المؤمنون.

إنَّ الإمام الغزالي الفقيه الشافعي الكبير في كتبه: «الكبير» و«البسيط» و«الوجيز»، وصاحب «المستصفى» في الأصول: لا يخفى عليه ما تتطلبه الأمة، وخصوصًا في عصور الصراع الحادِّ بين الأديان والفلسفات والإيديولوجيات، وتداعي الأمم المختلفة على أمتنا كما تتداعى الآكلة على قصعتها.

QaradawiBooks.com

هنا تظهر الأمة المسلمة بأبنائها وأسلحتهم وعتادهم وتنظيمهم، ولا يجوز لجماعة في هذا الموقف أن يدعوهم داعٍ إلى الخلوة، والابتعاد عن الأمة، لأنَّ الأمة إذا تخلى عنها أبناؤها الأقوياء، فمن لها؟ ومن يذود عن حياضها؟ ومن يدافع عن دينها وحرماتها وأعراضها؟

لا مانع أن نذكر ما ذكره الغزالي هنا، ممَّا قاله السلف عن أزمانهم، ونذكر معه ما يجب قوله عن أزماننا، لتستعد له الأمة، لتغير ما بأنفسها، حتى يغير الله ما بها؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وقد نقل الغزالي آثارا عن سوء حال الزمان، ثم قال: «وجميع ما ذكر في هذه الأخبار، تراه بعينك في زمانك وأهله، فانظر لنفسك. ثم إنَّ السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعوا على التحذير من زمانهم وأهله، وآثروا العزلة، وأمروا بذلك، وتواصَوْا به، ولا شك أنهم كانوا أبصر وأنصح، وأنَّ الزمان لم يصِرْ بعدَهم خيرًا ممَّا كان، بل أشر منه وأمرّ. وهذا ما ذكر عن يوسف بن أسباط أنَّه قال: سمعت الثوري يقول: والله الذي لا إلٰه إلَّا هو، لقد حلت العزلة في هذا الزمان»[1].

قلت «القرضاوي»: قد يقول أهل زماننا: لئن حلَّت في زمان الثوري ففي زماننا هذا وجبت وافترضت.

ثم نقل الغزالي عن سفيان الثوري أيضًا: «أنَّه كتب إلى عبَّاد الخوَّاص رحمهما الله: أمَّا بعد، فإنك في زمان كان أصحاب محمد ﷺ يتعوَّذون بالله من أن يدركوه فيما بلغنا، ولهم من العلم ما ليس لنا، فكيف بنا

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٣٨٨/٦).

QaradawiBooks.com

حين أدركناه على قلة علم، وقلة صبر، وقلة أعوان على الخير، وكدر من الدنيا، وفساد من الناس؟ فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: في العزلة راحة من خلطاء السوء[١].

ولقد وجدت عن سفيان بن عيينة أنَّه قال: قلت للثوري: أوصني. قال: أقلل من معرفة الناس. قلت: يرحمك الله، أليس جاء في الخبر: «**أكثروا من معرفة الناس، فإنَّ لكلِّ مؤمن شفاعة**»[٢]؟ قال: لا أحسبك رأيت قط ما تكره إلَّا ممن تعرف. قلت: أجل. ثم مات رحمه الله، فرأيته بعد موته في المنام يحج، فقلت: يا أبا عبد الله، أوصني. قال: أقلِلْ من معرفة الناس ما استطعت، فإنَّ التخلص منهم شديد.

قال الفُضَيْل رحمه الله: هذا زمان احفظْ لسانك، وأخْفِ مكانَك، وعالجْ قلبَك، وخذْ ما تعرف، ودعْ ما تنكر.

وقال سفيان الثوري: هذا زمان السكوت، ولزوم البيوت، والرضا بالقوت، إلى أن تموت[٣].

وعن داود الطائي رحمه الله: صُمْ عن الدنيا، واجعلْ فطرَك الآخرة، وفِرَّ من الناس فرارَكَ من الأسد.

وعن أبي عبيدة: ما رأيت حكيمًا قط إلَّا قال لي في عقب كلامه: إن أحببت ألا تُعرف، فأنت من الله على بال. والأخبار في هذا الباب أكثر من أن يحتملها هذا الكتاب.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في زهد الصحابة (٣٥٦١٨).

(٢) عزاه المتقي الهندي في كنز العمال (٢٤٦٤٢)، لابن النجار في تاريخه.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في العزلة والانفراد (٩٧).

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

وقد صنفنا فيه كتابًا مفردًا، وسميناه كتاب: «أخلاق الأبرار والنجاة من الأشرار»، فقف عليه ترى العجب العجاب، والعاقل يكفيه إشارة. والله ولي التوفيق والهداية بفضله»[١].

والذي نراه أن هذا يمكن أن يؤخذ به عند ما تكون الأمة في حال قوة وغلبة على أعدائها، وقد استكملت كل قوتها وبنت نفسها من كل ناحية.

أمَّا إذا بدا غرور الدنيا وزخرفها يسيطران على الناس، ويغْري كثيرًا منهم بالافتتان والضياع مع الضائعين. فالواجب على المؤمن القوي أن يشتغل بدعوة الناس إلى الحق والخير، ويعظهم بالله والدار الآخرة، ويقيم مع الصالحين جمعيات ربَّانية الوجهة، محمديَّة الطريق، وإن جاز هنا أن يُفضِّل بعض الناس العزلة، ولكن في عصرنا لم تعد العزلة ممكنة، وأعداء الإسلام يُجمِّعون الناس من كل حدب وصوب، ليبشِّروا أمة المسلمين، ويفتنوهم عن دينهم، ويفرقوهم بعضهم عن بعض.

فالأولى لنا أن نُفكِّر دائمًا بعقلية الجماعة، وعقلية الدعوة، وعقلية الأمة الواحدة، وبهذا يجب أن يصطف الجميع، كما يصطف المصلُّون وراء إمامهم، داعين الله تعالى أن يُتمَّ عليهم النعمة، ويهديهم صراطًا مستقيما، وينصرهم نصرًا عزيزًا.

الآن الأمة في خطر، بل في خطر كبير، ويزداد كل يوم كبرا، وقد مزقوها إربا إربا، ويريدون ألا يدعوا لها شيئًا تعتمد عليه، وتستمسك

(١) منهاج العابدين صـ ٩١ ـ ٩٤.

QaradawiBooks.com

به، فلا بد لعلماء الأمة ودعاتها ومفكريها وأولي الرأي بها أن يجتمعوا ولا يتفرقوا، ويجتهدوا في العمل ولا يتخلوا، ويرفضوا كل دعوة إلى الخلوة. الخلوة عن الأمة يعني: التفريط فيها، وفي وجودها، يعني ضياع الأمة، أو هلاكها.

ضع يدك في يدي، ولنضع أيدينا في أيدي إخواننا، وجيرانا وأصدقائنا، وأبنائنا وأمتنا، وقد وجدناهم والله عند الشدة وتجمع الأعداء علينا، على قلب رجل واحد.

فهيا هيا، والله شهيد علينا، وناصر لنا: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الفصل الثاني

أدب المسلم مع رسول الله ﷺ

يأتي الأدب مع رسول الله ﷺ، عقب الأدب مع الله تبارك وتعالى.

فما دمنا آمنَّا بالله تعالى ربًّا، وأنَّه هو الرب الأعلى، الذي خلق فسوَّى، والذي قدَّر فهَدَى، والذي وسِع علمه كلَّ شيء، وأحاطتْ قدرتُه بكل شيء، وهو الذي خلق الخلق جميعًا، وخلق الناس المكلَّفِين بعبادة الله تعالى، وهو أعلم بما يحتاجون إليه ليسعدوا في حياتهم الدنيا، الحياة القصيرة الفانية، ثم ليستعدوا فيها ليسعدوا في الحياة الآخرة، وهي الأولى بالتعب لها والمعاناة والاستعداد، كما جاء في الحديث الصحيح الذي قال: «**ما مَثَلُ الدنيا في الآخرة إلَّا مثل ما يجعلُ أحدُكم إصبعه هذه** ـ وأشار يحيى (أحد الرواة) بالسبابة ـ **في اليمِّ، فلينظر بم يرجع؟**»[1].

فما دُمْنا آمنَّا هذا الإيمان بالله، وجب علينا أن نتأدَّب معه الأدب الكامل في حدود طاقتنا واستطاعتنا، نتأدَّب معه في قولنا وعملنا، في عبادتنا ومعاملتنا، في عمل جوارحنا وعمل قلوبنا، في سرِّنا وعلانيتنا، وفي كل أحوالنا، أن نتأدَّب معه سبحانه أعلى أنواع الأدب وأصفاها وأثبتها وأخلصها.

---

(١) رواه مسلم في الجنة وصفة نعيمها (٢٨٥٨)، والترمذي (٢٣٢٣)، وابن ماجه (٤١٠٨)، كلاهما في الزهد، عن المستورِد أخي بني فهر.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

هذا الأدب مع الله العظيم، يأتي عقبه مباشرة الأدب مع رسوله الكريم، فالله هو الذي خلق وعلَّم وهَدَى، والرسول هو الذي نزَّل الله عليه الكتاب، وأرسله بالوحي من الله تعالى، فعلَّمه الوحي وهَدَاه وأرشده، ليبلِّغَ للناس ما يريد الله تعالى منهم، وما يأمرهم به، وما ينهاهم عنه، ما يرتقي بهم إلى أعلى، وما ينزل بهم إلى أسفل.

حاجة البشر إلى الهداية والترقية والتربية:

الذي يقوم بمهمة الترقية للإنسان إلى الكمالات العليا، التي تنتزعه من طين الأرض ومن خبثها، لترتقي به إلى نور السماوات العُلا، هو الرسول القائد المعلِّم الهادي إلى الصراط المستقيم.

كان بعض الناس يعجبون: هل يحتاج الله إلى بعض خلقه ليبلِّغوا هدايته وتعاليمه وأحكامه للناس؟

ونقول لهم: ليس الله تعالى هو الذي يحتاج إلى واسطة لهذا التبليغ والتعليم والهداية، ولكنَّ عباده من البشر الذين خلقهم جميعًا من إنسان واحد هو آدم، عباده هؤلاء هم الذين يحتاجون إلى هذه الواسطة، وهذا التبليغ، وتلك الهداية والترقية والتربية.

خلق الله آدم أبا البشر الإنسان الأول من تراب، اختلط به الماء، فأصبح طينًا، ثم تخمَّر وجفَّ، فأصبح صلصالًا، أو حمأً مسنونًا، كما قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۞ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٤ ـ ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۞ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ۞ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٦ ـ ٢٩].

QaradawiBooks.com

فبيَّن الله كيف خلق الإنسان الأول ـ الذي هو النموذج الأول للبشر ـ من الصلصال والحمأ، ثم سوَّاه كما يرى، ونفخ فيه من رُوحه، وهذه النفخة الإلٰهية هي التي جعلت لهذا الطين والحمأ المسنون قيمة، فلم يعد مجرد تراب أو طين أو صلصال، بل ارتقت به الروح الإلٰهية بعد النفخة، فاستحق أن يأمر الله الملائكة أن تسجد لآدم تكريمًا له، وإعلاءً لمنزلته عند ربه، ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۞ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [الحجر: ٣٠، ٣١].

الحكمة من اختيار الرسل من البشر:

وكان الرسول مطلوبًا في كل الرسالات الإلٰهية إلى البشر؛ لأنَّ الله أعطاه من المواهب الرُّوحية الربَّانيَّة، ما يُمكِّنه من الأخذ عن الله تعالى بوساطة ملائكته، وخصوصًا الذين هيَّأهم الله لهذه الرسالة، فمنهم يأخذ البشر، ويحملون عنهم إلى إخوانهم وإلى أسرهم.

كما أنَّ الرسول قد جعله الله بشرًا عاديًا، ليكون أسوة للناس، ولا يقولوا: هذه رسالة فوق طاقتنا، وفوق احتمالنا. بل هو رسول منكم، تتعلمون منه ما يعلِّمكم، وتحملون منه ما تقدرون عليه.

كان الناس من قديم يتصوَّرون أن يكون الرسول من الملائكة لا من البشر، وهو تصوُّر غريب حقًّا، وماذا يستفيد الناس من كون الرسول من الله ملكيًّا لا بشريًّا.

إنَّ البشر يمكن أن يتشبهوا بالرسول؛ لأنَّه منهم، وقد قال الحكماء من قبل[1]:

فتشبَّهوا إن لم تكونوا مثلهم إنَّ التشبُّهَ بالرِّجال فلاحُ

(١) هو أبو الفتح السهروردي (المقتول)، كما في معجم الأدباء لياقوت الحموي (٢٨٠٧/٦)، تحقيق: إحسان عباس، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

QaradawiBooks.com

ولذلك قيل للبشر في رسالة محمد للمؤمنين منهم: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وأنكر القرآن كثيرًا على الذين ظنوا أن إرسال المَلَك بالرسالة أولى من الرجال، وقال تعالى في الرد عليهم: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٨]، بيَّن القرآن أن إنزال المَلَك على البشر إنَّما جاء بحمل شيء من السماء بأن قضاء الله نزل بالقضاء على القوم فهم لا يُنظرون، فهنا لا ينزل الملك لتبليغ رسالة هداية، وإنَّما ينزل لعقاب سماوي. ثم قال تعالى في السياق نفسه: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٩] يقول القرآن: ولو جعلنا الرسول المطلوب ملكًا كما يظنون، لكانت الحكمة تقتضينا أن نجعله رجلًا، حتى يكون واحدًا من جنس المبعوث إليهم، يستطيع أن يُحدِّثهم وأن يُفهمهم، وأن يفهم منهم، ولو حدث هذا التحويل من مَلَك إلى رجل، لحدث الاشتباه والالتباس بين الملك وبين الرجل؟

وأولى من هذه التكهنات والتكلفات: أن يبقى كل شيء كما فعله الله وحكم به.

وقد بيَّن الله في سورة آخرى أنَّ الله لم يبعث ملائكة رسلًا إلى البشر، وأنَّ الله تعالى لا يُنزل رسلًا إلى قوم، إلَّا إذا كانوا مثلهم في الخلقة والنشأة والتركيب والتكوين. لهذا قال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء: ٩٥].

QaradawiBooks.com

لهذا كان الرسول بشرًا، وكان أليق بمنصبه من غيره، ليجد البشر أسوة منهم قادرين على أن يتخذوا منها أسوة، وأن يجعلوها إمامًا وقدوة، وأن يقال للواحد منهم: ما لك لا تقتدي برسولك، وتتخذ منه إماما لك؟

وجوب الإيمان بالرسل:

وأول ما على البشر المرسَل إليهم: أن يؤمنوا بهذا الرسول المبعوث إليهم من الله تعالى، فهو جزء أساسي من المهمة الإسلاميَّة، ولهذا كان مفتاح الدخول في الإسلام الشهادتين: شهادة ألَّا إلٰه إلَّا الله، وشهادة أن محمدًا رسول الله.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

ولما أرشد الله الأمة إلى خيري الدنيا والآخرة، قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: ١٠، ١١].

الحكمة العظمى من إرسال الرسل (تبليغ الوحي):

وتلَقِّي النبيِّ الوحيَ من الله ليبلغه إلى خلقه، هو منتهى الحكمة من خالق البشر، وهي حكمة ممن يملكها، وضعت في موضعها، قال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾ [يونس: ٢].

وقد كتب العلامة محمد رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان هذه الآية، وما فيها من حكم ومعان ومعجزات، ملأت كتابه «الوحي المحمدي»، وكان ممَّا قاله تحت عنوان: «**حاجة البشر إلى الرسالة وأصول أديان الرسل**

QaradawiBooks.com

الأساسية»: «وجه حاجة البشر إلى هداية الأنبياء عليهم السلام في الجملة: أن موضوع رسالتهم المقصود بالذات، أو بالقصد الأول: ثلاثة أمور لا تستقل معارفهم المكتسبة بحواسهم وعقولهم بها، ولا يذعنون فيها إلَّا لأمر ربهم وخالقهم.

(**أحدها**): الإيمان بالغيب، ورأسه توحيد الله وصفاته، وآياته الدالة على كماله وتنزُّهه عن النقص، وما يجب من عبادته وشكره وذكره، الذي هو على ما تتزكى به النفس، وتتطهر من أدران مساوئها، وتصل إلى الكمال المستعدة له بفطرتها. ويليه الإيمان بملائكته وما يناط بهم من الوحي، والنظام في الخلق والأمر، ويجب الوقوف في ذلك عند ما ورد به النص.

وممَّا أخبر به الأنبياء من أمر عالم الغيب: الجن والشياطين، أن ما يجده الناس في أنفسهم من خواطر السوء، وتقوية دواعي الشر والباطل فهو من وسواس الشياطين.

وحكمة إعلامهم بذلك: إرشادهم إلى محاسبة أنفسهم على خواطرها، والتمييز بين حقها وباطلها، وخيرها وشرها، فهو أكبر معين لهم على تربيتها وتزكيتها، وقد وضحناه بالدلائل في تفسيرنا، وضربنا له المثل بعوالم الجِنّة المادية التي تسمى بالميكروبات، وكون تأثيرها في الأجسام كتأثير الشياطين في الأرواح، وقد مر على البشر الألوف الكثيرة من السنين وهم يجهلونها على ما لها من التأثير العظيم في صحتهم وأمراضهم، وطعامهم وشرابهم، حتى كشفوها في هذا العصر، ولو حاسب الناس أنفسهم على خواطرهم السُّوأى اتقاء لوسوسة الشياطين كما يتقون ميكروبات الأمراض لحفظ أبدانهم لكان تأثير هذه التقوى

QaradawiBooks.com

لحفظ الأنفس من الشر والفساد أعظم من تأثير تلك الوقاية في حفظ الأجساد من الأمراض.

وقد كشف بعض الماديين في القرن الثامن عشر أن للبشر أرواحًا مستقلة، كما أخبرهم الأنبياء، ووجدوا وسيلة لإدراك بعض الجِنَّة غير المادية، وهو ما يعتقدون أنَّه من أرواح الموتى. والراجح عندنا: أن أكثرها من أرواح شياطينهم، ولا يتسع هذا الفصل لبيان الحق في هذه المسألة التي لا تزال موضع الخلاف بين الناس، وإنَّما المراد هنا تعريف موضوع الرسالة بالإجمال.

المشهور: أن أرقى البشر عقلًا ورأيًا في شؤون العالم رجال السياسة الدولية في الغرب، وإنك لتجد غاية سياستهم أن يسخروا ثروة شعوبهم ونتائج علومها وفنونها لعداوة بعضهم لبعض، وإعدادها للتقتيل والتدمير. أليست هذه السياسة الشيطانية مصداقًا لقول الله تعالى فيهم: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [النحل: ٦٣، ٦٤]؟

(**ثانيها**): ما يجب اعتقاده من البعث بعد الموت والحساب، والجزاء على الإيمان والأعمال، وهو أكبر البواعث ـ بعد الإيمان بالله ومعرفته ـ على اتباع ما شرعه من اتباع الحق، وإقامة العدل، وأعمال البر والخير، والصدود عن أضدادها.

(**ثالثها**): وضع حدود وأصول للأعمال التشريعيَّة المشار إليها لا مجال للآراء والأهواء فيها، لتكون جامعة للكلمة، مانعة من التفرقة، متبعة في السر والعلانية.

QaradawiBooks.com

وجملة القول: أن تهذيب البشـــر بالدين مبني على الإيمان بالغيب والوقوف فيه عند خبر الأنبياء عليهم السلام، ولا يمكن تهذيبهم بالعلوم المادية الكسبية وحدها وهو ما نُكرّر بيانه في هذا الكتاب»[1].

حاجة البشرية في عصرنا هذا إلى الوحي المحمدي:

ثم قال السيد رشيد رضا رحمه الله: «فإن قيل: إنَّ الإيمان بالغيب ووجود الرب غريزي في الفطرة البشرية كما حققتم، أو إلهام من إلهاماتها يُلقى في رُوع أفرادها عند نمـــو إدراكهم، وأن بعض الحكمـــاء المفكرين قد ارتقوا في معارفهم العقلية إلى حيث أقاموا البراهين على وجود واجب الوجود وعلمه وحكمتـــه، ووجوب تعظيمه وشـــكره وعبادته، وقد قرر بعضهم بقاء النفس بعد الموت وخلودها في نعيم مقيم أو عذاب أليم، ووضعوا للنـــاس أصول الفضائل والتشـــريع والآداب التـــي تصلح بها الإنسانية وروابط الاجتماع.

قلت: نعم، لكل ذلك أصل يثبته التاريخ الماضى، ويشـــهده العصر الحاضر. ولكن بين هداية الأنبياء وحكمة الحكماء وعلومهم فروقًا في مصدر كل منهما، وفي الثقة بصحته، وفـــي الإذعان لحقيَّته، وفي تأثيره في أنفس جميع طبقات المخاطبين.

فحكمة الحكماء وعلومهم آراء بشـــرية ناقصـــة، وظنون لا تبلغ من عالم الغيب إلَّا أنَّه موجود مجهول، وهي عرضة للتخطئة والخلاف، ولا يفهمها إلَّا فئة مخصوصة من الناس، وما كل من يفهمها يقبلها، ولا كل

(١) الوحي المحمدي لمحمد رشيد رضا صـ ٢٩، ٣٠، نشـــر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

QaradawiBooks.com

من يقبلها ويعتقد صحَّتها يرجِّحها على هواه وشهواته، إذ لا سلطان لها على وجـــدان العالم بها، فلا يكـــون لها تأثير الإيمان وإســـلام الإذعان والتعبد؛ لأنَّ النوع البشري يأبى طبعه وغريزته أن يدين ويخضع خضوع التعبد لمن هو مثله في بشريته، وإنْ فَاقَه في علمه وحكمته، وإنَّما يدين لمن يعتقد أن له ســـلطانًا غيبيًّـــا عليه بما يملكه من القـــدرة على النفع والضر بذاته، دون الأسباب الطبيعية المبذولة لجميع الناس بحسب سنن الكون ونظامه.

واضرب لهذا مثلًا: إنَّه كان للفيلسوف الرئيس ابن سينا خادم متعلِّم معجَب بعلومه وفلســـفته، وكان يعجب منه كيـــف يدين بملة محمد ﷺ ويتبعه، وهو في رأيه أعلم منه وأرقى، وكان يكاشفه بذلك، فيُعرض عنه أو يُوبِّخه، فاتفق أن كانا في مدينة أصفهان في ليلة شـــديدة البرد كثيرة الثلج، فأيقظ الرئيس خادمه في وقت السّحر، وطلب منه ماء ليتوضأ به، فاعتذر بشدة البرد وبقاء الليل، ثم أيقظه الرئيس في وقت أذان الصبح، وطلب منه الماء، فاعتذر بشدة البرد، حتى قال المؤذن: أشهد أنَّ محمدًا رسول الله. قال الرئيس لخادمه:

اسمع ماذا يقول المؤذن؟ قال: إنَّه يقول أشهد أن محمدًا رسول الله. قال الرئيس: الآن قد آن لي أن أبين لـــك ضلالك القديم، إنك خادمي لا عمل لك غير خدمتي، وإنك أشدّ الناس إعجابًا بي وإجلالًا وتعظيمًا لي؟ حتى إنك تفضِّلني على رســـول الله ﷺ، وتنكـــر عليَّ أن أومن به وأتبعه، وإنك على هذا تخالف أمري فـــي أهون خدمة أطلبها منك في داخل الدار معتذرًا بشدة البرد، وإن هذا المؤذن الفارسي يخرج من بيته قبل الفجر، ويصعد هذه المنارة، وهي أشـــد مكان في البلد بردًا، حتى

QaradawiBooks.com

إذا لاح له الفجر أشـــاد في أذانه بذكر محمد العربـــي بعد مرور أربعة قرون ونيف علـــى بعثته، إيمانًـــا وإذعانًا وتعبُّدًا واحتســـابًا. فتأمل هذا وتدبره في نفسك يظهر لك الفرق بين سلطان النبوة على الناس وسلطان العلم والفلسفة.

فمن أعظم مزايا هداية الوحي الدينية على العلمية الكسبية: أن جميع طبقات المؤمنين بها يُذعنون لها بالوازع النفسي التعبدي، فبذلك تكون عامة ثابتـــة لا مجال للخلاف والتفـــرق فيها ما دام الفهـــم لها صحيحًا والإيمان بها راســـخًا، ولذلك نرى الشـــعوب التي ســـاء فهمها للدين، وتزلزل إيمانها به أو زال، لا ينفعها مـــن دونه علوم العلماء، ولا حكمة الحكماء، وقد ارتقت العلوم والحكمة في هذا العصر، وعمَّ انتشـــارهما بما لم يُعرف مثله في عصر آخر، وهم لا يذعنون في أنفسهم لإرادة ملك أو أمير، ولا لرأي عالم نحرير، ولا فيلسوف شهير، ولا مخترع خبير، بل صاروا إلى فوضى في الأخلاق والآداب والاجتماع، واســـتباحة الأموال والأعراض وكذا الدماء، لم يعهد لها في البشـــر نظير. صارت بها الأمم والدول عُرضة لفتنة في الأرض وفساد كبير.

أكثر البشر المؤمنين بوجود الله وعلمه وحكمته، والمثقفين بالتعليم العصري يؤمنون بوحدانيته، ولم يبقَ للشرك به تعالى بقية إلَّا في جُهَّال المتبعين لتقاليد الأديان المنســـوبة إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وما هي من أديانهم في شـــيء. بـــل هي هادمة لأساســـها الأعظم وهو التوحيد المطلق، فكان فشوُّ الشرك بعبادة الأنبياء والقديسين وما ترتَّب عليه، واقترن به من الخرافات وفســـاد الأخلاق من أكبر الشبهات على صحة هذه الأديان والمنفِّرات عن اتباعها، وصار أكثر البشـــر إما مؤمنين

QaradawiBooks.com

بالأنبياء دائنين بالخرافات، وإمّا كافرين بهم منكرين أنَّ الدين وحي من الله تعالى، وتعين إرجاع الفريقين إلى هداية الدين الصحيح، وما هو إلَّا دين الإسلام.

إنَّ الدين الذي ينتمي إليه أكثر شعوب الحضارة في هذا العصر هو النصرانية، وإنَّما سبب بقائه فيهم أن دولهم قد جعلته من نظام حياتهم الاجتماعية، ولكنَّه لم يبقَ له سلطان روحي إلَّا في قلوب النساء والعوام الخرافيين، وقد جاءتنا الأنباء قبل طبع هذا الفصل بأن زعماء الشعب الألماني، وهو أرقى شعوب الأرض علمًا وفنًّا وحضارة قد ثار على هذا الدين ثورة جديدة، يريد بها هدم أساسه من كتب العهد القديم، وتنقيح تعاليم العهد الجديد، وجعل ما يبقون منه وطنيًّا ألمانيًّا خاصًّا بالجنس الآري الهندي الفارسي الأصل، والبراءة من كل ما هو ساميٌّ منه، وما أنبياؤهم ورسلهم ومسيحهم ومعبودهم إلَّا من الساميين. بل يريدون تقديس شهداء الحرب وعظماء أسلافهم الألمانيين، وإنْ هذه إلَّا وثنية كوثنية اليابانيين. تُذكي سعير العداوة بينهم وبين سائر الأوربيين.

فلا سبيل إلى إنقاذ البشر في هذا العصر إلَّا إثبات الوحي المحمدي الموحِّد لإنسانيتهم، المزكِّي لأنفسهم، والمكمِّل لفطرتهم. الذي فيه السعادة الدنيوية والأخروية لهم في جملتهم، وقد بيَّنا في هذا الكتاب أنّ محمدًا رسول الله وخاتم النبيين. وهو المرسل إلى كافة الناس رحمة للعالمين، وأنَّه هو الذي أكمل الله به الدين، وأزال العصبيات الجنسيّة والوطنيّة، لتوحيد الأخوة الإنسانية، فاتِّباعه هو الترياق المجرّب لهذه السموم الروحية الاجتماعية القاتلة. راجين أن يفتح الله تعالى به أبواب الهُدى لكل من يعقله ويتدبَّره من مستقلي الفكر، وطالبي معرفة الحق،

QaradawiBooks.com

وإصلاح الخَلْق المعنيين بقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ۝ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦]»[1].

وبعد أن استعرضنا وجوب الإيمان برسل الله، وأهمية إرسال الرسل والحكمة منه، وحاجة البشرية إلى الوحي الإلٰهي، نشرع في موضوعنا الأساسي، وهو الأدب مع رسول الله ﷺ، وهو ما سنتناوله في الصفحات التالية.

* * *

(١) الوحي المحمدي صـ ٣٤ ـ ٣٨.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

١

كيف نتأدب مع رسول الله ﷺ؟

الأدب مع النبي ﷺ في القرآن:

الذي يتدبَّر كتاب الله الخاتم الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢]، يجد عظم مكانة النبيّ ﷺ عند ربّه ورفعة منزلته على كلّ الخلق؛ مبثوثة في سوره وآياته، بل لا نبالغ إن قلنا: يجد ذلك في جل آياته، وكل سوره، بل إنَّ القرآن خطابٌ لمحمد، أو حديثٌ عن محمد، وعن دعوة محمد، ورسالة محمد.

وفي كثير من آيات القرآن تعليم للمؤمنين كيف يكون الأدب معه ﷺ، ففي سورة الحجرات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۞ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١ ـ ٥].

وفي سورة الأحزاب: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ [الأحزاب: ٦]، ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟

QaradawiBooks.com

ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحـزاب: ٢١]، ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦، ٦٦].

سورة النور نموذج للأدب مع رسول الله ﷺ:

جاءت سـورة النور ـ ومجالها الأول آداب الأسرة المسلمة والأسرة النبويَّة ـ تحمل معها أدبين كبيرين من الأدب مع رسول الله ﷺ:

أولهما: يعمد إلى بيان حقيقة الإيمان بالله ورسـوله، فليس كل من قال: آمنتُ بالله ورسـوله، أو رضيتُ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا؛ كان صادق القول، ناطقًا بالحق في هذه الدعوى، إنَّما المهم أن يثبت ما يؤذِن بحقيقة إيمانه، وأساس يقينه فيما يقول، فهناك علم اليقين، وهناك عين اليقين، وهنـاك حق اليقين، والمؤمنـون يتفاوتون في هذه الساحات العريضة، وفي هذه الآفاق العالية، وفي هذه الدرجات الرفيعة، قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ۝ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ۝ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [النور: ٤٧ ـ ٥٢].

والشوط الثاني من سـورة النور في أواخر هذه السورة، يتحدث عن أدب أصيل حقًّا من أدب أهل الإيمان الذين يسـتحقون أن ينسـبوا إلى

QaradawiBooks.com

الأدب مع الرسول ومقامه العظيم، وهو ما يسمونه «آداب الكبار» الذين يراعون لكلِّ شيء ذوقه، فالمكان يرتفع بمن فيه، والزمان يرتقي بمن فيه، والحال يستعلي بما يجري فيه، كما قالوا عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي حين زار بغداد، لم يقنت في صلاة الصبح مراعاة للإمام أبي حنيفة.

وكما قالوا عن السيدة عائشة رضي الله عنها: إنَّها كانت ترفع حجابها، بعد موت زوجها رسول الله ﷺ وأبيها أبي بكر رضي الله عنه، فلما دُفِن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، بدأت تتخذ الحجاب إذا جاءت أمام القبر(١).

والنص المذكور هنا هو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٢، ٦٣].

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «فأعلم الله الناس في هذه الآية أن دعاءهم إلى رسول الله ليحكم بينهم: دعاء إلى حكم الله؛ لأنَّ الحاكم بينهم رسول الله، وإذا سلموا لحكم رسول الله، فإنما سلموا لحكمه بفرض الله.

(١) رواه أحمد (٢٥٦٦٠)، وقال مخرِّجوه: صحيح على شرط الشيخين. والحاكم في المغازي (٦١/٣)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٧٠٤): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. عن عائشة.

QaradawiBooks.com

وأنَّه أعلمهم أن حكمه حكمه، على معنى افتراضه حكمه، وما سبق في علمه جل ثناؤه من إسعاده بعصمته وتوفيقه، وما شهد له به من هدايته واتباعه أمره. فأحكم فرضه بإلزام خلقه طاعة رسوله، وإعلامهم أنَّها طاعته. فجمع لهم أن أعلمهم أنَّ الفرض عليهم اتباع أمره وأمر رسوله، وأن طاعة رسوله طاعته، ثم أعلمهم أنَّه فرض على رسوله اتباع أمره، جل ثناؤه»[1].

والأدب مع رسول الله ﷺ يتمثل في عدة أمور، نستطيع أن نجملها فيما يلي:

١ ـ طاعة الرسول ﷺ:

من الأدب مع رسول الله: طاعته في كل ما أمره به، وينتهي عما ينهاه عنه، ويوفِّي بكل ما يُعهد إليه منه. فقد أوجب القرآن على المسلمين طاعة الرسول بجوار طاعة الله. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩]، وجعل طاعته طاعة لله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وجعل ثمرة طاعته الاهتداء: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ﴾ [النور: ٥٤]. كما جعل ذلك في اتباعه: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. وجعل اتباعه دليلًا على محبة الله ومغفرته: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾ [آل عمران: ٣١]. وأمرهم باتباعه فيما يأمر وينهى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

(١) انظر: الرسالة للشافعي صـ ٨٢ ـ ٨٤، تحقيق: أحمد شاكر، نشر مكتبة الحلبي، القاهرة، ط١، ١٣٥٨هـ ـ ١٩٤٠م.

QaradawiBooks.com

وأمرهم بالاستجابة لدعوته، واعتبر ما يدعوهم إليه هو الحياة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وحذَّر من مخالفة أمره: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وأوجب الرجوع إليه عند التنازع: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

ولم يجعل لمؤمن ولا مؤمنة خيارًا في قبول حُكمه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وأقسم على نفي الإيمان عمن أعرض عن تحكيمه، أو لم يقبل حكمه راضيًا مُسَلِّمًا: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وجعل قبول حكمه أو التولي عنه المحكَّ الذي يميِّز الإيمان من النفاق: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [النور: ٤٧، ٤٨]، ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

ورغَّب في الاقتداء به: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

QaradawiBooks.com

وأمَّا السُّنَّة، فقد دَلَّت الأحاديث الكثيرة على وجوب اتباعه ﷺ وطاعته:

ومن ذلك ما رواه أبو هريرة أنَّه قال: «**كلُّ أُمَّتي يدخلون الجنَّة إلَّا مَن أبَى**».

قيل: ومَن يأبَى يا رسول الله؟ قال: «**مَن أطاعني دخل الجَنَّة، ومَن عصاني فقد أبَى**»(١).

ومن ذلك ما رواه العِرْبَاضِ بن سارية قال: وعظَنا رسولُ الله ﷺ موعظة وَجِلت منها القلوب، وذَرَفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنَّها موعظةُ مُوَدِّع! فأوصنا. قال: «**أوصيكم بتقوى الله، والسمعِ والطاعة وإن تأمَّر عليكم عبدٌ، وإنَّه مَن يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديِّين، عَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحدَثات الأمور، فإنَّ كلَّ بدعة ضلالة**»(٢).

فهو يوصيهم أن يرجعوا إلى السُّنَّة عند كثرة الاختلاف، لتجتمع كلمتهم، فلا تضلهم البدع، ولا تتفرق بهم السُّبُل.

ومثل ذلك وصيَّتُه لهم في حجة الوداع، كما رواها ابن عباس رضي الله عنهما: «**قد تركتُ فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا: كتاب الله، وسُنَّة نبيِّه**»(٣).

---

(١) رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة (٧٢٨٠).

(٢) رواه أحمد (١٧١٤٢)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح بطرقه وشواهده. وأبو داود في السُّنَّة (٤٦٠٧)، والترمذي في العلم (٢٦٧٦)، وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه في المقدمة (٤٢)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٤٠).

(٣) رواه الحاكم في العلم (٩٣/١)، وقال: احتج البخاري بعكرمة، واحتج مسلم بأبي أويس عبد الله، وله أصل في الصحيح. ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٤٠).

QaradawiBooks.com

وممَّا ينبغي ذكره هنا: الأحاديث التي حذَّرت من دعوى الاستغناء بالقرآن عن السُّنَّة، كما هو شأن قِلَّة من أهل الترف والاسترخاء، كشف النبي ﷺ النقاب عنهم من وراء الغيب، كأنَّه يشاهدهم رأي العين.

وذلك في قوله ﷺ: «**ألا إنِّي أوتيتُ الكتاب ومثله معه، ألا إنِّي أوتيتُ القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل ينثني شبعانًا على أريكته، يقول: عليكم بالقرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلُّوه، وما وجدتم فيه من حرامٍ فحَرِّموه**»[(١)]. ورواه الترمذي من حديثه أيضًا بلفظ: «**ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عنِّي وهو متكئ على أريكته، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالًا استحللناه، وما وجدنا فيه حرامًا حرَّمناه. وإنَّ ما حرَّم رسول الله ﷺ كما حرَّم الله**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**لا أُلْفِيَنَّ أحدَكم متكئًا على أريكته، يأتيه الأمر من أمري ممَّا أمرت به، أو نهيتُ عنه، فيقول: لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه**»[(٣)].

٢ ـ تعظيم ما عظمه رسول الله وتحقير ما حقره:

ومن الأدب مع رسول الله: أن تعظِّم ما عظَّمه، وتكرِّم من كرَّمه، وتأتمن من ائتمنه، وتخوِّن من خوَّنه، ولا يجوز أن تقف في موقف

(١) رواه أحمد (١٧١٧٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في السُّنَّة (٤٦٠٤)، والترمذي في العلم (٢٦٦٤)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه في المقدمة (١٢)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٤٣)، عن المقدام بن معديكرب.

(٢) رواه الترمذي في العلم (٢٦٦٤)، وقال: حسن غريب. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٥٧).

(٣) رواه أحمد (٢٣٨٧٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في السُّنَّة (٤٦٠٥)، والترمذي في العلم (٢٦٦٣)، وابن ماجه في المقدمة (١٣)، والحاكم في العلم (١٠٨/١)، وصحَّحه على شرطهما ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٣)، عن أبي رافع.

QaradawiBooks.com

مناقض لموقف الرسول ﷺ، بأن يأتمن وأنت تخوِّن، ويعظِّم وأنت تهوِّن، ويشهد للشخص بما يبرِّئه، وأنت تشهد عليه بما يدينه.

وهذا الأدب نجده في قول عمر وهو يُقبِّل الحجر الأسود ويقول: إنِّي لأعلم أنك حجرٌ لا تضرُّ ولا تنفع، ولولا أنِّي رأيت رسول الله ﷺ يُقبِّلك ما قبَّلتك[١].

فإنما قبَّل عمر الحجر الأسود وعظمه؛ لأن رسول الله قبَّله وعظَّمه.

ومن ذلك حديث بريدة قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية، واستعمل علينا عليًّا، فلما جئنا سألنا رسول الله ﷺ: «**كيف رأيتُم صحبةَ صاحبِكم؟**» قال: فإما شكوتُه أنا، وإما شكاه غيري، فرفعت رأسي وكنتُ رجلًا مِكبابًا، وكنتُ إذا حدثتُ الحديثَ أكببتُ، وإذا النبي ﷺ قد احمرَّ وجهه، فقال: «**من كنتُ وليَّه فإن عليًّا وليُّه**»، فذهب الذي في نفسي عليه، فقلت: لا أذكره بسوء[٢].

فبمجرد أن ظهر من النبي ﷺ حبُّ عليٍّ رضي الله عنه ذهب من نفْس بريدة رضي الله عنه ما كان يجده تجاه عليٍّ.

وهذا عبد الله بن عبد الله بن أبيٍّ ابن سَلُولَ لما قال أبوه رأس النفاق، كما ذكر القرآن: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨]. يعني رسول الله ﷺ وأصحابه، وقف لأبيه في طريقه، وقال له: والله لا تنقلب حتى تُقِرَّ أنك الذليل، ورسول الله ﷺ العزيز. ففعل[٣].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (١٢٧٠)، كلاهما في الحج.

(٢) رواه الحاكم في قسم الفيء (١٢٩/٢)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة. ووافقه الذهبي.

(٣) رواه الترمذي في التفسير (٣٣١٥)، وقال: حسن صحيح.

QaradawiBooks.com

بل إن بعض الصحابة غيَّر طبعه الجِبلِّي في اشتهاء طعام معين لمَّا وجد رسول الله ﷺ يحبُّه، فعن أنس رضي الله عنه قال: دخلت مع النبي ﷺ على غلام له خياط، فقدَّم إليه قصعة فيها ثريد. قال: وأقبل على عمله، قال: فجعل النبي ﷺ يتتبَّع الدُّبَّاء. قال: فجعلت أتتبعه، فأضعه بين يديه. قال: فما زلت بعدُ أحبُّ الدُّبَّاء[(١)].

ويدخل تحت هذا الباب من الأدب مع رسول الله ﷺ: محبة أصحابه وموالاتهم، وبخاصة السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه، فعن عمران بن حصين: «**خيرُكم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»[(٢)].

إنَّهم ذلك الجيل المتميِّز الذي اختاره القدر الأعلى، ليتتلمذ في مدرسة محمد ﷺ، ويتلقَّى القرآن منه غضًّا طريًّا، وليأخذ هذا القرآن على أنَّه منهاج يُتَّبع، فهو يتلقَّاه للتنفيذ والاتباع، لا لمجرَّد الاستماع، وقد تحمل هذا الجيل القرآني الفريد ـ كما سمَّاه سيد قطب ـ عبءَ الدعوة إلى الله، وما تفرضه على أصحابها من معاناة ومسِّ البأساء والضراء والزلزلة، وما يُوجبه ذلك من تحمُّل ضريبة الجهاد بالنفس والمال، فهم أحقُّ الناس بوصف المؤمنين، الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

وهم الذين أثنى عليهم الله تعالى ثناء عامًّا عاطرًا في ختام سورة الفتح: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأطعمة (٥٤٢٠)، ومسلم في الأشربة (٢٠٤١)، عن أنس.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في فضائل أصحاب النبي (٣٦٥٠) ومسلم في فضائل الصحابة (٢٥٣٥).

QaradawiBooks.com

يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح: ٢٩].

وأثنى ثناء خاصًّا على السابقين الأولين منهم من المهاجرين والأنصار، فقال تعالى في سورة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وتحدَّث عن المهاجرين والأنصار بصفة عامَّة، فقال تعالى في سورة الأنفال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٧٤].

كما تحدَّثت سورة الحشر عن فضل المهاجرين والأنصار، بما يُبيِّن رفيع مكانتهم عند الله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٨، ٩].

وتحدَّث القرآن عن الذين شاركوا في غزوة بدر، ونصرهم الله وهم أذلَّة، وآواهم وأيَّدهم بنصره، ورزقهم من الطيبات لعلهم يشكرون، فقال: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ۞ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ

QaradawiBooks.com

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٢٣ ـ ١٢٧]، وقال النبيُّ ﷺ لعُمَر حين ارتكب بعض البدريين خطيئة كبيرة، فقال: دعني أضرب عنقه يا رسول الله، فقد نافق! فقال: «**إنَّه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعلَّ الله أن يكون قد اطَّلع على أهل بدر، فقال اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم؟!**»(١).

وتحدَّث القرآن عن أهل أُحد، ومخالفتهم لوصية رسول الله ﷺ، وفرار بعضهم، فأعلن عفوه عنهم، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وقال في نفس السورة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

وتحدَّث عن غزوة الأحزاب، فقال: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ۝ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٢، ٢٣].

وتحدَّث عن أهل بيعة الرضوان، الذين بايعوا النبيَّ الكريم على الموت في سبيل الإسلام، فقال ﷻ: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٠٧)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٩٤)، عن علي.

QaradawiBooks.com

صحيح أنَّ الصحابة مراتب ومستويات في بذلهم وجهادهم، ولكن الله تعالى وسعهم جميعًا بفضله، فقال: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠]، فما أعظم هذا الوعد من ربنا: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

هذا الجيل الربَّاني القرآني المحمدي العظيم، الذي لم تكتحل عين الدنيا برؤية مثله في الإيمان والاستقامة والصبر على البلاء، والبذل والتضحية في سبيل الله، والزهد في الدنيا من أجل الدين، والأخوَّة في الله، والإيمان بالله تعالى وبنصره للمؤمنين، كما قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

والعجيب أن يخرج من بين المسلمين من يعادي هذا الجيل، ويتبرَّأُ منه!

ويلعن المؤمن الأول، والصِّدِّيق الأول، والصاحب الأول، ويلعن عمر الفاروق، الذي فرق الله به بين الحق والباطل، ويلعن بعض أزواج النبي ﷺ، ويصم هذا الجيل الفريد بكل منقصة، إلَّا عددًا محدودًا لا يتجاوز أصابع اليدين، ثم هم بعد كلِّ هذه الضلالات وتلك الترهات، يزعمون أنهم ينصرون رسول الله، وأهل بيته!!

قال الإمام ابن تيمية يبين موقف أهل السُّنَّة من الصحابة ومن آل البيت رضوان الله عنهم جميعًا:

QaradawiBooks.com

«من أصول أهل السُّنَّة والجماعة: سلامةُ قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ، كما وصفهم الله به في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وطاعة النبي ﷺ في قوله: «**لا تَسبُّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أُحُد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَه**»(١).

ويقبلون ما جاء به الكتاب والسُّنَّة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم. فيُفضِّلون من أنفق قبل الفتح ـ وهو صُلْح الحديبية ـ وقاتل، على من أنفق من بعده وقاتل، ويقدِّمون المهاجرين على الأنصار، ويؤمنون بأنَّ الله قال لأهل بدر ـ وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر ـ: «**اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم**»، وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة، كما أخبر به النبي ﷺ(٢)، بل قد رضي الله عنهم ورضوا عنه، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة.

ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة، كالعشرة، وكثابت بن قيس بن شمَّاس، وغيرهم من الصحابة.

ويحبُّون أهل بيت رسول الله رضوان الله عليهم، ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ حيث قال يوم غدير خُم: «**أذكِّرُكم اللهَ في أهل بيتي، أذكِّركم الله في أهل بيتي**»(٣). وقال أيضًا للعبَّاس عمِّه

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١)، كلاهما في فضائل الصحابة، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) رواه أحمد (١٤٧٧٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في السُّنَّة (٤٦٥٣)، والترمذي في المناقب (٣٨٦٠)، وقال: حسن صحيح. عن جابر بن عبد الله.

(٣) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٤٠٨)، وأحمد (١٩٢٦٥)، عن زيد بن أرقم.

QaradawiBooks.com

وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يجفو بني هاشم، فقال: «**إنَّ الله اصطفى بني إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشًا، واصطفى من قريش هاشمًا، واصطفاني من هاشم**»[١].

ويتولَّوْن أزواج النبي أمهات المؤمنين ـ صلى الله عليه ورضي عنهم ـ ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة، خصوصًا خديجة رضي الله عنها أم أكثر أولاده، وأول من آمن به وعاضده على أمره، وكان لها منه المنزلة العالية.

والصِّدِّيقة بنت الصديق رضي الله عنهما، التي قال فيها النبي ﷺ: «**فضلُ عائشةَ على النساء كفضلِ الثَّرِيد على سائر الطعام**»[٢].

ويتبرؤون من طريقة الروافض، الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم.

ومن طريقة النواصب، الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل.

ويمسكون عما شجر بين الصحابة.

ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساوئهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيدَ فيه ونُقص وغُيِّر عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون، إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون.

وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنَّه يُغفر لهم من السيئات ما لا يُغفر لمن بعدهم؛ لأن لهم من الحسنات

(١) رواه مسلم في الفضائل (٢٢٧٦)، وأحمد (١٦٩٨٦)، عن واثلة بن الأسقع.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤١١)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٣١)، عن أبي موسى الأشعري.

QaradawiBooks.com

التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم، وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ: إنَّهم خير القرون، وإنَّ المُدَّ من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أُحد ذهبًا ممن بعدهم.

ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه، أو غفر له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمد ﷺ، الذي هم أحق الناس بشفاعته، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه. فإذا كان هذا في الذنوب المحققة، فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين: إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطؤوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور لهم؟

ثم القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليلٌ نزْرٌ، مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم، من الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله، والهجرة والنصرة، والعلم النافع والعمل الصالح.

ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما مَنَّ الله به عليهم من الفضائل علم يقينًا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم هم الصفوة من قرون هذه الأمة، التي هي خير الأمم وأكرمها على الله تعالى»[1].

٣ ـ المخاطرة بالنفس والمال وكل محبوب أدبًا مع رسول الله ﷺ:

ومن الأدب مع الرسول: أن تكون مستعدًّا لتنفيذ أمره، وإن كان فيه مخاطرة بنفسك أو مالك أو ما تحب، كما إذا اقتضاك رسول الله أو سُنَّتُه أو دعوته: أن تشارك لإنقاذ جماعة من المسلمين وقعوا في مهلكة، ويحتاجون إلى من ينهض لإنقاذهم ممَّا هم فيه من أسباب الموت والهلاك

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٥٢/٣ ـ ١٥٦).

QaradawiBooks.com

وفساد الحرث والنسل، فإذا تُلي عليه حديث من أحاديث الرسول الصحيحة، أو نوشد هو ومجموعة أن يُرسَلوا إلى هذه المعركة الخطرة، فلا شك أنَّه سيكون عند حسن الظن، ولن يسوء ظن قومه فيه أبدًا.

وهذا على النقيض من المنافقين، الذين يهربون من المواجهة، ويختلقون الأعذار، فلا يُوضعون في موضع يعرضهم لأي خطر ولو من بعيد، وإذا حدث لهم أدنى خوف أو أقل قلق ملؤوا الدنيا صياحًا ونواحًا، وإن لم يفقدوا شيئًا. اقرأ في سورة التوبة قدر هؤلاء المنافقين بجوار إخوانهم المجاهدين أصحاب الرسول، قال تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ۝ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨١، ٨٢].

قال الشهيد سيد قطب عليه رحمة الله: «﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ﴾ وهي قولة المسترخي الناعم الذي لا يصلح لشيء ممَّا يصلح له الرجال.

إن هؤلاء لهُم نموذج لضعف الهِمَّة، وطراوة الإرادة، وكثيرون هم الذين يشفقون من المتاعب، وينفرون من الجهد، ويؤثرون الراحة الرخيصة على الكدح الكريم، ويفضلون السلامة الذليلة على الخطر العزيز.

وهم يتساقطون إعياءً خلف الصفوف الجادة الزاحفة العارفة، بتكاليف الدعوات. ولكن هذه الصفوف تظل في طريقها المملوء بالعقبات والأشواك؛ لأنَّها تدرك بفطرتها أن كفاح العقبات والأشواك فطرة في الإنسان، وأنَّه ألذ وأجمل من القعود والتخلف والراحة البليدة التي لا تليق بالرجال.

QaradawiBooks.com

والنص يرد عليهم بالتهكم المنطوي على الحقيقة ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ﴾.

فإن كانوا يشفقون من حر الأرض، ويؤثرون الراحة المسترخية في الظلال. فكيف بهم في حر جهنم وهي أشد حرًّا، وأطول أمدًا؟ وإنَّها لسخرية مريرة، ولكنها كذلك حقيقة. فإما كفاح في سبيل الله فترة محدودة في حر الأرض، وإما انطراح في جهنم لا يعلم مداه إلَّا الله: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾»[1].

وقد أنكرت سورة التوبة على هؤلاء المنافقين تخلُّفهم عن الجهاد بتعلُّلات وأعذار شتَّى يختلقونها، وأشادت بموقف أنصار الحق الذين ثبتوا وصدقوا باذلين كل شيء في سبيل الله ونصرة رسوله، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ۝ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التوبة: ٨٦ ـ ٨٨].

كلام ابن القيم في الأدب مع الرسول:

كتب الإمام ابن القيم في «مدارج السالكين» في الأدب مع رسول الله ﷺ كلامًا قيِّمًا أحببتُ أن أُضيفه إلى ما كتبناه، لتكتمل الصورة، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأمَّا الأدب مع الرسول ﷺ، فالقرآن مملوء به.

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (١٦٨٢/٣)، نشر دار الشروق، القاهرة، ط ١٧، ١٤١٢هـ.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٤ ـ كمال التسليم له:

فرأس الأدب معه: كمال التَّسليم له، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقَبول والتصديق، دون أن يُحمِّله معارضةَ خيالٍ باطل، يسمِّيه معقولًا، أو يُحمِّله شبهة أو شكًّا، أو يُقدِّم عليه آراءَ الرجال، وزُبَالات أذهانهم، فيوحِّده بالتحكيم والتسليم، والانقياد والإذعان، كما وحّد المرسِل ﷻ بالعبادة والخضوع والذل، والإنابة والتوكل.

فهما توحيدان، لا نجاة للعبد من عذاب الله إلَّا بهما: توحيد المرسِل، وتوحيد متابعة الرسول، فلا يُحاكِم إلى غيره، ولا يرضى بحكم غيره، ولا يقف تنفيذ أمره، وتصديق خبره؛ على عرضه على قول شيخه وإمامه، وذوي مذهبه وطائفته، ومن يعظِّمه، فإن أذنوا له، نفّذه وقَبِل خبرَه، وإلا، فإنْ طلبَ السلامةَ: أعرض عن أمْرِه وخبرِه، وفوَّضه إليهم، وإلا حرَّفه عن مواضعه، وسمَّى تحريفه: تأويلًا وحملًا. فقال: نؤوله ونحمله.

فلأنْ يلقى العبدُ ربَّه بكل ذنب على الإطلاق ـ ما خلا الشرك بالله ـ خيرٌ له من أن يلقاه بهذه الحال.

ولقد خاطبتُ يومًا بعض أكابر هؤلاء، فقلت له: سألتُك بالله، لو قُدِّر أنَّ الرسول ﷺ حيّ بين أظهرنا، وقد واجَهَنا بكلامه وبخطابه، أكان فرضًا علينا أن نتَّبعه من غير أن نعرضه على رأي غيره وكلامه ومذهبه، أم لا نتبعه حتى نعرض ما سمعناه منه على آراء الناس وعقولهم؟

فقال: بل كان الفرض المبادرة إلى الامتثال من غير التفات إلى سواه.

QaradawiBooks.com

فقلت: فما الذي نسخ هذا الفرض عنّا؟ وبأيِّ شيء نُسِخ؟

فوضع إصبعه على فيه، وبقي باهتًا متحيِّرًا، وما نطق بكلمة.

هذا أدبُ الخواصّ معه، لا مخالفةُ أمره والشرك به، ورفع الأصوات وإزعاج الأعضاء بالصلاة عليه والتسليم، وعزل كلامه عن اليقين، وأن يُستفاد منه معرفة الله، أو يتلقى منه أحكامه.

بل المعوَّل في باب معرفة الله: على العقول المتهوِّكة المتحيِّرة المتناقضة. وفي الأحكام: على تقليد الرجال وآرائها. والقرآن والسُّنَّة إنَّما نقرؤهما تبرُّكًا، لا أن نتلقى منهما أصول الدين ولا فروعه. ومن طلب ذلك ورامه عاديناه وسعينا في قطع دابره، واستئصال شأفته، ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ۞ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ۞ لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ۞ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ۞ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ۞ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ۞ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ۞ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ ۚ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ۞ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ۞ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۞ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٣ ـ ٧٤].

والناصح لنفسه، العامل على نجاتها: يتدبَّر هذه الآيات حقَّ تدبرها، ويتأملها حق تأمُّلها، ويُنزلها على الواقع؛ فيرى العجب، ولا يظنها اختصت بقوم كانوا فبانوا، فالحديث لك، واسمعي يا جارة. والله المستعان.

QaradawiBooks.com

٥ ـ لا يتقدَّم بين يديه بأمر ولا نهي:

ومن الأدب مع الرسول ﷺ: ألَّا يتقدَّم بين يديه بأمر ولا نهي، ولا إذن ولا تصرُّف، حتى يأمر هو، وينهى ويأذن، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [الحجرات: ١]، وهذا باقٍ إلى يوم القيامة ولم يُنسخ، فالتقدم بين يدي سُنَّته بعد وفاته، كالتقدم بين يديه في حياته، ولا فرق بينهما عند ذي عقل سليم.

قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تفتاتوا على رسول الله[١]. وقال أبو عبيدة: تقول العرب: لا تُقَدِّم بين يدي الإمام وبين يدي الأب، أي: لا تعجلوا بالأمر والنهي دونه[٢].

وقال غيره: لا تأمروا حتى يأمر، ولا تَنْهَوا حتى ينهى.

٦ ـ لا ترفع الأصوات فوق صوته:

ومن الأدب معه: ألَّا ترفع الأصوات فوق صوته، فإنه سبب لحبوط الأعمال! فما الظنُّ برفع الآراء ونتائج الأفكار على سنَّته وما جاء به؟! أترى ذلك موجبًا لقبول الأعمال؟! ورفعُ الصوت فوق صوته مُوجبًا لحبوطها؟!

٧ ـ ألا يجعَل دعاءه كدعاء غيره:

ومن الأدب معه: ألَّا يَجعل دعاءَه كدعاء غيره. قال تعالى: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗا﴾ [النور: ٦٣].

---

(١) رواه الطحاوي في مشكل الآثار (٣١٦/١).

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (٢١٩/٢)، تحقيق: فواد سزكين، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨١هـ.

QaradawiBooks.com

وفيه قولان للمفسرين:

أحدهما: أنكم لا تدعونه باسمه، كما يدعو بعضكم بعضًا، بل قولوا: يا رسول الله يا نبي الله. فعلى هذا: المصدر مضاف إلى المفعول، أي دعاءَكم الرسولَ ﷺ.

الثاني: أنَّ المعنى لا تجعلوا دعاءَه لكم بمنزلة دعاء بعضكم بعضًا؛ إن شاء أجاب، وإن شاء ترك، بل إذا دعاكم لم يكن لكم بُدٌّ مِن إجابته، ولم يسعْكم التخلفُ عنها البتة، فعلى هذا: المصدر مضاف إلى الفاعل، أي: دعاؤه إياكم.

٨ ـ ألَّا يذهب حتى يستأذنه:

ومن الأدب معه: أنهم إذا كانوا معه على أمر جامع ـ من خطبة، أو جهاد، أو رباط ـ لم يذهب أحد منهم مذهَبا في حاجته حتى يستأذنه؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ [النور: ٦٢] فإذا كان هذا مذهبًا مقيَّدًا بحاجة عارضة لم يُوسَّع لهم فيه إلَّا بإذنه، فكيف بمذْهَب مطلق في تفاصيل الدين؛ أصوله وفروعه، دقيقه وجليله، هل يشرع الذهاب إليه بدون استئذانه، ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

٩ ـ ألَّا يستشكل قوله:

ومن الأدب معه: ألَّا يستشكل قوله، بل تُستشكَل الآراء لقوله، ولا يعارَض نصُّه بقِياس، بل تُهدر الأقيسة وتلقى لنصوصه، ولا يُحرَّف

QaradawiBooks.com

كلامَه عن حقيقته لخيال يسمِّيه أصحابه معقولًا، نعم هو مجهول، وعن الصواب معزول، ولا يُوقَف قبول ما جاء به على موافقة أحد، فكل هذا من قلة الأدب معه ﷺ، وهو عين الجرأة»[1].

بهذا سنكمل أدبَنا مع رســول الله ﷺ، ونظل دائمًا نصغي لما يأتينا من قبله، ونسرع في متابعته على بركة الله.

* * *

(١) مدارج السالكين (٢/٣٦٥ ـ ٣٦٨).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

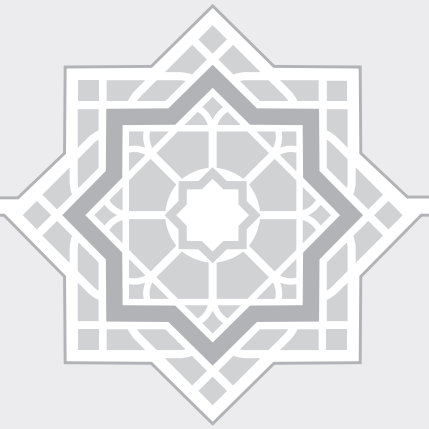
غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي



الباب الثاني

الأدب مع النفس



نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

على الإنسان أن يبذل جهده ليرقى بنفسه ويزكِّيها، ولا يهملها فيدسِّيها، وهي قابلة لهذا وذاك، فهي مستعدة للفجور استعدادها للتقوى. وإنَّما ترتقي إلى التقوى بالرياضة والمجاهدة والتزكية والتأديب، كما قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧ ـ ١٠].

وكلمة (تزكية) مشتقة من كلمة (زَكَا)، ومعناها لغة: طهر ونما. فهي تتضمن عنصرين: الطهارة والنماء. وتزكية النفس تعني: تطهيرها من عقائد الشرك، ورذائل النفاق، وصفات الأشرار، وتنميتها بعقائد التوحيد، وفضائل المؤمنين، وخصال الأخيار. وهو ما يعبِّر عنه أهل السلوك بـ (التخلية) و(التحلية)، أي التخلية من الباطل في الاعتقاد، والكذب في الأقوال، والسوء في الأفعال، والتحلية بالحق في الاعتقاد، والصدق في الأقوال، والخير في الأفعال.

ولا غرو أنْ شرع لنا الإسلام أن نجاهد أنفسنا، ونروِّضها على تقوى الله والإحسان للناس، كما روى الإمام أحمد في مسنده، عن فَضَالَة بن عُبيد قال: قال رسول الله ﷺ في حَجَّة الوداع: «**ألا أخبركم بالمؤمن؟ مَن أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلمُ مَن سلِم الناس من لسانه ويده، والمجاهدُ مَن جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجرُ مَن هجر الخطايا والذنوب**»[1].

(١) رواه أحمد (٢٣٩٥٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في الجهاد (١٦٢١)، وقال: حسن صحيح. وابن حبان في السير (٤٨٤/١٠)، والطبراني (٣٠٩/١٨)، والحاكم في الإيمان (٥٤/١)، وصحَّحه على شرط مسلم، وسكت عنه الذهبي.

QaradawiBooks.com

ولهذا أوصى المربُّون على اختلاف العصور برياضة النفس، كما يراضُ البدن، ليقوى ويصحَّ، ويقدر على سرعة الحركة، وتحمُّل الخشونة والمعاناة.

بل رياضة النفس أهم من رياضة البدن. يقول أبو الفتح البُستي في نونيته[١]:

يا خادمَ الجسمِ كم تسعى لخِدْمَتِه ... أتطلبُ الرِّبْحَ ممَّا فيه خُسْرَانُ؟
أقْبِلْ على النَّفْسِ واستكملْ فَضَائِلَها ... فأنتَ بالنَّفْسِ لا بالجِسْمِ إنسانُ!

ويقول البُوصيري في بُرْدَتِه[٢]:

والنفسُ كالطِّفْلِ إن تهملْه شبَّ على ... حبِّ الرَّضاعِ، وإن تفطمْه ينفطمِ
فاصرفْ هواها وحاذرْ أن تُوَلِّيَه ... إنَّ الهوى ما تولَّى يُصْمِ أو يَصِمِ

معنى: يُصْم: يقتل. ومعنى: يَصِم: يعِيب. من وصمه أي عابه، فاتباع الهوى إما يهلكك وإما يَشينك.

وهذا كله يحتاج إلى مجاهدة، والمجاهدة إذا كانت في ذات الله، ومن أجل ابتغاء مرضاته: فهي لا بد موصِّلة إلى ثمرتها، وَفْق سنن الله سبحانه، وهي الهداية الربانية، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ومعنى ﴿جَٰهَدُواْ فِينَا﴾: أي في ذاتنا وفي سبيلنا وابتغاء مرضاتنا.

يصف الإمام الغزالي هذه النفس، فيقول: إنَّها في حالة الشهوة بهيمة، وفي حال الغضب سَبُع، وفي حال المصيبة تراها طفلًا صغيرًا، وفي حال

(١) انظر ديوانه صـ ١٨٣.
(٢) انظر: البردة مع شرح الباجوري صـ ٣٧.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

النعمة تراهـــا فرعونًا، وفي حال الجوع تراها مجنونًا، وفي حال الشِّـــبَع تراها مختالًا! إن أشبعتها بطِرت وفرحت، وإن جوَّعتها صاحت وجزِعت، فهي كما قال الأول[١]:

كحمـــار الســـوء إن أشـــبعته رَمَح النـــاس[٢] وإن جاع نَهَق![٣]

ولهذا حذَّر القرآن الكريـــم من اتباع هوى النفـــس، كما قال تعالى لداود: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [ص: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [القصص: ٥٠]. وقال في ذمِّ المنافقين: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [محمـــد: ١٦]. وقال لرســـوله: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

وجعل اتباع الهوى ضربًا من الشرك، إذا اتَّخذ المرء إلٰهه هواه، كما قـــال تعالـــى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۞ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤].

وفي ســـورة أخرى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ﴾ [الجاثية: ٢٣].

ولهذا قال ابن عباس: شرُّ إلٰهٍ عُبِدَ في الأرض الهوى[٤].

---

(١) البيت لصالح بـــن عبد القدوس. انظر: روضة العقلاء ونزهـــة الفضلاء لابن حبان صـ ١٢٢، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر دار الكتب العلمية، بيروت. ورواه ابن عساكر في تاريخه (٥٦/١٨) عن مسكين الدارمي.

(٢) أي: رفسهم.

(٣) انظر: منهاج العابدين للغزالي صـ ١٧٩، ١٨٠.

(٤) سبق تخريجه صـ ١٤٣.

QaradawiBooks.com

وعلى المؤمن أن يجرِّد نفسه من اتباع الهوى أو (عبادة الذات)، حتى يَخلُص عبدًا لله وحده لا لشيء غيره، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وكل تحرير يلزم أن يسبقه جهاد من نوعه، فمَن لم يجاهد لم يتحرَّر.

وقد بيَّن الإمام الغزالي[١] صعوبة جهاد النفس الأمَّارة بالسوء، المعادية لسعادة الإنسان، من وجهين:

الأول: أنَّها عدو من الداخل. واللص إذا كان من داخل الدار كان الاحتراس منه أصعب. وفي هذا يقول الشاعر الصالح[٢]:

نفسي إلى ما ضرَّني داعي ... تَهيجُ آلامي وأوجاعي
كيف احتيالي من عدوِّي إذا ... كان عدُوِّي بينَ أضلاعي؟!

الثاني: أنَّها عدو محبوب. وإذا كان المرء يحبُّ عدوه، فكيف يقاومه؟! يقول الغزالي: والإنسان عَمٍ عن عيب محبوبه، لا يكاد يبصر عيبه، كما قال القائل:

ولستَ ترى عيبًا لذي الوُدِّ والإخَا ... ولا بعضَ ما فيه إذا كنتَ راضيَا
وعينُ الرضا عن كلِّ عيب كليلةٌ ... كما أنَّ عينَ السُّخْط تُبدي المساويا[٣]

---

(١) انظر: منهاج العابدين للغزالي صـ ١٧٩، ١٨٠.

(٢) من شعر العباس بن الأحنف. كما في العقد الفريد (٣٢/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

(٣) البيتان لعبد الله بن معاوية. انظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي صـ ٣٢٧، نشر دار المعارف، القاهرة، وقال: هو أول من ذكر (عين الرضا) في شعره، وأرسل مثلًا.

QaradawiBooks.com

فإذن يستحسن الإنسان من نفسه كل قبيح، ولا يكاد يطلع على عيب لها، وهي في عدوانها وإضرارها، فما أوشك ما توقعه في كل فضيحة وهلاك، وهو لا يشعر، إلَّا أن يحفظه الله تعالى بفضله، ويعينه عليها برحمته[١].

وإذا وُفِّق المرء في جهاد نفسه: انتقلت من حالة إلى حالة، وارتفعت من درجة إلى درجة.

وما أجمل ما قاله الماوردي: «اعلم أنّ النّفس مجبولة على شِيَم مهملة، وأخلاق مرسلة، لا يستغني محمودها عن التّأديب، ولا يُكتفى بالمرضيّ منها عن التّهذيب؛ لأنّ لمحمودها أضدادًا مقابلة، يساعدها هوى مطاع، وشهوة غالبة، فإن أغفل تأديبها تفويضًا إلى العقل، أو توكُّلًا على أن تنقاد إلى الأحسن بالطَّبع، أعدمه التّفويض دَرَك المجتهدين، وأعقبه التّوكُّل ندم الخائبين، فصار من الأدب عاطلًا، لأنّ الأدب مكتسب بالتّجربة، أو مستحسن بالعادة، ولكلّ قوم مواضعة، وكلّ ذلك لا ينال بتوقيف العقل، ولا بالانقياد للطّبع، حتّى يكتسب بالتّجربة والمعاناة، ويستفاد بالدّربة والمعاطاة، ثمّ يكون العقل عليه قيِّمًا، ولو كان العقل مغنيًا عن الأدب لكان أنبياء الله عن الأدب مستغنين وبعقولهم مكتفين»[٢].

* * *

(١) انظر: منهاج العابدين للغزالي صـ ١١٩.

(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي صـ ٢٦٦.

QaradawiBooks.com

الفصل الأول

أدب المسلم في التبصُّر وتكوين الرأي والنهج

مِن القِيم الأصيلة، والفضائلِ الكريمة، والآداب الحميدة، التي دعا إليها الإسلام، وربَّى أبناءه عليها: تحرِّي الحق، والتبصُّر في تكوين الرأي، والتثبُّت فيه، حتى لا يجرفَه الباطل، أو تتشعب به أودِية الضلال، فيعمى عليه الطريق، ويهلك مع الهالكين.

السبيل إلى معرفة الحق:

والسبيل إلى معرفة الحق، وتكوين الرأي السديد في أمْر مِن الأمور: أن يجرِّد المرءُ نفسه ـ ما استطاع ـ مِن كلِّ رأي سابق، وأن يستعمل عقلَه في البحث والموازنة والترجيح، مُهتديًا بما آتاه الله مِن هدًى وعلم، ومنتفعًا بتجارب الآخرين وثمرات عقولهم، من غير تقديس لأيِّ بشر غيرِ معصوم عن الخطأ، إلَّا ما جاء من الله ورسوله ﷺ في غير شؤون الدنيا وفنياتها، فليس له إلَّا أن يقول: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٥]. أمَّا ما جاء في أمور الدنيا المحضة، كما قاله الرسول الكريم في تأبير النخل، حيث نهاهم عن تأبير النخل، وظنوا هذا وحيًا من الله، فتركوا التأبير، فلم ينتج النخل في هذا العام، فقال النبي ﷺ: «**إنَّما ظننتُ ظنًّا فلا تؤاخذوني بالظن، أنتم أعلمُ بأمر دُنياكم**»[(١)].

(١) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٦٣)، عن عائشة. وانظر هذا البحث بطوله في كتابنا: كيف نتعامل مع السُّنَّة صـ ١٤٦ وبعدها، ط ٦، ٢٠١٠م.

QaradawiBooks.com

الرجوع إلى الله ورسوله في أمور الدين:

والمطلوب من المسلم أن يرجع إلى الله ورسوله في كل ما يتعلق بأمر الدين، ومعرفة هداه وأحكامه الكليَّة والجزئيَّة، والأصليَّة والفرعيَّة، في العقائد والعبادات والمعاملات، والتشريع الفردي والأسري والمجتمعي العام، وكذلك الأخلاقيَّات والعقوبات الدينيَّة، فتؤخذ ممَّا جاء به المعصوم من الكتاب والسُّنَّة، ولا يتوقف في ذلك المسلم المستقيم، ولا يتلعثم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وكل رأي في ناحية من النواحي له طُرقه ووسائله التي يُوصَل إليه مِن طريقها، فالحكم الدينيُّ له طُرقُ معرفتِه من الكتاب والسُّنَّة، والقياس عليها، والإجماع الحقيقي المتيقَّن. ومن ذلك: علوم العقيدة والشريعة والسلوك الإسلامي. وكل علم له منهجه، وله أصوله، وله مراجعه وكتبه، وله وسائله وطرقه، وله أهله وعلماؤه.

ومن أراد أن يطلب علمًا من هذه العلوم، فليسأل أهل الذكر والخبرة فيها، وليدخُلها من بابها، وليطلُبها ممَّن يحسنها، وليصبر عليها. ولا يحسب أنَّ العلم لُعبة يلعب بها من يريد، بل هو رسالة كبيرة، تتطلب تفرُّغًا وإرادة وتعبًا وتحصيلًا حتى تصل إلى بعض ما تريد، كما قال الشاعر:

بقدرِ الكدِّ تُكتَسبُ المعالي ومَنْ طَلَبَ العُلا سَهِرَ اللَّيَالي

والرأي في المجال العلمي له طُرقه العلمية المعروفة من الملاحظة والتجربة، يستوي في ذلك علوم البر وعلوم البحر وعلوم الفلك. وما

QaradawiBooks.com

عُرف منها سُطِّر في كتبه، وقام عليه رجاله، وتخصص فيه المتخصصون، ونبغ فيه النابغون.

والرأي الاجتماعي والاقتصادي له طرقه التي يتوصَّل بها أهله، إلى معرفتِه باقتفائها. فكُلُّ علم يستطيع البشر أن يحصِّلوه من أهله، ويعرفوه مِن خبرائه، ومَن سار على الدرْب وصل.

عوائق في سبيل تكوين الرأي:

ولا يتمُّ لنا بيانُ معرفة الطريق الصحيح لمعرفة الحق، وتكوين الرأي الصائب في أيِّ أمر، إلَّا إذا عرفنا العوامل المعوِّقة، والعقبات التي تحُول بين الناس وبين الرأي الرشيد، وتضلِّلُهم عن الاهتداء إلى الحق واستبانة طريقه.

ويمكننا أن نُجْمِل هذه العوامل المعوقة في أربعة:

١ ـ التسرُّع في تكوين الرأي بالظنِّ، والتخمين دون دليل مُقنِع شافٍ.

٢ ـ اتِّباع هوى النفس وعواطفها.

٣ ـ التهجُّم على القول بما لا يعلمه الإنسان ولا يُحسنه غرورًا وادِّعاءً.

٤ ـ التقليد الأعمى لأفكار الآخرين وآرائِهم بلا بصيرة ولا تمييز.

وسنتحدث عن كل عائق من هذه الأربعة:

العائق الأول: اتِّباع الظنِّ والتخمين في موضع اليقين:

هناك مسائِل صغيرة، وجزئيات يسيرة في الحياة، يكفِي الإنسان فيها أن يحكم بالظنِّ الغالب، ما دام لا يترتَّب على ذلك ضررٌ بأحد.

QaradawiBooks.com

أمَّا الآراء الخطيرة، التي تتعلّق بمعتقدات الإنسان، واتجاهه الأساسي الفكري، وتحديد علاقته بالله وبالكون، وبالناس والحياة، فلا يكفي فيها الظنُّ والتخمين. بل لا بد مِن اليقين القائم على البُرهان العقليِّ والدليل العلميِّ. وهذا الذي يقوم عليه اليقين الديني.

ولهذا خاطب القرآنُ أصحابَ المعتقدات الباطلة ناعيًا عليهم الإيمان بما لا يقوم عليه دليل، ولا يسنده برهان، ولا يؤيِّده علم ولا كتاب، بمثل هذه الآيات الكريمة: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [الحج: ٨]، ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

وكذلك حين ناقش القرآن المشركين أو أهل الكتاب من اليهود والنصارى في عقائدهم التي يؤمنون بها، والتي ورثوها عن آبائهم، لم يستطيعوا أن يدافعوا عنها، وألزمهم القرآن بالحُجج الدامغة، والبيِّنات البالغة، فلم يجدوا جوابًا، كما قال تعالى للمشركين: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۞ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦].

وكما قال اليهود للنصارى: لا يدخل الجنة إلَّا من كان يهوديًّا. وردَّ عليهم النصارى فقالوا: لن يدخل الجنة إلَّا مَنْ كان نصرانيًّا. فردَّ عليهم القرآن بأنَّ الجنَّة ليست بالعناوين، ولا بالكلام، ولا بمجرَّد الأسماء. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١١، ١١٢].

QaradawiBooks.com

ومِن هنا لا يجوز للإنسان أن يكوِّن رأيًا في مبدأٍ أو عقيدة أو قضيَّة دينيَّة، أو علميَّة، أو اجتماعيَّة، دون مقدِّمات كافية، وأدلة شافية. أمَّا الاعتماد على الظنِّ والخرْص والتخمين: فهو ليس شأن المسلم الذي علمه القرآنُ وربَّاه، إنَّما هو شأن المشركين والكُفَّار المعاندين، الذين أنكر عليهم القرآنُ طريقتهم، وحَمَلَ عليهم لإلغائهم عقولهم، واتباعهم الظن في مقامٍ لا يُغني فيه إلَّا الجزمُ واليقين.

قال تعالى في شأن المشركين: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [يونس: ٣٦]، ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨].

وقال تعالى في شأن النصارى، واعتقادهم في شأن المسيح وصلبه: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ [النساء: ١٥٧].

وقال الرسول ﷺ مخاطبًا المسلمين، ومُوجِّهًا: «**إيَّاكم والظنَّ؛ فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديث**»[1].

العائق الثاني: اتِّباع الهوى:

وفي القرآن أنَّ الله تعالى قال لداود: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [صٓ: ٢٦]. فحذَّر الله داود من اتِّباع هواه، فيبعده عن الحق، وعن طريق الله المستقيم.

ومعنى اتِّباع الهوى: أن يجعل الإنسانُ عقلَه تَبَعًا لشهواتِه، وميوله الخاصَّة، ومنافعه الذاتيَّة، ومطامعه الشخصيَّة، وتطلعاته الحزبيَّة أو

(١) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥١٤٣)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٦٣)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الطائفيَّة أو القوميَّة. فما وافق ذلك من الآراء: قَبِلَه وأسرعَ إليه، وأعلن أنَّه الحق والصواب. وما خالف ذلك أعرض عنه، ونأى بجانبه. هذا الهوى إذا غلب على المرء: يُعمِيه ويُصمُّــه، فلا يميِّز حقًّا مِن باطلٍ، ولا يعرف هدًى من ضلال، ولا خيرًا من شر. وهذا هو الهوى الذي دفع أحد ابنيْ آدم وهو الأخ الشــرير إلى قتل أخيه الطيِّب حين تقبل الله هَدْيه وقربانه، ولم يتقبَّل هَدْي الأخ الظالم الخبيث وقربانه، قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْأَخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۞ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٧، ٢٨].

لهذا يحذِّر الحكماء والأدباء والمربُّون من اتِّباع هوى النفس الأمَّارة بالسوء. يقول البوصيري في بردته[١]:

وخالف النَّفس والشّيطان واعصهما ... وإن هما محَّضــاك النّصح فاتّهمِ
ولا تطع منهما خصمًا ولا حكمًا ... فأنت تعرف كيد الخصم والحَكَمِ

وقال شاعر قديم[٢]:

نــونُ الهوانِ من الهوى مســروقةٌ ... فصريعُ كلِّ هوًى صريــعُ هوانِ

من أمارات اتِّباع الهوى:

ومن أمارات اتباع الهوى: أن يتحيَّز الإنسان لرأي في حادثة أو قضية أو عقيدة، ثم يحاول أن يلتمس له الأدلة والأســانيد، وإن كانت واهية،

(١) سبق عزوه صـ ١٤٧.

(٢) من شــعر عبيد الله بن طاهر، كما فــي التمثيل والمحاضــرة للثعالبــي صـ ١٠٣، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، نشر الدار العربية للكتاب، ط ٢، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

QaradawiBooks.com

فهو يكوِّن الرأي، ثم يبحث له عن دليل. والمنهج السديد: أن يبحث عن الدليل أولًا، ثم يكوِّن الرأي ثانيًا.

إنَّ الهوى حجابٌ بين العقل الإنساني ورؤية الأمور على حقيقتها، فصاحب الهوى يُكوِّن الأشياء ويُكيِّفُها ويُفسِّرُها تَبَعًا لهواه، وبهذا قد يكون للشيءِ الواحد عند الإنسان الواحد عشرة ألوان، أو مائة لون ولون، وللواقعةِ الواحدة عشرة تكييفات، أو مائةُ تكْيِيف وتكْيِيف، وللنص الواحد عشرة تفسيرات، أو مائة تفسير وتفسير، تَبَعًا لأهواء الأنفس المتعدِّدة، وليس بين هذه الآراء المُتعددة رأيٌ أصلح من رأي، ولا تفسيرٌ أولى مِن تفسير؛ لأنَّها كلها مبنيَّة على الهوى، وليس هواي أفضل من هواك، ولا هواك بأفضل من هواي، وليس هوى زيدٍ بأفضلَ من هوى عمرٍو، فكلها أهواء طائرة في الهواء.

ومِن هنا حذَّر القرآنُ مِن اتِّباع الهوى، وذمَّهُ في آيات كثيرة، وقد ذكرنا قوله تعالى يُخاطب نبيَّه داود عليه السلام: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [صٓ: ٢٦]. وقد ذكر الله ذلك لداود حين حكم بين الخصمَيْن اللذين احتكما إليه، وسارع فحكم على أحدهما بسرعة، دون أن يستمع إلى حجَّته، ويعرف ما عنده، ولا بد للقاضي أن يستمع من الطرفين، والناس يقولون في أمثالهم: إذا أتاك أحد الخصمين وعينه مقلوعة، فلا تحكم له قبل أن ترى الآخر، فلعلك ترى عينيه مقلوعتين.

وقال تعالى يُخاطب رسوله محمدًا ﷺ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

QaradawiBooks.com

وفي مقام آخر قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۞ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ١٨ ـ ٢٠]. فهذا تحذير من أهواء المشركين.

وهناك تحذير من أهواء أهل الكتاب: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وتحذير آخر من أمثالهم: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

فهو مطالب أن يحكم بكل ما أنزل الله إليه، وليس جائزًا له أن يأخذ البعض ويترك البعض تبعًا لهواه أو أهوائهم. فالشريعة هي الخروج من الهوى البشري كله، سواء أكان هوى المرء الشخصي، أم أهواء الآخرين، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ٥٦]، وقال تعالى يخاطب خاتم رسله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

ولذا قال تعالى لنبيِّه مُحذِّرًا: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، وقال ﷻ في ذمِّ المنافقين: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦].

وكما حذَّر القرآن من اتِّباع أهواء الآخرين من أعداء المسلمين الذين يضلونهم عن سبيل الله، حذَّرهم أن يتَّبعوا هوى أنفسهم، كما قال تعالى:

QaradawiBooks.com

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣]

وقد ذمَّ الله عَبَدَةَ الأصنامِ بجمعهم بين الخِسَّتَيْنِ: «اتِّباع الظن» و«اتِّباع الهوى»، فقال تعالى: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣].

ووصف القرآنُ مُتَّبِعِي الهوى بأقبحِ الأوصاف وأشْنَعها، وجعلهم في منزلة الأنعام التي لا تفْقــه ولا تُميِّز: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣ ـ ٤٤].

وإنَّما كانوا أضل من الأنعام؛ لأنَّ الأنعام لم تُؤْت ما أوتوا من العقول الهادية، والضمائر الموحية، والأديان المبصِّرة بالحق، الداعية إلى الخير، الباعثة على الرشد. ومع هذا لم تبلغ الأنعام في الشر والغي ما بلغ البشر، فهي تؤدي مهامها في الأرض. فهل رأيت بقرة تمردت على أن تحلب، أو فرسًا تمرَّد على أن يُركب؟! ولهذا كان الإنسان أضل منها سبيلًا.

العائق الثالث: التقليد الأعمى:

ومن أخطــر الآفات في تكوين الــرأي الصــواب، والاعتقاد الحق: التقليد الأعمى. وهو الذي لا يعي ولا يبصر، ولا يميِّز.

ومعنى التقليد: ألَّا يكون الإنســان تابعًا لعقله هو، الذي وهبه اللهُ له ليفكِّرَ به، بل لعقل غيره، فيســلِّم لغيره هذا زمامَ نفسِه، يدور في فَلَكِه، ويَحْطِبُ في حبْله، ويُقدِّم أفكارَه وإن كانت فاســدة، ويقدس أقواله وإن

QaradawiBooks.com

كانت حُمْقًا وضلالًا، وقد نعَى الإسلامُ على المقلِّدين كافة، وذمَّ كل أنواع التقليد أيًّا كان: المقلَّد والمقلِّد.

أنواع التقليد المذموم:

والتقليد أنواع كثيرة عرفها الناس، واعتقدوها، وأورثوها لذريَّاتهم من بعدهم، يأخذها بعضهم من بعض، فمنها:

تقليد الآباء والأجداد:

تقليد الأبناء والأحفاد للآباء والأجداد، في اعتقاداتهم وأفكارهم وتقاليدهم، دون نظر فيها، ولا تمْييز بين صحيحها وسقيمها، وحقِّها وباطلها، إبقاءً لكل قديم على قدمه.

وقد كان هذا التقليد الأعمى مِن أكبر العقبات في سبيل دعوات الرسل عامَّة، والدعوة الإسلاميَّة خاصَّة، ولهذا ذمَّ الله مشركِي العربِ بقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ۞ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠ ـ ١٧١].

ومن قبلُ قال قومُ هودٍ له: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠]. وقال قومُ شعيبٍ: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ [هود: ٨٧].

وقال كل قومٌ مِن الأقوام لرسلِهم: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠].

QaradawiBooks.com

وقرَّر القرآنُ هـذه الحقيقة قاعدةً عامـة، فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

تقليد الزعماء والكبراء:

ومنه تقليد العامة للرؤساء والكبراء، فيصبح المقلِّد ذنَبًا لزعيم القبيلة أو البلـد أو الحـزب أو المذهب أو الأمـة، يقول، فيَسـمعون، ويأمُر، فيُطيعون. يعمل التافهَ مـن الأمور، فيضخِّمونـه، ويرتكب الخطير من الأخطاء أو الخطايـا، فيهونونه، بل يُبرِّرونـه. كلُّ ما يقوله صدْق، وكلُّ ما يراه حق، وكلُّ ما يفعله جميل.

هؤلاء الناس سُكارى، قد أضاعوا عقولهم، وألغوا تفكيرهم، وانقادوا انقياد الأعمى، وقدَّسـوا أشـخاصًا غير معصومين، فلا عجب أن حمل القرآنُ عليهم، وبين ضلالهم، وحمَّلهـم أوزار انقيادهم الأعمى، وإلغاء عقولهم: ﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ۞ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۞ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٦٦ ـ ٦٨].

وقد ذكر القرآن في سورة البقرة تلاومَهم يوم القيامة، وبراءة بعضهم من بعض، ومحاولة كل فِئة إلقاء اللوم على الفئة الأخرى: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٦ ـ ١٦٧]، وكذلك في سورة الأعراف: ﴿قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨].

QaradawiBooks.com

وفي سورة سبأ تفصيل لمواقف الرؤساء والقادة والمتبوعين، ومواقف المرؤوسين والعامة والتابعين، رد بعضهم على بعض: مَن المسؤول؟ ومن يتحمل التبعة؟ تقرأ ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۝ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ۝ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٣١ ـ ٣٣].

التقليد العلمي والمذهبي:

وممَّا ذمَّه الإسلامُ في هذا الباب: التقليدُ العلمي، كالتقليد في المعتقدات، كأنْ يقلد المذهبَ المعتزلي، أو مذهب المرجئة، أو الشيعة، أو المشبِّهة، أو المجسِّمة، أو غير ذلك من أصحاب المقولات الشنيعة على الإسلام، وما أكثرها!

وكالتقليد في المذاهب الفقهيَّة ـ لمن له أهليَّة الاجتهاد والترجيح ـ وهو أخفُّ من التقليدات الاعتقاديَّة، فيتَّبِع هذا المذهبَ الحنفيَّ، وآخرُ المالكيَّ، وآخر الشافعي، وآخر ابنَ حنبل، أو الثوريَّ، أو الطبريَّ، أو غير ذلك، وهو يتبعه دون أن يعرِف حُجَّته، ويقتنع بصحَّتِها وتقديمها على غيرها، ولكنَّه مقتنع بأحقِّيَّة تقليدِه في كل ما قاله.

يقولون: هذا عندنا غيرُ جائزٍ ومَن أنتمو حتى يكون لكم «عندُ»[1]؟

(١) قاله ابن دقيق العيد في قصة ذكرها المقريزي في السلوك لمعرفة دول الملوك (٢/٢٩٣)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م، =

QaradawiBooks.com

وكالتقليد في طرق السلوك إلى الله، فهذا قادريٌّ، وهذا شاذليٌّ، وهذا نقشبندي، وهذا بُرهاني، وهذا أحمديٌّ، وهذا تيجاني... إلى آخر هذه الطُّرق وما يتفرَّع منها.

وقد تحدثنا عن هذا التقليد ومتى يجوز، ومتى لا يجوز في أحد كتبنا في شرح الأصول العشرين للإمام حسن البنا، وهو كتاب «كيف نتعامل مع التراث والتمذهب والاختلاف»[1]، وبيَّنَّا هناك بالشرح والأدلة: أنَّ العاميَّ الذي لا يستطيع قراءةَ الأدلة ومعرفة أغوارها، وما فيها من أسئلة شائكة، وما تحتاج إليه من أوقات جمَّة، ومن إجابات صعبة، فله أن يتَّبع إمامًا مِن أئمة الدين في فروع الاعتقاد، أو في الفقه، أو في السلوك. ويَحْسُنُ به مع هذا أن يتعرَّف على أدلَّة إمامه ما استطاع، ويتعرَّف على كل إرشاد مصحوب بالدليل، إذا صحَّ عنده صدق من أرشده وقوة علمه، وأن يستكمل نقصه العلمي بالدراسة المنتظمة، في مجالات العلم على أهلها ووسائلها، إن كان من أهل النظر وطُلَّاب العلم، حتى يصل ما استطاع إلى الاستقلال.

تحذير ابن الجوزي من خطر التقليد:

ونُحَذِّرُ هنا ممَّا حَذَّرنا منه الإمامُ ابن الجوزي في كتابه النقدي القيم: «تلبيس إبليس» مِن ظلمة التقليد وخطره على العقل المسلم إذا انفرد به، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «دخل إبليس على هذه الأمة في عقائدِها من طريقين:

= وأصله لابن نباتة، كما في ديوانه صـ ١٣٥، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت. ولفظه:

وقُلْتُم قبيحٌ عندَنا العشقُ بالفتى فمن أنتمو حتى يكونَ لكم عندُ؟!

(١) انظر كتابنا: كيف نتعامل مع التراث والتمذهب والاختلاف، صـ ٦٢، وما بعدها، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

أحدهما: التقليدُ للآباء والأسلاف.

والثاني: الخوض فيما لا يُدْرَكُ غَوْرُه، ويَعجِز الخائض عَن الوصول إِلَى عُمْقِه. فأوقع أصحابَ هذا القسم في فنون من التخليط.

فأمَّا الطريق الأَول: فإنَّ إبليس زيَّن للمقلِّدين أنَّ الأدلة قد تَشْتَبِه، والصواب قد يخفى، والتقليد سليم، وقد ضلَّ في هذا الطريق خلْقٌ كثير، وبه هلاك عامةُ الناس، فإنَّ اليهود والنصارى قلَّدوا آباءهم وعلماءَهم، فضلُّوا، وكذلك أهلُ الجاهلية.

واعلمْ أنَّ العلَّة التي بها مدحوا التقليدَ بها يُذَم؛ لأنَّه إذا كانت الأدلة تشتبه، والصواب يخفَى، وجَبَ هجْرُ التقليد لئلَّا يُوقِع في ضلال، وقد ذمَّ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الواقفين مع تقليد آبائهم وأسلافهم، فقال وَجَلَّ: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ۞ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ [الزخرف: ٢٢ ـ ٢٤]، وقد قال وَجَلَّ: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْاْ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ۞ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ [الصافات: ٦٩ ـ ٧٠].

واعلمْ أنَّ المقلِّد على غير ثقةٍ فيما قلَّد فيه، وفي التقليد إبطالُ منفعةِ العقل؛ لأنَّه إنَّما خُلِق للتأمُّل والتدبُّر، وقبيحٌ بمَن أُعطِي شمعةً يستضِيء بها أن يُطفِئها ويمشي فِي الظلمة.

واعلم أن عُموم أصحاب المذاهب يعظُم في قلوبهم الشخصُ، فيتَّبعون قوله من غير تدبُّر بما قال، وهذا عين الضلال؛ لأنَّ النظر ينبغي أن يكون إِلَى القول لا إِلَى القائل، كما قال علي رضي اللهُ عنه للحارث بن حوط، وقد قال له: أتظن أنَّا نظُنُّ أن طلحة والزبير كانَا على

QaradawiBooks.com

باطلٍ؟ فَقَالَ لَهُ: يا حارث، إِنَّهُ ملبوس عليك، إنَّ الحق لا يُعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله.

وكان أحمد بن حنبل يقول: مِن ضِيق علمِ الرجل أن يقلِّد في اعتقاده رجلًا»[١].

ونقول هنا: يطلب من العامِّي أن يبذل جهده المستطاع والمعذور عليه في اختيار من يقلده، فالعالم المجتهد يُحسن الترجيح بين الأدلة، وعلى المقلِّد أن يحسن الاختيار بين المجتهدين، يقول الإمام القرطبي في تفسيره: «فرض العامي الذي لا يشتغل باستنباط الأحكام من أصولها لعدم أهليته فيما لا يعلمه من أمر دينه ويحتاج إليه: أن يقصد أعلم من في زمانه وبلده، فيسأله عن نازلته، فيمتثل فيها فتواه، لقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وعليه الاجتهاد في أعلم أهل وقته بالبحث عنه، حتى يقع عليه الاتفاق من الأكثر من الناس»[٢].

والذي نراه أنَّه يكفي أن يسأل العالم الذي يحسن فهم الأدلة وتنزيلها على وقائعها، والذي شهد له أهل العلم بالإجادة والإتقان، وظهر من حاله تقوى الله وفعل الطاعات والبعد عن المحرمات.

اتباع التقاليد الفاسدة:

ومن التقليد المذموم: تقليد الشخصِ لما يسُود في المجتمع عامَّة، مِن أعراف وإنْ كانت ضالة، ومِن تقاليدَ وإن كانت فاسدة، ولا يستخدم عقلَه الذي ميَّزه اللهُ به عن سائر الحيوانات في التمييز بين الأفكار.

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي صـ ٧٤، ٧٥، نشر دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

(٢) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن (٢١٢/٢).

QaradawiBooks.com

وقد حذَّر الرسول ﷺ من هذا اللون من التقليد والتَّبعيَّة، وذوبان الشخصية، وحثَّ المسلم على التحرُّر منه؛ ليكون مستقلَّ الفِكر، حرَّ الرأي، لا تابعًا لكُلِّ ناعق، ولا مائلًا مع كل ريح، فقال في ذلك: «**لا تكونوا إمَّعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنَّا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وَطِّنوا أنفسَكم، إنْ أحسن الناس أن تُحسنوا، وإن أساؤوا فلا تظلموا**»[(١)].

العائق الرابع: الغرور وادِّعاء المعرفة:

وممَّا يُوقع الإنسانَ في خطأِ الرأي، وضلالِ الاعتقاد، وسوء التقليد: ادِّعاء المعرفة، والتهجُّم على ما لا يُحسنه ولا يعلمه، مع أنَّ الواجب هنا أن يرجع إلى أهل الاختصاص في اختصاصِهم، ويستفتي أهلَ الخبرة فيما هو من شأنِهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]. وقال سبحانه: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]. وقال تعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]. وقال ﷻ: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

أمَّا الذي يُنصِّب مِن نفْسِه أستاذًا في كُلِّ عِلْمٍ، ومرجعًا في كلِّ فنٍّ، ومفتيًا في كل قضية، فقلَّما يصدر عنه إلَّا الخطأ والجهلُ والضلال، بل إنَّ أهل الاختصاص أنفسَهم لتعْرِض لهم بعضُ المسائل فيما هو من اختصاصهم، فلا يعرفونها، ولا يجدون لها جوابًا شافيًا علِموه. وأدب الإسلام حينئذٍ ألا يستحْيِي العالمُ من قول: لا أدري، وليس في العِلم كبير، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

---

(١) رواه الترمذي في البر والصلة (٢٠٠٧)، وقال: حسن غريب. والبزار (٢٨٠٢)، وضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع (٦٢٧١)، عن حذيفة بن اليمان. ولكنَّه يتماشى مع القواعد العامة والمبادئ الكليَّة في الإسلام.

QaradawiBooks.com

وقد سُئل الإمامُ مالك رضي الله عنه، عن عدد من مسائل الفقه، فكان جوابه عنها: لا أدري.

ولكن إذا كثر الجهل، ادَّعى كل جاهل أنَّه عالم، فكثر الأدعياء، وقلَّ الأصلاء، واختلط الحابل بالنابل، وحدَث ما حـذَّر منه النبي ﷺ حين قال: «**إنَّ الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبقِ عالمًا، اتَّخذ الناس رؤوسًا جهَّالًا، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلُّوا وأضلُّوا**»(١).

وقال عن ابن عباس رضي الله عنه: من ترَك قولَ: لا أدري. أُصيبتْ مَقاتِلُه(٢).

وعلى العلماء في مثل هذه الظروف أن يسـأل بعضهم بعضًا. فالفرد الواحد قـد تخفى عليه بعض الأمـور، ولكن مجموعة مـن الأفراد إذا نظرت في الأمر تكون أقرب رشدًا، وأوفر إلى إصابة الحق.

ومن هنا نشـأت فكرة «المجامع العلميَّة» المختصـة في العلوم أو الآداب أو الفنون. وظهرت المجامع الفقهيَّة فـي عدد من البلدان، مثل «مجمع البحوث الإسلاميَّة» بالأزهر، ومثل «هيئة كبار العلماء» فيه. وإن كان أساس اختيار العلماء لهذه المجامع غير واضح تمامًا.

وهناك «مجمـع الفقه الإسـلامي الدولي» الـذي تُمثَّـل فيه بلاد المسلمين، كل بلد بعالم. ويُختار بعض العلماء لأهليتهم الخاصة، ومقر هذا المجمع جدة.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣)، كلاهما في العلم، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٥٨١)، والبيهقي في المدخل إلى السـنن الكبرى (٨١٣).

QaradawiBooks.com

وهنـــاك «مجمع الفقه الإســـلامي» التابع لرابطة العالم الإســـلامي، ومقره مكة المكرمة.

وهناك مجامـــع لبعض البلاد مثل «المجمع الفقهـــي الهندي»، وهو معروف، وله إصداراته وقراراته وفتاويه، وأصدر منها مجلدات.

وهناك «المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث»، وقد تكون منذ عشرين ســـنة، من العلماء الذين يشـــتغلون بالفقـــه والفتوى في البـــلاد الأوربية المختلفة، أضيف إليهم عدد من علماء المشرق الذين يترددون على أوربا، ويعرفون أحوال أهلها من المسلمين، ومشـــكلاتهم التي يعانونها، وكنت من هؤلاء، وقد اختارني الإخوة بالإجماع رئيسًـــا لهم، جزاهم الله خيرًا، وأصدر المجلس عددًا من الفتاوى المهمة، ومن الكتب ذات الشأن، وقد حضر في بعض دوراته واجتماعاته عدد من المستشرقين والمراقبين.

وفق الله الإخوة في محاولاتهم وبحوثهم ومجامعهم، ووفر لهم الجو المناسب للإنتاج العلمي والفقهي المناسب.. آمين.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الفصل الثاني

أدب المسلم في التمسُّك بالحق والثبات عليه

إذا كان تحرِّي الحق، والبحث عنه، والتبصر فيه: طريقة قرآنية حكيمة، وفضيلة إسلاميَّة كريمة، فهناك فضيلة أخرى تكمِّل هذه الفضيلة، وتشدُّ أزرها.

وتلك هي التمسك بالحق متى تبيَّنَ للمؤمن، والثبات عليه ثبات الجبال الراسيات، لا يصده عنه تعصب، ولا كبرياء، ولا هوى، ولا يرده عن طريقه خوف ولا طمع.

القرآن يمدح الثبات وأصحابه:

والقرآن الكريم يمدح الثبات على الحق لمن تبين له، وإن بذل في سبيله دمه وماله، وضحَّى من أجله بكل رخيص وغال.

يقول تعالى في وصف معركة بدر: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢]. ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]. وفي هذه المعركة قال: ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١].

QaradawiBooks.com

والقرآن هو أعظم ما يثبت المؤمنين، كما يخاطب الله رسوله بقوله: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ١٠٢]، ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وهو يُثَبِّت الرسول ﷺ بما يتلو عليه من قصص الرسل، وما لقوه من قومهم، وما أيَّدهم الله به، كما قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [هود: ١٢٠]. ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان: ٣٢].

ويقول ﷻ في تثبيت رسوله: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ۞ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٧٤، ٧٥].

وممَّا ذكره القرآن ونوَّه به في الثبات: تثبيت الأقدام الذي يدعو به المؤمنون، ويسألون ربهم أن يمنحهم هذا التثبيت، كما قامت القلة المؤمنة من أصحاب طالوت يدعون الله أن يثبتهم على حقهم، كما بينت سورة البقرة: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۞ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩، ٢٥٠].

QaradawiBooks.com

وكما قال أنصار الأنبياء الذين كُسِروا في بعض الوقائع: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

ويحذر القرآن من خصال النفاق والتزييف، فتزل الأقدام بعد الثبوت: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٩٤].

ويمثل القرآن أصالة المنفقين في سبيل الله، وتثبتهم في أنفسهم بجنة غنَّاء على ربوة عالية تنالها الأمطار، فتضاعف منتجاتها كما قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

وقال تعالى في المؤمنين: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء: ٦٦]. وقال تبارك وتعالى في بيان أثر الكلمة الطيبة: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٥].

الرسل الكرام المثل الأعلى للتمسك بالحق:

والمثل الأعلى للتمسك بالحق والثبات عليه، هم الرسل صلوات الله عليهم وسلامه، الذين استمسكوا بعروة الحق الوثقى، وثبتوا عليها، وتحمَّلوا الأذى في سبيله، لم يثنِهم عنه وعد ولا وعيد، ولا إغراء ولا تهديد، كما حكى القرآن قولهم للمشركين، وجدالهم معهم، وثباتهم في مواقفهم، برغم ما يهددهم به أهل الكفر من ألوان العذاب والتوهين،

QaradawiBooks.com

اقرأ قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ۝ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ۝ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [إبراهيم: ٩ ـ ١٥].

خاتم الرسل محمد رسول الله:

وقد ختم الله الرسل والنبيين الذين أرسلهم إلى عباده مبشرين ومنذرين بمحمد ﷺ، الذي جعله الله أسوة للمؤمنين، في كل قول طيب، وكل علم نافع، وكل عمل صالح، وكل خلق كريم، كما قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وحسبنا أن نذكر من مواقف رسولنا ﷺ موقفه من مشركي قريش، وقد عرضوا عليه الملك والسيادة والجاه والمال، وكل ما يتمناه الناس

QaradawiBooks.com

من عَرَض الدنيا، بشـــرط أن يتنازل عن دعوته، فمـــا كان منه إلَّا أن تلا عليهم من القرآن ما فيه مزدجر وبلاغ بيِّن، فقرأ من سورة فصلت، حتى بلغ إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣].

ولما يئسوا منه لجؤوا إلى عمه يطلبون إليه أن يكفَّه عنهم، متوسلين باللين تارة، والوعيد أخرى، فما كان من أبي طالب إلَّا أن اتَّخذ موقف المشفق الناصح من ابن أخيه، وقال له: أبقِ عليَّ وعلى نفسك. فماذا قال الرســـول ﷺ؟ لقد قال كلمته المعروفة الخالدة: «**والله يا عمّ، لو وضعوا الشمسَ في يميني والقمرَ في يســـاري على أن أترك هذا الأمر ما تركته، حتى يُظهره الله، أو أهلك دونه**»[1].

وقد ظلَّ معهم ثلاثة عشر عامًا في مكة يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار، يدعوهم إلى الحـــق والعدل، ويدعونه إلـــى الباطل والظلم، يخاطبهم ومعه الله، ويقاومونه وليس معهم إلَّا الطاغوت والأصنام.

ثم ظلَّ عشـــرة أعوام أخرى بعد الهجرة إلى المدينة، يدعوهم بالتي هي أحسن، فيرفضون بالتي هي أســـوأ، حتى كان السيفُ بينه وبينهم، وهم الذي شـــهروا الســـيف عليه، وقاتلوه، وأذن الله لـــه ولمن معه أن يقاتلـــوا: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٣٩ ـ ٤٠].

---

(١) رواه الطبري في تاريخه (٣٢٦/٢)، نشر دار التراث، بيروت، ط ٢، ١٣٨٧هـ. وضعفه الألباني في الضعيفة (٩٠٩)، عن يعقوب بن عتبة بن الأخنس. مع شهرته عند النَّاس.

QaradawiBooks.com

سحرة فرعون مثل للتمسك بالحق إذا ظهر للإنسان:

ومن أمثلة الثبات على الحق: ثبات سحرة فرعون في مصر، الذين جمعهم الملك المُتألِّه في الأرض من كل حدب وصوب، مساندين له، ومعاندين لموسى، ومنكرين لدعوته، حتى إذا تبين لهم ضلال ما هم فيه، وصدق ما جاء به موسى، حين ألقَوا حِبالهم وعِصيَّهم، فسحروا أعينَ الناس واسترهبوهم، وجاؤوا بسحر عظيم، حتى خُيِّل إلى موسى عليه السلام حين نظر إلى حبالهم وعصيهم من شدة سحرهم أنَّها تسعى، ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ۞ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ۞ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ ۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٧ ـ ٦٩].

وألقَى موسى عصاه، فإذا هي تلْقَفُ ما يأفكون، ابتلعت كل حبالهم وعصيهم على كثرتها. فعرف السحرة: أن هذا ليس عملَ ساحرٍ، إنَّما هو عمل خالقِ البشر، وموجِّه القُوى والقُدَر. وسارعوا إلى الإيمان به، متبرئين من الوثنية المصرية، ضاربين عرض الحائط بتهديد فرعون بالعذاب والنكال والتقتيل والتصليب، فلا غرو أن احتفل القرآن بهم، وسجل قصتهم في أكثر من سورة، ليكونوا مثالًا للآخرين، وقدوة للمؤمنين، ولنكتفِ هنا بذكر الآيات من سورة الأعراف وسورة طه: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ۞ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۞ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ۞ قَالَ أَلْقُواْ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ۞ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۞ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۞ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ۞ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ۞ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۞ قَالَ

QaradawiBooks.com

فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ۞ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۞ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١١٣ ـ ١٢٦].

وقال تعالى في سورة طه عن فرعون: ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ۞ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ۞ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ۞ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ۞ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ۞ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ۞ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ۞ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ۞ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ۞ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ۞ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ۞ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ۞ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ۞ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۞ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ۞ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ۞ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ۞ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۞ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۞ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ۞ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [طه: ٥٦ ـ ٧٦].

QaradawiBooks.com

ما الذي يبعد الناس عن التمسُّك بالحق:

ولا يستطيع الإنسان أن يتمسك بالحق إذا تبيَّن له: إلَّا إذا تحرَّرت نفسه من جملة رذائل معوقة عنه، صادة عن سبيله، ولكن أهل الإيمان الأبطال لا يبالون بها، ولا بمن وراءها، وما وراءها؛ فإنَّ الحق أبلج، والباطل لجلج، ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢].

فمن هذه الرذائل:

أ ـ الكِبْر:

فإن بعض الناس يعرف الحق، وينكشف له وجهه صريحًا بيِّنًا، ولكن تأخذه العزة بالإثم، فتأنف نفسه من اتباعه، وتستكبر على الانقياد لدعائه، لهوان الداعي إليه وفقره وضعفه، في حين أن خصمه يملك من القوة المادية والمالية والبشرية ما يعجز عنه دعاة الحق. كما قال فرعون وملؤه في شأن موسى وهارون: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٧]. وكما قال كفار قريش: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]. مثل الوليد بن المغيرة في مكة، وعروة بن مسعود الثقفي في الطائف.

ولذلك رأينا فرعون وقومه كذَّبوا بموسى عليه السلام وبما جاء به، كبرًا منهم عليه، واستحقارًا لشأنه، كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤]. وعبر عن ذلك فرعون حين قال: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِى ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۞ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥١، ٥٢].

QaradawiBooks.com

ب ـ الحسد:

ومن هذه الرذائل الحسد: فكثيرًا ما نجد مِن الناس مَن يتبين له الحق واضحًا كالشمس في الضحى، لا يحجبها سحاب ولا ضباب، ولكن الغلَّ الذي في قلبه، والحسد الذي في صدره، لمن يحمل إليه دعوة الحق، يمنعه من الإقرار له ومتابعته، فإنَّ الحسود لا يشفي صدره إلَّا أن تزول النعمة عن محسوده، فيشمت به، ويتشفَّى فيه، فكيف يخضع لحق جاء على يديه وهذا موقفه منه؟!

وهذا ما كان من أخبار اليهود مع النبي ﷺ، فقد كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، لِما عندهم من البشائر ببعثته، والعلامات المميزة له، ولكنَّهم حسدوه أن يفوز بهذه الرسالة العظمى، وهو من العرب من بني إسماعيل، لا من بني إسرائيل شعب الله المختار كما يزعمون، فحال الحسد الدفين بينهم وبين الإيمان به، كما قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

جـ ـ الطمع وحب الدنيا:

ومن الرذائل المعوقة للإنسان عن اتباع الحق والتمسك به: حب الدنيا، والطمع في مغانمها وشهواتها، من مال وبنين ونساء واتباع وجاه وسلطان، فالدنيا أكبر همه، ومبلغ علمه.

إن عبيد الدنيا لا يصلحون أبدًا أن يكونوا جنودًا للحق يتمسكون به، ويدافعون عنه، ويثبتون عليه، إنَّما هم جنود منفعة شخصية، وعشاق مغنم مادي عاجل، يلهثون وراءه، ويتهافتون عليه تهافت الفَراش على النار، ويبيعون أنفسهم ودينهم في سبيله، وما أتعس هؤلاء وأشقاهم!

QaradawiBooks.com

كما قال رسول الله ﷺ: «**تعس عبدُ الدينار، تعس عبدُ الدرهم، تَعِسَ عبدُ القَطِيفة، تعس وانتكس، وإذا شِيكَ فلا انْتَقَش!**»[1]. أي: إذا أصابته شوكة، فلا أُخرجت منه بالمنقاش، أي: الملقاط، دعاء من الرسول عليه، فما أشقاه!

ولهذا أمر الله رسوله بالإعراض عن هذا الصنف من الناس، إذ لا خير فيه، ولا رجاء منه: ﴿**فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ۝ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ**﴾ [النجم: ٢٩ ـ ٣٠].

ولقد وقف كثير من الأحبار والرهبان في وجه الدعوة الإسلاميَّة قديمًا وحديثًا، يصدون أنفسهم عنها، ويعوقون طريقها، وما ذلك إلَّا للإبقاء على دنياهم ومطامعهم، وما لهم من جاهٍ في أنفس العامة، وما يتقاضون من رواتب وهبات وبراطيل. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ النَّاسِ بِالْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

وإنك لتجد الرجل يعرف ـ بل يعلم علم اليقين ـ أن فلانًا من الناس على باطل وضلال، ومع ذلك لا يقاطعه، ولا يخاصمه من أجل الحق، بل يتبعه ويناصره، فإذا جادلته في ذلك، قال: أنا في الواقع لا أتبعه، بل أتبع منفعتي الشخصية، وأدور معها حيث دارت.

وقد رأينا من كبار الناس من تبيَّن له الحق، وظهرت له أعلامه واضحة، وأوشك أن يعلن عن اعتناقه له، ولكن حين وجد ذلك خطرًا على دنياه، وما فيها من ملك وسلطان، فإن حرصه عليها، وشغفه بها،

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٨٧)، وابن ماجه في الزهد (٤١٣٦)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

جعله يضحي بالحق الذي عرفه، في سبيل الإبقاء على ملكه. هذا ما رأيناه بيِّنًا من هرقل ملك دولة الروم، الدولة الأولى في العالم حين بعث محمد رسول الله ﷺ، فقد أرسل النبي ﷺ إليه رسالة يدعوه فيها إلى الإسلام، فإن لم يسلم حمَّله الله إثم الذين يدينون بدينه. وبحث عن أحد العرب الذين لا يؤمنون بمحمد، فدلُّوه على أبي سفيان، وكان في ذلك الوقت في دمشق عاصمتهم في بلاد العرب، وسأله أسئلة تفصيلية مهمة، عرف منها تمامًا أن محمدًا هو النبيُّ المنتظر، وأراد الرجل أن يؤيِّد هذا، وأحضر الرهبان والأساقفة، ليحدثهم بما رآه، فهاجوا عليه، وصاحوا صيحة حُمُر الوَحْش، فخاف على ملكه، وقال لهم: إنَّما أردت أن أختبركم[1]. وثبت وإياهم على ما كانوا عليه، وقدَّم حبَّ المُلك على حب الحق.

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٧)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٧٣)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

الفصل الثالث

الرجوع إلى الحق

ومن أدب الإسلام الذي يفرضه على المسلم: أن يرجع إلى الحق متى تبيَّن له، ولو كان في ذلك تخطئة لرأيٍ أو اعتقاد سابق له قد عُرف بين الناس. فإنَّ الحق أحقُّ أن يُتَّبع، ومهما يكُنِ الإنسان كبيرًا، فالحق أكبرُ منه.

وحسبنا أن رسول الله ﷺ كان يجتهد في بعض الأمور، فيرى رأيًا، فينزل الوحي بخلاف رأيه، وتصحيح خطئه، فيذهب ليعلن ذلك على الناس قرآنًا يُتلى إلى أن تقوم الساعة، يحمل العتاب والتصويب لرأي محمد وموقفه، مثل: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾ [عبس: ١ ـ ٤]. وما بعدها من آيات بيِّنات، أنزلها تبارك وتعالى، لتكون جزءًا من كتابه المبين الخالد، دفاعًا عن عبد الله ابن أم مكتوم الأعمى، الذي عبس النبي ﷺ في وجهه، وتولَّى عنه، ملتفتًا إلى فئة الكبراء والأغنياء، رجال المال والأعمال والكبراء، الذين اهتم بهم في ذلك الوقت، رجاء أن يدخلوا في الإسلام، ويكونوا قوة له، بما في أيديهم من أموال، وما لهم في الناس من اتباع وأنصار، تاركًا ابن أم مكتوم وأمثاله لإيمانهم. ولكن الله تعالى غار على قلوب عبادة الصالحين، ودافع عنهم.

QaradawiBooks.com

ومثل: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [الأنفال: ٦٧].

ومثل قوله تعالى في شأن المنافقين الذين استأذنوا الرسول ﷺ في التخلف عن الغزو لأعذار باطلة، فأذن لهم: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣].

ومثل قوله تعالى في قضيَّة زيد بن حارثةَ وزوجته زينب بنت جحش، وقد تبنَّى النبيُّ زيدًا، وسمَّاه الناس: زيدَ بن محمد. وكان لا بد مِن إبطال ما كان يعتقده الجاهليون مِن بُطلان زواجِ الرجلِ امرأةَ متبنَّاه، فأراد الله أن يُبطل هذا بزواج الرسول ﷺ من زينب، ونَزَلَ قولُ الله تعالى: ﴿وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

فانظر كيف واجه القرآن محمدًا رسول الله بمثل هذا القول القرآني الصريح: ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧]. وقد أبدى الله أن زيدًا سيطلق زينب، وأن محمدًا سيتزوجها، فلماذا لا يُعلن ذلك للناس، ولماذا يخشى الناس، والله أحق أن يخشاه؟!

الصحابة يرجعون إلى الحق إذا تبيَّن لهم:

وقد رأينا الصحابة الكرام من تلاميذ المدرسة المحمدية يرجعون إلى الحق إذا اتضح لهم بأي وسيلة من الوسائل، كأن يجد آية من القرآن

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لم يكن يقرؤها أو يذكرها، أو حديثًا عن الرسول ﷺ لم يكن قد بلغه، أو حجة عقلية أو نقلية كان غافلًا عنها فذُكِّر بها، أو تذاكر مع بعض إخوانه في بعض القضايا، فبيَّنوا له ما لم يكن بيِّنًا فاستبصر.

وقد رأينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه تراجعه امرأة في المسجد وهو يخطب على المنبر، فيرجع عن رأيه إلى رأيها، معلنًا للناس: أصابت امرأة، وأخطأ عمر[١].

ورأينا عليَّ بن أبي طالب يراجعه واحد من الناس، فيقول له: أصبت، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦][٢].

وقد قال عمر رضي الله عنه، في رسالته إلى أبي موسى الأشعري ـ وهي مشهورة ـ وهي رسالة في أصول القضاء: لا يمنعك قضاء قضيته بالأمس راجعت فيه نفسَك، وهُديت فيه لرشدك، أن تراجع الحق، فإنَّ الحق قديم، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل[٣].

ولذلك رأينا أئمة الإسلام وفقهاءَه يقولون في القضية قولًا، فإذا استبان لهم الحق في غيره رجعوا عنه، وأفتوا بما يخالفه.

ومن هنا كان للإمام الشافعي قول في كثير من مسائل الفقه أداه إليه اجتهاده يوم كان بالعراق أو بالمدينة، فلما حضر إلى مصر، ورأى وسمع

---

(١) رواه عبد الرزاق في النكاح (١٠٤٢٠)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٥٠٦)، والبيهقي في الصداق (٢٣٣/٧)، وقال منقطع. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٥٠٢): رواه أبو يعلى في الكبير وفيه مجالد بن سعيد وفيه ضعف وقد وثق. وذكره البوصيري في الإتحاف (٣٢٧٦)، بسند أبي يعلى، وجود إسناده ابن كثير في تفسيره (٢٤٤/٢)، والسخاوي في المقاصد (٨١٤).

(٢) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٨٦٥).

(٣) رواه الدارقطني في الأقضية (٤٤٧١)، والبيهقي في آداب القاضي (١١٩/١٠).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ما لم يكن قد رآه أو سمعه من قبل، رجع عن كثير من أقواله إلى أقوال أخرى، أُطلق عليها: «القول الجديد». كما يطلق على الأقوال المتروكة: «القول القديم». وأصبحنا نقرأ في فقه الشافعية: «قال الشافعي في القديم»، و«قال الشافعي في الجديد».

وهكذا ينبغي أن نفعل مع كل تراث أئمتنا الفقهي، وهو تراث علمي عظيم، ولكنَّه غير معصوم، لو عاش أصحابه سنين بعدما ألفوه، لكان لا بد لهم أن يغيِّروا شيئًا منه، يقل أو يكثر. كما غيَّر أصحاب أبي حنيفة بعض ما ذهب إليه إمامهم الأعظم، وقالوا في كثير ممَّا غيروه: هذا اختلاف عصر وأوان، وليس اختلاف حجة وبرهان.

وهذا ما نقوله نحن في كثير من الأقوال التي قالها من قالها حسب واقع زمانهم، فإذا كنا نحن أئمة الفقه والمذاهب ونقدرهم، ونتبع ميزانهم، فيجب أن نغيِّر هذه الأحكام الجزئية وفق معايير زماننا، وحاجات بيئاتنا. والله هادينا إلى سواء السبيل.

وهذا ما فعلناه في كثير من الأحكام التي تغيَّرت بعدهم، ولم تعد مقبولة في زماننا. ولهذا كان من القواعد الفقهيَّة التي قررها الفقهاء المتأخرون، وكانت إحدى المواد التي تبنتها مقدمة مجلة الأحكام العدلية التي ظهرت في أواخر أيام الدولة العثمانية: المادة التي تقول: «لَا يُنْكَرُ تغيُّر الأحكام بتغيُّر الأزمان» المادة «٣٩». وأصدرنا دراسة في ذلك سميناها: «موجبات تغير الفتوى في عصرنا»[1].

* * *

(١) نشرها الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، كما نشرتها دار الشروق، بالقاهرة.

QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

غير مرخصة للطباعة

الباب الثالث

أدب المسلم في الحياة اليومية

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

الفصل الأول

أدب المسلم في النوم واليقظة

النوم من الحاجات الأساسية للإنسان:

هناك كائن أعلى لا تأخذه سِنَة ولا نوم، هو الله الذي خلق السماوات والأرض، وخلق الإنسان، وجعله في الأرض خليفة، ولذا كان النوم من الحاجات الأساسية التي تفرض نفسها على الإنسان بحُكم خِلقته وتركيبه، فهو لا بدّ أن يقضيَ جزءًا يساوي ثلثَ يومه تقريبًا نائمًا، يفقد فيه بعض إحساسه، ويغمض فيه عينيه، فلا يرى شيئًا ممَّا حوله، ولا يسمع ما يجرى من كلام الناس، ولا من أصوات الحيوانات والطيور، ولا من حركات الأشياء، وهو أكثر ما يكون حاجة إلى النوم أول ما يولد.

وقد قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا ﴾ [الفرقان: ٤٧].

ومن رحمته تعالى: أنَّه جعل الكون مقسومًا بطبيعته الزمنيَّة ما بين نهار مشمس، يعين على اليقظة والحركة، ويظهر فيه الصباح، وتطلع فيه الشمس، والليل الذي ينتصف الكون حين تغيب عنه الشمس، قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ۞ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ۞ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا﴾ [النبأ: ٩ ـ ١١]. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمًّىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٠].

QaradawiBooks.com

وهكذا ينقسم الناس بين نهار مشمس، تطلع شمسه، وتبدو حرارتها، ويستدفئ الناس بها، وتنمو النباتات، والزروع والأشجار والطيور والحيوانات والسباع والزواحف، والبحار والأسماك والحيتان والأحياء المائية، والخيل والبغال والحمير، والأنعام التي يحتاج الإنسان إليها ليشرب من لبنها، وبعد ذلك يأكل لحمها.

والطفل أشد الناس حاجة إلى النوم؛ لأنَّه لا حاجة له في يقظته إلَّا إلى الطعام والإخراج، يستيقظ قليلًا ثم ينام، وحين يكبر قليلًا يكون في حاجة إلى اللعب، ويؤتيه الله من وسائل القوة ما يمكنه من اللعب واللهو.

معيشة الإنسان بين الليل والنهار:

ومعروف أن معيشة الإنسان تنقسم إلى نهار وليل، والنهار يقضيه الإنسان في طلب معيشته، وطلب العلم الذي ينفعه وينفع من حوله، والتعاون على ذلك مع الناس من حوله، كما أنهم يتعاونون في كل أمر تحتاج إليه الجماعة، و«**المؤمنُ للمؤمنِ كالبُنيان، يشدُّ بعضُه بعضًا**»[1]، ومن ذلك ما يحتاج الناس لدينهم كصلاة الجماعة والجمعة، وبناء المساجد، وإقامة الأذان والإقامة والخطابة والتدريس والتعليم.

كما أنَّ الناس يحتاجون إلى النصف الآخر من اليوم، وهو الليل، الذي تغيب فيه الشمس، ويختفي معها الضوء والحرارة، ويأوي الناس إلى الفرش بعد قضاء حاجاتهم اليومية النهارية، وبعد أداء فرائض ربهم التي كلَّفهم سبحانه بها، وقد فرض عليهم في كل يوم خمس صلوات معروفة على أوقاتها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ

(١) سبق تخريجه صـ٦٢.

QaradawiBooks.com

﴿كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]. وكما قال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

تنتهي صلوات كل يوم بصلاة العشاء أربع ركعات، وبعدها ركعتان سُنة مؤكدة، وبعدهما صلاة الوتر، وأقله ثلاث ركعات، وأقل الأقل: ركعة واحدة، وصلاة الوتر سُنَّة مؤكدة، وذهب أبو حنيفة إلى أنَّها في درجة الواجب، وذلك لنهتم بالمحافظة عليها.

وينهي الناس يومًا من حياتهم ليبدؤوا يومًا آخر جديدًا، باسم الله، وعلى بركة الله، وقد عود الرسول الكريم الأمة أن يبدؤوا يومهم من البكور، وقد دعا ربه فقال: «**اللهم بارِكْ لأمَّتي في بُكُورها**»[1].

تقسيم عمل المسلم وتنظيمه:

والمطلوب من المسلم المنظَّم الذي يبني حياته على نظام اليوم الإسلامي: أن يبدأ بترتيب يومه من البكور، ويرتب يومه بحيث لا يتأخر كثيرًا، فيفرض التأخر على حياته اليومية باستمرار.

إنَّما ينظم النهار من الليل، ليبدأ النهار على ما ينبغي، وهكذا ينبغي أن ينظم المسلم ما بين كل أمرين تنظيمًا بالعدل، فيأخذ كل منهما حقَّه، ويترك لصاحبه نصيبه، وهذا هو عدل الله الذي أمرنا به: أن نعطيَ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، من إنسان أو حيوان أو نبات أو أيّ شيء، صغُر أو كبر.

(١) رواه أحمد (١٥٤٤٣)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. وأبو داود في الجهاد (٢٦٠٦)، والترمذي في البيوع (١٢١٢)، وقال: حسن. وابن ماجه في التجارات (٢٢٣٦)، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٤٥)، عن صخر الغامدي.

QaradawiBooks.com

تهيئة الله سبحانه أسباب المعيشة للخلق:

وما يحتاج الإنسان إليه من الأشياء هيَّأه الله من طريق هو الأقرب إليه، وهو أمه التي حملته وولدته، وهو في أول الولادة ليس له سنٌّ يقطع ولا يد تبطش، ولذلك ملأ الله صدر أمه لبنًا باردًا مقبولًا في الصيف والشتاء، ترضعه به أمه حتى يشبع، لا تستطيع أن تمسكه عنه، وكلما احتاج إلى شيء غير لبن أمه، يجب أن يُهيَّأ له من قبل أبيه ومن أسرته، فإن لم يكن له أبوان، فأقرب الناس إليه. وهكذا يتعاون المجتمع بعضه مع بعض، يعين قويه ضعيفه، ويعطف غنيه على فقيره، ويساعد المتعلِّم فيه الجاهل، وكل من عنده شيء لا يجده غيره عليه أن يمد يده لأخيه، لينفع بعضهم بعضًا.

والناس في حاجة إلى مساكن ومنازل يعيشون فيها، ويأوون إليها، وتضم ما يحتاجون إليه فيها، ثم يتعاونون في كل أمورهم الزراعية والصناعية والعلمية والمهنية والتجارية والإدارية والسياسية وغيرها، يعطي كل فرد أفضلَ ما عنده لخدمة إخوته، ويأخذ أحسن ما عندهم لما يحتاجه، وعلَّمهم الإسلام أن ينظموا أمورهم الصغيرة، ليتعلموا منها كيف تنتظم الأمور الكبيرة.

ولهذا قال ﷺ: «**إذا كنتم ثلاثةً في سفر، فأمِّروا أحدَكم**»[1]. وهكذا ينبغي أن يبنى المجتمع الكبير، الذي تقام فيه الدولة، ويبنى نظام الحكم.

يجب أن يقوم النهار على تناول ما يحتاج إلى جهد وتعاون وعمل منظم، بحيث يوضع كل واحد في مكانه الذي تخصص فيه، يؤدي عمله

(١) رواه أبو داود في الجهاد (٢٦٠٩)، وقال الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٤٨): حسن صحيح. عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «إذا كان ثلاثة في سفر فليؤمِّروا أحدهم».

QaradawiBooks.com

تحت رئاسة من هو أبلغ منه في عمله بحكم مهارته، أو بحكم مرور الزمن والأقدمية، وينتهي الأمر إلى ترتيب الأولويات في الأمة كلها وفق ما يرشد إليه الدين والأخلاق، وما تهدي إليه كتب السماء والدين الصحيح، وما يتعلمه الناس بعضهم من بعض في سائر العلوم والآداب والفنون والثقافات.

وينبغي أن يستريح الإنسان بعد كد النهار في الليل، ويذهب إلى بيته وأهله وأولاده، ليتعشَّوْا معًا، وليُفطروا معًا، وليُقيموا في بيت واحد معًا، يتعلم فيه الصغير من الكبير، والابن من الأب، والكسلان من المُجِدّ. والجميع بعضهم من بعض، وبعد استراحة الليل، يخرج الناس إلى معترك الحياة اليومي، هادئي الأنفس، طيبي القلوب، منشرحي الصدور، داعين ربهم أن يسهل عليهم أعمالهم، وإن كان فيه بعض المشقة، وأن يوسِّع عليهم أرزاقهم، وأن يعينهم على أداء الصلوات، والبعد عن اتباع الشهوات.

في هديه ﷺ وسيرته في نومه وانتباهه:

وقد تحدث الإمام ابن القيم في كتابه المتميز في الهدي النبوي الذي سماه «زاد المعاد في هدي خير العباد» هذا الهدي الذي جعله الله قدوة للمؤمنين من عباده، ليهتدوا بها في حياتهم، تحدث عن هدي النبي ﷺ في نومه، فقال رضي الله عنه:

«كان ينام على الفراش تارة، وعلى النِّطَع تارة، وعلى الحصير تارة، وعلى الأرض تارة، وعلى السرير تارة بين رماله[1]، وتارة على كساء

(١) رمال السرير: نسيجه.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أســود. قال عبَّاد بن تميم، عن عمه: رأيت رســول الله ﷺ مســتلقيًا في المسجد، واضعًا إحدى رجليه على الأخرى[١].

وكان فراشه أَدَمًا حشوُه ليف، وكان له مِسْحٌ ينام عليه، يُثنى بثَنْيتين، وثُني له يومًا أربع ثنيات، فنهاهم عن ذلك وقال: «رُدُّوه إلى حاله الأول، فإنه منعني صلاتي الليلة»[٢].

والمقصود أنَّه نام على الفــراش، وتغطَّى باللحاف، وقال لنســائه: «ما أتاني جبريل وأنا في لحاف امرأة منكن غير عائشة»[٣].

وكانت وسادته أَدَمًا حشوها ليف[٤]، وكان إذا أوى إلى فراشه للنوم قال: باسمك اللهم أحيا وأموت[٥].

وكان يجمع كفيه ثم ينفــث فيهما، وكان يقــرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]، ثم يمسح بهما ما اســتطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه، ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات[٦].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٧٥)، ومسلم في اللباس والزينة (٢١٠٠).

(٢) رواه الترمذي في الشمائل (٣٣٠)، نشر المكتبة التجارية، وقال المناوي في (الفيض): رمز المصنف (السيوطي) لحســنه وليس بجيد، فقد قال الحافظ العراقي: هو منقطع (١٧٢/٥). وضعفه الألباني في الضعيفة (٤٢٢٣)، عن عائشة.

(٣) رواه البخاري في أصحاب النبي (٣٧٧٥)، والترمذي في المناقب (٣٨٧٩)، والنســائي في عشرة النساء (٣٩٤٩)، عن عائشة.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٥٦)، ومسلم في اللباس (٢٠٨٢)، عن عائشة.

(٥) رواه البخاري في الدعوات (٦٣١٤)، عن حذيفة.

(٦) رواه البخاري في فضائل القرآن (٥٠١٧)، وأحمد (٢٤٨٥٣)، عن عائشة.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

وكان ينام على شقه الأيمن، ويضع يده اليمنى تحت خده الأيمن، ثم يقول: «**اللهم قني عذابك يــوم تبعث عبادك**»[١]. وكان يقول إذا أوى إلى فراشه: «**الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي**» ذكره مسلم[٢]. وذكر أيضًا أنَّه كان يقول إذا أوى إلى فراشه: «**اللهم رب الســماوات والأرض، ورب العرش العظيــم، ربَّنا وربَّ كل شيء، فالقَ الحب والنوى، منزلَ التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر**»[٣].

وكان إذا استيقظ من منامه في الليل قال: «**لا إله إلَّا أنت سبحانك، اللهم إنِّي أستغفرك لذنبي، وأسألك رحمتك، اللهم زدني علمًا، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني، وهبْ لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب**»[٤].

وكان إذا انتبه من نومه قال: «**الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور**»[٥]. ثم يتسوَّك، وربما قرأ العشــر الآيات من آخر آل عمران من قوله: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠] إلى آخرها[٦]، وقال

---

(١) رواه أحمد (٢٦٤٦٢)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الأدب (٥٠٤٥)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٤٦٥٦)، عن حفصة.

(٢) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧١٥)، وأحمد (١٢٥٥٢)، عن أنس.

(٣) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧١٣)، وأحمد (٨٩٦٠)، عن أبي هريرة.

(٤) رواه أبو داود في الأدب (٥٠٦١)، وابن حبان في الزينة والتطييب (٥٥٣١)، والحاكم في الدعاء والتكبير (٥٤٠/١)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، عن عائشة.

(٥) رواه البخاري في الدعوات (٦٣١٢)، عن حذيفة، ورواه مسلم في الذكر والدعاء (١٨٦٠٣)، عن البراء.

(٦) متفق عليه: رواه البخاري في الوضوء (١٨٣)، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها (٧٦٣)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

«**اللهم لك الحمد، أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيِّم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدَّمتُ، وما أخَّرت، وما أسررت، وما أعلنت، أنت إلٰهي، لا إله إلَّا أنت**»[(١)].

وكان ينام أولَ الليل، ويقوم آخرَه، وربما سهر أول الليل في مصالح المسلمين، وكان تنام عيناه، ولا ينام قلبه، وكان إذا نام لم يوقظوه حتى يكون هو الذي يستيقظ. وكان إذا عرَّس بليلٍ اضطجع على شقه الأيمن، وإذا عرَّس قبيل الصبح، نصب ذراعه ووضع رأسه على كفه[(٢)]. هكذا قال الترمذي.

وقال أبو حاتم في صحيحه: كان إذا عرَّس بالليل توسَّد يمينه، وإذا عرس قبيل الصبح نصب ساعده. وأظن هذا وهْمًا والصواب حديث الترمذي.

وقال أبو حاتم: والتعريس إنَّما يكون قبيل الصبح.

وكان نومه أعدل النوم، وهو أنفع ما يكون من النوم، والأطباء يقولون: هو ثلث الليل والنهار ثمان ساعات»[(٣)].

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التهجد (١١٢٠)، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها (٧٦٩)، عن ابن عباس.

(٢) رواه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٦٨٣)، وأحمد (٢٢٦٣٢)، والترمذي في الشمائل (٢٦١)، عن أبي قتادة.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم (١٤٩/١ ـ ١٥٣)، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢٧، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

الفصل الثاني

أدب المسلم في طعامه وشرابه

من العقلاء الذين خلقهم الله: الملائكة، وهم مخلوقات نورانيَّة، لا يستطيع البشر أن يروهم في صورتهم الأصليَّة، بعيونهم المجرَّدة، ولا بآلاتهم المكبِّرة، ولهم وظائف كلَّفهم الله بها مع الحياة ومع الناس، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢]. إلى آخر ما يتعلق بالملائكة الكرام من الآيات، وهؤلاء الملائكة خلقهم الله بحيث لا يحتاجون إلى طعام ولا إلى شراب.

بخلاف البشر أبناء آدم الذين خلقهم الله وركَّبهم، بحيث يحتاجون في أصل خلقهم إلى طعام يُغذِّيهم، وإلى شراب يسقيهم، ولا يمكنهم الاستغناء عنه. كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨]؛ لأنَّ الله خلق الإنسان الأول من طين، ثم سواه ونفخ فيه من رُوحه، وهذه الخِلقة الأصلية تُحْوجه إلى الطعام. حتى آدم الإنسان الأول وزوجه حينما أسكنهما الله الجنة، هيَّأ لهما فيها كلَّ ما يُشبعهما ويَلِذَّان به من طعام وشراب، ما عدا شجرة واحدة نُهيا عن الأكل منها.

وإنَّما خلقهم الله على هذه الطبيعة؛ لأنَّها أقرب إلى وظيفتهم التي خلقهم الله لتحقيقها في الأرض، فالله تعالى إنَّما خلق الإنسان لجملةِ مقاصد أرادها منه، لا يستطيع أن يؤدِّيها كلها غيره من العقلاء:

QaradawiBooks.com

المقصد الأول: أن يقوم بعبادته وحده، ولا يشرك به ولا معه أحدًا ولا شيئًا، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

المقصد الثاني: أن يقوم بخلافة الله في أرضه، وينفذ فيها شرعه، الذي بعث به رسله. كما قال تعالى للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

المقصد الثالث: أن يقوم بعمارة الأرض، كما قال تعالى على لسان نبيه صالح، حينما خاطب قومه: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]. ومعنى ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ﴾: طلب منكم أن تعمروها.

ويقتضي هذا: أن من مقاصد خلق هذا الإنسان: أن يعمل في الأرض ليُحييها فلا تموت، ويُنمِّيها فلا تذبل، ويُجَملّها فلا تقبح، ويُحَسّنها فلا تسوء، ويَعْمُرها فلا تخرب، ولذلك ركَّبه الله تركيبًا مُعَيَّنًا، بحيث لا يستغني عن الأرض وعمارتها لينعم بالحياة، ويسعد بها هو وأهله وبنوه وكل من حوله، وبهذا هيَّأ الله الأرض للإنسان، وهيَّأ الإنسان لها، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل، ليهدوا الناس إلى حسن الاستفادة من الأرض التي خُلقت لهم، والتمتُّع بالحلال الطيِّب من رزقها، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨].

حاجة الإنسان إلى الطعام:

وحاجة الإنسان إلى الطعام دليل على ضعفه وأسره، وحاجته إلى غيره، ونعمة الطعام من أعظم النعم التي تحفظ الجنس البشري من الانقراض، فلا حياة للإنسان بلا طعام.

QaradawiBooks.com

ومن تأمَّل في كتاب الله وجد أنَّ الطعام ذُكِرَ أكثر ما ذكر في سورتي الأنعام والنحل، والأنعام منها الألبان واللحوم، وهي أفخر الطعام، والنحل ينتج العسل، وهو أطيبُ الطعام، والسمك وهو اللحم الطري، وما ينبت من الزرع والشجر من حبوب وثمار وفواكه، وسورة النحل تسمَّى سورة النِّعَم لكثرة ما فيها من ذكر النِّعَم.

وفي هاتين السورتين ذكر الله تعالى ما يكون سببا لبقاء الطعام، والتمتع به، وازدياده، وما يكون سببا لقلته وذهابه، ووقوع الجوع والهلاك به؛ فبقاء النعم ونماؤها وزيادتها مرتهن بالشكر، وفي سورة النحل ذكر الله تعالى الخليل عليه السلام ووصفه بأنَّه كان ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ [النحل: ١٢١]. فوصفه سبحانه بالشكر، والخليل كان يكرم الضيفان بالعجول السمان حتى كُنِّيَ من كرمه أبا الضيفان، ولم يجد قلة رغم كرمه؛ لأنَّه قيَّد نعم الله تعالى عليه بالشكر.

وزوال النعم مرتهن بالكفر، وقد عالجت سورة الأنعام هذه القضية مع ذكر الطعام، ففيها: ﴿كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: ١٤٢].

فالنهي عن اتباع خطوات الشيطان بعد ذكر الأكل مشعرٌ بأن اتباع خطواته كفر لنعمة الأكل، والشيطان يدعو لكل سوء، ويزيِّن للعبد كل معصية. فيُزيِّن الكفر والجحود والنفاق والعصيان، ويزيِّن الإسراف في المآكل والمشارب والحفلات والولائم. وهو ما جاء النهي عنه في موضع آخر من سورة الأنعام، مقرونًا بالأكل أيضًا وبذكر الثمار والحبوب التي هي من ضرورات الأكل؛ فأغلب ما يأكل الناس الحبوب: ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١].

QaradawiBooks.com

كلمات نيِّرة للإمام الغزالي:

يقول الإمام الغزالي في مقدمة «كتاب آداب الأكل» وهو الكتاب الأول من ربع «العادات» من كتاب: «إحياء علوم الدين»، بعد مقدِّمة قصيرة:

«أمَّا بعد، فإن مقصد ذوي الألباب لقاء الله تعالى في دار الثواب، ولا طريق إلى الوصول للقاء الله إلَّا بالعلم والعمل، ولا تمكن المواظبة عليهما إلَّا بسلامة البدن، ولا تصفو سلامة البدن إلَّا بالأطعمة والأقوات، والتناول منها بقدر الحاجة على تكرر الأوقات، فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين: إنَّ الأكل من الدين. وعليه نبَّه رب العالمين بقوله، وهو أصدق القائلين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [المؤمنون: ٥١]. فمن يقدم على الأكل ليستعين به على العلم والعمل، ويقوى به على التقوى، فلا ينبغي أن يترك نفسه مهملًا سُدًى، يسترسل في الأكل استرسال البهائم في المرعى، فإن ما هو ذريعة إلى الدين ووسيلة إليه ينبغي أن تظهر أنوار الدين عليه. وإنَّما أنوار الدين آدابه وسننه التي يُزَمّ العبد بزمامها، ويلجم المتقي بلجامها، حتى يزن بميزان الشرع شهوةَ الطعام في إقدامها وإحجامها، فيصير بسببها مدفعة للوزر، ومجلبة للأجر، وإن كان فيها أوفى حظ للنفس.

قال ﷺ: «**ولستَ تُنفقُ نفقةً تبتغي بها وجه الله، إلَّا أُجِرْتَ بها، حتى اللقمة تجعلُها فِي فِي امرأتِكَ**»[(١)]. وإنَّما ذلك إذا رفعها بالدين وللدين، مراعيًا فيه آدابه ووظائفه»[(٢)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٢٩٥)، ومسلم في الوصية (١٦٢٨)، عن سعد بن أبي وقاص.

(٢) إحياء علوم الدين (٢/٢).

QaradawiBooks.com

آداب الأكل والشرب:

وللأكل ـ كما لكلِّ شيء في الإسلام ـ آداب ينبغي أن تراعى، قبل الأكل، ومع الأكل، وبعد الفراغ منه، وهي التي تميِّز أكل الإنسان المكلَّف من الحيوان الأعجم، وهي جملة آداب:

١ ـ الحرص على أن يكون الطعام حلالًا طيِّبًا:

أولها: أن يكون الطعام ـ بعد كونه حلالًا في نفسه ـ طيِّبًا في جهة مكسبه، موافقًا للسُّنَّة والورع، لم يكتسب بسبب مكروه في الشرع، ولا بحكم هوى ومداهنة في دين.

وقد أمر الله تعالى بأكل الطيب، وهو الحلال، وقدَّم النهي عن الأكل بالباطل على القتل، تفخيمًا لأمر الحرام، وتعظيمًا لبركة الحلال، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ [النساء: ٢٩] فالأصل في الطعام كونه طيبًا، وهو من الفرائض وأصول الدين[1].

وللطيب معنى جميل آخر بعد الحل، وهو الذي تستطيبه الفطر السليمة، ممَّا يؤكل أو يُشرب أو يُسمع، أو يُبصر، أو يُلمس، ولذا جاء في القرآن كلمة: ﴿حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾. ولا ريب أن (طيبًا) لها معنى يزيد عن كونه مباحًا.

وقد منّ الله على المؤمنين بأنَّه أباح لهم الطيِّبات في الدنيا، ولم يحرمها عليهم، كما حرم بعضها على اليهود، جزاء لهم على ما صنعوه بأنفسهم وبغيرهم من ظلم وبغي، فقال: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا

(١) إحياء علوم الدين (٣/٢).

QaradawiBooks.com

عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ۞ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [النساء: ١٦٠ ـ ١٦١].

فلا غرو أن وسَّع الله على أمة الإسلام، ولم يضيق عليهم في المباحات، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۞ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ [المائدة: ٨٧، ٨٨] .

وفي سورة الأعراف ـ وهي مكية ـ قال ﷻ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۞ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ﴾ [الأعراف: ٣١، ٣٢].

٢ ـ البدء بالتسمية:

من المستحب في بداية الطعام: أن يبدأ الآكل طعامَه باسم الله، فالأصل في كل الأعمال في الإسلام أن تستفتح باسم الله، ولهذا ابتُدئ القرآن بـ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ واستمر بدء كل سورة بهذه البسملة، كما تشاهدها في المصحف.

وذكر لنا القرآن الكريم أن شيخ المرسلين نوحًا عليه السلام، حينما أعدَّ السفينة التي أمره الله بإعدادها، لتكون آلته ومن معه من المؤمنين للنجاة من غرق الطوفان الذي هدَّدهم الله به، ﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [هود: ٤١].

وذكر لنا القرآن أيضًا أنَّ نبيَّ الله سليمان حينما أرسل إلى ملكة سبأ باليمن كتابًا، كانت بدايته: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٠ ـ ٣١].

QaradawiBooks.com

لهذا كان الرسول الكريم إذا وضع يده في الطعام قال: «**باسم الله**». ويأمر الآكل بالبسملة، ويقول: «**إذا أكل أحدكم، فلْيذكر اسم الله، فإن نَسِيَ اسم الله في أوله، فليقل: باسم الله في أوله وآخره**»(١).

قال ابن القيم: «والصحيح: وجوب التسمية عند الأكل، وهو أحد الوجهين لأصحاب أحمد، وأحاديث الأمر بها صحيحة صريحة، ولا معارض لها، ولا إجماع يُسَوِّغ مخالفتها ويخرجها عن ظاهرها، وتاركها شريكه الشيطان في طعامه وشرابه»(٢).

وفي رأيي: أنَّ الأحاديث الآمرة وحدها لا تكفي في الدلالة على الإيجاب، ما لم يقترن بها شيء آخر، ولكنها تؤكد السنيَّة، وشدَّة الاهتمام بالتسمية، بحيث لا ينبغي للمسلم أن يتركها عمدًا. وبهذا نفهم الأحاديث التي صحَّت في الترغيب في التسمية على الطعام، والترهيب من تركها، كما رواها الحافظ المنذري.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يأكل طعامه في ستة من أصحابه، فجاء أعرابيٌّ، فأكله بلقمتين، فقال رسول الله ﷺ: «**أما إنَّه لو سَمَّى، كفاكم**»(٣). وفي رواية: «**فإذا أكل أحدكم طعامه فليذكر اسم الله عليه، فإن نسي في أوله فليقل: باسم الله أوله وآخره**»(٤).

---

(١) رواه أحمد (٢٦٢٩٢)، وقال مخرِّجوه: حسن بشواهده. وأبو داود (٣٧٦٧)، والترمذي (١٨٥٨)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٣٢٦٤)، ثلاثتهم في الأطعمة، عن عائشة.

(٢) زاد المعاد (٣٦٢/٢).

(٣) رواه أحمد (٢٥١٠٦)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن بشواهده. والترمذي (١٨٥٨)، وقال: حسن صحيح.

(٤) رواه أبو داود (٣٧٦٧)، والترمذي (١٨٥٨)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٣٢٦٤)، وابن حبان (٥٢١٤)، وقال الأرناؤوط: حديث صحيح. جميعهم في الأطعمة.

QaradawiBooks.com

وعن جابر رضي الله عنه أنَّه سمع النبي ﷺ يقول: «**إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيتَ لكم ولا عشاء. وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت. وإذا لم يذكر الله عند طعامه، قال الشيطان: أدركتم المبيت والعشاء**»(١).

وعن حُذَيْفة بن اليَمَان رضي الله عنه قال: كُنَّا إذا حضرنا مع رسول الله ﷺ طعامًا، لم يضع أحدُنا يده حتى يبدأ رسول الله ﷺ، وإنَّا حضرنا معه طعامًا، فجاء أعرابي كأنَّما يُدْفَع، فذهب ليضع يده في الطعام، فأخذ رسول الله ﷺ بيده، ثم جاءت جارية كأنَّما تُدْفَع، فذهبت لتضع يدها في الطعام، فأخذ رسول الله ﷺ بيدها، وقال: «**إنَّ الشيطانَ يستحلُّ الطعام الذي لم يذكر اسم الله عليه، وإنَّه جاء بهذا الأعرابي يستحلُّ به، فأخذت بيده، وجاء بهذه الجارية يستحلَّ بها، فأخذتُ بيدها، فوالذي نفسي بيده، إنَّ يده لفي يدي مع أيديهما**»(٢).

٣ ـ استحضار نيَّة التعبُّد بالأكل:

ومن الآداب المهمَّة في الأكل: أن يستحضر نيَّته في التعبُّد بالمباحات، لتنتقل إلى دائرة التعبُّدات، فقد عرفنا أنَّ المسلم يستطيع بنيَّته الطيِّبة أن يُحوِّل كل مباح يعمله، حتى الأكل والشرب وجلوس الاستراحة، والنوم وركوب السيارة والسفر للفسحة والمتعة والسرور مع الأولاد، والتمتع بالزوجة، وزيارة الوالدين، وصلة الأرحام، والزراعة

(١) رواه مسلم في الأشربة (٢٠١٨)، وأبو داود في الأطعمة (٣٧٦٥)، والنسائي في الكبرى في الوليمة (٦٧٢٤)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٨٧)،

(٢) رواه مسلم في الأشربة (٢٠١٧)، وأحمد (٢٣٢٤٩)، وأبو داود في الأطعمة (٣٧٦٦)، والنسائي في الكبرى في الوليمة (٦٧٢١).

QaradawiBooks.com

والصناعة والتجارة.. وغيرها من الأعمـــال الدنيوية إلى أن تكون عبادة وطاعة لله تعالى.

وهنا ينبغي على المســلم الراغب فــي الخير، المحــب لله تعالى، والتقرب منه: أن ينوي بأكله وشــربه التقوي على طاعة ربِّه، والاستقامة على طريقه، وأداء واجباته الدينيَّة والدنيويَّة، لنفســه ولأهله، ولكل من حوله، حتى يكون متعبِّدًا بأكله وطعامه، ولا يجعل كل همِّه فيما يأكل أن يملأ بطنه، ويســتجيب لشــهوته، ولا يكون كل ما يقصده مجرَّد التلذُّذ والتنعُّم بــالأكل، وإن لم يكن ذلــك حرامًا، ولكن الإمعان والتوسّــع والتوغل فيه، يوصل المرء إلى حال من يكون عبدًا لبطنه وشهوته.

وقد قال إبراهيم بن شيبان: منذ ثمانين سنة ما أكلت شيئًا لشهوتي[1].

على أن أكل الحلال للشهوة ليس حرامًا، ما دام يستمتع بما أحلَّ الله له، ولكن لا ينبغي أن تكون الدنيا أكبر همِّه، ولا مبلغ علمه.

٤ ـ الأكل باليمين والتحذير من الأكل بالشمال:

من جملة أدب الإسلام الذي يتميَّز به: البدء باليمين، فهو إذا أكل أو شــرب، قائمًا يأكل يمينه ويشــرب بيمينه، كما كان النبي ﷺ يحب الفأل الحسن، وكذلك التيامن في كل شيء: في تَرَجُّله، ووضوئه، ولبسه، وكل ما يعمله؛ لأنَّ اليمين من اليُمْن، وهو البركة، وهو عليه الصلاة والسلام يحب الفأل الحسن، ويجب أن يكون المسلم من أهل اليمين، وليس من أصحاب الشمال.

ولهذا قال لرَبِيبه عمر بن أبي ســلمة، ابن امرأته أم سلمة حين أكل معه، وهــو غلام صغيــر، وكانت يــده تطيش فــي الصحفة:

(١) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/٢).

QaradawiBooks.com

«**يا غلام، سَمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ ممَّا يليك**»[١]. فكانت هذه الوصيَّة النبويَّة منهجه في الأكل طوال حياته.

وكان ﷺ يأمر بالأكل باليمين، وينهى عن الأكل بالشمال؛ لأنَّ الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله.

عن ابن عمر رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لا يأكلنَّ أحدُكم بشماله، ولا يشربنَّ بها؛ فإنَّ الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بها**»[٢]. قال: وكان نافع يزيد فيها: «**ولا يَأخُذ بِهَا، ولا يُعطي بها**».

وصحَّ عنه: أنَّه قال لرجل أكل عنده، فأكل بشماله: «**كُلْ بيمِينِك**». قال: لا أستطيع. قال: «**لا استطعتَ**». ما منعه إلَّا الكِبْر، قال: فما رفعها إلى فيه[٣]. فلو كان ذلك جائزًا، لما دعا عليه، وإن كان كِبْرُه حمله على ترك امتثال الأمر، فذلك أبلغ في العصيان واستحقاق الدعاء عليه.

وقد ذكرنا حديثين في الترهيب من الأكل والشرب بالشمال، ينبغي للمسلم المُتحرِّي أن يأخذ منهما حرمة الأكل أو الشرب بيده اليسرى من غير عذر حتى لا يتشبَّه بأهل الشمال في الآخرة، وهم أهل النار.

وعن أبي هريرة، أنَّ النبي ﷺ قال: «**ليأكلْ أحدُكم بيمينه، وليشربْ بيمينه، وليأخذْ بيمينه، ولْيُعْطِ بيمينه؛ فإنَّ الشيطانَ يأكل بشماله، ويشربُ بشماله، ويعطي بشماله، ويأخذُ بشماله**»[٤].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأطعمة (٥٣٧٦)، ومسلم في الأشربة (٢٠٢٢).

(٢) رواه مسلم في الأشربة (٢٠٢٠)، وأحمد (٤٥٣٧)، وأبو داود (٣٧٧٦)، والترمذي (١٧٩٩)، كلاهما في الأطعمة.

(٣) رواه مسلم في الأشربة (٢٠٢١)، وأحمد (١٦٤٩٣)، عن سلمة بن الأكوع.

(٤) رواه أحمد (٨٣٠٦)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وابن ماجه في الأطعمة (٣٢٦٦)، قال البوصيري في مصباح الزجاجة (١١٣٠): إسناده صحيح ورجاله ثقات.

QaradawiBooks.com

وهناك بعض الناس ـ وهم قلة في العادة ـ منذ ولادتهم شِمـاليون، لا يستطيعون أن يستعملوا اليمين إلَّا بصعوبة وتدريب وتعويد، فهؤلاء ينبغي أن نلتمس لهم عذرهم؛ لأنَّهم لا يرفضون التيامن، ولكن يشق عليهم، وإن كان على كلٍّ منهم أن يحاول استخدام اليمين في الطعام والشراب ما استطاع، كما نرى الناس في بلاد الانكليز يأكلون بالشمال، ويشربون بالشمال، كما يمشون على الشمال. فكيف استطاع الناس ذلك، والأغلبية تستعمل اليمين؟ فليفعل الشماليون المسلمون ما يفعله اليمينيون الإنجليز ومن كان على طريقتهم.

٥ ـ استحباب الأكل من جوانب القصعة دون أعلاها:

عود الإسلام المسلم إذا قدِّم إليه الطعام، وأراد أن يأكل، فينبغي أن يكون لطيفًا رفيقًا في التناول، فلا يبدأ من وسط الطعام، بل من جوانبه.

وهذا ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**البَرَكة تنزل وسَطَ الطعام، فكلوا من حافَّتيه، ولا تأكلوا من وَسَطه**»[(١)].

وفي رواية: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أكل أحدكم طعامًا، فلا يأكل من أعلى الصَّحْفة، ولكن ليَأْكُلْ من أسفلها، فإنَّ البركة تنزل من أعلاها**»[(٢)].

وخُصَّ الوسط بنزول البركة؛ لأنَّه أعدل المواضع، وعلة النهي حتى لا يُحرَم الآكل البركة التي تحِلُّ في وسطه، وقد يلحق به ما إذا كان

(١) رواه الترمذي (١٨٠٥)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٣٢٧٧)، كلاهما في الأطعمة، والنسائي في الكبرى في الوليمة (٦٧٢٩)، وابن حبان في الأطعمة (٥٢٤٥)، وقال الأرناؤوط: حديث صحيح.

(٢) رواه أبو داود في الأطعمة (٣٧٧٢)، وقال الألباني في صحيح أبي داود (٢١٢٣): صحيح لغيره.

QaradawiBooks.com

الآكلون جماعة، فإنَّ المتقدم منهم إلى وسط الطعام قبل حافته قد أساء الأدب معهم، واستأثر لنفسه بالطيب دونهم، والله أعلم.

والنهي عن الأكل من أعلى الصحفة أو أوسطها إذا كان الطعام من نوع واحد، أمَّا إذا كان الطعام أنواعًا، فلا بأس بالأكل من أعلى الصحفة وجوانبها، ويدل لذلك ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك قال: رأيت النبي ﷺ يتتبع الدباء من حَوَالَيِ الصحفة[١].

٦ ـ استحباب رفع اللقمة عند سقوطها ومسحِ ما علق بها وأكلِها:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا سقطت لُقْمَةُ أحدكم، فَلْيُمِطْ ما بها من الأذى ولْيَأْكُلْهَا، ولا يدعْها للشيطان**»[٢] الحديث.

وفي رواية: «**إنَّ الشيطان يحضُرُ أحدَكم عند كل شيء من شأنه، حتى يحضره عند طعامه، فإذا سقطت من أحدكم اللقمة، فليُمِط ما كان بها من أذى، ثم ليأكلْها، ولا يدعْها للشيطان، فإذا فرغ فلْيلعقْ أصابِعَه، فإنه لا يدري في أيِّ طعامه تكون البَرَكة**»[٣]. وفي شرح النووي لصحيح مسلم قال: «واستحبابُ أكل اللقمة الساقطة بعد مسح أذًى يصيبها، هذا إذا لم تقع على موضع نجاسة، فإن وقعت على موضع نجس تنجَّست، ولا بد من غسلها إن أمكن، فإن تعذر أطعمها حيوانًا ولا يتركها للشيطان»[٤] انتهى.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأطعمة (٥٣٧٩)، ومسلم في الأشربة (٢٠٤١).

(٢) رواه مسلم في الأشربة (٢٠٣٣)، وأحمد (١٤٢٢٤).

(٣) رواه مسلم في الأشربة (٢٠٣٤)، وأحمد (١٢٨١٥)، عن أنس.

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (٢٠٤/١٣)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

QaradawiBooks.com

٧ ـ الأكل بالأيدي وخصوصًا لمن تعوَّده:

من الناس من تعوَّدوا الأكل بأيديهم من الطعام، كما رأينا ذلك عاديًّا عند كثير من الشعوب، كأهل الخليج وباكستان والأفغان والهند، وخصوصًا أطعمة الثريد والأرز باللحم، هو ما يسمَّى المكبوس. ومن أهل الحضر من عاشرهم وتعلّم منهم هذه العادات، وكل امرئ على ما تعوده، المهم غسل اليدين قبل الأكل وبعده، وتعود النظافة في كل ما يتعلق بالطعام ومائدته وأدواته.

٨ ـ حَمْد اللهِ عند الفراغ من الأكل:

وكما بدأ الأكل باسم الله، فإنه يختمه إذا فرغ منه: بحمد الله تعالى؛ فقد أتمَّ الله عليه نعمته، وأشبع جَوعته، وهيَّأ له الطعام الحلال، ورزقه من حيث لا يحتسب، سواء أكل في بيته، أم أكل في بيت غيره، فعليه أن يعلن الحمد لله تبارك وتعالى. فهو بمجرَّد أن يشبع ويكتفي، أو يُرفع الطعام من بين يديه، يقول ما كان يقوله النبي ﷺ: «**الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، غير مكْفيٍّ**[١] **ولا مُودَّع**[٢]**، ولا مستغنًى عنه، ربنا**»[٣]، أو يقول: «**الحمد لله الذي أطعم وسقى، وسوَّغه وجعل له مخرجًا**»[٤]. وذكر البخاري: أنَّه كان يقول: «**الحمد لله الذي كفانا وأروانا، غير مَكفيٍّ ولا مكفور**»[٥].

---

(١) أي غير محتاج إلى أحدٍ من عباده، لكنَّه هو الذي يطعم عباده ويكفيهم.

(٢) أَي غَير مَتْرُوك.

(٣) رواه البخاري في الأطعمة (٥٤٥٨)، عن أبي أمامة.

(٤) رواه أبو داود في الأطعمة (٣٨٥١)، عن أبي أيوب الأنصاري.

(٥) رواه البخاري في الأطعمة (٥٤٥٩)، عن أبي أمامة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وذكر الترمذي عنه أنَّــه قال: «**من أكل طعامًا ثــم قال: الحمد لله الذي أطعمني هــذا ورَزَقَنيه من غير حَول منــي ولا قوة؛ غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه**»(١).

وفي رواية: أنَّه كان إذا قرب إليه الطعام يقول: «**باسم الله**». فإذا فرغ قال: «**اللهمَّ أطْعمتَ وأســقيْتَ وأقنيْتَ**(٢) **وهديْتَ وأحيَيْتَ، فلله الحمد على ما أعطيت**»(٣). قال ابن القيم: وإسناده صحيح(٤).

وفي السنن أيضًا: «**إذا أكل أحدكم طعامًا فلْيَقُل: اللهمَّ بارك لنا فيه، وأطعمنا خيرًا منه، ومن سقاه الله لبنًا فليقل: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه. فإنه ليس شيء يجزي من الطعام والشراب إلَّا اللبن**»(٥).

وفي صحيح مسلم روى أنس بن مالك خادم رسول الله وصاحبه: أن رســول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله ليرضى عن العبد أن يــأكل الأكْلَة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها**»(٦).

---

(١) رواه أحمد (١٥٦٣٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في اللباس (٤٠٢٣)، والترمذي في الدعوات (٣٤٥٨)، وقال: حسن غريب. وحسَّنه ابن حجر في نتائج الأفكار (١٢٣/١)، عن معاذ بن أنس.

(٢) أي جعلت للعبد قنية يقتنيها من متاع الدنيا، مأخوذ من قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ﴾ [النجم: ٤٨].

(٣) رواه أحمد (١٦٥٩٥)، وقال مخرِّجوه: إســناده صحيح. والنســائي في الكبرى في الأشربة المحظورة (٦٨٧١)، عن رجل خدم النبي ﷺ.

(٤) زاد المعاد (٣٦٥/٢).

(٥) رواه أحمد (١٩٧٨)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. وأبو داود في الأشربة (٣٧٣٠)، والترمذي في الدعوات (٣٤٥٥)، وقال: حديث حسن. وابن ماجه في الأطعمة (٣٣٢٢)، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (٢٣٢٠)، عن ابن عباس.

(٦) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٣٤)، وأحمد (١١٩٧٣)، عن أنس.

غير مرخصة للطباعة
نسخة عليه
QaradawiBooks.com

وقد عوَّد الإسلام المسلم: أن يحمد الله ﷻ، كلما أسدى له نعمة من نعمه، ولا ريب أن كل ما لدينا من نِعم هو من الله تبارك وتعالى، كما قال ﷻ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

ولذلك علم الله تعالى نبيَّه نوحًا عليه السلام فقال: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨].

وهكذا نحمد الله تعالى إذا طلع علينا الصباح، ونحن بعافية وخير، ونقول: «**أصبحنا وأصبح الملك لله، والحمد لله، لا شريك له، لا إله إلَّا الله وإليه النشور**»(١).

وفي المساء نقول ذلك مع تغيير اللفظ من «أصبحنا» إلى «أمسينا».

وفي حديث آخر علمنا الرسول أن نقول بعد الاستيقاظ: «**الحمدُ لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور**»(٢).

٩ ـ غسل اليد بعد الطعام:

ذكر المنذري بابًا في الترغيب في غسل اليد قبل الطعام ـ إن صحَّ الخبر ـ وبعده، والترهيب أن ينام وفي يده ريح الطعام لا يغسلها، ولكن لم يصح الخبر في غسل اليد قبل الطعام، ولهذا لم أضعه في «المنتقى في الترغيب والترهيب»، وهو الذي رواه سلمان مرفوعًا: «**بركةُ الطعام الوضوءُ قَبْلَه والوضوء بعده**»(٣) فالحديث ضعيف، وإن

(١) رواه البزار (٨٦٨٥)، وجوَّد إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٩٩٤)، وحسن إسناده ابن حجر في مختصر زوائد البزار (٨٢٣/٢)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٢٥)، عن أبي ذر. ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧١١)، عن البراء بن عازب.

(٣) رواه أحمد (٢٣٧٣٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الأطعمة (٣٧٦١)، وقال =

QaradawiBooks.com

كان غسل اليد قبل الطعام وبعده أمرًا محمودًا، فهو من النظافة التي حثَّ عليها الإسلام.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من نام وفي يده غَمَر**[١] **ولم يغسله، فأصابه شيء؛ فلا يلومنَّ إلَّا نفسه**»[٢].

ولهذا يحسن بالمسلم أن يغسل يده قبل الأكل وبعده، عملًا بالتوجيه العام إلى استحباب النظافة للفرد المسلم والمجتمع المسلم، وقد اشتهر على ألسنة المسلمين: أنَّ النظافة من الإيمان. ولم يصح حديث بهذا اللفظ، ولكن لعلَّهم استنبطوه من حديث: «**الطُّهور شطر الإيمان**». وهو في صحيح مسلم[٣]. وهو من أحاديث الأربعين النووية.

١٠ ـ تحريم الأكل في أواني الذهب والفضة:

أباح لنا الإسلام أن نأكل كما يحلو لنا، وكما يليق بنا، حسب نوع الطعام، وحسب طريقة طهيه أو وصفه، ولكنَّه نهانا من استعمال أواني الذهب والفضة، مع إحلال كل ما عداهما من أواني النحاس والحديد والألمونيوم والفخار والرخام وغيرها من الأصناف والألوان.

= عقبه: ضعيف. والترمذي في الأطعمة (١٨٤٦)، وقال: لا نعرف هذا الحديث إلَّا من حديث قيس بن الربيع، وقيس بن الربيع يضعَّف في الحديث. وضعفه الألباني في الضعيفة (١٦٨)، عن سلمان الفارسي.

(١) الغمر بفتح الغين المعجمة والميم بعدها راء: هو ريح اللحم وزهومته.

(٢) رواه أحمد (٧٥٦٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (٣٨٥٢)، والترمذي (١٨٦٠)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه (٣٢٩٧)، ثلاثتهم في الأطعمة، وابن حبان في الزينة والتطيب (٥٥٢١)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٦٦٦).

(٣) سبق تخريجه صـ٩٤، وفيه: «الصبر ضياء».

QaradawiBooks.com

وقد جاء في السُّنَّة تحريم هذه الأواني بأعيانها تطبيقًا لما ذمّه وشدَّد في ذمه القرآن الكريم من الترف والتبذير.

فعن أم سلمة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «**الذي يشرب في آنية الفضة إنَّما يُجَرْجِر في بطنه نار جهنم**»(١).

وفي رواية لمسلم: «**إنَّ الذي يأكل أو يشرب في آنية الذهب والفضة إنَّما يُجَرْجر في بطنه نار جهنم**»(٢). وفي أخرى له: «**مَن شرب في إناءٍ من ذهب أو فضة، فإنما يُجَرْجر في بطنه نارًا من جهنم**»(٣).

وعن حُذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تلبَسوا الحريرَ ولا الدِّيباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها؛ فإنها لهم في الدنيا، ولكم في الآخرة**»(٤).

هدي الرسول ﷺ في طعامه:

كان ﷺ إذا دخل على أهله رُبَّما يسألهم: «**هل عندكم طعام؟**» فأحيانًا يقولون: نعم. وأحيانًا يقولون: لا. ومن كمال هديه ﷺ في الطعام أنَّه كان لا يرد موجودًا، ولا يتكلَّف مفقودًا، فما قُرِّب إليه شيء من الطيبات إلَّا أكله، إلَّا أن تعافه نفسه، فيتركه من غير تحريم.

وما عاب النبيُّ ﷺ طعامًا قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه(٥)، وربما قال: «**أجدُني أعافُه**»(٦).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأشربة (٥٦٣٤)، ومسلم في اللباس والزينة (٢٠٦٥) (١).

(٢) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢٠٦٥).

(٣) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢٠٦٥) (٢).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الأطعمة (٥٤٢٦)، ومسلم في اللباس والزينة (٢٠٦٧).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري في الأطعمة (٥٤٠٩)، ومسلم في الأشربة (٢٠٦٤)، عن أبي هريرة.

(٦) متفق عليه: رواه البخاري في الأطعمة (٥٣٩١)، ومسلم في الصيد (١٩٤٦)، عن خالد بن الوليد.

QaradawiBooks.com

قال الإمام ابن القيم: «وكان يمدح الطعام أحيانًا، كقوله لما سأل أهله الإدام، فقالوا: ما عندنا إلَّا خل. فدعا به، فجعل يأكل منه، ويقول: «**نِعْم الأُدْم الخَل**»[(١)]. وليس في هـذا تفضيل له على اللبن واللحم والعسل والمرق، وإنَّما هو مدح له في تلك الحال التي حضر فيها، ولو حضَرَ لحم أو لبن كان أولى بالمدح منه، وقال هذا جبرًا وتطييبًا لقلب من قدَّمه، لا تفضيلًا له على سائر أنواع الإدام».

أكله مع أصحابه وعند من يدعوه وهديه في ذلك:

لم يكن ﷺ يأنف من تناول الطعام مع أيّ شخص، مهما كان عمره أو وضعه الاجتماعي، تواضعًا منه عليه الصلاة والسلام.

وكان إذا قُرِّب إليه طعام وهو صائم قال: «**إنِّي صائم**».

روى البخاري من حديث أنس بن مالك: دخل النبي ﷺ على أم سُلَيْم، فأتته بتمر وسمن، قال: «**أعيدوا سَمْنَكم في سِقائه، وتَمْرَكم في وعائه، فإني صائم**». ثم قام إلى ناحية من البيت، فصلَّى غير المكتوبة، فدعا لأم سُلَيم وأهل بيتها[(٢)].

وأمر **من قُرِّبَ إليه الطعامُ، وهو صائم**، أن يُصَلِّيَ، أي يدعو، لمن قدَّمه، وإن كان مفطرًا أن يأكل منه[(٣)].

---

(١) رواه مسلم في الأشربة (٢٠٥٢)، وأحمد (١٤٩٢٥)، وأبو داود في الأطعمة (٣٨٢٠)، عن جابر بن عبد الله.

(٢) رواه البخاري في الصوم (١٩٨٢)، وأحمد (١٢٠٥٣).

(٣) روى أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دعي أحدكم، فليجب، فإن كان صائما، فليصل، وإن كان مفطرا، فليطعم**». رواه مسلم في النكاح (١٤٣١).

QaradawiBooks.com

وكان إذا دُعي لطعام وتبعه أحد، أعلم به ربَّ المنزل، وقال: «**إن هذا تَبِعَنا، فإن شئتَ أن تأذن له، وإن شئتَ رجع**»[١].

وكان **يتحدَّث على طعامه**، كما تقدَّم في حديث الخل، وكما قال لربيبه عمر بن أبي سلمة وهو يؤاكله: «**سمِّ الله، وكُلْ ممَّا يليكَ**»[٢].

وربما كان يكرِّر على أضيافه عرض الأكل عليهم مرارًا، كما يفعله أهل الكرم، كما في حديث أبي هريرة عند البخاري في قصة شرب اللبن، وقوله له مرارًا: «**اشْرَب**»، فما زال يقول «**اشْرَب**»، حتى قال: والذي بعثك بالحق لا أجد له مسلكًا[٣].

دعاؤه ﷺ لمن أكل عندهم، ولمن أطعم غيره:

وكان إذا أكل عند قوم لم يخُرج حتى يدعو لهم، فدعا في منزل عبد الله بن بُسْر، فقال: «**اللهمَّ بارِكْ لهم فيما رزقتهم، واغفرْ لهم وارحمْهم**»[٤].

ودعا في منزل سعد بنِ عُبادة، فقال: «**أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامَكمُ الأبرارُ، وصلَّت عليكم الملائكة**»[٥].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في البيوع (٢٠٨١)، ومسلم في الأشربة (٢٠٣٦)، عن أبي مسعود الأنصاري.

(٢) سبق تخريجه صـ٢٦٢.

(٣) رواه البخاري في الرقاق (٦٤٥٢)، وأحمد (١٠٦٧٩).

(٤) رواه مسلم في الأشربة (٢٠٤٢)، وأحمد (١٧٦٧٥)، وأبو داود في الأشربة (٣٧٢٩)، عن عبد الله بن بسر.

(٥) رواه أحمد (١٢١٧٧)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وأبو داود في الأطعمة (٣٨٤٥)، والنسائي في الكبرى في الأشربة المحظورة (٦٨٧٤)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

وصحَّ عنه ﷺ أنَّه دخل منزله ليلــة، فالتمس طعامًا فلم يجده، فقال: «**اللهم أَطْعِمْ من أَطْعَمني، واسْقِ من سقاني**»[(١)].

وكان يدعو لمن يُضيِّف المســاكين، ويُثني عليهــم، فقال مرة: «**ألا رجل يُضيف هذا رحمه الله؟!**»[(٢)]. وقال للأنصــاري وامرأته اللذين آثرا بقوتهما وقوت صبيانهما ضيفهما: «**لقد عَجِبَ اللهُ من صَنِيعِكما بضيفكما الليلةَ**»[(٣)(٤)].

هديُه ﷺ في شرابه:

أمَّا هديُه ﷺ في شرابه، فقد كان يشرب باليمين[(٥)]، كما ورد ذلك في الأكل، وكان يشرب الماء على ثلاث دفعات، يتنفس بينها[(٦)]، مبْعدًا الإناء عن فيه وعن نفسه وقاية له من التلوث.

نهيه عن التنفس في الإناء والشرب من في السقاء:

وكان ينهى عن التنفس في الإناء، وفي هذا صحَّت أحاديث الرسول الكريم التي نهت المسلم أن ينفخ أو يتنفس في الإناء، أو يشرب من فم السقاء، حرصًا على سلامته، وابتعاده عن أسباب العدوى، حتى لا يصاب

---

(١) جزء من حديث طويل، رواه مسلم في الأشــربة (٢٠٥٥)، وأحمد (٢٣٨٠٩)، عن المقداد بن الأسود.

(٢) رواه مسلم في الأشربة (٢٠٥٤).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٨٨٩)، ومسلم في الأشربة (٢٠٥٤)، عن أبي هريرة.

(٤) زاد المعاد (٢/٣٦٧ ـ ٣٦٩) بتصرف.

(٥) إشارة إلى حديث أم المؤمنين حفصة: كان يجعل يمينه لطعامه وشرابه وثيابه، ويجعل شماله لما ســوى ذلك. رواه أحمد (٢٦٤٦١)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الطهارة (٣٢).

(٦) متفق عليه: رواه البخاري في الأشربة (٥٦٣١)، ومسلم في الأشربة (٢٠٢٨)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

بشيء، فيضر نفسه، ويعدي غيره. وقد قال ﷺ: «**فِرَّ من المجذوم فرارَك من الأسد**»[١].

فعن أبي سعيد الخدري أنَّ النبي ﷺ نهى عن النفخ في الشرب، فقال رجل: القذاة أراها في الإناء؟ قال: «**أهرقها**». قال: فإني لا أروى من نَفَس واحد؟ قال: «**فأبِن القدَحَ إذَن عن فيك**»[٢]. وإن كان الشرب بنفس واحد جائز.

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ نهى أن يُتَنَفَّس في الإناء، أو يُنْفَخ فيه[٣].

قال الحافظ المنذري: وروى البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، النهي عن التنفُّس في الإناء من حديث أبي قتادة[٤].

قال الحافظ ابن حجر: «قال المهلَّب: النهي عن التنفس في الشرب كالنهي عن النفخ في الطعام والشراب، من أجل أنَّه قد يقع فيه شيء من الريق، فيعافه الشارب ويتقذَّره، إذ كان التقذُّر في مثل ذلك عادة غالبة على طباع أكثر الناس.

---

(١) رواه أحمد (٩٧٢٢)، وقال مخرِّجوه: صحيح، وهذا إسناد ضعيف. والبخاري تعليقًا (٥٧٠٧) مجزومًا به، والبيهقي في النكاح (١٣٥/٧)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٧٨٣)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (١١٢٧٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في الأشربة (١٨٨٧)، وقال: حسن صحيح. والحاكم في الأشربة (١٣٩/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه أحمد (١٩٠٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط البخاري. وأبو داود (٣٧٢٨)، والترمذي (١٨٨٨)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الوضوء (١٥٣)، ومسلم في الطهارة (١٥٣).

QaradawiBooks.com

ومحل هذا إذا أكل وشرب مع غيره، وأمَّا لو أكل وحده، أو مع أهله، أو من يعلم أنَّه لا يتقذَّر شيئًا ممَّا يتناوله، فلا بأس. قلت: والأولى تعميم المنع؛ لأنَّه لا يؤمَن مع ذلك أن تفضل فضلة، أو يحصل التقذُّر من الإناء أو نحو ذلك.

وقال ابن العربي: قال علماؤنا

: هو من مكارم الأخلاق، ولكن يحرم علـــى الرجل أن يناول أخاه ما يتقذَّره، فإن فعله في خاصة نفســه ثم جاء غيره فناوله إيَّاه، فليُعلمه، فإن لم يعلمه فهو غشٌّ، والغش حرام.

وقال القرطبي: معنى النهي عن التنفُّس في الإناء؛ لئلَّا يتقذَّر به من بزاق، أو رائحة كريهة تتعلق بالماء»[(١)].

وعن أنس بن مالك ﷺ أنَّ النبي ﷺ كان يتنفَّـــس في الإناء ثلاثًا، ويقول: «**هو أَمْرَأُ وأرْوى**»[(٢)].

قال الحافظ المنذري: وهذا محمول على أنَّه كان يُبينُ القدح عن فيه كل مرة، ثم يتنفس، كما جاء في حديث أبي ســعيد المتقدِّم، لا أنَّه كان يتنفس في الإناء[(٣)].

النهي عن الشرب من الثُّلمة الموجودة في القَدَح ومن أفواه السقاء:

عن أبي ســعيد الخدري ﷺ قال: نهى رســول الله ﷺ عن اخْتناث الأسقية ـ يعني أن تكسر أفواهها ـ فيشرب منها[(٤)].

---

(١) فتح الباري (٩٤/١٠).

(٢) رواه مسلم (٢٠٢٨)، والترمذي (١٨٨٤)، كلاهما في الأشربة.

(٣) الترغيب والترهيب عقب الحديث (٣٢١٤).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٥٦٢٥)، ومسلم (٢٠٢٣)، كلاهما في الأشربة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وعن أبي سعيد الخدري أنَّه قال: نهى رسول الله ﷺ عن الشرب من ثُلمة القَدَح، وأن ينفخ في الشراب[١].

فالشـــرب من مكان الثلمة الموجودة في القدح أو الإناء منهي عنه. والنهي نهي كراهة عند أئمة الإسلام، كما ذكر ذلك الإمام ابن عبد البر، قال الإمام الطحاوي في «شرح معاني الآثار»: وقد قال قوم: إنَّما نهى عن ذلك؛ لأنَّه الموضع الذي يقصده الهوامُّ، فنهى عن ذلك خوف أذاها[٢].

وعن أبي هريـــرة رضي الله عنه، أن رســـول الله ﷺ نَهى أنْ يُشْـــرَب مِن فِي السِّـــقاء، فأُنْبِئْتُ أنَّ رجلًا شرب مِنْ في الســـقاء، فخرجت حيَّة[٣]. رواه البخاري مختصـــرًا دون قوله: «فأنبئـــت...» إلى آخـــره، ورواه الحاكم بتمامه، وقال: صحيح على شرط البخاري[٤].

وفي رواية: أن رســـول الله ﷺ نهى أن يشرب الرجل من في السقاء، وأن يتنفس في الإناء[٥].

شربه ﷺ من في القربة:

وقد ثبت عن النبي ﷺ: أنَّه شرب من في قربة معلقة قائمًا[٦].

---

(١) رواه أحمد (١١٧٦٠)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. وأبو داود (٣٧٢٢)، وابن حبان (٥٣١٥)، كلاهما في الأشربة.

(٢) شرح معاني الآثار (٢٧٦/٤).

(٣) رواه البخاري في الأشربة (٥٦٢٨)، وأحمد (٧١٥٣).

(٤) رواه أحمد (١٠٣٢٠)، وقال مخرِّجوه: إســـناده صحيح على شـــرط البخـــاري. والحاكم في الأشربة (١٤٠/٤)، وصحَّحه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي.

(٥) رواه ابن حبان في الأشربة (٥٣١٦)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٦) رواه الترمذي في الأشربة (١٨٩٢)، وقال: حديث حسن صحيح. وصحَّحه الألباني في مشكاة المصابيح (٤٢٨١).

QaradawiBooks.com

فيجوز الشـــرب من القِنِّينة، لكنَّ الأولى تركه، وصبّ ما في القنينة في كأس، ثم يشـــرب منها، وذلك لما ثبت عن النبي ﷺ: أنَّه نهى عن الشرب من فم القِرْبة[١].

وقد وفَّق أهـــل العلم بين فعلـــه ونهيه، بحمل النهي علـــى التنزيه، وحمل الفعل على الجواز، كذا قال النـــووي، ثم إنَّ الأمر في القنينة إذا كان يرى ما بداخلها أوسع من القربة؛ لأن من حكمة النهي عن الشرب من فم القربة الخوف من دخول حشرة في فم الشارب من فم القربة وهو لا يعلم، وقيل بأنَّهـــا للخوف من إنتان الماء بالشـــرب منـــه، وهذا قد لا يكون واقعًا في شأن الشارب من القنينة.

الشرب قائمًا وقاعدًا:

من هديه ﷺ أنَّه كان يشرب قاعدًا، وكان قليلًا ما يشرب قائمًا، حتى قال ﷺ: «**لا يشربنَّ أحدُكم قائمًا**»[٢].

وأخرج مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه: أنَّ النبي ﷺ زجر عن الشرب قائمًا[٣].

فهذا الحديث الصحيح صريح في النهي عن الشـــرب قائمًا، ولكن ثبت أيضًا أنَّه ﷺ شرب قائمًا، ففي الصحيحين، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أنَّ النبي ﷺ شرب من زمزم قائمًا[٤].

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٧٥.

(٢) رواه مسلم في الأشربة (٢٠٢٦)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه مسلم في الأشربة (٢٠٢٤) (١١٢)، وأحمد (١٣٢٣١).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الحج (١٦٣٧)، ومسلم في الأشربة (٢٠٢٧).

QaradawiBooks.com

وفي صحيح البخاري، أن علي بن أبي طالب ﷺ أتي على باب الرحبة بماء، فشرب قائمًا، فقال: إن ناسًا يكره أحدهم أن يشرب وهو قائم، وإنِّي رأيت رسول الله ﷺ فعل كما رأيتموني فعلت[١].

وذكر العلماء في الجمع بين أحاديث النهي والإباحة: أنَّ النهي محمول على كراهة التنزيه، وشربه ﷺ قائمًا بيان للجواز[٢].

حكم الشرب من إناء واحد:

والأصل جواز شرب شخصين أو أكثر من إناء واحد، وكذا اشتراك الأشخاص في الأكل من إناء واحد، فقد كان النبي ﷺ وصحابته الكرام ومن تبعهم يشرب الواحد منهم من الإناء، ويناول من على يمينه وهكذا، ورد ذلك في أكثر من حديث صحيح[٣].

وكان من هديه عليه الصلاة والسلام ترك التكلُّف، وقد كان يشرب من موضع شرب زوجته وهي حائض.

---

(١) رواه البخاري في الأشربة (٥٦١٥).

(٢) وأمَّا الأكل قائما، فإنه مثل الشرب، فيجوز للحاجة، ويكره لغيرها، وقد سئل أنس رضي الله عنه ـ وهو راوي حديث النهي عن الشرب قائمًا ـ عن الأكل، فقال: ذاك أشرُّ أو أخبث. رواه مسلم في الأشربة (٢٠٢٤) (١١٣) وغيره. وقد روى الترمذي في الأشربة (١٨٨٠)، وقال: حسن صحيح غريب. وابن ماجه في الأطعمة (٣٣٠١)، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نأكل على عهد رسول الله ﷺ ونحن نمشي، ونشرب ونحن قيام. وصحَّحه الألباني في مشكاة المصابيح (٤٢٧٥)، قال صاحب تحفة الأحوذي (٣/٦): وفيه دلالة على جواز الأكل ماشيًا، وحديث أنس المذكور في الباب المتقدم يدل على المنع، فيحمل حديث أنس على كراهة التنزيه، وحديث ابن عمر على الجواز مع الكراهة، جمعًا بين الحديثين.

(٣) منها حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ أتي بشراب فشرب منه، وعن يمينه غلام، وعن يساره الأشياخ فقال للغلام: «**أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟**». فقال الغلام: والله يا رسول الله، لا أوثر بنصيبي منك أحدًا. قال: فتلَّه رسول الله ﷺ في يده. رواه البخاري في الأشربة (٥٦٢٠).

QaradawiBooks.com

روى مسلم في صحيحه عن عائشة قالت: كنت أشرب وأنا حائض، ثم أناوله النبي ﷺ، فيضع فاه على موضع فيَّ فيشرب، وأتعرق العَرْق[١] وأنا حائض، ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فيّ[٢].

وهذا في الحالات العاديـة، أمَّا إذا كان هناك مـرض أو خوف من العدوى فلا ينبغي للمسلم أن يشـرب من فضلة المريض أو من يخشى منه، لأنَّ الوقاية مأمور بها، ولعل النهي الوارد في الشـرع عن النفخ في الطعام والشـراب من هذا القبيل، وقد جاء في الصحيحين وغيرهما: أنَّ النبي ﷺ قال: «**لا يوردن مُمْرِضٌ على مُصِحٍّ**»[٣]. وشرع لأمته التحرُّز من الأدواء المعدية، وأرشد الأصحاء لمجانبة أهلها.

ساقي القوم آخرهم شربًا:

ومن الآداب التي سنَّها رسول الله ﷺ والمتعلِّقة بالشرب عند اجتماع الناس أن يكون ساقي القوم هو آخر من يشرب.

فعـن أبي قتـادة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «**إن سـاقي القـوم آخرهم شُربًا**»[٤]. وأن يكون تقديم الشراب باعتبار السنِّ والمكانة لا الجهة.

حبه ﷺ للبن والماء العذب:

وأكثر ما كان النبي ﷺ يحبُّ شربه: اللبن، حتى كان يقول في حقّه: «**ليس شيءٌ يجزئ مكانَ الطعام والشراب غير اللبن**»[٥].

---

(١) العَرْق: العظم الذي عليه بقية من لحم. وتعرقت العظم: أخذت عنه اللحم بأَسنانك.

(٢) رواه مسلم في الحيض (٣٠٠)، وأحمد (٢٤٣٢٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٧١)، ومسلم في السلام (٢٢٢٠)، عن أبي هريرة.

(٤) رواه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٦٨١)، وأحمد (٢٢٥٤٦)، عن أبي قتادة.

(٥) سبق تخريجه صـ٢٦٦.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وكان يخصّص له من الحمد ما ليس لغيره من الأطعمة، وقد روى ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من أطعمه الله الطعام فليقل: اللهمَّ بارك لنا فيه، وأطعمنا خيرًا منه. ومن سقاه الله لبنًا فليقل: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه**»(١).

وكان النبي ﷺ يعجبه شرب الماء العذب البارد(٢)، ويطلب أن يُحضر له من الآبار، كما ثبت في السنن(٣).

النهي عن ترك الآنية مكشوفة:

إن ترك الآنية بالليل مكشوفة خلاف أمر النبي ﷺ، لما قد يترتب على ذلك من إفساد الشياطين وكيدهم، بل ثبت الأمر بتغطية الآنية وإغلاق الأبواب.. وما أشبه ذلك مع ذكر اسم الله تعالى، ففي صحيح البخاري أنَّ النبي ﷺ قال: «**خمِّروا الآنية، وأوكوا الأسقية، وأجيفوا الأبواب، وكُفُّوا صبيانكم**»(٤).

وفي صحيح مسلم قال النبي ﷺ: «**غَطُّوا الإناء، وأوكوا السقاء، وأغلقوا الباب، وأطفئوا السراج، فإنَّ الشيطان لا يَحُلُّ سِقَاء، ولا يفتح بابًا، ولا يكشف إناءً، فإن لم يجد أحدكم إلَّا أن يعرُض على إنائه**

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٦٦.

(٢) عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يدخلها (بيرحاء) ويشرب من ماء فيها طيب. رواه البخاري في الأشربة (٥٦١١).

(٣) عن عائشة، أن رسول الله ﷺ كان يستقى له الماء العذب من بيوت السقيا. رواه أحمد (٢٤٦٩٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده جيد كما قال الحافظ في الفتح (٧٤/١٠). وأبو داود (٣٧٣٥)، وابن حبان (٥٣٣٢)، كلاهما في الأشربة، عن عائشة. وبيوت السقيا: عين بينها وبين المدينة يومان.

(٤) رواه البخاري في بدء الخلق (٣٣١٦)، عن جابر.

QaradawiBooks.com

عودًا ويذكر اســـم الله تعالى فليفعل، فإنَّ الفُوَيْســـقة تضرم على أهل البيت بيتهم»[١].

قال ابن حجر في «فتح الباري»: «جميع أوامـــر هذا الباب من باب الإرشاد إلى المصلحة، ويحتمل أن تكون للندب، ولا سيما في حق من يفعل ذلك بنيَّةِ امتثال الأمر»[٢].

* * *

(١) مسلم في الأشربة (٢٠١٢)، عن جابر.

(٢) الفتح (٣٥٦/٦).

QaradawiBooks.com

الفصل الثالث

أدب المسلم في اللباس والزينة

من نعم الله العظيمة التي امتن بها على البشر نعمة الملابس، وهي نعمة قد خص الله بها بني آدم دون غيرهم من سائر المخلوقات، يسترون بها عوراتهم، ويتقون بها الحر والبرد، ويتجملون ويتزينون، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ [الأعراف: ٢٦]، والريش: ما يحقِّق الزينة والجمال. وقال: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۚ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾ [النحل: ٥]، وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡ﴾ [النحل: ٨١].

وقد قصَّ القرآن الكريم علينا قصَّة الإنسان الأول الذي خلقه الله، وخلق منه زوجته «آدم وحواء»، وأباح لهما أن يسكنا فيها، ويأكلا منها رغَدًا حيث شاءا، من كل شجر الجنَّة إلَّا شجرة واحدة، نهاهما عن الأكل منها، ورتَّب الله على أكل آدم وحواء من الشجرة انكشاف سوآتهما، التي كانت تخبّأت عنهما: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [الأعراف: ٢٢].

وكان أكلهما من الشجرة المنهي عنها بوسوسة الشيطان، وإقسامه لهما أنَّه من الناصحين لهما، هو بداية انكشاف هذه العورات من الإنسان.

QaradawiBooks.com

ومن هنا كان أمر الله تعالى إلى بني آدم أن يطيعا ما أمر الله به، ويخالفا ما جاء به الشيطان: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٧].

فالإسلام يدعو الناس إلى أن يتحلَّوا بلُبس الثياب، وأن يحرصوا على ستر العورات، والتجمُّل بالملابس، ولا يكونوا كالذين يعيشون في بعض الصَّحارى والقفار والغابات، كما خلقهم الله سبحانه، رجالًا ونساء، كبارًا وصغارًا.

بل إنَّ الإسلام يدعو المجتمع كله أن يوفِّر لكلِّ فرد ـ كحد أدنى ـ ملبسًا مناسبًا للشتاء، وملبسًا مناسبًا للصيف، وهذا ما أوجبه ابن حزم لكلِّ مسلم أو ذمِّي في ظلِّ نظام الإسلام، وأجاز له أن يقاتل للحصول عليه[1].

وجوب ستر العورة:

فالغرض من الملبس في نظر الإسلام أمران: ستر العورة، والزينة.

وقد أوجب الإسلام على المسلم أن يستر عورته، التي يستحيي الإنسان المتمدِّن بفطرته من كشفها، حتى يتميز عن الحيوان العاري؛ ودعاه إلى هذا التستر، وإن كان منفردًا بعيدًا عن الناس، حتى يصير الاحتشام له ديدنًا وخلقًا.

عن بهْز بن حكيم، عن أبيه، عن جده قال: قلت: يا رسول الله، عوراتُنا ما نأتي منها وما نذر؟ فقال: «**احفظ عورتَك إلَّا من زوجتك أو ما ملكت يَمينُك**». قلت: يا رسول الله، فإذا كان القوم بعضهم في

(١) انظر: المحلى لابن حزم (٢٨١/٤)، نشر دار الفكر، بيروت.

QaradawiBooks.com

بعض[١]؟ قال: «**فإن استطعت ألَّا يراها أحد فلا يرينَّها**» فقلت: فإذا كان أحدنا خاليًا؟ قال: «**فالله تبارك وتعالى أحقُّ أن يُستحيا منه**»[٢]. حتى لو كان وحده ينبغي أن يستر عورته عن غير امرأته.

الإسلام يدعو إلى الزينة:

وفوق هذا الحدِّ الأدنى من الملبس، الذي يستر العورة ويقي من الحر والبرد، ينبغي أن يتهيَّأ للمسلم ما يتجمَّل به في المناسبات، كالجُمَع والأعياد، وذلك مطلوب من المسلم لئلَّا يؤذي الآخرين بلباس مهنته.

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۞ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف: ٣١ ـ ٣٢].

فسمَّى القرآنُ الزينةَ التي أحلها الله للإنسان «زينة الله»، وهذه الإضافة ليكرّمها ويحلّيها للإنسان، فالأصل الحل. وقد رأينا الله ﷻ يبيح للناس اللباسَ الساتر لما يجب ستره، الذي يقي من الحر والبرد، وكل العوامل المؤثرة في حياة الإنسان وصحّته، ولباس الزينة، والرياش ولباس التقوى.

فقد طلب الله من الناس أن يتَّخذوا الزينة عند كلِّ مسجد، حتى لا يظن الناس أنَّ المساجد والصلاة فيها تتطلب التقشف، والبعد عن التحلي

(١) أي في السفر ونحوه ممَّا يختلط فيه الناس في نومهم ويقظتهم.

(٢) سبق تخريجه صـ١١٤.

غير مرخصة للطباعة
نسخة جديدة
QaradawiBooks.com

والتزيُّن. ولذا كان الحسن إذا أراد الذهاب إلى الصلاة: لبس أجمل ما عنده وأنظفه، وأروعه، ليلقى ربه، فلمّا سئل عن ذلك قال: إنَّ المرء إذا أراد أن يلقى أميرًا لبس للقائه أفضل ما عنده، فربنا أولى أن نتجمَّل له![1].

ولا يظن مسلم أنَّ التجمُّل باللبس الحلال، والظهور بالمظهر الطيِّب، يدخل في دائرة الكِبْر أو الاختيال أو الغرور، الذي ذمَّه الله ورسوله. إن هذه خصال نفسيَّة تتعلق بنفس المسلم، ولا صلة لها بحُسن الثياب ولا جمالها، ولا حرص الإنسان على أناقتها، وتجمله فيها.

روى مسلم في صحيحه عن ابن مسعود: أنَّ النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجَنَّةَ من كان في قلبه مثقالُ ذرَّةٍ من كِبْر**» قال رجل: إنَّ الرجل يحبُّ أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة. قال: «**إنَّ الله جميل يحب الجمال، الكبْر بَطَر الحقِّ، وغَمْط الناس**»[2].

فالعناية برونق الإنسان، وحسن هندامه، وجمال شكله، ونظافة جسمه، وحلية صورته، لا تدخل في الكِبْر المحرَّم، إنَّما الكِبْر المحظور الذي يكرهه الله، ويبغض أهله هو: أن تردَّ الحقَّ ولا تقبله، إذا جاءك ممَّن تعتقد أنَّه دونك، وأن تغمط الناس وتحتقرهم ولا تحترمهم بدعوى أنك أزكى منهم وأطهر، أو أذكى منه وأمهر.

وهذه الأحاديث وما قبلها من آيات القرآن الكريم ممَّا أحل اللباس والتزيُّن والتجمل للرجال والنساء، ممَّا تميَّزت به أحكام الإسلام ومُثله وقيَمه، ولكن لا يعني هذا: أنَّ المسلم يصبح أكبر همّه، ومبلغ علمه، أن

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي (٣٤٩/٤)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٩١)، وأحمد (٣٧٨٩)، وأبو داود في اللباس (٤٠٩١)، ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

يلبس الثوب الجميل، ويرتدي العباءة الفخمة، ويتحلَّى بالعمامة الفائقة، ويلبس من روائع اللباس ما يتبختر به في الناس، كأنَّه الطاوس، أو تمشي به المرأة مشية العروس، فليس هذا ما يريده الأخيار الصالحون، الذين جعلوا الدار الآخرة هي غايتهم التي إليها يسيرون، وعليها يحرصون، ومن أجلها يعملون ويتنافسون.

يقول أبو العلاء[1]:

وإنِّي جوادٌ لم يُحَلُّ لجامُه ونصلٌ يمانٍ أغفلته الصياقلُ
وإن كان في لُبس الفتى شرف له فما السيف إلَّا غمده والحمائلُ!

وينسب إلى الإمام الشافعي قوله:

فلو لبس الحمار ثيابَ خَزٍّ لقال الناس: يا لك من حمارِ![2]

تحريم الذهب والحرير على الرجال وإباحتهما للنساء:

وإذا كان الإسلام قد أباح الزينة؛ بل طلبها، واستنكر تحريمها: ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ** ﴾ [الأعراف: ٣٢]. فإنه حرَّم على الرجال نوعين من الزينة، على حين أحلهما للإناث:

أولهما: التحلِّي بالذهب الخالص، أو الغالب.

ثانيهما: لبس الحرير الخالص، أو الغالب.

وقد ذكر الإمام المنذري في كتابه: «الترغيب والترهيب» جملة أحاديث في تحريم الذهب والحرير على الرجال، انتقيتها منه وخرَّجتها.

---

(١) انظر: سقط الزند صـ١٩٤، نشر دار صادر، بيروت، ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧ م .

(٢) ذكره صاحب الأمثال المولدة من غير نسبة صـ٣٣٨ ، نشر المجمع الثقافي، أبو ظبي،١٤٢٤هـ.

QaradawiBooks.com

فعن أبي موسى ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: «**أُحِلَّ الذهب والحرير للإناث من أمَّتي، وحـرِّم[١] على ذكورها**»[٢]. رواه أحمد، والنسـائي، والترمذي وصحَّحه، مع أن فيه انقطاعًا.

وروى أبو داود وابن ماجه وغيرهمـا معناه من حديث علي ﷺ[٣] بإسناد حسن، قال ابن المديني: هو حديث حسن، رجاله معروفون.

عن حذيفة قال: نهى رسول الله ﷺ عن لُبس الحرير والديباج، وآنية الذهب والفضة، وقال: «**هي لهم في الدنيا، ولنا في الآخرة**»[٤].

ترهيب الرجال من الحرير والذهب:

وذكر المنذري أيضًا عـدَّة أحاديث في ترهيب الرجال من لبسـهم الحرير وجلوسهم عليه، والتحلِّي بالذهب.

عـن عمر بن الخطـاب ﷺ قال: قال رسـول الله ﷺ: «**لا تلبسـوا الحرير؛ فإنه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة**»[٥].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسـول الله ﷺ: «**من لَبِسَ الحريرَ في الدنيا، فلن يلبسَه في الآخرة**»[٦].

---

(١) كذا بالإفراد.

(٢) رواه أحمد (١٩٥٠٢)، وقال مخرِّجوه: صحيح بشواهده. والترمذي في اللباس (١٧٢٠)، وقال: حسن صحيح. والنسائي في الزينة (٥١٤٨).

(٣) رواه أحمد (٧٥٠)، وقال مخرِّجوه: صحيح لشواهده. وأبو داود في اللباس (٤٠٥٧)، والنسائي في الزينة (٥١٤٤)، وابن ماجه في اللباس (٣٥٩٥).

(٤) سبق تخريجه صـ٢٦٩.

(٥) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢٠٦٩).

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٥٨٣٢)، ومسلم (٢٠٧٣)، كلاهما في اللباس.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وهذه الأحاديث التي صحَّت عن الرسول الكريم إنَّما أرادت تحريم الحرير ـ ومثله الذهب ـ على جنس الرجـال، ولم تحرِّمه على الإناث، وهو ما صرَّح به حديث علي ﷺ الآتي.

عن علي ﷺ قال: رأيت رسول الله ﷺ أخذ حريرًا فجعله في يمينه، وذهبًا فجعله في شماله، ثم قال: «**إن هذين حرامٌ على ذكورِ أُمَّتي**»(١).

وعن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «**من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، ومن شـرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة، ومن شـرب في آنية الذهب والفضة في الدنيا لم يشرب بها في الآخرة**». ثم قال: «**لباسُ أهل الجنة، وشرابُ أهل الجنة، وآنيةُ أهل الجنة**»(٢).

وعن عقبة بـن عامر ﷺ قال: أُهدِيَ لرسـول الله ﷺ فَرُّوج حرير(٣) فلبسه، ثم صلَّى فيه، ثم انصرف، فنزعه نزعًا شديدًا كالكاره له، ثم قال: «**لا ينبغي هذا للمُتَّقين**»(٤).

وعن هشـام بن أبي رُقَيَّة ﷺ قال: سمعت مَسـلمة بن مُخَلَّد وهو على المنبـر، يخطب الناس يقول: يا أيها النـاس، أمَا لكم في العَصْب

(١) رواه أحمد (٩٣٥)، وقال مخرِّجوه: صحيح لشواهده. وأبو داود في اللباس (٤٠٥٧)، والنسائي في الزينة (٥١٤٤)، وصحح إسناده النووي في رياض الصالحين (٨٠٦)، وصحَّحه الألباني في مشكاة المصابيح (٤٣٩٤)، عن علي بـن أبي طالب. ورواه ابن ماجـه (٣٥٩٥)، وزاد في روايته: «حلٌّ لإناثهم». وروى الترمذي نحوه (١٧٢٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. كلاهما في اللباس.

(٢) رواه النسـائي في الكبرى في الأشـربة المحظورة (٦٨٤٠)، والحاكم في الأشربة (١٤١/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي.

(٣) المشهور في ضبطه ما ضبطناه به، وهو قباء له شق من خلفه.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٣٧٥)، ومسلم في اللباس (٢٠٧٥).

QaradawiBooks.com

والكَتَّان ما يغنيكم عن الحرير؟ وهذا رجل يخبر عن رسول الله ﷺ، قم يا عقبة. فقام عقبة بن عامر وأنا أسمع فقال: إنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من كذب عليَّ متعمِّدًا، فليتبوَّأْ مقعدَه من النار**»، وأشهد إنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من لبس الحرير في الدنيا حرَمه الله أن يَلْبَسه في الآخرة**»(١).

وعن حُذَيْفة رضي الله عنه قال: نهانا رسول الله ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة، وأن نأكل فيها، وعن لُبس الحرير والدِّيباج، وأن نجلس عليه(٢).

وعن صَفْوان بن عبد الله بن صَفْوان قال: استأذن سعد رضي الله عنه على ابن عامر، وتحته مَرَافِقُ(٣) من حرير، فأمر بها فرفعت، فدخل عليه وهو على مِطْرَفٍ من خَزٍّ(٤)، فقال له: استأذنتُ وتحتي مَرَافِق من حرير، فأمرتُ بها فرُفعت، فقال له: نِعْم الرجل أنت يا ابن عامر إن لم تكن ممن قال الله: ﴿**أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا**﴾ [الأحقاف: ٢٠]، والله لأن أضطجع على جمر الغَضَا(٥) أحبُّ إلي من أن أضطجع عليها(٦).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: رأى رسول الله ﷺ جُبَّة مجيَّبة بحرير، فقال: «**طَوْق من نار يوم القيامة**»(٧).

---

(١) رواه أحمد (١٧٤٣١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وابن حبان في اللباس (٥٤٣٦).

(٢) رواه البخاري في اللباس (٥٨٣٧).

(٣) جمع مرفقة وهي: المخدة التي يتكأ عليها.

(٤) المطرف: ثوب في طرفيه علمان. والخز: هو ما نُسج من صوف وحرير.

(٥) شجر ينبت في الصحراء، ويكثر في نجد، خشبه صُلب، وجمره يبقى زمانًا طويلًا لا ينطفئ، وفحمه صُلْب.

(٦) رواه الحاكم في التفسير (٤٥٥/٢)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي.

(٧) رواه البزار (٢٦٥٩)، والطبراني في الأوسط (٨٠٠٠)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٦٥٢): رواه الطبراني والبزار، ورجال البزار ثقات.

QaradawiBooks.com

«مُجَيَّبة»: بضم الميم، وفتح الجيم، بعدها ياء مثناة تحت مفتوحة، ثم باء موحدة، أي: لها جَيْب ـ بفتح الجيم ـ من حرير، وهو الطَّوق.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ رأى خاتمًا من ذهب في يد رجل، فنزعه وطرحه، وقال: «**يَعْمِدُ أحدُكم إلى جمرة من نار، فيطرحُها في يده**» فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ: خُذْ خاتَمَك انتفعْ به؟ فقال: لا والله لا آخذه وقد طرحه رسول الله ﷺ[(١)].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن رجلًا قدم من نجران إلى رسول الله ﷺ، وعليه خاتم من ذهب، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال: «**إنكَ جئتني وفي يدك جمرة من نار**»[(٢)].

الترغيب في لُبس الأبيض من الثياب:

والذي نلحظه ممَّا صحَّ من الأحاديث النبويَّة: الترغيب في لبس الثياب البيض للأحياء، وتكفين الأموات فيها، وقد انتقينا ممَّا رواه المنذري حديثًا واحدًا، وهو ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**البَسوا من ثيابكم البياض؛ فإنها من خير ثيابكم، وكفِّنوا فيها موتاكم**»[(٣)].

ولا ريب أن هذا أنسب لفصل الصيف وما يقترب منه، أمَّا فصول الشتاء الأخرى وخصوصًا في البلاد الباردة، فيناسبها الألوان الداكنة

---

(١) رواه مسلم في اللباس (٢٠٩٠).

(٢) رواه النسائي الزينة (٥١٨٨)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٠٦١): صحيح لغيره.

(٣) رواه أحمد (٢٠١٥٤)، وقال مخرِّجوه: صحيح. والترمذي في الأدب (٢٨١٠)، وقال: حسن صحيح. والنسائي في الزينة (٥٣٢٢)، والحاكم في اللباس (١٨٥/٤)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

والمُدْفئة، ولذا لم يحرم الرسول الكريم اللون الأسود، بل لَبسه في بعض الأحيان[١].

وقد اتفق الفقهاء على استحباب لُبس الأبيض من الثياب، لما تقدم في حديث ابن عباس الذي انتقيته.

وروى أحمد والنسائي والترمذي وصحَّحه ابن حجر عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**البسوا ثيابَ البياض، فإنها أطهرُ وأطيب، وكفِّنوا فيها موتاكم**»[٢].

قال الشوكاني رحمه الله: «وأمَّا كونه أطيب، فظاهر، وأمَّا كونه أطهر، فلأن أدنى شيء يقع عليه يظهر، فيُغسل إذا كان من جنس النجاسة، فيكون نقيًّا، كما ثبت عنه ﷺ في دعائه: «**ونقِّني من الخطايا، كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس**»[٣]»[٤].

الترغيب في لبس القميص (الجلابية) والترهيب من طوله وجرِّه خُيلاء:

وانتقينا أحاديث ذكرها المنذري في الترغيب في القميص، والترهيب من طوله وطول غيره ممَّا يلبس، وجرِّه خُيَلاء، وإسباله في الصلاة وغيرها.

---

(١) كما في حديث عمرو بن حريث قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ على المنبر، وعليه عمامة سوداء قد أرخى طرفيها بين كتفيه. رواه مسلم في الحج (١٣٥٩).

(٢) رواه أحمد (٢٢١٩)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وأبو داود في الطب (٣٨٧٨)، والترمذي في الجنائز (٩٩٤)، وقال: حسن صحيح. وابن حبان في اللباس (٥٤٢٣)، والحاكم في الجنائز (٣٥٤/١)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، عن ابن عباس.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٦٨)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٨٩)، عن عائشة.

(٤) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكاني (١١٦/٢)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، نشر دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

QaradawiBooks.com

عن أمِّ سلَمة رضي الله عنها قالت: كان أحبَّ الثياب إلى رسول الله ﷺ القميصُ[١].

وفي رواية: لم يكن ثوبٌ أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من القميص[٢]. ووجه استحبابه؛ لأنَّه أمكن في الستر من الرداء والإزار.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار**»[٣].

وفي رواية: «**إزْرة المؤمن إلى عَضَلة ساقه، ثم إلى نصف ساقه، ثم إلى كعبه، وما تحت الكعبين من الإزار ففي النار**»[٤].

وعن أنس رضي الله عنه ـ قال حُمَيْد: كأنَّه يعني النبي ﷺ ـ قال: «**الإزارُ إلى نصف الساق**». فشقَّ عليهم، فقال: «**أو إلى الكعبين، لا خيرَ فيما في أسفل من ذلك**»[٥].

وعن زيد بن أسلم، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: دخلت على النبي ﷺ وعلَيَّ إزار يَتَقَعْقَع[٦] فقال: «من هذا؟». فقلت: عبد الله بن عمر. قال:

---

(١) رواه أبو داود (٤٠٢٥)، والترمذي (١٧٦٢)، وقال: حسن غريب. كلاهما في اللباس، والنسائي في الكبرى في الزينة (٩٥٨٩)، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٠٢٨).

(٢) رواه أحمد (٢٦٦٩٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود (٤٠٢٦)، وابن ماجه (٣٥٧٥)، كلاهما في اللباس، والحاكم (١٩٢/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه البخاري في اللباس (٥٧٨٧)، وأحمد (٩٩٣٤).

(٤) رواه النسائي في الكبرى في الزينة (٩٦٢٦).

(٥) رواه أحمد (١٣٦٩٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والضياء المقدسي في المختارة (٢٠٠٣).

(٦) أي يصوِّت عند التحريك، وذلك من جِدَّته. والقعقعة: حكايته أصوات السلاح والجلود اليابسة والبَكَرة والحُلِي ونحوها.

QaradawiBooks.com

«**إن كنتَ عبد الله فارفعْ إزارَك**». فرفعتُ إزاري إلى نصف الساقين. فلم تزل إزْرَتَه[١] حتى مات[٢].

وعن أبي ذر الغفاري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة لا يُكلِّمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم**». قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاثَ مرَّات. قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: «**المُسْبِل، والمَنَّان، والمُنَفِّق سِلْعَتَه بالحلف الكاذب**». وفي رواية: «**المُسْبِل إزاره**»[٣].

قال المنذري: المُسْبِل: هوالذي يُطَوِّل ثوبه ويُرسِله إلى الأرض، كأنَّه يفعل ذلك تجبُّرًا واختيالًا.

وعن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرَّ ثوبَه خُيَلاء**»[٤].

ما المراد بالثوب هنا؟ هل يشمل كل ثوب ولو كان القميص؟ أو المراد هو الإزار فقط؟ الحديث القادم يشير إلى المعنى المقصود.

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا ينظر الله يوم القيامة إلى مَن جرَّ إزاره بطَرًا**»[٥]. وفي رواية: «**من جرَّ ثوبَه من الخُيَلاء**»[٦].

---

(١) هو بكسر الهمزة، قال ابن الأثير في النهاية مادة (أ.ز.ر): الإزرة بالكسر: الحال والهيئة، مثل الرِّكبة والجِلسة.

(٢) رواه أحمد (٦٢٦٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والطبراني في الأوسط (٤٣٤٠)، قال المنذري: رواه أحمد ورواته رواة الصحيح. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٥٦٨).

(٣) رواه مسلم في الإيمان (١٠٦)، وأحمد (٢١٥٤٤)، وأبو داود في اللباس (٤٠٨٧)، والترمذي في البيوع (١٢١١)، والنسائي في الزكاة (٢٥٦٣)، وابن ماجه في التجارات (٢٢٠٨).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٥٧٨٣)، ومسلم (٢٠٨٥)، كلاهما في اللباس.

(٥) رواه البخاري (٥٧٨٨)، ومسلم (٢٠٨٧)، كلاهما في اللباس.

(٦) رواه ابن ماجه في اللباس (٣٥٧١).

QaradawiBooks.com

وحديث أبي هريرة عند الأئمة يفسِّر حديث ابن عمر، وهو أنَّ المقصود بالثوب هو الإزار، فهو الذي يتحكَّم فيه اللابس، ويمكنه أن ينزله فيجرَّه، ويمكنه أن يرفعه، على حسب نيته وهواه.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**من جرَّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**» فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: يا رسول الله، إنَّ إزاري يسترخي، إلَّا أن أتَعَاهَدَه، فقال له رسول الله ﷺ: «**إنك لست ممن يفعله خيلاء**»(١).

والحديث هنا يتحدَّث عن الوعيد على من جرَّ ثوبه خيلاء، وأبو بكر يحاور الرسول الكريم في إزاره؛ وبيَّن له الرسول أنَّه ليس من المقصودين بهذا الحديث، لأنَّه ليس ممَّن يعمله خُيلاء.

ولفظ مسلم قال: سمعت رسول الله ﷺ بأُذُنَيَّ هاتين يقول: «**مَن جرَّ إزاره لا يريد بذلك إلَّا المَخِيلَة، فإنَّ الله عز وجل لا ينظر إليه يوم القيامة**»(٢).

الخُيَلاء: بضم الخاء المعجمة وكسرها أيضًا، وبفتح الياء المثناة تحت ممدودًا: هو الكِبْر والعُجُب.

والمَخِيلة: بفتح الميم، وكسر الخاء المعجمة، من الاختيال، وهو الكِبْر، واستحقار الناس.

الوعيد على لُبس النساء الرقيق من الثياب:

وقد انتقينا حديثًا واحدًا ممَّا ذكره المنذري من الترهيب من لبس النساء الرقيقَ من الثياب التي تَصِفَ البَشَرَة، وهو ما رواه مسلم، عن

(١) رواه البخاري (٥٧٨٤)، وأبو داود (٤٠٨٥)، كلاهما في اللباس، والنسائي في الزينة (٥٣٣٥).
(٢) رواه مسلم في اللباس (٢٠٨٥).

QaradawiBooks.com

أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مُمِيلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البُخْت المائلة، لا يدخلْنَ الجنة، ولا يَجِدْنَ ريحَها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**»[1].

الصنف الأول من الرجال، وهم الجلادون أعوان الطغاة في إذلال الشعوب.

والصنف الثاني من النساء، اللائي وصفهنَّ الحديث بأنهن: كاسيات عاريات؛ وكيف يكُنَّ كاسيات عاريات؟ لأنَّ ثيابَهُنَّ لا تؤدِّي وظيفة الستر المطلوبة، لأنَّها قصيرة، أو شفافة، أو وصَّافة، تُحدِّد مفاتن الجسد، كما صدَّق ذلك الواقع.

كما وصفهن بأنهن مائلات مُمِيلات، أي: مميلات لغيرهنَّ من الرجال بالإثارة، ومن النساء بتزيين التقليد لهن، مائلات في أنفسهن عن سواء السبيل. ثم أعطاهن وصفًا جديدًا، يشخصهنَّ تمام التشخيص، هو قوله: «**رؤوسهن كأسنمة البُخت**».

والبُخت هي: الإبل العظيمة السنام، أيْ بما يضعن عليها من خيوط الحرير والصوف أو الشعر الصناعي: «الباروكات» ونحوها. ثم حكم عليهن بأنهنَّ: «**لا يَدْخُلْنَ الجنة، ولا يَجِدْنَ ريحَها**». مع ما وصف من

(١) رواه مسلم في اللباس (٢١٢٨). قال النووي في شرحه لمسلم (١٩١/١٧): وأمَّا «رؤوسهن كأسنمة البُخْت». فمعناه يعظِّمن رؤوسهن بالخمر والعمائم وغيرها ممَّا يلف على الرأس حتى تشبه أسنمة الإبل البخت، هذا هو المشهور في تفسيره. قال المازري: ويجوز أن يكون معناه: يطمحن إلى الرجال ولا يغضضن عنهم ولا ينكسن رؤوسهن. واختار القاضي أنَّ المائلات تمشَّطن المشطة الميلاء قال: وهي ضفر الغدائر وشدها إلى فوق وجمعها في وسط الرأس فتصير كأسنمة البخت اهـ.

QaradawiBooks.com

قوة هذه الريح، وهذا يدل على أن عملهن من الكبائر، التي تحرّم الجنة، وتوجب النار.

والحديث من أعلام النُّبَوة، فهو تصوير دقيق من وراء الغيب لنساء عصرنا، كما ربط بين الاستبداد السياسي والانحلال الأخلاقي وهو أمر واقع.

تشبُّه الرجل بالمرأة وتشبُّه المرأة بالرجل:

ومن الأشياء التي يحرص عليها الإسلام في اللباس والزينة: أن تبقى للأمور خصوصيتها التي أراد الله لها، فمن أراده الله ذكرًا يجب أن يظل ذَكَرًا متميزًا عن المرأة بخصائصه، ومن أراده الله امرأة يجب أن تظل امرأة بخصائصها، ولا يجوز أن تغالب الفطرة، ونفرض عليها أهواءنا بالقوة، فلن نفلح في هذا، وقد جاءت أحاديث في الترهيب من تشبه الرجل بالمرأة، والمرأة بالرجل في لباس أو كلام أو حركة، أو نحو ذلك، ذكرها المنذري في «الترغيب والترهيب»، وانتقينا الصحيح والحسن منها:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لعن رسول الله ﷺ المتشبِّهين من الرجال بالنساء، والمتشبِّهات من النساء بالرجال[1].

وفي رواية للبخاري: لعن رسول الله ﷺ المخنَّثين من الرجال والمترجِّلات من النساء[2].

فجعل هذا الحديث هذا التشبُّه من الرجال بالنساء نوعًا من الخنوثة المذمومة، كما جعل تشبُّه المرأة بالرجل نوعًا من الترجُّل المذموم، يحاول الإنسان أن يلغي شخصيَّته، ويقلد إنسانًا آخر.

---

(١) رواه البخاري في اللباس (٥٨٨٥)، وأحمد (٣١٥١)، وأبو داود في اللباس (٤٠٩٧)، والترمذي في الأدب (٢٧٨٤)، وابن ماجه في النكاح (١٩٠٤).

(٢) رواه البخاري في اللباس (٥٨٨٦).

QaradawiBooks.com

والمُخَنَّث بفتح النون وكسرها: مَنْ فيه انخناث، وهو التكسُّر والتثنِّي، كما يفعله النساء، لا الذي يأتي الفاحشة الكبرى.

ومن ذلك: أن يلبس أحد الجنسَيْن، الذكر والأنثى، اللُّبسَ الخاص بالجنس الآخر.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لِبْسة المرأة، والمرأة تلبس لِبسة الرجل[1].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاقُّ لوالديه، والدَّيُّوث، ورَجُلة النساء**»[2].

الدَّيُّوث بفتح الدال وتشديد الياء المثناة تحت: هو الذي يَعْلَم الفاحشة في أهله، ويقرُّهم عليها. والرَّجُلة من النساء: المترجِّلة منهنَّ التي تشبَّهُ بالرجال، ولم يخلقها الله رجلًا.

السُّنَّة تُرهِّب من لباس الشهرة والفخر والمباهاة:

والمراد بلباس الشُّهرة، هو كل لباسٍ قَصد به لابسُه التميُّزَ عن عامَّةِ الناسِ في مجتمعه، ويصبح به مشهورًا يُشار إليه، سواءٌ أكان ذلك في لونِه، أم في شكلِه، أم في نوعِه، أم في نفاستِه وخسته.

---

(١) رواه أحمد (٨٣٠٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في اللباس (٤٠٩٨)، وابن ماجه في النكاح (١٩٠٣)، والنسائي في الكبرى في عشرة النساء (٩٢٠٩)، وابن حبان في الحظْر والإباحة (٥٧٥١)، والحاكم في اللباس (١٩٤/٤)، وصحَّحه على شرط مسلم، وسكت عنه الذهبي.

(٢) رواه النسائي في الزكاة (٢٥٦٢)، والبزار (٦٠٥٠)، والحاكم في الإيمان (٧٢/١)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٦٣).

QaradawiBooks.com

ومن هنا أكثرت السنَّة النبويَّة من الترغيب في ترك الترفُّع في اللباس، تواضعًا واقتداءً بأشرف الخلق سيدنا محمد ﷺ وأصحابه، والترهيب من لباس الشهرة والفخر والمباهاة.

فعن أبي بردة رضي الله عنه قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها، فأخرجت إلينا كساء ملبَّدًا من التي تسمونها الملبَّدة، وإزارًا غليظًا ممَّا يُصنع باليمن، وأقسمت بالله: قبض رسول الله ﷺ في هذين الثوبين![١].

المُلَبَّد: المُرَقَّع، وقيل غير ذلك[٢].

وعن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كانت الأنبياء يستحبُّون أن يلبسوا الصوف، ويحتلبوا الغنم، ويركبوا الحُمُر[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قال: خرج رسول الله ﷺ وعليه مرط مرحَّل من شعر أسود[٤].

المِرْط، بكسر الميم وسكون الراء: كساء يُؤْتزر به، قال أبو عبيد: وقد يكون من صوف ومن خَزٍّ[٥]. ومُرَحَّل بفتح الحاء المهملة وتشديدها: أي: فيه صور رِحال الجمال.

وعن ابن بريدة قال: قال لي أبي: لو رأيتنا ونحن مع نبينا ﷺ، وقد أصابتنا السماء حسبت أن ريحنا ريح الضأن[٦].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في فرض الخمس (٣١٠٨)، ومسلم في اللباس والزينة (٢٠٨٠).

(٢) في القاموس: تلبد الصوف ونحوه: تداخل ولزق بعضه ببعض. القاموس المحيط (٣١٦/١)، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٨، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

(٣) رواه الحاكم في اللباس (١٨٧/٤)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٤) رواه مسلم في اللباس (٢٠٨١)، وأبو داود في اللباس (٤٠٣٢)، والترمذي في الأدب (٢٨١٣).

(٥) غريب الحديث (٢٢٧/١)، تحقيق د. محمد عبد المعيد خان، نشر مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ط ١ ، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

(٦) رواه أحمد (١٩٧٥٨)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وأبو داود في اللباس (٤٠٣٣)، والترمذي في صفة القيامة (٢٤٧٩)، وقال: حديث صحيح. وابن ماجه في اللباس (٣٥٦٢).

QaradawiBooks.com

ومعنى الحديث: أنَّه كان ثيابهم الصـــوف، وكان إذا أصابهم المطر يجيء من ثيابهم ريح الصوف.

ورواه الطبراني بإســناد صحيح أيضًا نحوه، وزاد آخره: إنَّما لباسُنا الصُّوفُ، وطعامُنا الأسودان: التمرُ والماءُ[١].

وعن أنس رضي الله عنه قال: رأيت عمر رضي الله عنه، وهو يومئذ أمير المؤمنين، وقد رقع بين كتفيه برقاع ثلاثٍ، لبَّد بعضها على بعض[٢].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رســول الله ﷺ: «**كم من أشعث أغبر، ذي طِمْرين[٣]، لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبره، منهم البراء بن مالك**»[٤].

وعن عبد الله بن شــداد بن الهاد قال: رأيت عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة على المنبر، عليه إزار عدني غليظ، ثمنه أربعة دراهم أو خمسة، ورَيْطة كوفية ممشَّقة، ضرب اللحم، طويل اللحية، حسن الوجه[٥].

عَدَنِيٌّ بفتح العين والدال المهملتين: منســوب إلــى عَدَن. والرَّيطة بفتح الراء وســكون الياء المثناة تحت: كل مُلاءة تكــون قطعة واحدة، ونَسْــجًا واحدًا، ليس لها لِفقانِ. ومُمَشَّــقَة أي: مصبوغة بالمِشْق بكسر الميم، وهو المغرة[٦].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (١٩٤٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٢٩٣): رجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه مالك في الموطأ (٣٤٠٠)، تحقيق: الأعظمي.

(٣) الطمر: الثوب البالي الخَلَق. انظر: تاج العروس مادة (ط.م.ر).

(٤) رواه الترمذي في المناقب (٣٨٥٤)، وقال: حســن. وحسَّــنه الألباني في مشكاة المصابيح (٦٢٤٨).

(٥) رواه الطبراني (٧٥/١)، وحسَّن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٤٩٢)، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٠٨٤).

(٦) المَغْرة والمَغَرة طين أحمر يصبغ به. انظر التاج مادة (م.غ. ر).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وعن محمد بن سيرين قال: كُنَّا عند أبي هريرة رضي الله عنه، وعليه ثوبان ممشَّقان من كَتَّان، فمخط في أحدهما، ثم قال: بخٍ بخٍ، يمتخَّط أبو هريرة في الكتان، لقد رأيتني، وإنِّي لأُجَرُّ فيما بين منبر رسول الله ﷺ وحجرة عائشة رضي الله عنها من الجوع مغشيًّا عليَّ، فيجيء الجائي، فيضع رجله على عنقي، يرى أن بي الجنون، وما هو إلَّا الجوع[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لقد رأيت سبعين من أهل الصفة، ما منهم رجل عليه رداء: إما إزار، وإما كساء، قد ربطوا في أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن تُرى عورته[٢].

وعن أبي يعفور قال: سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يسأله رجل: ما ألبس من الثياب؟ قال: ما لا يزدريك فيه السفهاء، ولا يعيبك به الحكماء. قال: ما هو؟ قال: ما بين الخمسة دراهم إلى العشرين درهمًا[٣].

والتقدير بالدراهم والدنانير لا يعنينا لتغير العملات وتغير أسمائها، وإنَّما الذي يعنينا المقصد، وهو التوسط في الملبس من غير إسراف ولا تقتير.

هل مطلوب من المسلم أن يهمل مظهره؟

وليس معنى هذا أن يُهمل المسلم مظهره، ولا يُحسن هندامه، ولا يهتم بثيابه، خصوصًا إذا خالط الناس في اجتماعاتهم الدينية والدنيوية،

(١) رواه البخاري في الاعتصام (٧٣٢٤)، والترمذي في الزهد (٢٣٦٧).
(٢) رواه البخاري في الصلاة (٤٤٢).
(٣) رواه الطبراني (٢٦٢/١٢)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣١٧٢): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. وكذا الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٦٠٤).

QaradawiBooks.com

كصلوات الجماعة والجمع والعيدين، وكحضور عرس، أو اجتماع يتباحث الناس فيه شأنًا من شؤونهم.. إلخ ما هنالك.

الضابط هنا الذي وضعه الإسلام بين ما يجوز وما لا يجوز، وما يحب وما يكره، هو أن يبتعد المسلم في ملبسه ـ بل في شأنه كله ـ عن الاختيال والإسراف، وقد جاء في الحديث: «**كلوا واشربوا والْبَسوا من غير سَرَفٍ ولا مَخِيلة**»[(١)].

والإسراف: هو مجاوزة الحد في التمتع بالحلال. والاختيال أمر يتصل بالنية والقلب أكثر من اتصاله بالظاهر، فهو قصد المباهاة، والتعاظم والافتخار على الناس، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣]. وقال ﷺ: «**من جرَّ ثوبَه خيلاءَ لم ينظر اللهُ إليه يوم القيامة**»[(٢)].

ولكي يتجنَّب المسلم مظِنَّة الاختيال نهى النبي عن ثياب الشهرة، التي من شأنها أن تثير الفخر والمكاثرة، والمباهاة بين الناس بالمظاهر الفارغة. وفي الحديث: «**من لبس ثوب شهرة في الدنيا: ألبسه الله ثوب مذلَّة يوم القيامة، ثم أُلهب فيه نارًا**»[(٣)].

وقد ذكرنا قول ابن عمر لمن سأله: ماذا ألبسُ من الثياب؟ قال: ما لا يزدريك فيه السفهاء ـ يعني لتفاهته وسوء منظره ـ ولا يعيبك به الحكماء[(٤)]. يعني لتجاوزه حد الاعتدال.

---

(١) رواه أحمد (٦٦٩٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والنسائي في الزكاة (٢٥٥٩)، وابن ماجه في اللباس (٣٦٠٥)، والحاكم في الأطعمة (١٣٥/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٧٨٤)، ومسلم (٢٠٨٥)، كلاهما في اللباس، عن ابن عمر.

(٣) رواه أحمد (٥٦٦٤)، وقال مخرِّجوه: حسن. وأبو داود (٤٠٢٩)، وابن ماجه (٣٦٠٧)، كلاهما في اللباس، وصححه الألباني في غاية المرام (٩١)، عن ابن عمر.

(٤) سبق تخريجه صـ٢٩٩.

QaradawiBooks.com

قال ابن الجوزي في «تلبيس إبليس»:

«وقد كان السلف يلبسون الثياب المتوسطة، لا المرتفعة، ولا الدُّون، فيتخيَّرون أجودها للجمعة والعيدين، ولقاء الإخوان، ولم يكن غير الأجود عندهم قبيحًا.

وقد أخرج مسلم في صحيحه، من حديث عمر بن الخطاب أنَّه رأى حُلة سِيَراء تباع عند باب المسجد، فقال لرسول ﷺ: لو اشتريتَها ليوم الجمعة، وللوفود إذا قدموا عليك؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّما يلبس هذه مَن لا خَلَاقَ له في الآخرة**»[(١)]. فما أنكر عليه ذكر التجمُّل بها، وإنَّما أنكر عليه لكونها حريرًا.

وقد رُوي عن أبي العالية: كان المسلمون إذا تزاوروا تجمَّلوا[(٢)].

وبسنده قال: كان المهاجرون والأنصار يلبسون لباسًا مرتفعًا.

وقد اشترى تميم الداري حُلَّة بألف درهم، وكان يصلِّي بأصحابه فيها، بل كان يقوم فيها بالليل إلى صلاته.

وقد كان ابن مسعود من أجود الناس ثوبًا، وأطيبهم ريحًا.

وكان الحسن البصرى يلبس الثياب الجياد، وقد خرج الحسن وعليه جُبَّة يمنية ورداء يمني، فنظر إليه فَرْقَد، فقال: يا أستاذ، لا ينبغي لمثلك أن يكون هكذا. فقال الحسن: يا ابن أم فرقد، أمَّا علمتَ أن أصحاب النار أصحاب الأكسية[(٣)]. أي الأكسية الغليظة.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٨٨٦)، ومسلم في اللباس والزينة (٢٠٦٨)، عن ابن عمر.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٣٤٨)، وأبو نعيم في الحلية (٢/٢١٧).

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات (٧/١٢٥)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

QaradawiBooks.com

وكان مالك بن أنس يلبس الثياب العدنية الجياد.

وكان ثوب أحمد بن حنبل يُشترى بنحو الدينار.

وقد كانوا يؤثرون البذاذة إلى حدٍّ، وربما لبسوا خُلْقان الثياب في بيوتهم، فإذا خرجوا تجمَّلوا، ولبسوا ما لا يشتهرون به من الدون، ولا من الأعلى.

قال عيسى بن حازم: كان لباس إبراهيم بن أدهم كَتانًا، قُطنا، فروة. لم أرَ عليه ثياب صوف، ولا ثياب شهرة.

قال أبو جعفر الطبري: ولقد أخطأ مَن آثر لباس الشَّعر والصوف على لباس القطن والكتَّان، مع وجود السبيل إليه من حِلِّه، ومَن أكل البقول والعدس واختاره على خبز البُرِّ، ومَن ترك أكل اللحم خوفًا من عارض شهوة النساء.

ورأى ابن عمر على ولده ثوبًا قبيحًا دونًا، فقال: لا تلبس هذا، فإن هذا ثوب شهرة![1].

وعن ابن عمر، عن رسول الله ﷺ: «**مَن لبس ثوب شُهرة من الثياب ألبسه الله ثوب ذلَّة**»[2].

وعن سفيان: البَسْ من الثياب ما لا يزدريك فيه السفهاء، ولا يَعيبك عليه الحكماء[3].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في التواضع والخمول (٦٧).

(٢) سبق تخريجه صـ٣٠٠.

(٣) روي مثله عن ابن عمر، رواه الطبراني (٢٦٢/١٢)، وأبو نعيم في الحلية (٣٠٢/١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٢١٠): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. وحسَّنه الألباني في غاية المرام (٩٢)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

واعلم أنَّ اللباس الذي يُزري بصاحبه، يتضمَّن إظهار الزهد، وإظهار الفقر، وكأنه لسان شكوى من الله ﷻ، ويوجب احتقار اللابس، وكلُّ ذلك مكروه ومنهيٌّ عنه.

عن الأحوص، عن أبيه قال: أتيتُ النبي ﷺ، وأنا قَشِف الهيئة، فقال: «**هل لك من مال؟**» قلتُ: نعم. قال: «**من أي المال؟**» قلتُ: من كلِّ المال قد آتانا الله ﷻ؛ من الإبل والرقيق والخيل والغنم. قال: «**فإذا آتاك الله ﷻ مالًا، فليُرَ عليك**»(١).

وعن جابر قال: أتانا رسول الله زائرًا في منزلي، فرأى رجلًا شعثًا، فقال: «**أمَا يجد هذا ما يسكِّن به رأسه؟**» ورأى رجلًا عليه ثياب وَسِخة، فقال: «**أمَا كان يجد هذا ما يغسل به ثيابَه؟!**»(٢).

عن عبد الله بن سَلَام قال: خطب رسول الله ﷺ في يوم جمعة فقال: «**ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم جمعة سوى ثوب مهنته؟!**»(٣).

وكان لرسول الله ﷺ بُرْد يمنية، وإزار من نسْج عُمَان، فكان يلبسهما في يوم الجمعة، ويوم العيدين، ثم يُطويان(٤)»(٥).

---

(١) رواه أحمد (١٥٨٩١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في اللباس (٤٠٦٣)، والترمذي في البر والصلة (٢٠٠٦)، وقال: حسن صحيح. والنسائي في الزينة (٥٢٢٣)، عن مالك بن نضلة.

(٢) رواه أحمد (١٤٨٥٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده جيد. وأبو داود في اللباس (٤٠٦٢)، والنسائي في الكبرى في الزينة (٩٢٦١) مختصرا، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١٣٣٣)، عن جابر.

(٣) رواه أبو داود في الصلاة (١٠٧٨)، وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٠٩٥)، وعبد بن حميد (٤٩٩)، والطبراني (٢٨٧/٢٢)، والبيهقي في الجمعة (٢٤٢/٣)، عن عبد الله بن سلام، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٩٥٣).

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد (١٩٢/١).

(٥) تلبيس إبليس صـ ١٧٨ ـ ١٨٤.

QaradawiBooks.com

وقد رد ابن الجوزي على شبهة المتزمِّتين من المتصوِّفين الذين يقولون: إن تجويد اللباس والعناية به هوى للنفس، وقد أمرنا بمجاهدتها، وتزيُّنٌ للخلق، وقد أُمرنا أن تكون أفعالنا لله لا للخلق.

قال: «ليس كل ما تهواه النفس يُذَمُّ، ولا كلُّ التزيُّن للناس يُكره، وإنَّما يُنهى عن ذلك إذا كان الشرع قد نهى عنه، أو كان على وجه الرياء في باب الدين. فإنَّ الإنسان يحب أن يُرى جميلًا، وذلك حظُّ النفس، ولا يلام فيه، ولهذا يسرِّح شعره، وينظر في المرآة، ويسوِّي عمامته، ويلبس بطانة الثوب الخشن إلى داخل، وظهارته الحسنة إلى خارج، وليس في شيء من هذا ما يكره ولا يُذمُّ.

روى مكحول، عن عائشة قالت: كان نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه على الباب، فخرج يريدهم، وفي الدار رِكوة فيها ماء، فجعل ينظر في الماء ويسوِّي شعره ولحيته، فقلت: يا رسول الله: وأنت تفعل هذا؟ قال: «**نعم، إذا خرج الرجل إلى إخوانه فلْيُهَيِّئ من نفسه، فإنَّ الله جميلٌ يحبُّ الجمال**»[1].

وفي رواية: خرج رسول الله ﷺ، فمرَّ برَكْوة لنا فيها ماء، فنظر إلى ظلِّه فيها، ثم سوَّى لحيته ورأسه، ثم مضى، فلما رجع قلت: يا رسول الله، تفعل هذا؟ قال: «**وأيَّ شيء فعلتُ؟ نظرتُ في ظلِّ الماء، فهيَّأتُ من لحيتي ورأسي، إنَّه لا بأس أن يفعله الرجل المسلم إذا خرج إلى إخوانه، أن يُهيِّئ من نَفْسه**»[2].

(١) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة صـ ٤٨، عن عائشة.

(٢) تلبيس إبليس صـ ١٨٠، ١٨١.

QaradawiBooks.com

التسمية عند لُبس الثياب وخلعها:

وهناك آداب يحسن بالمسلم أن يتحلَّى بها عند لُبسه ثيابه.

فمن ذلك: التسمية، فقد كان ﷺ يبدأ بها في أعماله كلها، وكذلك تستحب التسمية عند خلع الثياب.

البدء باليمين عند اللبس:

ومنها: البدء باليمين عند اللبس، وبالشمال عند الخلع، لما ثبت عن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت: كان رسول الله ﷺ يعجبه التيمن، في تنعله، وترجله، وطهوره، وفي شأنه كله[1]، وهو يدل على استحباب البدء باليمين في كل ما كان من باب التكريم والزينة.

ذكر الله عند لبس الثياب، والذكر المأثور في ذلك:

ومن الآداب: **الإتيان بالذِّكر المشروع عند لبس الثياب**، فقد كان ﷺ إذا لبس ثوبه أو قميصه، حَمِدَ الله تعالى قائلًا: «**الحمدُ لله الذي كَساني هذا ورَزَقَنِيه من غير حولٍ مني ولا قُوة**»[2].

وإذا لبس ثوبًا جديدًا دعا الله قائلًا: «**اللهم لك الحمدُ، أَنتَ كَسَوتَنِيه، أسألك من خَيره وخَيْرِ ما صُنع له، وأعوذ بك مِنْ شرِّه وشرِّ ما صُنِعَ له**»[3].

* * *

(١) رواه البخاري في الوضوء (١٦٨)، ومسلم في الطهارة (٢٦٨).

(٢) سبق تخريجه صـ٦٧.

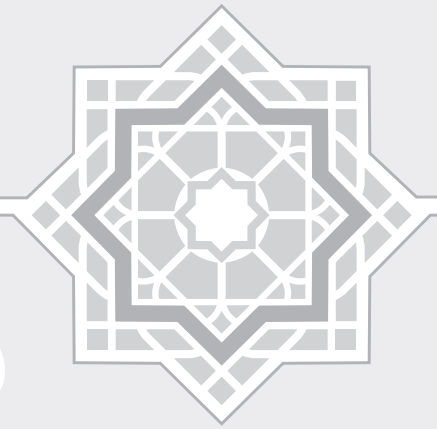
(٣) رواه أحمد (١١٤٦٩)، وقال مخرِّجوه: حسن. وأبو داود (٤٠٢٠)، والترمذي (١٧٦٧)، وقال: حديث حسن. كلاهما في اللباس، والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٠٦٨)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي



الباب الرابع
آداب الأُسْرة



غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

الأُسْــرة أســاس المجتمع، وهي اللبنة الأولى من لبناتــه، التي إن صلحت صلح المجتمع كله، وإن فســدت فســد المجتمع كله، وعلى أساس قوة الأُسْرة وتماسكها، يقوم تماســك المجتمع وقوته؛ لذا أولى الإسلام الأُسْرة رعايته وعنايته.

وقد جعل القرآن تكوين الأســر هو ســنة الله فــي الخلق، قال ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٢].

بل جعل الله نظام الأُسْــرة، بأن يكون لكل من الرجل والمرأة زوجٌ يأنس به ويأنس إليه، ويشعر معه بالسكن النفسي والمودة والرحمة، آية من آيات الله، قال سبحانه: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

فالحياة الأُسرية في الإســلام وعلاقة كل من الزوجين تجاه الآخر، ليســت شــركة مالية تقوم على المصالح المادية البحتــة، بل هي حياة تعاونية يتكامل فيها الزوجان، ويمتزج فيها الروحان، ويتحمَّلان مسؤولية إمداد المجتمع بنسل يعيش في كنف أسرة تسودها المحبة والمودَّة، ولا يظلم أحد طرفيهــا الآخر، بل يدفع كل واحد منهما عن شــريكه الظلم والأذى، ويحنو عليه.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

وفلسفة الإسلام الاجتماعية تقوم على أنَّ الزواج بين الرجل والمرأة هو أساس الأُسْرة، لذا يحث الإسلام عليه، وييسر أسبابه، ويزيل العوائق الاقتصادية من طريقه، بالتربية والتشريع معا، ويرفض التقاليد الزائفة، التي تصعبه وتؤخِّره، من غلاء مهور، ومبالغة في الهدايا والولائم وأحفال الأعراس، وإسراف في التأثيث واللباس والزينة، وكل مكاثرة يبغضها الله ورسوله في سائر النفقات.

ويحث على اختيار الدين والخلق في اختيار كلٍّ من الزوجين: «**فاظفَرْ بذاتِ الدِّين تَرِبَتْ يداك**»(١). «**إذا أتاكم من ترضون دينه وخُلُقه فزوِّجوه، إلَّا تفعلوه تكنْ فتنةٌ في الأرض وفساد عريض**»(٢).

وهو يقيم العلاقة الأُسرية بين الزوجين على السكون والمودة والرحمة بينهما، وعلى تبادل الحقوق والواجبات والمعاشرة بالمعروف، ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]. ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

والحقيقة أنَّه لا يمكن أن تكون هناك حياة إنسانية بلا أسرة، وأساس الأُسْرة هو الزواج، هذا في الإسلام، وفي المسيحية، وفي اليهودية، وفي الأديان المختلفة، وفي الفلسفات الأخلاقية التي تقوم على المُثل العليا، ولذلك لم يعترف الإسلام ولا غيره من الأديان والفلسفات، إلَّا

(١) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٠٩٠)، ومسلم في الرضاع (١٤٦٦)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه الترمذي (١٠٨٤) موصولا ومرسلا ـ وإنَّما يعني بقوله: مرسلا انقطاع ما بين ابن عجلان وأبي هريرة ـ وقد رجح البخاري المنقطع على المتصل. وابن ماجه (١٩٦٧)، كلاهما في النكاح، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (١٠٢٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الفلسفات الإباحية والتحللية التي شاهدناها في عصرنا هذا، لم تعترف كل الفلسفات والأديان بأسـرة إلَّا في ظل زواج، ومعنى الزواج ارتباط رجل وامرأة برباط شرعي مُعلن، تترتب عليه حقوق وواجبات متبادلة.

فنحن ـ المسـلمين، بل أهل الأديـان جميعا ـ حيـن نتحدث عن الأُسْرة، فنحن نتحدث فيها عن شكل واحد للأسرة، لا نعرف غيره، بل لا نعترف بغيره، هو الأُسْرة الطبيعية، التي تتكون من زوج ذكر، وزوجة أنثى، في زواج طبيعي.

لا نعرف الأُسْـرة وحيدة الجنس، التي تتكون مـن رجلين، أو من امرأتين، ولا نعترف بها؛ لأنَّها تخالف السُّـنَّة الكونيـة التي قام عليها الكون: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٩].

وأساس هذه الأُسْـرة الطبيعية المعترف بها عند أهل الأديان جميعًا، هو الزواج، هذا الرباط المقدس، أو «الميثاق الغليظ» كما سمَّاه القرآن، الذي يربط بين الرجل والمرأة على أساس عقد موثق تترتب عليه حقوق وواجبات.

والأُسْـرة في الإسـلام هي الخلية الأولى لبنـاء المجتمع الصالح، لا يتكون مجتمع صالح إلَّا بأُسَرٍ صالحة، فهذا ما يحرص عليه الإسلام، والأُسْرة في الإسلام تبدأ بالأُسْرة الصغيرة الضيقة، ثم تنتهي إلى الأُسْرة الممتدة الموسعة، التي تشـمل الأخوة والأخوات، والأعمام والعمات، والأخوال والخالات وأولادهم، وما قرب منهم من أرحام وأصهار، كما يقول القـرآن: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾ [الأنفال: ٧٥].

QaradawiBooks.com

فهذه نظرة الإســـلام يريد أن يربط المجتمع بشبكات قوية، تبدأ بهذه الأُسْرة الموسعة، بحيث لا يعيش الإنسان بمعزل هو وأولاده في بيت، ولا يهمه أمر إخوانـــه وأخواته وأعمامـــه وعماته وأخواله وخالاتـــه وأبنائهم وبناتهم، ومن يتصل بهم من قريب أو من بعيد، لا الإسلام لا يعرف هذا.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الفصل الأول

أدب البنوة

مِن الأدب الذي يتميَّز به المسلم: أدبُ البنوة، الذي عُرِف بين المسلمين باسم: «برِّ الوالدَيْن»؛ الأب والأم، وهو الذي قَرَنَه القرآنُ بتوحيد الله تعالى؛ إذ جعل حقَّ الوالدين بعد حقِّ الله ﷻ، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

وهذه الآية هي التي سمَّاها العلماء: «آيةَ الحقوق العشرة»، التي بدأتْ بحق الله العليِّ الكبير، فحقِّ الوالدين، فذي القُربى، وما بعده من الحقوق.

وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال في وصيَّة لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ۞ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٣، ١٤].

وهكذا نجد الطلب من الله تعالى للولد أن يشكرَ لربِّه وللوالدين بهذه الصيغة، أي: بالعطف بالواو، التي تفيد مُطلَق الجمْع، ولم يقل: «أن اشكر لِي ثمَّ لوالديك»، و«ثمَّ»: تفيد الترتيب والتراخي.

QaradawiBooks.com

الإحسان بالوالدين والطاعة لهما:

فقد أمر الله ﷻ الأولاد ذكورًا وإناثًا بالإحسان إلى الوالدين، وإن كانا أو أحدهما على دينٍ غير التوحيد. وذلك في كلِّ الأديان السماوية، التي شرعها الله لعباده، بوساطة الرُّسل مبشرين ومنذِرين، ولذلك رأينا إبراهيم يخاطب أباه المشرك بقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾، وبصيغة اللِّين والرفْق والتكْريم، كما حكى لنا القرآن: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ۝ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ۝ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ۝ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ۝ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ۝ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ۝ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾ [مريم: ٤١ ـ ٤٧].

ومع رفْق إبراهيم بأبيه وتلطُّفه به، أبَى الأب إلَّا أن يُفارقه، ولذلك لم يعُد في وسْع إبراهيم إلَّا أن يقول له: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام: ٧٤].

ولكن لا يجوز التطاول على الوالدين أو أحدهما، وإن كان مشركًا، بل يجب مصاحبتهما بالمعروف؛ اعترافًا بحق الوالديَّة، فلولاهما لَمَا كان، ولذلك يؤكِّد القرآن هذه الحقيقة، فيقول: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٥].

وبهذا ظهر المنهج القرآني المتميز، الذي يجمع بين الحرص على توحيد الله تعالى، وعلى مصاحبة الأبوين بالمعروف.

QaradawiBooks.com

ورأينا في قصَّة يوسف برَّ يوسف بأبيه يعقوب، ودعوته إياه إلى مصر، ورفْع أبويه على العرش، كما رأينا ما ذَكَرَ القرآن مِن أخذ الميثاق على بني إسرائيل، بالتوحيد، وبرِّ الوالدين، ووصل الأرحام، وغيرها، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وما ذكره القرآن عن يحيى الذي آتاه اللهُ عبدَه زكريا، وقد آتاه الله الحُكْم صبيًّا: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٤].

والمسيح عيسى ابن مريم، قال الله تعالى على لسانه حين نطق في المهد صبيًّا: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢].

كلُّ هؤلاء الرسل والأنبياء دعَوا قومَهم إلى البرِّ والإحسان بالوالدين، وأن يدعوهم إلى دين التوحيد الحق، ليعبدوا الله وحده، ولا يشركوا به شيئًا، وأن يبَرُّوا آباءهم بطاعتهم، والإحسان إليهم أحياءً، وعدم الإساءة إليهم، ولو بالتأفُّف، والاستغفار لهم إذا ماتوا، كما حكى الله عن نوح قوله: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [نوح: ٢٨].

وكما دعا إبراهيم ربه: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١]. وكان قد وعد أباه بأنَّه سيستغفر له ربَّه، فوفى بوعده، ثم بيَّن اللهُ أنَّ الاستغفار للمشركين لا يجوز، فتبرأ منه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

QaradawiBooks.com

حق الوالدين في سورة الإسراء:

وقد بيَّن القرآن الحكيم في وصايا سورة الإسراء الحكيمة: حقَّ الوالدين على أولادهما، فقال ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۞ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ۞ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٣ ـ ٢٥].

فالبرُّ والإحسان المطلوب مِن الله تعالى للوالدَين في كل أعمارهما، سواء كانَا في حالة الكهولة أو الشيخوخة.

ويزداد حقُّ الوالدين على الأبناء، عند ما يبلغان أو أحدهما الكبرَ عند الأولاد، كما قال تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۞ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤]. وكلمة «العنديَّة» تدلُّ على أنَّ أمرهما أصبح مَوكولًا للأولاد، فهما عندهم كأنَّهما وديعة وأمانة يحفظونها، ولذا قال ﷺ فيما رواه أبو هريرة: «**رَغِم أنفُ، ثم رغِم أنفُ، ثم رغم أنفُ**». قيل: من يا رسول الله؟ قال: «**مَن أدرك أبويه عند الكِبَر أو أحدهما، ثم لم يدخل الجَنَّة**»[1]. ومعنى «رغِم أنف»، أي: لصق بالرَّغام، وهو التراب.

وكما فرض الله الإحسان بالوالدين، حرَّم كذلك ما ينافيه، وهو الإساءة إليهما، وإيذاؤهما بقولٍ أو فعْل، ومن ذلك إظهار التأفُّف: بأن يقول لهما: «أفٍّ»، وهو ما نهَى عنه القرآن. والأصل أن كل ما نهى عنه القرآن نهْيًا

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٥١)، وأحمد (٨٥٥٧)، والترمذي في الدعوات (٣٥٤٥)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

صريحًا فهو محرَّم، ولهذا قال العلماء: لو يعلم اللهُ في عقوق الوالدين شيئًا أدنى من «أفٍّ» لحرَّمه، لِمَا لهذا الحق من مكانةٍ وحُرْمة عند الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

فهو ﷻ ينهى عن قول كلمة «أفٍّ»، التي تدل على الضجر، وينهى عن نهْرِهما، والنهْر منهيٌّ عنه في القرآن لكُلِّ مَن يشعر بأنَّه في حالة ضعْف، ويحتاج إلى مَن يُعينه ويرفعه، لا من يبخسه ويشعره بالهوان، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ٩ ـ ١٠]. أي: لا يصدر عنك قول أو فعل يقهر اليتيم، أي: يذله ويخضعه رغم أنفه، ولا قول أو فعْلٌ ينهر السائل، أي: يهينه ويجرح شعوره.

ولما نهى القرآن الابن عن القول السيِّئ، والفعل السيِّئ، أمره بالقول الحسَن، والفعل الحسَن، فقال: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]. أي: ابدأ معاملتهما، وقل لهما كلامًا، ليِّنًا طيبًا حسَنًا، بتوقير وتعْظيم.

ثم قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]. أمر الله الولد ـ ابنًا كان أو بنتًا ـ بالفعل الطيب، والقول الطيب مع الوالدين، وخصوصًا عند كِبَرِهما: الفعل الطيب هو خفض جناح الذل، وخفض الجناح مطلوب للمؤمنين عامَّة، كما قال تعالى لرسوله: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]. وخصوصًا جناح الذُّل، فالذلُّ مذموم من أهل الإيمان؛ لأنَّ الله كتب لهم العزة: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]. ولكن القرآن مدَحَ الذلَّ في موضعين:

أحدهما: الذلُّ للوالدين، وهو ما جاء في هذه الآية: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤].

QaradawiBooks.com

والثاني: الذلُّ لإخوانه المؤمنين، كما وصف القرآنُ الجماعة المؤمنة التي ادَّخرها الله لتقاوم الـرِّدة والمرتدين، كما قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ ﴾ [المائدة: ٥٤].

والقول الطيب المأمور به هاهنا هو مثل قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾ [الإسراء: ٢٤]. فالابن البارُّ بأبويه يسأل الله لهما أن يتفضَّلَ عليهما برحمته التي وسعتْ كلَّ شيء، ولا سيما المؤمنين، وخصوصًا الوالدين، اللذين ربيا ولدهما في صغره وضعفه، حين لم يكن له سنٌّ تقطع، ولا يدٌ تبطش، ولا رِجْل تمشي، ولم يزل أبواه يغذيانه وينمِّيانه، ويعملان على كسبه أفضل العادات، حتى استوى إنسانًا مكتملًا.

ثم قال تعالى: ﴿ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ﴾ [الإسراء: ٢٥]. يريد الله تبارك وتعالى بهذه الآية: أن يُطمئن الأبناء والبنات بأنَّه لا يريد الانتقام من عباده، ولا يُخفي لهم سوءًا أو شرًّا، بِحَسْبِهم أن تكون نفوسهم صافية، وضمائرهم سليمة، وأعمالهم صالحة، وما يصدر منهم من بوادر، لا يؤاخذهم الله بها، ولا يهلكهم بسببها، ما داموا في أنفسهم صالحين أوَّابين لله تعالى، والأوَّاب: هو الكثير الأوب. أي: الرجوع إلى الله تعالى، فهو إذا وقع في معصية سرعانَ ما يتوب منها، كما جاء في الحديث: «**وأتْبِع السيئةَ الحسنةَ تمحُها**»[1]. وكما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود: ١١٤].

(١) رواه أحمد (٢١٤٠٣)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والترمذي في البر والصلة (١٩٨٧)، وقال: حسن صحيح. والحاكم في الإيمان (٥٤/١)، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٩٧)، عن أبي ذر.

QaradawiBooks.com

وقال تعالى في أهل الجنَّة: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ [قَ: ٣٢]. وفي الحديث الصحيح: أن رسول الله ﷺ، كان إذا رجع من سفر، قال: «**آيبون تائبون عابدون، لربنا حامدون**»(١).

الإسلام يطلب البرَّ للأبوين، ويؤكِّد حقَّ الأم:

وممَّا لا شك فيه أنَّ الإسلام في نصوصه كلِّها قرآنيَّة ونبويَّة، يطالب بفرضية البر والإحسان للوالدَين كليهما أمًّا وأبًا، ولكنَّه يؤكِّد ويعظِّم حقَّ الأمِّ أكبرَ من غيرها. كما ذكر القرآن الكريم: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

فالآية الكريمة توصي بالوالدين إحسانًا، ولكنها تخصُّ الأمَّ بما تتحمله من الكرْب والأثقال في الحمْل والوضْع، وبعد ذلك في الإرضاع والتربية، وهو ما سمَّتْه الآية: «كُرْهًا»، أي: ثقلًا وشدة، وفي سورة لقمان، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

ولذلك حين روى أبو هريرة، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، مَن أحقُّ الناس بحُسْن صحابتي؟ قال: «**أمُّك**». قال ثم من؟ قال: «**أمُّك**». قال ثم من؟ قال: «**أمُّك**» قال: ثم مَن؟ قال: «**أبوك**»(٢).

---

(١) رواه مسلم في الحج (١٣٤٢)، وأحمد (٦٣١١)، وأبو داود في الجهاد (٢٥٩٩)، والترمذي في الدعوات (٣٤٤٧)، عن ابن عمر.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٧١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٤٨)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وهو ما جعل بعضَ العلماء يقولون: إنَّ الأمَّ لها ثلاثةُ أرْباع البرِّ؛ لأنَّ الرسول ﷺ وصَّى بها ثلاثَ مرَّات، ووصَّى بالأب مرةً واحدة!

وممَّا لا ريب فيه أنَّ الأم هي التي تعِبتْ في حمْل وليدها أكثر ممَّا تعِب الأب، فقد حملتْه في بطنها تسعة أشهر، ولقِيَتْ مِن آلام الوحَم والحمْل والثِّقل، ما لا يعرفه غيرُ الأمهات، وشهدتْ مِن أوجاع الطلْق ما شهدتْ، ثم لقِيَتْ مِن آلام الوضع ـ وربَّما الجراحة ـ ما لقيتْ، فلهذا لا يستطيع أبٌ أن يقول لها: إنِّي لقيتُ مثل ما لقيتِ!

ثم إنَّ الأمَّ أحْوج إلى المعونة والخدمة من الأب؛ لأنَّه أبسط جسمًا، وأقدر على التحمُّل، وعلى ثِقَل العمل ومشاقِّه مِن الأم.

ولأنَّ الأبناء أجْرأ على الأمهات، وعلى عصيانهن مِن عصيان الآباء، الذين لهم هيْبة ورهْبة عند الأولاد.

السُّنَّة ترسُم معالم تفصيليَّة لبرِّ الوالدين:

ونذكر هنا الأحاديث التي اخترناها من الصحاح والحِسان في كتابنا «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للحافظ المنذري»، وهو ما جاء في الترغيب في بر الوالدين وصلتهما، وتأكيد طاعتهما، والإحسان إليهما، وبرِّ أصدقائهما من بعدهما.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يَجْزي ولدٌ والدَه، إلَّا أن يجدَه مملوكًا، فيشتريَه فيُعتقَه**»(١).

(١) رواه مسلم في العتق (١٥١٠)، وأحمد (٧١٤٣)، وأبو داود في الأدب (٥١٣٧). وقد عظم الحديث شأن عتق أحد الوالدين؛ لأنَّ الرق بمثابة الموت، والعتق بمثابة الإحياء؛ ولهذا شرع الإسلام في كفارة القتل الخطأ: تحرير رقبة مؤمنة؛ لأن من أعتق رقبة فكأنما أحياها.

QaradawiBooks.com

وهذا في العهود التي انتشر فيها الرقُّ في أنحاء الأرض، لكثرة الحروب، واتخاذ الرقِّ أساسًا، فمَنْ وجَدَ أباه في الرقيق، واشتراه مِن سيِّده، وأعتقه: كان ذلك جزاءً عظيمًا لوالده، فقد حرَّره من العبودية، وهي نعمة عظمية. وقد عافى الله من رقِّ الأفراد، وإن ظل في البشر ـ للأسف ـ نوع من الرق والعبودية بين الشعوب يجب أن تتحرَّر منه.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: جاء رجل إلى نبيِّ الله ﷺ، فاستأذنه في الجهاد، فقال: «**أحيٌّ والداك؟**». قال: نعم. قال: «**ففيهما فجاهد**»[1]. أي: اجعل جهادك في برِّهما وخدمتهما.

وفي رواية لمسلم، قال: أقبَلَ رجلٌ إلى رسول الله ﷺ، فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجرَ مِن الله، قال: «**فهل مِن والديك أحدٌ حيٌّ؟**». قال: نعم، بل كلاهما حيٌّ. قال: «**فتبتغي الأجر من الله؟**» قال: نعم. قال: «**فارجعْ إلى والديك، فأحسِنْ صُحبتَهما**»[2]. وذلك حين يكون الجهاد فرضَ كفاية، فلا بد من إذْن الوالدين لمَن يريد الجهاد مِن أبنائهما، بخلاف ما إذا كان فرض عين، حين يحتلُّ البلدَ محتلٌّ، ويُحتاج إلى كل أهل البلد ليجاهدوا كل الجهاد بكل أنواعه، فلا حاجة إلى استئذان الأبوين؛ لأنَّ الجهاد هنا في حق الجماعة، وهو مقدَّم على حقوق الأفراد، إذا التفريط في هذا الجهاد إضاعة للأبوين ولغيرهما، ولمن هو أهم منهما من المؤسسات والوطن.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد (٣٠٠٤)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٤٩).

(٢) رواه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٤٩).

QaradawiBooks.com

وعنه رضي الله عنه أيضًا، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: «**جئتُ أبايعك على الهجرة، وتركتُ أبويَّ يبكيان**». فقال: «**ارجع إليهما، فأضحكهما كما أبكيتهما**»(١).

وعن معاوية بن جاهمة: أن جاهمة جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أردتُ أن أغزو، وقد جئتُ أستشيرك. فقال: «**هل لكَ من أمٍّ؟**» قال: نعم. قال: «**فالزمها، فإنَّ الجنَّة عند رِجْلها**»(٢).

ورواه الطبراني ولفظه: قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ أستشيره في الجهاد، فقال النبي ﷺ: «**ألكَ والدان؟**» قلتُ: نعم. قال: «**الزمهما؛ فإنَّ الجَنَّة تحت أرجلهما**»(٣).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: أن رجلًا أتاه فقال: إنَّ لي امرأةً، وإنَّ أمي تأمُرني بطلاقها. فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**الوالدُ أوسطُ أبواب الجنة، فإن شئتَ فأضِعْ هذا البابَ أو احفظْه**»(٤).

ورواه ابن حِبَّان في صحيحه ولفظه: أنَّ رجلًا أتى أبا الدرداء، فقال: إن أبِي لم يزل بي حتى زوَّجني، وإنَّه الآن يأمرني بطلاقها، قال: ما أنا

(١) رواه أحمد (٦٨٣٣)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. وأبو داود في الجهاد (٢٥٢٨)، والنسائي في البيعة (٤١٦٣)، وابن ماجه في الجهاد (٢٧٨٢)، والحاكم في البر والصلة (١٥٣/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وصحَّحه ابن الملقن في البدر المنير (٤٠/٩).

(٢) رواه أحمد (١٥٥٣٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والنسائي (٣١٠٤)، وابن ماجه (٢٧٨١)، والحاكم (١٠٤/٢)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، ثلاثتهم في الجهاد، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٤٨٥).

(٣) رواه الطبراني (٢٨٩/٢)، وجود إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٣٧٥١)، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٤٨٥).

(٤) رواه أحمد (٢١٧١٧)، وقال خرجوه: إسناده حسن. والترمذي في البر والصلة (١٩٠٠)، وقال: حديث صحيح. وابن ماجه في الأدب (٣٦٦٣)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩١٤).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بالذي آمُرك أن تعُقَّ والديك، ولا بالذي آمرك أن تُطلِّق امرأتك، غيرَ أنك إن شئتَ حدَّثْتُك بما سمعتُ مِن رسول الله ﷺ، سمعتُه يقول: «**الوالدُ أوسطُ أبواب الجنة، فحافظْ على ذلك الباب إنْ شئتَ، أو دَعْ**»(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان تحتي امرأةٌ أحبُّها، وكان عمر يكرهُها، فقال لي: طلِّقْها، فأبيتُ، فأتى عمرُ رسولَ الله ﷺ، فذكَرَ ذلك له، فقال لي رسول الله ﷺ: «**طلِّقْها**»(٢).

وعن أَنَس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن سرَّه أن يُمَدَّ له في عُمرِه، ويُزاد في رزقه، فليبرَّ والديه، وليصِلْ رحِمَه**»(٣).

وعن ثَوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الرجل ليُحرَم الرزقَ بالذنب يُصيبه، ولا يردُّ القدرَ إلَّا الدعاءُ، ولا يزيد في العُمرِ إلَّا البِرُّ**»(٤).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**بَرُّوا آباءَكم، تبَرّكُم أبناؤكم، وعِفوا تعفَّ نساؤُكم**»(٥).

---

(١) رواه ابن حبان في البر والإحسان (٤٢٥)، وقال الأرناؤوط: حديث صحيح.

(٢) رواه أحمد (٥٠١١)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي. وأبو داود في الأدب (٥١٣٨)، والترمذي في الطلاق واللعان (١١٨٩)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في الطلاق (٢٠٨٨).

(٣) رواه أحمد (١٣٨١١)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. والحديث بدون ذكر بر الوالدين متفق عليه: رواه البخاري في البيوع (٢٠٦٧)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٥٧).

(٤) رواه أحمد (٢٢٤١٣)، وقال مخرِّجوه حسن لغيره دون قوله: «وإنَّ العبد ليحرمُ الرزق بالذنب يُصيبه». وابن ماجه في الفتن (٤٠٢٢)، وابن حبان في الرقائق (٨٧٢)، والحاكم في الدعاء (٤٩٣/١)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي.

(٥) رواه الطبراني في الأوسط (١٠٠٢)، وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٣٧٥٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٤٠٣): رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني أحمد غير منسوب، والظاهر أنَّه من المكثرين من شيوخه، فلذلك لم ينسبه.

QaradawiBooks.com

وفي حديثِ أصحاب الغار: فقال أحدهم: «**اللهــمَّ إنِّي كان لي أبوان شيخان كبيران، فكنتُ أخرج فأرعى، ثم أجيء فأحلُب، فأجيء بالحِلَاب، فآتي به أبويَّ، فيشربان، ثم أسقي الصِّبْيَة وأهلي وامرأتي، فاحْتَبَسْتُ ليلة، فجئت، فإذا هما نائمان، قال: فكرهتُ أن أوقظهما، والصِّبْية يَتَضاغَوْن عند رجليَّ، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهما، حتى طلع الفجر، اللهم إن كنتَ تعلم أنِّي فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك، فافْرُج عنا فُرْجة نرى منها السماء**»[(١)].

وعن أســماء بنت أبي بكرٍ رضي الله عنهما قالت: قدمتْ عليَّ أمِّي وهي مشركةٌ في عهد رسول الله ﷺ، فاســتفتيتُ رسولَ الله ﷺ قلتُ: قدمتْ عليَّ أمِّي وهي راغبةٌ، أفأصِلُ أمِّي؟ قال: «**نعم، صِلِي أمَّكِ**»[(٢)].

وفي لفظ أبي داود، قالتْ: قدمتْ علــيَّ أمِّي راغبةً في عهد قريش، وهي راغِمةٌ مشركةٌ، فقلتُ: يا رسول الله، إنَّ أُمِّي قدِمتْ عليَّ وهي راغمةٌ مشركة، أفأصلها؟ قال: «**نعم، صِلِي أمكِ**»[(٣)].

راغبةٌ أي: طامِعةٌ فيما عندي، تسألني الإحسان إليها.

وراغِمة أي: كارهةٌ للإسلام.

ومعنى هذا: أن صِلة الولدِ المســلم لأبويه المشــركين أو لأحدهما: مشــروعةٌ مبرورة، ما دام لا يأخذ المال مِن ابنه ليحارب به المسلمين، قال تعالــى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنــة: ٨]. وهذا أســاس بر الوالدين من أهل الذمة.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في البيوع (٢٢١٥)، مسلم في الرقاق (٢٧٤٣)، عن ابن عمر.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الهبة (٢٦٢٠)، ومسلم في الزكاة (١٠٠٣).

(٣) رواه أبو داود في الزكاة (١٦٦٨).

QaradawiBooks.com

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**رضا الله في رضا الوالد، وسخط الله في سخط الوالد**»(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ، فقال: إنِّي أذنبتُ ذنبًا عظيمًا، فهل لِي مِن توبة؟ فقال: «**هل لك من أمٍّ؟**» قال: لا. قال: «**فهل لك من خالة؟**» قال: نعم. قال: «**فبَرَّها**»(٢).

بِرُّ الوالدين بعدَ وفاتِهما، وكيف يكون:

حدَّد الرسول الكريم بِرَّ الوالدين بعد موتهما في جملة حقوق يجب أن تُرْعى:

١ ـ الصلاة عليهما، أي: صلاة الجنازة.

٢ ـ والاستغفار لهما، كما قال نوح: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [نوح: ٢٨]، وقال إبراهيم: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١]. وإن عَرَفَ إبراهيمُ بعد ذلك أنَّه لا يجوز الاستغفار للمشركين.

٣ ـ وإنفاذ عهدهما، إذا عهدا ـ أو أحدهما ـ إلى أولادهما، كلِّهم أو بعضِهم بشيء من الخير والطاعات أو نحو ذلك، وقدروا عليه، فعليهم أن يُنفِّذوه، فهذا من العهد الذي يجب تنفيذه.

---

(١) رواه الترمذي في البر والصلة (١٨٩٩) مرفوعًا وموقوفًا، ورجَّح وقفه، والحاكم في البر والصلة (١٥١/٤)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٥١٦).

(٢) رواه أحمد (٤٦٢٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والترمذي في البر والصلة (١٩٠٤)، مرفوعا ومرسلا، ورجح المرسل، وابن حبان في البر والإحسان (٤٣٥)، والحاكم في البر والصلة (١٥٥/٤)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب (٢٥٠٤).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٤ ـ وصلة الرحم التي لا توصل إلَّا بهما، فالعمَّةُ لا توصل إلَّا بالأب، والخالة لا توصل إلَّا بالأم؛ ولهذا لمَّا قال بعضُ الأبناء للرسول: أذنبتُ ذنبًا، فهل لي من توبة؟ قال: «**هل لك من أُمٍّ؟**» قال: لا. قال: «**فهل لك من خالة؟**» قال: نعم. قال: «**فبِرَّها**»[(١)].

٥ ـ وإكرام صديقهما، أي: تبَرُّ أصدقاءَ والدك، وصديقات أمِّك، ففي حديث أبي أُسَيدٍ مالكِ بنِ ربيعة السَّاعديِّ، قال: بينا نحنُ عندَ رسولِ الله ﷺ، إذ جاءهُ رجل من بني سَلِمة، فقال: يا رسولَ الله، هل بقي مِن بِرِّ أبوَيَّ شيء أبَرُّهما به بعدَ موتهما؟ قال: «**نعم، الصلاةُ عليهما، والاستغفارُ لهما، وإنفاذُ عهدهما مِن بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصلُ إلَّا بهما، وإكرام صديقهما**»[(٢)].

وفي معناه حديث عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رجلًا من الأعراب لقِيه بطريق مكَّة، فسلَّم عليه عبدُ الله بن عمر، وحَمَلَه على حمار كان يركبه، وأعطاه عِمامةً كانت على رأسه، قال ابن دينار: فقلنا له: أصلحك الله! فإنَّهم الأعرابُ، وهم يرضون باليسير. فقال عبد الله بن عمر: إنَّ أبا هذا كان ودًّا لعمر بن الخطاب، وإنِّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إن أبَرَّ البِرِّ صلةُ الولدِ أهلَ وُدِّ أبيه**»[(٣)].

وعن أبي بُرْدة قال: قدمتُ المدينة، فأتاني عبد الله بن عمر، فقال: أتدري لِمَ أتيتك؟ قال: قلتُ: لا. قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) سبق تخريجه صـ٣٢٥.

(٢) رواه أحمد (١٦٠٥٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود (٥١٤٢)، وابن ماجه (٣٦٦٤)، كلاهما في الأدب، والحاكم في البر والصلة (١٥٤/٤)، وصحح إسناده ووافقه الذهبي.

(٣) رواه مسلم البر والصلة (٢٥٥٢)، وأحمد (٥٦٥٣).

QaradawiBooks.com

«**مَن أحبَّ أن يصِلَ أباه في قبره، فليصِل إخوانَ أبيه بعده**»، وإنَّه كان بين أبي عمرَ وبين أبيك إخاءٌ وودٌّ، فأحببْتُ أن أصِل ذاك[١].

السُّنَّة تحذِّر بشدة مِن عقوق الوالدين:

وقد صحَّتْ جملةٌ وافرة من الأحاديث النبويَّة في الترهيب من عقوق الوالدين، أو الإساءة إليهما.

عن المُغيرة بن شعبة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الله حرَّم عليكم: عقوقَ الأمهات، ووأدَ البنات، ومنعًا وهات. وكرِه لكم: قِيلَ وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**»[٢].

وعن أبي بَكْرةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» ثلاثًا، قلنا: بلى، يا رسول الله. قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**»، وكان مُتَّكِئًا، فجلس، فقال: «**ألَا وقول الزور، وشهادة الزور**» فما زال يُكرِّرها حتى قلنا: ليتَه سكت![٣].

فلم يكتفِ ﷺ بجعْل العقوقِ من الكبائر، بل جعله مِن أكبر الكبائر.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**الكبائر: الإشراكُ بالله، وعقوقُ الوالدين، وقتلُ النفس، واليمينُ الغموس**»[٤].

---

(١) رواه أبو يعلى (٥٦٦٩)، وابن حبان في البر والإحسان (٤٣٢)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٤٣٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الاستقراض (٢٤٠٨)، ومسلم في الأقضية (٥٩٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٧٦)، ومسلم في الإيمان (٨٧).

(٤) رواه البخاري في الأيمان والنذور (٦٦٧٥)، وأحمد (٦٨٨٤)، والنسائي في تحريم الدم (٤٠١١).

QaradawiBooks.com

وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من الكبائر شتمُ الرجل والديه**». قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: «**نعم، يسبُّ أبا الرجل، فيسبُّ أباه، ويسبُّ أمَّه، فيسب أمَّه**». أي: إنَّه كان سببًا في سبِّ والديه؛ لأنَّه سب والدَي الآخر، فردَّ عليه بمثله.

وفي رواية البخاري: «**إنَّ مِن أكبر الكبائر: أن يلعن الرجل والديه**». قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «**يسبُّ أبا الرجل، فيسبَّ أباه، ويسب أمَّه، فيسبُّ أمه**»[(١)].

وعن عمرو بن مُرَّة الجُهَنِي رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، شهدتُ ألَّا إلٰه إلَّا الله، وأنك رسول الله، وصليتُ الخمس، وأدَّيتُ زكاة مالي، وصُمتُ رمضان. فقال النبي ﷺ: «**مَن مات على هذا كان مع النبيِّين والصِّدِّيقين والشهداء يوم القيامة هكذا** ـ ونصب أصبعيه ـ **ما لم يعقَّ والديه**»[(٢)].

كثرة العقوق والجفاء من الأولاد:

ولقد كثُر الجفاء والعقوق من الأبناء للآباء والأمهات، حتى عمَّت الشكوى، وتكاثر الضرر والبلوى، حتى غدَا كثيرٌ من الآباء والأمهات يتمنَّون لو لم يكن لهم أولاد، وفي هذا جاء قول الشاعر:

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٧٣)، ومسلم في الإيمان (٩٠)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه أحمد (٥٢٢/٣٩) رقم (٨١)، من الملحق المستدرك من مسند الأنصار، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. والطبراني في مسند الشاميين (٢٩٣٩)، وابن خزيمة في الصيام (٢٢١٢)، وابن حبان في الصوم (٣٤٣٨).

QaradawiBooks.com

أرى ولـدَ الفتي ضـررًا عليه ... لقد سعِد الـذي أمْسَى عقيمَا
فـإمَّـا أن يـربِّـيـه عـدوًّا ... وإمـا أن يُـخـلِّـفـه يتيمَا
وإمَّـا أن يُـصـادِفـه حِـمـامٌ ... فيترك حُـزنَـه أبـدًا مُقيمَا[1]

ومن الأبناء مـن يبالغ في عقوق أبيه، حتى يدع أباه شـاكيًا، أو باكيًا حزينًا، وهذا ما جعل أمية ابن أبي الصلت يقول في معاتبة ابن له عاقٍّ[2]:

غَذَوتكَ مولـودًا وعُلتـكَ يافعًا ... تُعَـلُّ بما أجبـي إليـكَ وتَنْهَلُ
إذا ليلةٌ نالتكَ بالشَّـكْو لم أبت ... لشـكواكَ إلَّا سـاهرًا أتململُ
كأني أنا المطـروقُ دونَكَ بالذي ... طرقت به دونـي فعينـي تُهمِلُ
تخافُ الردَّى رُوحي عليكَ وإنَّها ... لتعلـم أنَّ الموتَ حتْـمٌ مؤجَّلُ
فلما بلغـتَ السِّـنَّ والغايةَ التي ... إليها مـدى ما كنتُ فيـك أؤمِّلُ
جعلتَ جزائي منكَ غِلْظَةً وفَظَاظَةً ... كأنَّـكَ أنـت المُنْعِـمُ المُتَفَضِّلُ
فليتـكَ إذ لم تـرعَ حـقَّ أُبُوَّتي ... فعلتَ كما الجـارُ المجاورُ يفعلُ

* * *

(١) الأبيات من شعر أبي العلاء المعري، ذُكر البيتان الأولان في اللزوميات (٣٠٠/٢)، تحقيق: أمين الخانجي، نشـر مكتبة الخانجـي، وزاد الصفدي البيت الثالث في الغيث المسـجم (٣٩٣/٢)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) كما في ديوانه صـ ١٨٠ وما بعدها، تحقيق: سجيع جميل الجبيلي، نشر دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

QaradawiBooks.com

الفصل الثاني

أدب الزواج والعِشْرة الزوجية

غير مرخصة للطباعة

مِن الذين أوصتْ بهم آيةُ «الحقوق العشرة» في سورة النساء صِنْفٌ سمَّته الآية: «الصاحب بالجنب»، بعد أن أوصتْ بالجارِ ذي القُربى، والجار الجنب، فمن المراد بالصاحب بالجنب؟

الصاحبُ بالجنب: الزوج والزوجة:

ذكَرَ ابنُ كثير عن عليٍّ وابن مسعودٍ رضي الله عنهما، أنَّهما قالا: هي المرأة. وقال ابن أبي حاتم: ورُويَ عن عبد الرحمن بنِ أبي ليلى، والنخعيّ، والحسن، وسعيد بن جبير في إحدى الروايات نحوَ ذلك[1].

وعندي أنَّ المرأةَ ـ بمعنى الزوجة ـ هي أقربُ ما يُطلق عليه أنَّها: الصاحبُ بالجنب؛ فهي القرينة القريبة، وهي سَكَنُ زوجِها، وربَّة بيْته، وموضع سره، وحافظة ماله، وصائنة حرماته، وأمُّ أولاده، هي التي تُعِدّ له الطعام والشراب واللباس، وتهيِّئ له البيت والمأْوى، وتبِيتُ في الليل إلى جواره، وهي التي تَسرُّ إذا نُظرتْ، وتُطيع إذا أُمِرَتْ، وتحفظ زوجها إذا غاب في نفسِها ومالِه، كما قال تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].

(١) تفسير ابن كثير (٢/٣٠٠).

QaradawiBooks.com

وأرى أنَّ الزوجيَّة بما لها من عناية وأهمية في الإسلام، توجيهًا وتشريعًا: حَريَّةٌ بأن تدخل في آية الحقوق العشرة، ولا نقول كما قال بعض المفسرين بالاكتفاء بما ذكر الله تعالى قبل آية الحقوق العشرة من آية: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء: ٣٤]؛ لأن آية الحقوق العشرة آية جامعة، ومن حقها أن تشمل الأزواج رجالًا ونساء.

ولكن لا أدري: لماذا قصر المفسرون الأولون «الصاحب بالجنب» على المرأة إذا كانت زوجة، ولم يذكروا الرجل إذا كان زوجًا، وهو رفيق دائمٌ للمرأة، يقوم بواجبه نحْوها، ويحفظ لها حقوقها، كما تحفظ له حقوقه؟ مع أن لفظ (الصاحب) أقرب إلى تناول الرجل.

الصاحب بالجنب هو الزوج، بمعنى كل من الرجل والمرأة:

والذي أراه: أن يُقال هنا في تفسير «الصاحب بالجَنْب» هو: الزوج، وهذه كلمة تصلُح لكلٍّ من الرجل والمرأة، لا الرجل وحده كما هو مشهور. يقول تعالى: ﴿وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ﴾ [النساء: ٢٠]. والمراد: أردتم استبدال امرأة مكان امرأة أخرى، وهو واضح في القرآن كما في قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢].

فالمقصود بـ «الصاحب بالجنب» في الآية الكريمة: كلٌّ من الزوجَين: الرجل والمرأة، وكلٌّ منهما صاحب بالجنب، وله حقٌّ مؤكَّد على صاحبه، كما لصاحبه حقٌّ عنده.

QaradawiBooks.com

وبهذا تكون الآيةُ الكريمةُ التي سمَّاها العلماء: «آية الحقوق العشرة»، قد شـــملتِ الحقوقَ الزوجيَّةَ فيها، وهي حقوق بالغة الأهمية في الحياة الإسلاميَّة، وهي أســـاس تكوين الأُسْـــرة، وبها يكون الوالدان والأولاد والأعمام والعمات والأخوال والخالات.. إلخ.

الرفيق في السفر أو العلم أو الحرفة:

على أنَّ هذا لا يمنع أنْ نذكـــر في معنى «الصاحب بالجنب» ما قاله عددٌ من المفسرين القُدامى، ولا عَجَبَ أن يتَّسِع اللفظ لذلك المعنى، أو لتلك المعاني.

قال ابنُ عباس وجماعة: هو الرفيق في السفر[١].

وقال سعيد بن جبير في الرواية الأخرى: هو الرفيق الصَّالح[٢].

وقال زيد بن أسْلَم: هو جليسك في الحَضَر، ورفيقك في السَفَر[٣].

وقال ابنُ زيد: هو مَن يعْتريك ويلِمُّ بكَ لِتنفعَه[٤].

وقال الزمخشـــري: هو الذي صَحِبَكَ، بأنْ حصل بجنبك، إمَّا رفيقًا في سفرٍ، وإمَّا جارًا ملاصقًا، وإمَّا شريكًا في تعلُّم عِلم أو حِرفة، وإمَّا قاعدًا إلى جنبك في مجلسٍ أو مسْـــجِد، أو غير ذلك مِن أدنى صُحْبـــة الْتَأَمَتْ بيْنكَ وبينه، فعليك أنْ تُراعي ذلك الحقَّ ولا تنساه، وتجعلَه ذريعةً للإحسان[٥].

---

(١) رواه الطبري في التفسير (٣٤١/٨).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٣٤١/٨)، والبيهقي في الشعب (٩٠٧٩).

(٣) رواه ابن المنذر في تفسيره (١٧٦١).

(٤) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز في تفســـير الكتاب العزيز (٥١/٢)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

(٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (٥٠٩/١)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

QaradawiBooks.com

ولا شـــك أنَّ الزوجيَّة مِن كلا الطرفين تدخل في هذه الصُّحبة، وإن لم يذكرها الزمخشري صراحة.

علـــى أن أبا حيان في «البحر المحيط» ذكر في تفســـير ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: أنَّ المجاورة مراتب، بعضها ألصق من بعض، أقربها الزوجة، قال الأعشى:

أيا جارَتـــا بِينِـــي فإنَّـــك طالِقهْ كَذَاكَ أُمُورُ النـــاسِ غادٍ وطارِقَهْ[1]

ولكنِّي أرجِّح ما اختاره ابن كثير هنا[2].

مقاصد الزواج في الإسلام:

الذي ينظر فـــي كتاب الله ﷻ، وهـــو المصدر الأول للإســـلام عقيدة وشريعة وأخلاقًا ومُثلًا، يجد الأهداف الأساسية للزواج واضحة جلية، وهي:

١ ـ **المقصد الأول من الزواج**: بقاء النوع الإنساني، فالله ﷻ أراد لهذا النوع أن يســـتخلفه في الأرض. ولا بد من وسيلة لهذا الأمر، فركَّب الله الغريزة في الإنســـان تدفعه وتســـوقه إلى هذا الأمر، ويترتَّب على ذلك الإنجاب والتناســـل، وفي هـــذا يقول الله تعالـــى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحـــل: ٧٢]. فعن طريق البنين والحفدة يتناســـل النوع البشري، ويبقى معمرًا لهذه الأرض وقائمًا بحق الخلافة فيها.

٢ ـ **المقصد الثاني**: هو الإشباع الفطري لهذه الغريزة التي ركَّبها الله في كلا الجنسين، حيث ركَّب الله في الرجل ميلًا إلى المرأة، وركب في المرأة

(١) البحر المحيط (٦٣٢/٣)، تحقيق: صدقي محمد جميل، نشر دار الفكر، بيروت.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية (٥١/٢).

QaradawiBooks.com

ميلًا إلى الرجل، فهذا دافع فطري، والإنسان يظل متوترًا إذا لم يشبع هذا الدافع، وخصوصًا في بعض الأحوال إذا وجد مثيرات أو نحو ذلك، فالإسلام شرع النكاح لإشباع هذه الغريزة، لكن هناك بعض الأديان وبعض المذاهب الزهدية والفلسفية تقف من الغريزة الجنسية موقف الرفض، وتعتبرها رجسًا من عمل الشيطان! ولذلك فالإنسان المثالي في المسيحية ـ مثلًا ـ هو الراهب الذي لا يتزوج النساء، ولا يعرفهن، وكان الرهبان في العصور الوسطى يبتعدون عن النساء، ولو كن أمهاتهم أو أخواتهم! أمَّا الإسلام فإنه لم يشرع الرهبانية، وإنَّما شرع الزواج، وحينما طلب بعض الصحابة من النبي ﷺ أن يختصُوا أو يتبتَّلوا لم يأذن لهم بهذا.

٣ ـ **المقصد الثالث**: القضية النفسية والاجتماعية، فالإنسان بحاجة نفسية إلى من يؤنسه، وإلى من يعايشه باعتبار أنَّه مخلوق اجتماعي، وهذا ما أشار إليه القرآن في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١]. وهذا أيضًا ركن من أركان الحياة الزوجية الأساسية ومقصد من المقاصد العليا للزواج.

٤ ـ **المقصد الرابع**: المصاهرة وتوسيع دائرة العشيرة، فالإنسان حينما يصهر إلى آخرين، إلى أسرة أو قبيلة، فمعناها أنَّه ضم إلى نفسه هذه الأُسْرة، كما ضم نفسه إلى هذه الأُسْرة أو القبيلة، ولذلك كان من مقاصد زواج النبي ﷺ من القبائل المختلفة: أنَّه عند ما يتزوج من هؤلاء يصبحون أصهارًا، فيكسب الإسلام قوة بهذا، كزواجه من بني المصطلق. وقد قال النبي ﷺ: «**استوصوا بأهل مصر خيرًا، فإن لكم فيهم رحمًا وصهرًا**»[1]. فالرحم هي هاجر أم إسماعيل، والصهر هي مارية القبطية

(١) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٥٤٣)، وأحمد (٢١٥٢٠)، كلاهما بلفظ: «ذمة ورحمًا» أو قال: «ذمَّة وصهرًا». عن أبي ذر.

QaradawiBooks.com

أُم إبراهيم ابن النبي، فمن أجل هذه المصاهرة لا بد أن تكون العلاقة مع هذا الشعب طيبة قوية، وقد وضع الإمام النووي في كتابه: «رياض الصالحين» هذا الحديث في باب صلة الأرحام[1].

آداب المعاشرة الزوجيَّة:

نعتمد في هذا الفصل على ما كتبه الإمام الغزالي في آداب الزوجيَّة وحقوق الزوجين، في كتاب «آداب النكاح» من «الإحياء» في الربع الثاني، الذي يشمل العادات والمعاملات، على حين يشمل الجزء الأول: العبادات، والثالث: المهلكات، والرابع: المنجيات.

وسننقل من كلام الغزالي ما نراه متَّسقًا مع الأصول الإسلاميَّة، التي جاء بها القرآن والسُّنَّة، أمَّا ما اعتمد عليه من أحاديث ضعيفة، أو متروكة، أو مكذوبة، أو إسرائيليات أو أقوال غير معصومة، فسنتركه، وعندنا من الثابت والصحيح ما يُغنينا.

والنظر هنا فيما على الزوج وفيما على الزوجة. أمَّا الزوج، فعليه مراعاة الاعتدال والأدب في اثني عشر أمرًا: في الوليمة، والمعاشرة، والدعابة، والسياسة، والغيرة، والنفقة، والتعليم، والقَسْم، والتأديب أو النشوز، والوقاع، والولادة، والمفارقة والطلاق.

١ ـ الوليمة للعرس:

والوليمة طعام يصنعه الزوج إعلانًا عن الزواج وإظهارًا للبهجة والفرحة بالعرس، يأكل منه الأقارب والأصدقاء، وهي مستحبة.

(١) الحديث برقم (٣٢٨).

QaradawiBooks.com

قال أنس رضي الله عنه: رأى رسول الله ﷺ على عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أثر صفرة، فقال: «**ما هذا؟**» فقال: تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب. فقال: «**بارك الله لك، أولِمْ ولو بشاة**»[(١)]. وهو أمر للاستحباب.

وأولم رسول الله ﷺ على صفيَّة بتمر وسويق[(٢)].

تهنئة الزوجين:

ويستحبُّ للحضور تهنئة الزوجين، فيقول من دخل على الزوج: «**بارك اللهُ لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير**».

وكان أهل الجاهلية لهم تهنئة أخرى يتداولونها بينهم، ويقولون: بالرِّفاء والبنين! يدعون للزوجين بحسن الصلة بينهما، وبأن يرفأا بالبنين لا بالبنات؛ لكراهيتهم للبنات، كما قال تعالى: ﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ**﴾ [النحل: ٥٨ ـ ٥٩].

فغيَّر الإسلام هذه الفكرة، واعتبر أنَّ البنت هبة من الله، كما يهب الابن، وغيَّر صيغة التهنئة التي تعودوها في الجاهلية، بهذه الصيغة الإسلاميَّة، وهي الدعاء للعروسين، فيقال لكلٍّ منهما: «**بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير**»[(٣)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٧٨١)، ومسلم في النكاح (١٤٢٧)، عن أنس.

(٢) رواه أحمد (١٢٠٧٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود في الأطعمة (٣٧٤٤)، والترمذي (١٠٩٥)، وقال: حديث غريب. وابن ماجه (١٩٠٩)، كلاهما في النكاح، عن أنس.

(٣) رواه أحمد (٨٩٥٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي. وأبو داود (٢١٣٠)، والترمذي (١٠٩١)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (١٩٠٥)، ثلاثتهم في النكاح، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إظهار النكاح:

ويستحبُّ إظهار النكاح وعدم إخفائه أو الإسرار به، حتى يعرف الناس أن هذا البيت قام على التقوى والإيمان، وعلى العفة والإحصان. قال عليه الصلاة والسلام: «**فصلُ ما بين الحلال والحرام الدفُّ والصوت في النكاح**»(١).

وعن الرُّبَيِّع بنت مُعوِّذ قالت: جاء رسول الله ﷺ، فدخل غداة بُنِيَ بي، فجلس على فراشي، وجُويريات لنا يضربن بدُفِّهنَّ، ويندبن من قتل من آبائي، إلى أن قالت إحداهنَّ: وفينا نبيٌّ يعلم ما في غد. فقال لها: «**اسكتي عن هذه، وقولي الذي كنتِ تقولين قبلها**»(٢).

٢ ـ حُسن الخُلْق مع الزوجة واحتمال الأذى منها:

قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

وقال في تعظيم حقهن: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١]، وقال: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النساء: ٣٦]. قيل: هي المرأة.

ووصَّى النبي ﷺ الزوج بامرأته قائلًا: «**فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله**»(٣). بل تعدَّى الأمر إلى الصبر على أذى الزوجة، وسوء طبعها حتى تتهذَّب، وعدم التسرع بفراقها حتى تتعلَّم.

---

(١) رواه أحمد (١٥٤٥١)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والترمذي (١٠٨٨)، وقال: حسن. والنسائي (٣٣٦٩)، وابن ماجه (١٨٩٦)، ثلاثتهم في النكاح، عن محمد بن حاطب.

(٢) رواه البخاري في النكاح (٥١٤٧)، وأحمد (٢٧٠٢١)، وأبو داود في الأدب (٤٩٢٢)، والترمذي في النكاح (١٠٩٠).

(٣) رواه مسلم (١٢١٨)، وأبو داود (١٩٠٥)، كلاهما في الحج، عن جابر.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فحسن الخلق معها لا يقتصر على كفِّ الأذى عنها، بل احتمال الأذى منها، والحلم عند طيشها وغضبها، اقتداء برسول الله ﷺ، فقد كان أزواجه يراجعنه الكلام، وتهجره الواحدة منهن يومًا إلى الليل، وراجعت امرأة عمر رضي الله عنه عمر في الكلام، فأنكر أن تراجعه، فقالت: ولِمَ تنكر أن أراجعك؟! فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه[١].

وكان ﷺ يقول لعائشة: «**إنِّي لأعلم إذا كنتِ عنِّي راضية، وإذا كنت عليَّ غَضْبى**». قالت: فقلتُ: من أين تعرف ذلك؟ فقال: «**أمَّا إذا كنتِ عني راضية، فإنك تقولين: لا ورب محمد. وإذا كنت عليَّ غَضْبى، قلتِ: لا وربِّ إبراهيم**». قالت: صدقتَ إنَّما أهجر اسمَك[٢].

٣ ـ المداعبة والملاعبة:

فهي التي تطيِّب قلوب النساء، وقد كان رسول الله ﷺ يمزح معهنَّ، حتى ثبت أنَّه ﷺ كان يُسابق عائشة في العدْو، فسبقتْه يومًا، وسبقها في بعض الأيام، فقال عليه الصلاة والسلام: «**هذه بتِلْكِ**»[٣]. أو كما يقول الكرويُّون اليوم: تعادل.

وقالت عائشة رضي الله عنها: رأيت النبيَّ ﷺ يسترني بردائه، وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد، حتى أكون أنا التي أسأم، فاقدُروا قدر الجارية الحديثة السن، الحريصة على اللهو[٤].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٦٨)، ومسلم في الطلاق (١٤٧٩)، عن ابن عباس.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٢٢٨)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٣٩)، عن عائشة.

(٣) رواه أحمد (٢٤١١٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود في الجهاد (٢٥٧٨)، وابن ماجه في النكاح (١٩٧٩)، وابن حبان في السير (٤٦٩١)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٣١)، عن عائشة.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٢٣٦)، ومسلم في صلاة العيدين (٨٩٢).

QaradawiBooks.com

وجعل النبي ﷺ تلطف الرجل مع زوجته ممَّا يرفع درجة إيمانه، لما في ذلك من تقوية روابط الأُسْرة التي هي اللبنة الأولى من لبنات المجتمع، فقال رسول الله ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وألطفهم بأهله**»[١].

وقال عليه السلام: «**خيرُكم خيرُكم لأهله، وأنا خيرُكم لأهلي**»[٢].

وقال عمر رضي الله عنه: ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي، فإذا التمسوا ما عنده وجدوه رجلًا[٣].

٤ ـ الاعتدال في الدعابة والملاطفة:

وعليه أن يكون معتدلا في دعابته وملاطفته، فلا يتبسَّط في الدعابة والموافقة باتِّباع هواها، إلى حدٍّ يفسد خلقها، ويسقط هيبته عندها، ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات، بل إن رأى ما يخالف الشرع والمروءة تنمَّر وامتعض.

قال الحسن: والله ما أصبح رجلٌ يطيع امرأته إلَّا كبَّه الله في النار![٤].

قال القرضاوي: والمعنى إطاعتها فيما تهوى ممَّا حرَّم الله، أو يجر إلى ما حرَّم الله.

---

(١) رواه أحمد (٢٤٦٧٧)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح لغيره. والترمذي في الإيمان (٢٦١٢)، وقال: صحيح. عن عائشة.

(٢) رواه الترمذي في المناقب (٣٨٩٥)، وقال: حسن صحيح. والدارمي (٢٣٠٦)، وابن حبان (٤١٧٧)، كلاهما في النكاح، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٨٥)، عن عائشة.

(٣) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (١٠٣٨).

(٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٩٨/٦).

QaradawiBooks.com

وقيل: نفس المرأة على مثال نفسك، إن أرسلتَ عِنَانها قليلًا جمحتْ بك طويلًا، وإن أرخيتَ عِذَارها فِتْرًا[١]، جذبتكَ ذراعًا، وإن كبحتها وشددت يدك عليها في محلِّ الشدة ملكتها.

قال الغزالي: وعلى الجملة: فبالعدل [أي التوسط بين الإفراط والتفريط] قامت السماوات والأرض، فكل ما جاوز حده انقلب على ضده، فينبغي أن تسلك سبيل الاقتصاد في المخالفة والموافقة، وتتَّبع الحق في جميع ذلك لتسلم من شرهنِّ، فإنَّ كيدهنَّ عظيم.

فالطبيب الحاذق هو الذي يقدِّر العلاج بقدر الداء، فلينظر الرجل أولًا إلى أخلاقها بالتجربة، ثم ليعاملها بما يصلحها، كما يقتضيه حالها.

٥ ـ الاعتدال في الغيرة معها وعليها:

وهو ألا يتغافل عن مبادئ الأمور التي تُخشى غوائلها، ولا يبالغ في إساءة الظنِّ والتعنُّت، وتجسُّس البواطن.

وذلك أنَّه لما قدم رسول الله ﷺ من سفره، قال قبل دخول المدينة: «**لا تطرُقوا النساء ليلًا**». فخالفه رجلان فسبقا، فرأى كل واحد في منزله ما يكره[٢].

وفي الخبر المشهور: «**المرأة كالضِّلَع إن قوَّمْته كسرته، فدعه، تستمتع به على عِوَج**»[٣]. وهذا في تهذيب أخلاقها.

---

(١) الفِتْر: المسافة ما بين طرفي السبابة والإبهام. انظر تاج العروس مادة (ف. ت. ر).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الحج (١٨٠١)، ومسلم في الإمارة (٧١٥)، عن جابر.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥١٨٤)، ومسلم في الرضاع (١٤٦٨)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وقال ﷺ: «**إن من الغَيْرة غيرةً يبغضها الله ﷻ، وهي غيرة الرجل على أهله من غير رِيبة**»[١]. لأن ذلك من سوء الظن الذي نُهينا عنه، فإن بعض الظن إثمٌ.

وقال علي رضي الله عنه: لا تُكثر الغيرة على أهلك، فتُرمى بالسوء من أجلك[٢].

وأمَّا الغيرة في محلها، فلا بد منها وهي محمودة. فقد قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله تعالى يغار، والمؤمن يغار، وغيرة الله تعالى أن يأتي الرجل المؤمن ما حرم الله عليه**»[٣].

وقال عليه السلام: «**أتعجبون من غَيْرة سعد؟ وأنا والله أغير منه، والله أغير مني، ولأجل غيرة الله تعالى حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن**»[٤].

وقال رسول الله ﷺ: «**رأيتُ ليلةً أُسري بي في الجنة قصرًا، وبفنائه جارية؛ فقلت: لمن هذا القصر؟ فقيل: لعمر؛ فأردت أن أنظر إليه، فذكرت غَيرتك يا عمر**». فبكى عمر وقال: أعَليك أغار يا رسول الله[٥]؟

---

(١) رواه أحمد (٢٣٧٤٧)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. وأبو داود في الجهاد (٢٦٥٩)، والنسائي في الكبرى في الزكاة (٢٣٥٠)، وصحح إسناده ابن حجر في الإصابة (٥٤٩/١)، عن جابر بن عتيك.

(٢) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد لأبي طالب المكي (٤١٨/٢)، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٢٢٣)، ومسلم في التوبة (٢٧٦١)، عن أبي هريرة.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الحدود (٦٨٤٦)، ومسلم في الطلاق (١٤٩٩)، عن المغيرة بن شعبة.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٤٢)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٣٩٥)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

قال القرضاوي: ولا تعني هذه الغيـــرة أن تُحْرَم المرأة من حقوقها في التعليم والتعبد والعمـــل، ولا ينبغي أن تَحْمِل الغيـــرةُ المرءَ على حرمانهـــن حقوقهـــن، لمـــا روى ابن عمر قـــال: قال رســـول الله ﷺ: «**لا تمنعوا إماء الله مســـاجد الله**». فقال بعض ولده: بلى والله، لنمنعهن. فضربـــه، وغضب عليـــه، وقال: تســـمعني أقول: قال رســـول الله ﷺ: «**لا تمنعوا**»، فتقول: بلى[(١)]؟!

٦ ـ النفقة على المرأة بلا إسراف ولا تغيير:

ومن ذلـــك: الاعتدال في النفقـــة، فلا ينبغي أن يقتِّـــر عليهن في الإنفاق، ولا ينبغي أن يسرف، بل يقتصد. قال تعالى: ﴿**وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟**﴾ [الأعراف: ٣١]. وقـــال تعالى: ﴿ **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ** ﴾ [الإســـراء: ٢٩]. وقد قال رسول الله ﷺ: «**خيرُكم خيرُكم لأهله**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**دينارٌ أنفقتَه في سبيل الله، ودينار أنفقتَه في رقبة، ودينار تصدقتَ به على مســـكين، ودينارٌ أنفقتَه على أهلك: أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك**»[(٣)].

وأهم ما يجب عليه مراعاته في الإنفاق: أن يُطعمها من الحلال، ولا يدخُل مداخل السوء لأجلها، فإن ذلك جناية عليها لا مراعاة لها.

---

(١) المرفوع متفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٩٠٠)، ومســـلم في الصلاة (٤٤٢)، كما رواه أحمد (٥٤٦٨).

(٢) سبق تخريجه صـ٣٣٩.

(٣) رواه مسلم في الزكاة (٩٩٥)، وأحمد (١٠١١٩)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

٧ ـ أن يتعلم من فقه النساء ما لا بدَّ منه:

وأن يتعلَّم المتزوِّج من علم الحيض وأحكامه ما يحترز به الاحتراز الواجب.

ويُعلِّم زوجته الصلاة، وما يُقْضى منها في الحيض وما لا يقضى، فإنه أُمر بأن يقيها النار، بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦]. ويُخوِّفها في الله إن تساهلت في أمر الدين، ويُعلِّمها من أحكام الحيض والاستحاضة وغيرهما ما تحتاج إليه.

٨ ـ العدل بين النساء إن كان للرجل أكثر من زوجة:

وإذا كان له نسوة، فينبغي أن يعدل بينهن، ولا يميل إلى بعضهن، فإن خرج إلى سفر، وأراد استصحاب واحدة، أقرع بينهن.

قال رسول الله ﷺ: «**من كان له امرأتان، فمال إلى إحداهما دون الأخرى ـ وفي لفظ: ولم يعدل بينهما ـ جاء يوم القيامة وأحد شِقَّيْه مائل**»[(١)].

وإنَّما عليه العدل في العطاء والمبيت، وأمَّا في الحب والوقاع فذلك لا يدخل تحت الاختيار. قال الله تعالى: ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ﴾ [النساء: ١٢٩]. أي: لن تستطيعوا أن تعدلوا في شهوة القلب وميل النفس، ويتبع ذلك التفاوت في الوقاع.

(١) رواه أحمد (٧٩٣٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (٢١٣٣)، والترمذي (١١٤١)، والنسائي (٣٩٤٢)، وابن ماجه (١٩٦٩)، جميعهم في النكاح، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (١٨٥١)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وكان رسول الله ﷺ يعدل بينهنَّ في العطاء والبيتوتة في الليالي، ويقول: «**اللهم هذا قَسْمي فيما أملك، فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك**»[(١)]. يعني الحب. وقد كانت عائشة رضي الله عنها أحبَّ نسائه إليه وسائر نسائه يعرفن ذلك.

ومهما وهبت واحدة ليلتها لصاحبتها، ورضي الزوج بذلك، ثبت الحق لها، فقد كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه، فخافت سودة بنت زمعة أن يطلِّقها لما كبرت، فوهبتْ ليلتَها لعائشة، وسألته أن يُقِرَّها على الزوجية، حتى تُحشر في زمرة نسائه، فتركها، وكان لا يقسم لها، ويقسم لعائشة ليلتين، ولسائر أزواجه ليلةً ليلةً[(٢)].

٩ ـ تحكيم الشرع عند النشوز والخصام:

ومهما وقع بينهما خصام ولم يلتئم أمرهما، فإن كان من جانبهما جميعًا أو من جانب الرجل، فلا تسلط الزوجة على زوجها، ولا يقدر على إصلاحها، فلا بد من حَكَمين: أحدهما من أهله، والآخر من أهلها، لينظرا بينهما ويصلحا أمرهما: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾ [النساء: ٣٥]. وقد بعث عمر رضي الله عنه حكمًا إلى زوجين، فعاد ولم يُصلح أمرهما، فعلاه بالدرة، وقال: إنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾ فعاد الرجل وأحسن النية، وتلطف بهما فأصلح بينهما.

---

(١) رواه أحمد (٢٥١١١)، وقال مخرِّجوه: هذا إسناد رجاله ثقات. وأبو داود (٢١٣٤)، والترمذي (١١٤٠)، وقال: روي مرسلًا وهو أصح. والنسائي في عشرة النساء (٣٩٤٣)، وابن ماجه (١٩٧١)، والحاكم (١٨٧/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، كلاهما في النكاح، وقال الألباني في مشكاة المصابيح (٣٢٣٥): جيد. عن عائشة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الهبة (٢٥٩٣)، ومسلم في الرضاع (١٤٦٣)، عن عائشة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وأمَّا إذا كان النشوز من المرأة خاصَّة، فالرجال قوامون على النساء، فله أن يؤدِّبها، ولكن ينبغي أن يتدرَّج في تأديبها: وهو أن يقدم أولًا الوعظ والتحذير والتخويف، فإن لم ينجح ولَّاها ظهره في المضجع، أو انفرد عنها بالفراش وهجرها، وهو في البيت معها، من ليلة إلى ثلاث ليال. فإن لم ينجح ذلك فيها، ضربها ضربًا غير مبرِّح بحيث يؤلمها، ولا يكسر لها عظمًا، ولا يدمي لها جسمًا، ولا يضرب وجهها، فذلك منهيٌّ عنه. وقد قيل لرسول الله ﷺ: ما حق المرأة على الرجل؟ قال: «**يُطعمها إذا طعم، ويكسوها إذا اكتسى، ولا يقبِّح الوجه، ولا يضرب إلَّا ضربًا غير مبرِّح، ولا يهجرها إلَّا في المبيت**»[(١)].

١٠ ـ مراعاة الحق الجنسي للمرأة والرجل:

وهو حق فطري، حتى في ليالي شهر رمضان، قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]. وقال تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، والفقهاء يعبِّرون عن هذه القضية بـ «**آداب الجماع**».

آداب الجماع:

ويستحب أن يبدأ الجماع باسم الله تعالى، وقال عليه الصلاة والسلام: «**لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: اللهمَّ جنِّبني الشيطانَ وجنِّب الشيطانَ ما رزقتنا؛ فإن كان بينهما ولدٌ لم يضره الشيطان**»[(٢)].

---

(١) رواه أحمد (٢٠٠١٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود (٢١٤٢)، وابن ماجه (١٨٥٠)، كلاهما في النكاح، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (١٨٥٩)، عن معاوية بن حيدة.

(٢) سبق تخريجه صـ٦٧.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ومن العلماء من استحبَّ الجماع يوم الجمعة وليلتها، تحقيقًا لأحد التأويلين من قوله ﷺ: «**رحم الله من غسَّل واغتسل..**»[١] الحديث. وليس ذلك بلازم.

ثم إذا قضى وطره، فليتمهَّل على أهله، حتى تقضي هي أيضًا نَهمتها، فإن إنزالها ربما يتأخر، فيهيج شهوتها، ثم القعود عنها إيذاء لها، والاختلاف في طبع الإنزال يوجب التنافر، مهما كان الزوج سابقًا إلى الإنزال، والتوافق في وقت الإنزال ألذ عندها، ولا يشتغل الرجل بنفسه عنها، فإنها ربما تستحي[٢].

فللمرأة حظّ من زوجها كما أنَّ الزوج له حظ منها، ولذلك ينبغي على الرجل أن يعرف هذا، ويحاول بقدر الإمكان أن يبطئ من الإنزال بطريقة أو بأخرى، ويتفاهم الزوجان على هذا، فلا ينبغي أن يكون همُّ الرجل أن يقضي شهوته وحده، دون أن يراعي زوجته، بل لا بد أن يجعل من هدفه أن تستمتع زوجته به، كما يستمتع بها، وهناك بعض الوسائل التي تجعل الرجل يؤخر القذف، وعليه إن كان سريع القذف أن يستشير طبيبا يفيده في ذلك.

أوقات الجماع:

قال الغزالي: «وينبغي أن يأتيها في كل أربع ليال مرةً، فهو أعدل، إذ عدد النساء اللاتي يجوز للرجل أن يتزوجهن أربعة، فجاز التأخير إلى

---

(١) رواه أحمد (١٦١٧٣) بلفظ: «مَن غسَّل واغتسل يوم الجمعة، وبكَّر وابتكر، ومشى ولم يركب، فدنا من الإمام...». وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الطهارة (٣٤٥)، والترمذي في الجمعة (٤٩٦) وحسَّنه، وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٠٨٧)، عن أوس بن أوس الثقفي.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين (٤٥/٢ ـ ٥٠) بتصرف وزيادة ونقص.

QaradawiBooks.com

هذا الحد، نعم ينبغي أن يزيد وينقص بحسب حاجتها في التحصين، فإن تحصينها واجب عليه، وإن كان لا يثبت المطالبة بالوطء، فذلك لعسر المطالبة والوفاء به»[١] اهـ.

حكم تعري الزوجين وعدم التغطية أثناء عملية الجماع:

ولا مانع من تعرِّي الزوجين أثناء الجماع، ونظر كل منهما إلى فرج الآخر. وقد انتشر بين بعض الناس أنَّه لا يجوز أن يجامع زوجته إلَّا بغطاء يسترهما، ويستندون إلى قول السيدة عائشة رضي الله عنها: «لم يَرَ مني الرسول، ولم أر منه»[٢]. وهذا حديث ضعيف جدًّا، وبعضهم قال: إنَّه موضوع. وهو مخالف للثابت عن الرسول ﷺ وعن أمهات المؤمنين، فقد جاء عن عائشة وعن أم سلمة وعن ميمونة رضي الله عنهن جميعًا: أنهن كنَّ يغتسلن مع رسول الله ﷺ من إناء واحد، وكان مجردًا من الإزار، وقالت ميمونة رضي الله عنها: إنَّ النبي ﷺ أخذ من الإناء بيمينه، وصب على شماله، وغسل فرجه[٣].

وقد جاء في صحيح ابن حبان أن أحد التابعين سأل عطاء بن رباح ـ وهو من أئمة التابعين ـ: هل يجوز للمرأة أن تنظر إلى فرج زوجها؟ فقال له: سألتُ عائشة رضي الله عنها، فذكرت لي هذا الحديث.

أي قولها: كُنَّا نغتسل مع رسول الله في إناء واحد[٤].

---

(١) إحياء علوم الدين (٥٠/٢).

(٢) رواه أبو الشيخ في أخلاق النبي (٧٤٠)، وقال الألباني في الضعيفة (١١٣٥): موضوع، آفته محمد بن القاسم الأسدي، هذا كذبه أحمد وقال: أحاديثه موضوعة، ليس بشيء.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الغسل (٢٨١)، ومسلم في الحيض (٣٣٧).

(٤) رواه ابن حبان في الحظر والإباحة (٥٥٧٧)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

فانظر إلى مثل هذا الإمام الجليل، كيف يسأل السيدة عائشة رضي الله عنها عن هذا الأمر، ولا يجد فيه حرجًا! لأنَّه يريد أن يعرف الحكم الشرعي في هذه المسألة: أهو حلال أم حرام؟ والسيدة عائشة أجابته بقولها: كنا نغتسل مع رسول الله في إناء واحد. ولذلك قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: «هو نص في المسألة. أي: إنَّه يجوز للرجل أن يرى فرج زوجته»[(١)].

وبعض العلماء في كتب الحنفية مثل كتاب «الدر للمختار شرح تنوير الأبصار» قال: «ويجوز للرجل أن ينظر إلى ما ظهر وبطن من جسم امرأته». لكن جاء الشارح فقال: «والأولى ترك هذا ـ أي: لا ينظر إلى فرجها ـ لأنَّه يورث النسيان، وقيل: إنَّه يورث ضعف البصر»[(٢)]. فعلّل بتعليلات غير شرعية، ولم يثبتها الواقع ولا العلم.

وإمام المذهب أبو حنيفة رحمه الله تعالى سُئل: هل يجوز للرجل أن يمس فرج امرأته، أو هل للمرأة أن تمس فرج زوجها؟ فقال: نعم، ولعله أعظم للأجر[(٣)].

وأظن أنَّه يشير بقوله هذا إلى حديث: «**وفي بُضْع أحدكم صدقة**»[(٤)]؛ لأن هذا الأمر إذا كان يحرك المرأة لزوجها ويستثير الزوج لزوجته فهذا هو

---

(١) فتح الباري (٣٦٤/١).

(٢) الدر المختار شرح تنوير الأبصار لعلاء الدين الحصكفي صـ ٦٥٥، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

(٣) حاشية ابن عابدين رد المحتار على الدر المختار (٣٦٧/٦)، نشر دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

(٤) رواه مسلم في الزكاة (١٠٠٦)، وأحمد (٢١٤٧٣)، وابن حبان في النكاح (٤١٦٧)، والبيهقي في الزكاة (١٨٨/٤)، عن أبي ذر.

QaradawiBooks.com

المقصود والمطلوب؛ لأنَّ الإنسان رجلا ـ كان أو امرأة ـ إذا شبع جنسيًّا ممَّا أحل الله له، فإنه لا يفكر في الحرام، ولا تمتد عينه إلى الحرام.

وكذلك لم يثبت الحديث الذي رواه ابن ماجه: «**إذا أراد أحدكم جماع امرأته، فلا يتجردان تجرُّد البَعِيرين أو العَيْرين**»[١]. والعَير يعني الحمار.

وهذا الحديث ممَّا انفرد به ابن ماجه عن سائر كتب السنن، قال الإمام البوصيري في كتابه: «زوائد ابن ماجه»: هذا حديث ضعيف[٢]. وضعفه الحافظ العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء»، وضعفه في عصرنا الشيخ الألباني في كتابه «إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل»[٣]، وضعَّفه أكثر من واحد، فهو حديث ضعيف، لا يمكن أن يؤخذ منه حكم بالتحريم، حتى لو أخذنا بقول من قال: إنَّه حديث حسن ـ كمن يذهب إلى تحسين الأحاديث بأدنى شيء ـ فهو لا يدل إلَّا على الكراهة التنزيهية، والكراهة التنزيهية تزول بأدنى حاجة.

وكذلك الإمام ابن حزم ـ وهو إمام يأخذ بظواهر النصوص وحرفيتها ـ يرفض هذا كله، ويقول: هذا ليس له أصل في الشرع، ولم يصحَّ به نص، لا من قرآن، ولا من سنة، ولا من قول صاحب، وأعجب للذين يبيحون الجماع في الفرج ويحرمون النظر إليه![٤].

---

(١) رواه ابن ماجه في النكاح (١٩٢١).

(٢) مصباح الزجاجة للبوصيري (١٠٩/٢)، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، نشر دار العربية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ.

(٣) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للألباني (٢٠٠٩)، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

(٤) المحلى (١٦٥/٩) مسألة (١٨٧٥).

QaradawiBooks.com

ومن الآداب التي شرعها الإسلام هنا، أنَّه لا ينبغي للإنسان أن يأتي امرأته بدون مقدمات، فلا بد من تمهيدات حتى تستثار المرأة؛ لأنَّها تحتاج إلى وقت حتى تحضر شهوتها، فلا بد أن يداعبها ويكلمها حتى تكون حاضرة معه، ولا حياء في ذلك.

وقد ذكر القرآن الكريم في مقام آخر طريقة الأداء نفسها، فقال تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، فقد كان الأنصار مجاورين لليهود، واليهود من عادتهم أن يأتي الرجل امرأته بطريقة واحدة فقط، وأمَّا قريش فمن عادتهم أنهم يستمتعون بالنساء مقبلات ومدبرات ومستلقيات وعلى أيِّ شكل، فلما تزوج أحد المهاجرين امرأة من الأنصار، وأراد أن يجامعها كما هي عادة قريش، امتنعت المرأة عن ذلك؛ لأنَّها لم تعتد على هذه الطريقة، فبلغ الأمر النبي ﷺ، فنزلت هذه الآية: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾[1].

النهي عن الإتيان في الدبر:

أباح القرآن الكريم إتيان المرأة وهي مقبلة أو مدبرة، أو على جنب، أو مستلقية، أو على أي شكل كان، بشرط أن يكون الجماع في موضع الحرث؛ لأنَّ الله قال: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ﴾، والحرث هو الزرع. والمقصود مكان الزرع والإنبات، والدُّبُر ليس مكانًا للإنجاب!

(١) رواه أحمد (٢٦٦٠١)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والترمذي في التفسير (٢٩٧٩)، وقال: حديث حسن. والدارمي في الطهارة (١١١٩)، وقال: حسين أسد: إسناده صحيح. وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٢٣٥)، عن أم سلمة.

QaradawiBooks.com

وقد قال الله تعالى عن المحيض: ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فكيف بالمكان الذي هو أصل موضع القذارة بطبيعته؟ وقد سمَّى سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما هذا الفعل باللُّوطية الصغرى[١]؛ لأنَّه أشبه بعمل قوم لوط، ولذلك جاء التحريم في عدد من الأحاديث، وإن كان فيها شيء من الضعف، ولكن يقوِّي بعضُها بعضًا، وبعضها ثابت بأحاديث موقوفة عن ابن عباس وعبد الله بن عمرو، والأحاديث الموقوفة في هذا لها حكم الرفع.

ومن الأحاديث التي جاءت في تحريم هذا الأمر حديث أبي هريرة مرفوعًا: «**لا ينظر اللهُ إلى من أتى امرأته في دُبُرها**»[٢].

«**ملعونٌ مَنْ أتى امرأته في دُبُرها**»[٣]. «**اتقِ الحَيْضةَ والدُّبُر**»[٤]. فهذه الأحاديث كلها تؤكد تحريم هذا الأمر.

---

(١) روي ذلك عنه مرفوعا وموقوفا: فرواه مرفوعا أحمد (٦٧٠٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن، وقد اختلف في رفعه ووقفه، والموقوف أصح. والنسائي في الكبرى في عشرة النساء (٨٩٤٧)، ورواه موقوفا ابن أبي شيبة في النكاح (١٧٠٧٢)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٤٤٢٥)، ورجح الموقوف ابن حجر في التخليص الحبير (٣٩١/٣).

(٢) رواه أحمد (٧٦٨٤)، وقال مخرِّجوه: حسن. والنسائي في الكبرى كتاب عشرة النساء (٨٩٦٢)، وابن ماجه في النكاح (١٩٢٣)، وفي الزوائد: إسناده صحيح. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٠٢)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أبو داود في النكاح (٢١٦٢)، والنسائي في الكبرى في عشرة النساء (٨٩٦٦)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٨٩)، عن أبي هريرة.

(٤) رواه أحمد (٢٧٠٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والترمذي في تفسير القرآن (٢٩٨٠)، وقال: حسن غريب. والنسائي في الكبرى في عشرة النساء (٨٩٢٨). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٨٦٣): رجاله ثقات. وقال ابن حجر في الفتح (١٩١/٨): طرقها كثيرة، فمجموعها صالح للاحتجاج. وحسَّنه الألباني في غاية المرام (٢٣٦)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

الاستمتاع بالزوجة أثناء الحيض:

قال الغزالي: ولا يأتيها في المحيض، ولا بعد انقضائه وقبل الغسل، فهو محرم بنص الكتاب[١]، وهو يسبب كثيرًا من الأمراض الصحية.

وله أن يستمتع بجميع بدن الحائض، ولا يأتيها في غير المأتى؛ إذ حرم غشيان الحائض لأجل الأذى، والأذى في غير المأتى دائم، فهو أشد تحريمًا من إتيان الحائض. وقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]. أيْ: أيَّ وقت شئتم[٢].

وقد استنبط العلماء من هذه الآية: ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ تحريم الإتيان في الدبر. أمَّا إذا وجد الاستمتاع دون الجماع، فحكمه كحكم الاستمتاع بالمرأة في فترة الحيض. وقد قال الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. وجاء تفسير هذا في قوله عليه الصلاة والسلام: «**اصنعوا كلَّ شيءٍ إلَّا النكاح**»[٣]. وقد كان من عادة اليهود أنَّ المرأة إذا حاضت ألا يساكنوها ولا يؤاكلوها، ولا يشربوا معها، على خلاف النصارى الذين ليس عندهم أي شيء ممنوع، حتى الجماع! فجاء الإسلام ونهى عن الجماع في وقت الحيض في موضع الحيض، وهو الفرج، وأباح الاستمتاع فيما دون ذلك إلَّا الدبر.

فيجوز للزوج أن يستمتع بزوجته الحائض، لكن بشرط أن يجتنب الفرج فقط، وهذا ما تميَّز به الإسلام عن اليهودية وعن النصرانية.

---

(١) انظر: مسألة وطء الزوجة قبل الغسل في كتابنا: فقه الطهارة صـ ٢٨١ وما بعدها، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٤، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٨م.

(٢) إحياء علوم الدين (٥٠/٢).

(٣) رواه مسلم في الحيض (٣٠٢)، وأحمد (١٢٣٥٤)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

فالنصرانية تجيز الجماع في الحيض، واليهودية تمنع أيَّ اقتراب من المرأة ولو بالأكل أو الشرب أو غير ذلك، أمَّا الإسلام فلم يحرم إلَّا جماع الحائض في الفرج.

وقد قال النبي ﷺ للسيدة عائشة رضي الله عنها: «**أعطيني هذه الخُمْرة**» أي: الغطاء. فقالت: يا رسول الله، إنِّي حائض. فقال لها: «**إن حِيضَتك ليست في يَدِكِ**»[(١)].

وقالت السيدة عائشة: كنت أشرب من القَدَح الذي يشرب منه الرسول ﷺ، وكان يشرب من ورائي، وكان يضع فاه موضع فيَّ وأنا حائض[(٢)]. أي يشرب من المكان الذي منه شربت، وهذا نوع من المؤانسة، وقد جاء في الحديث: «**إنَّ الرجل ليؤجر في كلِّ شيء، حتى في اللُّقْمة يضعُها في فم امرأته**»[(٣)]؛ لأنَّه يريد أن يدخل السرور على امرأته، ويزيد الرابطة بينهما، ويوثق المودة بينهما، فهو مأجور على هذا كله.

قال الغزالي: «وله أن يستمني بيديها، وأن يستمتع بما تحت الإزار بما يشتهي، سوى الوقاع.

وينبغي أن تأتزر المرأة بإزار من حِقوها إلى ما فوق الركبة في حال الحيض، فهذا من الأدب.

وله أن يؤاكل الحائض، ويخالطها في المضاجَعة وغيرها، وليس عليه اجتنابها.

---

(١) رواه مسلم في الحيض (٢٩٨)، وأحمد (٢٤١٨٤)، وأبو داود (٢٦١)، والترمذي (١٣٤)، كلاهما في الطهارة.

(٢) سبق تخريجه صـ٢٧٨.

(٣) سبق تخريجه صـ٢٥٦.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وإن أراد أن يجامع ثانيًا بعد أخرى فليغسل فرجه أولًا، وبعد الجماع في أول الليل، لا ينام على غير طهارة، فإن أراد النوم أو الأكل، فليتوضأ وضوء الصلاة، فذلك سُنَّة.

قال ابن عمر: قلت للنبي ﷺ: أينام أحدنا وهو جُنُب؟ قال: «**نعم إذا توضأ**»[(١)(٢)].

النهي عن إفشاء الأسرار التي تتعلق بالمعاشرة الزوجية:

جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «**إن من شَرِّ الناس منزلة عند الله يوم القيامة: الرجلُ يُفضي إلى امرأته وتُفْضي إليه، ثم ينشرُ سرَّها**»[(٣)].

أي: يتحدث بما حصل بينهما خلال هذا اللقاء الجنسي.

ولقد سأل النبي ﷺ الصحابة، فقال: «**هل مِنْكُم الرجلُ إِذا أتى أهله فأغلق عليه بابه، وأَلْقَى عليه سِتْرَه، واسْتَتَرَ بسِتْر الله؟**» قالوا: نعم. قال: «**ثم يجلس بعد ذلك، فيقول: فعلْتُ كذا، فعلتُ كذا؟**» فَسَكَتوا، ثم أقبلَ على النساء، فقال: «**هل مِنْكُنَّ من تُحَدِّثُ؟**» فسكَتْنَ، فجثَتْ فَتاة كَعاب ـ أي شابَّة ـ على إِحدى رُكْبَتَيْها، وتطاولت لرسولِ الله ﷺ ليراها، ويَسمعَ كلامها، فقالت: يا رسول الله، إِنَّهم ليتحَدَّثون، وإِنَّهُنَّ ليتحَدَّثْنه. فقال: «**هل تدرون ما مَثَلُ ذلك؟ إِنَّما مَثَلُ ذلك، مَثَلُ شيطانة لقيَتْ شيطانا في السِّكّةِ، فقضى منها حاجتَه، والناسُ ينظرون إِليه**»[(٤)]. فانظر إلى هذا

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الغسل (٢٨٧)، ومسلم في الحيض (٣٠٦).

(٢) الإحياء (٥٠/٢).

(٣) راه مسلم في النكاح (١٤٣٧)، وأحمد (١١٦٥٥)، عن أبي سعيد الخدري.

(٤) رواه أبو داود في النكاح (٢١٧٤)، وصحَّحه الألباني في الإرواء (٢٠١١)، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

التشـــبيه كأنَّ المرأة التي تتحدث عما حدث بينها وبين زوجها، والرجل الذي يتحدث عما حدث بينه وبين زوجته مثل الشـــيطان والشـــيطانة، والمقصود من التحدث هنا؛ هـــو التحدث بتفاصيل العلاقة الخاصة بين الزوجين لغير حاجة، أمَّا إذا تحدّث لحاجـــة، فلا بأس، كما حَدَث أمام النبي ﷺ، عند ما جاءت المرأة تشكو إليه زوجها وعجزه، فقال الزوج: «**والله يا رسول الله، إنِّي لأَنْفُضها نَفْضَ الأديم**»[1]. أي: يدافع بكلامه هذا عن رجولته. لكن في الحالة العادية لا ينبغي أن يذكر الإنسان هذا، ولا ينبغي إذا ذَكَر أن يذكر تفصيل ما جرى من حديث بينهما من أصوات أو كلام أو غيـــر ذلك، فهذا لا يليق، ولا لأخـــص الأصدقاء، وهذه العلاقة الجنســـية ينبغي أن تكون ســـرًّا بين الرجـــل وامرأته، والإســـلام يحرم إفشاءها، ويعتبر من فعل ذلك من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة.

حكم العزل عن المرأة:

قال الإمام الغزالـــي: «ومن الآداب: ألَّا يعزل، بل لا يســـرح إلَّا إلى محل الحرث، وهو الرحم، فما من نســـمة قدر الله كونها إلَّا وهي كائنة. هكذا قال رسول الله ﷺ[2].

فإن عزل فقد اختلف العلماء في إباحته وكراهته على أربع مذاهب: فمِن مبيح مطلقًا بكل حـــال، ومن محرم بكل حـــال، ومن قائل: يحل برضاها، ولا يحـــل دون رضاهـــا. وكأن هذا القائل يُحـــرِّم الإيذاء دون العزل، ومن قائل: يباح في المملوكة دون الحرَّة.

---

(١) رواه البخاري في اللباس (٥٨٢٥)، عن عائشة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في العتق (٢٥٤٢)، ومسلم في النكاح (١٤٣٨)، عن أبي سعيد.

QaradawiBooks.com

قال الغزالي: والصحيح عندنا أن ذلك مباح، وليس هذا كالإجهاض والوأد؛ لأن ذلك جناية على موجود حاصل، وله أيضًا مراتب.

وأول مراتب الوجود: أن تقع النطفة في الرحم، وتختلط بماء المرأة، وتستعد لقبول الحياة وإفساد ذلك جناية، فإن صارت مضغةً وعلقةً كانت الجناية أفحش، وإن نفخ فيه الروح، واستوت الخلقة، ازدادت الجناية تفاحشًا، ومنتهى التفاحش في الجناية بعد الانفصال حيًّا.

قال الغزالي: فإن قلتَ: فإن لم يكن العزل مكروهًا من حيث إنَّه دفع لوجود الولد، فلا يبعد أن يكره لأجل النيَّة الباعثة عليه، إذ لا يبعث عليه إلَّا نيَّة فاسدة، فيها شيء من شوائب الشرك الخفي؛ فأقول: النيات الباعثة على العزل خمس:

الأولى: في السراريّ، وهو حفظ المِلْك عن الهلاك باستحقاق العِتَاق، وقصد استبقاء المِلْك بترك الإعتاق، ودفع أسبابه ليس بمنهيٍّ عنه.

الثانية: استبقاء جمال المرأة وسِمَنها، لدوام التمتع واستبقاء حياتها، خوفًا من خطر الطَّلْق، وهذا أيضًا ليس منهيًّا عنه.

الثالثة: الخوف من كثرة الحَرَج بسبب كثرة الأولاد، والاحتراز من الحاجة إلى التعب في الكسب، ودخول مداخل السوء، وهذا أيضًا غير منهيٍّ عنه، فإن قلة الحَرَج مُعين على الدين. نعم الكمال والفضل في التوكُّل والثقة بضمان الله، حيث قال: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود: ٦]. ولا جرم فيه سقوط عن ذروة الكمال، وترك الأفضل، ولكن النظر إلى العواقب وحفظ المال وادخاره مع كونه مناقضًا للتوكل، لا نقول: إنَّه منهيٌّ عنه.

QaradawiBooks.com

الرابعة: الخوف من الأولاد الإناث، لما يعتقد في تزويجهنَّ من المعرَّة، كما كانت من عادة العرب في قتلهم الإناث، فهذه نيَّة فاسدة، لو ترك بسببها أصل النكاح، أو أصل الوقاع، أثِمَ بها، لا بترك النكاح والوطء، فكذا في العزل.

والفساد في اعتقاد المعرَّة في سُنَّة رسول الله ﷺ أشد، ويُنَزَّل منزلة امرأة تركت النكاح استنكافًا من أن يعلوها رجل، فكانت تتشبه بالرجال، ولا ترجع الكراهة إلى عين ترك النكاح.

الخامسة: أن تمتنع المرأة لتعزُّزها ومبالغتها في النظافة والتحرز من الطلق والنفاس والرضاع.

وفي المتفق عليه في الصحيحين، عن جابر أنَّه قال: كنا نعزل على عهد الرسول ﷺ والقرآن ينزل[١].

وفي لفظ: كُنَّا نعزل، فبلغ ذلك نبي الله ﷺ، فلم ينهنا[٢]. وفيه أيضًا عن جابر أنَّه قال: إن رجلًا أتى رسول الله ﷺ، فقال: إن لي جارية خادمتنا وساقيتنا في النخل، وأنا أطوف عليها، وأكره أن تحمل، فقال عليه الصلاة والسلام: «**اعزلْ عنها إن شئت، فإنه سيأتيها ما قُدر لها**». فلبث الرجل ما شاء الله، ثم أتاه، فقال: إنَّ الجارية قد حملت، فقال: «**قد قلتُ: سيأتيها ما قُدر لها**»[٣]. كل ذلك في الصحيحين»[٤].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٢٠٨)، ومسلم (١٤٤٠)، كلاهما في النكاح.

(٢) رواه مسلم في النكاح (١٤٤٠).

(٣) رواه مسلم في النكاح (١٤٣٩)، وأحمد (١٤٣٤٦)، وأبو داود في النكاح (٢١٧٣).

(٤) الإحياء (٢/٥١ ـ ٥٣).

QaradawiBooks.com

١١ ـ الطلاق عند تعذر الوفاق:

قال الإمام الغزالي: «الطلاق مباح، ولكنَّه أبغض المباحات إلى الله تعالى، وإنَّما يكون مباحًا، إذا لم يكن فيه إيذاء بالباطل، ومهما طلقها فقد آذاها، ولا يباح إيذاء الغير إلَّا بجناية من جانبها أو بضرورة من جانبه، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٣٤]. أي: لا تطلبوا حيلة للفراق. وإن كان الأذى من الزوج، فلها أن تفتدي ببذل مال، ويُكره للرجل أن يأخذ منها أكثر ممَّا أعطى، فإن ذلك إجحاف بها، وتحامل عليها، لقوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

فإن سألت الطلاق بغير ما بأس فهي آثمة، قال ﷺ: «**أيُّما امرأةٍ سألت زوجها طلاقها من غير ما بأس، لم تَرَحْ رائحة الجنة**»[(١)]. وفي لفظ آخر: «**فالجنة عليها حرام**».

ثم ليراع الزوج في الطلاق أربعة أمور:

الأول: أن يطلقها في طُهر لم يجامعها فيه، فإنَّ الطلاق في الحيض أو الطهر الذي جامع فيه بدْعيٌّ حرام، لما فيه من تطويل العدَّة عليها؛ فإن فعل ذلك، فليراجعها. فقد طلق ابن عمر زوجته في الحيض، فقال ﷺ لعمر: «**مُرْه فليراجعْها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء طلقها وإن شاء أمسكها، فتلك العِدَّة التي أمر الله أن يُطْلَق لها النساء**»[(٢)]. وإنَّما أمره بالصبر بعد الرجعة طُهرين، لئلا يكون مقصود الرجعة الطلاق فقط.

---

(١) رواه أحمد (٢٢٣٧٩)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وأبو داود (٢٢٢٦)، والترمذي (١١٨٧)، وقال: حديث حسن. وابن ماجه (٢٠٥٥)، ثلاثتهم في الطلاق، عن ثوبان.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٢٥١)، ومسلم (١٤٧١)، كلاهما في الطلاق.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الثاني: أن يقتصر على طلقة واحدة، فلا يجمع بين الثلاث؛ لأنَّ الطلقة الواحدة بعد العدَّة تفيد المقصود، ويستفيد بها الرجعة، إن ندم في العدة، وتجديد النكاح إن أراد بعد العدة[١].

الثالث: أن يتلطف في التعلل بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف، وتطييب قلبها بهدية على سبيل الإمتاع والجبر، لما فجعها به من أذى الفراق. قال تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٦]. وذلك واجب مهما لم يُسَمَّ لها مهرٌ في أصل النكاح. والقصد من هذا بيان أنَّ الطلاق مباح[٢]» اهـ[٣].

المتعة للمرأة المطلقة:

وقد أوجب الله تعالى المتاع للمرأة المطلقة، فقال: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٤١]، ولذلك رآه بعض السلف واجبًا لكل مطلقة، وهو ما أرجِّحه، وهو ظاهر القرآن، وكلما طال بقاء المرأة مع الرجل، ولم يصدر منها شيء يدفعه لطلاقها، ازداد حقها ثبوتًا.

---

(١) الذي نراه أن طلاق الثلاث في لفظ واحد يقع طلقة واحدة، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ الثلاث كانت تجعل واحدة على عهد النبي ﷺ، وعهد أبي بكر رضي الله عنه، وسنتين من خلافة عمر رضي الله عنه. فقال عمر بن الخطاب: إنَّ الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليهم، فأمضاه عليهم. رواه مسلم في الطلاق (١٤٧٢). ولما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن أبا ركانة طلق امرأته ثلاثًا، فردها عليه النبي ﷺ وقال: «**إنَّها واحدة**». رواه أحمد (٢٣٨٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وقال ابن القيم في إعلام الموقعين (٣١/٣): وقد صحح الإمام أحمد هذا الإسناد وحسَّنه. وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في كتابه نظام الطلاق صـ ٤٢، نشر دار الطباعة القومية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٩هـ.

(٢) الأصل في الطلاق: أنَّه لا يجوز لغير سبب، والواجب على كل من الزوجين أن يصبر على صاحبه، ولا يجوز أن يكون الزواج لعبة عند بعض الرجال، يتزوج المرأة أشهرا ـ بل ربما أياما ـ ثم يطلقها ويستمتع بغيرها، على طريقة الذواقين والذواقات. ولذلك كان التفريق بين المرء وزوجه من كبائر الإثم.

(٣) إحياء علوم الدين (٥٥/٢ ـ ٥٦) بتصرف.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قال أبو حامد: «وقد وعد الله الغنى في الفراق والنكاح جميعًا فقال: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٢]، وقال ﷻ: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٠]

الرابع: ألا يفشي سرها، لا في الطلاق، ولا عند النكاح، فقد ورد في إفشاء سر النساء في الخبر الصحيح وعيد عظيم[(١)].

ويروى عن بعض الصالحين أنَّه أراد طلاق امرأة، فقيل له: ما الذي يريبك فيها؟ فقال: العاقل لا يهتك ستر امرأته. فلما طلقها قيل له: لِمَ طلقتها؟ فقال: ما لي ولامرأة غيري؟!

فهذا بيان ما على الزوج»[(٢)].

* * *

(١) إشارة إلى الحديث: «**إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة، الرجل يفضي إلى امرأته، وتفضي إليه، ثم ينشر سرها**». رواه مسلم في النكاح (١٤٣٧)، وأحمد (١١٦٥٥)، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) إحياء علوم الدين (٥٦/٢).

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

آداب الزوجة مع الزوج

كما أن على الزوج آدابًا تجاه زوجته، حثه الإسلام على التمسك بها، فكذلك على الزوجة آداب يجب عليها أن تتمسك بها، فكل حق أمامه واجب، وكل أدب على الزوج في مقابله أدب على الزوجة، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

١ ـ طاعة الزوج:

يقول الغزالي: «على الزوجة طاعة الزوج مطلقًا في كل ما طلب منها في نفسها، ممَّا لا معصية فيه.

وقد ورد في تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة:

قال ﷺ: «**أيُّما امرأةٍ ماتت وزوجُها عنها راضٍ دخلت الجَنَّة**»(١).

وقد أضاف النبي ﷺ طاعة الزوج إلى مباني الإسلام. قال ﷺ: «**إذا صلَّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، دخلت جنَّة ربِّها**»(٢).

---

(١) رواه الترمذي في الرضاع (١١٦١)، وقال: حديث حسن غريب. وابن ماجه في النكاح (١٨٥٤)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. عن أم سلمة.

(٢) رواه أحمد (١٦٦١)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والطبراني في الأوسط (٨٨٠٥)، قال الهيثمي =

نسخة عربية

وقال ﷺ: «**اطَّلعتُ في النار، فإذا أكثر أهلِها النساء**». فقلن: لِمَ يا رسول الله؟ قال: «**يُكثرن اللعنة، ويَكْفُرْن العشير**»[(١)]. يعني: الزوج المعاشر.

وقال ﷺ: «**لو أمرتُ أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عِظَم حَقِّه عليها**»[(٢)].

٢و٣ ـ الصيانة والستر، وترك المطالبة بما وراء الحاجة:

وأهم آداب المرأة مع زوجها أمران: أحدهما: الصيانة والستر. والآخر: ترك المطالبة بما وراء الحاجة، والتعفُّف عن كسبه إذا كان حرامًا.

وهكذا كانت عادة النساء في السلف، كان الرجل إذا خرج من منزله تقول له امرأته أو ابنته: إيَّاك وكسب الحرام، فإنا نصبر على الجوع والضُّر، ولا نصبر على النار.

وهمَّ رجلٌ من السلف بالسفر، فكره جيرانه سفره، فقالوا لزوجته: لم ترضَين بسفره، ولم يدع لك نفقة؟ فقالت: زوجي منذ تزوجته وعرفته، عرفته أكَّالًا وما عرفته رزاقًا، ولي رب رزَّاق، يذهب الأكَّال، ويبقى الرزاق!

٤ ـ أن تحفظ على الزوج ماله ولا تفرط فيه:

ومن الآداب: ألا تفرط في ماله، بل تحفظه عليه.

= في مجمع الزوائد (٧٦٣٤): فيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح. عن عبد الرحمن بن عوف.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٢٩)، ومسلم في العيدين (٨٨٤)، عن ابن عباس.

(٢) رواه أحمد (١٢٦١٤)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وصحَّحه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب (١٩٣٦)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

قال رسول الله ﷺ: «**لا يحلُّ لها أن تُطعم من بيته إلَّا بإذنه، إلَّا الرَّطب من الطعام الذي يخاف فساده، فإن أطعمت عن رضاه، كان لها مثل أجره، وإن أطعمت بغير إذنه كان له الأجر وعليها الوزر**»[١].

من وصايا الآباء لبناتهم عند الزواج:

رُوِيَ أن أسماءَ بن خارجة الفزاري قال[٢] لابنتها عند التزويج: إنكِ خرجتِ من العُشِّ الذي فيه درجتِ، فصرتِ إلى فِراش لم تَعْرفيه، وقَرينٍ لم تَألفيه، فكوني له أرضًا يكن لك سماء، وكوني له مهادًا يكن لك عمادًا، وكوني له أَمَة يكن لك عبدًا، لا تُلحفي به فيَقْلَاكِ، ولا تَباعدي عنه فينساك، إن دنا منكِ فاقربي منه، وإن نأى فابعُدي عنه، واحفظي أنفه وسمعه وعينه، فلا يشمنَّ منك إلَّا طيبًا، ولا يسمع إلَّا حُسْنًا، ولا ينظر إلَّا جميلًا.

وصية رجل لزوجته:

وقال رجل لزوجته:

خذي العفو مِنِّي تستديمي مودَّتي ... ولا تنطقي في سَوْرتي حينَ أغضبُ
ولا تنقُريني نقرَك الدّفَّ مرةً ... فإنك لا تدرين كيف المُغيَّبُ
ولا تكثري الشكوى فتذهب بالهوى ... ويأباكِ قلبي والقلوبُ تَقَلَّبُ
فإني رأيتُ الحبَّ في القلب والأذى ... إذا اجتمعا لم يَلْبَثِ الحُبَّ يذهبُ[٣]

---

(١) رواه الطيالسي (٩٧٠٩)، وعبد بن حميد (٨١٣)، عن ابن عمر.

(٢) في الأصل: أسماء بنت خارجة قالت. والمثبت الصواب.

(٣) نسبه الخالديان في حماستهما إلى أبي الأسود الدؤلي (١٠١/١)، تحقيق: د. محمد علي دقة، نشر وزارة الثقافة، سوريا، ١٩٩٥م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٥ ـ تقدير المرأة لزوجها وعدم التفاخر عليه:

ومن آدابها: ألا تتفاخر على الزوج بجمالها، ولا تزدري زوجها لقبحه، فقد روي أنَّ الأصمعي قال: دخلت البادية، فإذا أنا بامرأة من أحسن الناس وجهًا، تحت رجل من أقبح الناس وجهًا، فقلت لها: يا هذه، أترضين لنفسك أن تكوني تحت مثله؟ فقالت: يا هذا اسكت، فقد أسأتَ في قولك، لعله أحسن فيما بينه وبين خالقه، فجعلني ثوابه، أو لعلِّي أسأتُ فيما بيني وبين خالقي، فجعله عقوبتي، أفلا أرضى بما رضي الله لي. فأسكتتني.

وقال الأصمعي: رأيت في البادية امرأة عليها قميص أحمر، وهي مختضبة، وبيدها سبحة، فقلت: ما أبعد هذا من هذا؟ فقالت:

ولله منِّي جانبٌ لا أضيِّعُه وللهْوِ منِّي والبطالةِ جانبُ!

فعلمت أنَّها امرأة صالحة لها زوج تتزين له.

٦ ـ الانبساط في حضرة الزوج والانقباض في غيبته:

ومن آداب المرأة: ملازمة الصلاح والانقباض في غيبة زوجها، والرجوع إلى اللعب والانبساط وأسباب اللذة في حضور زوجها، ولا ينبغي أن تؤذي زوجها بحال. فعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلَّا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتَلَكِ اللهُ، فإنما هو عندَكِ دخيلٌ، يوشك أن يفارِقَكِ إلينا**»[1].

(١) رواه أحمد (٢٢١٠١)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والترمذي في الرضاع (١١٧٤)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه في النكاح (٢٠١٤)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٧٣)، عن معاذ بن جبل.

QaradawiBooks.com

القول الجامع في آداب المرأة:

أن تكون قليلة الكلام لجيرانها، لا تدخل عليهم إلَّا في حال يوجب الدخول، تحفظ بعلها في غَيْبته، وتطلب مسـرَّته في جميع أمورها، ولا تخونه في نفسـها وماله، ولا تخرج من بيتها إلَّا بإذنه، تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والأسواق، محترزة من أن يسمع غريب صوتها أو يعرفها بشخصها[1]، همُّها صلاح شأنها، وتدبير بيتها، مُقبلة على صلاتها وصيامها، وتكون قانعةً من زوجها بمـا رزق الله، وتُقدِّم حقه على حق نفسها، وحق سائر أقاربها، متنظفة في نفسها، مستعدَّة في الأحوال كلها للتمتع بها إن شاء، مشـفقة على أولادها، حافظة للستر عليهم، قصيرة اللسان عن سبِّ الأولاد ومراجعة الزوج.

٧ ـ خدمة منزل زوجها بما تقدر عليه:

ومن آدابها: أن تقوم بكل خدمة في الدار تقدر عليها، فقد رُوِيَ عن أسـماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أنَّها قالت: تزوَّجَني الزبير وما له في الأرض من مال، ولا مملوك، ولا شـيء، غير فرسـه وناضحه، فكنتُ أعلف فرسـه، وأكفيه مؤنته وأسوسـه، وأدق النوى لناضحـه وأعلفه، وأسـتقي الماء، وأخرز غرْبَه وأعجن، وكنت أنقل النوى على رأسي من ثلثي فرسخ. حتى أرسـل إليَّ أبو بكر بجارية، فكفتني سياسة الفرس، فكأنما أعتقني.

(١) لم يعد هذا التحفظ الشديد مطلوبًا في عصرنا هذا الذي تعلمت فيه المرأة كما يتعلم الرجل، وذهبت إلى المدارس والجامعة، وسافرت إلى أقطار العالم، وشاركت في ندوات ومؤتمرات صغيرة وكبيـرة، فلا بد لمن يتحدث اليوم عن المرأة أن يعـرف أننا في عصر غير العصور الأولى، والأحكام لها تأثر وتغير بتغيُّر الزمان والمكان والحال.

QaradawiBooks.com

ولقيني رسول الله ﷺ يومًا ومعه أصحابه، والنوى على رأسي، فقال ﷺ: «**إخْ إخْ**». لينيخ ناقته، ويحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرتُ الزبير وغيرته، وكان أغير الناس، فعرف رسول الله ﷺ أنِّي قد استحييتُ. فجئتُ الزبير، فحكيت له ما جرى، فقال: والله لحملُكِ النوى على رأسك أشدُّ عليَّ من ركوبكِ معه[(١)].

٨ ـ الحداد على الزوج:

وممَّا يجب عليها من حقوق النكاح إذا مات عنها زوجها: ألا تحدَّ عليه أكثر من أربعة أشهر وعشر، وتتجنب الطيب والزينة في هذه المدة، قالت زينب بنت أبي سلمة: دخلت على أم حبيبة زوج النبي ﷺ، حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب، فدعت بطيب فيه صفرةٌ: خَلُوقٌ أو غيره، فدهنتْ به جارية، ثم مسَّت بعارضيها، ثم قالت: والله ما لي بالطيب من حاجة، غير أنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يحلُّ لامرأةٍ تؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ أن تُحِدَّ على ميتٍ أكثر من ثلاثة أيام، إلَّا على زوجٍ أربعةَ أشهر وعشرًا**»[(٢)]. ويلزمها لزوم مسكن النكاح إلى آخر العِدَّة، وليس لها الانتقال إلى أهلها، ولا الخروج إلَّا لضرورة»[(٣)].

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٢٢٤)، ومسلم في السلام (٢١٨٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٢٨١، ١٢٨٢)، ومسلم في الطلاق (١٤٨٦)، عن أم حبيبة أم المؤمنين.

(٣) إحياء علوم الدين (٥٦/٢ ـ ٦٠) بتصرف.

QaradawiBooks.com

الفصل الثالث

أدب الأبوة والأُمُومة

ومن الآداب التي تدخل تحت (آداب الأُسْرة) أدب الأبوة، وأدب الأمومة، أو «أدب الأبوين»، كما يعبر العرب تغليبًا لمعنى الأب، أو «أدب الوالدين»، تغليبًا لمعنى الأم، فإنَّ الأب لا يلد.

ولكن الأبوة والأمومة مطلوب منهما أن يرْعيَا البنوة، وبعضُ العلماء قال: إنَّ الإسلام أوصَى الأولاد بالوالدين لِمَا يخشى مِن جفاء الأولاد أو عقوقهم، ولكنَّه لم يوصِ الوالدين بالأولاد لِما في فطرة الآباء والأمهات مِن حبِّ الأولاد، وضرورة العناية بهم، فلا يحتاجون إلى وصيَّة.

وهذا صحيح في الجملة، ولكن التنبيه مطلوبٌ، وخصوصًا عند ما تنحرف بعض الأنفُس عن الفطرة، ويدخل الشياطين بوسوساتهم في إفساد الضمائر وتخريب البصائر.

ولهذا وجدنا من التوجيهات والأوامر والنواهي ما يوصي الآباء بشؤون أولادهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]. ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١]. والإملاق هو الفقر.

QaradawiBooks.com

وذكر القرآنُ ضلالاتِ العرب في الجاهليـــة ومآثمَهم مع أولادهم، فقال: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٠].

وخصوصًا ما كان منهم بحقِّ الإناث، بحكم نظرة الجاهلية القاصرة للأنثى، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨ ـ ٩].

مِن أدب الأبوة والأمومة:

مِن أدب الأبوة: أن يفرح الأبُ والأم بمـــا يرزقهما الله به مِن أولاد، ذكورًا كانوا أو إناثًا، وألَّا يكونا كما كان العرب الجاهليون يتشاءَمُون من الإناث، حتى اعتبروا ولادة الأنثَى عارًا لهم، أو نكْبةً عليهم.

قيل لأحد الأعراب، وقد أُخبر بولادة امرأته، فســألهم: ماذا ولدتْ؟ قالوا: أنثى. قال: ما هي بنعم الولَد. نصرُها بكاءٌ، وبرُّها سرقةٌ!

فهو يعتبر أن ما تعطيه بنتُه له من مالِ زوجِها سرقةً مِن زوجها، ولا تنصرُه بركوبِ فرسٍ، أو حمْل سيفٍ، بل بالبكاء والصراخ.

وهو ما عبر عنـــه القرآن بقوله تعالـــى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩].

انظر إلى هذا الوصف القرآني الرائـــع، الذي يصف لنا هذه الصورة الكئيبة، لهذا الأب بعدما بشَّروه بولادة امرأته بأنثى، كيف تغيَّر وجهُه، وتغيرتْ نفسُه، وتغيَّر تفكيرُه، وتغيَّر سلوكه: اسودَّ وجهُه، وكظمتْ نفسُه، وكأنَّما ارتكب جريمةً حسِّـيَّة يُســتحيا منها، فهو يتــوارى من الناس، ويختبئ مِن مقابلتهم، ويفكِّر في هذا المخلوق الجديد، ماذا يصنع به؟

QaradawiBooks.com

أيربيه وينميه بما معه من الذل والهوان أنَّه أب لأنثى، أمْ يتخلَّص مِن هذه الفضيحة، ويدسُّ هذا المخلوق في التراب، ويدفنه كما يدفن الموتى؟ آلا ساء ما يحكمون.

وكثيرًا ما يختار بعضُ الناس الخصلةَ السيِّئة الرديئة: الدسَّ في التراب، فيقتل نفسًا بشريَّة حيَّة، لم ترتكب خطيئة، ولم تستحق قتلًا، فيقتلها؛ لأنَّه يخاف أن تزحمه في طعامه وشرابه وخبزه، وهو الأبُ الذي يُفترَض أن يحميَها بنفْسه، ويجوعَ لتشبع، وليتَه يقتلها بضربة سيفٍ تُريحها، بل يدفنها وهي حيَّة في التراب، وبئس هذا النوع من الموت! ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨ ـ ٩].

وقد كان كثير من العرب يكرهون البنات، أو يتشاءمون منهنَّ، ويخافون أن يجلبْن عليهم العار في المستقبل، فكان منهم مَن يقول: دفن البنات من المكرمات! وموت الحرة، أمان من المعرَّة!

تهوى حياتي، وأهوى موتَها شفقًا والموتُ أكْرمُ نزَّال على الحُرَمِ(١)

ولهذا كان يهنِّئون من تزوج بقولهم: بالرِّفَاء والبنين. يدعون له بالوفاق مع زوجته، وأن يُرزق البنين لا البنات، ولو حصل ذلك لتوقفتْ عَجَلة الحياة؛ لأنَّ الحياة لا تمضي إلَّا بالبنين والبنات معًا، وهذا ما تقوله الحدوته المصرية: وعاشوا في تباتٍ ونبات، وخلَّفوا صبيانًا وبنات.

ولذلك غيَّر النبي ﷺ تهنئتهم المتوارثة مِن الجاهلية، بتهنئة إسلاميَّة أخرى، وهي أن تقول للمتزوج: «**بارك اللهُ لكَ، وبارك عليكَ، وجمع**

(١) نسبه ابن المعتز لمحمد بن يسير الرياشي، انظر: طبقات الشعراء صـ ٢٨١، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، نشر دار المعارف، القاهرة، ط ٣. ونسبه أبو تمام لإسحاق بن خلف، انظر: الحماسة (١٦٥/١)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد الرحيم العسيلان، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٩٨١م.

QaradawiBooks.com

بينكما في خير»[1]. ومـا أجمل هذا الدعاء الذي فيـه البركة له وعليه، والجمع بينهما في خير.

البناتُ كالأبناء نعمةٌ مِن الله:

ولذلك رأينا القرآن الحكيم يؤكد: أن كلًّا مِـن البنين والبنات نعمةٌ من الله تعالى، كما قال سـبحانه: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

ومن اللطائف اللفظية في الآية أنَّها بدأتْ بهِبَةِ اللهِ للإناث أولًا، ولهذا قال نساء المسلمين: خيرُهن مَن بكَّرتْ بأنثى.

وقد ذكَر اللهُ لنا في سـورة آل عمران، قصة امـرأة عمران، وولادتها لمريم أُمِّ المسيح عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٥ ـ ٣٧].

فانظرْ إلى هذه القصة الجميلة لآل عمران، الذين اصطفاهم الله تعالى، كما اصطفى آل إبراهيم، وكما اصطفى آدمَ ونوحًـا، ويبدأ القصة بامرأة عمران، وعمران زوجها الذي لا نعرف له غير اسـمه، الذي تنسـب إليه الأُسْرة، وتنسب إليه سـورة آل عمران، والذي نذَرَتْ امرأته ما في بطنها ليخدُم المعبد أو المسجد، فهي ظنَّتْه ولدًا ذكرًا، ولكن قدَّر الله أن تكون

(١) سبق تخريجه صـ٣٣٦.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أنثَى، فلمَّا وضعتْها سمَّتْها: مريم، وأعاذتها وذرِّيَّتَها بالله من الشيطان الرجيم، وهيَّأتْ لها التربية المثمرة في رعاية نبي الله زكريا عليه السلام ...

وكانت هذه المولودة المباركة مريم الصديقة أم المسيح، التي قالت لها الملائكة: ﴿يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢ ـ ٤٣].

تربية البنات وتثقيفهن فيه الأجر الكبير:

وقد أكَّد الإسلامُ: أن من يرزقه اللهُ البنات، فلا ينبغي أن يضيق بذلك، كما كان يفعل كثير من الجاهليين، بل يجب أن يعتقد أن له في ذلك أجرًا كبيرًا عند الله تبارك وتعالى.

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: دخلتْ امرأةٌ معها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندي شيئًا غيرَ تمرةٍ، فأعطيتُها إياها، فقسمتْها بين ابنتيها، ولم تأكل منها، ثم قامتْ فخرجتْ، فدخل النبي ﷺ علينا، فأخبرتُه فقال: «**مَن ابتُلي من هذه البنات بشيء، كنَّ له سِتْرًا من النار**»[(١)].

وعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن عالَ جاريتين حتى تبلغَا، جاء يوم القيامة أنا وهو هكذا**». وضمَّ أصابعه[(٢)].

وفي رواية الترمذي: «**دخلتُ أنا وهو الجَنَّة كهاتين**». وأشار بأصبعيه.

وفي رواية أحمد: «**مَن عال ابنتين أو ثلاث بنات، أو أختين، أو ثلاث أخوات، حتى يبِنَّ، أو يموتَ عنهنَّ، كنتُ أنا وهو كهاتين**». وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى[(٣)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٤١٨)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٢٩).

(٢) رواه مسلم (٢٦٣١)، والترمذي (١٩١٤)، كلاهما في البر والصلة، وأحمد (١٢٤٩٨).

(٣) رواه أحمد (١٢٤٩٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وابن حبان في البر والإحسان (٤٤٧).

QaradawiBooks.com

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**مَن كان له ثلاثُ بناتٍ، فصبَرَ على لأْوائِهنَّ وضرَّائِهنَّ وسرَّائهنَّ، أدخله الله الجنة بفضْل رحمتِه إياهن**» فقال رجل: أو ثنتان يا رسول الله؟ قال: «**أو اثنتان**» فقال رجل: أو واحدة يا رسول الله؟ قال: «**أو واحدة**»(١).

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن كان له ثلاث بنات يُؤويهنَّ ويَكْفِيهنَّ ويرحمهن، فقد وجبتْ له الجنةُ البتة**». فقال رجل من بعض القوم: وثِنْتين، يا رسول الله؟ قال: «**وثِنْتين**»(٢).

وعن عُقْبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن كان له ثلاث بنات، فصبر عليهن، وأطعمهن، وسقاهن، وكساهن مِن جِدَتِه: كُنَّ له حجابًا من النار يوم القيامة**»(٣).

ما صنعه الإسلام بالآباء بالنسبة للبنات:

إذا كنَّا رأينا الجاهلية تضيق ذرعًا بولادة البنات، وتفكر في التخلُّص منهن بالوأد والقتل، أو يُمسَكْنَ على هُون ومذلَّة، فإنَّ الإسلام بتعاليمه وأحكامه في القرآن والسُّنَّة هيَّأ رجالًا يفتدون بناتِهم بأرواحِهم وأموالهم، وكلِّ ما ملكتْ أيديهم، ولا يفرِّط واحدٌ منهم في ظُفرٍ واحدٍ لبنتٍ من بناته، كما نقرأ ذلك بوضوح وحيوية في أشعارهم التي أُثرتْ عنهم، وكما قرأنا في الأحاديث التي تثبت فضلَ مَن رزق البنات وصبر عليهن، وأحسن تأديبهن وتعليمهن، حتى بلغن ما بلغن.

---

(١) رواه أحمد (٨٤٢٥)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والحاكم في البر والصلة (١٧٦/٤)، وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٧٨)، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (١٠٢٧).

(٣) رواه أحمد (١٧٤٠٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وابن ماجه في الأدب (٣٦٦٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٦).

QaradawiBooks.com

من ذلك ما قاله أبٌ مسلم شاعر، رزقه اللهُ بجملة من البنات[١]:

لقد زادَ الحَياةَ إليَّ حُبًّا بناتِي إنَّهُنَّ من الضِّعافِ
مخافَةَ أن يَذُقْنَ البُؤسَ بَعدِي وأن يَشْرَبْنَ رَنْقًا بعد صافِي

وكان الضعْف هو الغالب على النساء في تلك الأزمنة، فقد كان بعض الذكور يتعلَّم، وأكثرُ النساء لا يتعلَّمْنَ، ويتعرَّضْنَ في الحروب للسَّبْي، كما قد يتعرضنَ للخطف والإيذاء.

وقال شاعرٌ آخر من أجل ابنته أميمة[٢]:

لولا أُميمةُ لم أجْزع من العدمِ ولم أُقاسِ الدُّجَى في حِندس الظُّلَمِ
وزادني رغبةً في العيش معرفتي ذلَّ اليتيمة يجفوها ذوو الرَّحِم
أُحاذر الفقر يومًا أن يُلِمَّ بِهَا فيهْتك السِّتر عن لحم على وَضَمِ
أخْشَى فظاظة عَمٍّ، أو جفاءَ أخٍ وكنتُ أُبْقي عليها من أذَى الْكَلِمِ

وقَالَ حطَّان بن الْمُعَلَّى[٣]:

لَولَا بنياتٌ كزُغْب القَطَا رُدِدْنَ مِن بعضٍ إلى بعضِ
لَكَانَ لي مُضْطَربٌ واسع فِي الأَرْض ذَاتِ الطول والْعَرْضِ

(١) نُسب البيتان لأبي خالد القناني ولعمران بن حطّان ولعيسى بن فاتك الخطي، وكلهم من الخوارج القعدة، انظر: شرح شواهد المغني للسيوطي (٨٨٦/٢ ـ ٨٨٨)، نشر لجنة التراث العربي، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.
والرنق: الماء الكدر. المعجم الوسيط مادة (ر. ن. ق).

(٢) نسبها ابن المعتز لمحمد بن يسير الرياشي، باختلاف يسير في ألفاظها كما في طبقات الشعراء صـ ٢٨١، ونسبها أبو تمام لإسحاق بن خلف كما في الحماسة (١٦٥/١).
الوضم: ما وقيت به اللحم عن الأرض من خشب أو حصير. والمعنى: أنَّها لا تستطيع الدفاع عن نفسها مثل اللحم الموضوع على الوضم. انظر: تاج العروس مادة (و. ض. م) وشرح ديوان الحماسة للتبريزي (١٠١/١)، نشر دار القلم، بيروت.

(٣) انظر: الحماسة (١٦٧/١).

QaradawiBooks.com

وإِنَّـــمَـــا أَولَادنَـــــا بَـيْـنـنَـا أكبادُنا تمشي على الأَرْضِ
لو هبَّت الريحُ على بعضِهم لامتنعت عيني من الغَمْضِ

وهذه المشاعر الحيَّة، والعواطف الحارَّة نحو البنات من آبائهن، دليلٌ على ما جاء به الإسلام من محبَّةٍ للبنات، جعلتِ الأب المسلم يحبُّهنَّ حبًّا صادقًا، ربما يزيد في بعض الأحيان على حبِّ الذكور، وقد رأينا الرسول الأكرم ﷺ يُظهر مِن حُبِّ فاطمة ما يبدو لنا أنَّه أقوى مِن حبِّ كثيرٍ مِن الآباء لأبنائهم، على أن في بعض البنات من المكارم والنجابة والتفوق ما يفْضُل البنين، كما قال الشاعر[1]:

ولـو كان النسـاءُ كمـن فقدْنا لفُضِّلـت النسـاءُ علـى الرجالِ
وما التأنيثُ لاسمِ الشمسِ عيبٌ ولا التذكيـرُ فخـرٌ للهـلالِ

«وولدتْ أعرابيةٌ بُنيَّةً، فقالتْ وهي تُدلِّلها:

ومـا علـيَّ أن تكـونَ الجاريةْ تكنُـس بيتـي وتـرُدُّ العاريـةْ
تَمْشُـطُ رأسـي وتكـونُ الفاليةْ وترفـعُ السـاقطَ مِـن خِماريـةْ
حتّـى إذا مـا بلغـتْ ثمانيـةْ ردَّيْتُهـا ببُـردةٍ يَمَانِيَـةْ
زوَّجْتُهـا مَـروانَ أو معاويـةْ أصهـارَ صـدقٍ للمهـورِ غاليةْ

وقال آخر:

بُـنـيَّـتـي ريـحـانـةٌ أشَـمُّـهـا فَـدَيْـتُ بنتي، وفَدَتْنِي أمُّها!

وكان لمَعْنِ بن أوس ثماني بنات، وكان يقول: ما أُحبُّ أن يكون لي بهنَّ رجالٌ، وفيهنَّ قال:

(١) هو المتنبي، كما في ديوانه صـ ٢٦٧، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

رأيتُ رجـالًا يكرهـون بناتِهم وفيهنّ ـ لا تُكْذَبْ ـ نساءٌ صوالحُ
وفيهـنَّ والأيـامُ يعثـرنَ بالفتى عوائـدُ لا يمْلَلْنَـهُ ونَوائِـحُ»[1]

ومِن الآباء مَن يجور على امرأته حين تلد له عِدة بنات، ويحمِّل المرأةَ مسـؤولية المجيء بالبنات! والعادةُ والعِلـمُ والواقعُ، كلها تقول: إنَّ الرجل هو المسـؤول عن قضية التذكيـر والتأنيث، وهو ما يقرره الطب المتعلِّق بالأرحام والإنجـاب، وهو ما قالته أعرابية قديمة، حين شكتْ مِن قسوة زوجها أبي حمزة الضبي، وهجْره لها ولبناتها، واسـتمراره عند ضرتها، وكانت قد سـمَّت ابنتَها: حمزة، فقالت وهي ترقِّصها:

مـا لأبـي حمـزة لا يأتينا
يظل فـي البيت الـذي يلينا
غضبـانَ ألَّا نلـد البنينـا
تـاللهِ مـا ذلـك فـي أيدينا
وإنَّمـا نأخـذُ مـا أُعطينـا
ونحـن كالأرض لزارعينـا
نُنْبِـتُ ما قـد زرعـوه فِينَا

وسمعها زوجُها فرجع إلى منزلها وصالحها، وطابت نفسه بها[2].

وقال أبٌ فـي أولاده الصِّبية الصغار مِن بنيـنَ وبناتٍ، وهو يتحمَّل العناء من أجْلهم:

(١) محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (٣٩٦/١، ٣٩٧)، نشر شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

(٢) انظر: البيان والتبيين للجاحظ (١٦٥/١)، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

QaradawiBooks.com

والله لــولا صبيــةٌ صغــارُ
وجوههــمْ كأنَّهــا أقمــارُ
لمــا رآنــي ملــكٌ جبَّــارُ
ببابــهِ مــا ســطع النَّهــارُ[1]

غير مرخصة للطباعة

آداب الولادة:

ذكر الإمام الغزالي في «إحيائه» عدة آداب تتصل بالولادة:

الأول: ألَّا يُكثر فرحه بالذكر وحزنه بالأنثى، فإنه لا يدري الخيرة في أيهما، فكم من صاحب ابنٍ يتمنَّى ألَّا يكون له، أو يتمنَّى أن يكون بنتًا، بل السلامة منهن أكثر، والثواب فيهن أجزل.

الأدب الثاني: أن يؤذِّن في أُذن الولــد، روى رافع عن أبيه قال: رأيــتُ النبــي ﷺ قــد أذَّن فــي أُذن الحســين، حيــن ولــدتــه فــاطمة رضي الله عنها[2]. ويســتحبُّ أن يلقِّنوه أول انطلاق لسانه: لا إلٰه إلَّا الله، ليكــون أول حديثه.

الأدب الثالث: أن تسمِّيه اسمًا حسنًا، فذلك من حق الولد، قال ﷺ: «**أحبُّ الأســماء إلى الله: عبــد الله، وعبد الرحمن**»[3]. وقال: «**ســمُّوا**

(١) محاضرات الأدباء (٣٩٢/١).

(٢) رواه أحمد (٢٣٨٦٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الأدب (٥١٠٥)، والترمذي في الأحكام والفوائد (١٥١٤): وقال: حسن صحيح. والحاكم في معرفة الصحابة (١٧٩/٣)، وصحح إسناده، وقال الذهبي: عاصم بن عبيد الله ـ أحد رواته ـ ضعيف. وقال الألباني في الإرواء (١١٧٣): حسن إن شاء الله. عن أبي رافع.

(٣) رواه مســلم في الأدب (٢١٣٢)، وأحمــد (٦١٢٢)، وأبــو داود (٤٩٤٩)، والترمذي (٢٨٣٣)، كلاهما في الأدب، عن ابن عمر.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

باســمي، ولا تَكَنَّوا بكُنْيتي»[١]. فلا يجمع بين اسمه وكنيته. وقيل: إن هذا كان في حياته.

وقــال ﷺ: «**إنَّكم تُدعون يوم القيامة بأســمائكم وأســماء آبائكم، فأحسنوا أسماءكم**»[٢].

ومن كان له اسمٌ يُكره، يستحبُّ تبديله، أبدل رسول الله ﷺ اسم العاص بعبد الله، وكان اسم زينب بَرَّة، فقال ﷺ: «**تُزكِّي نفسَها!**» فسمَّاها زينب[٣].

وإن من الناس من يسمِّي أبناءه بأسماء قبيحة، وقد يسمِّيه اسمًا عُرِف عند النصارى، ونحو ذلك.

وقد يُســمِّيه باســم يعاب ويتندَّر به، ممَّا يضايق الولد أو الفتاة عند ما يصبح في سن الشباب، والواجب تبديل ذلك رعاية لخواطر الأبناء.

الرابع: العقيقة عن الذَّكَر بشــاتين، وعن الأنثى بشاة ذكرًا كانت أو أنثى. وروت عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ أمر في الغلام أن يعُقَّ بشاتين مكافئتين، وفي الجارية بشــاة[٤]. وقال ﷺ: «**مع الغلام عقيقتُه، فأَهَريقوا عنه دمًا، وأميطوا عنه الأذى**»[٥].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في البيوع (٢١٢٠)، ومسلم في الآداب (٢١٣١)، عن أنس.

(٢) رواه أحمد (٢١٦٩٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. وأبو داود في الأدب (٤٩٤٨)، وقال عقبه: عبد الله بن أبي زكريا لم يدرك أبا الدرداء، وقال ابن القيم صـ ١١١: إسناده حسن. وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٥٧٧/١٠): رجاله ثقات، إلَّا أن في سنده انقطاعًا. عن أبي الدرداء.

(٣) رواه مسلم في الآداب (٢١٣٦)، وأحمد (٢٠١٣٨)، عن سمرة بن جندب.

(٤) رواه أحمد (٢٤٠٢٨)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والترمذي (١٥١٣)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في الذبائح (٣١٦٣).

(٥) رواه البخاري فــي العقيقة (٥٤٧١)، وأحمد (١٦٢٢٩)، وأبــو داود في الضحايا (٢٨٣٩)، عن سلمان بن عامر الضبي.

QaradawiBooks.com

الخامس: أن يُحنِّكه بتمرة أو حلاوة، ورُوِيَ عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: ولدتُ عبد الله بن الزبير بقباء، ثم أتيتُ به رسول الله ﷺ، فوضعتُه في حجره، ثم دعا بتمرة فمضغها، ثم تفل في فيه[1][2]. انتهى بتصرف من كلام الغزالي.

وجوب الرعاية والعناية:

وللولد على أبيه وأمه حق الرعاية والتربية، وعلى أبيه في حياته حق النفقة، فلا يجوز إهماله أو إضاعته، حتى يصبح قادرا على الكسب بنفسه.

قال رسول الله ﷺ: «**كلُّكم راعٍ ومسؤول عن رَعِيَّته، فالإمام راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، والمرأةُ في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راعٍ وهو مسؤول عن رعيته**»[3]. وقال: «**كفى بالمرء إثمًا أن يُضيِّع من يقوت**»[4]. وقال: «**إنَّ الله سائلٌ كلَّ راعٍ عمَّا استرعاه، حفظ أم ضيَّع، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته**»[5].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٩٠٩)، ومسلم في الآداب (٢١٤٦).

(٢) الإحياء (٥٣/٢) وما بعدها.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الأحكام (٧١٣٨)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

(٤) رواه أحمد (٦٨٤٣)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الزكاة (١٦٩٢)، عن عبد الله بن عمرو. ورواه مسلم بلفظ: «كفى بالمرء إثمًا أن يحبس عمن يملك قوته».

(٥) رواه النسائي في الكبرى في عشرة النساء (٩١٧٤)، وابن حبان في السير (٤٤٩٣)، ورجح البخاري الإرسال، كما في سنن الترمذي (١٧٠٥)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٢٧١).

QaradawiBooks.com

من الرعاية الواجبة: الرضاعة والحضانة:

ومن الرعاية الواجبة التي أوجبها الله على الوالدين رضاع الصغير.

وقد ذكر القرآن قضية إرضاع الأمهات للأولاد، وخصوصًا في حالة الفراق بين الزوجين، فقد تحاول الأم أن تكايد زوجها ومطلِّقَها، فتهمل ولدها منه، لهذا جاء القرآن في سياق آيات الطلاق ليقول: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وهذا خبرٌ في معنى الأمر، فهن مأمورات بإرضاع أولادهن.

كثير من الأمهات في عالم اليوم وفي عصرنا هذا يؤثرن أنفسهن على أطفالهن، تريد المرأة أن تبقى رشيقة البدن كالغزال، بدل أن يتهدل ثديها وصدرها، تحرم طفلها من هذا الغذاء الرباني المعقَّم، الذي أنزله الله من صدرها يجري رزقًا صافيًا سائغًا لهذا الطفل الضعيف.

تحرم الطفل من لبنها ليتغذَّى على لبن صناعي، وهيهات أن يسد اللبن الصناعي مسد اللبن الطبيعي الرباني.

والرضاعة ليست لبنًا فقط، إنَّه إلصاق الأم طفلها إلى صدرها. إنَّه لا يرضع لبنًا فقط، إنَّه يرضع حنانًا وحُنُوًّا وعاطفة. هذا الضم هو الذي يعطي الأمومة معناها، وهذا هو الذي يعطي للمرأة حق الحضانة دون الرجل.

روى عبد الله بن عمرو بن العاص أن امرأة قالت: يا رسول الله، إن ابني هذا كان بطني له وعاء، وثديي له سقاء، وحجري له حِواء، وإن أباه طلَّقني، وأراد أن ينزعه مني، فقال رسول الله ﷺ: «**أنتِ أحقُّ به ما لم تَنْكحي**»[1]. أي: تتزوجي.

---

(١) رواه أحمد (٦٧٠٧)، وقال مخرِّجوه: حسن. وأبو داود (٢٢٧٦)، والحاكم (٢٠٧/٢)، كلاهما في الطلاق. وصحَّحه الحاكم، وأقره الذهبي، وابن الملقن في البدر المنير (٣١٧/٨).

QaradawiBooks.com

وحينما تنازع عمر بن الخطاب وزوجه أم عاصم، ابنه في عهد أبي بكر رضي الله عنه، وأراد عمر أن ينتزع ابنه من أمه المطلَّقة، فاختصما إلى أبي بكر، فقال أبو بكر: ريحها وفراشها وحجرها خير له منك! وقال أيضًا: الأم ألطف وأعطف، وأرحم وأحنى وأرأف. فلهذا قضى للأم بالحضانة ما لم تتزوج[1].

وأوجب الله نفقة المرأة الحاضنة وعلاجها ورعايتها، طوال مدة الحمل والنفاس، على أبي الطفل أو وليه في حالة موته أو غيابه؛ لأنَّها تغذيه من دمها، فلا بد أن تعوِّض عما تفقد، وقد قال تعالى في شأن المطلقات: ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۖ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ [الطلاق: ٦]. وقال في شأن المرضعات: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ يعني: الأب. ثم قال: ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

ثم بعد الأم: قرابة الأم مفضلة على قرابة الأب؛ لأنَّها أحنى وأرحم، كل هذا عناية بهذا الطفل الضعيف.

قال تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَاۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

(١) رواه عبد الرزاق في الطلاق (١٢٦٠١).

QaradawiBooks.com

فالقرآن لم يدع الأمر لأحد الأبوين هُنا، فربما ملَّت المرأة من الإرضاع، وربما مل الأب من دفع الأجرة والنفقة، فلم يُترك لهما الأمر لأحدهما، بل لا بد أن يتراضيا ويتَّفقا معًا، ومع التراضي لا بد من التشاور، أي يتشاورا معًا، ويشاورا أهل المعرفة وأرباب التجربة في هذا الأمر: هل يحسن بالطفل أن يفطم قبل الحولين أو لا يحسن؟ قد يقولون: يحسن لأن صحته جيدة ونموه طيب، وقد يقولون: مثله يحتاج إلى رضاع أكثر. كل هذا عناية من الله بالطفل.

يقول الإمام الفخر الرازي في تفسيره: «إنَّه تعالى كما وصَّى الأم برعاية جانب الطفل في قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] وصَّى الأب برعاية جانب الأم حتى تكون قادرةً على رعاية مصلحة الطفل، فأمر برزقها وكسوتها بالمعروف»[1]. وهذا لونٌ من تكافل الأمومة والأبوة في رعاية الطفولة.

ثم ذكر الرازي مسألةً أخرى هنا مهمة: «أنَّه تعالى وصَّى الأم برعاية الطفل أولًا، ثم وصَّى الأب برعايته ثانيًا، وهذا يدل على أن احتياج الطفل إلى رعاية الأم أشد من حاجته إلى رعاية الأب؛ لأنَّه ليس بين الطفل وبين رعاية الأم واسطة البتة، أمَّا رعاية الأب فتصل إلى الطفل بواسطة، فإنه يستأجر المرأة على إرضاعه وحضانته بالنفقة والكسوة، وذلك يدل على أن حق الأم أكثر من حق الأب، والأخبار المطابقة لهذا المعنى كثيرة ومشهورة».

ومسألة ثالثة ذكرها الرازي هنا، فقال: «دلَّت الآية على أنَّ الفطام في أقل من حَوْلين لا يجوز إلَّا عند رضا الوالدين، وعند المشاورة مع

(١) تفسير مفاتيح الغيب للرازي (١٢٨/٦)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ.

QaradawiBooks.com

أرباب التجارب؛ وذلك لأنَّ الأم قد تمَلُّ مـــن الرَّضَاع، فتحاول الفطام، والأب أيضًا قد يملُّ من إعطاء الأجرة على الإرضاع، فقد يحاول الفطام دفعًا لذلك، لكنَّهما قلَّما يتوافقان على الإضرار بالولد لغرض النفْس، ثم بتقدير توافقهما اعتبر المشاورة مع غيرهما، وعند ذلك يبعد أن تحصل موافقة الكل على ما يكون فيه إضرار بالولد، فعند اتفاق الكل يدل على أنَّ الفطام قبل الحولين لا يضره البتة، فانظر إلى إحســـان الله تعالى بهذا الطفل الصغير: كم شرط في جواز إفطامه من الشرائط دفعًا للمضارِّ عنه، ثم عند اجتماع كل هذه الشـــرائط لم يصرح بالإذن، بل قال: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾، وهذا يدل على أنَّ الإنسان كلما كان أكثر ضعفًا كانت رحمة الله معه أكثر، وعنايته به أشد»[1] اهـ.

ويجب رعاية الأطفال ماديًّا بحسن التغذية، وصحيًّا بمراعاة ما تطلبه الصحة العامـــة، وما يطلبه الطـــب الوقائي في عصرنـــا، فقد أصبح في عصرنا هناك أمـــور كثيرة ينبغـــي أن تراعى لحفظ صحـــة الطفل مثل: التطعيمات التي تطلب في مواعيد محددة.

والواجب الشرعي يحتم على الآباء والأمهات ألا يهملوا ذلك، فقد تهمل طفلك فيترتب عليه أن يصاب بشـــلل الأطفال طول عمره ـ مثلًا ـ فتكون قد جنيت عليه جناية كبرى، كان يمكنك بمقتضى قانون الأسباب والمســـببات أن تمنع ذلك، بـــأن تذهب به إلـــى دار رعايـــة الطفل أو المستشفى أو المؤسســـة أو المركز الصحي، ليتناول هذا الشيء البسيط في صغره، لتمنعه من أمراض معضلة في كبره.

(١) مفاتيح الغيب للرازي (١٣٢/٦).

QaradawiBooks.com

كل هذه حقوق للطفل: الرعاية الصحيـة، والرعاية المادية، والرعاية العاطفية، فالأطفال ـ كما قلنا ـ ثروة بشـرية، ينبغي أن نحافظ على هذه الثروة، ولا نبددها. والأطفال كذلك نعمة من الله تعالى، فينبغي أن نشكر ربنا على هذه النعمة.

ومن الآداب الواجبة على الوالدين: تربية الأبناء وتأديبهم:

وتربية الطفل وتأديبه مطلوب من الوالدين أن يتعاونا عليهما من يوم أن يعقل، حتى سنِّ البلوغ، وعلى الوالدين أن يجهدا جهدهما في تنشئة الطفل على طاعة الله وعبادته، وفي هذا يقول رسـول الله ﷺ في شـأن الصلاة: «**مُرُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سـبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر**»[(١)].

وفي حديث آخر: «**علِّمُوا الصبيَّ الصلاةَ ابنَ سـبعِ سنين، واضربوه عليها ابن عشر**»[(٢)].

وذلك أنَّ الخير عادة، والشر عادة، والمرء يشيب على ما شب عليه، والتربية في الصغر كالنقش على الحجر، والشاعر يقول:

وينشـأ ناشـئُ الفتيـانِ مِنَّـا على مـا كان عـوَّدَه أبـوهُ
ومـا دان الفِتَـى بِحِجًـى ولكنْ يُعـوِّدُه التديُّـنَ أقربُـوه[(٣)]

(١) رواه أحمد (٦٧٥٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود (٤٩٥)، والدارقطني (٨٨٧)، والبيهقي (٢٢٩/٢) ثلاثتهم في الصلاة، وصحَّحه الألباني في إرواء الغليل (٢٩٨)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه أحمد (١٥٣٣٩)، وقال مخرِّجوه: إسـناده حسـن. وأبو داود (٤٩٤)، والترمذي (٤٠٧)، وقال: حديث حسـن. وابن خزيمة (١٠٠٢) والحاكم (٢٥٨/١)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، والبيهقي (١٤/٢)، جميعهم في الصلاة، عن سبرة بن معبد الجهني.

(٣) البيتان لأبي العلاء المعري، كما في اللزوميات (٤١٣/٢).

QaradawiBooks.com

والحديث هنا جعل للتعلم والتأديب مرحلتين: مرحلة الأمر والتعليم والترغيب، وذلك بعد السابعة. ومرحلة الضرب والتأديب والترهيب، وذلك بعد العاشرة.

أي أنَّ الضرب لم يشرع إلَّا بعد إعطاء الابن فرصة ثلاث سنوات يدعى ويرغب ويثاب. وبعدها يكون الحزم والشدة والعقاب المناسب طبعًا، إشعارًا بالجدية، وأنَّ الأمر موضع اهتمام الأب، وليس مجرد كلمة تقال، وليس بعدها حساب ولا ثواب ولا عقاب.

والضرب هنا وسيلة تمليها الضرورة، والضرورة تقدَّر بقدرها، فلا يكون بسوط ولا بخشبة، بل ضرب يؤلم ولا يجرح، وخيار الآباء لا يحتاجون إلى ضرب أولادهم، بل يربون بالأسوة والكلمة والموعظة الحسنة، اقتداء برسول الله ﷺ الذي لم يضرب بيده شيئًا قط، لا امرأة، ولا خادمًا[1]، ولا ولدًا، ولا حتى دابَّة.

وقد كان الصحابة يُصوِّمون صبيانهم وهم صغار، حتى كانوا يأتون لهم باللعب من العِهْن (أي الصوف) يُلَهُّونهم بها حتى يأتي وقت الإفطار[2].

وليس من المطلوب أن يصوم الطفل الشهر مرة واحدة، فليس هذا بمقدور، ولا منطقي، وإنَّما يصوم في أول سنة يومين أو ثلاثة مثلًا، والتي بعدها يصوم أسبوعًا ثم أسبوعين، حتى يمكنه بعد ذلك صوم الشهر كله بهذا التدرج.

(١) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٢٨)، وأحمد (٢٤٠٣٤)، وأبو داود في الأدب (٤٧٨٦)، عن عائشة.
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٦٠)، ومسلم (١١٣٦)، كلاهما في الصيام، عن الربيع بنت معوذ.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

ومن الخطأ الذي يتحمل تبعته الآباء، والأمهات، إهمال الصغار حتى يبلغوا دون أن يدربوا على أداء الفرائـض والطاعات. فإذا أمروا بها بعد البلوغ كانت أثقل من الجبال على كواهلهم. وما أصدق ما قال الشاعر[1]:

وينفـع الأدب الأولاد فـي صغر ... وليـس ينفع عند الشِّـيبة الأدب

إنَّ الغصـون إذا قوَّمتها اعتدلت ... ولن تليـن إذا قومتها الخُشُـب

وعلى الآباء والأمهات أن يعودوا بناتهن الحجاب إذا شارفت الفتاة على المحيض.

ونقصد بالحجاب: أن تلبس الفتاة ما يغطي جسـمها كله إلَّا وجهها وكفيها تغطية سـاترة، وأضاف الإمام أبو حنيفة القدميـن، وهو ما نراه مناسبًا لعصرنا وكثرة حركة المرأة وخروجها فيه.

وتربية الأولاد ليسـت مجرَّد أوامر عسكرية تُفرض، ولا محفوظات معرفية تُلقَّن، ولكنها علم وفن، وأدب وذوق، ومصاحبة ومعايشة، وقلب محبٍّ، وصدر حنـون، وحضن دافئ، وعاطفة فيَّاضـة، وملاحظة دائبة، وصبر ومصابرة، ويقظة للحركة والسكنة، وانتباه للضحكة والآهة.

إنَّ التربيـة الصحيحة قد يقوم بها الأب الأُمِي بالفطرة، وقد يفشـل فيها الأب المتعلِّم؛ لأنَّ التربية تحتاج إلى عقـل يلاحظ ويدرك، وإلى قلب يحبُّ ويعطف، وإلى إرادة قوية تحسم عند الحاجة إلى الحسم.

إنَّ التربية قد تكون بالبسمة الناعمة، وبالكلمة الحُلوة، وبالقبلة على الخدين، وبالضمة والمعانقة، وبالمكافأة على الفعل الجميل، والسلوك الطيب، وبالثناء والتشـجيع، كما تكون بالنظرة الغاضبـة عند اللزوم، وبالكلمة الحسنة عند الضرورة، وباللوم المناسب عند الخطأ المقصود.

---

(١) سبق عزوه صـ٤١.

QaradawiBooks.com

إن بعض الآباء والأمهات كثيـرًا ما يخطئون، فيضعون اللين موضع الشدَّة، أو الشدَّة موضع اللين، فيفسدون من حيث يريدون أن يصلحوا، وقد قال أبو الطيب[1]:

ووضع الندى في موضع السـيف بالعلا مُضرٌّ كوضع السـيف في موضع الندى

إن كثيرًا من الآباء والأمهـات يضعون أولادهم بين إفراط القسـوة، وتفريط التدليل، والتربية المنشودة بين هذه الطرفين، وخير الأمور الوسط.

التربية الإسلاميَّة أوسع من التربية الدينية:

وأحبُّ أن أبيِّن أن (التربية الإسلاميَّة) التي ننشدها، ونطلب من الأبوين أن يربيا النشء عليها: هي أكبر وأوسع أُفقًا من مجرَّد (التربية الدينية) التي قد يتصوَّرها بعض الناس، إنَّ التربية الدينية شعبة من التربية الإسلاميَّة.

التربية الإسلاميَّة تشمل: التربية العقلية، والتربية الخُلُقية، والتربية البدنية، والتربية العلمية، والتربية الأدبيـة، والتربية المهنية، والتربية الاجتماعية، والتربية الفنيـة (الجمالية)، والتربية الجنسـية، والتربية العسـكرية، وغيرها من شُـعَب التربية، إلى جوار التربيـة الدينية أو الرُّوحية.. وهذه الجوانب جميعها وإن أشـرنا لبعضها فلن نسـتطيع الحديث عنها جميعا في كتابنا هذا، لكن علـى كل أب وأم أن ينتبها إلى أنَّ الغاية من التربية أن يخرجا لأمة شـخصيات متكاملة متوازنة، قدر استعداد الولد لذلك.

وتربية الإنسان المسلم تمتاز بأنَّها تعدُّ الإنسان ليكون صالحا في الدنيا، سـعيدا في الآخرة، محمودا عند الناس، مرضيًّا عند الله، كما

(١) في ديوانه صـ٣٧٢.

QaradawiBooks.com

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

فليس المطلوب أن توفِّر لولدك احتياجاته الدنيوية، وتهيِّئ له من التعليم ما يبوِّئه أرقى المناصب، دون أن يتعلَّم واجبه نحو ربِّه، ونحو آخرته وحياته الباقية، فيكون مصيره إلى النار، ومَن ذا الذي يرضى أن يكون مصير ولده وفلذة كبده النار؟!

التربية الإسلاميَّة والتربية القومية:

والتربية الإسلاميَّة التي ننشدها لأبنائنا وبناتنا، والتي نطالب بها الآباء والأمهات، والمعلمين والمعلمات، والمربين والمربيات: هي أعمق وأوسع كثيرًا من التربية القومية، فالتربية القومية ـ عندنا نحن العرب ـ غير كافية وحدها، ولا تقوم مقام التربية الإسلاميَّة.

فالتربية القومية العربية إذا نُحِّي عنها الإسلام تربط الطفل بالعرب وجاهليتهم، ولا تهتم بإسلامهم، ولا تجعل الإسلام هو الموجه الأول في الفكر، لكننا نريد مع هذه التربية القومية: التربية الإسلاميَّة الإيمانية التي تقرر في أَنْفُس أبنائنا التوحيد لله تعالى، مدبر الأمر، المستحق وحده للعبادة والتعظيم والإجلال والإكرام، وتربطه بمحمد ﷺ وصحابته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

والحق أنَّ الإسلام جعل العرب وأيامهم ولغتهم محل اهتمام لكل مسلم، حتى وجدنا كثيرًا من كبار النحويين واللغويين والأدباء ممن أصولهم غير عربية.

QaradawiBooks.com

لهذا كانت التربية الإسلاميَّة ضرورة لازمة، وحتمية بارزة، تجعل عالم المسلم هو الأرض كلها، والعالم كله، لأنَّ الله في عقيدته رب العالمين، ومحمدًا أرسله الله رحمة للعالمين.

وعلى الأبوين أن يربيا أولادهما على الاعتزاز باللغة العربية، فالعربية لغة الإسلام، والثقافة العربية القائمة على القرآن والسُّنَّة ثقافة الإسلام، ولذا ينبغي للأبوين وعلى كل من يقوم على التربية الإسلاميَّة أن يكمل هذه التربية بتعلم العربية، إن لم يكن من أهلها، فمن تكلم العربية فهو عربي، وأن يهتم بإتقان أولاده لها إن كان عربيًّا، وهذا هو مدخل العلوم الإسلاميَّة من علوم القرآن والحديث والعقيدة والفقه والسلوك وغيرها.

وقومية العرب ليس أهم ما فيها النسب، بل أهم ما فيها الفكر والأدب، فمن كان عربيًّا بالانتساب أو بالتعلم، فليتعلم الأدب العربي، وليستمتع به، ويدع الفخر بآباء الجاهلية، وشيوخ الكبرياء الذين قال الله في أضرابهم: ﴿فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ﴾ [هود: ١٠١]. وعلى الآباء أن يُحَفِّظوا أولادهم شيئًا من الأدب العربي المليء بالقيم والحكم، سواء كان أدبا جاهليا أو إسلاميا، ومن ذلك قول الشاعر[1]:

وما بقيت من اللذات إلَّا ... محاورة الرجال ذوي العقولِ
وقد كانوا إذا عُدُّوا قليلًا ... فقد صاروا أقلَّ من القليلِ

وقول آخر:

يُعدُّ رفيع القوم من كان عاقلًا ... وإن لم يكن في قومه بحسيب

(١) ينسب للخليل بن أحمد الفراهيدي، كما في معجم الأدباء لياقوت (١٢٦٥/٣).

QaradawiBooks.com

إذا حل أرضًا عاش فيها بعقله وما عاقل في بلدة بغريب[١]

وقول شاعر حكيم[٢]:

خير الكلام قليلُ على كثيرٍ دليلُ
والعِيّ معنًى قصير يحويه لفظٌ طويل

وقال عامر بن الطفيل العامري:

إنِّي وإن كنتُ ابنَ سيِّدِ عامر وفارسَها المندوبَ في كل موكب
فما سوَّدتْني عامر عن وراثة أبى الله أن أسمو بأمٍّ ولا أبِ
ولكنني أحمي حماها وأتقي أذاها وأرْمِي مَنْ رماها بمنكب[٣]

وقال آخر[٤]:

مالي عقلي وهمتي حسبي ما أنا مولًى وما أنا عربي
إذا انتميٍ منتمٍ إلى أحد فإنني منتمٍ إلى أدبي

فينبغي لكل أب وأم أن يعلما أولادهما شيئًا من علوم العربية نحوها وصرفها، وشيئًا من الأدب العربي وأيام العرب وتاريخهم، فالعرب هم حملة الإسلام الأول، والعربية هي وعاء الإسلام وعلومه. أو على الأقل ينميان في أولادهما الاعتزاز بالعربية، ويهيئان لأولاهما من يقوم بهذا التعليم.

---

(١) ذكرهما النويري في نهاية الأرب (٢٣٥/٢)، نشر دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ.

(٢) هو أحمد بن إسماعيل الكاتب، انظر: أدب الكُتَّاب للصولي صـ ٢٣٠، نشر المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤١هـ.

(٣) انظر: الحيوان للجاحظ (٣٠٢/٢)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢ ، ١٤٢٤هـ، وديوان عامر بن الطفيل رواية ابن الأنباري عن ثعلب صـ١٣ ، نشر دار صادر، بيروت.

(٤) ذكرهما ابن عبد ربه غير منسوبين في العقد الفريد (٣٥٩/٣)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

QaradawiBooks.com

تربية الأبناء التربية البدنية والرياضية:

وممَّا يجب على الآباء والأمهات تربية الأبناء والبنات تربية بدنية ورياضية سليمة، لينشؤوا على النشاط والجدية وقوة الأبدان، وليس على التباطؤ والتكاسل والترهل، وقد كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أهل الشام: علِّموا أولادكم السباحة والرماية والفروسية[١].

وقال: اخشوشنوا، واقطعوا الركب، وثِبوا على الخيل وثبًا[٢].

ومعنى اقطعوا الركب: أي لا تعتادوا الاعتماد عليها.

وقد رُوِيَ في بعض الآثار: «**حق الولد على الوالد أن يعلِّمه الكتابة والسباحة والرماية**»[٣].

وقال النبي ﷺ لأصحابه رضوان الله عليهم: «**ارموا واركبوا، وأن ترموا أحبُّ إليَّ من أن تركبوا**»[٤]. وقال: «**من علم الرمي، ثم تركه، فليس منا**» أو «**قد عصى**»[٥].

فعلى الأب أن يهتم بهذا النوع من التربية، وهو التربية الرياضية والبدنية، وحبذا لو استطاع إشراك ولده ـ وبخاصة الصبيان ـ في ناد

---

(١) رواه أبو يعقوب القراب في فضائل الرمي في سبيل الله (١٥). بلفظ: كتب إلى أهل الشام: أن علموا أولادكم السباحة والرمي والفروسية.

(٢) تفسير القرطبي (٣٦/٤).

(٣) رواه البيهقي في الشعب (٨٢٩٨)، وقال عقبه: عيسى بن إبراهيم هذا يروي ما لا يتابع عليه.

(٤) رواه أحمد (١٧٣٢١)، وقال مخرِّجوه: حسن بمجموع طرقه وشواهده. وأبو داود في الجهاد (٢٥١٣)، والنسائي في الخيل (٣٥٧٨)، وابن ماجه في الجهاد (٢٨١١)، عن عقبة بن عامر.

(٥) رواه مسلم في الإمارة (١٩١٩)، عن عقبة بن عامر.

QaradawiBooks.com

رياضي يتعلم فيه بعض الرياضات، التي تنفع الولد وتنمي شخصيته وثقته بنفسه ـ كما يقول أهل التربية ـ وتبعده عن كثير من الانحرافات الناتجة عن الفراغ.

وكذلك يختار لابنته الرياضات التي تتفق مع طبيعتها الأنثوية، لتنشأ صحيحة البدن.

إعداد الأبناء للمستقبل:

ومن حسن تربية الآباء والأمهات للأبناء: أن يحسنوا إعدادهم للمستقبل.

فالبنت ستكون في المستقبل زوجة مسؤولة عن بيت وأبناء، يجب أن تعد لذلك، لا أن تعامل في بيت أبيها على أنَّها تأمر فتطاع، ليس عليها أي تكليفات، ثم بين ليلة وضحاها، تجد نفسها وقد صارت امرأة في بيت زوجها، وأمًّا لأبنائه وبناته، تشارك زوجها أعباء الحياة، وتقلباتها!

والابن سيكون في مستقبل أيامه مسؤولًا عن زوجة لها عليه حقوق مادية ومعنوية، وأبناء سيكون مسؤولا عن تربيتهم وتأديبهم والإنفاق عليهم.. إلخ ما هناك.

ومن إعداد الأبناء للمستقبل، ألَّا نجعلهم نسخًا كربونية منا، في معارفهم وتصرفاتهم وأفكارهم، بل نعدهم لزمانهم هم بما يتطلبه، لا زماننا نحن بما تطلَّبه، ويعجبني مقولة تنسب للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لا تقسروا أولادكم على آدابكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم[1]. يعني لا تفرض على أولادك زمنك أنت، ولكن أعدَّهم للمستقبل.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد (٢٦٧/٢٠)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.

QaradawiBooks.com

ومن آداب الأبوة والأمومة: التسوية بين الأبناء في العطاء

ومن الآداب الواجبة على الأب أن يسوِّي بين أولاده في العطية، حتى يكونوا له في البر سواء، ويحرم عليه أن يُؤْثر بعضهم بمنحة أو عطاء، بغير مسوِّغ ولا حاجة، فيوغر صدور الآخرين، ويوقد بينهم نار العداوة والبغضاء. والأم كالأب في ذلك.

قال ﷺ: «**اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم**»[(١)]. وقصة هذا الحديث أن امرأة بَشِير بن سعد الأنصاري طلبت إليه أن يخصَّ ولدها النُّعْمان بن بَشِير بمنحة مالية، وأرادت توثيق هذه الهِبة، فطلبت منه أن يُشهد على ذلك رسول الله ﷺ، فذهب إليه فقال: يا رسول الله، إن ابنة فلان ـ زوجته ـ سألتني أن أنحل ابنها غلامي (عبدي). فقال ﷺ: «**أله إخوة؟**» قال: نعم. قال: «**فكلَّهم أعطيتَ مثل ما أعطيتَه؟**» قال: لا. قال: «**فليس يصلح هذا، وإنِّني لا أشهد إلَّا على حق**»[(٢)]. «**لا تُشهدني على جور، إن لبنيكَ عليكَ من الحق أن تعدل بينهم، كما لك عليهم من الحق أن يَبَرُّوك**»[(٣)]. «**اتقوا اللهَ واعدلوا في أولادكم**»[(٤)].

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١٨٤٥٢)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وأبو داود في الإجارة (٣٥٤٤)، والنسائي في النُّحل (٣٦٨٧)، عن النعمان بن بشير.

(٢) رواه مسلم في الهبات (١٦٢٤)، عن جابر.

(٣) رواه أحمد (١٨٣٧٨)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وأبو داود في البيوع (٣٥٤٢)، والطبراني (٧٠/٢١)، وقال ابن حجر في الفتح (٢١٤/٥): اختلاف الألفاظ في هذه القصة الواحدة يرجع إلى معنى واحد. وضعَّفه الألباني في غاية المرام (٢٧٤)، وقال في الصحيحة (١٦٦١/٧): معناه صحيح، يشهد له مجموع روايات الحديث. عن النُّعْمان بن بَشير.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الهبة (٢٥٨٧)، ومسلم في الهبات (١٦٢٣)، عن النعمان بن بشير.

QaradawiBooks.com

وعن الإمام أحمد أنَّ التفاضل يجوز إن كان له سبب، كأن يحتاج الولد؛ لزَمَانة (عاهة) به، أو نحو ذلك دون الباقين[١].

وهذا معقول شرعًا، فإن كان بعض الأولاد به قصور خِلْقي، فليس هذا ذنبه، ويمكن أن يعوض بما يلحقه بإخوته، ومثل أن يكونوا أكملوا تعليمهم، وهو ما زال صغيرًا، أو تزوجوا بإعانة الأب وهو لم يتزوج.

الوقوف في الميراث عند حدود الله:

ومثل ذلك الميراث، فلا يحل لوالد أن يحرم بعض أولاده من الميراث: لا يحل له أن يحرم الإناث، أو يحرم أولاد زوجة غير محظية عنده، أو يعطيهم دون حقهم.

كما لا يحل لقريب أن يحرم قريبه المستحق من الميراث بحيلة يصطنعها، فإنَّ الميراث نظام قرره الله بعلمه وعدله وحكمته، وأعطى به كل ذي حق حقه، وأمر الناس أن يقفوا فيه عند ما حدده وشرعه. فمن خالف هذا النظام في تقسيمه وتحديده فقد اتهم ربه ﷻ.

وقد ذكر الله شؤون الميراث في ثلاث آيات من القرآن، قال في ختام الآية الأولى: ﴿ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: ١١].

(١) قال ابن قدامة: فإن خص بعضهم لمعنًى يقتضي تخصيصه، مثل اختصاصه بحاجة أو زمانة، أو عمى أو كثرة عائلة، أو اشتغاله بالعلم، أو نحوه من الفضائل، أو صرف عطيته عن بعض ولده لفسقه أو بدعته، أو لكونه يستعين بما يأخذه على معصية الله أو ينفقه فيها، فقد روي عن أحمد ما دل على جواز ذلك، لقوله في تخصيص بعضهم بالوقف: لا بأس به إذا كان لحاجة، وأكرهه على سبيل الأثرة. والعطية في معناه. انظر: المغني لابن قدامة (٥٣/٦)، نشر مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

QaradawiBooks.com

وقال في ختام الآيــة الثانية: ﴿غَيْرَ مُضَآرٍّۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ۞ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٢ ـ ١٤].

وقال تعالى في ختام الآية الأخيرة من الميراث: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٧٦].

فمن خالف عما شرع الله في الميراث، فقد ضل عن الحق الذي بينه الله، وتعدى حدود الله ﷻ، فلينتظر وعيد الله ﴿نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤].

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الفصل الرابع

أدب المسلم مع أُولِي القُربَى

مِن أدب المسلم الأساسي الذي جاء به القرآن، وأكَّدتُه السُّنَّة، وأصَّله علماءُ الإسلام: صِلةُ الرَّحِم، أو إيتاءُ ذي القُربى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠]، وقال تعالى في آية الحقوق العشرة: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ [النساء: ٣٦].

وهو أمرٌ اتَّفقتْ عليه كلُّ الرسالات السماويَّة التي بعَثَ الله بها النبيين مُبشِّرين ومنذرين، كما قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البقرة: ٨٣].

ونلاحظ أنَّه قال في ميثاق بني إسرائيل: ﴿ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ وفي آية الحقوق العشرة: ﴿وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ بزيادة حرف الباء، وهي زيادة تدل على التأكيد، وهو ما نشعر به من قوة النصوص وكثرتها، وما فيها من أمر ونهي، ووعد ووعيد، وترغيب وترهيب.

تأكيد القرآن لحقِّ القرابة:

وأولُ ما نلحظ هنا تأكيدَ القرآن لحق القرابة في كثرة النصوص القطعيَّة التي جاءتْ توصي بحقِّ الأقارب، أو الأقربين، أو ذوي القُربى،

QaradawiBooks.com

كما قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٥]. فجعل أول مَن له حق النفقة في المال ـ وهو ما عبَّر عنه بالخير ـ هم الوالدان والأقربون. والمراد بالأقربين أو ذوي القربى هنا: القرب في النسب لا في المكان والسكن.

وكذلك جعل لهم الحقَّ في الوصية، كما قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١٨٠]. وقوله سبحانه: ﴿تَرَكَ خَيْرًا ﴾، أي: مالًا فيه وفرةٌ، بحيث يمثِّل ﴿خَيْرًا ﴾، فالمال القليلُ لا يُعتبر في نظر الناس خيرًا، وإنَّما الوصية في المال الكثير، وهنا تجب الوصيةُ للوالدين والأقربين، الذين لا نصيب لهم في ميراث الميت؛ لأنَّهم حجبوا بغيرهم، وأمَّا الوالدين في الآية، فأن تكون أمُّه أو أبوه على غير الإسلام، فهذه الوصية واجبة بالمعروف، حقًّا على المتقين، وهذا ما ذهب إليه ابن حزم[1]، وهو ما نختاره.

الوصية الواجبة لأولاد الأبناء المتوفين:

وفي ظاهر هذه الآية ما يدلِّل لاجتهاد فقهاء مصر المُحدَثين، ومَن وافقهم في البلاد العربية من أنَّه يجب على الأجداد والجدات أن يوصوا لأحفادهم بنينَ أو بنات من أبنائهم أو من بناتهم، إذا مات أبوهم أو أمهم في حياةِ الجد أو الجدة، فحجب الأعمامُ والأخوال الأحفاد عن الميراث؛ وفق قواعد الحجب في الميراث.

(١) انظر: المحلى (٣٥٣/٨)، مسألة الوصية للأقارب (١٧٥٣).

QaradawiBooks.com

وقد حدَّدوا هـذه الوصية الواجبـة بنصيـب الأب المُتوفَّى أو الأم المتوفـاة، بما لا يزيـد على الثُّلث، الـذي لا تتجـاوزه الوصيةُ، لقول الرسول الكريم ﷺ لسعد بن أبي وقَّاص: «**الثلث، والثلث كثير**»[1]. حتى لا يجتمع على هؤلاء الأحفـاد الذين مات آباؤهم فـي حياة أجدادهم: اليتم والحرمان.

واستدلوا أيضًا بقول الله تعالى في قِسْمة التَّرِكات التي خلَّفها الموتى لمَـن وراءهـم: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النسـاء: ٨]. وفي هـذه الآية تأكيدٌ لحقِّ هؤلاء الأحفاد الذين ذكرْناهم في وصية الأجداد؛ لأنَّهم من أقرب أولي القربى.

حق ذوي القربى في المال:

وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾ [البقـرة: ١٧٧]. فجعل إيتاءَ ذوي القربى حقَّهم أو حقوقَهم في المال، وهي غير الزكاة المذكورة في الآية الكريمة نفسها: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

وفي سورة الإسراء قال تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الآية: ٢٦]، وفي سورة الروم: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الآية: ٣٨].

---

(١) متفق عليه: رواه البخـاري (٢٧٤٢)، ومسـلم (١٦٢٨)، كلاهما في الوصايا، عن سـعد بن أبي وقاص.

QaradawiBooks.com

وفي سورة النور نزل قوله تعالى يردُّ على أبي بكر الصديق، الذي حَلَفَ ألَّا يُعطي مِسْطحًا قريبَه، بعد أن خاضَ مع مَن خاض في حديث الإفك، في حق ابنته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها. فقال عز وجل: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: ٢٢].

العدل ولو على ذوي القربى:

على أن على المسلمين أن يُعطوا أولي القربى حقَّهم، ولكن لا يجوز لهم أن يُعطوهم ما يجور على حق غيرهم، ولا ينبغي للمسلم أن يكون مع قريبه في العدل والظلم، والبر والفجور، بل يكون معه في العدل والخير، والحق والبر، لا يتعداها إلى ضدها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [المائدة: ١٠٦]. فالحقُّ والعدلُ فوق القَرابة، وفوق كل عصبيَّة.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥].

صلة الأرحام:

وقد يُعبِّر القرآنُ عن القرابة وعن حقِّها باسم آخر، وعنوانٍ آخر، وهو: صِلةُ الأرحام، وهو ما أوصى الله تعالى به، ونهى عن قطعه أو إهداره، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا

QaradawiBooks.com

زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

والأرحام: جمع رَحِم، ويُعبَّر به عن القرابة، فهو يأمرنا أن نتَّقي الله الذي نتساءل به، وأن نتَّقي الأرحام أن نقطعها.

وهذه الأرحام لها مكانةٌ ولها حقوق، كما قال تعالى: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٧٥]. وفي سورة الأحزاب قال ﷻ: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا ﴾ [الآية: ٦].

وقال تعالى في وصف الفاسقين، الذين يستحقون أن يضلَّهم الله: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧]. وصَفَهم القرآن بثلاث رذائل من أسوأ الصفات:

إحداها: نقض العهد، وهو ما ذكره الله تعالى بقوله: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۞ وَأَنِ اعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [يس: ٦٠ ـ ٦١]. والعهد الآخر، ما أخذه على بني إسرائيل: أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا، وينفِّذوا الأوامر الإلٰهية، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [البقرة: ٨٣].

والرذيلة الثانية: قطْع ما أمر الله به أن يوصل، مثل قطْعهم الأرحام، والتنصل من موالاة المؤمنين.

QaradawiBooks.com

والرذيلة الثالثة: الإفساد في الأرض، والله لا يحب الفساد، ولا يحب المفسدين. وقد جعل عمارة الأرض وإصلاحَها من مقاصده تعالى في خلْقه، كما قال على لسان صالح الذي قال لقومه: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]. أي: طَلَبَ إليكم أن تعمروها ولا تخرِّبوها، أو تسمحوا أن يتسرب إليها الخراب.

وهو ما ذكره القرآن في سورة الرعد، حين قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الآية: ٢٥].

وممَّا ذكره القرآنُ حول صِلة الرحِم وتقطيعها: ما جاء في سورة محمد، في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [الآيتان: ٢٢، ٢٣].

ما ذكره القرآن في صلة الإخْوة بعضهم ببعض:

ومن أهم الأرحام وأقواها: ما بين الإخْوةِ بعضهم وبعض، فلا يجوز لأخٍ أن يظلم أخاه، أو يسْتعليَ عليه بقوةٍ أو مالٍ أو غير ذلك.

وقد قصَّ علينا القرآنُ قصة ابنَيْ آدم من صلبه، حين اعتدى القويُّ الخبيث على الطيب المخلص، وهو ما نقرأه واضحًا في سورة المائدة، حيثُ يقول تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝ فَبَعَثَ

QaradawiBooks.com

ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ [الآيات: ٢٧ ـ ٣١].

ولم يعجب الخبيث الفاجر كلام أخيه الطيب الجميل المؤثِّر: ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾. وطغى الشرُّ عليه حتى ارْتَكَبَ أولَ جريمة قتل في تاريخ البشر؛ ولذلك كان عليه كفْلٌ ممَّا يرتكبه البشرُ إلى يوم القيامة، وما أكثرَها وأشدَّها مِن تبعات.

قصة يوسف وإخوته:

وذكر لنا القرآنُ مِن قصص الإخْوة بعضهم مع بعض ما ذكر في قصة يوسف وإخوته من أبناء يعقوب، وقد أشار يعقوب عليه السلام، إلى ما يمكن أن يفعل الإخْوة بأخيهم، حين قصَّ يوسف على أبيه ما رآه مِن رؤيا في منامه: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾ [يوسف: ٤]. فماذا كان موقف الأب يعقوب؟ ﴿ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [يوسف: ٥].

وقد رأيت ما قصته سورةُ يوسف علينا، وما فعله به إخْوته، وكيف أوهموا أباهم حتى سمح لهم بأخذه معهم، وكيف ألقَوه في الجُبِّ، وجاؤوا على قميصه بدم كذب، وكيف قال لهم أبوهم: ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ١٨].

إلى أن انتهى بهم المطاف إلى أن وقفوا أمام يوسف وهو عزيز مصر، يسألونه الصدقة عليهم، والرفْق بهم، فإنَّ الله يجزي المتصدقين: ﴿ قَالَ

QaradawiBooks.com

هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ۞ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٨٩ ـ ٩٠]. إلى آخر ما سجلته القصة. وفيها التقت الأُسْرة كلها: الأبوان والإخوة في ظل يوسف عزيز مصر، ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

أخت موسى عليه السلام:

وذكر لنا القرآن فيما بين الإخْوة بعضِهم مع بعض، ما فعلتْه أختُ موسى بأخيها عند ولادته حين ألقتْهُ أمُّه في التابوت، ثمَّ ألقتْه في اليمِّ، فألقاه اليمُّ بالساحل، فأخذه عدو لله وعدو لموسى، وهو فرعون، وهنا قالت أمُّ موسى لأخته، ما حكاه لنا القرآن: ﴿وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [القصص: ١١]. واستطاعت أن تصِل إلى قَصْر فرعون، وتقول لهم: ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ۞ فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [القصص: ١٢ ـ ١٣].

موسى وأخوه هارون عليهما السلام:

وعاش موسى في قصْر فرعون الذي سيزول مُلكُه على يديه، ثمَّ ذهب إلى مدْيَنَ وتزوج منها، وعاد بعد عشْر سنوات بأهله، وناداه ربُّه بالوادي المقدس طُوى، وأرسله إلى فرعون إنَّه طغَى، فسأل ربَّه أن يجعل له وزيرًا مِن أهله، هارون أخاه، فقال: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۞ هَٰرُونَ أَخِي ۞ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ

QaradawiBooks.com

﴿أَزْرِي ۝ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ [طه: ٢٩ ـ ٣٢]. وأجابه الله إلى كل ما سأل، وسار الأَخَوانِ معًا، على السَّراء والضرَّاء، حتى انتصرا على فرعون، ثمَّ لقِيا مِن بني إسرائيل ما لَقِيَا، حتى ذهب موسى للقاء ربِّه أربعين يومًا، وفي هذه المُدَّة عَبَدَ بنو إسرائيل العِجْلَ الذي صنعه لهم السامري، وجاء موسى ورأى هذه الفتنة الهائلة التي سَقَطَ فيها قومُه، وغضِبَ موسى غضبًا شديدًا، وأَخَذَ موسى برأس أخيه يجرُّه إليه: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٤]. ثم قال بعد أن بين له هارون ما قام به نحو بني إسرائيل: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١].

السُّنَّة ترغب في صلة الرحم وترهب من قطيعتها:

ويحسُن بي هنا أنْ أضعَ المزيدَ من أحاديث الترغيب في صلة الرحم وإن قُطعتْ، والترهيب مِن قطْعها ممَّا انتقيناه من كتاب «الترغيب والترهيب» للإمام المنذري.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرِمْ ضيْفه، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصِلْ رحِمَه، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلْيقلْ خيرًا أو لِيَصْمُتْ**»[(١)].

وعن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أحبَّ أنْ يُبسط له في رزقه، ويُنسَّأ له في أثره: فليصِلْ رحِمَه**»[(٢)]. يُنسأ بضم الياء وتشديد السين المهملة مهموزًا، أي: يُؤخَّر له في أجله.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١٣٨)، ومسلم في الإيمان (٤٧)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٨٦)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٥٧).

QaradawiBooks.com

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ سَرَّه أن يُمَدَّ له في عمره، ويُوسَّع له في رزقه، ويُدفع عنه ميتةُ السّوء: فليتَّقِ الله، وليصِلْ رَحِمه**»(١).

وعن رجلٍ مِن خثعم قال: أتيتُ النبي ﷺ وهو في نفر من أصحابه، فقلتُ: أنتَ الذي تزعم أنك رسول الله؟ قال: «**نعم**». قال: قلتُ: يا رسول الله، أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله؟ قال: «**الإيمان بالله**». قال: قلتُ: يا رسول الله، ثمَّ مَهْ؟ قال: «**ثمَّ صِلة الرَّحم**». قال: قلتُ: يا رسول الله، ثمَّ مَهْ؟ قال: «**ثمَّ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر**». قال: قلتُ: يا رسول الله، أيُّ الأعمال أبْغضُ إلى الله؟ قال: «**الإشراك بالله**». قال: قلتُ: يا رسول الله، ثمَّ مَهْ؟ قال: «**ثمَّ قطيعة الرَّحِم**». قال: قلتُ: يا رسول الله، ثمَّ مَهْ؟ قال: «**ثمَّ الأمرُ بالمنكر، والنهي عن المعروف**»(٢).

وعن أبي أيوب رضي الله عنه: أنَّ أعرابيًّا عَرَضَ لرسول الله ﷺ وهو في سفر، فأخذ بخِطَام ناقتِه أو بزِمَامِها، ثمَّ قال: يا رسول الله ـ أو يا محمد ـ أخبرني بما يقرِّبُني مِن الجنَّة، ويباعدني من النار. قال: فكفَّ النبي ﷺ، ثم نظر في أصحابه، ثم قال: «**لقد وُفِّق**» أو «**لقد هُدِيَ**» قال: «**كيف قلتَ؟**» قال: فأعادها، فقال النبي ﷺ: «**تعبد اللهَ ولا تشرك به شيئًا،**

(١) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١٢١٣)، وقال: إسناده قوي. والبزار (٦٩٣)، وقال عقبه: لا أحسب ابن جريج سمع هذا الحديث من حبيب بن أبي ثابت. والطبراني في الأوسط (٣٠١٤)، والحاكم في البر والصلة (١٦٠/٤)، وسكت عنه هو والذهبي، والضياء في المختارة (٥٣٨)، وجود إسناد البزار المنذري في الترغيب والترهيب (٣٧٩٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٤٦٥).

(٢) رواه أبو يعلى (٦٨٣٩)، وجود إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٣٧٩٦)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٤٥٤): رجاله رجال الصحيح غير نافع بن خالد الطاحي وهو ثقة. وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (١٦٦).

QaradawiBooks.com

وتُقيم الصلاةَ، وتُؤتي الـزكاة، وتصِل الرحم، دَعِ الناقـةَ». وفي رواية: «**وتصل ذا رَحِمِك**». فلمَّا أدبر، قال رسول الله ﷺ: «**إن تمسَّكَ بما أمرتُه به، دَخَلَ الجنَّةَ**»(١).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قـال: أوصانـي خليلي ﷺ بخصال مـن الخير: أوصانـي ألا أنظُرَ إلى مَـنْ هو فوقـي، وأن أنظرَ إلى مَـن هو دوني، وأوصاني بحبِّ المساكين، والدنو منهم، وأوصاني أن أصِل رَحِمِي وإن أَدْبَرَتْ، وأوصاني ألَّا أخاف في الله لَومةَ لائمٍ، وأوصاني أن أقولَ الحقَّ وإنْ كان مرًّا، وأوصاني أن أُكثِرَ مِن: لا حول ولا قوة إلَّا بالله، فإنها كَنْزٌ من كنوز الجنة(٢).

وعن ميمونة رضي الله عنها، أنَّها أعتقتْ وليدةً لها، ولم تستأذن النبي ﷺ، فلمَّا كان يومُها الذي يدور عليها فيه، قالتْ: أشعرتَ يا رسول الله أنِّي أعتقتُ وليدتي؟ قال: «**أَوَفعلتِ؟**» قالت: نعم. قال: «**أمَا أنَّكِ لو أعطيتِها أخْوالَكِ كان أعظمَ لأجرِكِ**»(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «**الرَّحِم متعلِّقةٌ بالعرش، تقول: مَن وصلني وصله الله، ومَن قطعني قطعه الله**»(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قـال: قال رسـول الله ﷺ: «**إنَّ الله تعالى خَلَقَ الخَلْقَ، حتى إذا فرغ منهم، قامتِ الرَّحِمُ، فقالت: هذا مقام العائذ بكَ مِن القطيعةِ. قال: نعم، أَمَا ترضَيْنَ أنْ أصلَ مَن وصلكِ، وأقطعَ مَن قطعكِ؟**

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٣٩٦)، ومسلم في الإيمان (١٣).

(٢) رواه أحمد (٢١٤١٥)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وابن حبان في البر والإحسان (٤٤٩)، والطبراني (١٥٦/٢)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢١٦٦).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الهبة (٢٥٩٢)، ومسلم في الزكاة (٩٩٩).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٨٩)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٥٥).

QaradawiBooks.com

قالت: بلى. قال: فذاك لكِ». ثمَّ قال رسول الله ﷺ: «**اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾** [محمد: ٢٢ ـ ٢٣]»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ الرَّحِمَ شِجْنَةٌ مِن الرحمن، تقول: يا رب! إنِّي قُطِعْتُ يا رب! إنِّي أُسِيءَ إليَّ يا رب! إنِّي ظُلمتُ يا رب! فيجيبها: أَلَا تَرْضَيْنَ أنْ أصِلَ مَنْ وصَلَكِ، وأقطعَ مَن قَطَعَكِ؟**»[(٢)].

وعن أنسٍ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**إن للرَّحِمِ حُجْنَةً متماسكة بالعرش، تَكَلَّمُ بلسانٍ ذَلْقٍ: اللهمَّ صِلْ مَن وصلني، واقطَعْ من قَطعني. فيقول الله تبارك وتعالى: أنا الرحمن الرحيم، وإنِّي شققتُ للرحِم مِن اسمِي، فمَن وصلها وصلتُه، ومَن بَتَكَها بَتَكْتُه**»[(٣)].

الحُجْنة: هي صِنَّارة المِغْزَل، وهي الحديدةُ العَقْفاء التي يُعلَّق بها الخيط، ثمَّ يُفتلُ الغَزْل.

وقوله: «**مَن بَتَكَها بَتَكْتُه**» أي: من قطعها قطعتُه.

وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنَّه قال: «**إن مِن أرْبى الرِّبا: الاستطالةُ في عِرْض المسلم بغير حقٍّ، وإنَّ هذه الرَّحم شُجْنة مِن الرحمن** عز وجل**، فمَن قطعَها حرَّم اللهُ عليه الجنَّة**»[(٤)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٨٣٠)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٥٤).

(٢) رواه أحمد (٨٩٧٥)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وابن حبان في البر والصلة (٤٤١).

(٣) رواه البزار (٦٤٩٤)، وحسَّن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٣٨٠٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٤٤٨).

(٤) رواه أحمد (١٦٥١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والبزار (١٢٦٥)، ووثق رجال أحمد المنذري في الترغيب والترهيب (٣٨١٠).

QaradawiBooks.com

قوله: «**شُجْنة من الرحمن**»، قال أبو عبيد: يعني: قرابة مشتبكة كاشتباك العروق[١]. وفيها لغتان شِجْنة بكسر الشين وبضمِّها، وإسكان الجيم.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**ليس الواصل بالمُكافِئ، ولكنَّ الواصِلَ الذي إذا قُطعتْ رحِمُه وصَلَها**»[٢].

المكافئ هو الذي يصل الإحسان بمثله.

وعَنْ أَبِي هريرةَ ﷺ: أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله، إنَّ لي قرابةً أَصِلُهم ويقطعوني، وأُحسِن إليهم ويُسيئون إليَّ، وأَحْلُم عليهم ويَجْهلون عليَّ. فقال: «**إنْ كنتَ كَمَا قلتَ، فكأنَّما تُسِفُّهم المَلَّ، ولا يزال معك من الله ظَهِيرٌ عليهم ما دُمتَ على ذلك**»[٣].

المَلُّ بفتح الميم وتشديد اللام: هو الرَّمادُ الحارُّ.

وعن أمِّ كلثوم بنت عُقبة ﷺ، أنَّ النبي ﷺ قال: «**أفضل الصدقةِ الصدقةُ على ذي الرحم الكاشِح**»[٤].

ومعنى الكاشح: الذي يُضمِر عَداوتَه في كَشْحِه، وهو خَصْرُه.

يعني: أنَّ أفضلَ الصدقةِ الصدقةُ على ذي الرحم المُضمِر العداوةَ في باطنه، وهو في معنى قوله ﷺ: «**وتصِلُ مَن قَطَعَكَ**».

---

(١) غريب الحديث (٢٠٩/١).

(٢) رواه البخاري في الأدب (٥٩٩١)، وأحمد (٦٥٢٤)، وأبو داود في الزكاة (١٦٩٧)، والترمذي في البر والصلة (١٩٠٨).

(٣) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٥٨)، وأحمد (٧٩٩٢).

(٤) رواه ابن خزيمة في الزكاة (٢٣٨٦)، والطبراني (٨٠/٢٥)، والحاكم في الزكاة (٤٠٦/١)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٨٩٤).

QaradawiBooks.com

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: لقيتُ رسول الله ﷺ، فأخذتُ بيده، فقلتُ يا رسول الله، أخبرني بفواضل الأعمال. فقال: «**يا عقبة، صِلْ مَن قطعك، وأعْطِ من حرمك، وأعرضْ عمَّن ظلمك**». وفي رواية: «**واعفُ عمَّن ظلمك**». وزاد الحاكم في المستدرك: «**ألا ومَن أراد أن يُمَدَّ في عُمره، ويُبسط في رزقه: فليصِلْ رَحِمَه**»(١).

وعن أبي بَكْرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما مِن ذنْبٍ أجدر أنْ يعجِّلَ اللهُ لصاحبه العقوبةَ في الدنيا مع ما يدِّخِرُ له في الآخرة مِن البغْي وقطيعة الرحم**»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ أعمالَ بني آدم تُعرَضُ كلَّ خميسٍ ليلةَ الجمعة، فلا يُقبَل عملُ قاطعِ رحِمٍ**»(٣).

وعن جُبَيْر بن مُطعِم رضي الله عنه، أنَّه سمع النبي ﷺ يقول: «**لا يدخل الجَنَّة قاطع**». قال سفيان: يعني قاطعَ رحِمٍ(٤).

انتشار قطيعة الرحم:

وممَّا يؤسف له: انتشارُ قطيعةِ الرحِم بين الناس بعضِهم وبعض، فترى التنافسَ والتَّصارُعَ والتَّحاسُد أكثرَ ما يكون بين الأقارب بعضهم

(١) (٢) رواه أحمد (١٧٣٣٤)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. والحاكم في البر والصلة (١٦١/٤)، وسكت عنه هو والذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٨٩١).

(٢) رواه أبو داود في الأدب (٤٩٠٢)، والترمذي في صفة القيامة (٢٥١١)، وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه في الزهد (٤٢١١)، والحاكم في التفسير (٣٥٦/٢)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه أحمد (١٠٢٧٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والبخاري في الأدب المفرد (٦١)، ووثق رواته المنذري في الترغيب والترهيب (٣٨٢٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٤٥٠)، وحسَّنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٣٨).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٨٤)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٥٦).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وبعض، حتى أمسى مِن الشائع بين الناس ما يُقال: «الأخ فخ»، و«الولد كمد»، و«العم غم»، و«الخال وبال»، و«الأقارب عقارب».

وأصبح الناسُ يأخذون بما شـــاعَ في المجتمعات الغربيَّة، مِن تَفَاقُمِ الأنانيَّة، وشـــيوعِ الرُّوح الفرديَّة، التي تجعل كلَّ فردٍ لا يُعنَى إلَّا بنفسِه، ولا يَأْبَهُ إلَّا لمصلحته الخاصة.

وهذا ما يجب على أهل الفقه والدعوة، والثقافة والتربية: أن يواجِهُوه بصراحةٍ وبقوة، ولا يستســـلموا لتياره الجارف، الذي لا يُبقي ولا يذر، وينبغي أن يقووا فـــي الناس الحرصَ على القرابة والأُسَـــرِ المتَّسِـــعَة، والقبائلِ والعشائر، ولا يقبلوا التفريقَ أبدًا

وجوبُ صبْر الأقاربِ بعضُهم على بعض:

وإنَّ ممَّا أوجَبَه الإسلامُ على الأقارب والأرحام بعضِهم مع بعض: أن يتواصلـــوا ولا يتقاطعـــوا، ويتقاربـــوا ولا يتباعـــدوا، ويصطلحـــوا ولا يتخاصموا، وأن يعفو بعضُهم عن بعض، ويسعَ بعضُهم بعضًا، ولا يضيق بعضُهم ببعض.

وعليهم ألَّا يستجيبوا لوساوس الشيطان، الذي يحرِّش بينهم، وينفخ في الشرارة الصغيرة، حتى تستحيل نارًا مُسْتعِرةً، ثمَّ لا يزال يصبُّ عليها من زيته، ويغذي أوارها بحطبه، حتى لا تنطفئ أبدًا، وهذا ما يكرهه الله ورسوله والمؤمنون.

وقد رأينا في الجاهلية الحروبَ بين قبائل العرب لأدنى شيء، وربما لغير شيء، بدافع العصبية الجاهلية، كما قال الشاعر[1]:

(١) البيت للقطامي عُمَيْر التغلبي، كما في ديوان الحماسة لأبي تمام (٢٠٣/١).

QaradawiBooks.com

وأحيانًا على بكْرٍ أخِينا إذا ما لمْ نجدْ إلَّا أخانا

وقد رأينا الحرب تستمرُّ أربعينَ عامًا بين بكْرٍ وتغْلبَ، حصدتْ منهما ما حصدتْ، وهم أبناء عُمومة، من أجل ناقة في الأصل.

وكان مِن العرب عقلاءُ حكماءُ كثيرًا ما يُغلِّبون عقولَهم على أهوائِهم، وينصرون ملائكتَهم على شياطينِهم. رأينا الشاعرَ الذي قتل قومُه أخاه، فهل ينساق وراء قضية الثأر، ويقتصُّ مِن قَتَلَةِ أخيه، ليقتصُّوا هم منه بطريقة من الطرق، أم يعالج الأمر بالحكمة، التي توازن بين الحاضر والمستقبل، والجزئيِّ والكُلي، والفردِ والمجتمع؟ هذا ما قاله الشاعرُ الحكيم:

قَومي هُمُو قَتَلوا أُمَيْمَ أخِي فإذا رميتُ يُصيبني سَهْمِي
فَلَئِن عفوتُ لأعْفونْ جَلَلًا ولَئِن رميتُ لأوهِنَنْ عَظْمِي[1]

وقال آخر في أخٍ له قَتَلَ ولدَه خطأً:

أقولُ لِلنفْسِ تَأسَاءً وتَعْزِيةً إحْدى يَدَيَّ أصابَتْني ولم تُردِ
كِلاهُما خَلَفٌ عن فَقْدِ صاحبه هذا أخي حينَ أَدْعُوهُ، وذا ولَدِي[2]

ويقول الآخر يردُّ على ما اتَّهمَهُ به أقاربُه مِن تبذيرٍ، وتضيعِ ماله في الديون:

يُعاتبُني في الدَّيْنِ قومي، وإنَّما دُيُوني في أشياءَ تُكسِبُهم حَمْدَا
وإنَّ الذي بيْني وبيْن بنِي أبِي وبيْن بني عمِّي لَمختلفٌ جدَّا

(١) من شعر الحارث بن وعلة، المصدر السابق (١١٨/١) بلفظ مقارب.

(٢) من شعر العريان بن سهلة النبهاني، كما في الحماسة البصرية لصدر الدين البصري (٤٠/١)، تحقيق: مختار الدين أحمد، نشر عالم الكتب، بيروت.

QaradawiBooks.com

إذا أكَلُوا لحمـــي وفرْتُ لحومَهم وإنْ هَدمُوا مجدي بنيتُ لهم مجْدَا
وإنْ زجروا طيْرا بنحْسٍ تمرُّ بي زجرتُ لهم طيرًا تمرُّ بهم سعْدَا
ولا أحمِلُ الحِقدَ القديمَ عليهمو وليس رئيسَ القومِ مَن يحمِلُ الحِقدَا[1]

الحلم على القريب الحَقُود:

وقد يجدُ الإنسانُ في أقاربه الأقربين مَن يُضمِر له الشرَّ، ويحمِل له الحقدَ، الذي غرسه الشيطانُ في نفسه، وظلَّ يُمِدُّه بسيئ الظنون، وبأقاويل أصحاب السوء، ويغذيه بالأضاليل، حتى استفحل، ولكن المؤمنَ الصادق لا يُقابل هذا الضِّغْن بمثله، بل ينبغي أن يُصفِّيَ قلبَه مِـــن كلِّ حقْد وحسَـــد وضغِينة، وأنْ يفتـــح قلبَه لقريبه بـــكلِّ مودَّة وصفاء، حتى يستأصل حقده مِن أعماق قلبه، كما قال مَعْنُ بن أَوْس في قريب له:

وذي رحـــم قلَّمتُ أظْفـــارَ ضِغْنِه بِحِلْمِيَ عَنْهُ، وهْـــو ليسَ له حِلْمُ
يُحاولُ رَغْمـــي، لا يُحاولُ غيرَه وكالموتِ عندي أنْ يَحُلُّ بهِ الرَّغْمُ
صبرتُ على مـــا كان بيني وبينهُ وما تستوي حَرْبُ الأقاربِ والسِّلْمُ
لِأَسْـــتلَّ منه الضِّغْنَ حتى اسْتَلَلْتُه وقد كان ذا ضِغْنٍ يَضيقُ به الحَزْمُ[2]

والشعرُ العربي يقوي ما جاء به الإسلام من مودَّة أولي القربى وصلة الأرحام، وخصوصًا ما يرعاه من تغذية العواطف، وتوثيق الأواصر، بين الإخوة وأولاد العم، حتى جعـــل لهم في الإرث مكانًا، بحَسَـــب نظام الإرث وتقسيمه.

(١) من شعر المقنَّع الكندي، انظر: الحماسة لأبي تمام (٦٠٣/١، ٦٠٤).
(٢) انظر: أمالي القالي (١٠١/٢)، تحقيق: محمد عبد الجواد الأصمعي، نشر دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٦م.

QaradawiBooks.com

كما أنَّ على المسلم الرعايةَ لأقاربه حين يحتاجون إلى سدِّ لُقمة الخبز، وما يفتقر إليه القريبُ من قريبه، حتى إنَّ المحاكم الشرعيَّة لتقضي على القريب الموسر بحق قريبه المعسر في النفقة، توكيدًا لما جاء في القرآن والسُّنَّة من صلة الرحم، وحق أولي القربى.

يقول الشاعر:

أخاكَ، أخاكَ؛ إنَّ مَن لا أخَا له ... كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاحِ!
وإنَّ ابنَ عمِّ المَرْءِ ـ فاعْلَمْ ـ جَناحُه ... وهلْ ينهَضُ البازِي بغير جَناحِ[1]؟

وقال عامر بن الطفيل:

ولا يرهبُ ابنُ العمِّ منِّي صَولةً ... ولا أخْتَبِي مِن صَولةِ المُتَهدِّدِ
وإنِّي إذا أوعدْتُهُ أو وعَدْتُهُ ... لمُخلفُ إيعادي ومنجِزُ مَوعِدِي[2]

وذلك أنَّ العرب تعدُّ الرجوعَ عن الوعد لُؤمًا، على حين ترى الرجوعَ عن الإيعاد كرمًا.

وقال آخر[3]:

ولا أدفعُ ابنَ العمِّ يمشي على شفًا ... ولو بلغتْنِي مِن أذاهُ الجَنادِعُ[4]
ولكنْ أُواسِيهِ وأنسى ذُنوبَهُ ... لتَرْجِعُهُ يومًا إليَّ الرَّواجِعُ

---

(١) من شعر مسكين الدارمي، انظر: تاريخ دمشق (٥٣/١٨)، ومعجم الأدباء (١٣٠١/٣).

(٢) في ديوانه صـ ٥٨ رواية أبي بكر الأنباري عن ثعلب.

(٣) عزاه أبو تمام في الحماسة (٢٣٠/١) إلى محمد بن عبد الله الأزدي، وعزاه الخالديان في حماستهما (٣٧/١) إلى عبيد السلامي.

(٤) الجنادع: أول الشر وما دب منه. انظر: لسان العرب مادة (ج ن د ع). وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي صـ ٢٩٢، تحقيق: غريد الشيخ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

QaradawiBooks.com

وحسْبُكَ مِنْ جهْلٍ وسوءِ صنِيعةٍ معاداةُ ذي القُربى وإنْ قيلَ: قاطِعُ

وقال آخر[1]:

مهـلًا بني عمِّنـا، مهـلًا موالينا لا تَنْبِشُـوا بينَنا مـا كان مدفونَا
لا تَطْمَعـوا أن تُهِينُونا ونُكْرِمكم وأن نكـفَّ الأذى عنكم وتُؤْذُونا

* * *

(١) هو الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب المعـروف بالأخضر اللهبي. انظر: الكامل في اللغة للمبرِّد (٣٩/٤). والمؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء لأبي القاسم الآمدي صـ ٤١، تحقيق: أ. د. ف. كرنكو، نشر دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

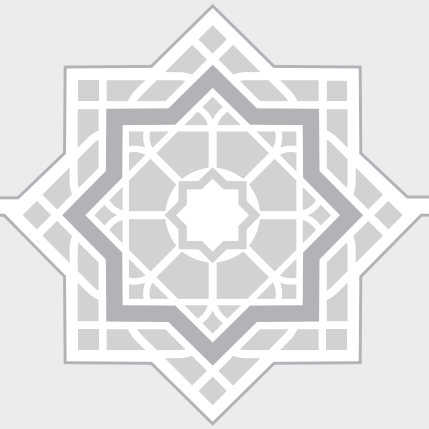
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي



الباب الخامس

أدب المسلم في مجتمعه



نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

الإسلام دين اجتماعي، لا يتصور الفردَ المسلم إنسانًا منعزلًا في خلوة، أو راهبًا في صومعة، بل يتصوَّره دائمًا في جماعة، حتى عبادته لربه، فقد دعاه إلى أن تكون في صورة جماعية، ومن هنا نشأت المساجد في الإسلام وتأكدت أهميتها.

ولو تخلَّف المسلم عن الجماعة وصلَّى وحده، فإن رُوح الجماعة تظلُّ متمثلة في ضميره، جارية على لسانه حين يناجي ربه، قارئًا داعيًا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٥، ٦]. فهو يناجي ربه ويدعوه بصيغة الجماعة (نعبد ـ نستعين ـ اهدنا).

والقرآن يخاطب المكلَّفين بصيغة الجماعة فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ١٠٤]، وسور أخرى كثيرة، ليشعرهم بأنَّهم متضامنون في تنفيذ الأوامر، واجتناب النواهي، وأداء التكاليف.

والرسول يرغِّب دائمًا في الجماعة، وينفِّر من الشذوذ والانفراد، ويقول: «**يد الله مع الجماعة، فمن شذَّ شذ في النار**»[(١)] و«**إنَّما يأكلُ الذئبُ من الغنم القاصية**»[(٢)].

(١) رواه الترمذي في الفتن (٢١٦٧)، وقال: غريب من هذا الوجه. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١٨٤٨)، دون قوله: «ومَن شذَّ شذَّ في النار». وضعفه النووي في شرح مسلم (٦٧/١٣)، ورواه الحاكم في العلم (١١٥/١)، وأبو نعيم في الحلية (٣٧/٣)، وقال: غريب من حديث سليمان عن عبد الله بن دينار، لم نكتبه إلَّا من هذا الوجه. وقال المناوي في فيض القدير (٣٤٤/٢): قال ابن حجر في تخريج المختصر: حديث غريب خرجه أبو نعيم في الحلية واللالكائي في السُّنَّة، ورجاله رجال الصحيح لكنَّه معلول، فقد قال الحاكم: لو كان محفوظًا حكمت بصحته على شرط الصحيح، لكن اختلف فيه على معتمر بن سليمان على سبعة أقوال، فذكرها وذلك مقتضى للاضطراب والمضطرب من أقسام الضعيف. وقال السخاوي في المقاصد صـ ٧١٦: بالجملة فهو حديث مشهور المتن ذو أسانيد كثيرة وشواهد متعددة في المرفوع وغيره.

(٢) رواه أحمد (٢١٧١٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الصلاة (٥٤٧)، والحاكم في التفسير (٤٨٢/٢)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وحسَّنه الألباني في صحيح أبي داود (٥٥٦)، عن أبي الدرداء.

QaradawiBooks.com

ومن روائع ما ورد عنه قوله: «**لا صلاةَ لمنفردٍ خلفَ الصَّفِّ**»[١]. حتى أمر من صلَّى خلف الصف أن يعيد صلاته، كراهية للشـــذوذ والانفراد، ولو في الصورة والمظهر.

ويدعو الرسول بأبلغ الأساليب إلى كل عمل ينفع المجتمع، ويجعله أرجح عند الله، من نوافل العبادات، فاعتبر إصلاح ذات البَيْن أفضل من الصلاة والصيام والصدقة؛ لأن فســـاد البين هي الحالقة، ومثلها الحسد والبغضاء، إنَّها لا تحلق الشعر، بل تحلق الدين[٢].

ويفرض على كل مسلم، بل على كل عظم في بدنه «صدقة» يومية، يؤديها خدمـــة للمجتمع، ولو كانت إماطة للأذى عـــن الطريق، أو كلمة طيبة، أو تبسُّم الإنسان في وجه أخيه[٣].

فقد عُني الإســـلام بالمجتمع عنايته بالفرد، فكلٌّ منهما يتأثَّر بالآخر ويؤثِّر فيه. وهل المجتمع إلَّا مجموعة مـــن الأفراد ربطت بينهم روابط معيَّنة؟ فكان صلاح الفرد لازمًا لصلاح المجتمع، فالفرد أشبه باللبنة في البنيان، ولا صلاح للبنيان إذا كانت لبناته ضعيفة.

---

(١) رواه أحمد (١٨٠٠٥)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وأبو داود (٦٨٢)، والترمذي (٢٣٠)، وقال: حسن. وابن ماجه (١٠٠٤)، ثلاثتهم في الصلاة، وصحَّحه الألباني في مشكاة المصابيح (١١٠٥).

(٢) إشارة إلى حديث: «**دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد، والبغضاء، والبغضاء هي: الحالقة، حالقة الدين لا حالقة الشعر...**» رواه أحمد (١٤١٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٠)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢١٢٢)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦١/٣): حسن لغيره. عن الزبير بن العوام.

(٣) إشارة إلى الحديث المتفق عليه: «كل سُلَامَى من الناس عليه صدقة كلَّ يوم تطلع فيه الشمس: يعدل بين الاثنين صدقة، ويُعين الرجل على دابتـــه فيحمل عليها، أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويُميط الأذى عن الطريق صدقة». رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٩١، ٢٩٨٩)، ومسلم في الزكاة (١٠٠٩)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

كما لا صلاح للفرد إلَّا في مجتمع يساعده على النمو السليم، والتكيُّف الصحيح، والسلوك القويم. فالمجتمع هو التربة التي تنبت فيها بذرة الفرد، وتنمو وتترعرع في مناخها، والانتفاع بسمائها وهوائها وشمسها.

وما كانت الهجرة النبويَّة إلى المدينة، إلَّا سعيًا إلى مجتمع مستقلٍّ، تتجسَّد فيه عقائد الإسلام وقِيَمه، وشعائره وشرائعه.

وقد عني الإسلام بالآداب التي ينبغي أن يلتزمها المسلم في تعامله مع مجتمعه الذي يحيا فيه، وهي موضوع حديثنا في هذه الباب الذي قسمناه إلى عدة فصول، وكان أول فصل عن الأدب مع ضعفاء المجتمع من اليتامى والمساكين وابن السبيل وما ملكت الأيْمان، الذين إنَّما ننصر ونرزق بهم، كما في الحديث الشريف[1]. وأتبعنا ذلك بالأدب مع الجار ومع الأصحاب والأصدقاء، وأدب المسلم في السلام والتَّحِيَّة، وأدبه في الزيارة، وفي المجالس ومع الجلساء، وأدب الحديث والكلام مع الناس، وأفردنا أدب التحدث في الهاتف بفصل وحده، وفصلنا في كل ذلك ما يبرز روح الجماعة في ديننا، وما تميز به من تراحم ورقي لم تعهده المجتمعات البشرية قبل الرسالة الإسلاميَّة.

* * *

(١) إشارة إلى قول النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «**هل تُنصرون وتُرزقون إلَّا بضعفائكم؟!**». رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٩٦)، عن مصعب بن سعد، قال الحافظ ابن حجر في الفتح معلِّقا على قول الدارقطني: إنَّه مرسل: صورته صورة المرسل إلَّا أنَّه موصول في الأصل، معروف من رواية مصعب بن سعد عن أبيه، وقد اعتمد البخاري كثيرًا من أمثال هذا السياق، فأخرجه على أنَّه موصول، إذا كان الراوي معروفا بالرواية عمَّن ذكره (٣٦٢/١)، وجعله الحافظ المزي في تحفة الأشراف في أحاديث سعد بن أبي وقاص.

QaradawiBooks.com

الفصل الأول

أدب المسلم مع اليتامى والمساكين وابن السبيل وما ملكت الأيْمان

عُنِي الإسلام أشدَّ العناية بالإنسان؛ لأنَّه مخلوق الله المكرَّم، المستخلف من الله في الأرض، يهديه ربه سبحانه، ولا يدعه وحده في أي مرحلة من حياته، فهو يرعاه في حياته التكوينية في بطن أمه، حين يكون علقة، فمضغة مخلقة وغير مخلقة، ثم يكوِّنه الله عظاما، فيكسوها لحما، ثم ينشئه خلقا آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين.

والإنسان في الإسلام صنع الله الذي أتقن كل شيء، لذا فهو لا يجيز لأحد أن يعتدى على هذا الخلق، فيجهضه ويتلفه، حسب هواه، أو أهواء البشرية المنحرفة.

ومن هنا اهتم الإسلام بالكائن الآدمي، حتى قبل أن يولد، وفرض على أمه أن تصونه وتحافظ عليه، وهو حمل في بطنها، ورخص لها ألا تصوم شهر الفريضة إذا كان الصيام يضر بحملها، بل يجب عليها الفطر إن تيقنت أن في الصيام ضررا عليها أو على جنينها.

وحينما يولد، حض الإسلام على آداب تراعى من قبل والديه وإخوته وأعمامه وأخواله وأقاربه وكل من يحيط به، حتى ينشأ نشأة سوية بعيدة عما يحرفه أو يؤثر في حسن نمائه.

QaradawiBooks.com

ومن ذلك أنَّ الإسلام لم يعترف بالاتصال بين الجنسين إلَّا من خلال زواج رجل بمرأة، وشرط لذلك شروطًا مسطورة في كتب الفقه[١]، حتى ينشأ الطفل في هذه المِظَلَّة الشرعيَّة، والمؤسسة الإسلاميَّة، التي ينشأ في ظلالها الطفل، فتحافظ عليه بمقتضى الفطرة الوالدية، وترضعه أمه حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة.

ومن اهتمام الإسلام بهذه النفس الإنسانية والحفاظ عليها، وجدنا في الفقه الإسلامي بابًا يسمى «باب اللقيط»، وهو الطفل الذي تلقيه أمه عند باب أحد المساجد أو في السوق أو في الطريق، حيث ولدته بعيدًا عن أهلها ومحارمها، وخافت أن ينكشف أمرها، فلفته وغطته، ووضعته في مكان يمكن أن يراه الناس، ليلتقطوه، فيأخذوه ويربوه، أو يسلِّموه إلى الجهة التي تتولى كفالته ورعايته، مثل قاضي البلدة، أو الجهة الإدارية الشرعيَّة المخولة برعاية هؤلاء.

وللقيط أحكام معروفة مسجلة في كتب الفقه الشرعي، على اختلاف مذاهبه، والدولة المسلمة هي المسؤولة الأولى عن رعاية هؤلاء الأطفال، وتكليف من يقوم بشؤونهم والشفقة عليهم، وتولي جميع أمورهم، والوفاء بكل حاجاتهم من المأكل والمشرب، والملبس والنوم، والغطاء والدواء، والصحة والتعليم والتربية، حسب المتبع في البلد، وعلى الدولة توفير كل ما يلزم لذلك من مال، وقد يعتبره بعض مفسري القرآن داخلًا فيمن سمَّاهم القرآن «ابن السبيل».

(١) انظر: أركان الزواج وشروطه في كتابنا: فقه الأُسْرة وقضايا المرأة صـ ٨٠ وما بعدها، نشر الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م.

QaradawiBooks.com

الطفولة مرحلة الضعف:

وهذا كله جزء من عناية الإسلام بـ «الطفولة» وهي المرحلة الأولى في تكوين الإنسان، ضمن المراحل الثلاث، التي حدثنا عنها القرآن حيث قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤].

فهذه المرحلة الأولى هي مرحلة الضعف البشري التي يبدأ بها الإنسان، ثم تُثنَّى بمرحلة القوة، وهي الشباب، أوسط المراحل، ثم تنتهي بمرحلة الهرم والشيخوخة.

وقد طلب الإسلام منا أن نُعنى بالإنسان عناية خاصة في مرحلتي ضعفه: طفولته وشيخوخته، وأن نرحم هذا الضعف، ونراعي ما يتطلبه منا من عناية ورعاية، فقد قال رسول الله ﷺ: «**ليس منَّا من لم يرحم صغيرنا ويوقِّر كبيرنا**»(١).

وعن أبي موسى رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من إجلال الله: إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط**»(٢).

وعن كعب بن عُجْرَة قال: مرَّ على النبي ﷺ رجل فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جَلَده ونشاطه، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إن كان خرج يسعى على ولده صغارًا، فهو سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين، فهو في**

---

(١) رواه أحمد (٦٧٣٣)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وأبو داود في الأدب (٤٩٤٣)، والترمذي في البر والصلة (١٩٢٠)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) سبق تخريجه صـ٥٢.

QaradawiBooks.com

سبيل الله، وإن كان يسعى على نفسه يعفُّها، فهو في سبيل الله، وإن كان خرج رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان»[(١)].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧]. وعلى الإنسان المسلم أن يتخلَّق بخُلُق الله الرحمن الرحيم، الذي يتجلَّى برحمته على عباده جميعًا، مؤمنهم وكافرهم، برِّهم وفاجرهم، فهو يُطلع شمسه على الجميع، ويظهر قمره ونجومه للجميع، ويخرج زرعه للجميع، ويسقي بمائه الجميع، ولذا جاء في الحديث الصحيح: «**الرَّاحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمْكم مَن في السَّماء**»[(٢)].

١ ـ الأدب مع اليتيم:

الرحمة باليتيم:

ومن هنا كانت العناية بشأن اليتيم، والرحمة التي وجهها الإسلام إلى هذا الصنف من الناس، الذي عرفوا بهذا الاسم «اليتامى».

واليتيم هو: كل من مات أبوه، وهو صغير. وحد الصغر: ما قبل البلوغ.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٢٩/١٩)، وفي الأوسط (٦٨٣٥)، وفي الصغير (٩٤٠)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣٣٥/٢): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٧٠٩): رواه الطبراني في الثلاثة، ورجال الكبير رجال الصحيح.

(٢) رواه أحمد (٦٤٩٤)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الأدب (٤٩٤١)، والترمذي في البر والصلة (١٩٢٤)، وقال: حسن صحيح. والحاكم في البر والصلة (١٥٩/٤)، وقال بعد أن ذكره مع أحاديث عدة في الباب: وهذه الأحاديث كلها صحيحة. ووافقه الذهبي. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩٢٥)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

والبلوغ الشرعي له علامة يعرف بها عند الذكور وعند الإناث، فأما عند الذكور، فيعرف بإنزال المنيّ، وذلك يعرف بالاحتلام. وأمَّا الأنثى، فيعرف بلوغها بنزول دم الحيض منها، وهو ما يعرف باسم الدورة الشهرية للمرأة. ويبقى في العادة ثلاثة أيام أو أكثر أو أقل، ثم تطهر.

وإن لم يكن احتلام ولا حيض، فهناك علامة أخرى للجنسين من الذكور والإناث، وهي البلوغ بالسن، وهو خمسة عشر عامًا. وقيل أكثر من ذلك.

فمن مات أبوه قبل البلوغ، أي قبل خمسة عشر عامًا في الغالب، فهو يتيم، أمَّا إذا مات بعد البلوغ فلا يعد يتيمًا شرعًا.

وقد ولد نبينا محمد يتيمًا، فقد مات أبوه، وهو في بطن أمه. قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ [الضحى: ٦].

وقد شاء الله أن يموت أبي وأنا في الثانية من عمري، لأعيش يتيمًا، ويكفلني عمي أحمد، فكان هو وزوجته وأولاده بمثابة أبوة جديدة، رحم الله الجميع.

يتامى وآباؤهم أحياء:

على أن من الحكماء من رأوا أن هناك يتامى في الواقع، يشعرون شعورَ اليتامى، ويفكرون تفكير اليتامى، ولهم آباء وأمهات أحياء يرزقون، ولكنَّهم للأسف مشغولون عن أولادهم بأنفسهم وأهوائهم ومصالحهم، الأب مشغول بعمله وماله وأصدقائه ـ وربما صديقاته ـ والأم مشغولة بزينتها وأنوثتها وصديقاتها وأهوائها، أمَّا أولادهم فهيهات أن يفكِّروا في أمورهم، أو يُعْنَوا بشأنهم، أو بحلِّ مشكلاتهم، وهؤلاء هم الذين قال عنهم أمير شعراء العرب أحمد شوقي:

QaradawiBooks.com

ليس اليتيمُ من انتهى أبواهُ من ... همِّ الحياةِ وخلَّفاه ذليلَا
فأصاب بالدنيا الحكيمةِ منهما ... وبحُسنِ تربيةِ الزمانِ بديلَا
إنَّ اليتيم هو الذي تلقى له ... أمَّا تخلت أو أبًا مشغولَا[1]!

إكرام اليتيم:

ومن هنا جاءت آية الحقوق العشرة بإكرام اليتامى والإحسان إليهم، والعطف عليهم، وتوفير كل ما يحتاجونه من الحاجات المادية والمعنوية، حسب أعمارهم، وحسب حاجات أجسادهم، وحسب مقتضيات عقولهم، وما تفرضه بيئتهم ومجتمعهم، كما نهى عن قهر اليتيم ودعّه. قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩]. والقهر عملية تؤثِّر في النفس والشخصية، والمقصود من ذلك: الحفاظ على نفسية اليتيم، واستقامتها وتوازنها، وسلامة عواطفه من الانحراف.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ١ ـ ٢]. الذي يدُعَّ اليتيم هو: الذي يدفعه بعنف وقسوة، ولا يعامله برفق الأبوة، وحنان الوالدية، كأنَّ القرآن يقول: هل تريد أن تعرف الكافر الذي يجحد يوم القيامة والحساب؟ ذلك هو صاحب القلب القاسي على الناس، الذي تتمثَّل قسوته حين يدعُّ اليتيم، ويدفعه بشدة وصلافة، غير مبالٍ بما ينال من إنسانيته ورقته.

ويصف القرآن المجتمع الجاهلي وأهله، فيقول لهم: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الفجر: ١٧ ـ ١٨]. فإن ظاهر الجاهلية الجهلاء، والضلالة العمياء؛ أنهم لا يكرمون اليتيم، بل يحس اليتيم فيهم أنَّه مهان، كذلك المسكين بينهم ضائع جائع، لا يهتم بطعامه ولا بشأنه أحد.

(١) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٨٣/١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

حفظ مال اليتيم:

ولقد نظرنا في آيات القرآن التي تناولت أمر اليتامى والعناية بهم، فوجدناها عنيت بأمرين أساسيين يتعلقان بهم:

الأول: يتعلق بشخصيتهم، وأحوالهم النفسية والعاطفية والأخلاقية، وهو ما لحظناه فيما نهى عنه القرآن من قهر اليتيم، ودع اليتيم، وعدم إكرام اليتيم.

الثاني: الأمر بحفظ مال اليتيم، إن كان له مال موروث، فلا يجوز بحال أن يفرَّط في ماله، أو يُضيَّع ويُهمل ولا يثمَّر كما يُثمَّر كلُّ مال له أصحابه، وكذلك لا يجوز إهمال إعداد اليتيم وتهيئته لأن يحسن استخدام هذا المال، ويحسن تثميره في المستقبل.

ومن هنا جاءت أوامر القرآن تأمر بالمحافظة على مال اليتيم، وبوجوب تثميره وتنميته بأحسن طرق التثمير والتنمية، كما قال تعالى في سورة الأنعام، في الآيات التي سمّاها العلماء «الوصايا العشر»، لأنَّ الله تعالى ختم آياتها بما يدل على ذلك، كقوله ﷻ: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، قال ﷻ في سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وقال في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الإسراء: ٣٤].

وفي كل من الآيتين نهى الله أولياء اليتامى ـ والمجتمع كله من ورائهم ـ أن يقتربوا مجرد اقتراب من أموال اليتامى، إلَّا بالطريقة التي

QaradawiBooks.com

هي أحسن الطرق للتثمير والتنمية. ومعنى هذا: إذا كان لمال اليتيم هذه القيمة والأهمية، فلا بد له من دراسة، لمعرفة ما هي أحسن الطرق وأولاها لاستغلال هذه الأموال: أهي الزراعة أم الصناعة أم التجارة؟ وأيّ الزراعات أهم؟ وأي الصناعات أولى: الصناعات الثقيلة أم الخفيفة؟ وأي التجارات أولى: التجارة الداخلية أم التجارة الخارجية؟.. إلخ ما هناك.

المهم هنا: أنَّه لا يجوز أن تُلقى هذه الأموال في الأسواق المعرضة للأخطار الشديدة، بل يجب أن تستثمر فيما يدر الربح على اليتيم، وينفع الناس، مع الحفاظ عليها من أخطار السوق وتقلباته.

ويولي القرآن المدني اهتمامًا بالغًا بمال اليتيم، يقول تعالى في سورة النساء: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢]. ويقول تعالى: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦].

ويأمر الأقارب بل المجتمع بأسره أن يكونوا دائمي التذكر للأيتام الذين حرموا حنان الأب ورعايته وعونه، قال: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾ أي قسمة الميراث ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ﴾ غير الوارثين ﴿فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ٨ ـ ١٠].

QaradawiBooks.com

وفي سورة البقرة يقول تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

وكل هذه الآيات القرآنية استمرار في النهج الإلٰهي الكريم، الذي يُولي هؤلاء اليتامى الرعاية التامة لأنفسهم وأموالهم، وأن تُصلح أموالهم على أفضل وجه ممكن، كما يصلح الإنسان ماله وينميه بنفسه بالتي هي أحسن.

وفي هذه الآية يذكر الله تعالى من يقوم على أمر اليتيم بأنَّه سبحانه يعلم المفسد من المُصلح، ولو شاء سبحانه لكلَّفكم من التشريعات والأوامر في التطبيق ما يشق عليكم، ولكنَّه بكم رؤوف رحيم، يريد بكم اليسر، ولا يريد بكم العسر، فحافظوا على تشريعه، وأطيعوه فيما أمركم به، يكن ذلك خيرًا لكم في ظاهركم وباطنكم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون.

لقد أغفل المسلمون للأسف هذه التعليمات والتوجيهات الربانية، والتي تحفظ على اليتيم تنشئة طيبة صافية، وشخصية رائعة فائقة، وتحفظ عليه أمواله، لئلا يُسرق شيء منها، أو يُقامر بها، أو تدخل في مغامرات الحمقى، بل ينبغي أن تُنمَّى، بحيث تُحفظ أصولها، وتنمَّى فروعها، وترجى ثمارها، ولا يطمع فيها الطامعون، الذين يسيل لعابهم إلى أموال اليتامى، وتمتد إليها أيديهم بالإثم والعدوان، ليأكلوها سُحتًا، ويتناولوها ظلمًا، فيأكلوا في بطونهم نارًا، وسيصلون في الآخرة سعيرًا.

حقوق اليتامى في الأموال العامة:

وقد بين القرآن الكريم أنَّ الله جعل لليتامى حقًّا في الأموال العامة، التي تتدفق على خزانة المسلمين، كما كان في الدولة الإسلاميَّة الأولى

QaradawiBooks.com

من الأموال التي تأتي من الحروب التي ينتصر فيها المسلمون على المشركين، ويغنمون من أموالهم ما أباح الله لهم، قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١].

وقال تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

وليس غريبًا من القرآن الكريم أن يضمن لليتامى حقوقهم في أموال الدولة من الغنائم الحربية، ومن أموال الفيء، وبخاصة التي لم تجئ بخَيل ولا ركاب، ومن الموارد الأخرى لدولة الإسلام، وخصوصًا أن معظم هؤلاء اليتامى في عصر النبوة وفي عصور الخلفاء الراشدين ومن بعدهم؛ كانوا من أبناء المجاهدين، الذين بذلوا أموالهم وأنفسهم في سبيل الله، فضحَّوْا بأرواحهم من أجل دعوتهم وعقيدتهم، لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة أعداء الله هي السفلى، فلا يجوز أن يُهمل المجتمع أزواجهم وذريتهم من بعدهم، بل يجب أن يكونوا محل العناية والرعاية والتكريم، وهو ما جاء به الإسلام في قرآنه وسُنة رسوله، وما طبقه الصحابة ومن سار على هديهم من القرون الأولى.

السُّنَّة تُعنى بأمور اليتامى:

وممَّا يجب التنبيه عليه: ما جاءت به السُّنَّة النبويَّة من عناية باليتامى، فينقل العلماء ما صحَّت به الأحاديث أو حسنت، ممَّا انتقيناه في كتابنا:

QaradawiBooks.com

«المنتقى مـــن الترغيب والترهيب» في فصل: الترغيـــب في كفالة اليتيم ورحمته، والنفقة عليه، والسعي على الأرملة والمسكين.

من ذلك ما صحَّ عن سهل بن سعد، قال: رسول الله ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم[١] في الجنة هكذا**». وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رســـول الله ﷺ: «**كافـــلُ اليتيم له أو لغيره[٣] أنا وهو كهاتين في الجَنَّة**». وأشار مالك بالسبابة والوسطى[٤].

وعن زُرارة بن أبي أوفى، عن رجل من قومه يقال له: مالك ـ أو ابن مالك ـ ســـمع النبي ﷺ يقول: «**من ضمَّ يتيمًا بين مُســـلِمَيْن في طعامه وشرابه حتى يســـتغني عنه، وجبت له الجنة البتَّة، ومن أدرك والديه أو أحدهما، ثم لم يبرّهما، دخل النار، فأبعده الله، وأيُّما مســـلم أعتق رقبة مسلمة، كانت فِكَاكه من النار**»[٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أول من يفتح باب الجنة، إلَّا أنِّي أرى امرأةً تُبادرني، فأقول لها ما لكِ؟ ومن أنتِ؟! فتقول: أنا امرأة قعدت على أيتام لي**»[٦].

---

(١) كافل اليتيم: هو القائم بشؤونه الماديَّة والأدبيَّة. واليتيم: من مات أبوه قبل أن يبلغ الحلم من ذكر أو أنثى.

(٢) رواه البخاري في الأدب (٦٠٠٥)، وأبو داود في الأدب (٥١٥٠)، والترمذي في البر والصلة (١٩١٨).

(٣) معنى «له أو لغيره»: قريبه، أو أجنبي منه؛ القريب كأن يكفل ابن أخيه أو ابن ابنه أو ابن أخيه أو ابن عمه أو غيرهم من قرابته. والأجنبي: من لم تكن له به قرابة.

(٤) رواه مسلم في الزهد (٢٩٨٣)، وأحمد (٨٨٨١).

(٥) رواه أبو يعلى (٩٢٦)، والطبراني (٣٠٠/١٩)، وأحمد (١٩٠٢٥) مختصرًا، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح لغيره. وحسَّن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٣٨٣٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٥١٦).

(٦) رواه أبو يعلى (٦٦٥١)، وحســـن إســـناده المنذري في الترغيب والترهيـــب (٣٨٤٢)، وقال =

QaradawiBooks.com

وعنه ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله**». وأحسبه قال: «**وكالقائم لا يفتُر، وكالصائم لا يُفطر**»(١).

وفي رواية: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، وكالذي يقوم الليل ويصوم النهار**»(٢).

٢ ـ أدب التعامل مع المساكين وابن السبيل وما ملكت الأيْمان:

تحدثت آية الحقوق العشرة(٣)، عن الحق الأول، وهو حق الله تبارك وتعالى، الخالق الرازق، المنعم بالنعم الكبرى، وعن حق الوالدين، وذوي القربى، وعن حق اليتامى، وأتمت الحديث عن باقي هؤلاء الأربعة من المستضعفين، وهم: المساكين وأبناء السبيل وما ملكت الأيمان.

وهم الذين أصابهم الضعف في ناحية من النواحي المهمة في الحياة، فقدوا فيها ركنًا من الأركان، التي لا بد منها للناس، لكي يحيوا حياة طيبة. فمنهم من كان ضعفه بسبب فقد الأب الكافل للأسرة، والمعيل لها، وفق سنن الله، وهو اليتيم الذي تحدثنا عنه قبل.

= ابن حجر في فتح الباري (٤٣٦/١٠): رواته لا بأس بهم. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٥١٩): فيه عبد السلام بن عجلان، وثَّقه أبو حاتم وابن حبان، وقال: يخطئ ويخالف، وبقية رجاله ثقات.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٠٧)، ومسلم في الزهد (٢٩٨٢).

(٢) رواه ابن ماجه في التجارات (٢١٤٠).

(٣) قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

QaradawiBooks.com

المسكين من فئة الضعفاء الذين يستحقون العناية:

ومنهم: المسكين، الذي كان ضعفه بسبب فقد المال، فلا هو غنيٌّ، ولا هو ذو مِرَّة سويٍّ، بحيث يكون قادرًا على الكسب، على أنَّه ليس كل من ادعى المسكنة أو تظاهر بالفقر يكون مسكينًا، فكم رأينا من المتسوِّلين من يملكون أرصدة في البنوك، ولكنَّهم احترفوا السؤال وهم أغنياء. لذلك وجب التحرّي عند بذل الزكوات والصدقات، ولهذا نبَّه النبي ﷺ على ذلك، فقال: «**ليس المسكينُ الذي يطوف على الناسِ تردُّه اللقمةُ واللقمتان، والتمرةُ والتمرتان، ولكنَّ المسكينَ الذي لا يجد غنًى يُغنيه، ولا يُفطَن به فيُتَصَدَّق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس. اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾** [البقرة: ٢٧٣]»[(١)]. وفي رواية: «**إنَّما المِسْكين المتعفِّف**»[(٢)].

فليس هذا تفسيرًا لغويًّا لمعنى المسكين. فالمعنى اللغوي معروف لديهم، وإنَّما هو من باب: «**ليس الشديدُ بالصُّرَعة، إنَّما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»[(٣)].

ولهذا قال الإمام الخَطَّابي: «في الحديث دليل على أنَّ المسكين في الظاهر عندهم والمتعارف لديهم هو السائل الطواف. وإنَّما نفى ﷺ عنه اسم المسكين؛ لأنَّه بمسألته تأتيه الكفاية، وقد تأتيه الزيادة عليها، فتزول حاجته، ويسقط عنه اسم المسكنة، وإنَّما تدوم الحاجة والمسكنة بمن لا يسأل، ولا يُفطن له فيُعطى»[(٤)].

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٧٩)، ومسلم (١٠٣٩)، كلاهما في الزكاة، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في الزكاة (١٠٣٩).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١١٤)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٠٩)، عن أبي هريرة.

(٤) معالم السنن (٦١/٢)، نشر المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م.

QaradawiBooks.com

عناية القرآن بالمساكين:

وقد جاءت الآيات والأحاديث في الحضِّ على إطعام المسكين: قال تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الإسراء: ٢٦]، وقال: ﴿ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ۞ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ۞ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۞ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۞ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۞ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴾ [المدثر: ٣٩ ـ ٤٤]، وقال: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۞ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ [الماعون: ١ ـ ٣]، وقال سبحانه في وصف الكافر: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ [الحاقة: ٣٣ ـ ٣٤]، وقال في ذم المجتمع الجاهلي: ﴿ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ [الفجر: ١٨]. أي: لا يحض بعضكم بعضًا على طعام المسكين، وهذا بخلاف مجتمع المؤمنين المتكافلين، الذين يتحاضُّون على طعام المسكين. وهذا من دلائل مشروعية الجمعيات الخيرية، التي تعمل على رعاية ذوي الحاجات، كما أشار لذلك الإمام محمد عبده رحمه الله تعالى[(١)].

عناية السُّنَّة بالفقراء والمساكين وأبناء السبيل:

وقد اهتمت سنة النبي ﷺ بهذه الفئات الضعيفة، فعن أبي سعيد الخدري، أنَّ النبي ﷺ قال: «**إن هذا المال خَضِرة حُلْوة، فنِعْمَ صاحبُ المسلم ما أعطى منه المسكينَ واليتيمَ وابنَ السبيل**»[(٢)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أنَّ النبي ﷺ بعث معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن، فقال: «**ادعُهم إلى شهادة أن لا إله إلَّا الله، وأنِّي رسول الله، فإن هم أطاعوا**

(١) انظر: تفسير جزء عم لمحمد عبده صـ ١٦٢، تفسير سورة الماعون، نشر الجمعية الخيرية الإسلاميَّة، ط ٣، ١٣٤١هـ.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٤٢)، ومسلم في الزكاة (١٠٥٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لذلك، فأعلِمْهم أنَّ الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلِمْهم أنَّ الله افترض عليهم صدقةً في أموالهم، تؤخذ من أغنيائهم، وتردُّ على فقرائهم»[١].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أصبح منكم اليوم صائمًا؟**» قال أبو بكر: أنا. قال: «**فمن تبع منكم اليومَ جنازة؟**» قال أبو بكر: أنا. قال: «**فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟**» قال أبو بكر: أنا. قال: «**فمن عاد منكم اليومَ مريضًا؟**» قال أبو بكر: أنا. فقال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمعن في امرئ إلَّا دخل الجَنَّة**»[٢].

وعن عائشة ﷺ أنَّها قالت: «جاءتني مسكينةٌ تحمل ابنتين لها، فأطعمتُها ثلاث تمرات، فأعطتْ كلَّ واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها، فشقَّت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ، فقال: «**إنَّ الله قد أوجب لها بها الجنة**». أو: «**أعتقها بها من النار**»[٣].

لا يُعطى من سهم الفقراء والمساكين غنيٌّ:

والمتفق عليه بين الفقهاء: أنَّه لا يصرف في الزكاة من سهم الفقراء والمساكين إلى غني؛ لأنَّ الله تعالى جعلها للفقراء والمساكين، والغني غير داخل فيهم، وأخبر النبي ﷺ أنَّها «**تُؤخذ من أغنيائهم لتردَّ على فقرائهم**»[٤]. وقال: «**لا تحلُّ الصدقةُ لغنيٍّ**»[٥].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٣٩٥)، ومسلم في الإيمان (١٩).

(٢) رواه مسلم في الزكاة (١٠٢٨)، والنسائي في الكبرى في مناقب الصحابة (٨٠٥٣).

(٣) رواه مسلم في البر والصلة (٢٦٣٠)، وأحمد (٢٤٦١١).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٤٩٦)، ومسلم في الإيمان (١٩)، عن ابن عباس.

(٥) رواه أحمد (٦٥٣٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي. وأبو داود (١٦٣٤)، والترمذي (٦٥٢)، =

غير مرخصة للطباعة
نسخة عليه
QaradawiBooks.com

ولأن أخذ الغني منها يمنع وصولها إلى أهلها، ويخلُّ بحكمة وجوبها وهو إغناء الفقراء بها[١].

وحدُّ الغِنَى هو ما يحصل به الكفاية، فإذا لم يكن محتاجًا حرُمت عليه الصدقة، وإن لم يملك شيئًا، وإن كان محتاجًا حلَّت له الصدقة، وإن ملك نصابًا.

الفقير القادر على الكسب:

وإذا كان مدار الاستحقاق هو حاجة الفرد إلى كفاية نفسه ومن يعوله، فهل يعطى المحتاج وإن كان متبطِّلًا يعيش عالة على المجتمع، ويحيا على الصدقات والإعانات، وهو مع ذلك قوى البنيان، قادر على الكسب وإغناء نفسه بكسبه وعمله؟!

إنَّ الذي أرجِّحه في ذلك هو ما ذهب إليه الشافعية والحنابلة حيث قالوا: لا يجوز صرف الزكاة إلى غني من سهم الفقراء والمساكين، ولا إلى قادر على كسبٍ يليق به، يحصل له منه كفايته، وكفاية عياله[٢].

ابن السبيل:

ومن هؤلاء الضعفاء الذين اعتنى بهم الإسلام: ابن السبيل، الذي لا يجد له منزلًا في الناس يؤويه، وينتمي إليه، ولذلك ينتمي وينتسب إلى السبيل، وهو الطريق، فهو نسبه وحسبه، كأنَّ الطريق أمه وأبوه! وقال

= وقال: حسن. كلاهما في الزكاة. وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (١٤٤٤)، عن عبد الله بن عمرو.

(١) المغني لابن قدامة (٤٩٣/٢).

(٢) المجموع شرح المهذب للنووي (٢٢٨/٦)، نشر دار الفكر، بيروت.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ابن زيد: «ابن السبيل المسافر، غنيًّا كان أو فقيرًا، إذا أصيبت نفقته أو فُقدت، أو أصابها شيء، أو لم يكن معه شيء، فحقُّه واجب»[(١)].

وقد يكون له منزل، ولكن طرد منه، وأخرج من داره بغير حق، إلَّا أن يقول: ربي الله. أخرج وأبعد عن داره، وربما عن وطنه كله، كما رأينا كثيرًا من أبناء فلسطين، ومن بلاد إسلاميَّة شتى، مطرودين ومشردين في أنحاء العالم.

عناية القرآن بابن السبيل:

وقد ذكر القرآن الكريم هذا اللفظ «ابن السبيل» في معرض العطف عليه والإحسان إليه ثماني مرات، ففي القرآن المكي يقول الله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦].

وفي سورة الروم: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الروم: ٣٨].

وفي القرآن المدني يجعله الله تعالى من مصارف الإنفاق ـ فرضًا كان أو تطوعًا ـ قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة: ٢١٥].

ويأمر بالإحسان إليه في آية الحقوق العشرة: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٣٦].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٣٢١/١٤).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ويجعل له حظًّا في بيت مال المسلمين من خمس الغنائم: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١].

كما يجعل له حظًّا من الفيء: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

ويجعل له سهمًا من الزكاة، كما تدل عليه آية: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ...﴾ [التوبة: ٦٠].

وحظًّا آخر بعد الزكاة في مال الأفراد، ويجعل ذلك من عناصر البر والتقوى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ١٧٧]. فهو حق بعد الزكاة، وفي المال حق سوى الزكاة، كما أثبتنا ذلك في كتابنا: «فقه الزكاة»[1].

إن عناية الإسلام بالمسافرين الغرباء والمنقطعين لَهِي عناية فذَّة، لم يُعرف لها نظير في نظام من الأنظمة، أو شريعة من الشرائع. وهي لون من ألوان التكافل الاجتماعي فريد في بابه. فلم يكتفِ النظام الإسلامي بسدِّ الحاجات الدائمة للمواطنين في دولته، بل زاد على ذلك برعاية الحاجات الطارئة التي تعرض للناس لأسباب وظروف شتى كالسياحة

(١) انظر كتابنا: فقه الزكاة صـ ٩٧١ ـ ١٠٠٢، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢٥، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

QaradawiBooks.com

والضرب في الأرض. وخصوصًا في عصور لم تكن في طرق المسافرين بها فنادق أو مطاعم أو محطات مُعَدة للاستراحة كما في عصرنا.

وفي الواقع العمليِّ نجد ابن سعد يروي لنا: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتخذ في عهده دارًا خاصة أطلق عليها «دار الدقيق»، وذلك أنَّه جعل فيها الدقيق والسويق والتمر والزبيب وما يُحتاج إليه، يعين به المنقطع به، والضيف ينزل بعمر. ووضع عمر في طريق السبل ما بين مكة والمدينة ما يصلح من ينقطع به، ويحمله من ماء إلى ماء[1].

وفي عهد خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز يحدثنا أبو عبيد في كتابه «الأموال»: أنَّه أمر الإمام ابن شهاب الزهري أن يكتب له السُنَّة في مواضع الصدقة. أي ما يحفظه من سُنَّة الرسول أو سُنَّة الراشدين في المواضع التي تُصرف فيها الصدقة، فكتب له كتابًا مطوَّلًا، قسَّمها فيه سهمًا سهمًا. وممَّا جاء في الكتاب عن ابن السبيل قوله: وسهم ابن السبيل يُقسم لكل طريق على قدر مَن يسلكها ويمرُّ بها من الناس، لكل رجل من ابن السبيل، ليس له مأوًى ولا أهل يأوي إليهم، فيطعم حتى يجد منزلًا، أو يقضي حاجته. ويجعل في منازل معلومة على أيدي أمناء، لا يمر بهم ابن سبيل له حاجة، إلَّا آووه وأطعموه، وعلفوا دابته، حتى ينفد ما بأيديهم، إن شاء الله[2].

ويرى العلامة الشيخ رشيد رضا أنَّه يدخل في أبناء السبيل: الأطفال الذين يُلْقَون في الطرق، وعند أبواب المساجد، ليتلقَّاهم المسلمون، ويعملوا على تربيتهم التربية المنشودة لأبناء المسلمين،

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢١٤/٣).

(٢) رواه أبو عبيد في الأموال (١٨٥٠)، تحقيق محمد خليل هراس، نشر دار الفكر، بيروت .

QaradawiBooks.com

فإنَّ هذا الطفل لا ذنب عليه، ولا تــزر وازرة وزر أخرى، وكفالته في عنق المجتمع المسلم[١].

ما ملكت الأيْمان:

ويبقى آخر أصحاب الحقوق العشرة، وهو ما ملكت الأيمان، ويعِّبر به القــرآن عن «الرقيــق»، الذيــن كان وجودهم كثيفًا فــي الأزمنة قبل الإسلام، حيث كان للرق أسباب كثيرة، منها: أن يبيع الإنسان ولده قسرًا، أو بنته، أو زوجته، أو نفســه، فــي دَيْن عليه، لا يســتطيع أن يرده لمن يستحقه. أو يرتكب جريمة السرقة، فيســترق جزاء سرقته، كما قصَّ لنا القرآن في قصة يوسف، حين ثبتت الســرقة على بنيامين أخيه، إذ سرق صُواع الملــك: ﴿قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ۝ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يوسف: ٧٤ ـ ٧٥].

وكذلك كان يُسْتَرَقُّ من يؤْسر في أي حرب بين فئتين أو قبيلتين أو دولتين، شرعية أو غير شــرعية، بل مَن يخطفه الخاطفون من اللصوص وقطاع الطريق، أو يلتقطونه كما التقط الســيارة ســيدنا يوسف، فباعوه بثمن بخس دراهم معدودة، وكانوا فيه من الزاهدين.

كل هذه وغيرها كانت أســبابًا للرق، فلما جاء الإسلام ضيَّق أبوابه، بل أغلقها كلها، ولم يُبق إلَّا بابًا واحدًا، هو مَنْ يؤسر في حرب مشروعة، ولا يستطيع أن يفدي نفســه، ولا يجد من يدفع الفدية عنه، فهنا يسترقه آسره، ليســتخدمه لنفســه، أو يبيعه لغيره، وخصوصًا إذا كان الخصوم يعملون ذلك في أسرانا، فهو معاملة بالمثل.

(١) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (٧٦/٥)، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة ثانية
QaradawiBooks.com

وقد فتح الإسلام أبواب تحرير الرقيق بطرق شتى مفروضة ومندوبة، ورغَّب في تحرير الرقاب، حتى جعل في مال الزكاة السنوي مصرفًا دائمًا لتحرير الرقيق (وفي الرقاب)، فإذا عمَّ الرخاء، وقلَّ الفقراء، كما حدث في عهد عمر بن عبد العزيز، اتُّخذت أموال الزكاة كلها لتحرير الرقيق، حين استغنى الناس في دار الإسلام، فاتجهوا بالزكاة لتحرير الرقيق.

سبب العناية بما ملكت الأيْمان:

قال العلامة الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾: «وصية بالأرقاء؛ لأنَّ الرقيق ضعيف الحيلة، أسير في أيدي الناس، ولهذا ثبت أن رسول الله ﷺ جعل يوصي أمته في مرض الموت، يقول: «**الصلاةَ الصلاة، وما ملكت أيمانُكم**». فجعل يُرَدِّدُها حتى ما يُفيض[(١)] بها لسانه[(٢)].

وروى الإمام أحمد عن المقدام بن معديكرب، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أطعمتَ نفسَكَ، فهو لك صدقة، وما أطعمتَ ولدَك، فهو لك صدقة، وما أطعمتَ زوجتَك، فهو لك صدقة، وما أطعمتَ خادمَك، فهو لك صدقة**»[(٣)].

---

(١) معنى حتى ما يُفيض بها لسانه: أي ما يجري ولا يسيل بهذه الكلمة لسانه من فاض الماء إذا سال وجرى حتى لم يقدر على الإفصاح بهذه الكلمة. انظر: حاشية السندي على ابن ماجه (٤٩٥/١)، دار الفكر، ط٢.

(٢) رواه أحمد (٢٦٦٨٤)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وابن ماجه في الجنائز (١٦٢٥)، والنسائي في الكبرى في وفاة النبي (٧٠٦١)، عن أم سلمة.

(٣) رواه أحمد (١٧١٨٠)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. والنسائي في الكبرى في عشرة النساء (٩١٤١)، والبخاري في الأدب المفرد (٨٢)، وصحح إسناده ابن كثير في التفسير (٣٠١/٢).

QaradawiBooks.com

وعن عبد الله بن عمرو أنَّه قال لقَهْرَمان لـــه: أعطيتَ الرقيق قُوتهم؟ قال: لا. قال: فانطلق فأعطهم، قال رســول الله ﷺ: «**كفى بالمرء إثمًا أن يحبس عمَّن يملك قُوتَه**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**للمملوكِ طعامُه وكُسوته، ولا يُكلَّف من العمل إلَّا ما يُطيق**»(٢). يعني لا يكلفه فوق طاقته.

وعنه عــن النبي ﷺ قال: «**إذا أتــى أحدَكم خادمُــه بطعامه، فإن لم يُجلســه معه، فليُناوله لُقمةً أو لقمتيــن** ـ أو أُكلةً أو أُكلتيــن ـ **فإنه وَلِيَ علاجه**»(٣).

وعن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**إخوانُكم خَوَلُكم**(٤)**، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليُطعِمْه ممَّا يأكل، وليُلْبِسْه ممَّا يلبس، ولا تكلِّفوهم ما يغلبهم، فإن كلَّفتموهم فأعينوهم**»(٥).

وقوله تعالــى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النســاء: ٣٦] أي: مختالًا في نفســه، معجبًا متكبِّرًا، فخورًا على الناس، يرى أنَّه خير منهم، فهو في نفسه كبير، وهو عند الله حقير، وعند الناس بغيض»(٦).

---

(١) رواه مسلم في الزكاة (٩٩٦).

(٢) رواه مسلم في الأيمان (١٦٦٢)، وأحمد (٧٣٦٤).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في العتق (٢٥٥٧)، ومسلم في الأيمان (١٦٦٣).
ومعنى ولي علاجه: أي تحمل مشقة حرّه ودخانه عند الطبخ وتعلقت به نفسه وشم رائحته. انظر: حاشية السندي على صحيح البخاري (١٥٠/٢)، نشر دار الفكر.

(٤) الخَوَل بفتــح الخاء المعجمة والواو: حشــم الرجل وأتباعه. وهو مأخــوذ من (التخويل): التمليك. وقيل: من الرعاية. النهاية في غريب الحديث مادة (خ. و. ل).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١)، كلاهما في الإيمان.

(٦) تفسير ابن كثير (٣٠١/٢).

QaradawiBooks.com

وقال الإمام الرازي في تفسير الآية نفسها: «واعلم أنَّ الإحسان إلى المماليك طاعة عظيمة، روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنَّ النبي ﷺ قال: «**من ابتاع شيئًا من الخَدَم، فلم توافق شيمته شيمَتَه، فليبعْ، وليشترِ حتى توافقَ شيمتُه شِيمتَه، فإن للناس شِيَمًا، ولا تعذِّبوا عباد الله**»[(١)].

وروي أنَّه عليه الصلاة والسلام كان آخر كلامه: «**الصلاةَ، وما ملكت أيمانُكم**»[(٢)]. وروي أنَّه كان رجل بالمدينة يضرب عبده، فيقول العبد: أعوذ بالله. ويستمعه الرسول عليه السلام، والسيد كان يزيده ضربًا، فطلع الرسول ﷺ فقال: أعوذ برسول الله. فتركه، فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ كان أحقَّ أن يُجار عائذُه**». قال: يا رسول الله، فإنه حُرٌّ لوجه الله. فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**والذي نفس محمد بيده لو لم تقُلْها لدافع وجهُك سَفْعَ النار**»[(٣)].

واعلم أنَّ الإحسان إليهم من وجوه:

أحدها: ألَّا يكلفهم ما لا طاقة لهم به.

وثانيها: ألَّا يؤذيهم بالكلام الخشن، بل يعاشرهم معاشرة حسنة.

وثالثها: أن يُعطيهم من الطعام والكسوة ما يحتاجون إليه.

وكانوا في الجاهلية يُسيئون إلى المملوك، فيكلِّفون الإماء البغاء، وهو الكسب بفروجهن وبضوعهن.

وقال بعضهم: كل حيوان فهو مملوك، والإحسان إلى الكل بما يليق به طاعة عظيمة.

---

(١) رواه الطبراني في مسند الشاميين (١٥٠٠).

(٢) سبق تخريجه صـ٤٤٠.

(٣) رواه عبد الرزاق في العقول (١٧٩٥٧)، عن الحسن البصري.

QaradawiBooks.com

واعلم أن ذكر اليمين تأكيد، وهو كما يقال: مشت رجلُك، وأخذت يدُك. قال ﷺ: «**على اليَدِ ما أخـذت**»[١]. وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ [يس: ٧١].

القرآن ينهى عن الفخر والاختيال على الضعفاء من اليتامى والمساكين وأبناء السبيل وما ملكت الأيمان:

ولما ذكر تعالى هذه الأصناف قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]. والمختال ذو الخيلاء والكبر، قال ابن عباس: يريد بالمختال: العظيم في نفسه الذي لا يقوم بحقوق أحد.

قال الزجَّاج: وإنَّما ذكر الاختيال هاهنا؛ لأنَّ المختال يأنف من أقاربه إذا كانوا فقراء، ومن جيرانه إذا كانوا ضعفاء، فلا يحسن عشرتهم[٢].

ومعنى الفخر: التطاول، والفَخُور الذي يعدد مناقبه كِبْرًا وتطاولًا.

قال ابن عباس: هو الذي يفخر على عباد الله بما أعطاه الله من أنواع نعمه[٣]. وإنَّما خص الله تعالى هذين الوصفين بالذم في هذا الموضع؛ لأنَّ المختال هو المتكبِّر، وكل من كان متكبِّرًا، فإنه قلَّما يقوم برعاية الحقوق، ثم أضاف إليه ذم الفخور، لئلا يُقدِم على رعاية هذه الحقوق لأجل الرياء والسمعة، بل لمحض أمر الله تعالى»[٤].

---

(١) رواه أحمد (٢٠٠٨٦)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. وأبو داود في الإجارة (٣٥٦١)، والترمذي في البيوع (١٢٦٦)، وقال: حديث حسن. عن سمرة بن جندب.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥١/٢)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، نشر عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٥٠٨/٦)، نشر عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود، ط١، ١٤٣٠هـ.

(٤) تفسير الرازي (٧٧/١٠، ٧٨).

QaradawiBooks.com

وقال الإمام أبو حيان في «البحر المحيط»:

«﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾، نفى تعالى محبته عمن اتصف بهاتين الصفتين: الاختيال وهو التكبر. والفخر: هو عدُّ المناقب على سبيل التطاول بها، والتعاظم على الناس؛ لأن من اتصف بهاتين الصفتين حملتاه على الإخلال بمن ذكر في الآية، ممن يكون لهم حاجة إليه.

وقال أبو رجاء الهروي: لا تجد سيئ المَلْكة[1] إلَّا وجدته مختالًا فخورًا، ولا عاقًّا إلَّا وجدته جبارًا شقيًّا.

قال الزمخشري: و«المختال»: التيَّاه الجهول الذي يتكبَّر عن إكرام أقاربه وأصحابه ومماليكه، فلا يحتفى بهم، ولا يلتفت إليهم[2].

وقال غيره: ذكر تعالى الاختيال، لأنَّ المختال يأنف من ذوي قرابته إذا كانوا فقراء، ومن جيرانه إذا كانوا ضعفاء، ومن الأيتام لاستضعافهم، ومن المساكين لاحتقارهم، ومن ابن السبيل لبعده عن أهله وماله، ومن مماليكه لأسرهم في يده. انتهى.

وتضافرت النقول على أن ذكر هاتين الصفتين (الاختيال والفخر) في آخر الآية إنَّما جاء تنبيهًا على أن من اتصف بالخيلاء والفخر يأنف من الإحسان للأصناف المذكورين، وأنَّ الحامل له على ذلك اتصافه بتينك الصفتين»[3].

* * *

(١) أي: الذي يسيء لمن يملكهم من الأرقَّاء.

(٢) تفسير الزمخشري (٥٠٩/١).

(٣) البحر المحيط لأبي حيان (٦٣٣/٣، ٦٣٤).

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الفصل الثاني

أدب المسلم مع الجار

علاقةُ الجِوار لها منزلةٌ وأهمِّية:

من العلاقات الإنسانيَّة الأساسيَّة التي يهتمُّ الإسلامُ بها: علاقةُ الجِوار بين الناس الذين تجمعهم المساكنُ العائلية، في حارة واحدة أو حيٍّ واحد، يلاصق بعضهم بعضًا، ويحيط بعضَهم ببعض، ويعرِف بعضُهم بعضًا، معرفةَ معاشرةٍ ومداومة، ليستْ معرفةَ شهرٍ أو شهرين، أو سَنَة أو سنتين، بل هي معرفة العُمر كلِّه.

لذلك تجد أهلَ الحارات والأحياء الصغيرة، يعرف بعضُهم بعضًا، صغارُهم وكبارهم، ورجالُهم ونساؤهم، ومثقفوهم وأمِّيُّوهم، يُوقِّر الصغيرُ الكبيرَ، ويرحم الكبيرُ الصغير، ويعلِّم العالمُ الجاهلَ، ويساعد القويُّ الضعيفَ، ويتعاونون على البر والتقوى، ولا يتعاونون على الإثم والعدوان.

ولهذا وجدْنا الأمثال السائرة تقول: «الجارَ قبل الدار، والرفيق قبل الطريق». ولهذا ذكر القرآنُ أن امرأةَ فرعون التي ضربها الله مثلًا للذين آمنوا قالتْ: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم: ١١]. قدمت في دعائها قولها: ﴿عِندَكَ﴾. على قولها: ﴿فِي ٱلْجَنَّةِ﴾؛ لأنَّها تطلب الجار قبل الدار، ولذا قال العرب: حُسْن الجِوار عِمارة الديار. وقالوا: مَن آذى جاره، أَورثه اللهُ ديارَه.

QaradawiBooks.com

ولا عجبَ أنْ وجدنا القرآن الكريم يوصي كلَّ التوصية بالجار ذي القربى، والجار الجُنُب، أي: البعيد، كما في «آية الحقوق العشرة» مِن سورة النساء، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

الجار شريك في الوصية بالإحسان مع الوالدين وذوي القربى وبقية الأصناف:

وكل جارٍ له على جاره حقُّ الإكرام والإحسان، الذي طلبه القرآن للوالدين وذوي القربى واليتامى والمساكين في آية الحقوق العشرة، وقد جَمَعَ اللهُ فيها أربعة أنواع من أصحاب الحقوق.

أولها: الحق الأعظم، وهو حق الله تعالى، الرب الأعلى، الذي خلق فسوَّى، والذي قدَّر فهدى، والذي أنعم على الإنسان بالنعم الكبرى: نعمة الوجود، ونعمة الحياة، ونعمة العقل، ونعمة الهداية، ونعمة خلق النعم الكبرى في السماوات والأرض، وتسخيرها لمنفعة الإنسان، من النباتات والأنعام والطيور والأسماك، وكل ما في الكون، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

ثانيا: حق مَن بيْنه وبين الإنسان قرابةٌ، وخصَّ منهم الوالدين بالذكر، لامتيازهما عن سائر الأقارب، فهما السبب في وجود الولد، وهم من قدَّم تربيته وتأديبه وغير ذلك، وقَرَنَ بالوالدين ذوي القربى.

الثالث: حق مَن هو ضعيف محتاج إلى الإحسان، وهو نوعان: مَن هو محتاج لضعف بدنه، وهو اليتيم، ومَن هو محتاج لقلَّة ماله أصلًا،

QaradawiBooks.com

وهو المسكين، أو لسببٍ طارئ، وهو ابنُ السبيل، وأضعف هؤلاء ما ملكتْ الأيمان.

والرابع: مَن له حقُّ القُرْب والمخالطة.

وجعلهم ثلاثةَ أنواع: الجار ذو القربى، والجار الجنب، والصاحب بالجنب.

معنى: الجار ذي القربي والجار الجنب:

فالجارُ ذو القربى: هو الذي بيْنه وبين جاره نوعٌ مِن القرابة مِن أولي الأرحام، كأنْ يكون جارًا أو أبًا أو جدًّا، أو ابنًا أو ابن ابنٍ، أو عمًّا أو خالًا، أو عمَّةً أو خالة، أو ابنَ عمٍّ أو ابن عمة، أو خالٍ أو خالةٍ، أو مِن الأصْهار، كأنْ يكون أبَا زوجِك أو أمَّها، أو ابنَها أو بنتها، أو أخاها أو أختَها، وما شابه ذلك. فهذا كلُّه يدخل في الجار ذي القربى، وكُلَّما اشتدتْ قرابتُه، زادتْ لُحْمته، وازداد حقُّه، وتضاعف استحقاقه، وضوعفت له المعونة.

ومِن العلماء مَن قال: الجارُ ذو القربى: هو القريب الجِوار الملاصق. والجار الجنب: البعيد الجِوار. وهذا لأنَّ القُرْبَ المكاني والملاصقة لها حقوقُها من غير شك، وفي صحيح البخاري، عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله، إنِّي لي جارَيْن، فإلى أيِّهما أُهدي؟ قال: «**إلى أقربِهما مِنكِ بابًا**»[1].

وقال بعض العلماء: أهل القرية الواحدة كلُّهم جيران بعضُهم لبعض، واستدلَّ بقوله تعالى عن المرجفين في المدينة: ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ

(١) رواه البخاري في الشفعة (٢٢٥٩)، وأحمد (٢٥٤٢٣).

QaradawiBooks.com

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠]. وقال في «الفتح» في حدِّ جِوار المسجد: «عن علي رضي الله عنه: من سمع النداء فهو جار[١].

وقيل: من صلى معك صلاة الصبح في المسجد، فهو جار.

وعن عائشة: حدُّ الجِوار أربعون دارًا من كل جانب.

وعن الأوزاعي مثله، وروى البخاري في الأدب المفرد مثله عن الحسن[٢]»[٣].

وهو ما قالتْ به طائفة من السلف: حدُّ الجِوار أربعون دارًا، وفُسرت بأنَّه: مِن كل جانب.

والجار الجُنُب: هو الجار البعيد عن جاره من ناحية النَّسَب والقُربَى، أي: الأجنبيُّ، وإنَّما كلُّ الذي يربطه بصاحبه هو حقُّ الجِوار الخالص، الذي وثَّق عروته الإسلامُ، ومَن قال: الجار ذو القربى هو الجار الملاصق. قال: الجار الجنب هو الجار البعيد.

خيار أهل الجاهلية كانوا يرعَونَ حقَّ الجِوار:

ولا شك أنَّ للجيران حقوقًا رعاها العرب، وخصوصًا الخيِّرينَ منهم، حتى في جاهليتهم، انظرْ إلى أحدهم، وهو الشاعر والفارس العربي المعروف بنخوته وشهامته ومروءته قبل الإسلام، عنترة العبسيُّ، الذي قال مفتخرًا[٤]:

---

(١) فتح الباري (٤٤٧/١٠).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٠٩)، وحسن إسناده الألباني في صحيح الأدب المفرد (٨٠).

(٣) فتح الباري (٤٤٧/١٠).

(٤) شرح ديوان عنترة للخطيب التبريزي صـ ٢٠٨، تحقيق: مجيد طراد، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

QaradawiBooks.com

أَغشـــى فَتاةَ الحَيِّ عِنـــدَ حَليلِها وإِذا غَزا في الجَيشِ لا أَغشـــاها
وأَغَضُّ طَرفي ما بَدَت لي جارَتي حَتّـــى يُـــواريَ جارَتـــي مَأواها

فلمَّا جاء الإسلام، أعلى من هذا الأمر، ووسَّع حقوقَ الجار، وأطال الحديث عنها، كما يعرف ذلك كل من طالع ما جاء في القرآن والسُّـــنَّة، وكُتب التفسير والحديث، والفقه والآداب الإسلاميَّة.

إكرام الجار واجب:

لقد اهتم الإســـلام بالجار، وأدب الجِوار، وبالجيـــران الذين حول الإنســـان مِن كل ناحية، ســـواء أكانوا أقارب أم أباعد، مسلمين أم غير مسلمين، فحتى لو كانوا مِن غير المســـلمين ممَّن يسميهم الفقهاءُ: أهلَ الذِّمَّة أو معاهدين، فلا بد من الإحســـان إليهم، وإيفائهم حقوقَهم، فهذا ما يدعو إليه الإسلام، وما تؤكِّده وصاياه، وقد قال تعالى في المُسالِمِينَ مِن غير المســـلمين: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

وقال ﷺ: «**مَن كان يؤمـــن بالله واليوم الآخر، فليكـــرمْ جارَه**»[(١)]. متفق عليه.

وفي بعض ألفاظ الحديث: «**فلا يؤذِ جاره**»[(٢)].

وهذه الرواية فيها معنى الشـــرح لبعض الإكرام؛ إذ معناه: أن توسِّع له، ولا تضيِّـــقْ عليه، وأن يتعامل معه ببَسْـــطِ الوجه، وحُسْـــن الخُلُق، وابتســـام الثغر، والمعاونة عند الحاجة، والتيســـير في ســـاعة العُسْرة،

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١٩)، ومسلم في الإيمان (٤٨)، عن أبي شريح العدوي.
(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١٨)، ومسلم في الإيمان (٤٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

والتفريج عند وقوع الكُرْبة، والمساهلة عند إلمام الشدة، فهذا كلُّه مِن معنى كلمة الإكرام، فمعنى إكرامه: أن توفِّر له الكرامة في نفسه وأهله ومَن يهمُّه.

وكلُّ جارٍ يعتبر أمينًا على جاره، وحارسًا له، ومِعْوانًا له على كل خير ينشُده، ومرصادًا لردِّ كلِّ شرٍّ عنه، ومِن هنا جعل الشرع للجار حقًّا في شراء بيت جاره، إذا أراد بيعه، فهو مقدَّم على غيره، حتى لا يدخل على الجيران مَن لا يعرفونه ولا يألفونه، ولا يضمنون ماذا يأتي منه، وهو ما يسميه الفقهاء: الشفعة، والناس يقولون: الجار أولى بالشفعة. وهو نص حديث الرسول الكريم ﷺ: «**الجارُ أحقُّ بشُفعة جاره**»[(١)]. وقال: «**جارُ الدار أحقُّ بالدار**»[(٢)]. ومثل الدار: الأرض.

ويُعتبر الجارُ أولى من الغريب، ما دام يدفع فيها الثمن المطلوب، قال ﷺ: «**الشُّفعة في كل رَبْعَةٍ أو حائط، لا يصلح له أن يبيعَ حتى يعرِض على صاحبه، فإن شاء أخذ، وإن شاء ترك**»[(٣)]. وعن سمرة، عن النبي ﷺ قال: «**جارُ الدار أحقُّ بدار الجارِ أو الأرض**»[(٤)].

---

(١) رواه أحمد (١٤٢٥٣)، وقال مخرِّجوه: رجاله ثقات. وأبو داود في الإجارة (٣٥١٨)، والترمذي في الأحكام (١٣٦٩)، وقال: حديث حسن غريب. وابن ماجه في الشفعة (٢٤٩٤)، والنسائي في الكبرى في البيوع (٦٢٦٤)، وصحَّحه ابن عبد الهادي في المحرر في الحديث (٩٢٤)، عن جابر بن عبد الله.

(٢) رواه أحمد (١٩٤٥٩)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. والنسائي في البيوع (٤٧٠٣)، وابن ماجه في الشفعة (٢٤٩٦)، عن الشريد بن سويد.

(٣) رواه مسلم في المساقاة (١٦٠٨)، وأحمد (١٤٣٣٩)، وأبو داود في الإجارة (٣٥١٣)، والنسائي في البيوع (٤٦٤٦)، وابن حبان في الشفعة (٥١٧٨)، عن جابر.

(٤) رواه أحمد (٢٠١٤٧)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الإجارة (٣٥١٧)، والترمذي في الأحكام (١٣٦٨)، وقال: حسن صحيح.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

ومِن المطلوب للجار مِن ألوان البرِّ والإحسان: أن يواسيه بكلُّ ما يحتاج إليه في شؤون الحياة والمعاش، ولا يبخل به عنه، فالمؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضًا، ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ٧١].

إجارة الجار:

ومِن إكرام الجار: إجارتُه إذا استجار، وقد كان هذا مِن شيَم العرب وفضائلهم التي كانوا يتمادحون ويتفاخرون بها، كما قال الشاعر:

همُو يمنعون الجـارَ حتى كأنَّما لجارِهِمُو بينَ السِّـماكَيْنِ منزلُ[١]

وقال الآخر:

ومسـتلحمٍ قـد أنقذتْـهُ رماحُنا وقدْ كانَ منهُ الموتُ أقربَ من شبْرِ
وجـارٍ منعناهُ من الضَّيْـمِ والعِدَا وجيرانُ أقوامٍ بمدْرَجـةِ الدَّهْرِ[٢]

وقال ثالث:

وجـارٍ مَنعنـاهُ، فقـرَّ جنابُـهُ ونامَ، ومـا جارُ الذليـلِ بنائمِ[٣]

وهكـذا كان يعتزُّ العـربُ ويتباهَون بأن جارَهم يعيـش في عزِّهم، لا يستطيع عدو أن يناله بضيمٍ أو سوء في نفسٍ أو مال، كما قال الشاعر:

وما ضرَّنـا أنَّـا قليـلٌ، وجارُنا عزيزٌ، وجـارُ الأكثريـن ذليلُ[٤]

---

(١) من شعر مروان بن أبي حفصة، انظر: شعره صـ ٥٥، تحقيق: د. حسين رضوان، سلسلة ذخائر العرب (٤٩)، نشر دار المعارف، ط ٣.

(٢) من شـعر نهشـل بن حري، كما في منتهى الطلب من أشـعار العرب لمحمد بن المبارك (٣٦/٨)، تحقيق: د. محمد نبيل طريفي، نشر دار صادر، بيروت.

(٣) من شعر عروة بن أذينة، انظر: المصدر السابق (١٣٤/٣).

(٤) من شـعر السـموءل بن عاديا، كما في ديوانه صـ ٦٧، صُنعة أبي عبد الله نفطويه، تحقيق: د. واضح الصمد، نشر دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

الدور تَغْلُو وترْخُصُ بجيرانِها:

ومِن هنا صار لبعض الدور قيمةٌ تكبُر وتغلُـو بفضل جيرانها، فمِن الناس من يقول: أنا والله لا أبيع داري بكذا وكذا من الألوف أو عشرات الألوف من الدراهم أو الدنانير؛ لأن لي جـارًا لا يمكن أن أعوضه وإن دفعوا لي الملايين.

ولهذا قال الشـاعر[1] الذي باع داره بأرخص سعر، تخلُّصًا من أذى جاره:

يلومُونني أن بعتُ بِالرُّخص منزلي ولـم يعلموا جارًا هنـاك ينغِّصُ
فقلتُ لهـم: كفُّوا المـلامَ، فإنَّما بجيرانها تغلو الديـارُ وترخُصُ

وهم ينسـبون هـذا الشـعـر إلى القاضـي عبـد الوهـاب الفقيه المالكـي الشهير.

إيذاء الجار محرَّم:

وكما أنَّ إكرامَ الجار واجبٌ، فإنَّ إيذاءَ الجار بالقول أو بالفعْل، سرًّا أو علنًا، حرامٌ لا شـك في تحريمه، كما قـال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

قال العلامةُ الحافظ ابن رجب في شرح بعض أحاديث «جامع العلوم والحكم»: «فإنَّ الأذى بغير حقٍّ مُحرَّم لـكلِّ أحدٍ، ولكن في حق الجار

(١) هو الفقيه المالكي عبد الوهاب بن نصر، كما في المحاضرات في الأدب واللغة للحسـن اليوسـي صـ ٤٥٠، ٤٥١، تحقيق: محمد حجي، وأحمد الشـرقاوي إقبال، نشـر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م.

QaradawiBooks.com

هو أشـــدُّ تحريمًا، وفي الصحيحين، عن ابن مســـعود، عن النبي ﷺ أنَّه سئل: أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله نِدًّا وهو خلقك**» قيل: ثم أي؟ قال: «**أن تقتل ولَدَكَ مخافةَ أن يَطْعَمَ معك**» قيل: ثم أي؟ قال: «**أن تزاني حَلِيلَةَ جارِكَ**»(١).

وفي صحيح البخاري، عن أبي شـــريح، عن النبـــي ﷺ قال: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**» قيل: مَن يا رسول الله؟ قال: «**مَن لا يأْمَـــنُ جـــارُه بوائقَـــه**»(٢). وخرَّجه الإمـــام أحمد وغيـــره من حديث أبي هريرة(٣).

وفي صحيح مســـلم، عن أبي هريرة، عن النبـــي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة مَن لا يأْمن جارُه بوائقَه**»(٤). وبوائق الجار: ظلمه وشرُّه.

وخرج الإمام أحمد، والحاكم، من حديث أبي هريرة أيضًا قال: قيل: يا رســـول الله، إن فلانةَ تصلي بالليل، وتصوم النهار، وفي لسانها شيء يؤذي جيرانها ســـليطة. قال: «**لا خير فيها، هي في النـــار**». وقيل له: إن فلانة تصلي المكتوبة، وتصوم رمضان، وتتصدق بالأثوار(٥)، وليس لها شيء غيره، ولا تؤذي أحدًا. قال: «**هي في الجنة**»(٦).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٧٦١)، ومسلم في الإيمان (٨٦).

(٢) رواه البخاري في الأدب (٦٠١٦)، وأحمد (٧٨٧٨).

(٣) رواه أحمد (٧٨٧٨)، وقال مخرِّجوه: إســـناده صحيح على شرط مســـلم. والبزار (٨٥١٣)، والحاكم في الإيمان (١٠/١)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٤) رواه مسلم في الإيمان (٤٦)، وأحمد (٧٨٧٨)، وعلقه البخاري عقب حديث (٦٠١٦)، مجزوما به.

(٥) الأثوار: قطع صغيرة من الجبن.

(٦) رواه أحمد (٩٦٧٥)، وقال مخرِّجوه: إســـناده حســـن. والبخاري فـــي الأدب المفرد (١١٩)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٩٠)، والحاكم في البر والصلة (١٦٦/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ولفظ الإمام أحمد: ولا تؤذي بلسانها جيرانها[١].

إنَّ إيذاءَ الجيران داءٌ خطير، وإثمٌ عظيم، لا تُغني معه صلاةٌ ولا صيام.

وعن فَضَالة بن عُبيدٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة من الفَواقِر[٢]: إمامٌ إنْ أحسنتَ لم يشكُرْ وإن أسأتَ لم يغفر، وجارُ سوءٍ إن رأى خيرًا دفنَه وإن رأى شرًّا أذاعه، وامرأةٌ إن حَضَرْتَ آذتكَ وإن غِبْتَ عنها خانتكَ**»[٣].

وعن أنس بن مالك ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما آمَنَ بي مَنْ باتَ شبعانًا وجارُه جائعٌ إلى جَنْبِه، وهو يعلم**»[٤].

وعن ابن عباس ﷺ، أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس المؤمن الذي يشبع وجارُه جائعٌ**»[٥].

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**خيرُ الأصحاب عند الله خيرُهم لصاحبِه، وخيرُ الجيرانِ عند الله خيرُهم لجارِه**»[٦].

---

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب (٣٤٣/١)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٧، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

(٢) الفواقر: جمع فاقرة، وهي المصيبة.

(٣) رواه الطبراني (٣١٨/١٨)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣٨٧٣): رواه الطبراني بإسناد لا بأس به. والهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٥٦٠): فيه محمد بن عصام بن يزيد، ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه ولم يوثقه، وبقية رجاله وثقوا.

(٤) رواه البزار (٧٤٢٩)، والطبراني (٢٥٩/١)، وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٣٨٧٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٥٥٤)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٠٥).

(٥) رواه البخاري في الأدب المفرد (١١٢)، وأبو يعلى (٢٦٩٩)، والطبراني (١٥٤/١٢)، والحاكم في البر والصلة (١٦٧/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٤٩).

(٦) رواه أحمد (٦٥٦٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي. والترمذي في البر والصلة (١٩٤٤)، وقال: حسن غريب. والبخاري في الأدب المفرد (١١٥)، والحاكم في الصوم (٤٤٣/١)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

عناية السُّنَّة بحق الجار:

ولقد رأينا السُّـنَّة النبويَّة تُعنَى أبلغ العناية بحق الجار، والوصية به، والتفصيـل فيما ينبغي له، ما لـم نرَه في دين آخر، ولا فلسـفةٍ أخرى، حسبُنا أن نسجِّل هذه الأحاديث هنا:

ففي مسـند الإمام أحمد، عـن المقداد بن الأسـود رضي الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ: «**ما تقولون في الزنى؟**» قالوا: حرام حرَّمه الله ورسوله، فهو حرام إلى يوم القيامة. فقال رسـول الله ﷺ: «**لأنْ يزني الرجلُ بعشرِ نسوة أيْسَرُ عليه مِن أنْ يزني بامرأةِ جاره**» قال: «**فما تقولون في السرقة؟**» قالوا: حرام حرَّمها الله ورسـوله، فهي حرام. قال: «**لأنْ يسرق الرجل من عَشَرة أبياتٍ أيسرُ عليه من أن يسرق من جاره**»(١).

ومن هنا نرى الشـارع يُغلِّظ في إثم الجريمـة إذا وقعت من جارٍ لجاره؛ لِما له من عظيم الحق عليه، فلهذا عظَّم الله إثمَ عملِه إذا كان مِن جاره.

وعـن أبي هريـرة رضي الله عنه، أنَّ النبي ﷺ قـال: «**والله لا يؤمـن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**». قيل: مَنْ يا رسول الله؟ قال: «**من لا يأمن جارُه بوائقَه**»(٢). رواه أحمد والبخاري ومسلم، وزاد أحمد قالوا: يا رسول الله، وما بوائقه؟ قال: «**شرُّه**».

---

(١) رواه أحمد (٢٣٨٥٤)، وقال مخرِّجوه: إسـناده جيد. والبخاري فـي الأدب المفرد (١٠٣)، والبزار (٢١١٥)، والطبراني (٢٥٦/٢٠)، قال الهيثمـي في مجمع الزوائد (١٣٥٦١): رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات. وصحَّحه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٧٦).

(٢) سبق تخريجه صـ٤٥٣.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

كل هذه الأحاديث الصحاح تعظم حقَّ الجار، وتنفي وتُكرِّر نفْيَ الإيمان عمَّن لا يأمن جارُه بوائقَه، أي: شرُّه.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لا يؤمن عبدٌ حتى يحبَّ لجارِه ـ أو قال: لأخيه ـ ما يحبُّ لنفسِه**»(١).

وهذا قَسَمٌ مِن رسول الله، وهو الصادق المصدوق، ولو لم يحلف: ينفي الإيمانَ عمَّنْ لا يحبُّ لجارِه أو لأخيه، ما يحبُّ لنفسه، وكلُّ جارٍ إنَّما هو أخٌ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

الاستعاذة من جار السوء:

ولهذا كان مِن الشرور التي يُستعاذ منها: أن يُبتلى الإنسان بجار سوء، لا يستر لك عورة، ولا يحفظ لك غَيْبة، لا يحميك حاضرًا، ولا يحرسك غائبًا، وهذا ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنَّه كان يقول: «**اللهم إنِّي أعوذ بك من جار السوء في دار المُقامة، فإن جار البادية يتحوَّل**»(٢).

ومَنْ لم يُسامحْ جارَه في الدنيا ويحاول إصلاح ما بينه وبينه، فما أسرع ما يختصمان يوم القيامة، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول خَصْمين يوم القيامة: جاران**»(٣).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)، كلاهما في الإيمان.

(٢) رواه النسائي في الاستعاذة (٥٥٠٢)، والبخاري في الأدب المفرد (١١٧)، والحاكم في الدعاء (٥٣٢/١)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (١٢٩٠).

(٣) رواه أحمد (١٧٣٧٢)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. والطبراني (٣٠٣/١٧)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣٨٦٦): رواه أحمد والطبراني بإسنادين أحدهما جيد. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٥٧٢): رواه أحمد والطبراني بنحوه وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح غير أبي عشانة وهو ثقة. وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٦٣).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

شكوى الجار المؤذي للناس:

ومن آذى جاره في الدنيا، فقد أذِنَ الرسولُ لمن أُوذِيَ أن يشكوه إلى المجتمع من حوله، فيُخرِج متاعَ بيته إلى الطريق في هيْئة مَن يُغادِر المكان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشكو جاره، فقال له: «**اذهبْ فاصبرْ**». فأتاه مرتين أو ثلاثًا، فقال: «**اذهبْ فاطرحْ متاعك في الطريق**». ففعل، فجعل الناس يمرون ويسألونه، فيخبرهم خبر جاره، فجعلوا يلعنونه: فعل الله به وفعل، وبعضهم يدعو عليه، فجاء إليه جاره، فقال: ارجعْ، فإنك لن ترى مني شيئًا تكرهه[1].

وإذا كان الرسول الكريم اقترح لنا هذا النموذج في الشكوى من أذى الجيران، فنحن إذا فكَّرنا وتشاورنا، فلن نعجز عن نماذج أخرى، فربما لم يعد يصلح النموذج الذي اقترحه الرسول على الرجل في عصرنا هذا.

الصبر على أذى الجار:

وعن مُطرِّفٍ ـ يعنِي: ابنَ عبد الله ـ قال: كان يبلغني عن أبي ذر حديث، وكنتُ أشتهي لقاءه، فلقِيتُه، فقلتُ: يا أبا ذر، كان يبلغني عنك حديث، وكنت أشتهي لقاءك. قال: لله أبوك! قد لقيتَني، فهاتِ. قال: حديث بلغني أن رسول الله ﷺ حدَّثك. قال: «**إنَّ الله عز وجل يحبُّ ثلاثةً ويبغض ثلاثةً**». قال: فما إخالُني أكذب على رسول الله ﷺ. فقلتُ: فمَن هؤلاء الثلاثة الذين يحبُّهم الله عز وجل؟ قال: «**رجلٌ غزا في سبيل الله صابرًا محتسبًا، فقاتلَ حتى قُتِل**». وأنتم تجدونه عندكم في كتاب الله عز وجل، ثم

(١) رواه أبو داود في الأدب (٥١٥٣)، وابن حبان البر والإحسان (٢٧٨/٢)، وقال الأرناؤوط: إسناده قوي. والحاكم (١٦٦/٤)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الألباني في صحيح أبي داود (٤٢٩٢): حسن صحيح.

QaradawiBooks.com

تلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]. قلتُ: ومَن؟ قال: «**رجلٌ كان له جارُ سوءٍ يؤذيه، فيصبر على أذاه، حتى يكفيه اللهُ إياه بحياةٍ أو موتٍ...**»[(١)]. فذكر الحديث.

الوصية بالجار:

وعن ابن عمرَ[(٢)] وعائشةَ[(٣)] رضي الله عنهم، قالا: قال رسول الله ﷺ: «**ما زال جبريل عليه السلام يوصيني بالجار حتى ظننْتُ أنَّه سَيُورِّثُه**».

وعن رجُلٍ من الأنصار قال: خرجتُ مع أهلي أريدُ النبيَّ ﷺ، وإذا به قائم، وإذا رجل مُقبِلٌ عليه، فظننْتُ أنَّ له حاجةً، فجلستُ، فوالله لقد قام رسول الله ﷺ، حتى جعلتُ أرْثِي له مِن طول القيام. ثم انصرفَ، فقمتُ إليه، فقلتُ: يا رسول الله، لقد قام بِكَ هذا الرجل حتى جعلتُ أرثي لك من طول القيام! قال: «**أتدري مَن هذا؟**» قلتُ: لا. قال: «**جبريل ﷺ، ما زال يوصيني بالجار، حتى ظننتُ أنَّه سيورِّثه، أَمَا إِنَّك لو سلمتَ عليه لردَّ عليك السلامَ**»[(٤)].

وعن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ وهو على ناقته الجَدْعاء في حجَّة الوداع يقول: «**أوصيكم بالجار**». حتى أكثرَ، فقلتُ: إنَّه يُوَرِّثه[(٥)].

---

(١) رواه أحمد (٢١٥٣٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والطيالسي (٤٧٠)، والطبراني (١٥٢/٢)، والحاكم في الجهاد (٨٨/٢)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري الأدب (٦٠١٥)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٢٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري الأدب (٦٠١٤)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٢٤).

(٤) رواه أحمد (٢٣٠٩٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣٨٨٤): رواته رواة الصحيح. وكذا قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٥٣٨).

(٥) رواه أحمد (٢٢٢٩٨)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والطبراني (١١١/٨)، وجود إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٣٨٨٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٥٤٤).

QaradawiBooks.com

وعن مُجاهد، أنَّ عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ذُبِحَتْ له شاةٌ في أهله، فلمَّا جاء قال: أهديتُم لجارنا اليهودي؟ أهديتم لجارنا اليهودي؟ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنَّه سيورِّثه**»(١).

من سعادة المرء: الجار الصالح:

وعن نافع بن الحارث رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مِن سعادة المرء: الجارُ الصالح، والمركب الهنِيء، والمسكنُ الواسع**»(٢).

وعن سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَرْبَعٌ مِن السعادة: المرأةُ الصالحة، والمسكنُ الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنِيء. وأربع من الشقاء: الجارُ السوء، والمرأة السوء، والمركب السوء، والمسكن الضَّيِّق**»(٣).

لا يمنع الجارَ مِن وضْع خشبة في جدار داره ما لم يضره:

وممَّا هو مُقرَّر شرْعًا في حقوق الجيرانِ بعضهم مع بعض: أنَّه يجوز للجار أن يضع خشبة يحتاج إليها البِنَاءُ في جدارِ جاره، ما دام ذلك لا يضرُّه. ففي الصحيحين، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال:

---

(١) رواه أحمد (٦٤٩٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في الأدب (٥١٥٢)، والترمذي في البر والصلة (١٩٤٣)، وقال: حسن غريب.

(٢) رواه أحمد (١٥٣٧٢)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح لغيره. والبخاري في الأدب المفرد (١١٦)، والحاكم في البر والصلة (١٦٦/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه ابن حبان في النكاح (٤٠٣٢)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٨٢).

QaradawiBooks.com

«**لا يمنعَنَّ أحدُكم جارَه أن يغرز خشبةً في جداره**». ثم يقول أبو هريرة: ما لي أراكم عنها مُعْرضين، والله لأرمِيَنَّ بها بَيْن أكتافِكم[1].

قال الحافظ ابن رجب: «ومذهبُ الإمام أحمد: أنَّ الجارَ يلزمُه أن يمكِّن جارَه مِن وضْع خشبةٍ على جداره، إذا احتاج الجارُ إلى ذلك، ولم يضُرَّ بجداره، لهذا الحديث الصحيح.

وظاهرُ كلامه: أنَّه يجب عليه أن يواسيه مِن فضْل ما عنده، بما لا يضرُّ به إذا علم حاجته.

قال المروزي: قلتُ لأبي عبد الله: إنِّي أسمع السائل في الطريق يقول: إنِّي جائع. فقال: قد يصدُق وقد يكذِب. قلتُ: فإذا كان لِي جارٌ أعلم أنَّه يجوع؟ قال: تواسيه. قلتُ: إذا كان قوتي رغيفين؟ قال: تطعمه شيئًا، ثم قال: الذي جاء في الحديث إنَّما هو الجار.

وقال المروزي: قلتُ لأبي عبد الله: الأغنياءُ يجب عليهم المواساة؟ قال: إذا كان قومٌ يضعون شيئًا على شيء، كيف لا يجب عليهم؟! قلتُ: إذا كان للرجل قميصان ـ أو قلتُ: جُبَّتانِ ـ يجب عليه المواساة؟ قال: إذا كان يحتاج إلى أن يكون فضلًا.

وهذا نصٌّ منه في وجوب المواساة مِن الفاضل، ولم يخصَّه بالجار، ونصُّه الأول يقتضي اختصاصه بالجار.

وقال في رواية ابن هانئ في السُّؤَّال يكذبون: أحبُّ إلينا لو صدقوا، ما وسِعَنا إلَّا مواساتُهم. وهذا يدل على وجوب مواساة الجائع من الجيران، وغيرهم.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٦٣)، ومسلم في المساقاة (١٦٠٩)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وفي الصحيح، عن أبي موسى، عن النبي ﷺ، قال: «**أطعموا الجائع، وعُودوا المريض، وفكُّوا العانِي**»(١).

وفي المسند وصحيح الحاكم، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ، قال: «**أيُّما أهل عَرْصَة أصبح فيهم امرؤٌ جائع، فقد برِئَتْ منهم ذمَّةُ الله** ﷻ»(٢).

ومذهب أحمد ومالك: أنَّه يُمنع الجارُ أن يتصرَّف في خاصِّ ملكِه بما يُضِرُّ بجاره، فيجب عندهما كفُّ الأذى عن الجار بمنْع إحداث الانتفاع المُضرِّ به، ولو كان المنتفع إنَّما ينتفع بخاصِّ ملكه. ويجب عند أحمد أن يبذل لجاره ما يحتاج إليه، ولا ضرر عليه في بذله، وأعلى مِن هذين أن يصبر على أذَى جارِه، ولا يقابله بالأذى. قال الحسن: ليس حُسْنُ الجِوار كفَّ الأذى، ولكنَّ حسْنَ الجِوار احتمالُ الأذى»(٣).

* * *

(١) رواه البخاري في الأطعمة (٥٣٧٣)، وأحمد (١٩٥١٧)، وأبو داود في الجنائز (٣١٠٥).

(٢) رواه أحمد (٤٨٨٠)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. وأبو يعلى (٥٧٤٦)، والحاكم في البيوع (١١/٢)، وذكره ضمن عدة أحاديث، وقال: هذه الأحاديث الستة طلبتها وخرجتها في موضعها من هذا الكتاب، احتسابا لما فيه الناس من الضيق، والله يكشفها، وإن لم يكن من شرط هذا الكتاب. وقال الذهبي: عمرو بن الحصين العقيلي تركوه، وأصبع بن زيد الجهني فيه لين. عن ابن عمر.

(٣) جامع العلوم والحكم (٣٥٢/١، ٣٥٣).

QaradawiBooks.com

الفصل الثالث

أدب المسلم مع الأصحاب والأصدقاء

قال علماؤنا من قديم: الإنسان مدنيٌّ بطبعه. بمعنى أنَّه لا يستطيع بحكم الفطرة أن يعيش وحده، بل يحتاج إلى غيره في قضاء حاجاته، وتهيئة مطالبه، وتحقيق مقاصده، ولهذا كانت طفولة الإنسان ـ بالنسبة لغيره من الحيوانات والوحوش والطيور ـ أطول الطفولات؛ لحاجته إلى ملازمة الأبوين، ليتعلم منهما، ويتغذى من أمه أولًا بالرضاع، ثم من أبيه عن طريق الكسب.

ويقول العلماء المُحْدَثون: إنَّ الإنسان حيوان اجتماعي. ولهذا اعتبر السجن الانفرادي من أشدِّ العقوبات على الإنسان. وكانت حاجة الناس إلى الاجتماع البشري، والمعيشة في مجتمع مدنيٍّ حاجة أساسية.

ومن هنا كانت حاجة كل إنسان إلى صاحب وفيٍّ له، أو صديق مخلص، يوفيه حقه، ويُودعه سرَّه، ويكاشفه بما عنده، ويعاونه في قضاء مأربه، ومن هنا كان الخليل من خليله كأنَّه جزء من نفسه، ولذلك يُعرف الناس بأصدقائهم وأخلائهم في الدنيا وفي الآخرة.

الأخلاء والأصدقاء الذين يضرون في الآخرة:

يقول الله تعالى مُبيِّنًا الأخلَّاء الذين لا ينفعون في الآخرة، حين يتبرأ كلٌّ منهم من صاحبه الذي كان صديقه في الدنيا: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ

QaradawiBooks.com

يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۞ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۞ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩].

فهذا خليل لا تنفع خلته ولا صداقته، لأنَّها لم تُبْنَ على أسس متينة، بل بُنيت على شهوات الدنيا ومصالحها، فحين انتفت، انتفى ما بُني عليها. كما قال تعالى في شأن قوم: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٥]. ولهذا حذَّر القرآن في الدنيا من أخلاء وأصدقاء السوء الذين لا تنفع خلتهم يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧].

الأخلاء الذين ينفعون في الآخرة:

وفي مقابل هؤلاء الأصدقاء الذين لا يُرْجَى منهم أدنى نفع لإخوانهم وأخلائهم في الآخرة، نجد الآخرين الذين أثنى الله تعالى وهم المتقون، الذين استثناهم الله من هذا الحكم العام الذي يعم كل الأخلاء.

فكل الأخلاء والأصدقاء في الدنيا، الذين كانت صداقتهم على الموائد الخمر، والليالي السود، والغرائز البهيميَّة، تتحول إلى عداوات يوم القيامة، حيث يكفر بعضهم ببعض، ويقول كلٌّ واحد لصديقه: أنت الذي أضللتني، وأنت الذي أبعدتني عن الحق، وعن الخير، ﴿ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٨].

الخِل التقي هو الصديق الصدوق، الذي لا يكذب إذا حدَّث، ولا يخلف إذا وعد، ولا يخون إذا ائْتُمن، ولا يغدر إذا عاهد، ولا يفجر إذا

QaradawiBooks.com

خاصم، ويذكِّر خله بالله إذا نسي، ويعينه على طاعته وعبادته إذا ذكر، ومن وجد مثل هذا الخل فليستمسك به، فأنه أندر من الكبريت الأحمر، وأغلى من الذهب الأصفر، وقد عدَّه بعض الشعراء من المستحيلات التي لا يمكن أن تطلب، قال:

أيقنتُ أنّ المستحيلَ ثلاثة الغُولُ والعَنقاءُ والخِلّ الوفي[1]

مبالغات الشعر في التحذير من الأصدقاء:

وأنا في الواقع لا أوافق على قول الشاعر المشهور[2]:

احذَرْ عَدُوَّكَ مَرَّةً واحذرْ صَدِيقَك ألفَ مَرَّةْ
فلرُبَّما انقلبَ الصَّدِيـ ـقُ فكان أعلمَ بالمَضَرَّةْ

فإنَّ الصديق الحقيقي، الذي يصْطفيه الإنسان الخيِّر من بين المؤمنين الخيِّرين، ويكون اختياره له على أُسس صحيحة، إيمانيَّة وأخلاقيَّة وفكريَّة، وتقوم العلاقة بينهما على رعاية الحقوق، وأداء الواجبات لكل منهما، هذا الصديق لا يغدر، وإن ساءت العلاقة بينه وبين صديقه يومًا ما، لا يمكن أن يكون هذا الصديق بمثابة العدو الأصلي، فضلًا عن أن يكون أشد خطرًا منه ألف مرة!

فلا ينبغي أن نأخذ هذه «المبالغة الشعرية» على أنَّها تمثل الحِكَم الخالدة، أو الحقائق الواقعة، فهذا ظلم للحقيقة، وظلم للناس.

---

(١) من شعر صفي الدين الحلي، كما ديوانه صـ ٥٦٨، نشر دار صادر، بيروت.

(٢) نسبه الثعالبي للقاضي ابن معروف في يتيمة الدهر (١٢٧/٣)، تحقيق د. مفيد محمد قمحية، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، ونسبه ابن عبد البر إلى منصور الفقيه في بهجة المجالس (٦٩٦/١)، تحقيق: محمد مرسي الخولي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

QaradawiBooks.com

قد يصدق هذا في أصدقاء الشهوة، وأصدقاء المصلحة، وأصدقاء الباطل، وأصدقاء الظلام، أمَّا أصدقاء الحق والنور، فمهما اختلفوا مع أصدقائهم، فلا يمكن أن يكونوا مع الغادرين، الذين ينقضون الميثاق، ولا يوفون بعهد الله.

البحث عن الصحبة الصالحة:

ولهذا سعى موسى عليه السلام مع فتاهُ ـ كما ذكر لنا القرآن ـ في رحلة طويلة لقِيَا فيها نصبًا، أيْ: تعبًا وجهدًا، لكي يلقى موسى وفتاه رجلًا صالحًا عالمًا يصحبه موسى ويتعلم منه، يقول الله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

وكانت فرحة موسى غامرة بلقاء هذا المعلم الذي ينشده، والذي وعده الله به، ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ۝ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ۝ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٦ ـ ٦٨].

وفي هذه القصة التي لخصها القرآن في سورة الكهف، نجد أن موسى عليه السلام، وهو من الرسل الكبار، ومن أولي العزم من الرسل ـ وهم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ـ طلب من هذا المعلِّم، الذي لم يذكر لنا القرآن اسمه، وذكرته السُّنَّة باسم الخضر[1]: أن يصطحبه متَّبعًا له، قال له: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ وعرَّفه المعلم أن ما عنده قد يفاجئه في أول الأمر بأنَّه غير ما عندك، فلذلك قال له: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ مبيِّنًا أنَّه معذور في عدم الصبر، ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾، ولكن موسى أصرَّ على صحبة الرجل، وقال: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾.

(١) من ذلك حديث البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٠٠)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

ويتبين لنا من سياق الأحداث أن موسى لم يطُل صبره على هذا الرجل، وما بدا منه من غرائب خفيت عليه في أول الأمر، ثم بدأ يشرحها له واحدة تلو الأخرى، وفي النهاية قال له: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢] أيْ أنَّه لم يتصرف كيف أراد، بل تصرَّف كما أمره الله، فليس هناك شريعة تقابلها حقيقة تخالفها، بل الكل ينطلق ممَّا شرعه الله وأمر به.

ولا يزال الخير في أمة محمد، التي لم تخل من الأخلَّاء والأصدقاء الصادقين والأصحاب الصالحين، وإن أنكر ذلك المتشائمون.

وهؤلاء الأخلاء والأصحاب المتقون، يجب علينا جميعًا أن نبحث عنهم، ونعض عليهم بالنواجذ.

وهؤلاء المتقون سيجدون الصداقة الحقَّة، والخلَّة الصادقة يوم القيامة تظلهم وتجمعهم، كما جاء في الأحاديث الصحاح.

السُّنَّة تؤكد على التماس الخلة الصالحة، وفضل الحب في الله:

وقد انتقينا من كتاب المنذري في «الترغيب والترهيب» جملة من الأحاديث الصحيحة والحسنة، مُرغِّبة في الحبِّ في الله تعالى، ومُرهِّبة من حبِّ الأشرار وأهل البِدَع؛ لأنَّ المرء مع من يُحب.

فعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثٌ من كنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان: مَن كان اللهُ ورسولُهُ أحبَّ إليه ممَّا سواهما، ومن أحب عبدًا لا يحبه إلَّا لله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يُقْذف في النار**»[(١)].

(١) رواه البخاري في الإيمان (٢١).

QaradawiBooks.com

وفي رواية: «**ثلاث من كُنَّ فيه وجَدَ حلاوة الإيمان وطعمه: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه ممَّا سواهما، وأن يحب في الله ويبغض في الله، وأن توقد نار عظيمة فيقع فيها أحب إليه من أن يشرك بالله شيئًا**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابُّون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلَّا ظلِّي**»(٢).

وعنه رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**من سرَّه أن يجد حلاوة الإيمان، فليحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلَّا لله**»(٣).

وعنه أيضًا: «**سبعة يُظلُّهم الله في ظلِّه، يوم لا ظل إلَّا ظله... ورجلان تحابَّا في الله اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه...**» الحديث(٤).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما تحابَّ رجلان في الله إلَّا كان أحبَّهما إلى الله عز وجل، أشدُّهما حبًّا لصاحبه**»(٥). وفي رواية: «**كان أفضلَهما أشدُّهما حُبًّا لصاحبه**»(٦).

---

(١) سبق تخريجه صـ١٣.

(٢) رواه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٦٦)، وأحمد (٧٢٣١).

(٣) رواه الحاكم في الإيمان (٣/١)، وقال: قد احتجا جميعًا بعمرو بن ميمون، عن أبي هريرة، واحتج مسلم بأبي بلج، وهو حديث صحيح لا يُحفظ له علة. وقال الذهبي: لم يحتج به ـ يعني أبا بلج ـ وقد وثق. وقال البخاري: فيه نظر.

(٤) سبق تخريجه صـ١٠٠.

(٥) رواه أبو يعلى (٣٤١٩)، وابن حبان في البر والإحسان (٥٦٦)، والطبراني في الأوسط (٢٨٩٩)، والحاكم في البر والصلة (١٧١/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٥٠).

(٦) رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٤٤)، وقال الألباني في الصحيحة (٤٥٠): حسن صحيح.

QaradawiBooks.com

وعن أبي الدَّرْداء رضي الله عنه يرفعه قال: «**ما من رجلين تحابَّا في الله بظهر الغيب، إلَّا كان أحبّهما إلى الله أشدّهما حُبًّا لصاحبه**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: **أنَّ رجلًا زَارَ أخًا له في قرية أخرى، فأَرْصَد الله على مَدْرَجَتِه ملَكًا، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة تَرُبُّها؟ قال: لا، غير أنِّي أُحِبُّه في الله. قال: فإني رسول الله إليك، إنَّ الله قد أحبَّك كما أحببته فيه**(٢).

وعن أبي إدريس الخَوْلَانِيِّ قال: دخلتُ مسجد دمشق، فإذا فَتًى برَّاق الثَّنايا، وإذا الناس معه، فإذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه، وصدَرُوا عن رأيه، فسألت عنه، فقيل: هذا معاذ بن جبل. فلما كان من الغدِ هجَّرْتُ(٣)، فوجدته قد سبقني بالتَّهْجير، ووجدتُه يُصلي، فانتظرته حتى قضى صلاته، ثم جِئْتُه من قِبلِ وجهه، فسلمتُ عليه، ثم قلتُ له: والله إنِّي لأُحِبكَّ لله. فقال: آلله؟ فقلتُ: آلله. فقال: آلله؟ فقلتُ: آلله. فأخذ بحُبْوة رِدَائي، فجذبني إليه، فقال: أبشر، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تبارك وتعالى: وجَبَتْ مَحبَّتي للمتحابِّين فِيَّ، وللمتجالِسين فِيَّ، وللمتباذِلين فِيَّ**»(٤).

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٥٢٧٩)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٤٥٧١): إسناده جيد قوي. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٩٩٥): رجاله رجال الصحيح غير المعافى بن سليمان، وهو ثقة. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٣٢٧٣).

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٧)، وأحمد (٩٢٩١). والمَدْرَجَة بفتح الميم والراء: هي الطريق. وقوله: تَرُبُّها أي: تقوم بها، وتسعى في صلاحها.

(٣) أي بكَّرت وذهبت وقت الهاجرة، وهو وقت انتصاف النهار واشتداد الحر.

(٤) رواه مالك في الموطأ (٩٥٣/٢)، وأحمد (٢٢٠٣٠)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وصحح النووي إسناده في رياض الصالحين (٣٨٢).

QaradawiBooks.com

عن أبي مسلمٍ الخَوْلاني أيضًا قال: قلتُ لمعاذِ بن جبل: والله إنِّي لأُحِبُّك لغير دُنيا أرجو أن أُصيبَها منكَ، ولا قَرَابةٍ بيني وبينك. قال: فلأي شيء؟ قلتُ: لله. قال: فجذب حُبْوتي. ثم قال: أبشر إن كنتَ صادقًا، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ، يقول: «**المتحابُّون في الله في ظلِّ العرش يوم لا ظل إلَّا ظله، يَغْبِطهم بمكانهم النبيُّون والشُّهداء**». قال: لَقِيْتُ عُبَادةَ بن الصامت، فحدَّثْته بحديث معاذ، فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول عن ربه تبارك وتعالى: «**حقَّت محبَّتي على المتحابِّين فِيَّ، وحقَّت محبَّتي على المتناصحين فِيَّ، وحقَّت محبَّتي على المتزاورين فِيَّ، وحقَّت محبَّتي على المتباذلين فِيَّ. وهم على منابر من نور، يغبطهم النبيُّون والشهداء والصِّدِّيقون**»[(١)].

وعن عُبَادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يأثُرُ عن ربه تبارك وتعالى يقول: «**حقَّت محبَّتي للمتحابِّين فيَّ، وحقَّت محبَّتي للمتواصلين فيَّ، وحقَّت محبتي للمتزاورين فيَّ، وحقَّت محبَّتي للمتباذلين فيَّ**»[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ من عباد الله عبادًا ليسوا بأنبياء، يغبطهم[(٣)] الأنبياء والشهداء**». قيل: من هم لعلنا نحبُّهم؟ قال: «**هم قوم تحابُّوا بنور الله من غير أرحام ولا أنساب، وجوههم نور، على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن**

(١) رواه أحمد (٢٢٧٨٢) وفيه قصة، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وابن حبان في البر والصلة (٥٧٧)، والضياء في المختارة (٣٧٥).

(٢) رواه أحمد (٢٢٠٠٢)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح.

(٣) «يَغْبِطُهم الأنبياء والشهداء»: أي يتمنون أن يكون لهم مزيتهم. والمزية لا تقتضي الأفضلية، كما هو معلوم.

QaradawiBooks.com

الناس». ثم قرأ: «﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]»[(١)].

وعن أبي أُمَامة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**من أحبَّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**»[(٢)].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا عند النبيِّ ﷺ، فقال: «**أيُّ عُرى الإسلام أوثق**» قالوا: الصلاة. قال: «**حسنةٌ، وما هي بها**» قالوا: صيام رمضان. قال: «**حسنٌ وما هو به**» قالوا: الجهاد. قال: «**حسنٌ، وما هو به**» قال: «**إن أوثق عُرى الإيمان أن تحبَّ في الله، وتُبْغض في الله**»[(٣)].

وعن أنس رضي الله عنه، أنَّ رجلًا سأل رسول الله ﷺ: متى الساعة؟ قال: «**وما أعددتَ لها؟**» قال: لا شيء، إلَّا أنِّي أحبُّ الله ورسوله. قال: «**أنت مع من أحببتَ**».

قال أنس: فما فرِحْنا بشيء فَرَحَنا بقول النبي ﷺ: «**أنت مع من أحببتَ**». فأنا أحب النبيَّ ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بِحُبِّي إيَّاهم[(٤)].

---

(١) رواه النسائي في الكبرى في التفسير (١١١٧٢)، وابن حبان في البر والإحسان (٥٧٣)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح. وصحَّحه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٢٣).

(٢) رواه أبو داود في السُّنَّة (٤٦٨١)، والطبراني (١٣٤/٨)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٢٩): حسن صحيح.

(٣) رواه أحمد (١٨٥٢٤)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن بشواهده. والطيالسي (٧٨٣)، وابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٤٧٩)، وحسَّنه بمجموع طرقه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٣٠)، عن البراء بن عازب.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في أصحاب النبي (٣٦٨٨)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٣٩).

QaradawiBooks.com

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، كيف ترى في رجل أحب قومًا ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله ﷺ: «**المرءُ مع مَنْ أحبَّ**»(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنَّه سمع النبي ﷺ يقول: «**لا تُصاحِبْ إلَّا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلَّا تقيٌّ**»(٢).

حسن اختيار الأخ والصديق:

وأول ما يوصي به الإسلامُ المسلمَ: أن يُحسن اختيار صديقه، فليس كل إنسان يصلح أن تتَّخذه صديقًا أو خليلًا لك، وإنَّما يجب عليك أن تبحث عن الخليل الذي سمَّاه الشعراء: الخلّ الوفيّ. والذي اعتبروه من ثالث المستحيلات في الدنيا، وإن كان ذلك لا يخلو من مبالغات الشعراء.

ولكن الأوفياء في الدنيا موجودون، ولكنَّهم عادة قليلون، وفي بعض المجتمعات، وبعض الأحيان تكون قلتهم أظهر، ومن قديم شكا الناس من قلة الأخيار، وكثرة الأشرار، ومن شعر الجاهلية العربية:

تُعيِّرنا أَنَّا قليلٌ عديدُنا ... فقلتُ لها: إنَّ الكرامَ قليلُ
وما ضرَّنا أنَّا قليلٌ وجارنا ... عزيزٌ، وجارُ الأكثرين ذليلُ(٣)

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١٦٩)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٦٤٠).

(٢) رواه أبو داود في الأدب (٤٨٣٢)، والترمذي في الزهد (٢٣٩٥)، وحسَّنه، وابن حبان في البر والإحسان (٥٥٤)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. وحسَّنه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٠١٨).

(٣) سبق عزوه صـ٤٥١.

QaradawiBooks.com

والقرآن الكريم يشير إلى كثرة أهل الشر والفساد، وقلة أهل الخير والصلاح، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣، يوسف: ٣٨، غافر: ٦١]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود: ١٧، الرعد: ١]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧، ويوسف: ٢١، والنحل: ٣٨، والروم: ٦، وسبأ: ٢٨، وغافر: ٥٧، والجاثية: ٢٦]، ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩] على حين قال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، وقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [صٓ: ٢٤].

ومن هنا كان الصديقان أو الخليلان أو الأخوان في الله، اللذان يختار كل منهما الآخر ليكون في صحبته، أحدهما لصاحبه أشدَّ قربًا من الشقيق لشقيقه، فهذا الشقيق أقرب قرابة، وهذا الأخ في الله أقرب قربًا، وكل واحد منهما يفدي صاحبه برُوحه، ويبذل له ماله وما عنده، ويؤْثره عند الشدائد على نفسه، كما وصف القرآن مجتمع الأنصار في المدينة بعد هجرة الرسول والصحابة إليها، فقال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

وهو الذي جعل بعض الناس يصفون مجتمع الأنصار بأنَّهم: يكثرون عند الفزع، ويقلون عند الطمع[1].

ولذلك كان على المسلم الملتزم الحريص على دينه وعلى مستقبله، وعلى حياته في أولاه وأخراه: أن يحسن اختيار أصحابه وأصدقائه، الذين

(١) ذكره الخطابي في غريب الحديث (٦٨٢/١)، وقال: يرويه الواقدي، عن ابن أبي حبيبة، عن داود بن الحصين، عن محمود بن لبيد.

QaradawiBooks.com

يصيرون كأنَّهم أسرته الأخرى، بل ربما تفوق العلاقة بين بعضهم وبعض أشد العلاقات الأُسرية الحميمة.

ومن هنا يُعرف المرء بأصدقائه من حوله، فمن الناس من يكون أصدقاؤه من أهل العلم، وأهل الإيمان، وأهل الأخلاق، وأهل النجدة، وأهل الدعوة، وأهل الجهاد، وأهل الخير.. إلى غير ذلك من المكارم، فمن كان ينسب إلى هؤلاء فقد عُرف اتجاهه، وعُرفت طبيعته، وعُرفت أخلاقه، ولذلك قال الشاعر العربي:

عن المَرْءِ لا تسألْ وسَلْ عن قَرِينِهِ فكلُّ قَرِينٍ بالمُقَارنِ يَقْتَدِي[1]

وقال الآخر[2]:

واخترْ صديقَكَ واصْطحِبْه تفاخرًا إنَّ القَرينَ إلى المقارنِ يُنسَبُ
واحذرْ مصاحبةَ اللئامِ فإنَّها تُعدي كما يُعدي الصحيحَ الأجربُ
إنَّ القلوبَ إذا تنافر وُدُّها مثل الزجاجة كَسْرُهَا لا يُشْعَبُ

وقد قيل: أخبرني من تصادق، أخبرك: من أنت.

الصاحب لا يضيع صاحبه:

ومن العناصر المهمة في شأن الصحبة والصداقة: أن يحرص الصديق على صديقه، ولا يفرط يومًا في صداقته، ويتحمَّل منه الأذى، ولا يحاسبه على كل عثرة، فمن شأن كل لسان أن يَزل، ومن شأن كل عقل

(١) من شعر طَرَفة بن العبد، كما في ديوانه صـ ٣٢، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

(٢) من القصيدة الزينبية لصالح بن عبد القدوس مع تقديم وتأخير للأبيات والأشطار، انظر: ديوانه صـ ١٢٣ ـ ١٢٧، تحقيق: عبد الله الخطيب، نشر دار منشورات البصري، بغداد، ١٩٦٧م.

QaradawiBooks.com

أن يضلّ، ولكل إنسان هفوة، ولكل جواد كبوة، ولكل سيف نبْوة، وليس صديقُك نبيًّا معصومًا، ولا ملكًا مُطهَّرًا، فلا تبالغ في تعاملك مع إخوانك، فتستكثر القليل، وتكبِّر الصغير، وتعظِّم الأمر الحقير، فما هكذا تدوم المودَّات، وما هكذا تستمر الصداقات. وهذا ما نبَّه عليه الحكماء، ونادى به الشعراء.

يقول النابغة الذبياني[١]:

ولستَ بمستبْقٍ أخًا لا تَلُمُّه ... على شَعَثٍ، أيُّ الرجالِ المهذَّبُ؟

أيْ لا يوجد رجل مهذَّب، بمعنى الكامل الذي لا عيب فيه، ولا هفوة له.

ويقول بشَّار بن بُرْد[٢]:

إذا كنتَ في كل الأمورِ مُعاتبًا ... صديقَك لم تلقَ الذي لا تُعاتِبُهْ
فعشْ واحدًا، أو صِلْ أخاك، فإنه ... مُقارفُ ذنبٍ تارةً ومجانبُه
إذا أنت لم تَشْرَبْ مرارًا على القَذَى ... ظَمِئْتَ، وأيُّ الناسِ تصفو مَشَارِبُهْ؟
ومن ذا الذي تُرضى سَجَايَاهُ كلُّها؟ ... كفى المَرْءَ نبلًا أن تُعدَّ معايبُهْ!

الصديق الحقيقي يعرف في النائبات:

وهذا إنَّما يكون في شأن الصديق الحقيقي الأصيل، الذي يظل المرء يترقبه ويبحث عنه، ويتمنى أن يلقاه، حتى يجده، كما قال الشاعر لصديقه[٣]:

---

(١) ديوانه صـ ١٨، تحقيق: وشرح: كرم البستاني، نشر دار صادر، بيروت، ١٩٦٣م.

(٢) ديوانه (٣٢٦/١)، تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، نشر وزارة الثقافة الجزائرية.

(٣) هو الشاعر حفني ناصف.

QaradawiBooks.com

حسْــبي من الدنيا صديقٌ صادقٌ فــردٌ، فكُنْه، ولا احتيــاجَ لثانِي!

وليس من النوع الذي ورد فيه شعر الإمام الشافعي[١]:

ولا خيــرَ فــي ودِّ امــرئٍ متلوِّن إذا الريحُ مالــت مال حيثُ تميلُ
جوادٌ إذا اســتغنيتَ عن أخذِ مالِهِ وعنــد زوالِ المالِ عنــك بخيلُ
وما أكثرَ الإخوانَ حيــنَ تعدُّهم ولكنَّهــم فــي النائبــاتِ قليــلُ

والإخوان والأصدقاء حقيقة هــم الذين تجدهم فــي النائبات التي تنوبــك، وتضربك عن يمين وشــمال، فيتفــرق الأصحــاب، ويتباعد الأقرباء، ويتبــرَّأ الزائفون، ويتلــون الحرباوِيُّون، ولا يبقــى إلَّا هؤلاء القليلون، الذين يكون الواحد منهم بجماعة، أو كما قال الحكيم: فرد ذو همَّة يُحيي أمة.

وقد روى الإمام مسلم في صحيحه، عن ابن عمر رضي الله عنه، أنَّ النبي ﷺ قال: «**تجدون الناس كإبلٍ مائةٍ، لا يجد الرجلُ فيها راحلة**»[٢].

فما أكثر الإبل حين تعدُّها، ولكن كم منهــا يصلح أن يكون راحلة يركبها المرء في أســفاره الطويلــة، وفي حاجاته المهمَّــة، وفي مطالبه الكبيرة؟ لا تكاد تجد في المائة إلَّا واحدة.

هؤلاء هم الذين قال عناهم الشاعر من قديم، حين يقول:

إنَّ أخــاكَ الحقَّ مَــن كان معَكْ ومَــن يضُــرُّ نفسَــه لينفعَــكْ

(١) رواه البيهقي في مناقب الشافعي (١٠٦/٢)، تحقيق: السيد أحمد صقر، نشر مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

(٢) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٥٤٧)، وأحمد (٥٦١٩).

QaradawiBooks.com

ومَــن إذا رَيْبُ الزَّمَــانِ صَدَعَكْ شــتَّتَ فيك شــملَهُ ليَجْمَعَكْ[١]

جوامع العِشْرة الصادقة للأصحاب والإخوان:

وللعِشْرة الصادقة مع الأصحاب والإخوان والأصدقاء الأصفياء: جوامع معرفيَّة، وأخلاقيَّة، تُبرز محاسنهم، وتثمر بها شجرتهم كلَّ حين بإذن ربها، تحدث عنها العلامة بدر الدين الغَزِّي في رســالته عــن «الصحبة»، فقال: «ومن جوامعها: قول أبي الحُسَــيْن الوَرَّاق[٢]، وقد ســأل أبا عثمان[٣] عن الصُّحْبة قال: هي مع الله بالأدب، ومع الرســول ﷺ بملازمة العلم واتباع السُّنَّة، ومع الأولياء[٤] بالاحترام والخدمة، ومع الإخوان بالبِشْر والانبساط، وترك وجوه الإنكار عليهم، ما لم يكن خَرْق شريعة أو هتْك حرمة، قال الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

والصحبة مع الجُهَّــال بالنظر إليهم بعين الرحمــة، ورؤية نعمة الله عليك؛ إذ لم يجعلك مثلهم، والدعاء لله أن يعافيك من بلاء الجهل.

---

(١) من شــعر أبي العتاهية، كما في ديوانه صـ ٣١٥، نشــر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٦م. وعيون الأخبار لابن قتيبة (٧/٣)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.

(٢) أبو الحسين محمد بن سعد الورّاق النيسابوري، أحد أعلام التصوف السني في القرن الرابع الهجري، قال عنه أبو عبد الرحمن السلمي بأنَّه: من جلّة مشايخ نيسابور، كان عالمًا بعلوم الظاهر، ويتكلم في دقائق علوم المعاملات وعيوب الأفعال. توفي قبل (٣٢٠هـ) رحمه الله. انظر ترجمته في طبقات الصوفية للسلمي صـ ٢٢٩، ترجمة رقم (٥١)، مصطفى عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

(٣) أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الحيري النيسابوري، أحد أعلام التصوف الســني في القرن الثالث الهجــري، (ت: ٢٩٨هـ) عن (٦٨) عامًــا رحمه الله. انظر ترجمته في المصدر السابق صـ ١٤٠، ترجمة (٢٣).

(٤) هم أهل العلم والتقوى، المذكورون في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

QaradawiBooks.com

المصاحبة على الوفاء والدِّين وترك المداهنة:

ومنهـــا: أن تصاحب الإخوان علـــى الوفاء والدِّيـــن، دون الرغبة والرهبة والطمع.

قال الحريري: تعامل القَرْنُ الأولُ فيما بينهم بالدين زمانًا طويلًا، حتى رقَّ الدينُ، ثم تعامل القـــرن الثاني بالوفاء، حتى ذهب الوفاء، ثم تعامل القـــرن الثالث بالمروءة، حتى ذهبـــت المروءة، ثم تعامل القرن الرابع بالحياء، حتى ذهب الحياء، ثـــم صار الناس يتعاملون بالرغبة والرهبة[١].

ومنها: تركُ المداهنة في الدين مع منْ يعاشره.

قال سهل بن عبد الله التُّستري: لا يشمُّ رائحةَ الصدق من داهن نفسه أو غيره[٢].

المسامحة عند الخطأ وعدم المحاسبة والتدقيق:

ومن حقوق الصحبة والصداقة على أهلها: أن يسامح بعضهم بعضًا، وأن يســـع بعضهم بعضًا، ولا يعامل كلٌّ منهما أخاه معاملة المحاسِـــب المدقِّق، الذي لا يتســـاهل في كبيرة ولا صغيرة، بـــل ينبغي أن يعلم أنَّ الحيـــاة تحتمل الصبر على الأخطـــاء والعثرات التي تقع من الإنســـان، فمهما يكن صاحبك فهو إنســـان لا مَلَك، وهو إنســـان عادي، ليس نبيًّا معصومًا، فهو يمكن أن يُخطئ كما يمكن أن يصيب، ولا بد للصديقين أن يتحمَّل كلٌّ منهما أخاه، يقول العلامة الحريري في «مقاماته»:

---

(١) ذكره أبو عبد الرحمن السلمي في آداب الصحبة صـ ٨١.

(٢) المصدر الســـابق صـ ٨٣، وانظر: آداب العشـــرة للغزي صـ ٣٩، ٤٠، تحقيق د. عمر موسى باشا، نشر مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

QaradawiBooks.com

سامِحْ أخاكَ إذا خلَطْ ... منهُ الإصابَةَ بالغلَطْ
وتجافَ عنْ تعْنيفِه ... إنْ زاغَ يومًا أو قسَطْ
واحفظْ صنيعَكَ عندهُ ... شَكَر الصَّنِيعةَ أم غَمَطْ
وأطِعْه إن عاصى، وهُن ... إن عزَّ وادنُ إذا شَحَط[1]
واقْنَ الوفاءَ ولو أخَلّ ... بما اشترطتَ وما شَرَطْ
واعلم بأنك إن طَلَبْـ ... ـتَ مهذَّبًا رُمْتَ الشَّطَطْ
مَنْ ذا الَّذي ما ساء قَطّ ... ومَنْ له الحُسْنَى فَقَطْ[2]

قبول العذر ممَّن أساء إليك:

ومن المسامحة المحمودة: أن تتقبَّل العذر ممَّن أساء إليك، وأذنب في حقك، فكل بني آدم خطَّاء، فمن أخطأ وشعر بخطئه، وحاول أن يعتذر عنه، فلا بد أن تُعينه على ذلك، ولا تَسُدَّ الباب في وجهه، فقد أمرنا الإسلام بالعفو والصفح عمَّن أساؤوا إلينا، وعلينا أن نفتح لهم صفحة جديدة، وأن نعفُو عنهم، كما يعفو الله تعالى عن المقصِّرين والمسرفين من عباده، وهذا ما جاء في القرآن الكريم في العفو عن غير المسلمين من اليهود والنصارى، أو من المشركين، إذا حاولوا أن يعتذروا إلى المسلمين.

قال تعالى في بعض أهل الكتاب: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

وقال في شأن المشركين: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٩].

---

(١) أي: بعُد.

(٢) مقامات الحريري صـ ٢٢٩، ٢٣٠، نشر مطبعة المعارف، بيروت، ١٨٧٣م.

QaradawiBooks.com

وقال تعالى في شأن المسلمين بعضهم مع بعض: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢]. وهذه نزلت في شأن أبي بكر رضي الله عنه، وقد حلف ألا يعطي قريبه مِسْطحًا ما كان يعطيه من قبل، بعدما شارك في حديث الإفك، وقال في ابنته عائشة رضي الله عنها ما قال، فقال أبو بكر: بلى، أحب أن يغفر الله لي[١].

وهذا في المسلم العادي، فكيف إذا كان هذا المسلم صديقًا لك، وخليلًا لك، هنا يكون حقة أوكد، وسبيله أوسع، ولذا قال عمر رضي الله عنه: لا تلُمْ أخاك على ما يكون العذر في مثله[٢]. وقال الحسن بن علي: لو أنَّ رجلًا شتمني في أذني اليمني، واعتذر إليَّ في أذني الأخرى، لقبلتُ عذره.

وفي مثل ذلك يقول الشاعر:

قيل لي: قد بغى عليك فلانُ وقعودُ الفتى على الذُّلِّ عارُ
قلتُ: قد جاءنا فأحدثَ عُذْرًا دِيَةُ الذَّنْبِ عندَنا الِاعْتِذَارُ[٣]

وقال الأحنف: إذا اعتذر إليك معتذرٌ، فلتلَقَّه بالبِشْر[٤].

وقال صالحُ بن عبد القُدُّوس[٥]:

يلومُني النّاسُ فيما لو أخبِّرُهم بالعُذْرِ مني فيه لم يَلُومُونِي

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٧٥٠)، ومسلم في التوبة (٢٧٧٠)، عن عائشة.
(٢) ذكره ابن مفلح في الآداب الشرعيَّة (٣٠٢/١).
(٣) البيتان ذكرهما الثعالبي في المنتحل دون أن ينسبهما لأحد (٩٦/١)، تحقيق: الشيخ أحمد أبو علي، نشر المطبعة التجارية، الإسكندرية، ١٣١٩هـ ـ ١٩٠١م.
(٤) ذكر هذه الآثار ابن مفلح في الآداب الشرعيَّة (٣٠٢/١).
(٥) بهجة المجالس (٤٨٧/١).

QaradawiBooks.com

وقال الشاعر[١]:

اقبــل معاذيرَ من يأتيــكَ مُعتَذِرًا إن بَــرَّ عندك فيما قــال أو فَجَرَا
لقد أطاعَكَ مــن يُرضيكَ ظاهِره وَقَد أَجَلَّك مَن يَعصيكَ مُســتَتِرَا

الصفح عن عثرات الإخوان وموافقتهم:

ومنها: ما ذكره العلامة الغزي، من الصفح عن عثرات الإخوان، وترك تأنيبهم عليها.

قال الفضيل بن عياض: الفُتوة: الصفح عن عثرات الإخوان[٢]؛ فكما يجب على العبد الأدب مع سيده، يجب عليه معاشرة من يُعينُه عليه.

وقال ابن الأعرابي: تناسَ مساوئ الإخوان، يدُمْ لك ودُّهُم.

والعفو عن الهفوات والهَنَات التي تصدر عن الأصدقاء، وقلما يخلو منها النــاس، وذلك في النفس والمال، دون أمور الدين والسُّــنَّة، لقوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾ [النــور: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

وقال تعالى فــي وصف أهل الحق والخيــر: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧]. فلم يفترض فيهم الخلو من الصغائر والهَنات، بل اجتنــاب كبائر الإثم والفواحش، كما جعل ذلك في سورة أخرى من صفات أهل الإحسان: ﴿وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَىٰ ۞ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ﴾ [النجــم: ٣١ ـ ٣٢]، ثم أضاف إليهم مكرمة أخرى، وهي: أنهم يغفرون إذا غضبوا.

---

(١) البيت في ديوان البحتري (١١٠٥/٢)، شرح حسن كامل الصيرفي، ط ٣، سلسلة ذخائر العرب (٣٤)، نشر دار المعارف، القاهرة، ونسب لغيره.

(٢) رواه القشيري في رسالته (٣٨٠/٢).

QaradawiBooks.com

ومن ذلك: **قلة الخلاف للإخوان والأصحاب**، وتحرّي موافقتهم فيما يريدون فيما يبيحه العلم والشريعة، ويجيزه الكتاب والسُّنَّة.

قال أبو عثمان: موافقة الإخوان خير من الشفقة عليهم[١].

وقال جويرية: دعوت الله أربعين سنة أن يجيرني من مخالفة الإخوان[٢].

وليس معنى العفو والصفح عن الإخوان والأصحاب: ألا يغضب المسلم أبدًا، وإن ظهرت موادُّ الغضب وتكررت واستمرت، فإن هذا فوق طاقة الإنسان المعتاد، ولا بد للمرء أن يغضب إذا استَغْضِب، ولهذا قالوا: من استُغضب ولم يغضب فهو حمار، ومن استُرضِيَ، ولم يرضَ فهو جبَّار؛ ولهذا قال النابغة الجعدي الشاعر أمام النبي ﷺ:

ولا خَيْرَ في حِلْمٍ إذَا لم يكُنْ لَهُ ... بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَه أن يُكَدَّرا
ولا خَيْرَ في وُدٍّ إذا لم يكنْ له ... حليمٌ إذا ما أَوْرَدَ الأمرَ أَصْدَرَا

فدعا له النبي ﷺ[٣].

ويقول الشاعرُ:

لئن كنتُ محتاجًا إلى الحِلْمِ إنَّني ... إلى الجهلِ في بعضِ الأحايينِ أحوجُ
ولي فرسٌ للحِلْمِ بالحِلْمِ مُلْجَمٌ ... ولي فرسٌ للجهلِ بالجهلِ مُسْرَجُ
فمَنْ رامَ تقويمي فإنِّي مُقَوَّمٌ ... ومَنْ رام تعويجي فإنِّي مُعَوَّجُ

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٤٤/١٠).
(٢) رواه أبو عبد الرحمن السلمي في آداب الصحبة (٨٤).
(٣) رواه أبو طاهر في المخلصيات (١٠٦٩)، والبزار كما في كشف الأستار (٢١٠٤)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٣٣٨): فيه يعلى بن الأشدق وهو ضعيف.

QaradawiBooks.com

وما كنتُ أرضى الجهلَ خِدْنًا وصَاحبًا ولكنني أرضى بـــه حينَ أُخْرَجُ[١]

الذَّبُّ عن الأصحاب والإخوان:

ومنها: القيام بأعذارهـــم، والذبُّ عنهم، والانتصـــار لهم، كما قال الجنيـــد رَحِمَهُ اللَّهُ، وقيل له: ما بـــال أصحابـــك أكلُهم كثير؟ قـــال: لأنَّهم لا يشـــربون الخمر، فيكون جوعهم أكثر. وقيل لـــه: ما بالهم لهم قوة شهوةٍ؟ قال: لأنَّهم لا يزنون، ولا يدخلون تحت محظورٍ. قيل: فما بالهم لا يطربون إذا ســـمعوا القرآن؟ قال: لأنَّـــه كلام الحق، ما فيه ما يوجب الطرب، نزل بأمـــر ونهيٍ، ووعدٍ ووعيـــدٍ، فهو يقهر. قيـــل: فما بالهم يطربون عند القصائـــد؟ قال: لأنَّها ممَّا عملت أيديهـــم. قيل: فما بالهم يطربون عند الرباعيات من الشعر؟ قال: لأنَّها كلام المحبين والعشاق[٢]. يعني رَحِمَهُ اللَّهُ: أنهم لم يخرجوا عن طبيعة البشـــر، فلا يزالون يتأثرون بما يتأثر به الناس.

احتمال الأذى:

ومن أصول المعاشـــرة الحميدة، التي تقوم عليها الصحبة والأخوة: احتمـــال الأذى، إذا جاء من صديق، فمن الفرائـــض المهمة في الصحبة الحقة: ألا يمس غيره بأذى بحال، ولكن هذا وحده لا يكفي، بل لا بد أن يصبر على الأذى ويتحمله إذا جاء من صديقه.

---

(١) نســـبها القفطي لمحمد بن حازم الباهلي مولاهـــم، كما في المحمدون من الشـــعراء صـ ٢٢٧، تحقيق: حســـن معمري وحمد الجاسر، نشـــر دار اليمامة، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م، ونسبت لغيره.

(٢) رواه أبو عبد الرحمن السلمي في آداب الصحبة (٨٥).

QaradawiBooks.com

وهذا معناه أن يوطِّن نفسه على احتمال الأذى منه، وقلة الغضب، والشفقة، والبسط، والرحمة، لما روى جارية بن قدامة: أنَّ النبي ﷺ قال للرجل الذي قال له: عِظْني، وأوجِزْ. قال: «**لا تغضبْ**»[١].

حفظُ المودة القديمة والأخوَّة الثابتة:

«ومن جوامع العِشْرة المهمة، التي نبَّه عليها العلماء الربَّانيون، ودعا إليها المربُّون الصادقون: ما دعا إليه الشيخ بدر الدين الغزي رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو ما سمَّاه: حفظُ المودة القديمة والأخوَّة الثابتة، لحديث: دخلت امرأةٌ على رسول الله ﷺ فأدناها، فقيل له في ذلك؟ فقال: «**إنَّها كانتْ تأتينا أيامَ خديجة، وإنّ حُسْنَ العهدِ من الإيمان**»[٢].

وقال محمد المَغَازِلي رَحِمَهُ اللَّهُ: من أحبَّ أن تدوم له المودَّة، فليحفظ مودَّة إخوانه القدماء[٣].

ولبعضهم[٤]:

ما ذاقَتِ النَفسُ على شَهوةٍ ... أَلَذَّ مِن حُبِّ صَديقٍ أَمينْ
مِن فاتَهُ وُدُّ أَخٍ صالِحٍ ... فَذَلِكَ المَغبونُ حَقّ اليَقينْ

---

(١) رواه أحمد (٢٠٣٥٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وابن حبان في الحظر والإباحة (٥٦٨٩).

(٢) رواه الحاكم في الإيمان (١٥/١)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، فقد اتفقا على الاحتجاج برواته في أحاديث كثيرة، وليس له علة. ووافقه الذهبي.

(٣) رواه أبو عبد الرحمن السلمي في آداب الصحبة (٦٣).

(٤) هو محمد بن أمية الكاتب، كما في الديارات للشابشتي صـ ٧٦، تحقيق: كوركيس عواد، نشر دار المدى للثقافة والنشر، سوريا.

QaradawiBooks.com

ولبعض الحكماء من السلف: عاشِروا الناس، فإن عشتم حَنُّوا إليكم، وإن مِتُّم بكَوا عليكم»[١].

حقوق الأُخوَّة والصحبة عند الإمام الغزالي:

وسنتحدث عن هذه الحقوق التي وفاها الإمام الغزالي حقها، حاذفين من تفاصيلها ما اعتمد على حديث ضعيف أو منكر، وحاذفين من الأقوال ما فيه خلل عندنا، معتمدين في الأساس على تخريجنا، ومستندين إلى تخريجات الإمام العراقي.

قال الإمام الغزالي في «الإحياء» في كتاب آداب الألفة والأخوة والصحبة: «اعلم أنَّ عقد الأخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين، وكما يقتضي النكاح حقوقًا يجب الوفاء بها قيامًا بحقِّ النكاح، فكذا عقد الأخوة، فلأخيك عليك حقٌّ في المال والنفس، وفي اللسان والقلب، بالعفو والدعاء، وبالإخلاص والوفاء، وبالتخفيف، وترك التكلُّف والتكليف، وذلك يجمعه ثمانية حقوق.

الحق الأول: في المال:

لما جاء عن سيدنا سلمان في قوله: مثل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى[٢]. وإنَّما شبَّههما باليدين، لا باليد والرِّجْل؛ لأنهما يتعاونان على غرض واحد، فكذا الأخوان إنَّما تتمُّ أخوتهما، إذا ترافقا في مقصد واحد، فهما من وجه كالشخص الواحد، وهذا يقتضي المساهمة في السرَّاء والضرَّاء، والمشاركة في المآل والحال، وارتفاع الاختصاص والاستثمار.

---

(١) آداب العشرة للغزي صـ ٣١، ٣٢ بتصرف وزيادة.

(٢) رواه ابن وهب في جامعه (٢٠١)، والبيهقي في الشعب (٧٢٨٨).

QaradawiBooks.com

والمواساة بالمال مع الإخوة على ثلاث مراتب:

أدناها: أن تنزله منزلة خادمك، فتقوم بحاجته من فضْلة مالك، فإذا سنحت له حاجة، وكانت عندك فضلة عن حاجتك، أعطيته ابتداء، ولم تحوجه إلى السؤال، فإن أحوجته إلى السؤال، فهو غاية التقصير في حق الأخوة.

الثانية: أن تنزله منزلة نفسك، وترضى بمشاركته إيَّاك في مالك، ونزوله منزلتك، حتى تسمح بمشاطرته في المال. قال الحسن: كان أحدهم يشق إزاره بينه وبين أخيه.

الثالثة، وهي العليا: أن تؤْثره على نفسك، وتُقدِّم حاجته على حاجتك، وهذه رتبة الصدِّيقين، ومنتهى درجات المتحابِّين.

فإن لم تصادف نفسك في رتبة من هذه الرتب مع أخيك، فاعلم أن عقد الأخوة لم ينعقد بعد في الباطن، وإنَّما الجاري بينكما مخالطة رسميَّة، لا وقع لها في العقل والدين، فقد قال ميمون بن مهران: من رضي من الإخوان بترك الإفضال، فليؤاخ أهل القبور[1].

وأمَّا الدرجة الدنيا، فليست أيضًا مرضيَّة عند ذوي الدين، رُوِيَ أن عُتبة الغلام جاء إلى منزل رجل كان قد آخاه، فقال: أحتاج من مالك إلى أربعة آلاف، فقال: خذ ألفين. فأعرض عنه، وقال: آثرت الدنيا على الله؟ أمَّا استحييت أن تدَّعي الأخوة في الله، وتقول هذا[2]؟

---

(١) ذكره ابن المقرئ في معجمه صـ٤٠، تحقيق عادل بن سعد، نشر مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨ م

(٢) قوت القلوب لأبي طالب المكي (٣٧٣/٢، ٣٧٤).

QaradawiBooks.com

ومن كان في الدرجة الدنيا من الأخوة ينبغي ألَّا تعامله في الدنيا.

قال أبو حـــازم: إذا كان لك أخ في الله، فلا تعاملْـــه في أمور دنياك. وإنَّما أراد به من كان في هذه الرتبة.

وأمَّا الرتبة العليا: فهي التي وصف الله تعالى المؤمنين بها في قوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشـــورى: ٣٨]. أي: كانوا خلطاء في الأموال، لا يميز بعضهم رحله عن بعض.

وجاء فتح الموصلـــي إلى منزل لأخ لـــه، وكان غائبًـــا، فأمر أهله، فأخرجت صندوقه، ففتحه، وأخذ حاجته، فأخبرت الجارية مولاها، فقال: إن صدقتِ فأنت حرة لوجه الله. سرورًا بما فعل.

وجاء رجل إلى أبي هريـــرة رضي الله عنه وقال: إنِّي أريد أن أؤاخيك في الله، فقال: أتدري ما حقُّ الإخاء؟ قال: عرِّفنـــي. قال: ألا تكون أحقَّ بدينارك ودرهمك مني. قال: لم أبلغ هذه المنزلة بعد؟ قال: فاذهب عني.

وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما لرجل: هل يدخل أحدُكم يده في كمِّ أخيه أو كيسه، فيأخذ منه ما يريد بغير إذنه؟ قال: لا. قال: فلستم بإخوان.

ودخل قوم على الحسن البصري رضي الله عنه ، فقالوا: يا أبا سعيد، أصليت؟ قال: نعم. قالوا: فإن أهل السوق لم يُصلُّوا بعد. قال: ومن يأخذ دِينَه من أهل السوق؟ بلغني أن أحدهم يمنع أخاه الدرهم! قاله كالمتعجب منه.

وجاء رجل إلـــى إبراهيم بن أدهم رحمه الله ، وهو يريـــد بيت المقدس، فقال: إنِّي أريد أن أرافقك، فقال له إبراهيم: على أن أكون أملك لشيئك منكَ؟ قال: لا. قال: أعجبني صدقُك.

QaradawiBooks.com

وأعطى مرة حمارًا كان لرفيقه ـ بغير إذنه ـ رجلًا رآه راجلًا، فلما جاء رفيقه سكت، ولم يكره ذلك[١].

قال ابن عمر رضي الله عنهما: أُهْدِيَ لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأسُ شاة، فقال: أخي فلان أحوج مني إليه. فبعث به إليه، فبعث ذلك الإنسان إلى آخر، فلم يزل يبعث به من واحد إلى آخر، حتى رجع إلى الأول، بعد أن تداوله سبعة[٢].

ورُوِيَ أن مسروقًا ادَّان دَيْنًا ثقيلًا، وكان على أخيه خيثمة دَيْن، قال: فذهب مسروق فقضى دَيْن خيثمة، وهو لا يعلم، وذهب خثيمة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم[٣].

ولما آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، آثره سعد بالمال والنفس، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك[٤]، فآثره بما آثره به، وكأنه قَبِله ثم آثره به، وذلك مساواة، والبداية إيثار، والإيثار أفضل من المساواة.

وقال أبو سليمان الدَّارَاني: لو أنَّ الدنيا كلها لي، فجعلتها في فم أخ من إخواني لاستقللتها له.

وقال أيضًا: إنِّي لألقم اللقمة أخًا من إخواني فأجد طعمها في حلقي.

---

(١) ذكرها جميعًا أبو طالب المكي في قوت القلوب (٣٧٤/٢).

(٢) رواه البيهقي في الشعب (٣٢٠٤).

(٣) قوت القلوب (٣٦٦/٢).

(٤) رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٧٨٠)، عن عبد الرحمن بن عوف.

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

ولما كان الإنفاق على الإخوان أفضل مـــن الصدقات على الفقراء، قال علي رضي الله تعالى عنه: لَعشـــرون درهمًا أعطيها أخي في الله أحـــبُّ إليَّ من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين[١].

وقال أيضًا: لأن أصنع صاعًا من طعام، وأجمع عليه إخواني في الله، أحبُّ إليَّ من أن أعتق رقبة[٢].

واقتداء الكل في الإيثار برسول الله ﷺ.

وقال ﷺ: «**ما اصطحبَ اثنان قـــطُّ، إلَّا كان أحبّهما إلى الله أرفقهما بصاحبه**»[٣].

ورُوِيَ أن مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن، وكان غائبًا، فأخرج محمد بن واسع ســـلةً فيها طعام من تحت سرير الحسن، فجعل يأكل، فقال له مالك: كُفَّ يدك حتـــى يجيء صاحب البيت. فلم يلتفت محمد إلـــى قوله، وأقبل علـــى الأكل، وكان مالك أبســـط منه، وأحســـن خلقًا، فدخل الحســـن، وقال: يا مُوَيْلك، هكذا كنا، لا يحتشم بعضنا بعضًا، حتى ظهرت أنت وأصحابك!

وأشار بهذا إلى أنَّ الانبساط في بيوت الإخوان من الصفاء في الأخوة، كيف وقد قـــال الله تعالـــى: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ [النور: ٦١]؟ إذ كان الأخ يدفع مفاتيح بيته إلى أخيه ويفوض له التصرف كما يريد، وكان أخوه يتحرج عن الأكل بحكـــم التقوى، حتى أنزل الله تعالى هذه الآية، وأذن لهم في الانبساط في طعام الإخوان والأصدقاء.

---

(١) قوت القلوب (٣٧٦/٢).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٦٦).

(٣) سبق تخريجه صـ٤٦٨، بلفظ: «أحبّهما إلى الله أشدّهما حبًّا لصاحبه».

QaradawiBooks.com

الحق الثاني: في الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة:

وهذه أيضًا لها درجات، كما للمواساة بالمال، فأدناها: القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة، ولكن مع البشاشة والاستبشار، وإظهار الفرح، وقبول المنَّة.

وقال بعضهم: إذا استقضيتَ أخاك حاجة فلم يقضها، فذكِّره ثانية، فلعله أن يكون قد نسي، فإن لم يقضها فكبِّر عليه، واقرأ هذه الآية: ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٣٦].

وقضى ابن شُبْرُمة حاجة لبعض إخوانه كبيرة، فجاء بهدية، فقال: ما هذا؟ قال: لِمَا أَسْدَيْتَه إليّ؛ فقال: خذ مالك عافاك الله، إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها، فتوضأ للصلاة، وكبِّر عليه أربع تكبيرات، وعدَّه في الموتى[1].

قال جعفر بن محمد: إنِّي لأتسارع إلى قضاء حوائج أعدائي، مخافة أن أردهم فيستغنوا عني، هذا في الأعداء، فكيف في الأصدقاء؟

وكان في السلف مَن يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة، يقوم بحاجتهم، ويتردَّد كل يوم إليهم، ويمونهم من ماله، فكانوا لا يفتقدون من أبيهم إلَّا عينه، بل كانوا يرون منه ما لم يروا من أبيهم في حياته. وكان الواحد منهم يتردد إلى باب دار أخيه، ويسأل ويقول: هل لكم زيت؟ هل لكم ملح؟ هل لكم حاجة؟ وكان يقوم بها من حيث لا يعرفه أخوه.

(١) قوت القلوب (٣٧٤/٢).

QaradawiBooks.com

وبهذا تظهر الشـفقة والأخوة، فإذا لم تثمر الشفقة حتى يشفق على أخيه، كما يشفق على نفسه، فلا خير فيها.

قال ميمون بن مهران: من لم تنتفع بصداقته، لم تضرك عداوته.

وقال ﷺ: «**ألا وإنَّ لله أواني في أرضه، وهي القلوب، فأحبُّ الأواني إلى الله تعالى أصفاها وأصلبها وأرقها؛ أصفاها من الذنوب، وأصلبها في الدين، وأرقُّها على الإخوان**»[(١)].

وبالجملة، فينبغي أن تكون حاجـة أخيك مثل حاجتك، أو أهم من حاجتك، وأن تكون متفقِّدًا لأوقـات الحاجة غير غافل عن أحواله، كما لا تغفل عن أحوال نفسـك، وتغنيه عن السـؤال، وإظهـار الحاجة إلى الاسـتعانة، بل تقوم بحاجته كأنك لا تدري أنك قمـت بها، ولا ترى لنفسـك حقًّا بسـبب قيامك بها، بل تتقلَّد منة بقبوله سعيك في حقه، وقيامك بأمره.

ولا ينبغي أن تقتصـر على قضـاء الحاجة، بل تجتهد فـي البداية بالإكرام في الزيادة والإيثار، والتقديم على الأقارب والولد.

كان الحسـن يقول: إخواننا أحبُّ إلينا من أهلنا وأولادنا؛ لأن أهلنا يُذكِّروننا بالدنيا، وإخواننا يُذكِّروننا بالآخرة.

وقال عطاء: تفقَّدوا إخوانكم بعد ثلاث، فإن كانوا مرضى فعودوهم، أو مشاغيل فأعينوهم، أو كانوا نسوا فذكّروهم.

---

(١) رواه الطبراني في مسند الشاميين (٨٤٠)، من حديث أبي عتبة الخولاني إلَّا أنَّه قال: «**ألينها وأرقها**». وإسـناده جيد كما قال العراقي فـي تخريج الإحياء صـ ٦٣١، وقـال الألباني في الصحيحة (١٦٩١): إسناده قوي.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقال سعيد بن العاص: لجليسي عليَّ ثلاث: إذا دنا رحَّبت به، وإذا حدَّث أقبلت عليه، وإذا جلس أوسعت له[١].

وقد قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]. إشارة إلى الشفقة والإكرام.

ومن تمام الشفقة: ألَّا ينفرد بطعام لذيذ، أو بحضور في مسرَّة دونه، بل يتنغَّص لفراقه ويستوحش بانفراده عن أخيه».

الحق الثالث: في اللسان بالسكوت مرة وبالنطق أخرى:

أمَّا السكوت عند الغزالي، فهو «أن يسكت عن ذكر عيوبه في غيبته وحضرته، بل يتجاهل عنه، ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به، ولا يماريه ولا يناقشه.

وأن يسكت عن التجسس، والسؤال عن أحواله، وإذا رآه في طريق أو حاجة، لم يفاتحه بذكر غرضه من مصدره وموارده، ولا يسأله عنه، فربما يثقل عليه ذكره، أو يحتاج إلى أن يكذب فيه.

وليسكت عن أسراره التي بثَّها إليه، ولا يبثُّها إلى غيره البتة، ولا إلى أخص أصدقائه، ولا يكشف شيئًا منها، ولو بعد القطيعة والوحشة، فإن ذلك من لؤم الطبع، وخبث الباطن، وأن يسكت عن القدح في أحبابه وأهله وولده، وأن يسكت عن حكاية قَدْحِ غيره فيه، فإنَّ الذي سبَّك من بلَّغك.

والتأذِّي يحصل أولًا من المبلِّغ، ثم من القائل، نعم لا ينبغي أن يخفي ما يسمع من الثناء عليه، فإنَّ السرور به أولًا يحصل من المبلغ للمدح، ثم من القائل، وإخفاء ذلك من الحسد.

(١) ذكرها أبو طالب المكي في قوت القلوب (٢/٣٦٧، ٣٦٨).

QaradawiBooks.com

وبالجملة فليسكت عن كل كلام يكرهه جملةً وتفصيلًا، إلَّا إذا وجب عليه النطق في أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، ولم يجد رخصة في السكوت، فإذا ذاك لا يبالي بكراهته، فإن ذلك إحسان إليه في التحقيق، وإن كان يظن أنَّها إساءة في الظاهر.

أمَّا ذكر مساويه وعيوبه ومساوي أهله، فهو من الغيبة، وذلك حرام في حق كل مسلم.

قال ابن المبارك: المؤمن يطلب المعاذير، والمنافق يطلب العثرات.

وقال الفضيل: الفتوة: العفو عن زلات الإخوان[١].

وما من شخص إلَّا ويمكن تحسين حاله بخصال فيه ويمكن تقبيحه أيضًا.

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: ما أحد من المسلمين يطيع الله ولا يعصيه، ولا أحد يعصي الله ولا يطيعه، فمن كانت طاعته أغلب من معاصيه فهو عدل[٢].

وإذا جعل مثل هذا عدلًا في حقِّ الله، فبأن تراه عدْلًا في حقِّ نفسك، ومقتضى أُخوَّتك أولى.

الحذر من إساءة الظن:

وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساوئه، يجب عليك السكوت بقلبك، وذلك بترك إساءة الظن، فسوء الظن غِيبة بالقلب، وهو منهيٌّ عنه أيضًا.

(١) رواه أبو عبد الرحمن السلمي آداب الصحبة (١٥).

(٢) قوت القلوب (٣٧٢/٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وحدّه: ألَّا تحمل فعله على وجه فاسد ما أمكن أن تحمله على وجه حسن. فأما ما انكشف بيقين ومشاهدة، فلا يمكنك ألَّا تعلمه، وعليك أن تحمل ما تشاهد على سهو ونسيان إن أمكن.

وهذا الظن ينقسم إلى ما يسمَّى تفرُّسًا، وهو الذي يستند إلى علامة، فإن ذلك يُحرِّك الظن تحريكًا ضروريًّا لا يقدر على دفعه، وإلى ما منشؤه سوء اعتقادك فيه، حتى يصدر منه فعل له وجهان، فيحملك سوء الاعتقاد فيه على أن تنزله على الوجه الأردأ من غير علامة تخصُّه به، وذلك جناية عليه بالباطن، وذلك حرام في حق كل مؤمن. إذ قال ﷺ: «**إيَّاكم والظنَّ، فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديث**»[(١)].

وسوء الظن يدعُو إلى التَّجسُّس والتَّحسُّس، وقد قال ﷺ: «**لا تحسَّسوا، ولا تجسَّسوا، ولا تقاطعوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا**»[(٢)].

والتجسُّس في تطلع الأخبار، والتحسُّس بالمراقبة بالعين. فستر العيوب والتجاهل والتغافل عنها شيمة أهل الدين.

الستر والسكوت على المساوئ والعيوب:

ويكفيك تنبيهًا على كمال الرتبة في ستر القبيح وإظهار الجميل: أنَّ الله تعالى وُصِفَ به في الدعاء، فقيل: يا من أظهر الجميل، وستر القبيح[(٣)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الفرائض (٦٧٢٤)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٦٣)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٦٤)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٦٣) (٢٨)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه الحاكم في الدعاء والتكبير (٥٤٤/١)، والبيهقي في الدعوات الكبير (٢٣٨)، عن عبد الله بن عمرو.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

والمرضيُّ عند الله من تخلَّق بأخلاقه، فإنه ستَّار العيوب، وغفَّار الذنوب، ومتجاوز عن العبيد، فكيف لا تتجاوز أنت عمَّن هو مثلك أو فوقك، وما هو بكل حال عبدك ولا مخلوقك؟ وقد قال عيسى عليه السلام للحواريين: كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائمًا، وقد كشفت الريح ثوبه عنه؟ قالوا: نستره ونغطيه. قال: بل تكشفون عورته. قالوا: سبحان الله! من يفعل هذا؟ فقال: أحدكم يسمع بالكلمة في أخيه، فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها![1].

أقل درجات الأخوة:

واعلم أنَّه لا يتم إيمان المرء ما لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وأقل درجات الأخوة: أن يعامل أخاه بما يحب أن يعامله به، ولا شك أنَّه ينتظر منه ستر العورة، والسكوت على المساوئ والعيوب، ولو ظهر له منه نقيض ما ينتظره، اشتدَّ عليه غيظه وغضبه، فما أبعده إذا كان ينتظر منه ما لا يضمره له، ولا يعزم عليه لأجله! وويل له في نص كتاب الله تعالى حيث قال: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ١ ـ ٣]، وكل من يلتمس من الإنصاف أكثر ممَّا تسمح به نفسه، فهو داخل تحت مقتضى هذه الآية.

كتمان السر:

ومن ذلك: **أن** يسكت عن إفشاء سره الذي استودعه، وله أن ينكره، وإن كان كاذبًا، فليس الصدق واجبًا في كل مقام، فإنه كما يجوز للرجل أن يخفي عيوب نفسه وأسراره، وإن احتاج إلى الكذب، فله أن يفعل

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (٦٤١)، عن خالد الربعي.

QaradawiBooks.com

ذلك في حـــقِّ أخيه، فإن أخـــاه نـــازل منزلته، وهما كشـــخص واحد، لا يختلفان إلَّا بالبدن. هذه حقيقة الأخوة.

وكذلك لا يكون بالعمل بين يديْ (أخيه) مرائيًا وخارجًا عن أعمال السر، إلى أعمال العلانية، فإن معرفة أخيه بعمله، كمعرفته بنفسه من غير فرق.

وقد قال ﷺ: «**مَنْ ستر عورةَ أخيه ستره الله تعالى يوم القيامة**»(١).

وفي حديث آخر: «**مَنْ ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة**»(٢).

وفي حديث آخر: «**من ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة**»(٣).

وقال ﷺ: «**إذا حدَّث الرجل بحديثٍ ثم التفتَ فهو أمانة**»(٤).

قيل لبعض الأدباء: كيف حِفْظُكَ للسِّرِّ؟ قال: أنا قبره.

وقد قيل: صدور الأحرار قبور الأسرار.

وقيل: إن قلب الأحمق في فيه، ولسان العاقل في قلبه.

أي لا يستطيع الأحمق إخفاء ما في نفسه، فيبديه من حيث لا يدري به، فلذلك يجب مقاطعة الحمقى والتوقِّي عن صحبتهم، بل عن مشاهدتهم.

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٥٤٦)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٣٨): صحيح لغيره. عن ابن عباس.

(٢) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩٩)، وأحمد (٧٤٢٧)، عن أبي هريرة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٤٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٠)، عن ابن عمر.

(٤) رواه أحمد (١٤٤٧٤)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. وأبو داود في الأدب (٤٨٦٨)، والترمذي في البر والصلة (١٩٥٩)، وقال: حسن. وحسَّنه الألباني في الصحيحة (١٠٩٠)، عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

وقد قيل لآخر: كيف تحفظ السر؟ قال: أجحد المُخْبِر، وأحلف للمستخبِر.

وقال آخر: أستره، وأستر أنِّي أستره.

وعبَّر عنه ابن المعتز[١] فقال:

ومستودعي سرًّا تبوَّأتُ كتمَه فأودعته صدري، فصار له قبرَا

وقال آخر وأراد الزيادة عليه[٢]:

وما السرُّ في صدري كثاوٍ بقبرِه لأنِّي أرى المقبورَ ينتظرُ النَّشْرَا
ولكنني أنساه حتى كأنَّني بما كان منه لم أُحطْ ساعةً خُبرَا
ولو جاز كتمُ السرِّ بيني وبينَه عن السرِّ والأحشاءِ لم تعلم السِّرَّا

وأفشى بعضهم سرًّا له إلى أخيه، ثم قال له: حفظتَ؟ فقال: بل نسيتُ.

وكان أبو سعيد الثوري يقول: إذا أردتَ أن تؤاخي رجلًا، فأغضِبْه، ثم دُسَّ عليه من يسأله عنك وعن أسرارك، فإن قال خيرًا وكتم سرَّك، فاصحبه.

وقيل لأبي يزيد: من تصحب من الناس؟ قال: من يعلم منك ما يعلم الله، ثم يستر عليك كما يستره الله.

وقال ذو النون: لا خير في صحبة من لا يحب أن يراك إلَّا معصومًا[٣].

---

(١) منسوب لابن المعتز في قوت القلوب (٣٧٦/٢)، ونسبه الماوردي بلفظ مقارب لعبد الله بن طاهر في تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك صـ ٩١، تحقيق: محي هلال السرحان وحسن الساعاتي، نشر دار النهضة العربية، بيروت.

(٢) نسبه أبو طالب المكي إلى محمد بن داود الأصبهاني في قوت القلوب (٣٧٦/٢، ٣٧٧)، ونسبه الماوردي إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في تسهيل النظر صـ ٩١، ٩٢.

(٣) قوت القلوب (٣٧٨/٢).

QaradawiBooks.com

ومن أفشى السر عند الغضب، فهو اللئيم؛ لأن إخفاءه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة كلها.

وقد قال بعض الحكماء: لا تصحب من يتغيَّر عليك عند أربع: عند غضبه ورضاه، وعند طمعه وهواه. بل ينبغي أن يكون صدق الأخوة ثابتًا على اختلاف هذه الأحوال، ولذلك قيل:

وترى الكريمَ إذا تصرَّمَ وصلُه يُخْفي القبيحَ ويُظهِر الإحسانا
وترى اللئيمَ إذا تقضَّى وصلُه يُخفي الجميلَ ويُظهر البُهْتانا

وقال العباس لابنه عبد الله: إنِّي أرى هذا الرجل ـ يعني عمر رضي الله عنه ـ يُقدِّمك على الأشياخ، فاحفظ عني خمسًا: لا تفشينَّ له سرًّا، ولا تغتابنَّ عنده أحدًا، ولا تجرينَّ عليه كذبًا، ولا تعصينَّ له أمرًا، ولا يطلعنَّ منك على خيانة. فقال الشعبي: كل كلمة من هذه الخمس خير من ألف[1].

السكوت عن المماراة:

ومن ذلك: السكوت عن المماراة والمدافعة في كل ما يتكلم به أخوك.

قال ابن عباس: لا تمار سفيهًا فيؤذيك، ولا حليمًا فيقليك[2]. أي: يبغضك.

وقد قال ﷺ: «**مَنْ تركَ المِراءَ وهو مُبْطِل، بُنِيَ له بيت في رَبَض الجنة، ومن ترك المراء وهو مُحِقٌّ، بُنِي له بيت في أعلى الجنة**»[3].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه في الأدب (٢٦٠٤٠).
(٢) ذكره أبو طالب المكي في قوت القلوب (١٣٨/١).
(٣) رواه أبو داود في الأدب (٤٨٠٠)، والبيهقي في الشهادات (٢٤٩/١٠)، وحسَّنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٤٨)، عن أبي أمامة.

QaradawiBooks.com

هذا مع أن تركه مبطلًا واجب، وقد جعل ثواب النفل أعظم؛ لأنَّ السكوت عن الحق أشد على النفس من السكوت على الباطل، وإنَّما الأجر على قدر النصب، وأشدُّ الأسباب لإثارة نار الحقد بين الإخوان: المماراة والمنافسة، فإنها عين التدابر والتقاطع، فإنَّ التقاطع يقع أولًا بالآراء، ثم بالأقوال، ثم بالأبدان.

وقال ﷺ: «**لا تَدَابروا، ولا تَبَاغضوا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسْلمه، ولا يَخْذُله، بحسْب المرء من الشرِّ أن يحقر أخاه المسلم**»[1].

وأشد الاحتقار: المماراة، فإن من ردَّ على غيره كلامه، فقد نسبه إلى الجهل والحُمق، أو إلى الغفلة والسهو عن فهم الشيء على ما هو عليه، وكل ذلك استحقار وإيغار للصدر وإيحاش.

والمماراة مضادَّة لحسن الخلق. وقد انتهى السلف في الحذر عن المماراة، والحض على المساعدة، إلى حدٍّ لم يروا السؤال أصلًا، وقالوا: إذا قلت لأخيك: قم. فقال: إلى أين؟ فلا تصحبه. بل قالوا: ينبغي أن يقوم ولا يسأل.

وقال أبو سليمان الداراني: كان لي أخ بالعراق، فكنتُ أجيئه في النوائب، فأقول: أعطني من مالك شيئًا، فكان يلقي إليَّ كيسه، فآخذ منه ما أريد، فجئته ذات يوم. فقلت: أحتاج إلى شيء. فقال: كم تريد؟ فخرجتْ حلاوة إخائه من قلبي.

وقال آخر: إذا طلبتَ من أخيك مالًا، فقال: ماذا تصنع به؟ فقد ترك حق الإخاء.

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤)، وأحمد (٧٧١٣)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

واعلم أن قوام الأخوة بالموافقة في الكلام والفعل والشفقة.

قال أبو عثمان الحيري: موافقة الإخوان خير من الشفقة عليهم[١]. وهو كما قال»[٢].

الحق الرابع: على اللسان بالنطق:

قال الغزالي: «فإنَّ الأخوة كما تقتضي السكوت عن المكاره، تقتضي أيضًا النطق بالمحابِّ، بل هو أخصُّ بالأخوة؛ لأن من قنع بالسكوت صحب أهل القبور، وإنَّما تراد الإخوان ليستفاد منهم، لا ليتخلص عن أذاهم، والسكوت معناه كف الأذى.

فعليه أن يتودَّد إليه بلسانه، ويتفقده في أحواله التي يجب أن يُتفقَّد فيها، كالسؤال عن عارض إن عرض وإظهار شغل القلب بسببه، واستبطاء العافية عنه، وكذا جملة أحواله التي يكرهها ينبغي أن يظهر بلسانه وأفعاله كراهتها، وجملة أحواله التي يسر بها ينبغي أن يظهر بلسانه مشاركته له في السرور بها. فمعنى الأخوة: المساهمة في السرَّاء والضرَّاء.

وقد قال ﷺ: «**إذا أحبَّ أحدُكم أخاه فليُعلمه**»[٣]. وإنَّما أمر بالإخبار؛ لأن ذلك يوجب زيادة حب، فإن عرف أنك تحبه أحبَّك بالطبع لا محالة، فإذا عرفت أنَّه أيضًا يحبك، زاد حبك لا محالة، فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين ويتضاعف.

---

(١) سبق تخريجه صـ٤٨١.

(٢) إحياء علوم الدين (٢/١٧٣ ـ ١٨٠) بتصرف.

(٣) رواه أحمد (١٧١٧١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الأدب (٥١٢٤)، والترمذي في الزهد (٢٣٩٢)، وقال: حسن صحيح غريب. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (٩٩٦٣)، عن المقدام بن معديكرب.

QaradawiBooks.com

والتحابّ بين المؤمنين مطلوب في الشرع، ومحبوب في الدين، ولذلك علَّم النبي ﷺ فيه الطريق فقال: «**تهادَوْا تحابُّوا**»[١].

ومن ذلك: أن تدعوه بأحب أسمائه إليه في غيابه وحضوره.

قال عمر رضي الله عنه: ثلاث يُصفِّين لك وُدَّ أخيك: أن تسلم عليه إذا لقيتَه أولًا، وتوسِّع له في المجلس، وتدعوه بأحبِّ أسمائه إليه[٢].

ومن ذلك: أن تُثني عليه بما تعرف من محاسن أحواله عند من يؤثر هو الثناء عنده، فإن ذلك من أعظم الأسباب في جلب المحبة، وكذلك الثناء على أولاده وأهله وصنعته وفعله، حتى على عقله وخلقه وهيئته وخطه وشعره وتصنيفه وجميع ما يفرح به، وذلك من غير كذب وإفراط، ولكن تحسين ما يقبل التحسين لا بد منه، وآكد من ذلك أن تبلِّغه ثناء من أثنى عليه مع إظهار الفرح، فإن إخفاء ذلك محض الحسد.

ومن ذلك: أن تشكره على صنيعه في حقك، بل على نيَّته، وإن لم يتم ذلك.

قال علي رضي الله عنه: من لم يحمد أخاه على حُسن النيَّة، لم يحمده على حُسن الصنيعة[٣].

وأعظم من ذلك تأثيرًا في جلب المحبة: الذبُّ عنه في غيبته، مهما قُصد بسوء أو تُعرِّض لعرضه بكلام صريح أو تعريض، فحق الأخوة: التشمير في الحماية والنصرة، وتبكيت المتعنِّت وتغليظ القول عليه.

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٩٤)، وأبو يعلى (٦١٤٨)، وحسن إسناده ابن حجر في بلوغ المرام (٩٤٢)، وحسَّنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٤٦٣)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه البيهقي في الشعب (٨٣٩٨).

(٣) أبو عبد الرحمن السلمي في آداب الصحبة (١٨).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

والسكوت عن ذلك موغر للصدر، ومنفِّر للقلب، وتقصير في حق الأخوة. وإنَّما شبَّه سلمان رضي الله عنه[١] الأخوين: باليدين تغسل إحداهما الأخرى، لينصر أحدهما الآخر، وينوب عنه، وقد قال رسول الله ﷺ: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يُسْلِمه**»[٢]. وهذا من الانثلام والخذلان، فإن إهماله لتمزيق عرضه كإهماله لتمزيق لحمه. فأخس بأخٍ يراك والكلاب تفترسك وتمزق لحومك، وهو ساكت، لا تحركه الشفقة والحمية للدفع عنك!

وتمزيق الأعراض أشد على النفوس من تمزيق اللحوم، ولذلك شبهه الله تعالى بأكل لحوم الميتة، فقال: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات: ١٢]. فإذن حماية الأخوة بدفع ذمّ الأعداء وتعنت المتعنتين واجب في عقد الأخوة.

وقد قال مجاهد: لا تذكرْ أخاك في غَيْبَته، إلَّا كما تحبُّ أن يذكرك في غَيْبتك»[٣].

معياران في التقدير:

قال الغزالي: «فإذن لك فيه معياران:

أحدهما: أن تقدِّر أنَّ الذي قيل فيه لو قيل فيك، وكان أخوك حاضرًا ما الذي كنت تحب أن يقوله أخوك فيك؟ فينبغي أن تعامل المتعرض لعرضه به.

---

(١) في الأصل: رسول الله ﷺ، والصحيح أنَّ القائل سلمان، وسبق تخريج الأثر صـ٤٥٦.

(٢) سبق تخريجه صـ٤٩٨.

(٣) إحياء علوم الدين (١٨٠/٢، ١٨١) بتصرف.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

والثاني: أن تقدِّر أنَّه حاضر من وراء جدار يسمع قولك، ويظن أنك لا تعرف حضوره؛ فما كان يتحرك في قلبك من النصرة له بمسمع منه ومرأى، فينبغي أن يكون في مغيبه كذلك، فقد قال بعضهم: ما ذُكر أخ لي بغيب إلَّا تصورته جالسًا، فقلت فيه ما يحب أن يسمعه لو حضر.

وقال آخر: ما ذُكر أخ لي إلَّا تصورت نفسي في صورته، فقلت فيه مثل ما أحب أن يقال فيَّ.

وهذا من صدق الإسلام، وهو ألا يرى لأخيه إلَّا ما يراه لنفسه.

وقد نظر أبو الدرداء إلى ثورين يحرثان في فدان، فوقف أحدهما يحك جسمه، فوقف الآخر، فبكى وقال: هكذا الأخوان في الله يعملان لله، فإذا وقف أحدهما وافقه الآخر.

وبالموافقة يتم الإخلاص، ومن لم يكن مخلصًا في إخائه فهو منافق. والإخلاص استواء الغيب والشهادة، واللسان والقلب، والسر والعلانية، والجماعة والخلوة.

والاختلاف والتفاوت في شيء من ذلك مماذقة[1] في المودة، وهو دَخَل في الدين، ووليجة في طريق المؤمنين، ومن لا يقدر من نفسه على هذا، فالانقطاع والعزلة أولى به من المؤاخاة والمصاحبة، فإن حق الصُّحبة ثقيل، لا يطيقه إلَّا محقِّق، فلا جرم أجره جزيل، لا يناله إلَّا موفَّق.

---

(١) أي: تخليط.

QaradawiBooks.com

إحسان الصحبة من الإيمان:

ولذلك قال ﷺ: «**يا أبا هريرة، أَحْسِنْ مجاورةَ من جاورك تكُنْ مسلمًا، وأحسِن مصاحبة صاحبك تكنْ مؤمنًا**»[١]. فانظر كيف جعل الإيمان جزاء الصحبة، والإسلام جزاء الجوار؟ فالفرق بين فضل الإيمان وفضل الإسلام، على حد الفرق بين المشقة في القيام بحق الجوار، والقيام بحق الصحبة. فإنَّ الصحبة تقتضي حقوقًا كثيرة في أحوال متقاربة مترادفة على الدوام، والجوار لا يقتضي إلَّا حقوقًا قريبة في أوقات متباعدة لا تدوم.

المواساة بالتعليم وبالنصيحة في السر:

ومن ذلك: التعليم والنصيحة، فليس حاجة أخيك إلى العلم بأقل من حاجته إلى المال: فإن كنتَ غنيًّا بالعلم، فعليك مؤاساته من فضلك، وإرشاده إلى كل ما ينفع في الدين والدنيا، فإن علمته وأرشدته، ولم يعمل بمقتضى العلم، فعليك النصيحة. وذلك بأن تذكر آفات ذلك الفعل، وفوائد تركه، وتخوفه بما يكرهه في الدنيا والآخرة، لينزجر عنه، وتنبِّهه على عيوبه، وتقبِّح القبيح في عينه، وتُحسِّن الحسن، ولكن ينبغي أن يكون ذلك في سر لا يطَّلع عليه أحد. فما كان على الملأ فهو توبيخ وفضيحة، وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة. إذ قال ﷺ: «**المؤمنُ مرآةُ المؤمن**»[٢]، أي: يرى منه ما لا يرى من نفسه، فيستفيد المرء بأخيه معرفة

---

(١) رواه ابن ماجه في الزهد (٤٢١٧)، وأبو يعلى (٥٨٦٥)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٣٩٨).

(٢) رواه أبو داود في الأدب (٤٩١٨)، وابن وهب في جامعه (٢٣٧)، والبزار (٨١٠٩)، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (٩٢٦)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

عيوب نفسه، ولو انفرد لم يستفد، كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة.

وقال الشافعي رضي الله عنه: من وعظ أخاه سرًّا، فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية، فقد فضحه وشانه[1].

وقيل لمسعر: أتحب من يخبرك بعيوبك؟ فقال: إنْ نصحني فيما بيني وبينه فنعم، وإنْ قرّعني بين الملأ، فلا.

وقد صدق، فإنَّ النصح على الملأ فضيحة، والله تعالى يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كَنَفه، في ظل ستره، فيُوقفه على ذنوبه سرًّا، وقد يدفع كتاب عمله مختومًا إلى الملائكة الذين يحفُّون به إلى الجنة، فإذا قاربوا باب الجنة أعطوه الكتاب مختومًا ليقرأه، وأمَّا أهل المقت، فينادون على رؤوس الأشهاد، وتستنطق جوارحهم بفضائحهم، فيزدادون بذلك خزْيًا وافتضاحًا، ونعوذ بالله من الخزي يوم العرض الأكبر.

فالفرق بين التوبيخ والنصيحة بالإسرار والإعلان، كما أنَّ الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض الباعث على الإغضاء، فإن أغضيْت لسلامة دينك، ولما ترى من إصلاح أخيك بالإغضاء، فأنت مدارٍ، وإن أغضيْت لحظِّ نفسك، واجتلاب شهواتك، وسلامة جاهك، فأنت مداهن.

وقال ذو النون: لا تصحب مع الله إلَّا بالموافقة، ولا مع الخلق إلَّا بالمناصحة، ولا مع النفس إلَّا بالمخالفة، ولا مع الشيطان إلَّا بالعداوة.

فإن قلت: فإذا كان في النصح ذكر العيوب، ففيه إيحاشٌ للقلب، فكيف يكون ذلك من حق الأخُوة؟

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٤٠/٩).

QaradawiBooks.com

فاعلم أنَّ الإيحاش: إنَّما يحصل بذكر عيب يعلمه أخوك من نفسه؛ فأما تنبيهه على ما لا يعلمه فهو عين الشفقة، وهو استمالة القلوب، أعني قلوب العقلاء، وأمَّا الحمقى فلا يُلتفت إليهم، فإن من ينبِّهك على فعل مذموم تعاطيتَه أو صفة مذمومة اتَّصفت بها، لتزكِّي نفسك عنها، كان كمن ينبِّهك على حيَّة أو عقرب تحت ذَيْلك، وقد همَّت بإهلاكك، فإن كنت تكره ذلك فما أشد حمقك! والصفات الذميمة عقارب وحيات، وهي في الآخرة مُهلكات، فإنها تلدغ القلوب والأرواح، وألمها أشد ممَّا يلدغ الظواهر والأجساد، وهي مخلوقة من نار الله الموقدة، ولذلك كان عمر رضي الله عنه يستهدي ذلك من إخوانه ويقول: رحم الله امرأً أهدى إلى أخيه عيوبه[1].

اكشف عن رأسك قناع الغافلين، وانتبه عن رقدة الموتى، واعلم أن من قرأ القرآن، ولم يستغنِ، وآثر الدنيا، لم آمَنْ أن يكون بآيات الله من المستهزئين، وقد وصف الله تعالى الكاذبين ببغضهم للناصحين، إذ قال: ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٩].

وهذا في عيبٍ هو غافل عنه، فأما ما علمتَ أنَّه يعلمه من نفسه، فإنما هو مقهورٌ عليه من طبعه، فلا ينبغي أن يكشف فيه ستره إن كان يُخفيه، وإن كان يظهره، فلا بد من التلطف في النصح بالتعريض مرة، وبالتصريح أخرى، إلى حدٍّ لا يؤدي إلى الإيحاش.

فإن علمت أنَّ النصح غير مؤثِّر فيه، وأنَّه مضطرٌّ من طبعه إلى الإصرار عليه، فالسكوت عنه أولى.

---

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني صـ ٢١٧، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، نشر دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

QaradawiBooks.com

وهذا كله فيما يتعلق بمصالح أخيك في دينه أو دنياه، أمَّا ما يتعلق بتقصيره في حقك، فالواجب فيه الاحتمال والعفو والصفح والتعامي عنه، والتعرض لذلك ليس من النصح في شيء، نعم إن كان بحيث يؤدِّي استمراره عليه إلى القطيعة، فالعتاب في السر خير من القطيعة، والتعريض به خير من التصريح، والمكاتبة خير من المشافهة، والاحتمال خير من الكُل، إذ ينبغي أن يكون قصدك من أخيك إصلاح نفسك، بمراعاتك إياه، وقيامك بحقه، واحتمالك تقصيره، لا الاستعانة به، والاسترفاق منه.

وقال أبو علي الرباطي: صحبتُ عبد الله الرازي، وكان يدخل البادية، فقال: على أن تكون أنت الأمير، أو أنا؟ فقلت: بل أنت. فقال: وعليك الطاعة. فقلت: نعم، فأخذ مخلاة، ووضع فيها الزاد، وحملها على ظهره. فإذا قلت له: أعطني (أي: أعطني المخلاة أحملها عنك). قال: ألست قلت: أنت الأمير؟ فعليك الطاعة. فأخذَنا المطر ليلة، فوقف على رأسي إلى الصباح، وعليه كساء، وأنا جالس يمنع عني المطر، فكنت أقول مع نفسي: ليتني مت ولم أقل: أنت الأمير[1]»[2].

الحق الخامس: العفو عن الزلات والهفوات:

قال الغزالي: «وهفوة الصديق لا تخلو: إما أن تكون في دينه، بارتكاب معصية، أو في حقِّك بتقصيره في الأخوة.

أمَّا ما يكون في الدين من ارتكاب معصية والإصرار عليها، فعليك التلطف في نصحه، بما يُقوِّم أوده، ويجمع شمله، ويعيد إلى الصلاح

(١) الرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيري (٤٥٣/٢).

(٢) الإحياء (١٨١/٢ ـ ١٨٣) بتصرف.

QaradawiBooks.com

والورع حاله. فإن لـــم تقدر، وبقي مُصِرًّا، فقـــد اختلفت طرق الصحابة والتابعين في إدامة حق مودَّته أو مقاطعته.

فذهب أبو ذر رضي الله عنه إلى الانقطاع، وقـــال: إذا انقلب أخوك عمَّا كان عليه، فأبغضه من حيث أحببتـــه. ورأى ذلك من مقتضى الحب في الله، والبغض في الله.

وأمَّا أبو الدرداء وجماعـــة من الصحابة، فذهبوا إلـــى خلافه؛ فقال أبو الدرداء: إذا تغيَّر أخوك، وحال عمَّا كان عليه، فلا تدعْه لأجل ذلك، فإن أخاك يعوَجَّ مرة، ويستقيم أخرى.

وقال إبراهيم النخعي: لا تقطع أخاك، ولا تهجره عند الذنب يذنبه، فإنه يرتكبه اليوم، ويتركه غدًا. وقال أيضًا: لا تحدِّثوا الناس بزلة العالِم، فإنَّ العالم يزل الزلة ثم يتركها[1].

وفي حديث عمر، وقد ســـأل عن أخ كان آخاه، فخرج إلى الشـــام، فســـأل عنه بعض من قدم عليه، وقـــال: ما فعل أخي؟ قـــال: ذلك أخو الشـــيطان. قال: مَهْ. قال: إنَّه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر. قال: إذا أردت الخروج، فآذني. فكتب عند خروجه إليه: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ [غافر: ١ ـ ٣]. ثم عاتبه تحت ذلـــك وعذله. فلما قرأ الكتاب بكى وقال: صدق الله ونصح لي عمر. فتاب ورجع[2].

وكذلك حُكي عن أخوين من السلف، انقلب أحدهما عن الاستقامة، فقيل لأخيه: ألا تقطعه وتهجره؟ فقال: أحوج ما كان إليّ في هذا الوقت،

(١) ذكر هذه الآثار أبو طالب المكي في قوت القلوب (٣٦٧/٢).

(٢) رواها أبو نعيم في حلية الأولياء (٩٧/٤).

QaradawiBooks.com

لما وقع في عثرته: أن آخذ بيـــده، وأتلطف له فـــي المعاتبة، وأدعو له بالعود إلى ما كان عليه[١].

الصداقة لُحمة كلُحْمة النسب:

الصداقة لُحمة كلحمة النسب، والقريب لا يجوز أن يُهْجَر بالمعصية، ولذلك قال الله تعالى لنبيِّه ﷺ في عشـــيرته: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الشـــعراء: ٢١٦]. ولـم يقل: إنِّي بريء منكم، مراعـــاة لحق القرابة ولُحمة النسب.

وإلى هذا أشـــار أبو الدرداء لما قيل له: ألا تبغـــض أخاك وقد فعل كذا؟ فقال: إنَّما أبغض عمله، وإلا فهو أخي[٢].

وأخوة الدين أوكد من أخوة القرابة، ولذلك قيل لحكيم: أيُّما أحب إليك أخوك أو صديقك؟ فقال: إنَّما أحب أخي إذا كان صديقًا لي[٣].

وكان الحســـن يقول: كم مـــن أخ لك لم تلده أمـــك؟ ولذلك قيل: القرابة تحتاج إلى مودة، والمودة لا تحتاج إلى قرابة[٤].

وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: مودَّة يومٍ صلة، ومودَّة شهر قرابة، ومودَّة سنة رحم ماسَّة، من قطعها قطعه الله[٥].

---

(١) حلية الأولياء (٢/٢٧٥).
(٢) المصدر السابق (٢/٢٦٦).
(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/٢٢٥).
(٤) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق (٩٠٥).
(٥) آداب الصحبة لأبي عبد الرحمن السلمي (١٦٩).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقال ﷺ: «**شرار عباد الله المشَّاؤون بالنميمة، المُفرِّقون بين الأَحِبَّة**»[١].

لا تكونوا عونًا للشيطان على أخيكم:

وقال بعض السلف في سَتْر زلَّات الإخوان: ودَّ الشيطان أن يلقى على أخيكم مثل هذا، حتى تهجروه وتقطعوه، فماذا اتَّقيتم من محبَّة عدوكم؟ وهذا لأنَّ التفريق بين الأحباب من محابِّ الشيطان، كما أن مقارفة العصيان من محابِّه؛ فإذا حصل للشيطان أحد غرضيه، فلا ينبغي أن يضاف إليه الثاني.

وإلى هذا أشار عليه السلام في الذي شتم الرجل الذي أتى فاحشة، إذ قال: «مَه!». وزجره، وقال: «**لا تكونوا عونًا للشيطانِ على أخيكم**»[٢].

أمَّا زلته في حقه بما يوجب إيحاشه، فلا خلاف في أنَّ الأولى العفو والاحتمال، بل كل ما يحتمل تنزيله على وجْه حسن، ويتصور تمهيد عذر فيه قريب أو بعيد، فهو واجب بحق الأخوة.

فقد قيل: ينبغي أن تستنبط لزلة أخيك سبعين عذرًا؛ فإن لم يقبله قلبك، فرُد اللوم على نفسك، فتقول لقلبك: ما أقساك! يعتذر إليك أخوك سبعين عذرًا فلا تقبله. فأنت المعيب لا أخوك!

فإن ظهر بحيث لم يقبل التحسين، فينبغي ألا تغضب إن قدرت، ولكن ذلك لا يمكن، وقد قال الشافعي رحمه الله: من استُغْضِب فلم يغضب، فهو حمار، ومن استُرضيَ فلم يرض فهو شيطان[٣].

---

(١) رواه أحمد (١٧٩٩٨)، وقال مخرِّجوه: حسن بشواهده. وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٤٧٠٠)، عن عبد الرحمن بن غنم الأشعري.

(٢) رواه البخاري في الحدود (٦٧٨١)، وأحمد (٧٩٨٥)، وأبو داود في الحدود (٤٤٧٧)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٤٣/٩).

QaradawiBooks.com

فلا تكن حمارًا ولا شيطانًا، واسترضِ قلبك بنفسك نيابة عن أخيك، واحترز أن تكون شيطانًا إن لم تقبل.

قال الأحنف: حقُّ الصديق أن تحتمل منه ثلاثًا: ظلم الغضب، وظلم الدالَّة، وظلم الهفوة[١].

وقال آخر: ما شتمتُ أحدًا قط؛ لأنَّه إن شتمني كريم، فأنا أحق من غفرها له، أو لئيم، فلا أجعل عرضي له غَرَضًا، ثم تمثَّل وقال:

وأغفرُ عوراءَ الكريمِ ادِّخَارَه وأُعْرِضُ عن شتمِ اللئيمِ تكرُّمَا![٢]

وقد قيل:

خُذْ من خليلِكَ ما صفا ودعِ الذي فيه الكَدَرْ
فالعمْرُ أقصرُ من مُعَا تبةِ الخليلِ على الغِيَرْ[٣]

ومهما اعتذر إليك أخوك كاذبًا كان أم صادقًا، فاقبل عذره. قال الله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]. ولم يقل: والفاقدين الغيظ، وهذا لأنَّ العادة لا تنتهي إلى أن يُجرح الإنسان فلا يتألَّم، بل تنتهي إلى أن يصبر عليه ويحتمل، وكما أنَّ التألم بالجرح مقتضى طبع البدن، فالتألُّم بأسباب الغضب طبع القلب، ولا يمكن قلعه، ولكن يمكن ضبطه وكظمه، والعمل بخلاف مقتضاه، فإنه يقتضي التشفي والانتقام والمكافأة، وترك العمل بمقتضاه ممكن، وقد قال الشاعر:

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٤٢/٢٤).

(٢) من شعر حاتم الطائي، كما في ديوانه صـ ٤٥، شرح أحمد رشاد، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٢م.

(٣) من شعر كشاجم، كما في ديوانه صـ ١٩٦، تحقيق: د. النبوي عبد الواحد شعلان، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

ولســـت بمســـتبقٍ أخًـــا لا تلُمُّه على شعث، أيّ الرجال المهذَّبُ[١]؟

قال أبو سليمان الداراني لأحمد بن أبي الحواري: إذا واخيت أحدًا في هذا الزمان فلا تعاتبه علـــى ما تكرهه، فإنك لا تأمن من أن ترى في جوابك ما هو شر من الأول. قال: فجرَّبْته، فوجدته كذلك.

وقال بعضهم: الصبر على مضض الأخ، خير من معاتبته، والمعاتبة خير من القطيعة، والقطيعة خير من الوقيعة.

وينبغي ألا يبالغ في البغضة عند الوقيعـــة. قال تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗ﴾ [الممتحنة: ٧].

وقال عليه السلام: «**أحبِبْ حبيبَكَ هونًا ما، عسى أن يكون بغيضَكَ يومًا ما، وأَبْغِضْ بَغِيضَك هونًا ما، عسى أن يكون حبيبَكض يومًا ما**»[٢].

وقال عمر رضي الله عنه: لا يكن حبُّك كَلَفًا، ولا بُغضك تَلَفًا[٣].

وهو أن تحبَّ تَلَفَ صاحبِكَ مع هلاكك»[٤].

الحق السادس: الدعاء للأخ في حياته وبعد مماته:

قال الإمام الغزالي: «الدعاء للأخ في حياته وبعد مماته بكل ما يحبُّه لنفسه ولأهله وكلِّ متعلِّق به، فتدعو له كما تدعو لنفسك، ولا تفرِّق بين

(١) من شعر النابغة، وقد سبق عزوه صـ٤٧٤.

(٢) رواه الترمذي في البر والصلة (١٩٩٧)، وقال: هذا حديث غريب، والصحيح عن علي موقوف قوله. والطبراني في الأوسط (٣٣٩٥)، قال العراقي في تخريج الإحياء صـ ٦٤٣: رجاله ثقات رجال مسلم، لكن الراوي تردد في رفعه. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١٧٨)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٣٢٢)، وصحح إسناده الألباني في صحيح الأدب المفرد (٩٩٨).

(٤) الإحياء (١٨٣/٢ ـ ١٨٦) بتصرف.

QaradawiBooks.com

نفسك وبينه، فإن دعاءك له دعاء لنفسك على التحقيق، فقد قال ﷺ: «**إذا دعا الرجل لأخيه بظهر الغيب، قال الملَك: ولك مِثْلُ ذلك**»[١].

وفي الحديث: «**دعوةُ الرجلِ لأخيه في ظهر الغيبِ مستجابة**»[٢].

وكان أبو الدرداء يقول: إنِّي لأدعو لسبعين من إخواني في سجودي أسمِّيهم بأسمائهم[٣].

وكان محمد بن يوسف الأصفهاني يقول: وأين مثل الأخ الصالح؟ أهلك يقتسمون ميراثك، ويتنعَّمون بما خلَّفت، وهو منفرد بحزنك، مهتمٌّ بما قدَّمت، وما صرتَ إليه، يدعو لك في ظُلمة الليل، وأنت تحت أطباق الثرى[٤]»[٥].

الحق السابع: الوفاء والإخلاص:

قال الإمام الغزالي: «ومعنى الوفاء: الثبات على الحب وإدامته إلى الموت معه، وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه، فإنَّ الحب إنَّما يراد للآخرة، فإن انقطع قبل الموت حبط العمل، وضاع السعي، ولذلك قال عليه السلام في السبعة الذين يظلهم الله في ظله: «**ورجلان تحابَّا في الله، اجتمعا على ذلك، وتفرَّقا عليه**»[٦].

---

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٣٢)، وأبو داود في الصلاة (١٥٣٤)، عن أبي الدرداء.

(٢) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٣٣)، عن أبي الدرداء.

(٣) رواه ابن المنذر في الأوسط (١٥٧٩).

(٤) قوت القلوب (٣٨٢/٢).

(٥) إحياء علوم الدين (١٨٦/٢) بتصرف.

(٦) سبق تخريجه صـ١٠٠.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقال بعضهم: قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره في حال الحياة، ولذلك ثبت أنَّه ﷺ أكرم عجوزًا دخلت عليه، فقيل له في ذلك، فقال: «**إنَّها كانت تأتينا أيام خديجة، وإن حُسْن العهد من الإيمان**»(١).

فمن الوفاء للأخ: مراعاة جميع أصدقائه وأقاربه والمتعلقين به، ومراعاتهم أوقع في قلب الصديق من مراعاة الأخ في نفسه، فإن فرحه بتفقُّد من يتعلق به أكثرُ، إذ لا يدل على قوة الشفقة والحب إلَّا تعدِّيهما من المحبوب إلى كل من يتعلَّق به، حتى الكلب الذي على باب داره، ينبغي أن يميَّز في القلب عن سائر الكلاب.

ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة، شمت به الشيطان، فإنه لا يحسد متعاونيْن على بر، كما يحسد متواخيَيْن في الله، ومتحابَّين فيه، فإنه يجهد نفسه لإفساد ما بينهما، قال الله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٣]، وقال مخبرًا عن يوسف: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾ [يوسف: ١٠٠]. ويقال: «**ما تواخى اثنان في الله، فيفرَّق بينهما إلَّا بذنبٍ يرتكبه أحدُهما**»(٢).

وكان بِشر يقول: إذا قصَّر العبد في طاعة الله، سلبه الله من يُؤْنسه(٣). وذلك لأنَّ الإخوان مَسْلاة للهموم، وعَون على الدين. ولذلك قال ابن المبارك: ألذ الأشياء مجالسة الإخوان، والانقلاب إلى كفاية.

والمودَّة الدائمة هي التي تكون في الله، وما يكون لغرض يزول بزوال ذلك الغرض.

---

(١) سبق تخريجه صـ٤٨٣.

(٢) ولهذا المعنى حديث مرفوع: «ما توادَّ اثنان في الله جل وعز أو في الإسلام، فيفرق بينهما إلَّا بذنب يحدثه أحدهما». رواه أحمد (٥٣٥٧)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح، عن ابن عمر.

(٣) رواه أبو سعد الهروي في الأربعين في شيوخ الصوفية صـ١٥٨، تحقيق د. عامر حسن صبري، نشر دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

ومن ثمرات المودة في الله: ألا تكون مع حسد في دين ودنيا، وكيف يحسده، وكل ما هو لأخيه فإليه ترجع فائدته؟ وبه وصف الله تعالى المحبِّين في الله تعالى، فقال: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]. ووجود الحاجة هو الحسد.

ومن الوفاء: ألا يتغيَّر حاله في التواضع مع أخيه، وإن ارتفع شأنه، واتَّسعت ولايته، وعظم جاهه، فالترفع على الإخوان بما يتجدَّد من الأحوال لؤم.

قال الشاعر[1]:

إنَّ الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخَشِن

أوصى بعض السلف ابنه فقال: يا بُنيَّ، لا تصحبْ من الناس إلَّا من إذا افتقرت إليه قَرُب منك، وإن استغنيتَ عنه لم يطمع فيك، وإن علت مرتبتُه لم يرتفع عليك.

وقال بعض الحكماء: إذا ولي أخوك ولاية، فثبت على نصف مودته لك، فهو كثير.

وليس من الوفاء موافقة الأخ فيما يخالف الحق في أمر يتعلق بالدين، بل من الوفاء المخالفة، فقد كان الشافعي رضي الله عنه آخى محمد بن عبد الحكم، وكان يقرِّبه، ويُقبل عليه، ويقول: ما يقيمني بمصر غيره، فاعتل محمد فعاده الشافعي رحمه الله تعالى فقال:

---

(١) دعبل خزاعي، كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة (٨٤١/٢)، نشر دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

QaradawiBooks.com

مـــرض الـحـبـيـب فـعُـدتُّـه فـمـرضـتُ مـن حـــذري عليه
وأتـــى الـحـبـيـب يـعـودنـي فـبـرئـــتُ مـــن نـظـري إليه

وظن الناس لصـــدق مودَّتهما أنَّه يفوِّض أمر حلقتـــه إليه بعد وفاته، فقيل للشـــافعي في علته التي مـــات فيها رضي الله تعالى عنه: إلى مـــن نجلس بعدك يا أبا عبد الله؟ فاستشرف له محمد بن عبد الحكم وهو عند رأسه ليومئ إليه؛ فقال الشافعي: سبحان الله! أيُشَـــك في هذا؟ أبو يعقوب البويطي. فانكسر لها محمد، ومال أصحابه إلى البويطي[1]. مع أنَّ محمدًا كان قد حمل عنه مذهبه كله، لكن كان البويطي أفضل وأقرب إلى الزهد والورع. فنصح الشافعي لله وللمســـلمين، وترك المداهنة، ولم يُؤْثر رضا الخلق على رضا الله تعالى.

فلما توفـــي انقلب محمد بـــن عبد الحكم عن مذهبـــه، ورجع إلى مذهب أبيه، ودرس كتب مالك رحمه الله، وهو من كبار أصحاب مالك رحمه الله. وآثر البويطي الزهد والخمول، ولم يُعجبه الجمع والجلوس في الحلقة، واشـــتغل بالعبادة وصنَّف «كتاب الأم» الذي ينسب الآن إلى الربيع بن سليمان، ولم يعرف به، وإنَّما صنَّفه البويطي، ولكن لم يذكر نفسه فيه، ولم ينسبه إلى نفسه، فزاد الربيع فيه، وتصرَّف وأظهره.

والمقصود: أنَّ الوفاء بالمحبة من تمامها النصح لله.

قال الأحنف: الإخـــاء جوهرة رقيقة، إن لم تحرســـها كانت معرَّضة للآفات، فاحرســـها بالكظم، حتى تعتذر إلى من ظلمك، وبالرضا حتى لا تستكثر من نفسك الفضل، ولا من أخيك التقصير.

(١) رواها ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٥٩/٥٣).

QaradawiBooks.com

ومن آثار الصدق والإخلاص وتمام الوفاء: أن تكون شديدَ الجزع من المفارقة، نفور الطبع عن أسبابها، كما قيل:

وجَدْتُ مصيباتِ الزمانِ جميعَها سوى فرقةِ الأحبابِ هيِّنَةَ الخَطْبِ[(١)]

وأنشـــد ابن عيينة هذا البيت، وقال: لقد عهدت أقوامًا فارقتهم منذ ثلاثين سنة، ما يخيَّل إليَّ أن حسرتهم ذهبت من قلبي[(٢)].

ومن الوفاء: ألَّا يسمع بلاغات الناس على صديقه، لا سيما مَن يظهر أولًا أنَّه محب لصديقه ـ كيلا يُتَّهم ـ ثم يلقي الكلام عرضًا، وينقل عن الصديق ما يوغر القلب، فذلك من دقائق الحيل في التضريب، ومن لم يحترز منه لم تدم مودته أصلًا.

قال واحد لحكيم: قد جئتك خاطبًا لمودتك، قال: إن جعلت مهرها ثلاثًا فعلت. قال: وما هي؟ قال: لا تســمع عليَّ بلاغة، ولا تخالفني في أمر، ولا توطئني عشوة[(٣)].

ومن الوفــاء: ألا يصادق عدو صديقه. قال الشــافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا أطاع صديقك عدوك فقد اشتركا في عداوتك»[(٤)].

---

(١) من شعر قيس بن ذَرِيح. انظر: شرح شــواهد المغني للسيوطي (٥٣٨/٢)، نشر لجنة التراث العربي، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م. وديوانه صـ ٥٩، شرح عبد الرحمن المصطاوي، نشر دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٤م.

(٢) قوت القلوب (٣٧٥/٢).

(٣) العشوة: ركوب الأمر على غير بيان. وأوطأني عشوة مثلثة العين: لبس عليَّ، والمعنى أنَّه حمله على أن يركب أمرًا غير مُستبين الرشد، فربما كان فيه عطبه. لسان العرب مادة (ع. ش. ا).

(٤) إحياء علوم الدين (١٨٧/٢، ١٨٨) بتصرف.

QaradawiBooks.com

الحق الثامن: التخفيف وترك التكلف والتكليف:

قال الإمام الغزالي: «وذلك بألَّا يُكلف أخاه ما يشق عليه، بل يروح سره من مهماته وحاجاته، ويرفِّهه عن أن يُحمِّله شيئًا من أعبائه، فلا يستمد منه من جاه ومال، ولا يكلفه التواضع له، والتفقد لأحواله، والقيام بحقوقه، بل لا يقصد بمحبَّته إلَّا الله تعالى، تبرُّكًا بدعائه، واستئناسًا بلقائه، واستعانة به على دينه، وتقربًا إلى الله تعالى بالقيام بحقوقه، وتحمل مؤنته.

قال بعضهم: من اقتضى من إخوانه ما لا يقضونه فقد ظلمهم، ومن اقتضى منهم مثل ما يقتضونه فقد أتعبهم، ومن لم يقتض فهو المتفضِّل عليهم.

وقال بعض الحكماء: من جعل نفسه عند الإخوان فوق قدره أثِم وأثموا، ومن جعل نفسه في قدره تعب وأتعبهم، ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا.

وتمام التخفيف بِطَيِّ بساط التكلُّف، حتى لا يستحي منه فيما لا يستحي من نفسه.

وقال علي رضي الله عنه: شرُّ الأصدقاء مَنْ تكلَّف لك، ومَنْ أحوجك إلى مداراة، وألجأك إلى اعتذار[1].

وقال الفضيل: إنَّما تقاطع الناس بالتكلُّف، يزور أحدُهم أخاه فيتكلَّف له، فيقطعه ذلك عنه[2].

(١) رواه أبو طالب المكي في قوت القلوب (٢/٣٧٧).
(٢) رواه ابن أبي الدنيا في قرى الضيف (٦٠).

QaradawiBooks.com

وقالت عائشة رضي الله عنها: المؤمن أخو المؤمن، لا يغتنمه، ولا يحتشِمُه[١].

وقال الجُنَيْد: صحبتُ أربع طبقات من هذه الطائفة، كل طبقة ثلاثون رجلًا: حارثًا المحاسبي وطبقته، وحسنًا المسوحي وطبقته، وسريًّا السقطي وطبقته، وابن الكريبي وطبقته، فما تواخى اثنان في الله واحتشم أحدهما من صاحبه أو استوحش، إلَّا لعلة في أحدهما.

وقيل لبعضهم: من نصحب؟ قال: مَنْ يرفع عنك ثقل التكلُّف، وتسقط بينك وبينه مؤنة التحفُّظ.

وكان جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما يقول: أثقل إخواني عليَّ من يتكلَّف لي وأتحفَّظ منه، وأخفُّهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي[٢].

وقال بعض الصوفية: لا تعاشر من الناس إلَّا من لا تزيد عنده ببر، ولا تنقص عنده بإثم، يكون ذلك لك وعليك، وأنت عنده سواء.

وإنَّما قال هذا؛ لأنّ به يتخلص عن التكلُّف والتحفظ، وإلا فالطبع يحمله على أن يتحفَّظ منه إذا علم أن ذلك ينقصه عنده.

وقال بعضهم: كن مع أبناء الدنيا بالأدب، ومع أبناء الآخرة بالعلم، ومع العارفين كيف شئتَ!

وقال آخر: لا تصحب إلَّا من يتوب عنك إذا أذنبت، ويعتذر عليك إذا أسأت، ويحمل عنك مُؤونة نفسك، ويكفيك مؤنة نفسه.

---

(١) قوت القلوب (٢/٣٧٧).

(٢) المصدر السابق (٢/٣٧٨).

QaradawiBooks.com

وقائلُ هذا قد ضيَّق طريق الأُخــوة على الناس، وليس الأمر كذلك، بل ينبغي أن يؤاخي كل متديِّن عاقل، ويعزم على أن يقوم بهذه الشرائط، ولا يكلف غيره هذه الشروط، حتى تكثر إخوانه، إذ به يكون مؤاخيًا في الله، وإلا كانت مؤاخاته لحظوظ نفسه فقط.

ولذلك قال رجل للجنيد: قد عزَّ الإخوان في هذا الزمان! أين أخ لي في الله؟ فأعرض الجنيد، حتى أعــاده ثلاثًا، فلما أكثر قال له الجنيد: إن أردت أخًا يكفيك مؤنتك، ويتحمَّل أذاك، فهذا لعمري قليل، وإن أردت أخًا في الله تحمل أنت مؤنته، وتصبر علــى أذاه، فعندي جماعة أعرفهم لك. فسكت الرجل.

واعلــم أنَّ الناس ثلاثة: رجل تنتفع بصحبتــه، ورجل تقدر على أن تنفعه ولا تتضــرر به، ولكن لا تنتفع به، ورجل لا تقــدر أيضًا على أن تنفعه، وتتضرر به، وهو الأحمق أو السيئ الخلق، فهذا الثالث ينبغي أن تتجنبه، فأما الثاني، فلا تجتنبه؛ لأنك تنتفع في الآخرة بشفاعته وبدعائه وبثوابك على القيام به.

وقد قال بعضهم: صحبت الناس خمسين سنة، فما وقع بيني وبينهم خلاف، فإني كنت معهم على نفسي، ومن كانت هذه شيمته كثر إخوانه.

ومن التخفيف وترك التكلف: ألَّا يعترض في نوافل العبادات

كان طائفة من الصوفية يصطحبون على شــرط المســاواة بين أربع معــان: إن أكل أحدهم النهــار كله، لم يقل له صاحبــه: صم. وإن صام الدهر كله، لم يقل له: أفطر. وإن نام الليل كله، لم يقل له: قم. وإن صلى الليل كله، لم يقل له: نم. وتســتوي حالاته عنده بلا مزيد ولا نقصان؛ لأن ذلك إن تفاوت حرّك الطبع إلى الرياء والتحفظ لا محالة.

QaradawiBooks.com

وقد قيل: مَن سقطت كلفته دامت ألفته، ومن خفَّت مؤنته دامت مودته.

ولا يتمُّ التخفيف وترك التكلف إلَّا بأن يرى نفسه دون إخوانه، ويُحسن الظن بهم، ويسيء الظن بنفسه، فعند ذلك يكون هو خيرًا منهم.

وقال أبو معاوية الأسود: إخواني كلهم خير مني، قيل: وكيف ذلك؟ قال: كلهم يرى لي الفضل عليه، ومَن فضَّلني على نفسه، فهو خير مني[(١)].

فهذه أقل الدرجات، وهو النظر بعين المساواة، والكمال في رؤية الفضل للأخ. ولذلك قال سفيان: إذا قيل لك يا شرَّ الناس، فغضبت، فأنت شر الناس.

أيْ: ينبغي أن تكون معتقدًا ذلك في نفسك أبدًا.

وقد قيل في معنى التواضع ورؤية الفضل للإخوان أبيات:

تذلَّلْ لمن إن تذلَّلتَ لَهُ ... يرى ذاك للفَضْلِ لا للبَلَهْ
وجانبْ صداقةَ من لا يزالُ ... على الأصدقاءِ يرى الفضلَ لَهْ[(٢)]

وقال آخر:

كم صديقٍ عَرَفْتُه بصديقِ ... صار أحظى من الصديقِ العَتِيقِ
ورفيقٍ رأيتُه في طريقِ ... صار بعد الطريقِ خيرَ صديقِ[(٣)]

ومهما رأى الفضل لنفسه، فقد احتقر أخاه، وهذا في عموم المسلمين مذموم. قال ﷺ: «**بحسْب المؤمن من الشر أن يحقر أخاه المسلم**»[(٤)].

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٧٢/٨).

(٢) نسبه ياقوت في معجم الأدباء لابن الفتى النحوي (١٣٩١/٣).

(٣) من شعر البحتري، كما في ديوانه صـ ١٥٥٠، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، نشر دار المعارف، القاهرة، ط ٣.

(٤) سبق تخريجه صـ٤٩٨.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ومن تتمة الانبساط، وترك التكلف: أن يشاور إخوانه في كل ما يقصده، ويقبل إشاراتهم، فقد قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وينبغي ألَّا يُخفي عنهم شيئًا من أسراره، كما روي أنَّ يعقوب ابن أخي معروف قال: جاء أسود بن سالم إلى عمي معروف، وكان مؤاخيًا له، فقال: إنَّ بشر بن الحارث يحب مؤاخاتك، وهو يستحي أن يشافهك بذلك، وقد أرسلني إليك يسألك أن تعقد له فيما بينك وبينه أخوة يحتسبها ويعتدُّ بها، إلَّا أنَّه يشترط فيها شروطًا: لا يحب أن يشتهر بذلك، ولا يكون بينك وبينه مزاورة ولا ملاقاة، فإنه يكره كثرة الالتقاء. فقال معروف: أمَّا أنا لو آخيت أحدًا لم أحب مفارقته ليلًا ولا نهارًا، ولزرته في كل وقت، وآثرته على نفسي في كل حال. وأنا أشهدك أنِّي قد عقدت له أخوة بيني وبينه، وعقدت إخاءه في الله لرسالتك ولمسألته، على ألَّا يزورني إن كره ذلك، ولكنِّي أزوره متى أحببت، ومُره أن يلقاني في مواضع نلتقي بها، ومره ألَّا يخفي عليَّ شيئًا من شأنه، وأن يطلعني على جميع أحواله، فأخبر ابن سالم بِشرًا بذلك، فرضي وسُرّ به»[1].

تقييد حقوق الإخوان بجميع الجوارح:

وختم الإمام الغزالي هذه الحقوق بقوله: «فهذا جامع حقوق الصحبة، وقد أجملناه مرة وفصَّلناه أخرى، ولا يتمُّ ذلك إلَّا بأن تكون على نفسك للإخوان، ولا تكون لنفسك عليهم، وأن تنزل نفسك منزلة الخادم لهم، فتقيِّد بحقوقهم جميع جوارحك.

(١) الإحياء (٢/١٨٨ ـ ١٩١) بتصرف.

QaradawiBooks.com

أمَّا البصر، فبأن تنظر إليهم نظر مودة يعرفونها منك، وتنظر إلى محاسنهم، وتتعامى عن عيوبهم، ولا تصرف بصرك عنهم في وقت إقبالهم عليك وكلامهم معك.

وأمَّا السمع، فبأن تسمع كلامهم متلذِّذًا بسماعه، ومصدِّقًا به، ومظهرًا للاستبشار به، ولا تقطع حديثهم عليهم بمرادَّة ولا منازعة ومداخلة واعتراض، فإن أرهقك عارض اعتذرت إليهم، وتحرس سمعك عن سماع ما يكرهون.

وأمَّا اللسان، فقد ذكرنا حقوقه، فإنَّ القول فيه يطول، ومن ذلك: ألَّا يرفع صوته عليهم، ولا يخاطبهم إلَّا بما يفقهون.

وأمَّا اليدان، فألَّا يقبضهما عن معاونتهم في كل ما يُتعاطى باليد.

وأمَّا الرجلان، فأن يمشي بهما وراءهم مشي الأتباع لا مشي المتبوعين، ولا يتقدمهم إلَّا بقدر ما يقدمونه، ولا يقرب منهم إلَّا بقدر ما يقرِّبونه، ويقوم لهم إذا أقبلوا، ولا يقعد إلَّا بقعودهم، ويقعد متواضعًا حيث يقعد.

ومهما تمَّ الاتحاد خفَّ حِمْله من هذه الحقوق، مثل القيام والاعتذار والثناء، فإنها من حقوق الصحبة، وفي ضمنها نوع من الأجنبية [معاملة الأجانب والأغراب] والتكلف، فإذا تمَّ الاتحاد انطوى بساط التكلف بالكليَّة، فلا يسلك به إلَّا مسلك نفسه؛ لأن هذه الآداب الظاهرة عنوان آداب الباطن، وصفاء القلب.

ومهما صفت القلوب استُغني عن تكلف إظهار ما فيها، ومن كان نظره إلى صحبة الخلق، فتارة يعوج، وتارة يستقيم، ومن كان نظره إلى

QaradawiBooks.com

الخالق، لزم الاستقامة ظاهرًا وباطنًا، وزيَّن باطنه بالحب لله ولخلقه، وزيَّن ظاهره بالعبادة لله والخدمة لعباده، فإنها أعلى أنواع الخدمة لله، إذ لا وصول إليها إلَّا بحسن الخلق، ويدرك العبد بحسن خلقه درجة القائم الصائم وزيادة»[1].

* * *

(١) إحياء علوم الدين (١٩١/٢) بتصرف.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الفصل الرابع

أدب المسلم في السلام والتَّحِيَّة

تحيَّةُ الإنسان لصاحبه إذا لقيه: عادةٌ حسَنة، وتقليدٌ عريق في الاجتماع البشري، لِما فيه من إيناس المرء لمَن يُحيِّيه، وإشعارِه بالأمان والمودَّة وحُسن العشرة.

وهي عادة قديمة، توارثها الناس في مجتمعاتهم من قديم، وجاءت الأديان السماويَّة تدعو إليها وتؤكِّدُها.

وقد صحَّ في الحديث: «**إنَّ الله تعالى لمَّا خلق آدم، أمَرَه أن يذهب إلى نفَرٍ من الملائكة فيُحيِّيهم. فذهبَ وسلَّم عليهم، فرَدُّوا التحيةَ بأحسنَ منها**»[1].

ومعنى هذا: أنَّ التحيَّة وُلدتْ مع ميلاد الإنسان الأول، واستمرَّتْ في ذُرِّيَّتِه مِن بعده، وإن تفرَّقتْ بهم الأقطار، واختلفت منهم الألسنةُ والألوان. فأصل التحيَّة يكاد يكون متَّفَقًا عليه بين البشر قاطبةً، وإن اختلفتْ عاداتهم في صورة التحيَّة وطريقتها، باختلاف الشعوب والبيئات والأزمان، وما يعتنق الناسُ فيها مِن عقائدَ وأفكارٍ، تلوِّن غالبًا تقاليدَهم الاجتماعية، وتنْضَحُ عليها.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الاستئذان (٦٢٢٧)، ومسلم في الجنة وصفتها (٢٨٤١)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

عرفَتْ بعضُ الأمم التحيةَ بالسجود أو الانحناء، كما ذكر القرآن الكريم في قصة يوسف، حين جاء أبواه وإخوتُه إلى مصر، وقال لهم: ﴿ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٩]. قال تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗا ﴾ [يوسف: ١٠٠]. ذكر المفسِّرون أنَّ المراد بالسجود هنا: الانحناء، كما في قوله تعالى في قصة بني إسرائيل: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا ﴾ [البقرة: ٥٨]. وكان في بعض بلاد العرب من يُحيِّي الأمراءَ والملوك بالسجود، كما شاهد ذلك معاذُ بن جبل في اليمن، حين بعثه الرسول إليها، وكان في بعض الشعوب من يُحيِّي الملوك والحكامَ بتقبيل الأرض بين أيديهم.

فلمَّا جاء الإسلام أبْطَلَ كلَّ تحيةٍ فيها إشعار بالذل والخضوع من إنسانٍ لغيره، فإنَّ الناسَ كلَّهم سواسيةٌ، قد كرَّمهم الله، واستخلفهم في الأرض، فلا ينبغي لواحد منهم أن يَخضَع ويَذِلَّ إلَّا لخالقِه، فلا سجودَ لمخلوق ولا انحناء، ولا تخشُّع ولا استخذاء، ولا تقبيل للأرض بين يدي عظيم من العظماء.

تحية الإسلام: السلام في الدنيا والآخرة:

والتحية في الإسلام هي «السلام»: وهي علامة للمحبَّة والمودَّة، وشعار للإخوة والترابط بين المسلمين، وهي فوق ذلك أدب اجتماعيٌّ عامٌّ لكل من أقلَّته أرض الإسلام، بل هي تحيَّة الأنبياء، وأول تحيَّة للبشر، علمها اللهُ آدمَ منذ خلقه، وهي تحيَّة أهل الجنَّة بعد انقضاء الحياة الدنيا.

قال تعالى عن أهل الجنة: ﴿ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [يونس: ١٠].

وقال ﷻ: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٤].

QaradawiBooks.com

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٣٢].

وقال عز من قائل: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٤].

وقال: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴾ [الفرقان: ٧٥].

وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر: ٧٣].

السلام تحيَّة الله لأنبيائه:

وهي تحيَّة الله لأنبيائه: قال سبحانه في حقِّ يحيى بن زكريا عليهما السلام: ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم: ١٥].

وقال تعالى على لسان عيسى ابن مريم، الذي أنطقه الله في المهد صبيًّا: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم: ٣٣].

وقال عز وجل: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ٧٩]. وقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الصافات: ١٠٩]. وقال: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ [الصافات: ١٢٠]. وقال سبحانه: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴾ [الصافات: ١٣٠]. وقال جل شأنه في ختام السورة: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠، ١٨١].

السلام تحية الأنبياء جميعًا:

وقد عرفنا من قبل أنَّ السلام: أول تحيَّة للبشر تعلَّمها آدم يومَ خلقه الله، ففي الصحيحين، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**خلق**

QaradawiBooks.com

الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعًا، فلما خلقه قال: اذهب فسلِّمْ على أولئك النفر، وهم نفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يحيُّونك، فإنها تحيتُك وتحيةُ ذريتِك، فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمة الله. فزادوه: ورحمة الله»[1].

ولم تثبت الحفريات التي اهتم بها الجيولجيون والمؤرخون أنهم وجدوا صورة بهذا الحجم، وذلك الطول (ستون ذراعًا)!

وهي تحية الأنبياء من بعد آدم، قال تعالى عن إبراهيم وضيفه: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ [هود: ٦٩].

وقال ﷻ عن إبراهيم وأبيه: ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾ [مريم: ٤٧].

وقال سبحانه عن موسى وهارون: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [طه: ٤٧].

وقال تعالى مخاطبًا نبيَّه محمدًا ﷺ: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ٥٤].

تحية المؤمنين:

وهي تحيَّة المؤمنين، وعباد الرحمن الصالحين، قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [القصص: ٥٥].

---

(١) سبق تخريجه صـ٥٢٤.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقال سبحانه: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان: ٦٣].

وفي الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تدخلون الجنَّة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، أَوَلَا أدلُّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببْتم؟ أفشوا السلام بينكم**»(١).

وفي المُتَّفق عليه: عن عبد الله بن عمرو، أن رجلًا سأل رسولَ الله ﷺ: أيُّ الإسلام خير؟ قال: «**تُطْعِم الطعام، وتقرأ السلامَ على مَن عرفتَ ومَن لم تعرِف**»(٢).

قواعد في أدب التحيَّة:

ومن أدب الإسلام الذي علَّمه للناس: أن يبدأ الراكبُ بالسلام على الماشي، والماشي على الواقف والقاعد، والقليل على الكثير، والصغير على الكبير، لحديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُسلِّم الراكبُ على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير**»(٣). وفي رواية البخاري: «**والصغير على الكبير**»(٤).

في التحيَّة والتسليم يكفي البعض على الكل:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**ويجزئ عن الجماعة إذا مرُّوا أن يُسلِّم أحدُهم، ويُجزئ عن الجلوس أن يردَّ أحدُهم**»(٥).

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (٥٤)، وأحمد (٩٧٠٩)، وأبو داود في الأدب (٥١٩٣)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٢)، ومسلم (٣٩)، كلاهما في الإيمان.

(٣) سبق تخريجه صـ٥٢.

(٤) رواه البخاري في الاستئذان (٦٢٣١)، وأحمد (٨١٦١).

(٥) رواه أبو داود في الأدب (٥٢١٠)، والبزار (٥٣٤)، والبيهقي في السير (٤٨/٩)، =

QaradawiBooks.com

التسليم على الصِّبيان:

ومِن هَدْي النبي ﷺ: التسليم على الصبيان؛ لِما فيه من إيناسهم، وإدخال السرور على قلوبهم، وإشعارهم بشخصيتهم، وتدريبهم على آداب الشريعة من الصِّغر.

كما أنَّه يدل على تواضع الكبير، وعطْفه على الصغير، ولِين جانبه، واطِّراحِه رداءَ الكبر والفظاظة وغلظة القلب، فهو مِن مكارم الأخلاق.

روى البخاريُّ ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أنَّه مرَّ على صِبْيانٍ، فسلَّم عليهم، وقال: كان رسول الله ﷺ يفعلُه[١].

وروى البخاري في الأدب المفرد عنه قال: انتهى إلينا النبيُّ ﷺ ونحن صِبيان، فسلَّم علينا، وأرسلني في حاجة، وجلس في الطريق ينتظرني حتى رجعتُ[٢].

وروى النسائي عنه قال: كان رسول الله ﷺ يزور الأنصار، فيسلِّم على صِبيانهم، ويمسح رؤوسَهم، ويدعو لهم[٣].

= وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٨٠٢٣)، قال الحافظ في الفتح: أخرجه أبو داود والبزار، وفي سنده ضعْف، لكن له شواهد من حديث الحسن بن عليٍّ عند الطبراني (٨٢/٣)، وفي سنده مقال، وآخر مُرسل في الموطَّأ (٩٥٩/٢)، عن زيد بن أسلم. وقال الألباني في تخريج الكلم الطيب صـ ١٩٩: حديث حسن، وفيه ضعف، لكن له شواهد يتقوى بها.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الاستئذان (٦٢٤٧)، ومسلم في السلام (٢١٦٨).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (١١٣٩)، وصحَّحه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٨٧٢).

(٣) رواه النسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٠٨٨)، وابن حبان في البر والإحسان (٤٥٩)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح.

QaradawiBooks.com

وينبغي لوليِّ الصبيِّ أن يأمره بردِّ السلام، ويُعوِّدَه عليه، حتى يشبَّ على ذلك، ويتأدَّبَ بأدبِ الإسلام.

غير مرخصة للطباعة

التسليم على الجنس الآخر:

وأعني بالتسليم على الجنس الآخر: تسليم الرجال على النساء، والنساء على الرجال. هل يجوز ذلك أو لا يجوز؟

جاء في سنن أبي داود والترمذي وابن ماجَهْ، عن أسماء بنت يزيد قالت: مرَّ علينا رسول الله ﷺ في نسوة، فسلَّم علينا[١].

عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: أتيتُ النبيَّ ﷺ يوم الفتح وهو يغتسل وفاطمة تستره، فسلَّمتُ عليه، فقال: «**من هذه؟**» قلتُ: أمُّ هانئ بنت أبي طالب. فقال: «**مرحبًا بأمِّ هانئ**» فلمَّا فرغ من غُسله قام فصلَّى[٢].

وكما ثبت عند مسلم، أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما زارا أمَّ أيمن، وسلَّما عليها بعد وفاة النبي ﷺ[٣].

التحيَّة في مكالمة الهاتف:

وعلى المتصل بالهاتف أن يبدأ بالتحيَّة، ويقول: السلام عليكم، إذ هو الطالب، ويعرف أنَّه متَّصل بفلان بن فلان من الناس، وسيرد عليه، أو إنسان آخر من طرفه. فعليه أن يبدأ بالتحيَّة الإسلاميَّة.

ولا ينبغي للمسلم أن يبدأ كلامه بكلمة (آلو)، فإن بداية كلام

---

(١) رواه أحمد (٢٧٥٨٩)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. وأبو داود في الأدب (٥٢٠٤)، والترمذي في الاستئذان (٢٦٩٧)، وقال: حديث حسن. وابن ماجه في الأدب (٣٧٠١).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٣٥٧)، ومسلم في الحيض (٣٣٦).

(٣) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٤٥٤)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

المؤمنين هي السلام. وعلى من سمع السلام أن يردَّ ويقول: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. أو على الأقل: وعليكم السلام. ولو كان كل واحد منهما في قارة، كأن تكلم إنسانًا في أوربا، أو أمريكا أو أستراليا، أو في أقاصي آسيا أو أفريقيا. فقد قرَّبت هذه الآلات الحديثة المسافات بين الناس، وبلغت مبلغًا عظيمًا في ذلك، وخصوصًا هذه الأيام، الذي أصبح للإنسان أن يكلِّم صاحبه وأن يسمعه، وأن يراه هو وأهله وأولاده.

وهذا من فضل الله على الناس، ولكن أكثر الناس لا يشكرون. وسبحان من علم الإنسان ما لم يعلم.

ابتداء غير المسلم بالتحيَّة:

وإذا كان إفشاء السلام مِن أدب الإسلام، وخُلُق المسلم. فهل يدخل في ذلك ابتداءُ غير المسلم بالسلام؟

هكذا فهم أبو أمامة رضي الله عنه من الصحابة، فقد أخرج الطبري عنه: أنَّه كان لا يمرُّ بمسلمٍ ولا نصرانيٍّ، ولا صغير ولا كبير، إلَّا سلَّم عليه، فقيل له، فقال إنَّا أُمرْنا بإفشاء السلام[١].

وروى البيهقي عنه، أنَّه كان يُسلِّم على كل مَن لقيه، فسُئل عن ذلك، فقال: إنَّ الله جعل السلام تحيةً لأمَّتنا، وأمانًا لأهل ذِمَّتِنا[٢].

وروى ابن أبي شيبة، أن عون بن عبد الله سأَلَ محمد بن كعب عن ابتداء أهل الذِّمَّة بالسلام، فقال: ما أرى بأسًا أن نبدأهم. قال له: لِمَ؟

(١) عزاه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤١/١١): إلى الطبري، وجوَّد إسناده.
(٢) رواه البيهقي في الشعب (٨٤١٩).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قال: لقول الله تعالى: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞ﴾ [الزخرف: ٨٩][(١)]. وهذا في شأن المشركين، فكيف بأهل الكتاب؟!

وروى الطبري عن سفيان بن عُيينة، أنَّه قال: يجوز ابتداء الكافر بالسلام، لقوله تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]. ولا شك أنَّ السلام عليهم هو لون من البر لهم. وقول إبراهيم لأبيه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾ [مريم: ٤٧]. وقد كان أبوه مشركًا[(٢)].

وقال ابن وهب: يجوز ابتداء السلام على كل أحدٍ، ولو كان كافرًا، واحتجَّ بقوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البقرة: ٨٣][(٣)].

ومنَعَ ذلك آخرون، فقالوا: لا يجوز ابتداءُ الكافر بالسلام، مستندين إلى ما رواه أبو هريرة، عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**لا تبدؤوا اليهودَ والنصارى بالسلام، واضطروهم إلى أضيقِ الطريق**»[(٤)].

ومعنى الجملة الثانية ـ كما قال القرطبي ـ: «لا تتَنَحَّوْا لهم عن الطريق الضَّيِّق، إكرامًا لهم واحترامًا... وليس المعنى: إذا لقيتموهم في طريق واسع فألجئوهم إلى حرفه حتى يضيق عليهم؛ لأن ذلك أذًى لهم، وقد نُهينا عن أذاهم بغير سبب»[(٥)].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه في الأدب (٢٥٧٥٠).

(٢) تفسير القرطبي (١١١/١١، ١١٢).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٤٠/١١).

(٤) رواه مسلم في السلام (٢١٦٧)، وأحمد (٧٦١٧)، والترمذي في الأدب (٥٢٠٥)، والبخاري في الأدب المفرد (١١٠٣)، عن أبي هريرة.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (٤٩٠/٥)، تحقيق: محيي الدين ديب ميستو وآخرين، نشر دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٧١هـ، ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

رأي السيد محمد رشيد رضا في السلام على غير المسلمين:

يرى الشيخ رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ الحديث بُني على سببٍ خاص، وواقعة معيَّنة، فلا ينبغي أن يُعمَّم على جميع اليهود والنصارى[٦]، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦]:

«من آداب الإسلام التي كانت فاشية في عهد النبوة: إفشاء السلام إلَّا مع المحاربين؛ لأن من سلَّم على أحد فقد أمَّنه، فإذا فتك به بعد ذلك كان خائنًا ناكثا للعهد، وكان اليهود يسلِّمُون على النبي ﷺ، فيرد عليهم السلام، حتى كان من بعض سفهائهم تحريف السلام بلفظ: «السام» أي الموت، فكان النبي ﷺ يجيبهم بقوله: «**وعليكم**»، وسمعت عائشة واحدًا منهم يقول له: السام عليكم. فقالت له: وعليك السام واللعنة[٧]. فانتهرها النبي عليه الصلاة والسلام مبينًا لها أنَّ المسلم لا يكون فاحشًا ولا سبَّابًا، وأنَّ الموت علينا وعليهم، وروي عن بعض الصحابة كابن عباس أنهم كانوا يقولون للذمي: السلام عليك[٨]. وعن الشعبي من أئمة السلف أنَّه قال لنصراني سلَّم عليه: وعليك السلام ورحمة الله تعالى. فقيل له في ذلك، فقال: أليس في رحمة الله يعيش[٩].

وفي حديث البخاري الأمر بالسلام على من تعرف ومن لا تعرف[١٠].

---

(٦) تفسير المنار (٢٥٦/٥).

(٧) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٢٤)، ومسلم في السلام (٢١٦٥).

(٨) رواه ابن أبي شيبة في الأدب من مصنفه (٢٦٢٦٢).

(٩) المنتقى شرح الموطأ للباجي (٢٨١/٧).

(١٠) سبق تخريجه صـ٥٢٨.

QaradawiBooks.com

وروى ابن المنذر عن الحسن أنَّه قال: ﴿فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ﴾ للمسلمين ﴿أَوۡ رُدُّوهَآ﴾ لأهل الكتاب[1].

وعليه يقال للكتابي في رد السلام عين ما يقوله، وإن كان فيه ذكر الرحمة.

هذه لمعة ممَّا رُوِيَ عن السلف، ثم جاء الخلف، فاختلفوا في السلام على غير المسلم، فقال كثيرون: إنَّهم لا يبدؤون بالسلام، لحديث ورد في ذلك، وحملوا ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما على الحاجة، أي: لا يسلم عليهم ابتداء إلَّا لحاجة.

وأمَّا الرد فقال بعض الفقهاء: إنَّه واجب كرد سلام المسلم، وقال بعضهم: إنَّه سنة، وفي (الخانية) من كتب الحنفية: ولو سلَّم يهودي أو نصراني أو مجوسي فلا بأس بالرد.

وهذا يدل على أنَّه مباح عند هذا القائل لا واجب ولا مسنون، مع أنَّ السُّنَّة وردت به في الصحيح.

أمَّا ما ورد من حق المسلم على المسلم، فلا ينافي حق غيره، فالسلام حق عام ويراد به أمران: مطلق التحية، وتأمين من تسلم عليه من الغدر والإيذاء وكل ما يسيء.

وقد روى الطبراني والبيهقي من حديث أبي أمامة: إنَّ الله تعالى جعل السلام تحية لأمتنا، وأمانا لأهل ذمتنا[2].

وأكثر الأحاديث التي وردت في السلام عامة، وذكر في بعضها «المسلم»، كما ذكر في بعضها غيره، كحديث الطبراني المذكور آنفًا.

---

(١) رواه ابن المنذر في التفسير (٢٠٧٥).

(٢) سبق تخريجه صـ٥٣١.

QaradawiBooks.com

أمَّا جعل تحية الإسلام عامة فعندي أن ذلك مطلوب، وقد ورد في الأحاديث الصحيحة أنَّ اليهود كانوا يسلِّمون على المسلمين فيردون عليهم، فكان من تحريفهم ما كان سببًا لأمر النبي ﷺ بأمر المسلمين أن يردوا عليهم بلفظ: «وعليكم» حتى لا يكونوا مخدوعين للمحرِّفين.

ومن مقتضى القواعد أنَّ الشيء يزول بزوال سببه، ولم يرد أن أحدًا من الصحابة نهى اليهود عن السلام؛ لأنَّهم لم يكونوا ليحظروا على الناس آداب الإسلام، ولكن خلف من بعدهم خلف أرادوا أن يمنعوا غير المسلم من كل شيء يعمله المسلم حتى من النظر في القرآن وقراءة الكتب المشتملة على آياته، وظنوا أن هذا تعظيم للدين، وصون له عن المخالفين، وكلما زادوا بعدًا عن حقيقة الإسلام زادوا إيغالًا في هذا الضرب من التعظيم، وإنَّهم ليشاهدون النصارى في هذا العصر يجتهدون بنشر دينهم ويوزعون كثيرًا من كتبه على الناس مجانًا، ويعلمون أولاد المخالفين لهم في مدارسهم ليقربوهم من دينهم، ويجتهدون في تحويل الناس إلى عاداتهم وشعائرهم ليقربوا من دينهم، حتى إنَّ الأوربيين فرحوا فرحًا شديدًا عندما وافقهم خديوي مصر «إسماعيل باشا» على استبدال التاريخ المسيحي بالتاريخ الهجري، وعدوا هذا من آيات الفتح، وترى القوم الآن يسعون في جعل يوم الأحد عيدا أسبوعيًّا للمسلمين يشاركون فيه النصارى بالبطالة، ومع هذا كله نرى المسلمين لا يزالون يحبون منع غيرهم من الأخذ بآدابهم وعاداتهم، ويزعمون أن هذا تعظيم للدين، وكأن هذا التعظيم لا نهاية له إلَّا حجب هذا الدين عن العالمين، إن هذا لهو البلاء المبين، وسيرجعون عنه بعد حين. اهـ.

هذا ما أفتينا به منذ بضع سنين، وحديث عائشة المشار إليه في الفتوى رواه الشيخان في صحيحيهما، والرد على أهل الكتاب بلفظ:

QaradawiBooks.com

«**وعليكم**» رواه الشيخان أيضًا عن أنس، ورويا عن أبي هريرة عدم ابتدائنا إياهم بالسلام، ولعل ذلك كان لأسباب خاصة اقتضاها ما كان بينهم وبين المسلمين من الحروب وكانوا هم المعتدين فيها، روى أحمد عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنِّي راكبٌ غدًا إلى يهود، فلا تبدؤوهم بالسلام، وإذا سلَّمُوا عليكم، فقولوا: وعليكم**»[(١)]. فيظهر هنا أنَّه نهاهم أن يبدؤوهم لأنَّ السلام تأمين، وما كان يحب أن يؤمِّنهم وهو غير آمِن منهم، لما تكرر من غدرهم ونكثهم للعهد معه: فكان ترك السلام عليهم تخويفًا لهم ليكونوا أقرب إلى المواتاة.

وقد نقل النووي في (شرح مسلم) جواز ابتدائهم بالسلام عن ابن عباس وأبي أمامة وابن محيريز رضي الله عنهم قال: وهو وجهٌ لأصحابنا[(٢)]. اهـ

وعندي أنَّ الحاجة إلى معرفة سبب الأحاديث لأجل فهم المراد منها أشد من الحاجة إلى معرفة سبب نزول القرآن؛ لأنَّ القرآن كله هداية عامة للناس يجب تبليغها، وفي الأحاديث ما ليس فيه، من الأمور الخاصة، والرأي الذي لم يقصد به أن يكون دينًا ولا هداية عامة، ولا أن يبلَّغ للناس، فتوقف فهمها على معرفة أسبابها أظهر.

والذي عليه جماهير المسلمين في البلاد التي نعرفها: أنهم يبدؤون أهل الكتاب بغير السلام من أنواع التحية المعروفة.

بعد كتابة هذا راجعت (زاد المعاد) فإذا هو يقول في حديث النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام:

---

(١) رواه أحمد (١٧٢٩٥)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وابن ماجه في الأدب (٣٦٩٩)، والطبراني (٢٩٠/٢٢)، عن عبد الرحمن الجهني.

(٢) شرح النووي على مسلم (١٤٥/١٤).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قيل: إن هذا كان في قضية خاصة لما ساروا إلى بني قريظة.

وتردد في كونه حكمًا عامًّا لأهل الذمــة، أو خاصًّا بمن كانت حاله مثل حالهم، وذكر خلاف السلف في المسألة بعد حديث مسلم المطلق في النهي عن الابتداء[١].

هذا وإن ابتداء السلام سنة مؤكدة عند الجمهور، وقيل: واجب، وأمَّا رده فالجمهور على وجوبه، وظاهر الآية أن رد كل تحية واجب، وليس الوجوب خاصا بتحية السلام، ويكفي أن يسلم بعض الجماعة، وأن يرد بعض من يلقى عليهم السلام؛ لأنَّ الجماعة لتضامنها واتحادها يقوم فيها الواحد مقام الجميع»[٢].

التضييق في التحية بلفظ السلام أمَّا بغيره فلا:

والذي أحبُّ أن أنبِّه عليه هنا:

١ ـ أنَّ الخلاف المذكور هنا، إنَّما هو في إفشــاء الســلام، الذي هو تحيَّة المســلمين فيما بينهم، أمَّا التحيَّة بغير السلام، فليستْ داخلةً في المنع، كأن يقول له: «صباح الخير»، أو «مساء الخير»، أو «نهارك سعيد»، ونحو ذلك، فلا بأس به. كما أنَّه لو سلَّم عليه بلفظ يقتضي خروجَه مِن الســلام، كأن يقول له: «الســلام علينا وعلى عباد الله الصالحين». فهو جائز، أو يقول: «الســلام على من اتَّبع الهدى». كما أوصى الله موســى وهارون حين أرســلهما إلى فرعون وقــال لهما: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ

(١) انظر: زاد المعاد (٢/٣٨٨ ـ ٣٨٩).

(٢) تفسير المنار (٥/٢٥٥ ـ ٢٥٧).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

﴿ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ [طـه: ٤٧]. كما كَتَبَ النبيُّ ﷺ إلى هِرَقـل وغيره من الملوك والأمراء: «**سلامٌ على من اتبع الهدى**»(١).

الملاحـدة والمحاربـون والمرتـدون المجاهـرون بالعـداء للإسـلام لا نُسلِّم عليهم:

٢ ـ أنَّ الكافر الذي يُحارِب المسلمين، ويناصبُهم العداءَ، سواء كانت حربًا عسـكريةً مادية، أو حربًا معنوية دينيَّـة وفكريَّة بالطعن في الدين، والتآمر على المسلمين؛ فلا يجوز إلقاء السـلام عليهم؛ لأنَّه يدخل في المودَّة لمَن حادَّ الله ورسوله، وتدخل في موالاة أعداء الإسلام الذين نهَى اللهُ عن تولِّيهم، إذ قال: ﴿إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنـة: ٩]، وقال تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨، ١٣٩]، ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

ومثلُ هؤلاء: الملحدون، الذين لا يؤمنون بإلٰهٍ، ولا رسولٍ، ولا كتاب، ولا جنةٍ، ولا نار، وخصوصًا إذا كانوا في الأصل مسلمين مَرَقُوا مِن دينهم، وارتدُّوا عن عقيدتِهم، وآمنوا بالطاغـوت، وكفروا بالله، فهؤلاء المرتدُّون، ومثلهم الملحدون والمحاربون، لا يُحيَّون بسلام ولا غيره بالإجماع.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٧)، ومسـلم في الجهاد والسـير (١٧٧٣)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

وإنَّما وقع الخلافُ في شأن أهل الذمَّة، الذين أُمرْنا بحُسْن معاملتِهم، وأصبح لهم ما لنا، وعليهم ما علينا، إلَّا فيما استُثني.

اختيار ما رجحه الطبري:

٣ ـ أنَّ الذي أختارُه هنا هو ما رجَّحه الإمام الطبريُّ: وهو أن حديث أبي هريرة في المنع من ابتدائهم بالسلام، إنَّما هو فيما إذا كان الابتداء لغير سبب، ولغير حاجة، من حقِّ صحبةٍ، أو مجاورة، أو مكافأة، أو نحو ذلك.

وأيَّد الطبريُّ ترجيحَه هذا بما رواه بسندٍ صحيح، عن علقمة، قال: كنتُ رِدْفًا لابن مسعودٍ، فصحِبَنَا دهقانٌ[(١)]، فلمَّا انشعبتْ له الطريقُ، أخذ فيها، فأتبعه عبدُ الله بصرَه، فقال: السلام عليكم. فقلتُ: ألستَ تكره أن يُبدَؤُوا بالسلام؟ قال: نعم، ولكن حقُّ الصحبة[(٢)].

يعني: أنَّ الصُّحبةَ في الطريق لها حقٌّ، وعلى هذا، فلا حرَج على الموظف، أو على الطالب المسلم: أن يُلقي السلام على زميله المسيحي. ولا على الجار المسلم: أن يُلقي السلام على جاره المسيحي أيضًا، وكذلك كل مَن له حقُّ رُفقة في سفر أو حضَر، وكل من يُرجَى بالتسليم عليه ترغيبُه في الإسلام، وكسْبُه في صفِّ المسلمين.

الرد على غير المسلم:

أمَّا الردُّ على غير المسلم، فليس فيه من الخلاف مثلُ ما في ابتداء

(١) كلمة فارسية معربة، معناها: رئيس فلاحي العجم، أو رئيس البلدة والإقليم. انظر: لسان العرب مادة (د. هـ. ق). ومشارق الأنوار (٢٦٢/١)، نشر دار التراث.

(٢) رواه البيهقي في الشعب (٨٥١٩)، وانظر: تفسير القرطبي (١١٢/١١)، وفتح الباري (٤١/١١).

QaradawiBooks.com

السلام عليهم، فالردُّ واجب لا محالة؛ لأن عدم الردِّ فيه إيحاش وإيذاء وسوء خُلق، وقد نُهِينا عنه.

غايةُ ما في الأمر: أنَّ مِن العلماء مَن أوجب الردَّ بغير السلام، باعتباره خاصًّا بالمسلمين، وشعارًا لهم، كأن يقول له: مرحبًا وأهلًا، ونحو ذلك، ولكن الآية الكريمة تقول: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦]. فهي: تدلُّ على أنَّ الردَّ يكون وَفْق الابتداء، إن لم يكن أحسنَ منه، وهي عامة تشمل كلَّ مَن حيَّانا، مسلمًا كان أو كافرًا.

وثبتَ عن ابن عباس أنَّه قال: من سلَّم عليك، فرُدَّ عليه، ولو كان مجوسيًّا[(١)].

وممَّا يدل على وجوب الردِّ بمثل ما قالوا: ما روتْه عائشةُ رضي الله عنها قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ، فقالوا: السام عليك. ففهمتُها، فقلت: عليكم السام واللعنة. فقال رسول الله ﷺ: «**مهلًا يا عائشة، فإنَّ الله يحبُّ الرفقَ في الأمر كلِّه**». فقلتُ: يا رسول الله، أَوَلم تسمع ما قالوا؟! قال رسول الله ﷺ: «**فقد قُلتُ: وعليكم**»[(٢)].

كان هؤلاء اليهود يَلْوون ألسنتَهم، فيحرِّفون كلمةَ: «السلام» إلى «السام»، بمعنى: الموت والهلاك. أو مخفَّفة من «السأم»، أي: «تسأمون دينَكم». كما ورد عن قتادة. فغضبتْ عائشةُ حين فطنتْ إلى تحريفهم، وأغلظتْ لهم القولَ، فأمرها النبيُّ ﷺ بالحِلم والرِّفْق، ولو مع هؤلاء الشِّرْذمة ممَّن ساء خُلقُهم وقولُهم. وإنَّه فهِم ما قالوا، واكتفى بقوله: «**عليكم**» أو «**وعليكم**».

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣٨/٩)، تحقيق ياسر بن إبراهيم، نشر مكتبة الرشد، السعودية، ط٢، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

(٢) سبق تخريجه صـ٥٣٣.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد أرشد ﷺ أصحابَه إلى أن يقتدوا به في ذلك، فعن ابن عمر أنَّه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إذا سَلَّم عليكم اليهودُ، فإنما يقول أحدُهم: السام عليك. فقُل: وعليك**»(١).

وعن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا سلَّم عليكم أهلُ الكتاب، فقولوا: وعليكم**»(٢).

والمراد بأهل الكتاب هنا: اليهود، كما روى البزَّار عن أنس: مرَّ يهودي بالنبي ﷺ وأصحابه، فسلَّم عليهم، فردَّ عليه أصحابُ النبي ﷺ، فقال: «**هل تدرون ما قال؟**» قالوا: نعم، سَلَّم علينا. قال: «**إنَّه قال: السام عليكم** ـ أي: تسأمون دينكم ـ **رُدُّوه عليَّ**». فردُّوه، فقال: «**كيف قلتَ؟**» قال: قلتُ: السام عليكم. فقال: «**إذا سَلَّم عليكم أهلُ الكتاب، فقولوا: عليكم ما قلتم**»(٣).

فهذه الأحاديث تدلُّ على أن قضيَّة الردِّ على التحيَّة بمثلها مفروغ منها، وأنَّ الرسول وأصحابه كانوا يردُّون على مَن سلَّم عليهم بمثل ما قاله، فإذا استوثق المسلم أنَّ الذمِّيَّ لا يحرِّف لسانَه بمثل ما كان يفعل هؤلاء اليهود، فالأصل أن يردَّ التحية بمثلها، أو بأحسن منها.

لا سلام على ظالم وفاجر ومبتدع:

وإذا جاز لمسلم أن يسلِّم على أهل الذمَّة، فلا يجوز له أن يسلم على مسلمٍ ظالم معروفٍ ظلمُه، أو فاجرٍ مجاهرٍ بفسقه، أو مبتدعٍ في

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الاستئذان (٦٢٥٧)، ومسلم في السلام (٢١٦٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الاستئذان (٦٢٥٨)، ومسلم في السلام (٢١٦٣).

(٣) رواه البزار (٧٠٩٧)، وابن حبان في البر والإحسان (٥٠٣)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وصحَّحه الألباني في الإرواء (١٢٧٦)، عن أنس.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الإسلام ما لم يأذن به الله ورسـولُه، وما لم يكن عليه سلف الأمة من البدع البيِّنة الواضحة.

وذلك أن للذمِّيِّ عهدَ الله، وعهدَ رسـوله، وعهدَ المسلمين: أن يبقى على دينه، وأن يُبرَّ ويُقسَـط إليه؛ لأنَّه في كنف الإسـلام وحمايته، أمَّا الظالمُ والفاسـق والمبتدع، فقد التزموا الإسـلامَ، فواجبُهم أن يحافظوا عليه، ولا يتعدَّوا حدودَه.

فمَن زلتْ قدمُه إلى معصية فاستتر بها، ولم يُجاهر بفعلِها، فيُرجى أن يعافيَه الله منها، فأمَّا أن يُجاهر بفسوقه وعصيانه وظلمه، فهو اجتراءٌ على الله، وتَحَدٍّ لمشاعر المجتمع المسلم، ينبغي أن يقاوم ولا يُسْكَت عليه.

ومِن وسائل المقاومة ما فرضه الإسلام على الفَسَقَة مِن حصار أدبيٍّ، ومقاطعة اجتماعيَّة، وهي ـ على بسـاطتها ـ مِن أقوى وأخطر أسـلحة الحرب النفسيَّة والاجتماعيَّة.

وبهذه الطريقة يُحصَر الشـرُّ في أضيـق نطاق، كمـا يُحاصر رجالُ الإطفاء الحريقَ، فلا يتطاير شـررُه، وكما يُحاصر رجـالُ الصحة الوباء، فلا يتفاقم خطـرُه، فالحريق إذا تُرِك: أكل الأخضـرَ واليابس. والوباءُ إذا أُهمِل وشأنَه: حَصَدَ الكبارَ والصغار. وكذلك المعصية إذا تُركتْ وأُهملتْ، وعامل الناسُ صاحبَها معاملةً وديَّة عاديَّة، لم تقف المعصيةُ عند صاحبها، بل امتدَّتْ إلى آخرين غيرِه، عن طريق العدوى، وما أسرعَها!

على أنَّ العاصي نفسَه، إذا وجد نفسه في عُزلة عن المجتمع، ووجد الأعين تنظر إليه شَـزَرًا، والقلوب تُضمِر له بُغضًـا، ورأى المجتمع قد حذف اسمَه من سجل الشـرفاء الأطهار، فهو لا يُزار، ولا يُجالس، ولا

QaradawiBooks.com

يُسلَّم عليه، فإن ذلك مِن وسائل تنفيره من التظاهر بالمعصية والانحراف، وإغرائه بالتوبة والاستقامة، وكلُّ من تراوده نفسُه بالفسق سيفكر مرةً بعدَ مرة قَبْل أن يُقدِم عليه، حتى لا يُحرم مودةَ المجتمع وعطفَه، وممَّا لا ريب فيه: أنَّ المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه.

حصار الثلاثة الذين خلفوا:

وقد أدَّب النبي ﷺ جماعة مِن أصحابه بطريق المقاطعة؛ لأنَّهم تخلَّفوا عن الجهاد معه في غزوة «تبوك» بغير عُذرٍ، وكانوا ثلاثة، فنهى النبي ﷺ أصحابَه عن مكالمتهم، حتى يتوب الله عليهم.

وكان من الثلاثة «كعب بن مالك» الذي قصَّ علينا قصتهم، وكيف تمَّتْ مقاطعتُهم خمسين ليلة، وكيف كان يمشي في الطريق، أو في السوق، فلا يُكلِّمه أحدٌ، ولا يسلِّم عليه حتى قريبه وصاحبه أبو طلحة.

قال كعب: وكنتُ آتي رسول الله ﷺ، فأسلِّم عليه، فأقول في نفسي: هل حرَّك شفتيه بردِّ السلام أم لا[1]؟

وهكذا ضُرب عليهم هذا الحصار الموجع، الذي هو أشد على النفس من دخول السجن، وضرْب السياط، حتى بلغتْ حالُهم النفسيَّة ما صورهُ الله تعالى في القرآن أن ﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨]. ونزل الوحي أخيرًا بقبول توبتهم: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨]. وليس هناك أجلى ولا أبلغ من تصوير القرآن.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٤١٨)، ومسلم في التوبة (٢٧٦٩)، عن كعب بن مالك.

QaradawiBooks.com

السلف ومقاطعة المجاهرين بالفسق والظلم والابتداع:

فهذا هو المجتمع المؤمن، وتلك هي طريقته مع المنحرفين مِن أبنائه؛ ولهذا اشتدَّ سلفُ هذه الأمة من الصحابة ومَن تبعهم بإحسان في مقاطعة الفسَقة والظلمَة والمنحرفين ومجافاتهم.

روى البخاري في الأدب المفرد، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: لا تسلِّموا على شُرَّاب الخمر، ولا تعُودُوهم إذا مرضوا[١].

وروى مثله الطبريُّ عن عليِّ بن أبي طالب، كما يُروى ذلك عن عبد الله بن عمر[٢] رضي الله عنهم جميعًا.

وقال المُهلَّب: ترْكُ السلام على أهل المعاصي سنَّةٌ ماضية[٣]. وبه قال كثيرٌ من أهل العلم في أهل البدع.

ويعنون بأهل البدع: الذين أحْدثوا في الدين آراءً ومقولاتٍ ما أنزل الله بها من سلطان، وحرَّفوا الكلم عن مواضعه، اتباعًا للهوى، أو تأثُّرًا بأفكار أجنبيَّة عن الإسلام، أو خدمةً للسلطان[٤] وابتغاءَ ما عنده، ونحو ذلك.

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٢٩، ١٠١٧)، وضعفه الألباني في ضعيف الأدب المفرد (٧٨، ١٥٨).

(٢) قال في الفتح (٤١/١١): أخرجه سعيد بن منصور بسند ضعيف. وفي بعض نسخ البخاري: قال عبد الله بن عمر: لا تسلموا على شرَبة الخمر، وأكثرها بإثبات الواو: (ابن عمرو).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣٦/٩).

(٤) كهؤلاء الذين ينتسبون لعلم الدين، ويُصدرون الفتاوى تأييدًا لملوكٍ ورؤساءَ لم يحكموا بما أنزل الله، ومنهم من يُحرِّف كلماتِ الله ليبرِّرَ بها أوضاعًا فاسدة، ومنهم مَن يجعل كلمةَ البشر فوق كلمة الله، فالدين يجب أن يُحوَّرَ ويُعدَّل حتى يوافقَ الحضارة الغربية، وإلا فهو تخلُّف ورجعيَّة.

QaradawiBooks.com

وقد جاء عن مالك: أنَّه لا يسلَّم على هؤلاء، ويكون ذلك على سبيل التأديب لهم، والبراءةِ مِن أفكارهم وطريقتهم.

وهذا كله فيمَن ابتدع وهو لم يزل في إطار الدين، فكيف بمن رفضَ الدينَ كلَّه، وعدَّه مِن مخلَّفات عصور الانحطاط، وسَـخِرَ مِن كل مؤمنٍ بالغيب، أو مقيمٍ للصلاة؟!!

إنَّ السـلام على الفَسَـقة والظَّلَمة والمبتدعين لا يجوز إلَّا في حالة الضرورة، فإن للضرورة حكمُها، وهي تقدَّر بقدرها.

قال النووي: «فإنِ اضْطُرَّ إلى السلام، بأن خاف مِن ترتُّبِ مفسدةٍ في دين أو دنيا إن لم يسلِّم: سلَّمَ»[1].

وكذا قال ابن العربيِّ، وزاد أن ينوي: أنَّ السـلام اسمٌ من أسماء الله تعالى، فكأنه قال: الله رقيب عليك[2].

* * *

(١) شرح مسلم للنووي (٢١١/١٥).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٤٠/١١).

QaradawiBooks.com

الفصل الخامس

أدب المسلم في الزيارة وحق الضيف

حثَّ الإسلامُ أبناءه على التواصل والتَّزاور، توكيدًا للروابط الاجتماعيَّة، وتوثيقًا لعُرَا الإخاء والمحبَّة، وتقويةً لتماسك بناء المجتمع، ولهذا قيل: المودَّة جِسم رُوحُها الزيارة.

ولما كان منهج الإسلام منهجًا شاملًا، يستوعب شؤون الحياة كلها، ويُوجِّهها وفقًا لأهدافه ومبادئه وقيمه: لم يدعْ هذا الأمر دون أن يضع له مجموعة من الوصايا والأحكام والآداب، تُقيمه على أحْكَم القواعد، وأقوى الأُسس.

من تزور؟

ولعل أول هذه الوصايا: أن يُحدِّد المسلم أي نوع يزوره من الناس؟ فليس كل إنسان تُباح زيارته، فضلًا عن أن تُستحَب، وقد تجب زيارة بعض الناس في بعض الأحيان.

إنَّ زيارة إنسانٍ تحمل معنى المودَّة له، والحرص على صِلته، والوقوف في صفِّه، فهل يجوز للمسلم أن يمنح مودَّتَه وولاءه وتأييده المعنويّ لكلِّ امرئٍ من الناس، وإن كان مُلحدًا يَجْحَد بآيات الله ورسالاته، أو فاجرًا ينتهك مَحارمَ الله جَهْرةً، أو ظالمًا يأكل حقوقَ الناس بالباطل، أو مُجرمًا يَعِيثُ في الأرض فسادًا، أو سُلطانًا يحكم بغير

QaradawiBooks.com

ما أنزل الله من الكتاب والميزان، ويجور على حقوق الناس، أو مُبتدعًا يُحْدِث في الدين ما لم يأذنْ به الله.

كلا، إنَّ المسلم لا يوادُّ مَنْ خالف الله ورسوله، متمردًا على كتابه وسنته، فإنَّ الإيمان بالله، وموادَّة من عادى الله ورسوله لا يجتمعان في قلبٍ أبدًا، يقول تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

كان الإمام مالك يستدلُّ بهذه الآية على معاداة المبتدعة في زمنه، وترك مجالستهم. قال القرطبي: وفي معناهم جميع أهل الظلم والعدوان[١].

وعن الثوري أنَّه قال: كانوا يرون أنَّها نزلتْ فيمَن كان يصحب السُّلطان[٢].

ومعنى نزولها في ذلك أن حكمها يشمله فيما يشمل، وفي الحديث: «**إن أوثقَ عُرا الإيمان: الحبُّ في الله، والبغضُ في الله**»[٣]. فكيف يُبْغِضُ في الله مَن يزور الظَّلَمة أو الفسقة أو الملحدين بدعوى أن هذه علاقات شخصية، لا شأن لها بفساد العقائد، أو انحراف السلوك؟!

وهذا وهْمٌ وضلال، ومِن مِثل هذا دخل الفسادُ على بني إسرائيل، وحقَّتْ عليهم لعنة الله وغضبه.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أول ما دخل النقصُ على بني إسرائيل: أنَّه كان الرجلُ يلقى الرجلَ، فيقول: يا هذا،**

(١) تفسير القرطبي (٣٠٨/١٧).
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) سبق تخريجه صـ٤٧٠.

QaradawiBooks.com

اتَّقِ الله ودعْ ما تصنع، فإنه لا يحلَّ لك. ثم يلقاه من الغد، فلا يمنعه ذلك أن يكون أَكِيلَه وشريبَه وقعيدَه، فلمَّا فعلوا ذلك ضرب اللهُ قلوبَ بعضهم ببعض. كلا والله، لتأمرُنَّ بالمعروف، ولتنْهونَّ عن المنكر، ولتأخذُنَّ على يد الظالـــم، ولتأطُرُنَّه على الحق أطرًا، أو ليضْربَـــنَّ اللهُ بقلوب بعضكم على بعض، ثم يلعنكم كما لعنهم»[1].

وعلى المســـلم إذن أن يجعـــل زيارته للأخيـــار الصالحين، فإن لم يكونوا من الأخيار الصالحين، فليكونوا على الأقل من عامَّة المسلمين، الذين لم يشتهروا بفسق أو ظلم أو بدعة.

لماذا تزور؟

وإذا عرف المسلم مَن تُشـــرع زيارته من الناس، بقي عليه أن يسأل نفسه: لماذا يزور هذا الرجلَ أو ذاك؟

فبعض الزيـــارات لا يبعث عليها إلَّا الملق والنفـــاق، وترى أحدَهم يســـبُّ الرجلَ في الصباح مِن وراء ظهره، ثم تراه في المساء يزوره في بيته. فعلى المســـلم أن يُصَحِّحَ نيَّته في زيارتـــه، وكلما كانت الزيارة لله: كانت أرجحَ وأثقلَ في ميزان الإسلام.

والزيـــارة لله: هي التي يكـــون الباعث عليها دينيًّـــا أخرويًّا، لا ماديًّا دنيويًّا. كأن تزور أخًا لك أحبَبْته في الله، أو رجـــلًا صالحًا، تُذكِّرك بالله حالُه، ويُذكِّرك بالآخرة عملُه، أو عالمًا تســـتفتيه أو تسترشـــده في أمور دينك، فيفتيك ويرشـــدك إلى التي هي أقـــوم، أو قريبًا لك تصل رحمه

(١) رواه أبو داود في الملاحم (٤٣٣٦)، والترمذي في الدعوات (٣٠٤٧)، وقال: حديث حســـن غريب.

QaradawiBooks.com

امتثالًا لما أمر الله به أن يُوصَل، فهذا ونحوه ممَّا يشمله معنى الزيارة في الله، أو مريضًا تعوده لله، تشرح صدره، وتُبَسِّم ثغره، وتدعو له، وتتمنى له الشفاء العاجل أو القريب.

وفي الحديث: «**ما زار رجلٌ رجلًا في الله شوقًا إليه ورغبة في لقائه، إلَّا ناداه ملك من خلفه: طبْتَ وطاب ممشاكَ، وتبوأت من الجنة منزلًا**»[1].

وبهذا تعلم أنَّ الزيارة في الله قُربة مِن القُربات، وطاعة من الطاعات.

ومن الزيارات ما يدخل في دائرة المباح المشروع، وإن لم يدخل في دائرة القُربة، كزيارات الزملاء والأصدقاء والأقارب والجيران بعضهم لبعض، إذا لم يُلحظ فيها غرض ديني، وزيارة الحدائق والمنتزهات ونحوها إذا لم يعطلك عن واجب مطلوب منك، فهذه الزيارات مشروعة محمودة بوجهٍ عام، وبينها وبين القُربة والعبادة خيط دقيق، هو النيَّة.

فمِن الناس مَن يزور جاره تقويةً للرابطة بين المسلمين، وتنفيذًا لما أوصى الله ورسوله به من الإحسان إلى الجار، فيكون ذلك له قُربة. ومنهم من يؤدِّي الزيارة نفسها غافلًا عن هذه المعاني؛ لأنَّها بعيدة عن محور تفكيره، وبُؤرة شعوره.

ومِن الناس مَن يدور سلوكُه وتصرفاتُه كلُّها حول ذاته، ومصلحتِه الماديَّة والشخصيَّة، فلا يزور إنسانًا إلَّا إذا كان له مِن ورائه منفعةٌ دنيويَّة حاضرة أو مُرتقَبة، وعلى قدر ما يتوقَّع من المنفعة يكون عدد الزيارات، فإذا قُضيتِ المنفعة، أو خاب الرجاء في المَزُور، أو فَقَد المزورُ السلطان

(١) رواه الترمذي في البر والصلة (٢٠٠٨)، وقال: حديث غريب. وابن ماجه في الجنائز (١٤٤٣)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٨٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الذي كان به يضرُّ وينفع، لم يعرف هذا له دارًا، ولم يطرق له بابًا. فهذا النوع من الزيارات مذمومٌ مبغوض، وقلَّما يخلو من مظاهر التملُّق وعبارات النفاق.

ومن هنا ينبغي للمسلم أن يُحرِّر نيَّته قبل الزيارة، ويحاول أن يجعلها لله، فإن لم يستطع، فعلى الأقل لا يجعلها للشيطان.

متى تزور؟

وإذا عرف المسلم: مَن يزور؟ وعرف: لماذا يزور؟ وجب أن يعرف: متى يزور؟

أعني: أن يعرف الوقت المناسب للزيارة، والوقت المناسب هو الذي يوافق رغبةَ المَزُور، وليس الذي يتْبع هوى الزائر.

قال الإمام النووي رحمه الله، في كتابه «الأذكار» في أواخر «باب في مسائل تتفرع على السلام»: «يُستحبُّ للمسلم استحبابًا مؤكَّدًا: زيارةُ الصالحين، والإخوان، والجيران، والأصدقاء، والأقارب، وإكرامهم، وبرُّهم، وصلتُهم.

وضبط ذلك يختلف باختلاف أحوالهم ومراتبهم وفراغهم، وينبغي أن تكون زيارته لهم على وجهٍ لا يكرهونه، وفي وقت يرتضونه. والأحاديث والآثار في هذا كثيرة مشهورة»[1].

إن لكل امرئ ظروفَه ومشكلاتِه وأعذارَه الخاصَّة، التي تجعله أحيانًا يحب أن ينفرد بنفسه، أو يخلو إلى أهله، أو يفرغ لإنجاز حاجة يضرُّها

(١) الأذكار للنووي صـ ٤٣٩، نشر دار ابن حزم للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

التسويفُ، وبعض الناس واجباتُهم أكثر مِن أوقاتهم، كالعلماء الباحثين، والدعاة المهمومين، والرؤساء والمسؤولين، ورجال الأعمال المشغولين، وغيرهم ممَّن لكل دقيقة عنده ثمنُها.

فكيف يجوز أن يفْجأَ الإنسانُ واحدًا مِن هؤلاء في وقت عمله، أو وقت راحته، بلا موعدٍ سابق، ولا تحسُّسٍ للظروف، فتكون زيارته في تلك الحال كأنَّها «مصيبة على غفلة»، فهي تُحتَمَل على مَضَضٍ، كما يُحتمَل البلاء، ولا تُتقبَّل بسرورٍ كما تُتقبل المسرات.

والناس يتزاورون لتتوثَّق صلاتُهم، وتتأكَّد مودَّتُهم، فإذا كانت زيارتهم في الوقت الذي يكرهون، أثمرتِ الضيقَ والتبرُّم بالزائر، فإذا تكرَّر ذلك كانتِ النتيجة نفورًا، فجفوةً، فقطيعةً.

لهذا كلِّه أمر القرآنُ الكريم بالاستئناس قبل الزيارة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧].

وربما فسَّر بعضُهم الاستئناس بالاستئذان، والحق أنَّه شيء أخصُّ وأعمق من الاستئذان وأسبق[1]. ومعنى الآية: حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال: هل يرغب أهل البيت في زيارتكم أو لا؟

فالذي يزور الناس في وقت الظهيرة، أو في وقت متأخرٍ بعد العشاء، أو في وقت الطعام، حيث ترتبك بعضُ الأسر إذا جاءها زائر في مثل

(١) الاستئناس هو الاستعلام والاستكشاف، مأخوذٌ من قولهم: أنسَ الشيءَ، إذا أبصره وعلمه ظاهرًا مكشوفًا، يقال: أنستُ منه كذا، أي: علمتُ منه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدًا﴾ [النساء: ٦]. ومنه قولُهم: استأنِسْ: هل ترى أحدًا؟ انظر: تفسير الفخر الرازي (٣٥٦/٢٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢٨٨/٣).

QaradawiBooks.com

هذه الحال.. إلى آخره. الذي يفعل ذلك لم يستأنس لزيارته، وإن استأذن عند وقوفِه بالباب وأُذِن له.

والذي يـزور أصحاب المشـاغل الكثيرة من غير موعد سـابق، أو ضرورةٍ ملحَّة، لم يقُم بالاستئناس المطلوب.

كم تزور؟

ويعِنُّ هنا سؤالٌ آخر: ما عدد المرات المناسبة للزيارة؟

والجواب: أنَّ هذا شـيءٌ لا يمكـن ضبطه وتحديـده، فصِلات الناس بعضِهم ببعض تختلف قـوةً وضعفًا، وقُربًا وبُعدًا، فليسـتْ زيارة الأرحام كزيارة غيرهم، وليستْ زيارة الأصدقاء والمُقرَّبين كزيارة غيرهم من الزملاء.

مِن الناس مَن تكفيه الزيارة في المناسبات العامة كالأعياد، والخاصَّة كالتهنئة بقدوم غائب، أو نجاح طالـب، أو ولادة مولود، أو النجاة من مكروه، ومثل ذلك المواسـاة لضرٍّ نزل به، أو حادث وقع له، أو مرضٍ ألمَّ به، أو بأحد أسرته إلى غير ذلك من المناسبات التي يضبطها العُرْف، ويحكمُها الذوق.

وآخرون لا يكفيهم هذا، وإنَّما يَودُّون أن يُزاروا بين الحين والحين، حتى قال أحد الشعراء لأحدِ زواره:

إذا حقَّقْـتَ مِـنْ خِـلٍّ وِدَادًا فـزُرْهُ ولا تخَـفْ مِنْـهُ مَـلَالَا
وكُنْ كالشـمسِ تطلُـعُ كلَّ يومٍ ولا تكُ فـي زيارتِـهِ هِـلَالًا[1]

(١) من شعر البهاء السـنجاري، كما في وفيات الأعيان لابن خلّكَان (٢١٦/١)، تحقيق: إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت.

QaradawiBooks.com

والقاعدة العامة هي كما قالوا: زر غِبًّا، تزدد حبًّا[١].

وهذا شيء أدركه الناس بالتجارب، قال الشاعر:

عليكَ بإقلالِ الزِّيارةِ إنَّها إذا كثُرتْ صارتْ إلى الهَجْرِ مَسْلكَا
ألم تر أنَّ الغيْثَ يُسأمُ دائبًا ويُطلبُ بالأيدي إذا هو أَمْسكَا[٢]؟

كيف تزور؟

عرفنا: مَن تزور؟ ولِمَ تزور؟ ومتى تزور؟ وكم تزور؟ وهنا ينبغي أن نعرف كيف تزور؟ وقد عرفنا وجوب الاستئناس في الزيارة، وهنا نعرف وجوب الاستئذان.

ضرورةُ الاستئذان وحكمتُه:

فلا يجوز لمسلم أن يقتحم بيتَ غيره بدون إذنه، كما كان يفعل أهل الجاهلية، يهجم أحدُهم على بيت الآخر، فيقول: عِمْتُم صباحًا، أو عِمْتم مساءً. قد دخلتُ. وربما وجَدَ الرجلَ مع أهله، فيشقُّ ذلك على صاحب البيت، فغيَّر اللهُ ذلك كله في سِتر وعفَّة، وعلمهم الأحسن والأجمل، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ ﴾ [النور: ٢٧ ـ ٢٨].

ومهما بلغ المرءُ من قوة الصِّلة أو الصداقة لصاحبه، فلا يجوز أن يكون ذلك مسوِّغًا لإزالة الحواجز، ودخول أحدهم بيتَ الآخر متى شاء،

(١) رواه ابن حبان في الرقائق (٦٢٠)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم. عن عائشة.
(٢) ذكره الثعالبي ولم ينسبه في أحسن ما سمعت صـ ٢٤، تحقيق: خليل عمران المنصور، نشر دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

QaradawiBooks.com

وكيف شاء، بلا إذن ولا استئذان، فإنه لا يأمن ـ كما قال الإمام الرازي[١] ـ أن يهجمَ على ما لا يحلُّ له أن ينظر إليه من عورة، أو على ما لا يحب القومُ أن يعرفه غيرُهم من الأحوال.

وفي كلام الرازي ما يدل على أنَّ المحظور في الدخول بغير إذن أمران: النظر إلى العورات المحرَّمة، والاطلاع على الأسرار والأحوال الخاصة لكل إنسان في بيته، التي لا يحب أن يعرفها الناس عنه.

والذين خَبَرُوا الحياةَ والناسَ يعلمون كم مِن نظراتٍ خاطفة، ولقاءاتٍ عابرة، وقَعتْ في أول الأمر عفوًا ـ خطأً أو تساهلًا أو تفريطًا ـ أفْضَتْ بعد ذلك إلى علاقاتٍ آثمة، وصلاتٍ مُحَرَّمة، فإن لم تُؤدِّ إلى ذلك، أدَّتْ إلى انشغال القلب، وبلبلة الخاطر، وتوتُّر الأعصاب، وقديمًا قال الشاعر:

وكنتَ متى أرسلتَ طرفَك رائدًا لقلبك يومًا أسلمتْكَ المناظِرُ
رأيتَ الذي لا كُلُّه أنتَ قادرٌ عليه، ولا عن بعضِه أنتَ صابرُ[٢]

هذا إذا قصَرْنا العوراتِ على المعنى الحسيِّ المتداول، وقد يمكننا توسيع معناها، وتعميقه بحيث يشمل المعنى الثاني الذي ذكره الرازي.

قال الشهيد سيد قطب في «الظلال»: «إنَّها ليست عورات البدن وحدها، إنَّها تضاف إليها عورات الطعام، وعورات اللباس، وعورات الأثاث، التي قد لا يحب أهلُها أن يفاجئهم عليها الناس دون تهيئة وتجميل وإعداد، وهي عورات المشاعر والحالات النفسيَّة، فكم منا يحب أن يراه الناس وهو في حالة ضعف، يبكي لانفعال مؤثِّر، أو يغضب لشأن مثير، أو يتوجَّع لألمٍ يُخفيه عن الغرباء؟

(١) انظر: تفسير الرازي (٣٥٧/٢٣).

(٢) رواه الخرائطي في اعتلال القلوب صـ ١٣٨، تحقيق: حمدي الدمرداش، ط ٢، ٢٠٠٠م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إنَّ الله جعل البيت سَكَنًا وحَرَمًا لصاحبه، فيه يشعر المرء بالراحة، ويشعر بالاطمئنان، ويشعر بالحرية، ويشعر بالاستقلال، ولن يتمَّ للإنسانِ راحتُه واطمئنانُه، أو حريته واستقلاله: إذا جاز لكل من هبَّ ودبَّ أن يلِج بيته بغير إذن منه، لهذا كان الاستئذان واجبًا، والإذن ضروريًّا لكل زائر»[1].

حتى إنَّ أصحاب البيت لو كانوا خارجَ البيت، وكان البيت مفتوحًا: لم يجُزْ للزائر دخولُه بغير إذنهم؛ لأنَّ في بيوت الناس أسرارًا لا يحبُّون أن يطَّلع عليها أحدٌ في غَيبتهم، وقد يكون البيت غيرَ مُرتَّب، والأثاثُ غيرَ منظَّم، وغرفُ الاستقبال غيرَ مُهيَّأة للضيوف، وهم يتأذَّون إذا دخلتَ بيوتهم بغير تهيئة واستعداد، وقد يكون هناك موانع نفسيَّة أو اجتماعيَّة أخرى لا مجال لذكرها.

فلا عجب أن جاءت آيات القرآن الكريم تُنظِّم ذلك بصراحة ووضوح، مُتَّخذةً صيغةَ الأمر الصريح، والنهي الحاسم.

يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ [النور: ٢٧ ـ ٢٨].

الاستئذان على المحارم:

ومن المعروف أن بيتَ الإنسانِ مكانُ مَبِيته، أي غرفتُه الخاصَّة. فإذا كانت عائلة كبيرة، مكوَّنة من مجموعة من الإخوة والأخوات، يسكنون

(١) في ظلال القرآن (٤/٢٥٠٨، ٢٥٠٩).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

دارًا واحدة كبيرة، تضمُّ عددًا من الحُجرات، لكلٍّ منهم حجرته، فإذا أراد أحدُهم أن يــزورَ أخاه أو أخته في حجرته الخاصة، فلا بد أن يســتأنس ويستأذن قبل الدخول؛ لأنَّه بيتٌ غير بيته.

وقد رَووا في ســبب نزول هذه الآية: أن امرأة مــن الأنصار قالت: يا رســول الله، إنِّي أكون في منزلي على الحال التــي لا أحب أن يراني أحدٌ عليها، لا والد ولا ولد، وإنَّه لا يــزال يدخل عليَّ رجل من أهلي، وأنا على تلك الحال، فنزلتِ الآية[١].

روى الإمام مالك في الموطأ، عن عطاء بن يســار مرسلًا: أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ، فقال: أستأذن على أمي؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نعم**». فقال الرجل: إنِّي معها في البيت. فقال رســول الله ﷺ: «**استأذنْ عليها**». فقال الرجل: إنِّي خادمها. فقال رسول الله ﷺ: «**استأذنْ عليها، أتحبُّ أن تراها عُريانة؟**» قال: لا. قال: «**فاستأذنْ عليها**»[٢].

وجاء رجل إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فقال له: أستأذن على أمي؟ فقال له: ما على كل أحيانها تُحبُّ أن تراها[٣].

وسأل رجل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، فقال: أســتأذن على أمِّي؟ قال: نعم، إن لم تستأذن عليها رأيت ما تكره[٤].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٤٧/١٩).

(٢) رواه مالك في الاستئذان (٣٥٣٨)، تحقيق: الأعظمي، وقال ابن عبد البر في الاستذكار (٤٧٣/٨): لا أعلم هذا الحديث يتصل بهذا اللفظ مسندًا بوجه من الوجوه وهو من صحاح المراسيل.

(٣) رواه ابن أبي شــيبة في النكاح (١٧٨٩٣)، والبخاري في الأدب المفرد (١٠٥٩)، والمعنى أن لها حالات وأوقات لا تحــب أن تراها عليها، كأن تكون عريانــة، أو متخففة من ثيابها أو ما شابه.

(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٠٦٠)، وحسن إسناده الألباني في صحيح الأدب المفرد (٨١٤).

QaradawiBooks.com

وقال نافع مولى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: كان ابن عمر إذا بلغ بعضُ ولده الحُلُمَ، عزله، فلم يدخل على ابن عمر إلَّا بإذن[١].

وحكى ابن جُرَيج، عن عطاء بن أبي رباح قال: سألت ابن عباس رضي الله عنه: أستأذن على أُختيَّ؟ قال: نعم. قلتُ: إنهما في حِجري ـ يعني: في بيتي وعهدتي ـ وأنا أمُونُهما وأُنفق عليهما؟ قال: أتحب أن تراهما عريانتَيْنِ؟! ثم قرأ: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٩]. قال ابن عباس: فالإذن ـ أي: الاستئذان ـ واجب على الناس كلهم[٢].

وقال ابن مسعود: يَستأذن الرجل على أبيه وأمِّه، وأخيه وأخته[٣].

روى أكثر هذه الآثار البخاريُّ في كتابه «الأدب المفرد»، وابن أبي شيبة في «مصنفه».

وقد رووا عن عدد من الصحابة والتابعين وجوب الاستئذان على المحارم: قال ابن مسعود: عليكم أن تستأذنوا على أمهاتكم وأخواتكم[٤].

وقال عطاء: قلتُ لابن عباس: آستأذن على أخواتي أيتام في حجري معي في بيت واحد؟ قال: نعم. فردَدْتُ عليه ليرخِّص لِي فأبَى، وقال: أتحبُّ أن تراها عُريانةً؟! قلت: لا. قال: فاستأذن. قال: فراجعته أيضًا. فقال: أتحب أن تطيع الله؟ قلت: نعم. قال: فاستأذن[٥].

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٠٥٨)، وصحح إسناده الألباني في صحيح الأدب المفرد (٨١٢).
(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٠٦٣)، وصحح إسناده الألباني في صحيح الأدب المفرد (٨١٥).
(٣) رواه ابن أبي شيبة في النكاح (١٧٨٩٧).
(٤) رواه ابن أبي شيبة في النكاح (١٧٨٩٦)، والطبري في تفسيره (١٤٧/١٩).
(٥) رواه الطبري في تفسيره (١٤٨/١٩).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وكان طاوس يشـــدِّد في ذلك، ويقول: ما من امرأة أكره إليَّ أن أرى عورتها من ذات محْرَم[١].

على أنَّ الاستئذان ليس لتجنب الاطلاع على العورات فقط، بل ربما كان مشغولًا بأمر يكره اطِّلاعَ غيرِه عليه، وهذا من حقِّه.

عدم مفاجأة الزوجة:

ولهذا استحبَّ ابنُ مسعود وغيرُه أن يستأذن الزوجُ على زوجته.

قال ابن كثير: «الأولى أن يُعلِمَها بدخوله، ولا يفاجِئها به، لاحتمال أن تكون على هيئة لا تحبُّ أن يراها عليها»[٢].

وعن زينب امرأة ابن مســـعود قالت: كان عبد الله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تنحنح وبزق، كراهة أن يهجم مِنَّا على أمر يكرهه[٣].

وورد عنه: أنَّه كان إذا دخل الدار، استأنس: تكلَّم ورفع صوته[٤].

وقال الإمام أحمد: إذا دخل الرجل بيته اســـتُحِبَّ له أن يتنحنح، أو يحرِّك نعليه[٥].

ولهذا جاء في الصحيح عن رســـول الله ﷺ أنَّه نهى أن يَطْرُقَ الرجل أهله طروقًا[٦]. وفي رواية: ليلًا، يتخوَّنهم[٧].

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٤٨/١٩).
(٢) تفسير ابن كثير (٣٩/٦).
(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٤٨/١٩)، وصحح إسناده ابن كثير في التفسير (٣٩/٦).
(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٣٤٣).
(٥) تفسير ابن كثير (٤٠/٦).
(٦) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٢٤٣)، ومسلم في الإمارة (٧١٥)، عن جابر بن عبد الله.
(٧) رواه مسلم في الإمارة (٧١٥).

QaradawiBooks.com

وهذه قِمَّةٌ سامقة في رعاية مشاعر الزوجة، وتقدير حريتها، ويتحدَّثون اليوم عن أدب الرجال في أوربا مع زوجاتهم، كيف لا يسمح الرجلُ لنفسه أن يفتح رسائل زوجته، احترامًا لحريتها، وقد سبقهم الإسلام بقرون وقرون.

فإذا كان هذا أدب الإسلام في الاستئذان على الأمهات والأخوات، بل الزوجات، فما بالك بالاستئذان على الأجانب والأجنبيات؟

الاستئذان من أجل البصر:

عندما تستأذن على بيتِ غيرك لتدخلَ إليه، حافظ على بصرك من أن يقع على داخل الدار أو عورةٍ فيها، فإن ذلك عيْبٌ وإساءة، روى أبو داود والطبراني عن سعد بن عُبَادة ﷺ قال: جاء رجل فقام على باب النبي ﷺ يستأذن مستقبلَ البابِ، فقال له النبي ﷺ: «**هكذا عَنْك**». يعني: نحَّاه وأمره بالتباعد قليلًا عن مواجهة فتحة الباب، ثم قال له: «**فإنما الاستئذانُ من أجْلِ النظر**»[(١)].

وروى البخاري في «الأدب المفرد»، عن ثَوْبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يَحِلُّ لامرئٍ أن ينظرَ إلى جوفِ بيتٍ حتى يستأذن، فإن فعل فقد دَخَل**»[(٢)]. أي: إن نظر قبل أن يستأذن، صار في حكم الداخل بلا استئذان، وهو مُحرَّمٌ عليه.

---

(١) رواه أبو داود في الأدب (٥١٧٤)، والضياء في المختارة (١٠٧٥)، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٤٣١٠).

(٢) رواه أحمد (٢٢٤١٥)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وأبو داود في الطهارة (٩٠)، والترمذي في الصلاة (٣٥٧) وحسَّنه، والبخاري في الأدب المفرد (١٠٩٣)، وصحَّحه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٨٣٥).

QaradawiBooks.com

وروى البخاري ومسلم وغيرهما، عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: اطَّلع رجل من حُجَر النبي ﷺ، ومع النبي ﷺ مِدْرًى يحكُّ به رأسه[١]، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «**لو أعلمُ أنَّكَ تنظر، لطعنتُ به عينَكَ! إنَّما جُعل الاستئذان من أجل البَصَر**»[٢].

كم مرة يستأذن؟

والاستئذان لا يصحُّ أن يزيد على ثلاث مرات، سواء أكان بالكلام أم بدق الجرس، أم بطرق الباب.

جاء في الصحيح أن أبا موسى استأذن على عمر ثلاثًا، فلم يُؤذن له، فانصرف، ثم قال عمر: ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس؟ ـ وهو أبو موسى ـ ائذنوا له. فطلبوه، فوجدوه قد ذهب، فلما جاء بعد ذلك، قال: ما صرفك؟ قال: إنِّي استأذنتُ ثلاثًا فلم يُؤذَن لي، وإنِّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إذا استأذنَ أحدُكم ثلاثًا فلم يُؤذن له، فلْينصرفْ**». فقال عمر: لتأتِيَنِّي على هذا ببيِّنةٍ وإلا أوجعتُك ضربًا. فذهب إلى ملأٍ من الأنصار، فذكر لهم ما قال عمر، فقالوا: لا يشهد لك إلَّا أصغرنا. فقام معه أبو سعيد الخدري، فأخبر عمر بذلك، فقال: ألهاني عنه الصَّفْق بالأسواق[٣]. يعني الاشتغال بالتجارة.

واستأذن النبيُّ ﷺ على سعد بن عُبادة، فقال: «**السلام عليك ورحمة الله**» فقال سعد: وعليك السلام ورحمة الله. ولم يسمع النبي ﷺ حتى

---

(١) المِدْرَى: عودٌ من خشب أو حديد، يُعمل على شكل سن من أسنان المشط وأطول منه، يسوَّى به الشعر الكثير المتلبِّد، ويستعمله من لا مشط له بدلًا عن المشط. لسان العرب مادة (د. ر. ى).

(٢) سبق تخريجه صـ ١٣٢.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في البيوع (٢٠٦٢)، ومسلم في الآداب (٢١٥٣).

QaradawiBooks.com

سلَّم ثلاثًا، وردَّ عليه سعد ثلاثًا، ولم يسمعه، فرجع النبي ﷺ، فاتبعه سعد، فقال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، ما سلمتَ تسليمة إلَّا وهي بأذني، ولقد رددتُ عليك، ولم أُسْمِعْكَ، وأردتُ أن استكثر من سلامك، ومن البركة[١].

وقال قتادة: الاستئذان ثلاثًا، فمَن لم يُؤذن له منهم فليرجعْ، أمَّا الأولى: فلِيُسمع الحي. وأمَّا الثانية: فلِيأخذوا حذرهم. وأمَّا الثالثة: فإن شاؤوا أذنوا، وإن شاؤوا ردُّوا. ولا تقفنَّ على باب قوم ردُّوك عن بابهم، فإن للناس حاجات، ولهم أشغال، والله أولى بالعذر[٢]. وما أبلغها من كلمات!

حكى أستاذنا البهي الخولي رَحِمَهُ اللَّهُ، عن الإمام الشهيد حسن البنا رَحِمَهُ اللَّهُ: أن جماعة زاروه في بيته وهو منهمك بأمر هام جدًّا، في غرفة أخرى مع بعض أهله، فأمر أن تُعدَّ لهم القهوة، ومكث حتى شربوها دون أن يخرج إليهم، ثم خرج إليهم، وجلس يُقدِّم عُذره بأنَّه لا يستطيع أن يجلس معهم كثيرًا، لاضطراره إلى استئناف النظر في أمر هام مع آخرين، فغضبوا ـ وكانوا من الأصدقاء لا من الإخوان ـ واعتبروا ذلك إهانة. فقال لهم: نحتكم إلى كتاب الله، لقد أمر الإسلام بالاستئناس، وأنتم لم تستأنسوا، فقد تأخرت عنكم، وأخرجت لكم القهوة بدون حضوري، وذلك موجب للانصراف لدى بصائر المستأنسين. هذه واحدة.

أمَّا الأخرى، فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٨]. وأنا لم أقل: ارجعوا، بل قدمتُ القهوة، وجئتُ أعتذر،

(١) رواه أحمد (١٢٤٠٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والبيهقي في الصداق (٢٨٧/٧)، عن أنس.

(٢) تفسير ابن كثير (٤٠/٦).

QaradawiBooks.com

فإن كنتم تغضبون لما فعلتُ، فكيف يكونُ غضبكم لو أنِّي أمرتكم بما هو أزكى لكم، فقلت: ارجعوا كما أمر الله ﷻ؟

قال رضي الله عنه: وكانوا من أهل الفقه، فسُرُّوا بذلك كثيرًا، وانصرفوا شاكرين[1].

دق الباب برفق:

وينبغي للمسلم إذا طرق باب غيره مستئذنًا أن يكون ذلك برفق، لئلا يزعج أهل البيت، ويكون بالقدر الذي ينبه من في البيت أن هناك من يطرق الباب، ويكون ذلك ثلاث مرات بينها فترة من الزمن كافية، يقول الشيخ عبد الفتاح أبو غدة:

«وإذا طرق المسلم باب أخيه أو صديقِه أو بعضِ معارفه، أو أحدٍ يقصده، فليدقَّ الباب دقًّا رفيقًا يُعرِّفُه وجودَ طارق بالباب، ولا يدقُّه بعنف وشدة كدقِّ الظلمة والزبانية، فيروعه ويُخل بالأدب.

جاءت امرأة إلى الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، لتسأله عن شيء من أمور الدين، ودقتْ عليه الباب دقًّا فيه بعض العنف، فخرج وهو يقول: هذا دقُّ الشُرَط.

وقد كان الصحابة يقرعون باب رسول الله ﷺ بالأظافير[2]. أدبًا منهم مع رسول الله ﷺ.

---

(١) مجلة المسلمون صـ ١٢٢، العدد الثاني، ربيع الثاني ١٣٧٣هـ ـ ديسمبر ١٩٥٣م.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٠٨٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٤٣٧)، وصحَّحه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٨٢٨)، عن أنس.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وهذا الدقُّ اللطيف الرفيق مطلوب فيمن كان جلوسه قريبًا من بابه، وأمَّا من بعُد عن الباب فيُقرع عليه قرعًا يسمعه في مكانه من غير عنف، وفي الحديث الشريف: «**إنَّ الرِّفْقَ لا يكون في شيء إلَّا زانه، ولا يُنْزَع من شيء إلَّا شانه**»[١].

وقال أيضًا ﷺ: «**مَن يُحرم الرفقَ، يُحرم الخيرَ كله**»[٢].

فأما أن يضع الزائر يدَه على زرِّ الجرس ليدقَّ ويدق، مرارًا وتكرارًا، أو يُديم طرْق الباب مرة بعد مرة، فيوقظ النائم، ويُشَوِّش المصلِّي، ويُقلق المستريح، ويُعجِّل المشغول، ويُزعج المريض، وكأنما هو مُصمِّم على ألَّا ينصرف حتى يفتحوا له، ويفرض زيارته على القوم بإلحاحٍ وصلابة وجهٍ، فهذا ليس من أدب الإسلام في شيء.

والواجب في المرات الثلاث ألَّا تتوالى وتتتابع، بحيث يُزعج أهل البيت، وإنَّما يكون بينها فاصل زمني ملائم، وينبغي أن يجعل الزائر بين الدقَّتَيْنِ زمنًا غير قليل، ليفرغ المتوضِّئ من وضوئه في مهل، ولينتهي المصلي من صلاته في مهل، وليفرغ الآكل من لقمته في مهل، وقدَّر بعض العلماء الانتظار بين الدقَّتينِ بمقدار صلاة أربع ركعات، إذ قد يكون في بدء طرقك للباب قد بدأ هو في صلاته»[٣].

وأرى أن في هذا تطويلًا غير ملائم، بل ينتظر وقتًا بين الدقتين وقتًا ملائمًا يجهز من في الدار نفسه لإجابته والرد عليه.

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٩٤)، وأحمد (٢٤٩٣٨).

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٩٢)، وأحمد (١٩٢٠٨)، وأبو داود في الأدب (٤٨٠٩)، عن جرير بن عبد الله البجلي.

(٣) من أدب الإسلام للشيخ عبد الفتاح أبو غدة صـ ١١، ١٢، نشر مكتب المطبوعات الإسلاميَّة، حلب، ط ١، ١٩٩٢م.

QaradawiBooks.com

ويقول الفخر الرازي في «تفسيره»: «يجب في الاستئذان ثلاثًا ألَّا يكون متَّصلًا، بل يكون بين كل واحدة والأخرى وقت. فأمَّا قرْع الباب بعُنف، والصياح بصاحب الدار، فذلك حرام؛ لأنَّه يتضمن الإيذاء والإيحاش»[١].

نقول: ويشهد لما قاله الرازي قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤].

رجوع المستأذن عن طيب نفس إذا لم يُؤذن له:

وعلى المسلم أن يوطِّن نفسه أن يرجع طيبَ النفس إذا لم يؤذن له، «فإنَّ للناس حاجاتٍ، ولهم أشغالٌ، والله أولى بالعذر» كما قال قتادة[٢].

وقد رتَّب الله تعالى على الرجوع في مثل هذه الحال زكاة النفس وطهارتها، فقال: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٨]. قال بعض المهاجرين: لقد طلبتُ عمري كلَّه هذه الآيةَ، فما أدركتُها: أن أستأذن على بعض إخواني فيقول لي: ارجع. فارجع وأنا مغتبط[٣].

«وفي هذا الأدب القرآني العظيم مندوحة عما يقع فيه بعضهم، حين يُحرَج بزيارة من لا يرغب في لقائه، فيضطر إلى الإخبار بعدم وجوده في البيت، ويكون هو فيه، فيقع منه الكذب، ويتعلَّم صغارُه منه ذلك الخُلُق المكروه أيضًا، وقد ينجُم عن سلوكه هذا العداوةُ والإحَنُ في الصدور.

والهدي القرآني الكريم جنَّبنا الوقوع في ذلك كله؛ إذ جعل بوسع المَزُور أن يتلطَّف بالاعتذار لأخيه، وطلب من أخيه أن يقبل عذره: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٨].

---

(١) تفسير الرازي (٣٥٧/٢٣).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٣٤٣).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٥٠/١٩).

QaradawiBooks.com

وكان الإمام مالك يقول: ليس كل الناس يقــدِر أن يتكلم بعذره[١]. ولذا كان من أدب السلف عند زيارتهم، أن يقول الزائر للمزور: «لعله بدا لك مانع»، تمهيدًا لبسط العذر من المزور فيما لو اعتذر[٢].

هذا هو خُلُق الســلف، وذلك هو نهْجهم، فمن منَّــا يقبل اليوم أن يعتذر إليه صاحبُه بكثرة مشاغله، أو سوء صحته، أو ضيق صدره، أو غير ذلك، ممَّا يشغل الناسَ بأنفسِهم عن استقبال زوارٍ، والاشتغال بإكرامهم وحسن ضيافتهم؟!

إنَّ الاعتذار بلُطف ورفق لا يقبله الناس للأسف، ولا يستسيغه العُرف السائد، فكيف لو قيل لهم: ﴿ٱرۡجِعُواْ﴾ بصريح العبارة؟!

فأولى بالمســلم الزائر في عصرنا: ألا يُلجئ المــزور إلى مثل هذه المواقف المؤلمــة، والأولى من هذا الاتفاق علــى الزيارة قبل موعدها بأيام، عــن طريق الاتصال الهاتفــي، بل كثيرًا ما يرتــب الناس مواعيد زياراتهم خلال الشــهر كلــه، وبذلك يتفــادون التضييــق على الإخوة المزورين، أو على الزائرين أنفســهم، عن طريق المفاجأة، إلَّا أن يكون هناك عذر مفاجئ، فهو ضرورة لها حكمها.

صيغة الاستئذان وكيفيته:

وكيفية الاســتئذان أن يقف إلى جانب الباب، ولا يســتقبله بوجهه، خشيةَ أن تقع عينُه على ما لا يحل، ثم يُلقي السلام، ويطلب الإذن، فإن سُئل: من هو؟ ذكر اسمه الصريح.

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٤٦٨/٥).
(٢) من أدب الإسلام صـ ١٤.

QaradawiBooks.com

فعن عبد الله بن بُسر قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب مِن تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر، ويقول: «**السلام عليكم، السلام عليكم**». وذلك أنَّ الدور لم يكن يومئذ عليها ستور[١]. فكان الذي يواجه الباب يكشف من في داخل البيت.

وعن ربعيٍّ قال: أتى رجل من بني عامر، فاستأذن على النبي ﷺ وهو في بيته، فقال: أأَلِجُ؟ فقال النبي ﷺ لخادمه: «**اخرجْ إلى هذا فعلِّمْه الاستئذان، فقُلْ له: قُل: السلام عليكم. أَأَدْخُل؟**». فسمعها الرجل، فقال: السلام عليكم، أأدخل؟ فأذن له النبي ﷺ، فدخلَ[٢].

«وإذا طرقتَ بابَ أحدٍ من إخوانك، فقيل لك: من هذا؟ فقل: «فلان» باسمك الصريح الذي تُعرَفُ به، ولا تقلْ: «واحد»، أو «أنا»، أو «شخص». فإن هذه الألفاظ لا تفيد السائل من خلف الباب معرفةً بالشخص الطارق، ولا يصحُّ لك أن تعتمد على أن صوتك معروف عند من تطرق عليه، فإنَّ الأصوات تلتبس وتشتبه، وإنَّ النغمة تشبه النغمة، وليس كل من في الدار التي تطرق بابها يعرف صوتك وحِسَّك أو يميِّزه، والسمع في تمييزه الأصواتَ يُخطئ ويُصيب، وقد كَرِهَ النبي ﷺ قولَ الطارقِ: «**أنا**»؛ لأنَّها لا تفيد شيئًا»[٣].

عن جابر قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ في دَيْنٍ كان على أبي، فدققتُ الباب، فقال: «**من ذا؟**» فقلتُ: أنا. فقال: «**أنا أنا!**» كأنَّه كرهه[٤].

---

(١) سبق تخريجه صـ٥١.

(٢) سبق تخريجه صـ٥١.

(٣) من أدب الإسلام صـ ١٢.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الاستئذان (٦٢٥٠)، ومسلم في الآداب (٢١٥٥).

ومن طرائف الوقائع ما جاء في ترجمة الإمام المحدث أبي نُعيم الفضل بن دُكين، الكوفي، =

QaradawiBooks.com

وإنَّما كره ذلك؛ لأن هذه اللفظة لا يُعرف صاحبُها حتى يُفصح باسمِه أو كنيته التي هو مشهور بها، وإلا فكل أحد يعبِّر عن نفسه بـ «أنا»، فلا يحصل المقصود من الاستئذان.

ولهذا كان الصحابة ﷺ يُسمُّون أنفسهم إذا قيل لهم: من هذا؟

روى البخاري ومسلم، عن أبي ذر ﷺ قال: خرجت ليلة من الليالي، فإذا رسول الله ﷺ يمشي وحده، فجعلت أمشي في ظل القمر، فالتفتُّ، فرآني، فقال: «**من هذا؟**» فقلت: أبو ذر[١].

وروى البخاري ومسلم أيضًا، عن أم هانئ بنت أبي طالب ﷺ قالت: أتيت النبي ﷺ وهو يغتسل، وفاطمة تستره، فقال: «**من هذه؟**» فقلت: أنا أم هانئ[٢].

من أدب الإسلام في الزيارة:

قال صديقنا العلامة المحدِّث الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في رسالته المختصرة النافعة «من أدب الإسلام»: «عندما تزور بيت أخيك، أو تدخل بيتك، كن لطيفًا في مدخلك ومخرجك، غاضًّا طرفك وصوتك، واخلع حذاءك في محله، وصُفَّ نعليك أثناء خلعهما، ولا تدعهما هكذا وهكذا.

= المولود سنة ١٣٠هـ، والمتوفى سنة ٢١٩هـ رحمه الله: كان أبو نُعيم ذا دُعابة، فروى عليُّ بن العباس المقانعي، سمعتُ الحسين بن عمرو العنقري يقول: دقَّ رجلٌ على أبي نُعيم البابَ، فقال من ذا؟ قال: أنا، قال: من أنا؟ قال رجل من ولد آدم، فخرج إليه أبو نعيم وقبَّلَهُ، وقال: مرحبًا وأهلًا، ما ظننتُ أنَّه بقي من هذا النسل أحد. تهذيب الكمال (٢١٦/٢٣)، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، وسير أعلام النبلاء (١٥٤/١٠)، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٤٣)، ومسلم في الزكاة (٩٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الغسل (٢٨٠)، ومسلم في الحيض (٣٣٦).

QaradawiBooks.com

ولا تنسَ أدب لبس الحذاء وخلعه: تلبس اليمنى أولًا، وتخلع اليسرى أولًا، قال سيدنا رسول الله ﷺ: «**إذا انتعل أحدُكم فليبدأ باليُمْنى، وإذا انتزع فليبدأْ بالشِّمال، ولتكن اليُمْنى أولهما تُنعل، وآخرهما تُنزع**»[(١)].

وقبل الدخول إلى بيتك أو بيت أخيك انظر في نعليك، فإذا رأيتَ فيهما شيئًا من آثار الطريق، فأمطْه عنهما، وادلكهما في الأرض لينزاح عنهما ما علِق بهما، فإنَّ الإسلام دين النظافة واللطافة.

لا تُنازع مضيفك أو أخاك في المكان الذي يُجلِسَكَ فيه من منزله، بل لا تجلس إلَّا حيث يُجلسكَ، فلعلك ـ إن جلستَ كما تريد ـ تجلس إلى مكان فيه إطلال على عورة من عورات الدار، أو فيه إحراج لساكنيه، فعليك بامتثال ما يأمرك به مضيفك، واقبل ما يُكرمكَ به أيضًا، ففي خبر إسلام الصحابي الجليل عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه: أنَّه قدم على النبي ﷺ، فأكرمه بالجلوس على وسادة، وجلس رسول الله ﷺ على الأرض.

قال عدي: ثم مضى بي رسول الله ﷺ، حتى إذا دخل بيته، تناول وسادة من أدمٍ محشوة ليفًا، فقذفها إليَّ فقال: «**اجلس على هذه**» قلت: بل أنت، فاجلس عليها. قال: «**بل أنت**» فجلستُ عليها، وجلس رسول الله ﷺ بالأرض[(٢)].

ودخل خارجة بن زيد على ابن سيرين زائرًا له، فوجد ابنَ سيرين جالسًا على الأرض إلى وسادة، فأراد أن يجلس معه وقال له: قد رضيتُ

(١) سبق تخريجه صـ٥٢.

(٢) رواه الطبري في تاريخه (١١٢/٣ ـ ١١٤).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لنفسي ما رضيتَ لنفسك. فقال ابن سيرين: إنِّي لا أرضى لك في بيتي بما أرضى به لنفسي، فاجلس حيث تُؤمر[١].

ولا تجلسْ في مكان صاحب المنزل إلَّا إذا دعاك للجلوس فيه، فقد قال سيدنا رسول الله ﷺ: «**لا يَؤُمَّنَّ الرجلُ الرجلَ في سلطانه** ـ أي منزله ومكان سلطته ـ **ولا يقعد في بيته على تَكْرِمَته إلَّا بإذنه**»[٢].

والتَّكْرِمة: الموضع الخاص لجلوس صاحب البيت من فراش أو سرير أو نحوهما.

إذا دخلتَ بيتَ أخيك أو صديقك، وأقعدكَ فيه، أو أنامك فيه، فلا تتفقَّدْه ببصرك تفقُّدَ الفاحص الممحِّص، بل غضَّ بصرك في أثناء قعودك أو منامك فيه، قاصرًا نظرك على ما تحتاج إليه فحسب، ولا تفتح مغلقًا من خزانة، أو صندوق، أو محفظة، أو صُرَّة ملفوفة، أو شيء مستور، فإن هذا خلاف أدب الإسلام والأمانة التي خولك بها أخوك أو محبُّك دخولَ بيته والمُقام عنده، فاعرفْ لزيارتكَ آدابَها، واسلكْ لحسن العشرة أبوابَها، تزْدَدْ عند مضيفك حبًّا وأدبًا، والله تعالى يرعاك ويتولاك»[٣].

«وإذا دخلتَ مكانًا فيه نيام ـ بالليل أو النهار ـ فراعهم، وتلطَّف في حركتك وصوتك عندهم، ولا تكن ثقيلًا في ضجيجك أو دخولك أو خروجك، بل كن رفيقًا لطيفًا، فقد سمعتَ قول رسول الله ﷺ: «**من يُحرم الرفقَ يُحرم الخيرَ كلَّه**»[٤].

---

(١) رواه البيهقي في الشعب (٥٨٩٣).

(٢) رواه مسلم في المساجد (٦٧٣)، وأبو داود في الصلاة (٥٨٢)، والنسائي في الإمامة (٧٨٣).

(٣) من أدب الإسلام صـ ١٥ ـ ١٧.

(٤) سبق تخريجه صـ٥٦٣.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقال المقدادُ بن الأسود الصحابيُّ الجليل رضي الله عنه: كنا نرفع لرسول الله ﷺ نصيبه من اللبن، فيجيء من الليل، فيُسلم تسليمًا لا يوقظ النائم، ويُسمع اليقظان[1]. وكان ﷺ إذا قام يتهجد بالليل، قرأ بصوت يؤنس اليقظان، ولا يوقظ الوسنان»[2].

كم يمكث الزائر؟

وليس للزيارة مدَّة محدودة، بحيث لا يزاد عليها ولا ينقص منها، فمثل هذه الأمور متروكة لأذواق الناس، وحُسْن تقديرهم لظروف الآخرين.

فبعض الناس يحب ألا تزيد زيارتُه عن دقائق معدودة، نظرًا لانشغال وقته أو فكره أو نفسه، بهموم أخرى غير لقاء الناس.

وبعض الناس عندهم من الفراغ، وبينهم وبين الزائر من المودَّة، ما يجعلهم يستحبُّون طول الزيارة، وخصوصًا إذا جاءهم الزائر من مكان بعيد، وكان لا يأتيهم إلَّا على فترات مُتباعِدة.

والفيصل في هذا وذاك هو سلامة تقدير الزائر، ورهافة حِسِّه، فقد يسمع كلمة، أو يرى حركةً، يفهم منها وجوبَ تقصير الزيارة، والتعجيل بالانصراف، وقد يقرأ ذلك في الوجوه، وإن لم يسمع ولم يرَ شيئًا.

وليكن شأن المسلم في الزيارة شأن الظل اللطيف الخفيف المحبَّب، لا إثقال ولا إملال، ولا فضول ولا تطويل، وإنَّما هي زيارة صلة، وسُقيا

(١) سبق تخريجه صـ٢٧٢، وفيه: «اللهم أطْعِم من أطْعَمني».
(٢) من أدب الإسلام صـ ٣٩.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

صداقة أو قرابة، فتُحبُّ الصلةُ إذا كانت قصيرةً لطيفة، وتُستثقَل إذا كانت طويلة مُملة، وتنتقل فيها الأحاديث والمسامرة من الغالي للرخيص.

قال التابعي الجليل محمد بن شهاب الزُّهْري: إذا طال المجلسُ كان للشيطان فيه نصيب[1].

وليكن حديث الزائر في زيارته كلُّه ـ أو جله ـ فيما ينفع أو يفيد، بعيدًا عن الغِيبة والنميمة واللغو والهُراء، فما يتسع الوقت عند المسلم العاقل لذلك. وينبغي أن يدخر الوقت لمـــا هو أعلى وأنفع، فالوقت هو الحياة.

* * *

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٦٦/٣).

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حق الضيف

كما جعل الإسلام آدابًا على المسلم التحلِّي بها في زيارته لأخيه، فصَّلناها وبيَّنَّاها فيما سبق، جعل الإسلام للضيف حقًّا على المضيف، خاصة إذا كان الضيف قد أتى من بلد بعيد.

والضيف ذلك الذي ينزل عند الإنسان، دُعيَ أو لم يُدع، وخصوصًا إذا كان غريبًا مسافرًا، ليس له أهل ولا دار إقامة بهذا البلد، ونزل على المسلم، فإن حقَّه أن يُكرم، وأن يُحسن إليه.

هذا حق واجب، حتى إنَّ النبي ﷺ أباح له أن يطالب بهذا الحق، بل أباح له أن يأخذه قهرًا، بل أباح له أن يقاتل من أجله.

ذهب أبو هريرة إلى أرض فاستضافهم، فلم يُضيفوه، فتنحَّى ونزل، فدعاهم إلى طعامه، فلم يُجيبوه، فقال لهم: لا تُنزلون الضيف، ولا تجيبون الدعوة، ما أنتم من الإسلام على شيء! فعرفه رجل منهم، فقال له: انزل عافاك الله. قال: هذا شرٌّ وشرٌّ، لا تنزلون إلَّا من تعرفون[1].

والإكرام الذي أمر به الإسلام أن يكرم الإنسان من يعرف ومن لا يعرف، بل من لا يعرف أولى، فإن هذا المجهول لا يجد له دار قرار، ولا يجد له معينًا، فهو أولى أن يعان.

(١) انظر: جامع العلوم والحكم (٣٥٦/١).

QaradawiBooks.com

هذا هو (ابن السبيل) الذي أكد القرآن على حقه، وجعل له حقًّا في الزكاة، وحقًّا فيما بعد الزكاة، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

حق الضيف وصّى به رسول الله ﷺ وحرص عليه أصحابه من بعده، حتى إن عبد الله بن عمرو يقول: من لم يضيِّف فليس على سنة محمد ﷺ، ولا على سنة إبراهيم[(١)].

فكلاهما كان مكرمًا لضيفانه، وإبراهيم عليه السلام كان يُسمَّى أبا الضِّيفان[(٢)]؛ لأنَّه في كل يوم يبحث عن ضيف، ويسير ميلًا أو ميلين يبحث عن ضيف، فإذا وجد انشرح صدره واطمأنَّ قلبه، وإذا لم يجد يومًا ضيفًا بات ليلته آسيًا حزينًا.

وقد ذكر الله لنا قصة من كرمه وإكرامه لضيفانه، فقال: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٤، ٢٥]. رأى وجوها غريبة، وكانت وجوه الملائكة الذين ذهبوا ليبشروه بغلام حليم، وذهبوا لإهلاك قوم لوط الذين شاعت فيهم الفاحشة، وكانوا يأتون الذُّكْران من العالمين، ويذرون ما خلق لهم ربهم من أزواجهم. ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: ٢٦]. رغم أنَّه لم يكن يعرف أحدًا من ضيوفه، بل إنَّه أنكر صورتهم، ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٧].

(١) جامع العلوم والحكم (٣٥٦/١).

(٢) رواه هناد بن السري في الزهد (٣٤٨/١)، وأبو نعيم في الحلية (٣٣٥/٣)، عن عكرمة.

QaradawiBooks.com

وهذا شأن الرجل الكريم مع ضيوفه، إذ يحثهم على الطعام ويدعوهم إليه، ويأتي إليهم بطعامه وجائزته في غير جَلَبة ولا ضوضاء.

ولكن ضيوف إبراهيم لم يأكلوا، ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨].

هذا هو شأن إبراهيم عليه السلام، وشأن محمد ﷺ، وشأن أصحابه الذين كانوا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

جاء ضيف إلى رسول الله ﷺ، فأرسل إلى بعض نسائه فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلَّا ماء، ثم أرسل إلى أخرى، فقالت: مثل ذلك، حتى قُلن كلهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلَّا ماء[(١)].

ليس في أبيات محمد ﷺ إلَّا الماء، وهو أكرم الخلق وأقربهم إلى الله، ولكنَّه مع ذلك لم يشبع من خبز الشعير، والذي كان يمضي الهلال ثم الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة بشهرين، لا يوقد في بيت رسول الله ﷺ نار، ولم يُطْعَ له طعام، ولم يصنع له ما يقتات به مدة شهرين، كما تروى السيدة عائشة رضي الله عنها[(٢)].

فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**من يُضيف هذا الليلة رحمه الله؟**» فقام رجل من الأنصار، فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا، إلَّا قوت صبياني. قال: فعلِّليهم بشيء، فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج، وأريه أنَّا نأكل، فإذا أهوى ليأكل، فقومي إلى السراج حتى تُطفئيه، قال: فقعدوا وأكل الضيف، فلما

(١) سبق تخريجه صـ٢٧٢، وفيه: «لقد عجب اللهُ من صنيعكما».

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الهبة (٢٥٦٧)، ومسلم في الزهد (٢٩٧٢).

QaradawiBooks.com

أصبح غدًا على النبي ﷺ، فقال: «**لقد عجب ربُّكما من صنيعكما الليلة**». وأنزل الله تعالى قولـه: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩][(١)].

هذا هو هدي الإسـلام.. ألَّا يشعر غريب مسـلم أنَّه بدار هوان، أو بأرض مَضْيَعة حيثما نزل في ديار الإسلام.

بل أوجب بعض العلماء حق القِرى وحق الضيافة للمسلم والكافر، وإن كان حق المسلم أوكد.

حق الضيف: الليلة الأولى واجبة. وبعدها يومان، فيكمل له ثلاثة أيام.

وما زاد بعد ذلك فهو صدقة، كما قال النبي ﷺ.

وقـال عليه الصلاة والسلام: «**ولا يحلُّ له أن يَثْوي عنده حتـى يُحرجه**»[(٢)]. أي حتى يضيق صدره.

وفي رواية لمسلم: «**ولا يحل لرجل مسـلم أن يُقيم عند أخيه حتى يُؤْثِمه**»، قالوا: يا رسـول الله وكيف يؤثمه؟ قال: «**يقيم عنده ولا شيء له يَقْريه به**»[(٣)].

وقد فسَّر الخطابي الحديث فقال: «يتكلف له في اليوم الأول ما اتسع له من بر وألطاف، ويقدم له في اليوم الثانـي ما كان بحضرته، ولا يزيد على عادته، فما جاوز الثلاث فهو معروف وصدقة إن شاء فعل وإن شاء ترك»[(٤)].

---

(١) وهو تكملة الحديث قبل السابق.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١٣٥)، ومسلم في اللقطة (٤٨)، عن أبي شريح الخزاعي.

(٣) رواه مسلم في اللقطة (٤٨).

(٤) معالم السنن (٢٣٨/٤).

QaradawiBooks.com

بعد الثلاث، لا حق للضيف. بل لصاحب الدار أن يطلب إليه النزوح.

ولم يأمر الإسلام بإكرام الضيف بالتكلف، بل يقدّم الإنسان ما استطاع، في أول ليلة عليه أن يكرمه ويتحفه، ولهذا سماها النبي ﷺ: جائزته، في قوله: «**من كان يؤمنُ بالله واليومِ الآخر فليُكْرِمْ ضيفه جائزته**» قالوا: وما جائزته؟ قال: «**يوم وليلة، وما زاد بعد ثلاثة أيام فهو صدقة**»(١). ثم بعد ذلك يطعمه من طعام أهله ويسقيه من شراب أهله.

وقال سلمان رضي الله عنه: نهينا أن نتكلَّف للضيف(٢).

إنَّ المسألة ليست فيما يقدم من طعام وشراب، وليس الأمر بالكَمِّ، ولا بالحجم، فحسن اللقاء، أحسن عند الإنسان من زخم الغذاء. وقد قال بعض الصحابة: البر شيء هيِّن: وجه طَلْق، وكلام ليِّن(٣).

بهذا أمر الإسلام أهله أن يعاملوا الناس، ليكون المسلم سمحًا كريمًا، في كل علاقاته الإنسانية، يريد للمسلم أن يكون في حياته سخي النفس، مبسوط اليد، متعاونا مع الغير، مع القريب، مع الجار، مع الغريب، ومع سائر الناس.. على البر والتقوى.

إذا علم الناس هذا العلم، وتأدبوا هذا الأدب، وتخلقوا بهذا الخلق، كانوا جديرين بأن يكونوا من أكمل أهل الإيمان، قال رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرمْ ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقلْ خيرًا أو ليصمت**»(٤).

---

(١) رواه البخاري في الأدب (٦٠١٩)، ومسلم في اللقطة (٤٨) (١٤)، عن أبي شريح.

(٢) رواه البزار (٢٥١٤)، والطبراني (٢٣٥/٦)، والحاكم في الأطعمة (١٢٣/٤)، وصحح إسناده، وقال الذهبي: سنده لين. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٣٩٢).

(٣) رواه البيهقي في الشعب (٨٠٥٩)، من كلام ابن عمر.

(٤) سبق تخريجه صـ٤٠٣.

QaradawiBooks.com

حكم الضيافة:

وقد اختلف الفقهاء في حكم الضيافة، وعلى من تجب، فقد ذهب الجمهور إلى أنَّ الضيافة سُنَّة، ومدتها ثلاثة أيام، قال النووي: «الضيافة سنة، فإذا استضاف مسلم لا اضطرار به مسلمًا؛ استحبَّ له ضيافته، ولا تجب.

هذا مذهبنا، ومذهب الجمهور، وهو مذهب مالك وأبي حنيفة.

وقال الليث بن سعد وأحمد بن حنبل: هي واجبة يومًا وليلة.

قال أحمد: هي واجبة يومًا وليلة على أهل البادية وأهل القرى، دون أهل المدن»[١].

وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد روى الربيع عن الشافعي أنَّه قال: الضيافة على أهل البادية والحاضرة حق واجب في مكارم الأخلاق، وقال مالك: ليس على أهل الحضر ضيافة.

وقال سحنون: إنَّما الضيافة على أهل القرى، وأمَّا الحضر فالفندق ينزل فيه المسافر»[٢].

والذي نراه أنَّ الضيافة لا تجب على كل مسلم لكل مسلم؛ لأنَّ الأصل أنَّ الناس قد أخذ كل واحد منهم حقه، واستقر في بيته، وتهيأت له الفنادق المناسبة إن سافر من مكان إلى آخر، خاصة في الحواضر والمدن، ويبقى أهل البادية الصحراويون الذين لهم ظروف خاصة، فيجب عليهم أن يسع بعضهم بعضا بكل ما ذكرنا، ولا يضيق بعضهم ببعض، وما قلناه قريب ممَّا ذهب إليه المالكية من أن حق الضيافة ـ وهو

(١) المجموع (٥٧/٩).

(٢) الاستذكار (٣٦٨/٨).

QaradawiBooks.com

سنة عندهم ـ على أهل القرى، وعدم إيجابها على أهل الحضر، ونقول: في زمننا هذا قربت وسائل المواصلات المسافات وأصبح زائر القرية يستطيع أن يصل إلى أقرب مكان فيه فندق أو نُزُل للإقامة.

وفي بعض القرى يتعاون أهل القرية ببناء (مضيفة) أو كما يسميها البعض مندرة، تستقبل القادمين إلى القرية في المآتم والأفراح وما شابه، ويخصص بعض البيوتات حجرات خاصة للضيوف، الذين يأتون من بعيد.

آداب الضيافة:

وقد ذكر الإمام أبو حامد في إحيائه من آداب المضيف والضيف ما يغني هنا، ننقله عنه مختصرًا، مع الالتزام بمنهجنا من ترك الأحاديث الضعيفة والمبالغات، يقول: «ومظانُّ الآداب فيها ستةٌ: الدعوة أولًا، ثم الإجابة، ثم الحضور، ثم تقديم الطعام، ثم الأكل، ثم الانصراف».

آداب الدعوة:

ثم قال: «أمَّا الدعوة، فينبغي للداعي:

١ ـ أن يعمد بدعوته الأتقياء دون الفُسَّاق:

قال ﷺ: «**أكل طعامَكَ الأبرار**»[(١)]. في دعائه لبعض من دعا له.

وقال ﷺ: «**لا تأكل إلَّا طعامَ تَقِي، ولا يأكل طعامَك إلَّا تَقِي**»[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٧١.

(٢) رواه أحمد (١١٣٣٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الأدب (٤٨٣٢)، والترمذي في الزهد (٢٣٩٥)، وقال: حسن. والحاكم في الأطعمة (١٢٨/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، كلهم بلفظ: «**لا تصحب إلَّا مؤمنا، ولا يأكل طعامك إلَّا تقي**». عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

٢ ـ ويقصد الفقراء دون الأغنياء على الخصوص:

قال ﷺ: «**شرُّ الطعامِ طعامُ الوليمة، يُدْعى إليها الأغنياء دون الفقراء**»[(١)].

٣ ـ وينبغي ألَّا يهمل أقاربه في ضيافته: فإن إهمالهم إيحاشٌ وقطع رحم، وكذلك يراعي الترتيب في أصدقائه ومعارفه، فإن في تخصيص البعض إيحاشًا لقلوب الباقين.

٤ ـ وينبغي ألَّا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر، بل استمالة قلوب الإخوان، والتسنُّن بسُنَّة رسول الله ﷺ في إطعام الطعام وإدخال السرور على قلوب المؤمنين.

٥ ـ وينبغي ألَّا يدعو من يعلم أنَّه يشق عليه الإجابة، وإذا حضر تأذَّى بالحاضرين بسبب من الأسباب.

٦ ـ وينبغي ألَّا يدعو إلَّا من يحب إجابته.

قال سفيان: من دعا أحدًا إلى طعام وهو يكره الإجابة، فعليه خطيئة، فإن أجاب المدعوَّ فعليه خطيئتان؛ لأنَّه حمله على الأكل مع كراهة، ولو علم ذلك لما كان يأكله.

وإطعام التقي إعانة على الطاعة، وإطعام الفاسق تقوية على الفسق.

قال رجل خيَّاط لابن المبارك: أنا أخيط ثياب السلاطين، فهل تخاف أن أكون من أعوان الظلمة؟ قال: لا، إنَّما أعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والإبرة، أمَّا أنت فمن الظلمة نفسهم[(٢)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥١٧٧)، ومسلم (١٤٣٢)، كلاهما في النكاح، عن أبي هريرة.

(٢) قوت القلوب لأبي طالب المكي (٣٢١/٢).

QaradawiBooks.com

إجابة الدعوة وآدابها:

وأمَّا الإجابة، فهي سنة مؤكدة، وقد قيل بوجوبها في بعض المواضع.

قال ﷺ: «**لو دُعيتُ إلى كُراعٍ لأجبتُ، ولو أهدي إلي ذراع لقبلتُ**»[(١)].

وللإجابة خمسة آداب:

١ ـ الأول: ألَّا يميِّز الغني بالإجابة عن الفقير، فذلك هو التكبر المنهي عنه، ولأجل ذلك امتنع بعضهم عن أصل الإجابة، وقال: انتظار المرقة ذل. وقال آخر: إذا وضعتُ يدي في قصعة غيري فقد ذلَّت له رقبتي.

ومن المتكبرين من يجيب الأغنياء دون الفقراء، وهو خلاف السُّنَّة،

كان رسول الله ﷺ يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين[(٢)]، ومر الحسن بن علي رضي الله عنهما بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على الطريق، وقد نشروا كِسَرًا على الأرض في الرمل، وهم يأكلون، وهو على بغلته، فسلم عليهم، فقالوا له: هلمَّ إلى الغداء يا ابن بنت رسول الله ﷺ. فقال: نعم، إنَّ الله لا يحب المستكبرين. فنزل وقعد معهم على الأرض، وأكل، ثم سلَّم عليهم، وركب وقال: قد أجبتكم فأجيبوني. قالوا: نعم. فوعدهم وقتًا معلومًا، فحضروا، فقدَّم إليهم فاخر الطعام، وجلس يأكل معهم[(٣)].

---

(١) رواه البخاري في النكاح (٥١٧٨)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه الترمذي في الجنائز (١٠١٧)، وقال: ضعيف إسناده. وابن ماجه في التجارات (٢٢٩٦)، والحاكم في التفسير (٤٦٦/٢)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، كلاهما بلفظ: «دعوة المملوك»، دون ذكر المسكين، عن أنس.

(٣) قوت القلوب لأبي طالب المكي (٣١٢/٢).

QaradawiBooks.com

وأمَّا قول القائل: إن من وضعت يدي في قصعته فقد ذلت له رقبتي؛ فقد قال بعضهم: هذا خلاف السُّنَّة، وليس كذلك، فإنه ذل إذا كان الداعي لا يفرح بالإجابة، ولا يتقلَّد مِنَّة، وكان يرى ذلك يدًا له على المدعو، ورسول الله ﷺ كان يحضر لعلمه أنَّ الداعي له يتقلَّد منة، ويرى ذلك شرفًا وذُخْرًا لنفسه في الدنيا والآخرة، فهذا يختلف باختلاف الحال، فمن ظنَّ به أنَّه يستثقل الإطعام، وإنَّما يفعل ذلك مباهاةً أو تكلُّفًا، فليس من السُّنَّة إجابته، بل الأولى التعلل.

ولذلك قال بعض الصوفية: لا تُجب إلَّا دعوة من يرى أنك أكلتَ رزقك، وأنَّه سلم إليك وديعة كانت لك عنده، ويرى لك الفضل عليه في قبول تلك الوديعة منه.

وقال سري السقطي رَحِمَهُ اللَّهُ: آه على لقمة ليس على الله فيها تبعة، ولا لمخلوق فيها منة[1].

فإذا علم المدعوُّ أنَّه لا مِنَّة في ذلك، فلا ينبغي أن يرد.

وقال أبو تراب النخشي رحمة الله عليه: عرض عليَّ طعام، فامتنعتُ، فابتليتُ بالجوع أربعة عشر يومًا، فعلمت أنَّه عقوبته.

وقيل لمعروف الكرخي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كل من دعاك تمر إليه! فقال: أنا ضيف أنزل حيث أنزلوني.

٢ ـ أنَّه لا ينبغي أن يمتنع عن الإجابة لبعد المسافة، كما لا يمتنع لفقر الداعي وعدم جاهه، بل كل مسافة يمكن احتمالها في العادة لا ينبغي أن يمتنع لأجل ذلك.

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١١٦/١٠).

QaradawiBooks.com

يقال في التوراة، أو بعض الكتب: سِرْ ميلًا عُدْ مريضًا، سر ميلين شيِّع جنازة، سر ثلاثة أميال أجبْ دعوةً، سر أربعة أميال زُر أخًا في الله.

وإنَّما قدَّم إجابة الدعوة والزيارة؛ لأن فيه قضاء حق الحي، فهو أولى من الميت.

وقال ﷺ: «**لو دُعيتُ إلى كُراعٍ بالغَمِيم لأجبتُ**»(١).

وهو موضع على أميال من المدينة، أفطر فيه رسول الله ﷺ في رمضان لمَّا بلغه(٢).

٣ ـ الثالث: ألَّا يمتنع لكونه صائمًا، بل يحضر، فإن كان يسُرُّ أخاه إفطاره فليفطر، وليحتسب في إفطاره بنية إدخال السرور على قلب أخيه ما يحتسب في الصوم وأفضل، وذلك في صوم التطوع، وإن لم يتحقق سرور قلبه، فليصدقه بالظاهر وليفطر، وإن تحقق أنَّه متكلِّف فليتعلل.

وقد قال ﷺ لمن امتنع بعذر الصوم: «**تكلَّف لكَ أخوكَ وتقول: إنِّي صائم!**»(٣).

وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: من أفضل الحسنات إكرام الجلساء بالإفطار.

فالإفطار عبادة بهذه النية، وحسن خلق، فثوابه فوق ثواب الصوم.

---

(١) سبق تخريجه صـ٥٨٠، دون ذكر «الغميم»، وقال الحافظ في الفتح: لا أصل لهذه الزيادة (٢٤٦/٩).

(٢) رواه مسلم (١١١٤)، والترمذي (٧١٠)، والنسائي (٢٢٦٣)، ثلاثتهم في الصيام، عن جابر.

(٣) رواه الطيالسي (٢٣١٧)، والطبراني في الأوسط (٣٢٤٠)، والدارقطني في الصيام (٢٢٣٩)، وقال: هذا مرسل. والبيهقي في الصوم (٢٧٩/٤)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦١٦٠): فيه حماد بن أبي حميد، وهو ضعيف، وبقية رجاله ثقات. وحسن إسناد البيهقي ابن حجر في فتح الباري (٢١٠/٤)، وقال في موضع آخر (٢٤٨/٩): أخرجه الطيالسي والطبراني في الأوسط، في إسناده راو ضعيف لكنَّه توبع. عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

ومهما لم يفطر، فضيافته الطِّيب والمجمرة، والحديث الطيِّب.

وقد قيل: الكحل والدهن أحد القِرَاءين.

٤ ـ الرابع: أن يمتنع من الإجابة إن كان الطعام طعام شبهة، أو الموضع أو البساط المفروش من غير حلال، أو كان يقام في الموضع منكَرٍ، من فرش ديباج، أو إناء فضة، أو تصوير حيوان على سقف أو حائط، أو سماع شيء من المزامير والملاهي، أو التشاغل بنوع من اللهو والعزف والهزل واللعب، واستماع الغيبة والنميمة والزور والبهتان والكذب.. وشبه ذلك، ممَّا يمنع الإجابة واستحبابها، ويوجب تحريمها أو كراهيتها.

وكذلك إذا كان الداعي ظالمًا أو مبتدعًا أو فاسقًا أو شريرًا أو متكلِّفًا طلبًا للمباهاة والفخر.

النية في إجابة الدعوة:

٥ ـ الخامس: ألا يقصد بالإجابة قضاء شهوة البطن، فيكون عاملًا في أبواب الدنيا، بل يحسن نيَّته، ليصير بالإجابة عاملًا للآخرة، وذلك بأن تكون نيته الاقتداء بسُنَّة رسول الله ﷺ في قوله: «**لو دُعيتَ إلى كُراعٍ لأجبتُ**»[1].

وينوي الحذر من معصية الله تعالى، لقوله ﷺ: «**من لم يُجِب الداعيَ، فقد عصى الله ورسوله**»[2].

---

(١) سبق تخريجه صـ٥٨٠.

(٢) رواه مسلم في النكاح (١٤٣٢)، وأحمد (٧٦٢٤)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وينوي إكرام أخيه المؤمن.. وينوي إدخال السرور على قلبه، وينوي مع ذلك زيارته ليكون من المتحابين في الله إذ شـرط رسول الله ﷺ فيه التزاور والتباذل لله[١].

وقد حصل البذل من أحد الجانبين، فتحصل الزيارة من جانبه أيضًا.

وينوي صيانة نفسه عن أن يساء به الظن في امتناعه، ويطلق اللسان فيه بـأن يُحمل على تكبر أو سـوء خلق أو اسـتحقار أخ مسـلم، أو ما يجري مجراه.

فهذه ست نيات تلحق إجابته بالقربات آحادها، فكيف مجموعها؟

وكان بعض السـلف يقول: أنا أحب أن يكون لي في كل عمل نية، حتى في الطعام والشراب.

وفي مثل هـذا قال ﷺ: «**إنَّمـا الأعمال بالنيـات، وإنَّما لكل امرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرتُه إلى الله ورسـوله، فهجرتُه إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلـى دنيا يصيبهـا أو امرأة يتزوَّجهـا، فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[٢].

والنية إنَّما تؤثر في المباحات والطاعات، أمَّا المنهيات، فلا، فإنه لو نوى أن يسر إخوانه بمساعدتهم على شرب الخمر أو حرام آخر؛ لم تنفع النية، ولم يجُز أن يقال: (الأعمال بالنيات).

---

(١) رواه أحمد (٢٢٧٨٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وابن حبان في البر والصلة (٥٧٧)، عن عبادة بن الصامت.

(٢) سبق تخريجه صـ٩١.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بل لو قصد بالغزو ـ الذي هو طاعة ـ المباهاة وطلب المال انصرف عن جهة الطاعة.

وكذلك المباح المتردد بين وجوه الخيرات وغيرها، يلتحق بوجوه الخيرات بالنية، فتؤثر النية في هذين القسمين، لا في القسم الثالث.

أدب حضور الدعوة:

وأمَّا الحضور، فأدبه أن يدخل الدار ولا يتصدر، فيأخذ أحسن الأماكن، بل يتواضع، ولا يطوِّل الانتظار عليهم، ولا يعجل بحيث يفاجئهم قبل تمام الاستعداد، ولا يضيق المكان على الحاضرين بالزحمة، بل إن أشار إليه صاحب المكان بموضع لا يخالفه البتة، فإنه قد يكون رتَّب في نفسه موضع كل واحد، فمخالفته تشوِّش عليه.

وإن أشار إليه بعض الضِّيفان بالارتفاع إكرامًا، فليتواضع، قال ﷺ: «**إن من التواضعِ لله الرضا بالدون من المجلس**»[1].

ولا ينبغي أن يجلس في مقابلة باب الحجرة التي للنساء وسِتْرهم، ولا يكثر النظر إلى الموضع الذي يخرج منه الطعام، فإنه دليل على الشره، ويخص بالتحية والسؤال من يقرب منه إذا جلس.

من آداب المضيف للضيف والضيف للمضيف:

وإذا دخل ضيف للمبيت، فليعرفه صاحب المنزل عند الدخول القبلة، وبيت الماء، وموضع الوضوء، كذلك فعل مالك بالشافعي رضي الله عنهما،

(١) رواه الطبراني (١١٤/١)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٩٢٠): رواه الطبراني، وفيه أيوب بن سليمان بن عبد الله بن حدلم ولم أعرفه ولا والده، وبقية رجاله ثقات. عن طلحة بن عبيد الله.

QaradawiBooks.com

وغسل مالك يده قبل الطعام قبل القوم، وقال: الغسل قبل الطعام لرب البيت أول؛ لأنَّه يدعو الناس إلى كرمه، فحكمه أن يتقدم بالغسل، وفي آخر الطعام يتأخر بالغسل، لينتظر أن يدخل من يأكل فيأكل معه.

وإذا دخل فرأى منكرا غيَّره إن قدر، وإلا أنكر بلسانه وانصرف...

آداب إحضار الطعام:

وأمَّا إحضار الطعام فله آداب خمسة:

١ ـ **الأول**: تعجيل الطعام، فذلك من إكرام الضيف، وقد قال ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليُكْرِم ضيفَه**»[(١)].

ومهما حضر الأكثرون وغاب واحد أو اثنان وتأخروا عن الوقت الموعود، فحق الحاضر في التعجيل أولى من حق أولئك في التأخير، إلَّا أن يكون المتأخِّر فقيرًا، أو ينكسر قلبه بذلك، فلا بأس في التأخير، وأحد المعنيين في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤]: أنهم أكرموا بتعجيل الطعام إليهم، دل عليه قوله تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: ٦٩]، وقوله: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: ٢٦]، والروغان: الذهاب بسرعة. وقيل: في خفية. وقيل: جاء بفخذ من لحم، وإنَّما سمي عجلًا؛ لأنَّه عجَّله ولم يلبث.

قال حاتم الأصم: العجلة من الشيطان، إلَّا في خمسة، فإنها من سُنَّة رسول الله ﷺ: إطعام الضيف، وتجهيز الميت، وتزويج البكر، وقضاء الدين، والتوبة من الذنب إذا أذنب[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه صـ٤٠٣.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٧٨/٨).

QaradawiBooks.com

٢ ـ **الثاني**: ترتيب الأطعمة، بتقديم الفاكهة أولًا إن كانت، فذلك أوفق في الطب، فإنها أسرع استحالة، فينبغي أن تقع في أسفل المعدة.

وفي القرآن تنبيه على تقديم الفاكهة، في قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٢٠] ثم قال: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة: ٢١].

ثم أفضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم والثريد... فإن جمع إليه حلاوة بعده فقد جمع الطيبات، ودل على حصول الإكرام باللحم، قوله تعالى في ضيف إبراهيم، إذ أحضر العجل الحنيذ، أي المحنوذ، وهو الذي أجيد نضجه، وهو أحد معنى الإكرام، أعني: تقديم اللحم.

وقال تعالى في وصف الطيبات: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ [البقرة: ٥٧]، المن: العسل، والسلوى: اللحم، سمي سلوى؛ لأنَّه يُتسلَّى به عن جميع الإدام، ولا يقوم غيره مقامه... ثم قال بعد ذكر المن والسلوى: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ٥٧] فاللحم والحلاوة من الطيبات، قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه: أكل الطيبات يورث الرضا عن الله.

وتتم هذه الطيبات بشرب الماء البارد، وصب الماء الفاتر على اليد عند الغسل، قال المأمون: شرب الماء بثلج يخلِص الشكر...

وقال بعضهم: الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الألوان، والتمكن على المائدة خير من زيادة لونين...»[(١)].

وقد ذكر أبو حامد آدابا أخرى لإحضار الطعام منها:

٣ ـ أن يقدم جميع الألوان الحاضرة.

---

(١) إحياء علوم الدين (٢/١٢ ـ ١٦) بتصرف.

QaradawiBooks.com

٤ ـ ألَّا يبادر إلى رفعها، بل يمكنهم من الاستيفاء حتى يرفعوا أيديهم.

٥ ـ **الخامس**: أن يقدم من الطعام قدر الكفاية، فإنَّ التقليل من الكفاية نقص في المروءة والزيادة عليه تصنع ومراءاة.

قال ابن مسعود رضي الله عنه نهينا أن نجيب دعوة من يباهي بطعامه وكره جماعة من الصحابة أكل طعام المباهاة[١].

ومن ذلك كان لا يُرفع من بين يدي صحابة رسول الله ﷺ فضلة طعام قط؛ لأنَّهم كانوا لا يقدِّمون إلَّا قدر الحاجة، ولا يأكلون تمام الشبع.

٦ ـ وينبغى أن يعزل لأهل البيت نصيبهم قبل تقديم الطعام[٢].

آداب الانصراف وتوديع الضيف:

قال أبو حامد محمد بن محمد الغزالي:

«فأما الانصراف، فله ثلاثة آداب:

١ ـ **الأول**: أن يخرج مع الضيف إلى باب الدار.

وهو سنة، وذلك من إكرام الضيف، وقد أمر بإكرامه، قال ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليُكْرم ضيفَه**»[٣].

وتمام الإكرام طلاقة الوجه، وطيب الحديث عند الدخول والخروج، وعلى المائدة.

قيل للأوزاعي رضي الله عنه: ما كرامة الضيف؟ قال: طلاقة الوجه وطيب الحديث.

---

(١) ذكره أبو طالب المكي في قوت القلوب (٣٠٦/٢) بصيغة التمريض.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين (١٧/٢، ١٨).

(٣) سبق تخريجه صـ٤٠٣.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقال يزيد بن أبي زياد: ما دخلت على عبد الرحمن بن أبي ليلى إلَّا حدَّثنا حديثًا حسنًا، وأطعمنا طعامًا حسنًا[١].

٢ ـ **الثاني**: أن ينصرف الضيف طيِّبَ النفس، وإن جرى في حقه تقصير، فذلك من حُسن الخلق والتواضع، قال ﷺ: «**إنَّ الرجل ليدرك بحسن خُلْقه درجة الصائم القائم**»[٢].

حكي أن أستاذ أبي القاسم الجنيد دعاه صبي إلى دعوة أبيه أربع مرات، فردَّه الأب في المرات الأربع، وهو يرجع في كل مرة تطييبًا لقلب الصبي بالحضور، ولقلب الأب بالانصراف.

فهذه نفوس قد ذُلِّلت بالتواضع لله تعالى، واطمأنت بالتوحيد، وصارت تشاهد في كل رد وقبول عِبرة فيما بينها وبين ربها، فلا تنكسر بما يجري من العباد من الإذلال، كما لا تستبشر بما يجري منهم من الإكرام، بل يرون الكل من الواحد القهار.

ولذلك قال بعضهم: أنا لا أجيب الدعوة، إلَّا لأنِّي أتذكر بها طعام الجنة. أي هو طعام طيب يُحمل عنا كده ومؤنته وحسابه.

٣ ـ **الثالث**: ألَّا يخرج إلَّا برضا صاحب المنزل وإذنه، ويراعي قلبه في قدر الإقامة، وإذا نزل ضيفا فلا يزيد على ثلاثة أيام، فربما يتبرَّم به ويحتاج إلى إخراجه، قال ﷺ: «**الضيافةُ ثلاثةُ أيَّام، فما زاد فصدقة**»[٣].

---

(١) إحياء علوم الدين (١٨/٢).

(٢) رواه أحمد (٢٥٠١٣)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح لغيره. وأبو داود في الأدب (٤٧٩٨)، وابن حبان في البر والإحسان (٤٨٠)، عن عائشة.

(٣) سبق تخريجه صـ٤٠٣، وفيه: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه».

QaradawiBooks.com

نعم لو ألحَّ ربُّ البيت عليه عن خلوص قلب، فله المقام إذ ذاك.

ويســـتحبُّ أن يكون عنده فراش للضيف النازل، قال رسول الله ﷺ: «**فِراش للرجل، وفراشٌ للمرأة، وفراش للضيف، والرابع للشيطان**»[(١)»[(٢)].

* * *

(١) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢٠٨٤)، وأحمد (١٤١٢٤)، عن جابر بن عبد الله.

(٢) إحياء علوم الدين (١٨/٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الفصل السادس

أدب المسلم في المجالس ومع الجلساء

لا بد للناس أن يجلس بعضُهم إلى بعض، ليتشاوروا، أو يتسامروا، أو يتدارسوا ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، فمن الناس من يجلسون للذكر والعلم، ومنهم من يجلسون للصلاة والعبادة، ومنهم من يجلسون للهو والسَّمَر، ومنهم من يجلسون للتشاور والتدبُّر.. إلى غير ذلك من الأغراض والمقاصد التي لا غنى للناس عنها.

ذلك أنَّ الإنسان اجتماعيٌّ بفطرته، أو مدنيٌّ بطبعه، لا يستطيع أن يعيش منفردًا، وأن يقضيَ مآربه وحده، وبخاصَّة أنَّ الإسلام يدعو إلى الاجتماع والتعاون، ويكره الانفراديَّة والعزلة عن المجتمع، فلا مفرَّ إذن من جلوس الناس بعضِهم إلى بعض.

ومِن هنا جاءت الحاجة إلى جُملة من الآداب، يضعها الدين نبراسًا للمتجالسين، تُنظِّم صِلة بعضهم ببعض، وتبنيها على قواعد المحبَّة والسماحة والتواضع، وتقدير مشاعر الآخرين، وتوقير الكبير، ورحمة الصغير، إلى غير ذلك من مكارم الأخلاق.

ـ النهي عن الجلوس في الطرقات:

أول هذه الآداب أن يختار الجالسُ موضعَ جلوسه، بحيث لا يؤذي أحدًا، ولا يعطِّل سائرًا، ولا يُشوش على جارٍ، ولا ينتهِك فيه حرمةَ إنسان،

QaradawiBooks.com

ولهذا جاء النهي من النبي ﷺ عن الجلوس في الطرقات، خشيةَ أن يتأذَّى أحدٌ من الجلوس فيها، فلمَّا شكا الصحابةُ حاجتَهم إلى الجلوس فيها، وعدم استغنائهم عنها، رخَّص لهم أن يجلسوا فيها بقيود وشروط[١].

روى البخاري، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إياكم والجلوسُ على الطرقات**». قالوا: يا رسول الله، لا بد لنا من مجالسنا، نتحدث فيها، فقال: «**إن أبَيْتُم فأعطوا الطريق حقَّه**». قالوا: وما حق الطريق، يا رسول الله؟ قال: «**غضُّ البصر، وكفُّ الأذى، وردُّ السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر**»[٢].

فهذه آداب خمسة طلبها الرسول الكريم من كل من يجلس في الطريق، تحفظ للناس حقوقهم، ولا تحرمهم من ممارسة حياتهم التي اعتادوها، فأما من جلس في الطريق، وترك بصره يلْتَهِم كلَّ غاديةٍ ورائحة، أو ترك لسانَه يسْخر من هذا وذاك، ويتناول أعراض خلق الله، أو أهْمَلَ ردَّ السلام على مَن يسلِّم عليه، مع أن ردَّه فرض كفاية[٣]، أو رأى ما يجب التنبيه عليه من معروف يُترك، أو منكرٍ يُرتكب، فوقف موقفًا سلبيًّا، لا يأمر ولا ينهى؛ فمثل هذا قد ضيَّع حقَّ الطريق، وأولى به أن يأوي إلى منزله، حتى لا يُعرِّض نفسه للإثم.

ـ اختيار الجليس الصالح:

وعلى المسلم أن يختار جليسه من فضلاء الناس وخيارهم، وبخاصة من يُكثر الجلوس معه، فإنَّ الطبعَ يسرق من الطبع، وسوء الخُلُق يُعدي كما يُعدي الأجربُ السليمَ.

---

(١) من هذا أخذ العلماء المحقِّقون أن ما حرم لسد الذريعة يُباح للحاجة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٦٥)، ومسلم في اللباس (٢١٢١).

(٣) يتحول إلى فرض عين إذا لم يردَّ على المسلِّم أحد، أو كان السلام عليه وحده.

QaradawiBooks.com

كما أنَّ السُّمعة الطيِّبة للجليس الصالح تفوح على جليسه شذًا طيبًا، وعطرًا ذاكيًا، والسمعة الخبيثة للجليس الطالح كالجيفة القذرة، تنشر على جلسائه النَّتَن وكريهَ الرائحة؛ ولهذا قال السلف: الوحدة ـ أي: العزلة ـ خير من جليس السوء.

وما أصْدَقَ وأروع تصوير الرسول ﷺ لأثر الجليس في جليسه حين قال: «**مَثَلُ الجليس الصالح والجليسِ السوء، كمثل حامل المِسْك، ونافخ الكِير، فحامل المسك: إمَّا أنْ يُحْذِيَك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة. ونافخ الكير: إمَّا أنْ يحرق ثيابَك، وإمَّا أن تجد ريحًا خبيثة**»[(١)].

تحرِّي مجالس الخير:

وممَّا يُتمِّم الأدب السابق ـ وهو اختيار الجليس ـ تحرِّي أنفعَ المجالس، وأحراها بالخير، وأبعدها عن اللغو والباطل.

وأفضل المجالس ولا ريب: هي مجالس العلم والذكر، ففيها يتعلَّم الجاهل، ويتنبَّه الغافل، وتستيقظ الضمائرُ النائمة، وتحيا القلوبُ الميِّتة.

وقد رُوي عن لقمان الحكيم، أنَّه قال لابنه: يا بني، جالسِ العلماء وزاحمهم بركبتيك؛ فإنَّ القلوب تحيا بكلامهم، كما تحيا الأرض الميتة بوابل المطر[(٢)].

وليس المراد بمجالس الذكر: مجالس المُكاء والتصدية، أو التصايح المبتدع بأسماء الله بعد مطِّها مطًّا يخرجها عن معناها، إنَّما هي المجالس

(١) متفق عليه: رواه البخاري في البيوع (٢١٠١)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٢٨)، عن أبي موسى الأشعري.

(٢) موطأ مالك (١٠٠٢/٢)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

التي يُتلى فيها القرآن، أو تقرأ فيها السُّنَن والسِّيرة، أو يُتعلم فيها الحلال والحرام والفقة، أو تُرقَّق فيها القلوب بالتذكير بالله، والترغيب في الجنة، والتخويف من النار.

روى أحمد بسند حسن، عن عبد الله بن عمرو قال: قلت يا رسول الله، ما غنيمة مجالس الذكر؟ قال: «**غنيمةُ مجالس الذكر: الجنةُ**»(١).

وروى البخاري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله ملائكةً يطوفون في الطُّرق، يلتمسون أهلَ الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادَوْا: هلمُّوا إلى حاجتكم**». قال: «**فيحفُّونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا**». **قال:** «**فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟ قالوا: يقولون: يُسبِّحونك، ويُكبِّرونك، ويحْمَدونك، ويُمجِّدونك**». قال: «**فيقول: هل رأوني؟**» قال: «**فيقولون: لا والله ما رأوك**». **قال:** «**فيقول: وكيف لو رأوني؟**» قال: «**يقولون: لو رأَوك كانوا أشدَّ لك عبادة، وأشدَّ لك تمجيدًا، وأكثر لك تسبيحًا**».

قال: «**يقول: فما يسألونني؟ قال: يسألونك الجنة**». قال: «**يقول: وهل رأوها؟**» قال: «**يقولون: لا والله يا رب ما رأوها**». قال: «**يقول: فكيف لو أنهم رأوْها؟**» قال: «**يقولون: لو أنهم رأوها، كانوا أشدَّ عليها حرصًا، وأشد لها طلبًا، وأعظم فيها رغبةً. قال: فمِمَّ يتعوذون؟**» قال: «**يقولون: من النار**». **قال:** «**يقول: وهل رأوها؟**» **قال:** «**يقولون: لا والله ما رأوها**». قال: «**يقول: فكيف لو رأوها؟**» قال: «**يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا، وأشد لها مخافةً**». قال: «**فيقول: فأُشْهِدكم أنِّي قد غفرتُ لهم**». قال:

(١) رواه أحمد (٦٦٥١)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في تخريج المسند، والطبراني (٢١/١٣)، وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٢٣٢٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٧٧٣)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٥٠٧): حسن لغيره.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

«**يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان، ليس منهم إنَّما جاء لحاجة**». قال: «**هم الجلساء، لا يشقى بهم جليسهم**»[(١)].

غير مرخصة للطباعة

البُعد عن مجالس الريبة:

كما يجب على المسلم أن ينأى بنفسه عن مجالس السوء، ومواضع الرِّيبة، وإن لم يتخذ فيها جلساء وأصحابًا.

فإذا مرَّ المُسلم بمجلس يُشرب فيه الخمر، أو يُرتكب فيه المنكر، أو يُغتاب فيه الناس وتُنهش أعراضهم، أو يُستهزأ فيه بالدين وأهله، أو يُوقَّر فيه ظالم، ويُكرَّم مُلحِد أو فاسق أو مبتدع، أو ما شابه ذلك من مجالس السوء، فالواجب على المسلم ألَّا يجلس فيها، ولا يقعد مع أهلها.

ولو جلس فيها خطأً أو سهوًا، أو كانت خالية من المنكر، ثم شرعوا فيه؛ فعليه أن ينصرف فورًا، ولا يمكث، فيتطاير إليه الشرر المُحرق، والشرُّ المستطير.

وهذا أمر عُني به القرآن الكريم، وأنزل فيه آيات تُتْلى، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

جاء هذا التحذير في سورة الأنعام المكيَّة، التي عُنيتْ بتقويم العقائد، وأصول الدين الصحيح، وفي المدينة جاءت سورةُ النساء لتوكيد هذا النهي، والتحذير منه مرة أخرى، حيث يقول تعالى في سورة النساء: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٤٠٨)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٨٩)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

﴿نَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]. فانظر إلى قوله تعالى صراحة: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾. يقرر أنَّ المستمع شريك المبتدئ.

وجاء في سورة الفرقان، في أوصاف عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]. ومعنى ﴿لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾: لا يحضرونه، فهو من الشُّهود لا من الشَّهادة، وقد فُسِّر الزور بأنَّه أعياد المشركين، وفسر بأنَّه مجالس اللهو والخنا، أو مجالس الشر، أو موائد الخمر وصالات القمار، كما في الحديث: «**من كان يؤمنُ بالله واليومِ الآخِرِ، فلا يجلسْ على مائدةٍ يُدارُ فيها الخمر**»(١).

وممَّا رُوِي عن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز أنه كان يجلد شاربي الخمر، ومن شهد مجالسهم وإن لم يشرب معهم، فقد رووا أنَّه رُفع إليه قوم شربوا الخمر، فأمر بجلدهم، فقيل له: إنَّ فيهم فلانًا، وقد كان صائمًا! فقال: به ابدؤوا، أمَّا سمعتم قول الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠](٢)؟

ـ اجلس حيث ينتهي بك المجلس:

ومن آداب المجالس: أن يجلس المرء حيث ينتهي به المجلس، ولا يتخطَّى الرقاب، أو يزاحم مَن سبقه مِن الحضور، ليجلس في الصدر،

(١) رواه أحمد (١٤٦٥١)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والترمذي (٢٨٠١)، وقال: حديث حسن غريب. والحاكم (٤/٢٨٨)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، كلاهما في الأدب.

(٢) رواه الطبري في التفسير (٩/٣٢١).

QaradawiBooks.com

ما لم يُقدِّمه الجلوس برضا أنفسهم، لسنِّه أو لعلمه أو لدينه أو لمنزلته بين قومه، أو نحو ذلك من الاعتبارات الصحيحة.

إنَّ الرجل الذي يحضر متأخِّرًا عن غيره، ثم يأبَى إلَّا أن يتصدَّر المجلس، وأن يفرض نفسه على مَن سبق إلى المكان؛ تنقبضُ منه الصدور، وتنفِر منه القلوب.

والإسلام حريصٌ على تجنُّب كل ما يؤدِّي إلى نفور الناس بعضهم من بعض، ولو كان في أبسط الأمور، فإنَّ الصغير يَجُرُّ إلى الكبيرَ، ومعظم النار من مستصغر الشرر.

لهذا جاء هذا التوجيه النبوي في موضعه من أدب الإسلام العام، فالمروي في السنن: أن رسول الله ﷺ كان يجلس حيث ينتهي به المجلس[1].

تقديم أهل الفضل والصلاح:

وإذا كان القادم يجلس حيث انتهى به المجلس، فإن على الجالسين عامَّة، ورئيس المجلس خاصَّة، أن يُقدِّم ذوي العلم والفضل والصلاح.

وقد كان النبي ﷺ يجلس حيث انتهى به المجلس، ولكنَّه حيث جلس يكون صدر ذلك المجلس، ويجلس الصحابة منه على مراتبهم، فأبو بكر يجلس عن يمينه، وعمر عن يساره، وبين يديه غالبًا عثمان وعلي؛ لأنهما كانا من كُتَّاب الوحي، ومن الصحابة المقرَّبين.

---

(١) رواه الطيالسي (٨١٧)، والبيهقي في الجمعة (٢٣١/٣)، وصحح إسناده النووي في خلاصة الأحكام (٢٧٥٧)، عن جابر بن سمرة بلفظ: كنا إذا أتينا رسول الله ﷺ جلسنا حيث ننتهي.

QaradawiBooks.com

وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنَّه كان يقول في صلاة الجماعة: «**لِيَلِنِي منكم أولو الأحلام والنُّهى، ثم الذين يَلُونَهم، ثم الذين يلونهم**»[(١)].

والصلاة هي صورة للحياة الإسلاميَّة، فما يجري فيها يجري في غيرها؛ ولهذا قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وإذا كان هذا أمره لهم في الصلاة أن يليه العقلاء منهم والعلماء، فبطريق أولى أن يكون ذلك في غير الصلاة[(٢)].

ـ التواضع للفقراء والضعفاء:

وينبغي للجالس مهما كان مركزه الاجتماعي: أن يتواضع لإخوانه، ولا ينظر إلى نفسه نظرة التفرُّد والاستكبار، وإلى غيره من الناس نظرة الازدراء والاحتقار، وبخاصة الفقراء والضعفاء، الذين لا يرتدون الملابس الفاخرة، ولا تحوطُهم المظاهرُ البرَّاقة، فإنَّ الناس لا يُقاسون بصورهم ومظاهرهم، بل بقلوبهم وأعمالهم، وأكرم الناس عند الله أتقاهم، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٣]. وفي الحديث الصحيح: «**رُبَّ أشعثَ أغبر، مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبرَّه**»[(٣)].

وقد قيل: إن قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [المجادلة: ١١]. نزلتْ في بعض أهل الغِنى، كانوا يكرهون أن يزاحمهم من يلبس الثياب الخشنة، فلا يُوسِعون لهم إذا أقبلوا[(٤)].

---

(١) رواه مسلم في الصلاة (٤٣٢)، وأحمد (٤٣٧٢)، وأبو داود في الصلاة (٦٧٤)، عن أبي مسعود البدري.

(٢) تفسير ابن كثير (٤٧/٨).

(٣) رواه مسلم في البر والصلة (٢٦٢٢)، عن أبي هريرة.

(٤) تفسير القرطبي (٢٩٩/١٧).

QaradawiBooks.com

وقد ورد أنَّ النبي ﷺ رأى رجلًا من الأغنياء، يقبض ثوبه نفورًا من بعض الفقراء، أراد أن يجلس إليه، فقال: «**أخشيت يا فلان أن يعدو غناك عليه، وأن يعدو فقره عليك؟!**»(١). وهو تنبيه لاذع، يكفي أن يسمعه المسلم فيرتدع عن مسلك المستكبرين.

ولقد عرض بعض سادة المشركين أن يدخلوا في الإسلام، على أن يجعل لهم النبي مجلسًا خاصًّا، غير مجلس الفقراء، وربما خطر ببال النبي ﷺ أن يستجيب لاقتراحهم، لمصلحة الدعوة، فأنزل الله وحيه بقوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهف: ٢٨]. فانظر كيف دافع الوحي الإلٰهي عن المستضعفين من الناس، ولم يبالِ بالكبراء الذين يملكون زينة الحياة الدنيا، وتتطلع إليهم الأعين، وتشرئب إليهم الأعناق.

ويومَ أعْرَضَ عليه الصلاة والسلام في مجلسه عن عبد الله بن أم مكتوم الأعمى، حيث كان مشغولًا ببعض كبار قريش، طامعًا في إسلامهم، بينما وكَلَ ابنَ أم مكتوم إلى إيمانه، نزل وحيُ الله يُعاتبه على ذلك عتابًا مُرًّا، ويترك لنا هذا النموذج القرآني الفريد في غضبة الحق لفقير أعمى، لم يتعمَّد النبي ﷺ أن يُسيء إليه، أو يَمَسَّ مشاعره بأذًى، ورغم القصد الشريف، والنيَّة الطيبة من الرسول ﷺ، نزلت الآيات الخالدة تلوم وتعاتب بأسلوبها المعجز الفذِّ؛ ليكون فيها درس وعبرة، لكلِّ من يؤذي إحساس فقير أو ضعيف، ولو بغير تعمُّد، بل ولو بقصد شريف: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝ فَأَنتَ

(١) رواه أحمد في الزهد (٢٠٧).

QaradawiBooks.com

لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۞ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۞ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۞ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۞ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۞ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۞ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ [عبس: ١ ـ ١٢].

غير مرخصة للطباعة

ـ لا تقوموا كما يقوم الأعاجم:

ومن أدب المجالس: ألا يقوم الجلوس لكلِّ قادم، ففي ذلك كثير مشقَّة على الحاضرين، وفي بعض المجالس الكبيرة يدخل كثير من الناس فُرادى، لحظةً بعد أخرى، فتراهم بين قِيامٍ وقعود، لا يفترون.

وقد جاء في السنن: أنَّه لم يكن شخصٌ أحبَّ إليهم من رسول الله ﷺ، وكان إذا جاء لا يقومون له، لما يعلمونه من كراهيته لذلك[(١)].

ولكن إذا كان القادم عائدًا من سفر أو غَيْبة، أو كان ضيفًا غريبًا، فهذا لا بأس بالقيام له تحيةً للعائد، وإكرامًا للضيف، ومثل ذلك الحاكم أو القاضي إذا حضر مجلس حكمه أو قضائه، كما تدل عليه قصة سعد بن معاذ، فإنه لما استقدمه النبي ﷺ حاكمًا في بني قريظة، فرآه مقبلًا، قال للمسلمين: «قوموا لسيِّدِكم»[(٢)]. وما ذاك إلَّا ليكون أنفذ لحكمه، كما قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ [(٣)].

ومن الناس من رخَّص في القيام لكل قادم، آخذًا من قوله ﷺ: «**قوموا لسيِّدكم**». والأَولَى أن يُحمل على ما ذكرناه، لتتفق الأحاديث ولا تتعارض، فأمَّا اتخاذ القيام دَيْدَنًا فهو من شعار الأعاجم.

---

(١) رواه أحمد (١٢٣٤٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والترمذي في الأدب (٢٧٥٤)، وقال: حسن صحيح. والبخاري في الأدب المفرد (٩٤٦)، وصحَّحه الألباني في صحيحة (٣٥٨)، عن أنس.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠٤٣)، ومسلم (١٧٦٨)، كلاهما في الجهاد والسير، عن أبي سعيد الخدري.

(٣) تفسير ابن كثير (٣٩٨/٦).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وإذا كان في الناس من رخَّص في القيام للقادم، فإنَّ الذي لا يُرخِّص فيه أحد، أن يعلق المسلم همَّه بقيام الناس له في المجالس والطرقات، فقد قال رسول الله ﷺ: «**من سرَّه أن يَمثُل له الرجال قيامًا، فليتبوَّأ مقعده من النار**»[١].

ـ من جلس في موضع فهو أحق به:

ومن الأحكام والضوابط التي وضعها النبي ﷺ للمجالس: أن من جلس في موضع فهو أحق به، تبعًا للقاعدة العامة: من سبق إلى مباح لم يتعلَّق به حق غيره، فهو أحق به، ولا يجوز انتزاعه منه.

فإذا قام الجالس من مكانه لحاجة عارضة ثم عاد، فهو أحقُّ بمكانه، وفي ذلك روى مسلم عن أبي هريرة، أنَّ النبي ﷺ قال: «**إذا قام أحدُكم مِن مجلسه ثم رجع إليه، فهو أحقُّ به**»[٢].

قال القرطبي: «قال علماؤنا: هذا يدل على صحَّة القول بوجوب اختصاص الجالس بموضعه إلى أن يقوم منه؛ لأنَّه إذا كان أولى به بعد قيامه، فقبله أولى به وأحرى، وقد قيل: إن ذلك على الندب؛ لأنَّه موضع غير متملك لأحد، لا قبل الجلوس ولا بعده. قال: وهذا فيه نظر، وهو أن يقال: سلمنا أنَّه غير متملك، لكنَّه يختص به إلى أن يفرغ منه، فصار كأنَّه يملك منفعته؛ إذ قد منع غيره من أن يزاحمه عليه، والله أعلم»[٣].

---

(١) رواه أحمد (١٦٩١٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (٥٢٢٩)، والترمذي (٢٧٥٥)، وقال: حديث حسن. كلاهما في الأدب، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٣٥٧)، عن معاوية بن أبي سفيان.

(٢) رواه مسلم في السلام (٢١٧٩)، وأحمد (٧٨١٠)، عن أبي هريرة.

(٣) تفسير القرطبي (٢٩٨/١٧).

QaradawiBooks.com

ـ افسحوا يفسح الله لكم:

ومع أحقِّيَّة الجالس بموضعه، فإن من واجب الجالسين أن يفسحوا للقادم، ولا تضيق به صدورُهم مهما ضاق المكان، فإنَّ المكان لا يضيق إلَّا إذا ضاقت الأنفس، وضاقت القلوب والصدور بالأنانية وحُبِّ الذات، أو العداوة والبغضاء؛ ولهذا يقول العامة في مصر: جحر ديب، يسع مائة حبيب. وسمعت العامة في الشام يقولون: بيت ضيق، يسع ألف صديق.

قال الشاعر من قديم:

سـمُّ الخياط مع الأحبابِ ميـدانُ![١]

وقال آخر:

لعَمْرُك مـا ضاقتْ بـلادٌ بأهلِها ولكنَّ أخـلاقَ الرجـالِ تَضِيقُ[٢]

وهذا إشارة إلى أن سَعَة النفس يتَّسع بها المكانُ الضيِّق.

ولقد جاء القـرآن الكريم يُوصي بهـذا الأدب، ويُعلِّله بما يشـرح الصدور، ويفتح القلوب، وهنا يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ [المجادلة: ١١].

وهو وعد من الله لمن فسـح لأخيه أن يَفسح الله له في صدره، وفي عيشه، وفي قبره، وفي دنياه، وفي آخرته، والجزاء من جنس العمل، فمن وسَّعَ، وسَّعَ اللهُ عليه، ومن يسَّـر، يسر الله له، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

---

(١) عجز بيت لابن أبي حجلة، وصدره: ما ضرني ضيق عيشي حين واصلني.
انظر: ديوان الصبابة صـ ١٤٨، نشر دار مكتبة الهلال للطباعة والنشر، ١٩٨٤م.

(٢) من شـعر عَمْرو بن الأهْتَم، كمـا في المفضليـات صـ ١٢٧، تحقيق: أحمد محمد شـاكر وعبد السلام محمد هارون، نشر دار المعارف، القاهرة، ط٦.

QaradawiBooks.com

ـ لا يُقِمِ الرجلُ الرجلَ من مجلسه ليجلس فيه:

وإذا كان التفسُّح في المجالس مطلوبًا ومحمودًا، فليس مطلوبًا من الرجل أن يقوم مِن مجلسه ليُجلس فيه غيره، فإنَّ السابق إلى المكان أحقُّ به كما ذكرنا. وفي الحديث: «**لا يقوم الرجلُ للرجلِ مِن مجلسه، ولكنِ افْسَحوا يفسح الله لكم**»(١).

فإذا قام الجالس من مكانه برضاه واختياره لغيره، احترامًا وتوقيرًا لسِنِّه أو علمه أو فضله أو دينه، فهو صاحب الحق، وقد تنازل عنه، وإن كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يكره أن يقوم الرجل من مجلسه ثم يجلس مكانه(٢). وهذا من شِدَّة ورعه رضي الله عنه ؛ لأنَّه قد روى عن النبي ﷺ، أنَّه قال: «**لا يُقِمِ الرجلُ الرجلَ من مجلسه، فيجلس فيه، ولكن تفسَّحوا أو توسَّعوا**»(٣).

غير أن لفظ هذا الحديث هو النهي أن يُقيم الرجلُ أخاه من مجلسه، كما قد يفعل بعض الرجال المتغطرسين والمتسلطين مع ضعفاء الناس. فأمَّا أن يقوم المرءُ لصاحبه بإرادته، فأمر آخر غير ما في الحديث.

كما أن مِن حقِّ رئيس المجلس إذا كثُر القادمون، وضاق بهم المكان، وخصوصًا في مثل عصرنا الذي يجلس فيه أكثر الناس على مقاعد مفردة، لا تتَّسع إلَّا لجالس واحد: من حقه أن يشير بأدب ورفق إلى بعض الحاضرين: كأقاربه وجيرانه وتلاميذه وصغار السن ونحو ذلك، أن يتركوا أماكنهم ليتَّسع المكان لغيرهم، ولا سيما من أطال منهم الجلوس

---

(١) رواه أحمد (٨٤٦٢)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وابن أبي شيبة في مصنفه في الأدب (٢٥٥٧٩)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري في الاستئذان (٦٢٧٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الاستئذان (٦٢٦٩)، ومسلم في السلام (٢١٧٧).

QaradawiBooks.com

من قبل، ولعل هذا يدخل ضمن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾ [المجادلة: ١١]. فهو نشوز جزئي ينبغي أن يُطاع، ولا غضاضة فيه، ولا يدخل هذا في النهي الوارد في حديث: «**لا يُقِم الرجلُ الرجلَ**»؛ لأنَّ النهيَ منْصبٌّ على من يُقيمه ليجلس في مكانه، أمَّا هنا فهو يقيمه ليُجلِس فيه قادمًا أحق به.

ـ لا يفرق بين اثنين إلَّا بإذنهما:

ومن أدب المجالس الذي نبَّه عليه النبي ﷺ: ألَّا يُفرِّقَ الداخلُ بين اثنين، إلَّا أن يستأذنهما فيأذنا له، فإن مِن الناس مَن يحب أن يجلس إلى جوار فلان، ولا يحب أن يجاور فلانًا آخر. فإذا اختار رجلان أن يتجاورا في مجلس بدافع من صداقةٍ أو قرابة أو زمالةٍ أو ابتغاء مصلحة أو نحو ذلك، فهما وما اختارا، فلا ينبغي لمن دخل عليهما أن يفصل بينهما إلَّا بإذن أو ضرورة.

روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يحِلُّ لرجل أن يُفرِّق بين اثنين إلَّا بإذنهما**»[(١)].

ويستحب لمن جلس بين اثنين إذا فسحَا له وأَكْرماه بذلك: أن يجمع نفسَه ولا يتربَّع. قال ابن الأعرابي: قال بعض الحكماء: اثنان ظالمان: رجلٌ أُهديتْ له نصيحةٌ، فاتخذها ذنبًا! ورجلٌ وسِّع له في مكان ضيِّقٍ فقَعَدَ متربِّعًا[(٢)].

---

(١) رواه أحمد (٦٩٩٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود (٤٨٤٥)، والترمذي (٢٧٥٢)، وقال: حديث حسن. كلاهما في الأدب. والبخاري في الأدب المفرد (١١٤٢)، وحسَّنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٨٧٥)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) من كتاب أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني صـ ١٣٢.

QaradawiBooks.com

وإذا جلستَ إليهما فلا تُلقِ بسمعك إلى حديثهما، إلَّا إذا كان غيرَ سرٍّ ولا خاصٍّ بهما، فإن تطلُّعك إلى ذلك عيبٌ في أخلاقك، وسيِّئة ترتكبها، قال سيدنا رسول الله ﷺ: «**مَن استمع إلى حديث قومٍ وهم له كارهون، صُبَّ في أُذُنَيْه الآنُك يوم القيامة**»[١]. أي: الرصاص المُذاب.

ـ لا يتناجى اثنان دون الثالث:

ومن جميل الأدب في المجالس: ألا يتناجى اثنان، ويتسارَّا الحديثَ بينهما، ومعهما ثالث، لا يباليان به، فإن ذلك يُوحِش صدره، ويجْرح شعوره، ويُحزن نفسه، وهو مدخل من مداخل الشيطان ليزعزع الثقة، ويُوقع في الشك، ويُشيع الوساوس والهواجس بين الناس.

من أجل ذلك نفى رسول الله ﷺ هذا الخلق عن المسلمين نفيًا، فقد روى أحمد والشيخان، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما، فإن ذلك يحزنه**»[٢].

وفي رواية أحمد: «**فلا يتناجى اثنان دونَ الثالثِ إلَّا بإذنه**»[٣].

والمسلم مأمور أن يُدخِل السرورَ على قلب أخيه، لا أن يسوق إليه ما يُحزنه، فقد يظن في نفسه أنهما يتحدَّثان عنه بما يكره، أو لم يرياه أهلًا لأن يُشركاه في الحديث... إلى غير ذلك من أحاديث النفس، وأُلْقِيات الشيطان، وإنَّما حصل ذلك من كونه وحده، فإذا كان معه غيره أمِن ذلك.

---

(١) رواه البخاري في التعبير (٧٠٤٢)، وأحمد (١٨٦٦)، عن ابن عباس.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الاستئذان (٦٢٩٠)، ومسلم في السلام (٢١٨٤).

(٣) رواه أحمد (٦٣٣٨).

QaradawiBooks.com

وعلى هذا يستوي في ذلك كلُّ الأعداد، فلا يتناجَ أربعة دون واحد، ولا عشرة دون واحد؛ لأن سبب النهي قائم، بل وجوده في العدد الكثير أمكن وأوقع ـ كما قال القرطبي[١] ـ فيكون بالمنع أولى. وإنَّما خُصَّ الثلاثة بالذكر؛ لأنَّه أولُ عددٍ يتأتَّى ذلك المعنى فيه، والانفراد فيه أقرب.

ـ تشْمِيتُ العاطس:

ومن المجاملات الرقيقة المتصلة بأدب الزيارة والمجالس التي جاء بها الإسلام: تشميت من عطس في المجلس، حتى جعله حقًّا للمسلم على المسلم، لا ينبغي التفريط فيه، وفي الصحيح: «**حقُّ المسلم على المسلم ستٌّ**»، وذكر منها: «**إذا عطس فشمِّتْه**»[٢].

والتشميت هو الدعاء للعاطس بالرحمة، بأن يقول له: يرحمك الله. وذلك بشرط أن يبدأ العاطس بحمد الله، ففي الحديث الصحيح: «**إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمِّتوه، فإن لم يحمد الله فلا تشمتوه**»[٣].

وفي الحديث: «**إنَّ الله يحب العُطاس، ويكره التثاؤب، فإذا عطس أحدُكم وحَمِدَ اللهَ، كان حقًّا على كل مسلم سمعه أن يقول: يرحمك الله. وأمَّا التثاؤب فهو من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم، فليردّه ما استطاع، فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان**»[٤].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٢٩٥/١٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٢٤٠)، ومسلم في السلام (٢١٦٢)، عن أبي هريرة. وفي البخاري: «خمس» بدل «ست».

(٣) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٢٩٩٢)، وأحمد (١٩٦٩٦)، عن أبي موسى.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٢٢٣)، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٩٤).

QaradawiBooks.com

وإنَّما نُسب التثاؤب إلى الشيطان؛ لأنَّه من مظاهر الكسل والوخَم، ومن أسبابه: الإسراف في الشبع، كما أن مظهر المتثائب ليس ممَّا يُستحبُّ، والتثاؤب في العادة يُعدي، فإذا بدا رجل يتثاءب في مجلس، وخصوصًا إذا تكرر منه. فسرعان ما ترى جيرانه عن يمين وشمال يتثاءبون، كما قال الشاعر:

تثاءب عمرٌو إذْ تثاءبَ خالدٌ بعَدْوَى فما أَعْدَتْنِيَ الثُّؤَباءُ[١]

ولهذا كان الأولى أن يردَّه ما استطاع، بخلاف العُطاس، فإن فيه راحة.

آداب العاطس ومَن سمعه:

فأول ما يُشرع للعاطس: أن يحمدَ الله تعالى، فيقول: «الحمد لله»، أو «الحمد لله على كل حال»، أو «الحمد لله رب العالمين»، كما جاءت بذلك الأحاديث، وهو ما اتُّفِق على استحبابه، كما قال النووي[٢].

ويجب على العاطس بعد تشميته أن يردَّ قائلًا: «**يَهديكم الله ويصلحُ بالكم**».

روى البخاري، عن أبي هريرة مرفوعًا: «**إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله. وليقُل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله. فإذا قال: له يرحمك الله، فليقلْ: يهديكم الله ويُصلِحُ بالكم**»[٣]. وبهذه الكلمات الطيبة

(١) من شعر أبي العلاء المعري، اللزوميات (٣٤/١).

(٢) رياض الصالحين للنووي صـ ٢٨٠، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

(٣) رواه البخاري في الأدب (٦٢٢٤)، وأحمد (٨٦٣١)، وأبو داود في الأدب (٥٠٣٣)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

المتبادلة، يشيع جو من المودَّة والحب، كما يشيع جو من الربَّانية بحمد الله وذكره ودعائه.

غير مرخصة للطباعة

استحباب خفض العاطس صوته ما استطاع:

ومن آداب العاطس: أن يخفِضَ بالعطاس صوتَه، لئلَّا يُزعج أعضاءه، ولا يزعج جلساءه، وأن يرفعه بالحمد، ليسمع مَن حوله، وأن يغطِّي وجهه؛ لئلَّا يبدو من فيه أو أنفه ما يؤذي جلساءه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا عطس، وضع يده على فيه، وخفض صوته[1].

وفي عصرنا تيسَّر لكل الناس وجود المناديل الورقية الناعمة، التي يستطيع كل إنسان أن يستخدمها في حالة العطاس بدل استعمال يده، التي قد يلوِّثُها العطاس.

حكم تشميت العاطس:

ثم يجب على مَن سمِعَ العاطس يحمدُ اللهَ تعالى: أن يشمِّته، أي: يدعو له بقوله: «يرحمك الله». كما في حديث عائشة عند أحمد وأبي يعلى: «**إذا عطس أحدُكم فليقل: الحمد لله. وليقُلْ مَن عنده: يرحمُك الله**»[2].

وهذا من حقِّ المسلم على المسلم، والظاهر أنَّه واجب عليه، كما أكَّدتْ ذلك عِدة أحاديث، بعضُها جاء بلفظ الوجوب الصريح:

---

(١) رواه أحمد (٩٦٦٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي. وأبو داود (٥٠٢٩)، والترمذي (٢٧٤٥)، وقال: حسن صحيح. والحاكم (٢٩٣/٤)، وصحح إسناده ووافقه الذهبي، ثلاثتهم في الأدب.

(٢) رواه أحمد (٢٤٤٩٦)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن بشواهده، وأبو يعلى (٤٩٤٦)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٩٠٣): فيه أبو معشر نجيح، وهو لين الحديث، وبقية رجاله ثقات.

نسخة مميزة

QaradawiBooks.com

«**خمْسٌ تجبُ للمسلم على المسلم**»[١]. وبعضُها بلفظ «الحق»[٢] الدال عليه: «**حقُّ المسلم على المسلم ستٌّ**»[٣]. وبلفظ «على» الظاهر فيه، وبصيغة الأمر التي هي حقيقةٌ فيه عند الجمهور، وبقول الصحابي: «أمرنا رسول الله ﷺ». ولا ريب أنَّ الفقهاء ـ كما قال ابن القيم ـ أثبتوا وجوبَ أشياءَ كثيرةٍ بدون مجموع هذه الأشياء

وقد قال جمهور أهل الظاهر وجماعة من العلماء بوجوب تشميت العاطس.

وذهبت جماعة إلى أنَّ التشميت: فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقين، ورجَّحه ابنُ رشد، وابن العربي من المالكية، وقال به الحنفية وجمهور الحنابلة.

وذهب جماعة من المالكية إلى أنَّه مُستحبٌّ، ويجزئ الواحد عن الجماعة، وهو قول الشافعية.

والراجح من حيث الدليل القول الثاني، كما قال ابن حجر، وأمَّا الأحاديث الصحيحة الدالة على الوجوب، فلا تنافي كونه على الكفاية؛ فإنَّ الأمر بتشميت العاطس، وإن ورد في عموم المكلفين، ففرضُ الكفاية يُخاطب به الجميع على الأصحِّ، ويسْقطُ بفعل البعض[٤].

---

(١) رواه مسلم في السلام (٢١٦٢) (٤)، وأبو داود في الأدب (٥٠٣٠)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٨٣٩٧)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن. وابن ماجه في الجنائز (١٤٣٥)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٥١)، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**خمس من حق المسلم على المسلم: رد التحية...**».

(٣) رواه مسلم في السلام (٢١٦٢) (٥)، وأحمد (٨٨٤٥)، عن أبي هريرة.

(٤) انظر: فتح الباري (٦٠٣/١٠).

QaradawiBooks.com

من يُستثنى من عموم الأمر بالتشميت:

ويستثنى من عموم تشميت العاطس عدة أصناف، وهي:

ـ **مَن لمْ يحمدِ الله** بعد العطاس، فشرط التشميت الحمدُ، وقد روى البخاري، عن أنس قال: عطس رجلان عند النبي ﷺ، فشمَّت أحدهما، ولم يشمِّت الآخر، فقيل له، فقال: «**هذا حَمِدَ الله، وهذا لم يَحْمَدِ الله**»[(١)]. وهذا حكم مُجْمع عليه.

ـ **المزكوم** إذا تكرر منه العطاس فزاد على ثلاث مرات، وذلك أنَّ المزكوم قد يتكرر منه العطاس مرات كثيرة، فيشُقُّ على جليسه أن يشمته في كل مرة.

وإذا لم يدع له بالدعاء المشروع للعاطس، فلا بأس أن يدعو له بدعاء يلائمه، كأن يدعو له بالعافية والشفاء، وما هو من هذا القبيل.

ـ **الكافر**، فعن أبي موسى الأشعري قال: كانت اليهود يتعاطسون عند النبي ﷺ رجاء أن يقول: يرحمكم الله. فكان يقول: «**يهديكم اللهُ ويُصْلِحُ بالكم**»[(٢)]. وهذا يعني أن لهم تشميتًا مخصوصًا، وليسوا مستثنين من مطلق التشميت.

ـ **من عطس والإمام يخطب يوم الجمعة**: لِمَا ورد مِن منْع الكلام والإمام يخطب، وإمكان تدارك التشميت بعد فراغ الخطيب.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٢٢١)، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٩١)، عن أنس.

(٢) رواه أحمد (١٩٥٨٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (٥٠٣٨)، والترمذي (٢٧٣٩)، وقال: حسن صحيح. كلاهما في الأدب، عن أبي موسى الأشعري.

QaradawiBooks.com

وجوب رد العاطس على من شمته:

ويجب على العاطس أن يردَّ على من شـمَّته فدعـا له بالرحمة، أن يدعو له بالهداية وصـلاح البال، كما جاء في حديـث أبي هريرة، عند البخاري وغيره: «**إذا عطس أحدكم، فليقل: الحمد لله. وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله. فـإذا قال لـه: يرحمك الله، فليقـل: يهديكم الله ويُصْلِـح بالَكـم**»[(١)]. أو يدعـو له ولنفسـه بالمغفرة، كمـا في حديث ابن مسعود: «**يغفر الله لنا ولكم**»[(٢)].

وأجاز بعض العلمـاء الجمع بين الصيغتين، وقـد أخرج مالك في الموطَّأ عن نافع عن ابن عمر أنَّـه كان إذا عطس، فقيل له: يرحمك الله. قال: يرحمنا الله وإياكم، ويغفر الله لنا ولكم[(٣)].

وجه الحكمة في حمد العاطس وتشميته:

لا يشرع الإسلام شيئًا إلَّا لحكمة، قد تظهر لبعض النَّاس، وقد تخفى على آخرين، وقد تخفى على الجميع، امتحانًا من الله لعباده.

ولا حرَج على المسلم أن يلتمس حكمةَ ما شرَعه الله تعالى عند أهل الذكر وأولي العلـم، إذا لم يعلمها هو، ولنا أن نسـتجليَ وجْه الحكمة والمصلحة في ذلك، وهي في الواقع تتجلى في ثلاثة أمور:

---

(١) سبق تخريجه صـ٦٠٧.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٩٣٤)، والحاكم في الأدب (٢٦٦/٤)، وقال: هذا المحفوظ من كلام عبد الله إذا لم يسنده من يعتمد روايته. والبيهقي في الشعب (٨٩٠٣)، وقال عقبه: هذا موقوف، وهو الصحيح، وروي مرفوعًا.

(٣) رواه مالك (٩٦٥/٢)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، وقـال الأرناؤوط في تخريج الأذكار صـ ٢٧١: إسناده صحيح.

QaradawiBooks.com

أولًا: ربط المسلم بربه في كل أمور حياته:

إن اتِّجاه الإسلام في آدابه عامَّةً ربطُ المسلم بالله في كل أحيانه، وعلى كافَّة أحواله، وهو ينتهز لذلك الفُرص الطبيعيَّة، والمناسبات العاديَّة، التي من شـأنها أن تحدث وتتكرَّر كل يوم مرة أو مرات، ليذكِّر المسلمَ بربه، ويصِلَه بحبله، فيذْكُره تعالى مسبِّحًا أو مهلِّلًا أو مكبِّرًا أو حامدًا أو داعيًا.

وقال ابن أبي جمرة في شرح حديث العطاس: «وفيه إشارة إلى عظيم فضل الله على عبده، فإنه أذهب عنه الضرر بنعمة العطاس، ثم شـرع له الحمد الذي يُثاب عليه، ثم الدعاء بالخير بعد الدعاء بالخير، وشرع هذه النعم المتواليات في زمن يسير، فضلا منه وإحسانًا»[(١)].

ثانيًا: ربط المسلم بإخوانه في المجتمع:

كما تحرص الآدابُ الإسـلاميَّة على ربط المسـلم بربِّه الذي خلقه فسـوَّاه، تحرص من جهة أخرى على ربط المسـلم بإخوانه المسلمين، فلا عجب أن جـاء أدب العُطاس في هـذا الخطِّ، ليُقرَّ لونًـا من ألوان المجاملة الاجتماعيَّـة الطيِّبة، التي تُنافي الجفْـوة والتقاطع والهجران، وتثبت معاني التواصل والمودَّة والرحمة.

قال ابن دقيق العيد: «ومِن فوائد التشميت: تحصيل المودَّة، والتأليف بين المسلمين، وتأديب العاطس بكسر النَّفْس عن الكبر، والحمْل على التواضع، لما في ذكر الرحمة من الإشـعار بالذنب الذي لا يَعْرَى عنه أكثر المكلّفين»[(٢)].

وكلها معانٍ إنسانيَّة جميلة.

---

(١) فتح الباري (٦٠٩/١٠، ٦١٠).

(٢) المصدر السابق (٦٠٢/١٠).

QaradawiBooks.com

ثالثًا: إبطال اعتقادات الجاهلية:

إنَّ الإسلام قد جاء في هذا الأدب بما أبطل اعتقادات الجاهلية، التي لم تقُم على أساس مِن عقل أو نقل، وما نشأ عن هذه الاعتقادات من عادات مستقبحة في الفطرة، ضارة بالحياة، فقد ذكر العلامة ابن القيم: أن أهل الجاهلية كانوا يتطيَّرون به، ويتشاءمون منه، كما يتشاءمون بالبوارح والسوانح، قال رؤبة بن العجاج يصف فَلَاةً:

قطعتُها ولا أهابُ العطاسا!

وقال امرؤ القيس[1]:

وقد أغتدِي قبل العُطاس بهيكل شديد مشكِّ الجنب فَعْمِ المُنَطَّق

أراد أنَّه كان ينتبه للصيد قبل أن ينتبه الناسُ مِن نومهم، لئلَّا يسمع عاطسًا، فيتشاءم بعُطاسه.

وكانوا إذا عَطَس مَن يحبونه، قالوا له: عُمْرًا وشبابًا. وإذا عطس مَن يبغضونه، قالوا له: وَرْيًا وقُحابًا، والوَرْي ـ كالرمْي ـ داءٌ يُصيب الكبد فيفسدها. والقُحاب: كالسُّعال وزنًا ومعنى. وكان الرجل إذا سمع عطاسًا يتشاءم به، يقول: بك لا بي! أي: إنِّي أسال الله أن يجعل شؤمَ عطاسِك بك لا بي، وكان تشاؤمهم بالعطسة الشديدة أشدَّ.

فلما جاء الله سبحانه بالإسلام، وأبطل برسوله ﷺ ما كان عليه الجاهلية من الضلالة، نهى أمَّته عن التشاؤم والتطيُّر، وشرَعَ لهم أن يجعلوا مكان الدعاء على العاطس بالمكروه الدعاء له بالرحمة.

---

(١) في ديوانه صـ١٣٠، تحقيق عبد الرحمن المصطاوي، نشر دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤ م .

QaradawiBooks.com

ولما كان الدعاء على العاطس نوعًا مِن الظُّلم والبغْي، جعل الدعاء له بلفظ «الرحمة» المنافي للظلم، وأمَرَ العاطس أن يدعو لمشمِّته بالمغفرة والهداية وإصلاح البال. فيقول: يغفر الله لنا ولكم، أو يهديكم الله ويصلح بالكم، فأمَّا الدعاء بالهداية: فلمّا أن اهتدى إلى طاعة الرسول، ورغِبَ عمَّا كان عليه أهل الجاهلية، فدعا له أن يثبِّته الله عليها، ويهديه إليها، وكذلك الدعاء بإصلاح البال، وهي حكمة جامعة لصلاح شأنه كله، وهي مِن باب الجزاء على دعائه لأخيه بالرحمة، فناسب أن يجازيَه بالدعاء له بإصلاح البال، وأمَّا الدعاء بالمغفرة: فجاء بلفظ يشمل العاطس والمشمِّت: «يغفر الله لنا ولكم»، ليستحصل مِن مجموع دعوتَي العاطس والمشمِّت له: المغفرة والرحمة لهما معا»[1].

ومن اللطيف هنا: أن هذا الدعاء الجميل، مقتبس من القرآن الكريم، ممَّا جزى الله به الشهداء، الذين قُتلوا في سبيل الله، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ﴾ [محمد: ٤ ـ ٥]. فأخذ الرسول الكريم هذه العبارة من هذه الآية، وما أعظم أن ينال المشمّت دعاءَ أن يَمُنَّ الله عليه ببعض ما يجزي به الشهداء!

ـ الحديث بما يناسب المقام:

ومن أدب المجلس: «إذا تحدَّثتَ عند مَن تزوره، فلا تتحدَّث إلَّا بما يناسب المقام مع الإيجاز، وإذا كنتَ صغيرَ القوم في المجلس، فلا تتكلَّم إلَّا إجابةً عن سؤال يُوجَّه إليك من أحد الجالسين، إلَّا إذا علمتَ أن حديثك وكلامكَ سيقع منهم في موقعه، ويسرُّهم ويرضيهم، ولا تُسهبْ في الحديث، ولا تغفُلْ عن أدب المقام في هيئة جلوسِكَ وأسلوب كلامك وخطابك»[2].

(١) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/٢٧٦، ٢٧٧).

(٢) من أدب الإسلام صـ ١٧، ١٨.

QaradawiBooks.com

ـ لا يؤذي الجلوس بما يكرهون:

ومن أدب المجالس: ألا يؤذي المرءُ الجالسين بشيء يكرهونه مِن منظرٍ تنْأَى عنه الأبصار، أو كلامٍ تستهجنه الأسماع، أو رائحة تنبو عنها الأنوف، أو تصرُّف تشمئز منه النفوس.

ومن هنا لا ينبغي أن يذهب المرء إلى المجالس بثياب مهنته القذرة باسم التواضع، فقد أمر النبي ﷺ المسلم أن يتخذ لصلاة الجمعة وما شابهها ثوبًا غير ثوب مهنته[(١)]، وجاء في كتاب الله هذا الأدب الإلٰهي الإنساني العام: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١]. ويقاس على المساجد كل المجالس العامة التي يتجالس فيها الناس.

كما لا ينبغي أن يأكل الثومَ أو البصل، أو الفجلَ أو الكُرَّاث، وما شابه ذلك من ذوات الروائح الكريهة، ثم يمضي ليجلس في صُرَّة المجلس ولا يبالي، فقد أمر النبي ﷺ من أكل شيئًا من ذلك أن يعتزل المسجد، وحرمه من شهود الجماعة، حتى لا يؤذي جيرانه من المصلين[(٢)]، إلَّا أن يزيل هذه الرائحة بغسل الأسنان ونحو ذلك.

ومن ذلك التجشُّؤ، فقد روى أبو جُحَيْفة قال: أكلتُ ثريدًا، وأتيتُ النَّبيَّ ﷺ، فتجشَّأْتُ عنده، فقال: «**يا أبا جُحَيْفة، إنَّ أطول الناس جوعًا يوم القيامة أكثَرهم شِبَعًا في الدنيا**»[(٣)].

(١) إشارة إلى حديث: «ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة، سوى ثوب مهنته». وقد سبق تخريجه صـ٣٠٣.

(٢) إشارة إلى الحديث المتفق عليه: «**من أكل من هذه الشجرة** ـ يعني الثُّوم ـ **فلا يقربنَّ مسجدنا**». رواه البخاري في الأذان (٨٥٣)، ومسلم في المساجد (٥٦١)، عن ابن عمر.

(٣) رواه البزار (٤٢٣٦، ٤٢٣٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٢٨١): رواه البزار بإسنادين، ورجال أحدهما ثقات.

QaradawiBooks.com

ـ حفْظ سرِّ الجليس:

ومن أدب المجالس: أن يحفظ الرجلُ سرَّ جليسه، فلا يبوح به لأيِّ امرئٍ مهما كان ثقةً عنده، إذا استكتمه صاحبُه ذلك بصريح القول، أو بدلالة الحال.

جاء في الحديث: «**إنَّما يتجالس المتجالسان بالأمانة، فلا يحلُّ لأحد أن يفشيَ على صاحبه ما يكره**»[(١)]. فإن علم أنَّه لا يكره ذلك جاز الإفشاء، كما هو مفهوم الحديث.

وفي حديث آخر: «**إذا حدث الرجل بالحديث ثم التفتَ، فهي أمانة**»[(٢)]. فالتفاته يَمْنَةً ويَسرةً يدل على احترازه من مشاركة غيرِه معرفةَ هذا السرِّ.

وهذا ما لم يكن هذا السر متعلِّقًا بحقِّ فردٍ آخر، أو حق جماعةٍ من الناس، وكان كتمان هذا السرِّ يعرِّض هذا الغير لضرر في النفس أو العرض أو المال، أو نحوها، فالواجب هنا إفشاء السرِّ لمن يهمُّه الأمر، ويقدر على تلافي المنكر، أو إزالته، أو العقوبة عليه.

فمن علم بتدبير جريمة، أو اتفاق سريٍّ على عدوان، ولم يبلِّغ عنه، حفظًا لسرِّ جليس استكتمه، فهو شريك له في إثم الجريمة والعدوان، ولو بلَّغ لكان خيرًا للمعتدَى عليه والمعتدي معًا.

ومن السر ما يجب كتمانه ولو بعد موت صاحبه، كأن يكون فيه غضاضة على بعض الأحياء، ونحو ذلك من الاعتبارات.

---

(١) رواه عبد الرزاق في جامع معمر (١٩٧٩١)، والبيهقي في الآداب (١٠٦)، وقال: هذا مرسل حسن في هذا المعنى. عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم.

(٢) رواه أحمد (١٥٠٦٢)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. وأبو داود في الأدب (٤٨٦٨)، والترمذي في البر والصلة (١٩٥٩)، وقال: حديث حسن. وحسَّنه الألباني في الصحيحة (١٠٩٠)، عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

روى الشـــيخان، عن أنس بن مالك أنَّه قال: أسرَّ إليَّ النبيُّ ﷺ سرًّا، فما أخبرت به أحدًا بعده، ولقد سألتني أمُّ سُلَيْم ـ يعني أمَّه ـ فما أخبرتُها به. وقد قال أنس لثابت البناني تلميذِه وصاحبِه: والله لو حدَّثتُ به أحدًا لحدَّثتُك يا ثابت[1].

ومن السرِّ ما يجوز إفشاؤه بعد موت مُسرِّه، إذا لم يكن فيه غضاضة عليه، ولا مضرَّة على أحد.

فمن الأول: ما روى البخاري في صحيحه، عن عائشـــة أم المؤمنين، قالت: كنا أزواج النبي ﷺ عنـــده جميعًا، لم تُغادر منَّـــا واحدة، فأقبلتْ فاطمة عليها السلام تمشي، ولا والله لا تخفَى مِشـــيتُها مِن مِشية رسول الله ﷺ، فلمَّا رآها رحَّب، وقال: «**مرحبًا يا ابنتي**». ثم أجْلســـها عن يمينه، أو عن شماله، ثم سارَّها، فبكتْ بكاءً شديدًا، فلمَّا رأى حُزنها سارَّها الثانية، فإذا هي تضحك، فقلتُ لها أنا من بين نسائه: خصَّك رسول الله ﷺ بالسر من بيننا، ثم أنت تبكين! فلما قام رسول الله ﷺ، سألتُها عما سارَّك؟ قالت: ما كنت لأفشـــي على رســـول الله ﷺ ســـرَّه، فلمَّا تُوفِّي قلتُ لها: عزمتُ عليك، بما لي عليك من الحـــق، لَمَا أخبرتِني. قالـــت: أمَّا الآن، فنعم. فأخبرتني، قالت: أمَّا حين سارَّني في الأمر الأول، فإنه أخبرني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل ســـنة مرة، وإنَّه قد عارضني به العام مرتين، ولا أرى الأجل إلَّا قد اقترب، فاتَّقِي الله واصبري، فإني نعْم السَّلف أنا لكِ.

قالتْ: فبكيت بكائي الذي رأيتِ، فلمَّا رأى جزعي ســـارَّني الثانية، قال: «**يا فاطمة، ألا ترضَيْنَ أن تكوني سيدةَ نســـاء المؤمنين**» أو «**سيدةَ نساء هذه الأُمَّة**»[2].

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الاستئذان (٦٢٨٩)، ومسلم في الفضائل (٢٤٨٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الاستئذان (٦٢٨٥)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٥٠).

QaradawiBooks.com

فهذا من السرِّ الذي يجوز بعد الموت ذكرُه؛ إذ لا غضاضة ولا ضرر فيه على أحد.

ومن السر ما يُستحبُّ ذكره بعد الموت، ولو كرهه صاحب السر في حياته، كأن يكون فيه تزكية لـه، مِن منقبة أو كرامة أو نحو ذلك، بل قد يجب ذكره كما قال الحافظ ابن حجر، كحقٍّ عليه كان يُعذر بترك القيام به، فيُرجَى بعدَه إذا ذُكر لمَن يقومُ به عنه أن يفعل ذلك[١].

ـ إلقاء السلام عند الحضور والانصراف:

«ومن أدب المسلم إذا دخل إلى مجلسٍ أن يبدأ بالسلام على مَن فيه جميعًا، وإذا أراد المصافحة لمن فيه، فليبدأ بالأفضل، أو الأعلم، أو الأتقى، أو الأكبر، أو نحو هذا من الصفات المكرَّمة شرعًا، ولا يبدأ بأول مَن يراه في أول الصفِّ، ولو كان من جهة اليمين إذا كان مفضولًا، ويدع الفاضل أو الأفضل، فإنما يُبدأ بصاحب وصفٍ يفضُل به الحاضرين، فإن لم يعرف فيه أفضلَهم، أو تساووا في الفضل، فليبدأْ بأكبرهم، فإن هذا لا يخفى شأنه غالبًا، وقد قال رسول الله ﷺ: «**كبِّر كبِّرْ**»[٢]. وفي رواية: «**كبِّرْ الكُبْرَ في السن**»[٣]. وقال أيضًا عليه الصلاة والسلام: «**وابدؤوا بالكبراء**». أو قال: «**بالأكابر**»[٤]»[٥].

---

(١) فتح الباري (٨٢/١١). كأن يكون ينفق على بعض الفقراء في السر أو ما شابه.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الجزية (٣١٧٣)، ومسلم في القسامة (١٦٦٩)، عن سهل بن أبي حثمة.

(٣) رواه مسلم (١٦٦٩)، والنسائي (٤٧١٢)، كلاهما في القسامة.

(٤) رواه أبو يعلى (٢٤٢٥)، والطبراني في الأوسط (٣٧٨٦)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٢٦٣): رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح. عن ابن عباس.

(٥) من أدب الإسلام صـ ١٨.

QaradawiBooks.com

ومِن أدب المسلم: أن يلقي السلام على الجالسين عند حضوره، وكذلك يودِّعهم بالسلام عند انصرافه، ولا يتسلَّل من المجلس دون التسليم، كما يفعل بعض الناس.

روى الترمذي، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليُسلِّم، فإن بَدا له أن يجلس فليجلسْ، ثم إذا قام فليُسَلِّمْ، فليست الأولى بأحقَّ من الأخرى**»(١).

أمَّا الجالسون، فيكفي أن يرد واحد منهم، وإلا أثموا جميعًا.

روى أبو داود، عن علي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**يجزئُ عن الجماعة إذا مرُّوا أن يُسَلِّم أحدهم، ويجزئ عن الجلوس أن يَرُدَّ أحدُهم**»(٢).

الانصراف إذا رغب صاحب المجلس:

«وينبغي للمسلم أن يكون يقظَ الشعورِ، مُرهَف الحسِّ، خفيف الظلِّ، فلا يجلس حتى يَمَلَّه صاحبُ المجلس ويستثقله، وقد تكون له حاجة مع أهله أو خاصته، ولكنَّه يظلُّ في حرج من هذا الجالس الثقيل البليد، وقد قال أبو هريرة: نزلتْ مِن كتاب الله آية في الثقلاء، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

فإذا رغب صاحب المجلس أن يفضَّ المجلس لغرض من الأغراض، كأن حضر وقت الصلاة، أو كان مرتبطًا بموعد سابق، أو حان وقت الراحة،

---

(١) رواه أحمد (٩٦٦٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي. وأبو داود في الأدب (٥٢٠٨)، والترمذي في الاستئذان (٢٧٠٦)، وقال: حديث حسن. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠١٠٢)، عن أبي هريرة.

(٢) سبق تخريجه صـ٥٢٩.

QaradawiBooks.com

أو أراد الخلوة بأهل مشورته وخاصته، أو غير ذلك، فمن واجب الجلوس أن يبادروا بالاستجابة وينصرفوا، وليس من حقهم أن يغضبوا أو يحتجُّوا.

وفي هذا جاء قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [المجادلة: ١١].

ومعنى الآية: إذا قيل لكم: انهضوا أو ارتفعوا من المجلس، فانهضوا ولا تتباطؤوا، ولا تعتقدوا أن في هذا مساسًا بكرامتكم، أو نقصًا في حقكم، فإن هذا يرفع درجاتكم عند الله، فإن مَن تواضع لله رفعه. وهذه الآية أشبه بقوله تعالى في أدب الزيارة: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [النور: ٢٨].

ختام المجلس:

وممَّا أوصى به النبي ﷺ أهل المجلس: أن يجعلوا ختامهم ذكرَ الله تعالى، فربَّما طالَ حديثُهم، وذكروا منه ما ذكروا ممَّا لا يليق، وربَّما ممَّا لا يحلُّ، وما تخفُّ به الموازينُ يوم القيامة. فالأولى بالعاقل الذي يرجِّح الباقيَ على الفاني، والدائمَ على الذاهب، والآخرةَ على الأولى: أن يجعل ختامَه في هذا المجلس مِن ذكر الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١ ـ ٤٢]. ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

والإسلام حريص على أن يرطِّبَ المسلم لسانَه دائمًا بذكر الله تعالى، كما جاء عن عبد الله بن بُسْر، أن رجلًا قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثُرت عليَّ، فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: «**لا يزال لسانك رطْبًا مِن ذكر الله**»[1].

(١) سبق تخريجه صـ١٢٦.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله تعالى: أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإٍ، ذكرته في ملإٍ خيرٍ منهم، وإن تقرَّب إليَّ بشبر، تقربتُ إليه ذراعًا وإن تقرَّب إلي ذراعًا، تقرَّبتُ إليه باعًا، وإن أتاني يمشي، أتيتُه هرولة**»(١).

وعن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «**مَثَلُ الذي يذكر ربَّه والذي لا يذكر ربَّه، مَثَلُ الحيِّ والميِّت**». إلَّا أن مسلمًا روى: «**مَثَلُ البيتِ الذي يذكر الله فيه، والبيت الذي لا يذكر الله فيه، مثل الحي والميت**»(٢).

وعن أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شَهِدَا على رسول الله ﷺ أنَّه قال: «**لا يقعد قومٌ يذكرون الله، إلَّا حفَّتْهم الملائكةُ، وغشيتهم الرحمة، وتنزَّلتْ عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده**»(٣).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما قعد قومٌ مقعدًا لم يذكروا الله ﷻ فيه، ويصلوا على النبي ﷺ، إلَّا كان عليهم حسرةً يوم القيامة وإن دخلوا الجنة، للثواب**»(٤).

ومن السُّنَّة أن يُختَم المجلسُ بكفارة المجلس، فإن كان قد شابه لغو، أو لَغَط، أو دخله شيءٌ ممَّا لا ينبغي الخوض فيه، كان هذا الختام طهورًا وكفارة، وإلا كان تأكيدًا وتصديقًا لما فيه من الخير.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٤٠٥)، ومسلم في التوبة (٢٦٧٥)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٤٠٧)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٧٩).

(٣) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٠)، وأحمد (١١٤٦٣)، والترمذي في الدعوات (٣٣٧٨).

(٤) رواه أحمد (٩٩٦٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وابن حبان في البر والصلة (٥٩١).

QaradawiBooks.com

روى الترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن جلس في مجلسٍ كثُر فيه لغطُه، فقال قبل أن يقوم مِن مجلسه ذلك: سبحان الله وبحمده، أشهد ألَّا إله إلَّا أنت، أستغفرك وأتوب إليك. إلَّا كفَّر اللهُ له ما كان في مجلسه ذلك**»(١).

وفي حديث آخر: أنَّه ـ أي: الدعاء المذكور ـ إذا كان في مجلسِ خيرٍ، كان كالطابَع له، وإن كان في مجلسِ تخليطٍ، كان كفَّارةً له(٢).

والطابع: الخاتم، أي: كان هذا الذكر كخاتم الدولة الذي يعتمد الأوراق والرسائل ويصدِّقُها.

إنَّ منهج الإسلام هو ربط المسلم بالله في كلِّ شؤونه، وفي كل أوقاته وأحواله، فلا ينفصل المسلم عن ربَّانيته، مهما دارت به عجلة الحياة هنا وهناك، فإذا ضمَّه مع إخوانه مجلسٌ، ودار الحديث منه حول الدنيا ومشاغلها، وما فيها من مرح ومزاح، لم ينسَ أن يختمه بما يردُّه إلى الله، ويذكِّره بمولاه، فيعود إلى فطرته، ويُحيِي خصائصَ إنسانيته.

وما أشقى قومًا يجلسون ثم ينفضُّون، دون أن يربطوا قلوبهم وألسنتهم بذكر الله تعالى، ولو في ختام مجلسهم! إن مجلسًا كهذا خرِبٌ مِن ذكر الله؛ خسارة لأصحابه في الدنيا، وحسرةً عليهم يوم القيامة.

---

(١) رواه أحمد (١٠٤١٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والترمذي في الدعوات (٣٤٣٣)، وقال: حسن صحيح غريب. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠١٥٧)، وابن حبان في البر والإحسان (٥٩٤)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه النسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠١٨٥)، والحاكم في الدعاء (٥٣٧/١)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٨١)، عن جبير بن مطعم.

QaradawiBooks.com

وفي الحديث: «**ما من قوم يقومون من مجلسٍ لا يذكرون الله تعالى فيه، إلَّا قاموا عن مثل جيفةِ حمارٍ، وكان عليهم حسرة يوم القيامة**»[١].

أرأيتَ أنتَنَ وأكْرَه إلى النفس والحسِّ من جيفة الحمار؟! كذلك كل مجلس يبدأ وينتهي ولا يُذكر الله فيه.

* * *

(١) رواه أحمد (١٠٦٨٠)، وقال: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في الأدب (٤٨٥٥)، وصحح إسناده النووي في رياض الصالحين (٨٣٥)، والحاكم في الدعاء (٤٩٢/١)، وصحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، والألباني كما في الصحيحة (٧٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الفصل السابع

أدب المسلم في الحديث والكلام مع الناس

ممَّا ميَّز اللهُ به الإنسانَ: أنْ جعله ناطقًا مبينًا، فهو يفكِّر ثم يتكلم، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۞ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ [البلد: ٨ ـ ٩]. وقال سبحانه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۞ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۞ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١ ـ ٤].

وقد علَّمه تعالى البيان النُّطقيَّ، وأداته اللسان، والبيان الخَطِّيَّ، وأداته القلم، فقال سبحانه في أول آيات نزلت على رسوله من القرآن: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۞ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۞﴾ [العلق: ٣ ـ ٤]، وقال ﷻ في أوائل القرآن المكِّي: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]. فأقسم سبحانه بهذا القلم، وما يسْطُره الناسُ به مِن قرآنٍ وغيره، وما يقسم الله به من الأشياء، فذلك ليدلنا على فائدته وأهميته.

أهمية أدب الكلام:

ولِما للحديثِ والكلام مِن منزلة وفائدة وأهمية كبيرة في حياة البشر، وكذلك ما له من خطر كبير، وأثر سيئ على حياة الناس، وعلى الآخرين: كان تحذيرُ القرآن ممَّا سمَّاه العلماء «آفات اللسان»، وقد بلَّغها العلامةُ عبد الغني النابلسي الحنفي إلى (٧٢) اثنتين وسبعين آفة، وبلَّغها الإمام الغزالي في إحيائه إلى (٢٠) عشرين آفة.

QaradawiBooks.com

قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [قَ: ١٨]. وقال: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

ولهذا عُني الإسلامُ وعُني علماؤه بأدب الحديث بين المسلم وبين الناس، لكونه حديثًا معبِّرًا عن شخصيَّة المسلم وعقيدته التوحيديَّة، وأخلاقه القرآنيَّة، وآدابه المحمديَّة، وشريعته الوسطيَّة، ومعاملاته الإنسانيَّة، ولم يترك الإسلام حديث المرء لأهوائه وشهواته، ونعراته وعصبيَّاته؛ يحب أن يسكت الناسُ إذا نطق، وإذا سَكَتَ خَفَتُوا، وإذا تكلَّموا في حضرته، لم يتكلموا إلَّا بما يرضيه، ولم يُفصحوا عمَّا يريدون، ولم يتكلَّموا بما يحبُّون، ولم يجيبوا عمَّا يُسألون، فحُرِّيَّتُهم منقوصة، وكرامتهم مهِيضَة، وحقوقهم الشخصيَّة غيرُ مُعترفٍ بها.

مسؤولية الكلمة:

إنَّ الكلمة لها قيمتُها في الحياة، وفي عُرف الناس، وفي ميزان الدين، وفي مقاييس الدنيا، لا يجوز لأحدٍ أن يستهين بها أو بأثرها، فرُبَّ حربٍ شبَّت مِن كلمة، ورُبَّ نارٍ أخمدت بكلمة، وربَّما فُرِّقتْ قبيلةٌ أو وطنٌ أو أكثرُ من جراء كلمة.

ممَّا ابتلينا به في زماننا التافهون يتحدثون في أمر العامة:

وممَّا ابتُلينا به في هذا الزمان: أن نجدَ أناسًا تافهين، لا وزن لهم في علم نافع، ولا في عمل صالح، ولا في خُلُق فاضل، ولا في دين سابغ، ولكنَّهم في أنفسهم منتفخون من غير شيء ينتفع به الناسُ مِن وجودهم، إلَّا ما يتشدَّقون به ممَّا يفاخرون به الآخرين، ولكنَّه

QaradawiBooks.com

لا يفاخر بأدبه، بل يفاخر بنسبه، وممَّا لا يـدَ لـه فـي اكتسابـه، كما قال الشاعر[١]:

كُن ابنَ مَنْ شـئتَ واكتسبْ أدبًا ... يُغنيـك محمـودُه عن النَّسَـبِ
إنَّ الفتـى مَـن يقـول: هأنـذا ... ليس الفتى من يقـول: كان أبي

وقال الآخر[٢]:

لقد فخـرتَ بآباءٍ ذوي حسـبٍ ... لقد صَدَقْتَ، ولكن بئسَ ما وَلَدُوا

هذا المفاخر المتطاول على خلق الله، هو الذي سمَّاه الرسول الكريم في حديثه: «الرويبضة».

قال ﷺ: «**إنَّها ستأتي على الناس سِنُونَ خدَّاعة، يُصدَّق فيها الكاذبُ، ويُكذَّب فيها الصادق، ويؤتمَنُ فيها الخائن، ويخوَّن فيها الأمين، وينطق فيها الرُّوَيْبِضة**». قيل: وما الرُّوَيْبضة، يا رسـول الله؟ قال: «**السفيهُ يتكلَّم في أمرِ العامَّة**»[٣].

يعني: في مصالح جماهير الناس وشؤونهم العامة، كما نرى أناسًا تافهين، من الجاهليـن والحمقى، أتيح لهـم أن يتحدثوا في حاضر الأمة، وما يتوقع من أخطار في مستقبلها، في أيديهم صحف سيارة، وقنوات شـهيرة، ويعمل تحـت أيديهم مئات ـ وربمـا آلاف ـ من

(١) ينسب لسيدنا علي بن أبي طالب، كما في الديوان المنسوب إليه صـ ١٦، جمع عبد العزيز الكرم، ط ١، ١٩٨٨م.

(٢) من شـعر ابن الرومي، كما في ديوانه (٥٢٥/١)، شرح أحمد حسن بسـج، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٢م.

(٣) رواه أحمد (٧٩١٢)، وقال مخرِّجوه: حسن. وابن ماجه (٤٠٣٦)، والحاكم (٥١٢/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، كلاهما في الفتن، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٨٨٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الرجال من الكُتَّاب والمُذِيعِين، والإخباريين والمراسلين والمصورين، وألوان من الرجال، أو مَن يحسبون من الرجال، وبينهم وبين الرجولة بون شاسع.

تحذير المصلحين والحكماء والأدباء من تأثير الكلمة:

ولهذا حذَّر الأنبياء والحكماء والعلماء والأدباء والشعراء، وكل من له خبرة وتجربة في الحياة، من تأثير الكلمة، ومن آفات اللسان.

يقول الشاعر:

احفظ لسانك أيها الإنسانُ ... لا يلدغنَّك إنَّه ثُعبانُ
كم في المقابرِ من قتيلِ لسانِهِ ... كانت تهابُ لقاءَه الشجعانُ[1]

وقال زُهَيْرُ بن أبي سُلْمى[2]:

وكَائِنْ ترى من صامتٍ لك مُعجِبٍ ... زيادتُه أو نقصه في التَّكلُّمِ
لسان الفتى نصْفٌ ونصْفٌ فؤادُه ... فلم يبقَ إلَّا صورةُ اللحمِ والدَّمِ

وقال ثالث:

يموتُ الفتى مِن عَثْرَةٍ بلسانِه ... وليس يموتُ المرءُ مِن عَثْرَةِ الرِّجْلِ
فعثرتُه مِن فيه ترمي بِرَأْسِه ... وعثرتُه بالرِّجْلِ تُشفَى على مَهْلِ[3]

وقال الحكماء: المرء تحت طَيِّ لسانِه، لا تحت طَيْلَسانِه.

---

(١) البيت للإمام الشافعي، كما في مناقب الشافعي للبيهقي (٨٧/٢)، تحقيق: السيد أحمد صقر، نشر مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

(٢) في معلقته، كما في جمهرة أشعار العرب لأبي زيد صـ ١٧٨، تحقيق: علي محمد البجادي، نشر نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

(٣) من شعر جعفر الصادق، كما في العقد الفريد لابن عبد ربه (٣٠٣/٢).

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

اللسان صغيرُ الجِرْمِ، كبير الجُرْم. تقع الحربُ بكلمة، وينعقدُ السِّلم بكلمة. ينعقد البيع والشراءُ بكلمة، ويُفسَخ العقد والشركة بكلمة. ينعقد الزواج بكلمة، ويقع الطلاق بكلمة، وتحدث الرَّجْعة بكلمة. وكم مِن حدودٍ وجبتْ على الناس بكلمة، وكم مِن حقوق وجبتْ للناس بكلمة. وكم وُصِلتْ أرحامٌ بكلمة، وكم قُطعتْ أرحام بكلمة.

يدخل المرءُ في الإسلام بكلمة، ويخرج من الإسلام بكلمة، ولذا قال بعضهم: الإسلام كلمة، والكفر كلمة.

التحذير من الكلمة السيئة:

ولهذا حرَّم الله قول الكلمة السَّيِّئة، والاستماع إليها، والمشاركة في مجلس تروج فيه، قال تعالى في سورة الأنعام المكِّيَّة: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

وفي سورة النساء المدنيَّة: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

وقال الله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ۝ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [٢٤ ـ ٢٧].

QaradawiBooks.com

• آفات اللسان وحصائد الألسنة:

وأول ما نذكره في أدب المحادثة هو التحذير من بعض آفات اللسان التي تقذف بالناس في نار جهنم، بما تحصده ألسنتهم. وإنَّما بدأنا بالآفات؛ لأنَّ التخلية قبل التحلية.

١ ـ الكذب:

من أخطر آفات اللسان: الكذب. ومن أهم آداب المتحدِّث: أن يتحرَّى الصدق في قوله، وأن يتجنّب الكذب، الذي لا يليق بمؤمن، فإنما الكذبُ مِن شأن غير المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥].

فالكذب هو شأن الكفار، أو المنافقين، الذين قالوا: آمنا بألسنتهم، ولم تؤمن قلوبُهم، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

وقال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]. وكذبهم هنا: أن قلوبهم لا تصدِّق ألسنتهم؛ لأنَّهم يقولون الحق بألسنتهم، ولكنَّهم في أنفسهم يكذبون.

وقال ﷺ: «**عليكم بالصدق، فإنَّ الصدقَ يهدي إلى البرِّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجُلُ يصدُقُ ويتحرَّى الصدْقَ حتى يُكتَب عند الله صِدِّيقًا، وإيَّاكم والكذبَ، فإنَّ الكذبَ يهدي إلى الفجور، وإنَّ الفجورَ يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرَّى الكذبَ حتى يُكتَبَ عند الله كذَّابًا**»[(١)].

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٩٤)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٠٧)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

ولذلك يوصي الإسلام كل مسلم ويحثُّه ويربِّيه على التزام الصدق، ولو فقد فيه ما فقد من نفس أو جسم أو مال. قال الشاعر[١]:

لي حيلة فيمن ينمُّ وليس في الكذَّاب حيلة
من كان يخلق ما يقو ل فحيلتي فيه قليلة

والكذب كلُّه حرام؛ أبيضُه وأسودُه وملونه، فلا يوجد كذب مُرخَّصٌ فيه، إلَّا ما روتْه أمُّ كلثوم بنت عقبةَ عن رسول الله ﷺ، فقد استثنى ثلاثةَ ألوان من الكذب، هي: الكذب في إصلاح ذات البين، والكذب في الحرب، فإنها خدعة، وكذب الرجل على امرأته أو المرأة على زوجها، لإرضائها أو إرضائه، وفي هذا جاء الحديث: «**ليس الكذَّابُ الذي يُصلِحُ بين الناس، فيُخبِر خيرًا، أو يقول خيرًا، وما كان رسول الله ﷺ يرخِّص في شيء ممَّا يقول الناسُ أنَّه كذب إلَّا في ثلاثٍ: الحرب، والإصلاح بين الناس، ومحادثة الرجلِ امرأتَه ومحادثة المرأةِ زوجَها**»[٢].

ومثل ذلك لو كان في الكذب إنجاءُ رجل من الهلاك، حين يظلمه ظالم لو عرف أنَّه عندك لقتلَه قطعًا، فالكذب لإنقاذه مطلوب.

وشرُّ الكذب: أن يكذب على الله تعالى، أو يكذب على رسوله الكريم، أو يُرِي عينيه ما لم ترَيَا، بادِّعاء الرُّؤَى للكبراء أو الأمراء أو الأغنياء، وكلُّها من كبائر المحرَّمات.

---

(١) هو محمود بن مروان بن أبي الجنوب. انظر: معجم الشعراء للمرزباني صـ ٥٠٢، تصحيح: أ.د.ف. كرنكو، نشر مكتبة القدسي، ودار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الصلح (٢٦٩٢)، ومسلم البر والصلة (٢٦٠٥)، عن أم كلثوم بنت عقبة. ولم يذكر البخاري: وما كان رسول الله ﷺ يرخِّص... فهي ممَّا روى مسلم.

QaradawiBooks.com

الكذب في اليمين:

ومن شرِّ أنواع الكذب: الكذب في اليمين، فيحلف بالله، وهو يعلم أنَّه كاذب في حَلِفِه وقَسَمِه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [القلم: ١٠].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧].

وهذه من شرِّ الأيْمان التي يُحلَف بها كذِبًا، وهي ما يُسمَّى: «اليمين الغموس»، وهي التي تغمِس صاحبَها في نار جهنم، وهي التي تذَرُ الديارَ بلاقعَ، وهي التي يحلِف بها الحالفُ وهو مُوقِن أنَّه كاذب، يبيع دينَه بعرضٍ يسير من الدنيا.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**الكبائر: الإشراكُ بالله، وعقوقُ الوالدين، واليمينُ الغموس**»[(١)].

وفي رواية: أنَّ أعرابيًّا جاء إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسول الله، ما الكبائر؟ قال: «**الإشراك بالله**». قال: ثم ماذا؟ قال: «**ثم عقوقُ الوَالِدَيْن**». قال: ثم ماذا؟ قال: «**اليمينُ الغَمُوس**». قال: وما اليمين الغموس؟ قال: «**الذي يقتطع مالَ امرئ مسلم ـ يعني ـ بيمين هو فيها كاذب**»[(٢)].

وعن عبد الله بن أُنيس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أكبر الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس. والذي**

(١) رواه البخاري في الأيمان والنذور (٦٦٧٥)، وأحمد (٦٨٨٤)، والترمذي في التفسير (٣٠٢١)، والنسائي في تحريم الدم (٤٠١١)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه البخاري في استتابة المرتدين (٦٩٢٠).

QaradawiBooks.com

نفسي بيده، لا يحلف رجلٌ على مِثْل جَناحِ بعوضة إلَّا كانت كيًّا في قلبه يوم القيامة»[(١)].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: كنا نعُدُّ من الذنب الذي ليس له كفارة: اليمين الغموس[(٢)].

البعد عن الحلف بالله:

بل ينبغي للمسلم الناصح لنفسه أن يبتعد عن اليمين بالله تعالى، ولو كان صادقًا، إلَّا ليبرئ نفسه أو غيره، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٤].

وهناك **اليمين المنعقدة**، هي التي يحلف فيها المسلم على أمر في المستقبل، على ألا يفعل كذا، لا يدخل دار فلان، أو لا يكلم فلانًا، ثم يفعل ما حلف على عدم فعله. فهذا يسمونه «اليمين المنعقدة».

وهذه لا كذب فيها، ولكن فيها عزم على أمر قوَّاه باليمين، ثم إذا وقع فيما حلف على عدمه، فقد حنث في يمينه، وعليه كفارة الحنث، وهي كما ذكرها القرآن: ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٨٩].

---

(١) رواه الترمذي في التفسير (٣٠٢٠)، وقال: حسن غريب. وابن حبان في الحظر والإباحة (٥٥٦٣)، والحاكم في الأيمان والنذور (٢٩٦/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٢٢١٣).

(٢) رواه الحاكم في الأيمان والنذور (٢٩٦/٤)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

ويمكن إعطاء العشرة مساكين قيمة الطعام المتوسط، ليس من أكل المطاعم الفاخرة، ولا من بقايا الأطعمة ورديئها، وإن صنع لهم بنفسه طعامًا فهو أولى.

الابتعاد عن الحلف بغير الله مطلقًا:

وممَّا يجب على المسلم أن يتنبَّه له، وأن يحذَر منه، ويبتعدَ عن الوقوع فيه: الحلف بغير الله، فلا ينبغي للمسلم أن يورِّط نفسه في الحلِف بغير الله، كأن يحلف بأبيه أو بشيخه أو بنبيٍّ من الأنبياء، أو بالرسول الكريم، أو بأحدِ الأولياء المشهورين، أو بالوطن وترابه، أو بالشرف أو العرض أو الأمانة، أو بنحو ذلك، فهذا ما لا ينبغي أن يتورط فيه مؤمنٌ يوقن بالله واليوم الآخر.

وفي الحديث الشريف: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»[(١)].

وعنه ﷺ: «**إنَّ الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم**»[(٢)]، و«**من كان حالفًا فليحلفْ بالله أو ليَذَرْ**»[(٣)].

لكن قد يجري على اللسان صيغة الحلف ولا يقصد به المتكلم الحلف، كأن يقول لصاحبه: «لا وأبيك»، «لا وحياتك». وهو لا يقصد القسم قطعًا، كما جاء في بعض الأحاديث قول النبي ﷺ:

(١) رواه أحمد (٥٥٩٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لجهالة الرجل الكندي. وأبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥)، وقال: حديث حسن. والحاكم (٢٩٧/٤)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، ثلاثتهم في الأيمان والنذور، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٩٥٢)، عن ابن عمر.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١٠٨)، ومسلم في الأيمان (١٦٤٦)، عن ابن عمر.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٦٤٦)، ومسلم (١٦٤٦)، كلاهما في الأيمان، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

«**أفلح ـ وأبيه ـ إن صدق**»[١]. وفي الصحيح عن عائشة: «**أجل ـ لعَمْري ـ لقد استيقنوا بذلك**»[٢].

ونحو ذلك ممَّا يخرج مخرج التوكيد لا القسم، وجَرتْ به عادة الناس في حديثهم من غير قصد للحلف.

الحلف بالطلاق:

ومن ذلك: الحلِف بالطلاق، الذي شاعَ ـ للأسف ـ في بعض بلاد المسلمين في بعض الفترات، وجرَّ على الناس مصائب كثيرة في حياتهم الأسريَّة والاجتماعيَّة.

وقد أوقع بعضُ العلماء هذه الطلاقاتِ، وتفرَّقت الأسرُ بعضُها عن بعض، وتفرَّقتِ المرأة عن زوجها، وتفرَّق الرجل عن أولاده، أو المرأة عن أبنائها، وكان ما كان من البلاء؛ نتيجةَ الجهل بدين الله، وعدم الوقوف عند حدوده ﷻ[٣].

٢ ـ الوعد الكاذب:

ومن آفات اللسان، التي ذكرها الإمام الغزالي وغيره، وجعلها الآفة الثالثة عشرة من آفات اللسان العشرين[٤]، وهي: الوعد الكاذب.

ومن المهم هنا أن نبيِّن حرمة هذا الوعد، فقد ثار نقاش طويل من علماء الفقه الاقتصادي، حتى كاد بعضهم يجعل إخلاف الوعد مُجرَّد رذيلة غير محرمة.

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (١١)، وأبو داود في الصلاة (٣٩٢)، عن طلحة بن عبيد الله.

(٢) رواه البخاري في التفسير (٤٦٩٥).

(٣) انظر رأينا في الحلف بالطلاق وهل يقع أم لا في كتابنا: فقه الأُسْرة وقضايا المرأة صـ ٣١٤.

(٤) الإحياء (١٠٨/٣).

QaradawiBooks.com

وأكثر ما أثير من كلام كان حول عنصر الوعد والإلزام به، لهذا كان في حاجة إلى مزيد من التجلية والإيضاح لحقيقته، فأقول:

إنَّ الذي أرجِّحه أنَّ الوفـاء بالوعد واجب ديانة، فهذا هو الظاهر من نصوص القرآن والسُّنَّة، وإن خالف في ذلك المخالفون.

ففي القـرآن يقـول الله تعالـى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصـف: ٢، ٣]. والوعد إذ أُخلف قول لم يُفعل، فيلزم أن يكون كذبًا محرمًا. وأن يحرم إخلاف الوعد مطلقا. بل إن عبارة الآية الكريمة: ﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾ تدل على أنَّه كبيرة، وليس مجرد حرام.

وقد ذمَّ الله بعض المنافقيـن بقوله: ﴿ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴾ [التوبة: ٧٧]. والآية تفيد أن نفاقهم بسبب إخلافهم وعدهم مع الله. ومثل ذلك: إخلاف الوعد مع الناس، إذ لا فرق في أصل الحرمة بين الأمرين. كما أن نكث العهد محرم، سواء كان مع الله أم مع الناس.

وقد أنكر القرآن بشدَّة استغفار المؤمنين للمشركين مهما تكن قرابتهم، فقـال تعالـى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣].

وهنا تلوح للمؤمن قصة اسـتغفار إبراهيم لأبيه حين قال في دعائه: ﴿ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الشعراء: ٨٦]. كيف يتفق هذا مع هذا الإنكار الشديد؟ هنا يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴾ [التوبة: ١١٤].

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فكان عذر إبراهيم وعده السابق لأبيه: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧].

فلو كان الوفاء بالوعد مجرَّد أمر مستحبٍّ، ما ارتكب من أجله الاستغفار لمشرك ضالٍّ من أصحاب الجحيم.

ولا يقال: لعل الوفاء بالوعد كان واجبًا في شرع إبراهيم، وشرع من قبلنا ليس شرعًا لنا. ونقول: الصحيح أنَّ شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخه شرعنا، وبخاصة أنَّ الله تعالى قال لرسوله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣].

يؤكد هذا ما ذكره الله عن الشيطان حين يجمعه بمن اتبعه من الغاوين في النار حيث يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وهذا ذكر في معرض الذم للشيطان وحزبه. فلو كان إخلاف الوعد لا يعدو أن يكون مكروهًا، أو خلاف الأولى، لم يكن لذمِّ الشيطان به معنًى.

وفي الحديث الصحيح المتفق عليه، من رواية أبي هريرة: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»[(١)]. وفي بعض روايات مسلم: «**آية المنافق ثلاث وإن صام وصلى وزعم أنَّه مسلم**»[(٢)].

وفي الحديث الصحيح الآخر، من رواية عبد الله بن عمر: «**أربع من كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خَصلة**

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩) (١٠٧)، كلاهما في الإيمان.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (١٠٩).

QaradawiBooks.com

من النفاق حتى يدعها: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[(١)].

وذكر البخاري في كتاب (الاستقراض) حديث عائشة، أنَّ النبيَّ ﷺ كان يستعيذ في صلاته كثيرًا من المأثم ـ أي: الإثم ـ والمغرم ـ أي: الدَّيْن ـ فقيل له: يا رسول الله، ما أكثر ما تستعيذ من المغرم؟! فقال: «**إنَّ الرجل إذا غرم** ـ أي: استدان ـ **حدَّث فكذب، ووعد فأخلف**»[(٢)]. ومعنى هذا: أنَّ الاستدانة تجره إلى المعصية بالكذب في الحديث، والخُلف في الوعد.

وهناك أدلة أخرى سنذكرها فيما ننقله عن الغزالي والبخاري وابن القيم.

والظاهر من هذه الأدلة أنَّ الوعد سواء كان بصلة وبِرٍّ، أم بغير ذلك، واجب الوفاء به. إذ لم تفرق النصوص بين وعد ووعد. وهذا ما رُوِي عن ابن شبرمة فيما نقله عنه ابن حزم حيث قال: الوعد كله لازم، ويُقضى به على الواعد، ويُجبر[(٣)].

وإذا كان كل هذا التحذير من إخلاف الوعد حتى عُدَّ من علامات النفاق، وإحدى خصاله الأساسية، فهذا من أظهر الأدلة على حرمته، ولهذا جعله الإمام الغزالي في «إحيائه» من آفات اللسان، وهي إحدى «المهلكات».

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨)، كلاهما في الإيمان.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٨٣٢)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٨٩)، عن عائشة.

(٣) المحلى لابن حزم (٢٧٨/٦).

QaradawiBooks.com

رأي الإمام الغزالي:

قال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي وهو يعدِّد آفات اللسان: الآفة الثالثة عشر: «الوعد الكاذب، فإنَّ اللسان سبَّاق إلى الوعد، ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء، فيصير الوعد خلفا، وذلك من أمارات النفاق... قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

وقد أثنى الله تعالى على نبيِّه إسماعيل عليه السلام في كتابه العزيز، فقال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾ [مريم: ٥٤].

ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاةُ قال: إنَّه كان خطب إليَّ ابنتي رجل من قريش، وكان إليه مني شبه الوعد، فوالله لا ألقى الله بثُلث النفاق. أشهدكم أنِّي قد زوَّجته ابنتي[(١)].

وكان ابن مسعود لا يعد وعدًا إلَّا ويقول: إن شاء الله، وهو الأولى[(٢)].

ثم إذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد، فلا بد من الوفاء، إلَّا أن يتعذَّر، فإن كان عند الوعد عازمًا على ألَّا يفي، فهذا هو النفاق.

وهذا ينزل على عزم الخُلْف، أو ترك الوفاء من غير عذر، فأما من عزم على الوفاء فَعَنَّ له عذر منعه من الوفاء، لم يكن منافقًا، وإن جرى عليه ما هو صورة النفاق، ولكن ينبغي أن يحترز من صورة النفاق أيضًا، كما يحترز من حقيقته، ولا ينبغي أن يجعل نفسه معذورًا من غير ضرورة حاجزة»[(٣)].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (٤٥٦).

(٢) المصدر السابق (٤٦٤).

(٣) إحياء علوم الدين (١٣٢/٣، ١٣٣) بتصرف.

QaradawiBooks.com

رأي جماعة من السلف في وجوب الوفاء بالوعد:

وذكر الإمام البخاري في صحيحه رأي جملة من السلف ممن يرى وجوب إنجاز الوعد، فقد ترجم في كتاب «الشهادات» من الصحيح «باب من أمر بإنجاز الوعد»: قال: وفعله الحسن. يعني البصري، أي: أمر به. وذكر الآية الكريمة: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾ [مريم: ٥٤].

قال: وقضى ابن الأشوع[١] بالوعد، وذَكَرَ ذلك عن سَمُرة بن جُندَب.

قال أبو عبد الله البخاري: رأيت إسحاق بن إبراهيم ـ هو ابن راهويه ـ يحتج بحديث ابن أشوع، أي الذي ذكره عن سمرة[٢].

وذكر البخاري في الباب أربعة أحايث للدلالة على وجوب الإنجاز، منها: حديث «**آية المنافق ثلاث...**»[٣]، وحديث جابر: لما مات النبي ﷺ، جاء أبا بكر مالٌ من قِبَل العلاء بن الحضرمي، فقال أبو بكر: من كان له على النبي ﷺ دَيْن أو كانت له قِبَله عِدَة فليأتِنا[٤].

ونقل الحافظ في «الفتح» قول المهلَّب: «إنجاز الوعد مأمور به مندوب إليه عند الجميع، وليس بفرض، لاتفاقهم على أنَّ الموعود لا يضارب بما وعد به مع الغرماء».

---

(١) وهو سعيد بن عمرو بن الأشوع، قاضي الكوفة، توفي في زمان إمارة خالد القسري على العراق. +مصادر ترجمته+

(٢) صحيح البخاري (١٨٠/٣)، نشر دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

(٣) سبق تخريجه صـ٦٣٦.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٨٣)، ومسلم في الفضائل (٢٣١٤).

QaradawiBooks.com

قال الحافظ: «ونقْل الإجماع في ذلك مردود، فإنَّ الخلاف مشهور، لكن القائل به قليل[١].

وقال ابن عبد البر وابن العربي: أجلّ من قال به عمر بن عبد العزيز.

وعن بعض المالكية: إن ارتبط الوعد بسبب، وجب الوفاء به، وإلا فلا، ومن قال لآخر: تزوج، ولك كذا، فتزوج بذلك، وجب الوفاء به.

وخرَّج بعضهم الخلاف على أنَّ الهبة هل تملك بالقبض أو قبله؟

قال الحافظ: وقرأت بخط أبي رَحِمَهُ اللَّهُ، في إشكالات على الأذكار للنووي: ولم يذكر جوابًا عن الآية ـ يعني قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣] ـ وحديث: «**آية المنافق...**». قال: والدلالة للوجوب منها قوية، فكيف حملوه على كراهة التنزيه مع الوعيد الشديد؟!»[٢].

أدلة ابن القيم في وجوب الوفاء بالوعد:

وصنيع المحقق ابن القيم في كتابه «إعلام الموقعين» يدل على أنَّه ممن يرى وجوب الوفاء بالوعد، فقد نظم العقود والعهود والشروط والوعود الواجب الوفاء بها كلها في سلك واحد، وسرد النصوص الدالة على لزوم الوفاء بالوعد، مع النصوص الدالة على وجوب الوفاء بالعقد وبالعهد وبالشرط، كلها سواء.

فذكر قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢]، وذكر صحاح الأحاديث في علامات المنافق

(١) أي القائل بوجوب الإيفاء بالوعد.

(٢) فتح الباري (٥/٢٩٠).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وخصاله.. وأحاديث أخــرى، وزاد على ذلك أحاديث أخرى تتعلق بالوعد خاصة.

مثل ما في «ســنن أبي داود»، عن عبد الله بن عامر قال: دعتني أمي يومًا ورســول الله ﷺ قاعــد في بيتها، فقالــت: تعالَ أعطِــك. فقال لها رســول الله ﷺ: «**ما أردتِ أن تُعطيــه؟**». فقالت: أعطيه تمــرًا. فقال لها رسول الله ﷺ: «**أمَا إنكِ لو لم تعطِيه شيئًا، كُتِبَت عليك كذبة**»[(١)].

وعن زيد بن أسلم، أن رسول الله ﷺ قال: «**وأْيُ**[(٢)] **المؤمنِ واجب**»[(٣)].

قال ابن وهب: وأخبرني إســماعيل بن عياش، عن أبي إسحاق، أن رســول الله ﷺ كان يقول: «**ولا تَعِدْ أخاك عِدَة وتُخلِفه، فإن ذلك يورث بينك وبينه عداوة**»[(٤)].

وعن أبي هريرة، أنَّ النبي ﷺ قال: «**من قال لصبي: تعالَ هذا لك، ثم لم يعطِه شــيئًا، فهي كذبة**»[(٥)]. وفي الســنن عن عمرو بن عوف يرفعه: «**المؤمنون عند شــروطهم**»[(٦)]. وله شــاهد من حديث ابــن عمر يرفعه:

---

(١) رواه أحمد (١٥٧٠٢)، وقال مخرِّجوه: حســن لغيره. وأبو داود في الأدب (٤٩٩١)، وحسَّــنه الألباني في الصحيحة (٧٤٨)، عن عبد الله بن عامر.

(٢) الوأي: الوعد.

(٣) رواه أبو داود في المراسيل (٥٢٣)، بلفظ: «**وَأْي المؤمن حق واجب**». والمعنى: وعده لغيره بمنزلة الحق الواجب عليه في تأكد الوفاء به.

(٤) رواه ابن وهب في الجامع (٢٠٨)، نشر دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

(٥) رواه ابن وهب في الجامع (٥١٤).

(٦) رواه الترمذي في الأحكام (١٣٥٢)، وقال: حسن صحيح، بلفظ: «المسلمون على شروطهم». وقال ابن الملقن في خلاصة البدر المنير (١٥٨٨) بعد أن ذكر تصحيح الترمذي: في هذا نظر؛ فكثير (ابن عبد الله) أجمعوا على ضعفه. وقــال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤٥١/٤): وكثير بن عبد الله ضعيف عند الأكثر، لكن البخاري ومن تبعه كالترمذي وابن خزيمة يقوون =

QaradawiBooks.com

«**الناس على شروطهم ما وافق الحق**»[١]. وليست العُمدة على هذين الحديثين بل على ما تقدم».

وأجاب ابن القيم عما في بعض هذه الأحاديث من ضعف من جهة السند، فقال: «أمَّا ضعف بعضها من جهة السند، فلا يقدح في سائرها، ولا يُمنع من الاستشهاد بالضعيف إن لم يكن عمدة»[٢].

نقل العلامة الزبيدي:

وقال العلامة الزَّبِيدي في «تاج العروس شرح القاموس» في مادة «وعد»: اختلف في حكم الوفاء بالوعد: هل هو واجب أو سنة؟ أقوال.

قال شيخنا[٣]: وأكثر العلماء على وجوب الوفاء بالوعد، وتحريم الخُلْف فيه، وكانت العرب تستعيبه وتستقبحه، وقالوا: إخلاف الوعد من أخلاق الوغْد. وقيل: الوفاء سُنَّة، والإخلاف مكروه، واستشكله بعض العلماء.

وقال القاضي أبو بكر ابن العربي بعد سرد كلام: وخُلف الوعد كذب ونفاق، وإن قل فهو معصية.

= أمره. وقال في بلوغ المرام (٨٧٦) بعد أن ذكر كلام الترمذي: وأنكروا عليه؛ لأن راويه كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف ضعيف، وكأنه اعتبره بكثرة طرقه. وقال الألباني في الإرواء (١٣٠٣): صحيح لغيره.

(١) رواه البزار (٥٤٠٨)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٣٩٢): فيه محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني، وهو ضعيف جدًّا.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (١/٢٦٠ ـ ٢٦٢)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

(٣) هو الشيخ الإمام المحدِّث المسند اللغوي العلامة، محمد بن الطيب بن محمد الفاسي المالكي الشهير بابن الطيب الشرقي، توفي سنة ١١٧٠هـ. انظر: تاج العروس (١/٣)، وترجمته في سلك الدرر (٤/٩١ ـ ٩٤)، نشر دار البشائر الإسلاميَّة ودار ابن حزم، ط ٣، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

وقد ألف الحافظ السخاوي في ذلك رسالة مستقلة سماها: «التماس السعد في الوفاء بالوعد» جمع فيها فأوعى. اهـ كلام الزبيدي.

رأينا في حكم الوفاء بالوعد:

وإذا كان وجوب الوعد والأمر بإنجازه قال به مثل عبد الله بن عمر (الذي زوج ابنته لمن صدر منه شبه وعد له، حتى لا يلقى الله بثلث النفاق!)، ومثل سمرة بن جندب من الصحابة، ومثل عمر بن عبد العزيز من التابعين، وهو معدود من الخلفاء الراشدين المهديين الذين يعض على سنتهم بالنواجذ، والحسن البصري الإمام المشهور. ومن بعدهم: ابن الأشوع الذي اعتدَّ البخاري بذكره في صحيحه، وذكره ابن حبان في «الثقات»[(١)]. وقال ابن معين: مشهور يعرفه الناس، كما في «عمدة القاري»[(٢)].. وابن شُبْرمة الفقيه الثقة العابد، وإسحاق بن راهويه شيخ البخاري، وأحد أئمة الحديث والفقه، وأمير المؤمنين في الحديث: محمد بن إسماعيل البخاري، كما يبدو من ترجمته للباب وعدم ذكره الرأي الآخر.. بالإضافة إلى ما نقلناه عن الإمام الغزالي في «إحيائه»، وعن العلامة ابن القيم، وما هو معروف من مذهب الإمام مالك وبعض أصحابه، وخصوصًا فيما كان له سبب، ودخل الموعود من أجله في نفقة وكلفة.. فليس القائل به ـ إذن ـ قليلًا، كما قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ، بل لعل الصحيح ما نقله الزبيدي عن شيخه: إن أكثر العلماء على وجوب الوفاء بالوعد، وتحريم الخُلْف فيه.

وبهذا نرى أن نسبة القول بالإلزام بالوعد إلى بعض المالكيَّة أو إلى ابن شبرمة فقط فيه تقصير كبير في الاستقصاء.

---

(١) الثقات (٨١٤٢)، نشر دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ط١، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

(٢) عمدة القاري للعيني (٢٥٨/١٣).

QaradawiBooks.com

٣ ـ مدح نفسه والمبالغة في مدح الآخرين بغير حق:

نهى القرآن عن تزكية النفس، بمعنى مدحها وتضخيمها، وتعظيم محاسنها، والإغضاء عن سيئاتها ونقاط ضعفها، ما عرفه الناس عنها، وما لم يعرفوه، ممَّا يعرفه الشخص عن نفسه. وهذا كما زكَّى اليهود أنفسهم، فقد زعموا أنهم وحدهم «شعب الله المختار»، وردَّ الله ذلك عليهم في القرآن، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ٤٩ ـ ٥٠].

ولذلك نهى القرآن المسلمين أن يزكوا أنفسهم، قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]. ولذا يستنكر الناس مدحَ المرءِ نفسَه، وقالوا: لا يشكر نفسَه إلَّا إبليس. وذلك أنَّ إبليس حين امتنع عن السجود لآدم، وصفه الله بالاستكبار والكفر. قال إبليس: أنا خير منه؛ خلقتني من نار وخلقته من طين.

وقيل لأحد الحكماء: ما الصدق القبيح؟ قال: ثناء المرء على نفسه.

هذا وهو صادق فيما يحدث عن نفسه، فكيف بهذا الكذَّاب الذي يظل يكذب على الناس، بما يتحدث عن نفسه من الكذب والسفه؟

على المادح أن يتحرَّى عدة أمور:

والواجب على المسلم إذا مدح إنسانًا في وجهه أن يتحرَّى عدة أمور:

أن يمدحه بما هو فيه:

١ ـ أن يمدحه بما يتيقَّن أنَّه فيه، ممَّا هو ظاهر عليه ومشهود له به، فلا يجوز لمسلم أن يمدح الظالم، أو المتجبِّر في الأرض، أو المفسد

QaradawiBooks.com

بين الناس، ففي مدحه ركون إليه، والله تعالى يقول: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [هود: ١١٣].

وقال السَّلف: من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحبَّ أن يُعصى الله في أرضه![١]

بل الواجب عليه أن يردَع الظالم عن ظلمه بما يقدر عليه.

وفي الحديث: «**إذا رأيت أُمَّتي لا يقولون للظالم منهم: أنت ظالم. فقد تُودِّع منهم**»[٢].

وفي الحديث الآخر: «**لا تقولوا للمنافق: سيِّد! فإنه إن يك سيدًا، فقد أسخطتم ربَّكم** ﷻ»[٣].

وخصوصًا مدح الزعماء والحكام المفسدين، بأن يصفهم بما ليس فيهم، ويُلبِسهم من الأخلاق والأوصاف ما لم يُعرفوا به، فهذا من أخطر أنواع المدح الكاذب، وهو ما حذَّر منه الرسول الكريم، الذي قال لكعب بن عجرة: «**أجارك الله يا كعب بن عُجْرة من إمارة السفهاء**». قال: وما إمارة السفهاء؟ قال: «**أمراء يكونون بعدي، لا يهدون بهديي، ولا يستنُّون بسُنَّتي، فمن صدَّقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فأولئك ليسوا مني ولستُ منهم، ولا يَرِدُون عليَّ حوضي**»[٤].

---

(١) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (١٦٠/٣).

(٢) رواه أحمد (٦٧٨٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والحاكم في الأحكام (٩٦/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، والبزار (٢٣٧٥)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢١١٠): رواه أحمد والبزار بإسنادين، ورجال أحد إسنادي البزار رجال الصحيح، وكذلك رجال أحمد.

(٣) رواه أحمد (٢٢٩٣٩)، وقال مخرِّجوه: رجاله ثقات رجال الشيخين. وأبو داود في الأدب (٤٩٧٧)، عن بريدة الأسلمي.

(٤) رواه أحمد (١٤٤٤١)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي على شرط مسلم. والترمذي في السفر =

QaradawiBooks.com

أن يمدحه بصيغة غير مبالغ فيها:

٢ ـ أن يكون واقعيًّا فيما يمدح به الناس، فلا يطلق الألفاظ كالصواريخ، بل يقولها بصيغة تنبئ بالصدق والواقعية، لا بالسرف والمبالغة. ولذلك أنكر الرسول على من رآه يمدح أصحابه بلا تحفُّظ، وقال له: «**ويلَك، قطعتَ عنقَ صاحبِك، قطعت عنق صاحبك**». مرارًا، ثم قال: «**من كان منكم مادحًا أخاه لا محالة، فليقل: أحسِبُ فلانًا والله حسيبُه، ولا أزكِّي على الله أحدًا، أحسبه كذا وكذا. إن كان يعلم ذلك منه**»[(١)].

ألا يكثر من المدح:

٣ ـ ألا يكثر من المدح، ولا يجعله أكبر همِّه، بحيث يعرف عند الناس بأنَّه: مدَّاح، فكثرة المدح من بعض الناس تجعله مظِنَّة النقد، وموضع القيل والقال. وخصوصًا مدح الحكام، ولا سيما من عرفوا بالبطش بالناس.

وقد عُرف الشعراء قديمًا والإعلاميون حديثًا، بالإكثار من الثناء على الحكام، وهو مكان تنزلق فيه الأقدام، ويسقط فيه الرجال، فليحذر المؤمن على نفسه. ولذلك قال الرسول الكريم: «**احثُوا في وجوه المدَّاحين التراب**»[(٢)].

= (٦١٤)، وقال: حسن غريب. وابن حبان في الصلاة (١٧٢٣)، والحاكم في الفتن والملاحم (٤٢٢/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، عن جابر.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٦٢)، ومسلم في الزهد والرقاق (٣٠٠٠)، عن أبي بكرة.

(٢) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٣٠٠٢)، وأحمد (٢٣٨٢٤)، وأبو داود في الأدب (٤٨٠٤)، عن المقداد.

QaradawiBooks.com

وكلمة «مـدَّاح» صيغة مبالغة تعنـي الكثير المـدح، أو الذي اتَّخَذ المدح حرفة، أو الذي يتوسَّـع فيه ولا يتـورَّع. وبعضهم هؤلاء يخرج بمدحه عن حـدود الديـن، وحدود الحـق، وحدود الواقـع، كما قال أحدهم[١] في المعز لدين الله الفاطمي:

ما شـئتَ لا ما شـاءتْ الأقدارُ فاحْكُمْ فأنـتَ الواحـدُ القهَّارُ!

موقف الممدوح:

والواجب على مَن مدحـه الناسُ، ولو بالحـق: ألا يغترَّ بذلك، بل ينبغي أن يعلم أنّ الأمر كله لله، فهو الذي يقضي للإنسان أو عليه، وكم من أناس يمدحون شـخصًا لظاهره الطيب، وباطنه مملوء خُبْثًا، والعبرة ليسـت بالظواهر، بل بالبواطـن، كما قال رسـول الله ﷺ: «**ألا وإن في الجسد مُضْغة، إذا صلحت، صلح الجسدُ كلُّه، وإذا فسدت، فسد الجسد كله، ألا وهـي القلـب**»[٢]. وقـال: «**إنَّ الله ﷻ لا ينظرُ إلـى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[٣].

مدح كثير مـن الصحابة النبي ﷺ في وجهه، وهـو أهلٌ لكل مدح، ولكنَّه قـال: «**لا تُطروني كما أطرت النصارى عيسـى ابن مريم، ولكن قولوا: عبد الله ورسوله**»[٤].

ولذلك قال البُوصيري في بُرْدته[٥]:

(١) من شعر ابن هانئ الأندلسي، كما في تاريخ ابن الوردي (٢٨٧/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

(٢) سبق تخريجه صـ٨٧.

(٣) سبق تخريجه صـ٨٧.

(٤) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٤٥)، وأحمد (١٥٤)، عن عمر.

(٥) البردة مع شرح الباجوري صـ ٤٣، نشر مكتبة الصفا، القاهرة.

QaradawiBooks.com

دع ما ادعته النصارى في نبيهمو واحكم بما شئت مدحًا فيه واحتكِمِ
وانسُبْ إلى ذاته ما شئتَ من شرفٍ وانسُب إلى قَدْرِه ما شئتَ من عِظَمِ

ولما قال بعض الصحابة فيه: يا رسول الله، أنت سيدنا. قال: «**السيِّدُ الله**». قالوا: وأفضلنا فضلًا، وأعظمنا طَوْلًا. فقال: «**قولوا بقولكم** ـ أو بعض قولكم ـ **ولا يَسْتَجْرِيَنَّكُم الشيطان**»[(١)].

وقال له بعض الناس: ما شاء الله وشئت. فقال: «**أجعلتني لله ندًّا؟! قل: ما شاء الله وحده**»[(٢)].

فهو لا يريد من الصحابة أن يتعودوا هذه الكلمات، التي قد يُكبِّرها بعض الناس، ويتجاوزون ما يراد بها، فيخرجون ذات الرسول من البشرية إلى الألوهية، وهو ما يرفضه دين التوحيد.

وكان الصحابة يتمادحون فيما بينهم، ولكنَّهم كانوا يحذرون من ذلك، كما قال بعضهم حين مُدِح: اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيرًا ممَّا يظنُّون، واغفر لي ما لا يعلمون[(٣)].

وقال ابن عطاء الله السكندري في حِكَمه: «الناس يمدحونك لما يظنونه فيك، فكن أنت ذامًّا لنفسك لما تعلمه منها. أجهل الناس من يترك يقين ما عنده لظنِّ ما عند الناس»[(٤)].

---

(١) رواه أحمد (١٣٥٩٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٠٩٧)، عن أنس.

(٢) رواه أحمد (١٨٣٩)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وابن ماجه في الكفارات (٢١١٧)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٨٣)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٣٩)، عن ابن عباس.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٦٨٥٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٦١)، وصحح إسناده الألباني في الأدب المفرد (٥٨٩)، عن عدي بن أرطاة.

(٤) حكم ابن عطاء (١٤٢، ١٤٤).

QaradawiBooks.com

موقف المسلم الحق من المدح:

وينبغي أن يكون المسلم قوَّالًا بالحق، مقاومًا للباطل، لا يمدح الناسَ لِما يُسْدون إليه من مال، أو يتملَّقُهم ليقلِّدوه منصبًا، أو لينالَ منهم منفعة، فكم من الناس يُنشِئُون القصائد، ويصنعون الخُطب، ويكيلون المدائح، لأفراد لا ينتفع المجتمع منهم بإيمان صادق، ولا بعلم نافع، ولا بعمل صالح، ولا بدعوة هادية، ولا بإصلاحٍ لفاسد، أو تقويمٍ لمُعْوَج.

وآخرون يُرحِّبون بمَن يمدحهم ويثني عليهم، ويذكر لهم من المفاخر والمآثر والمناقب ما لا يعلمه أحد غيره، وغير أمثاله من الكَذَبَة المنافقين، الذين ملؤوا آفاق الدنيا بالكذب.

بل المؤمن الحق، ينبغي أن يكون على حذَرٍ وتخَوف مِن مدح الناس له.

وقد حذَّر النبيُّ ﷺ مِن المدَّاحين، الذين كل همِّهم أن يملؤوا الدنيا بالثناء الهائل، والمدائح الكبرى لفلان باشا، أو فلان بيه، أو غير ذلك من الناس المنتفخين بالباطل، المستكبرين في الأرض بغير الحق.

قال ﷺ: «**إذا رأيتم المدَّاحين فاحثوا في وجوههم التراب**»[1].

ومن أخطر الناس على المجتمع: هؤلاء الناس الذين يُروجون للشخصيات المصنوعة، التي تظهر في المجتمع، وتبرز في شاشاته، بغير كفاية علمية، ولا كفاية عملية، ولا كفاية أخلاقيَّة، ولا كفاية دينيَّة، ولا كفاية اقتصاديَّة أو سياسيَّة. ولكن هكذا تصنع الأصنام!

(١) سبق تخريجه صـ٦٤٦.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

كصانعٍ صنمًا يومًا على يَدِهِ وبعدَ ذلكَ يرجوهُ ويخشاهُ![١]

ومن أراذل الخصال: مدح الآخرين بغير الحق، حتى مدح الإنسان بالحق في وجهه، فإن على المادح أن يخشى الله في كل كلمة يقولها، خوفًا ممَّا يترتَّب عليها. وقد قال النبيُّ ﷺ، لمَن مدح رجلًا في وجهه: «**ويلَك قطعتَ عنق صاحبك، قطعت عنق صاحبِكَ**» مرارًا، ثم قال: «**من كان منكم مادحًا أخاه لا محالة، فليقل: أحسب فلانًا، والله حسيبُه، ولا أزكِّي على الله أحدًا، أحسبه كذا وكذا. إن كان يعلم ذلك منه**»[٢].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: سمع النبيُّ ﷺ رجلًا يُثني على رجلٍ ويُطريه في المِدْحَةِ، فقال: «**أهلكتم ـ أو قطعتم ـ ظهر الرجل**»[٣]. وهذا محمول على المدح الذي فيه مبالغة وتجاوز للحد.

وليس معنى هذا: أن نُغلق أفواهنا، ونغمِط الناسَ حقَّهم، ولا نعترف بالإحسان لمن أحسن، ولا نمدح من استحق المدح، بل نمدح مَن استحق شيئًا مِن ذلك، بشرط أن نُمَحِّص ذلك ونُحقِّقه، ولا نُطلقه بغير حُجَّة ولا بيِّنة، وأن يكون ذلك عن يقين، وأن يصدر بميزان عادل، لا يعرف غير الحق.

قال الحافظ ابن حجر: «والضابط ألَّا يكون في المدح مجازفة، ويُؤمَن على الممدوح الإعجاب والفتنة»[٤].

---

(١) من شعر محمد توفيق بن علي بن محمد البكري الصِّدِّيقي، كما في الأدب الحديث لعمر الدسوقي (٤٦٩/٢)، نشر دار الفكر العربي.

(٢) سبق تخريجه صـ٦٤٦.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٦٣)، ومسلم في الزهد والرقائق (٣٠٠١).

(٤) فتح الباري (٤٧٨/١٠، ٤٧٩).

QaradawiBooks.com

وقد مدح النبي ﷺ كثيرًا مِن الصحابة مثل: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وأبي عبيدة، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وبقية العشرة المبشرين بالجنة، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة، وأبي بن كعب، ومدَحَ الحسَنَ والحسين، وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وكثيرًا من المهاجرين والأنصار، وكثيرًا من الصحابة، ومدَحَ أمهاتِ المؤمنين مثل: خديجة وعائشة وأم سلمة وزينب بنت جحش، وغيرهن.

كما ذمَّ كثيرًا مِن المشركين والمنافقين، أمثال: أبي لهب، وأبي جهل، والوليد بن المغيرة، وأمية بن خلف، وغيرهم؛ تحذيرًا منهم، ونهيًا للناس أن يسلكوا مسلكهم.

مدح الله لبعض عباده:

وقد مدح الله تعالى في خاتم كتبه (القرآن) كثيرًا من عباده، من الأنبياء والمرسلين، وأولي العزم من الرسل، مدحهم على صبرهم على أداء رسالتهم، وعلى ما جرَّتهم عليهم من بأساء وضراء وزلزلة، حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه: متى نصر الله؟ ألا إنّ نصْر الله قريب.

ومدح المرسلين على ما ابتُلوا به في أنفسهم وأهليهم، قال تعالى في أيوب: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۞ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤]. وقال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

QaradawiBooks.com

وذكر القرآن كثيرًا من الصالحين والصالحات، والمؤمنين والمؤمنات، مثل أهل الكهف، وصاحب موسى في سورة الكهف، ومؤمن سورة يس، ومؤمن آل فرعون، وامرأة فرعون، وأم موسى، وأمهات المؤمنين، وغيرهم وغيرهن.

ومدح القرآن صحابة رسول الله من المهاجرين والأنصار، فما ازدادوا إلَّا اطمئنانًا وثقة بفضل الله تعالى ورحمته، ولم يُغيِّرْهم ذلك، أو يعُقهم عن الاستمرار في طريق العمل والدعوة والجهاد في سبيل الله.

وكذلك وجدنا الصحابة رضي الله عنهم أثنى بعضهم على بعض بالحق، وردَّ بعضهم على بعض، ويجب أن نأخذ منهم أحسن ما عملوا، ونتجنب عنهم أسوأ ما عملوا، على أنَّ معظم عملهم هو نصرة الحق، ونشر الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

مدح الإنسان نفسه وقومه (الفخر):

وممَّا يدخل في المدح من أبواب الشعر: شعر «الفخر»، وهو باب واسع من أبواب الشعر العربي، تناوله العرب، وتنافسوا فيه، وأجاد فيه بعضهم، حين مدح قومه وجلَّى فضائلهم على غيرهم، دون أن يُقْذِع في ذَمِّ الآخرين.

ومن الشعراء من يمدح نفسه أو يفتخر بما قد يُقْبَل بعضه، ولا يُقْبَل كله، كما قال المتنبي[1]:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي ... وأسمعت كلماتي من به صَمَمُ
أنام ملءَ جفوني عن شواردها ... ويسهر الخلق جرَّاها ويختصم

(١) في ديوانه صـ٣٣٢.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقال ـ وهو البيت الذي قتل بسببه ـ:

الخيـــل واللَّيل والبيـــداء تعرفني والسيف والرمح والقِرطاس والقلمُ

وقال الإمام الشافعي من الفخر المحمود:

أنا إن عشـــتُ لســـتُ أعدَم قوتًا وإذا مِـــتُّ لســـتُ أعـــدم قبـــرَا
هِمَّتـــي همَّـــة الملوك، ونفســـي نفـــس حُـــرٍّ تـــرى المذلَّـــة كفرَا
وإذا مـــا قنعت بالقـــوت عُمْري فلمـــاذا أخـــاف زيـــدًا وعمْرَا؟

وقال طَرَفة بن العبد في معلَّقته[1]:

إذا القوم قالوا: من فتًى؟ خِلْتُ أنَّني عنيت فلـــم أكســـل ولـــم أتبلَّدِ

ومن الفخر المحمود ما جاء عن البارودي[2]:

ســـواي بتَحنانِ الأغاريد يطربُ وغيـــري باللذاتِ يلهـــو ويلعبُ
ومـــا أنا ممن تأســـر الخمـــرُ لُبَّه ويملك ســـمعَيْه اليَـــراعُ المثقَّبُ
ولكنْ أخو هَـــمٍّ إذا ما ترجَّحت به سَـــوْرةٌ نحو العُلا راح يدأَبُ
إذا أنا لـــم أُعطِ المـــكارمَ حقَّها فلا عزَّني خـــالٌ ولا ضمَّني أبُ
ومن تكـــنِ العليـــاءُ همةَ نفسِـــه فـــكل الذي يلقـــاه فيهـــا محبَّبُ

وقال ابن سناء المُلْك في اعتزاز بالغ[3]:

سوايَ يهاب الموتَ أو يرهبُ الرَّدَى وغيري يَهـــوى أن يعيش مخلَّدَا
ولكنني لا أرهبُ الدهر إن ســـطا ولا أحذر الموت الـــزُّؤَام إذا عَدَا
وإنَّـــك عبدي يـــا زمـــانُ وإنَّني على الرغم مني أن أُرى لك سيّدَا

(١) انظر: ديوانه صـ٢٤، تحقيق مهدي محمد ناصر الدين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢م .

(٢) في ديوانه صـ٥٥، تحقيق علي الجارم ومحمد شفيق معروف، نشر دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.

(٣) في ديوانه صـ٥٥٩، تحقيق محمد إبراهيم نصر، نشر دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م.

QaradawiBooks.com

ولكن من الفخر ما يعاب، حين يدخل في مغالبة الآخرين بالباطل، وادعاء مكارم لا حقيقة لها، والتطاول على سائر الناس.

حق كل قبيلة أن تدعي أنَّها تُقرِي الضيفَ، وتحمل الكَلَّ، وتُعين البائس، وتُغيث الملهوف، وتأخذ بيد المظلوم. وأن يقول قائلهم[١]:

ونحن أناسٌ لا توسطَ عِنْدَنا لنا الصدرُ دونَ العالمينَ أو القَبْرُ!
تَهونُ علينا في المعالي نفوسُنا ومن خطبَ الحسناءَ لم يُغْلِها المَهْرُ!

ولكن لا يجوز له في سبيل أن يُعلِي من شأن قبيلته: أن يحطَّ من شأن الآخرين، كما فعل عمرو بن كلثوم في معلقته حين قال[٢]:

لنا الدنيا ومن أمسى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا
بغاةُ ظالمين وما ظلمنا ولكنَّا سنبدأ ظالمينا
إذا بلغ الفطامَ لنا رضيع تخرُّ له الجبابرُ ساجدينا

فهذا فخر فيه استعلاء على الناس، وبغي عليهم، مبالغة في تعظيم قومه، حتى إنَّ الجبابرة تخر ساجدين لأطفالهم الرضع.

وقال في القصيدة نفسها:

ونشربُ إن وردنا الماء صفوًا ويشربُ غيرُنا كدرًا وطينًا

والفخر بهذه الروح فخر إبليس، الذي فخر على آدم بأنَّه خير منه، وهو كاذب.

---

(١) من شعر أبي فراس الحمداني، كما في ديوانه صـ ١٦٥، شرح د. خليل الدويهي، نشر دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٩٩٤م.

(٢) انظر: ديوانه صـ ٩٠، ٩١، تحقيق: إميل بديع يعقوب، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩١م.

QaradawiBooks.com

واللهُ قد ذمَّ الشعراء في القرآن بأنَّهم يقولون ما لا يفعلون، وأنهم في كل واد يهيمون، وبيَّن سبحانه أنَّه لا يقبل إلَّا أهل الإيمان والعمل الصالح، الذاكرين الله كثيرًا، لا الأقوام والأجناس والفصائل، والذين ينتصرون بالحق لمن يُظْلَمُ من قومهم، قال تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ۞ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۞ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ ـ ٢٢٧].

فإذا كان بعض الناس يقولون قديمًا: أعذب الشعر أكذبه!

فإنا نقول كما قال الشاعر الجاهلي:

وإنَّ أحسنَ بيتٍ أنت قائلُه بيتٌ يُقال إذا ما قلتَه: صَدَقَا[1]

أفاضل الخلفاء والأمراء العرب من الأمويين والعباسيين يحبون المديح المعتدل:

وقد حكت لنا كتب الأدب والشعر مواقف كثير من فضلاء الخلفاء والأمراء من الأمويين والعباسيين وغيرهم، الذين رفضوا مبالغات الشعراء في إطرائهم ومدحهم، وأحبوا المدح بالإيجابيات والخصال الأصيلة والوقائع العملية.

فهذا الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، لا يستريح لمدح ابن قيس الرُّقَيَّات بقوله:

يَأْتَلِقُ التاجُ فوقَ مَفْرِقِه على جبينٍ كأنَّه الذهبُ

(١) من شعر زهير، انظر: العقد الفريد (١٧٤/٦).

QaradawiBooks.com

وقال له: يا ابن قيس، تمدحني بالتاج، كأني من العجم، وتقول في مصعب ابن الزبير:

إنَّمـا مصعبٌ شـهابٌ مـن الله تجلّـت عـن نـوره الظلمـاء!
ملكـهُ ملـكُ قـوةٍ ليـس فيـه جبـروتٌ منـه ولا كبريـاءُ![1]

الخليفة لم يعجبه وصف الشاعر له؛ فقد عدل في وصفه عن الفضائل النفسية، التي هي العقل والعفة والعدل والشجاعة، وما جانس ذلك، إلى وصفه بما لا يليق به من أوصاف الجسـم في البهاء والزينة، وهو أشبه بتعزل العاشق في معشوقته.

ومدح الخليفةَ المأمون بن هارون الرشـيد: عبدُ الله بن أبي السمط، فقال فيما قال فيه:

أضحى خليفتُنا المأمونُ مشـتغلًا بالدينِ والناسُ بالدنيا مشـاغيلُ

فلم يعجبـه ذلك، وخرج الشـاعر، فلقيه عمارة بـن عقيل فقال له: ما زدت على أن جعلته عجوزًا في محرابها في يدها سُـبْحة، فمن يقوم بأمر الدنيا إذا كان مشـغولًا عنها وهو المطوَّق بهـا؟ ألا قلت كما قال جرير لعبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك:

فلا هو في الدنيا مُضِيـعٌ نصيبَهُ ولا عَرَضُ الدنيا عن الدينِ شاغِلُهْ؟![2]

وقال شُراحيل بن مَعْنِ بن زائدة:

حج هارون الرشيد وأبو يوسف القاضي، وكنتُ كثيرًا ما أُسايره، إذ عَرض له أعرابيٌّ من بني أَسَدٍ، فأنشـده شِعْرًا مدحه فيه وأَفْرط، فقال له

(١) انظر: الفرج بعد الشدة للتنوخي (٢٨٤/٤)، نشر دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

(٢) العقد الفريد (٢١٤/٦)، وانظر: الصناعتين: الكتابة والشعر لأبي هلال العسكري صـ ١١٩، نشر المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.

QaradawiBooks.com

هارون: ألم أنْهكَ عن مثل هذا في مَدْحك يا أخا بني أسد؟ إذا قلتَ فينا، فقل كقول القائل في أبي هذا:

بنــو مَطَــرٍ يــومَ اللقــاءِ كأنَّهم ... أســودٌ لها في غِيلِ خَفَّانَ أشْــبُلُ
همُو يمنعون الجــار حتَّى كأنَّما ... لِجارهمُــو بين السِّــمَاكَيْن منزلُ
بَهالِيلُ في الإسلام سادُوا ولم يكُن ... كأَوَّلِهــم فــي الجاهليّــة أوَّلُ
وما يســتطيعُ الفاعلــون فِعالَهم ... وإن أحسنوا في النائباتِ وأجْمَلوا
همُ القومُ إن قالوا أصابوا، وإن دُعُوا ... أجابوا، وإن أَعْطَوا أطابوا وأجْزَلوا[1]

٤ ـ الهجاء بغير حق:

ويقابل المدح: الذم، أو الهجاء، الذي عُرف في الشعر العربي، فهناك شــعراء عُرفوا بالمدح للملوك والأمــراء، وآخرون فــي مقابلهم عرفوا بالهجاء، خصوصًا هجــاء بعضهم لبعض، وهذا الهجاء يتناول الســيرة الشخصية، ويتناول الأُسْرة والقبيلة، كما في نقائض جرير والفرزدق.

وممَّا قاله جرير في الهجاء[2]:

فغُــضَّ الطَــرْفَ إنك مــن نُمَيْرٍ ... فــلا كعبًــا بلغــتَ ولا كِلَابَــا

وقال حسان في هجاء قبيلة:

لا بَأْسَ بالقومِ من طُولٍ ومن قِصَرٍ ... جسم البغالِ وأحلامُ العصافيرِ[3]

وقال آخر في هجاء قبيلة أخرى:

---

(١) العقد الفريد (٢٥٩/١، ٢٦٠).

(٢) من قصيدة هجا بها الراعي النميري، انظر: ديوان جرير صـ ٦٣، نشــر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٦م.

(٣) ديوانه صـ ١٢٩، شرح: عبد أ. مهنَّا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

قومٌ إذا استنبح الأضيافُ كلبَهمُو قالوا لأمِّهمُو: بُولي على النارِ![١]

يقال: إنَّه أهجى بيت قالته العرب؛ لأنَّه قد جمع فيه ضروبًا من الهجاء: فنسبهم إلى البخل بوقود النار، لئلا يهتدي بها الضِّيفان، ثم البخل بإيقادها إلى السائرين والسابلة، ورماهم بالبخل بالحطب، وأخبر عن قلتها، وأن بولة تطفئها، وجعلها بولة عجوز، وهي أقل من بولة الشابة، ووصفهم بامتهان أمهم وابتذالها في مثل هذه الحال، يدل بذلك على العقوق والاستخفاف، وعلى أن لا خادم لهم، وأخبر في أضعاف ذلك ببخلهم بالماء[٢].

ولا شك أنّ هذا النوع من الهجاء اللاذع الذي يشمل بالذم كل القبيلة، ليس مقبولًا شرعًا. فالفرد لا يسأل عن كل ما في القبيلة، ولا يحاسب عليها، ولا يحاسب إلَّا على ما يخصّه منها. وكل فرد في القبيلة أو في الجماعة مسؤول عن نفسه. و﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤، الإسراء: ١٥، فاطر: ١٨، الزمر: ٧]. فالمسؤوليَّة في أساسها فرديَّة، وهي تقوم على أساس الإرادة الإنسانية الفردية الحرة، وكلٌّ يختار العمل الذي يُسأل عنه.

٥ ـ السخرية والاستهزاء:

من آفات اللسان أيضًا: السخرية بالناس والاستهزاء بهم، وقد ذكرها القرآن في سورة الحُجُرات، التي عَلَّم فيها القرآن المسلمين كيف يتأدَّب بعضهم مع بعض، وكيف يرعى كل منهم حرمة أخيه، ويحفظ له حق

(١) من شعر الأخطل في هجاء جرير وقومه بني يربوع، انظر: ديوانه صـ ١٦٦، شرح مهدي محمد ناصر الدين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٩٤م.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق القيرواني (١٧٥/٢)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر دار الجيل، ط ٥، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

QaradawiBooks.com

أخوته، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]، وذكر بعدها الآيات التي تحرم كل ما ينال من قدسيَّة هذه الأخوة، ويضعف من شأنها، ويخفِّف من حرمتها.

وأول هذه الأشياء: **السخرية من الناس**. فلا يحل لمؤمن يخشى الله، ويرجو الدار الآخرة أن يسخر من أحد من الناس، أو يجعل من بعض الأشخاص موضع هزئه وسخريته، وتندره ونكاته، ففي هذا كِبر خفي، وغرور مُقَنَّع، واحتقار للآخرين، وجهل بموازين الخيرية عند الله. ولذا قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ [الحجرات: ١١].

إنَّ الخيريَّة عند الله تقوم على الإيمان والإخلاص، وحُسن الصلة بالله تعالى، لا على الصور والأجسام، ولا على الجاه والمال. وفي الحديث: «**إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم ولا أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[(١)].

فهل يجوز أن يسخر إنسان من إنسان، رجل أو امرأة، لعاهة في بدنه، أو آفة في خِلْقته، أو فقر في ماله؟

وقد ثبت أن عبد الله بن مسعود انكشفت ساقه، وكانت دقيقة هزيلة، فضحك منها بعض الحاضرين، فقال النبي ﷺ: «**أتضحكون من دقَّة ساقيه، والذي نفسي بيده، لهُمَا أثقلُ في الميزان من جبلِ أُحُد**»[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه صـ٨٧.

(٢) رواه أحمد (٣٩٩١)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والطبراني (٩٥/٥)، والبزار (٣٣٠٥)، وابن حبان في مناقب الصحابة (٧٠٦٩)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. وحسَّنه الألباني في غاية المرام (٤١٦)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

وقد حكى القرآن عن مجرمي المشركين كيف كانوا يسخرون بالمؤمنين الأخيار، ولا سيما المستضعفين منهم، كبِلالٍ وعمار، وكيف ستنقلب الموازين يوم الحساب، فيصبح الساخرون موضع السخرية والاستهزاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ۞ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۞ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ۞ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ۞ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ۞ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين: ٢٩ ـ ٣٤].

وقد نصَّت الآية بصريح العبارة على النهي عن سخرية النساء، مع أنَّها تُفهم ضمنًا، وتدخل تبعًا، وذلك لأن سخرية النساء بعضهن من بعض، من الأخلاق الشائعة بينهن.

٦ ـ اللمز والتنابز بالألقاب:

ومن هذه المُحرَّمات التي تضعف الأخوة وتنال منها والتي ذُكرت في سورة الحجرات: اللَّمز.

واللمز معناه في اللغة: الوخْز والطعن، ومعناه هنا الطعن في الناس والعيب فيهم، إما أمامهم أو من وراء ظهورهم، إما بالكلام، وإما بالإشارة.

فكأن من يعيب الناس، إنَّما يوجِّه إليهم وخزة بسيف أو طعنة برمح. وهذا حق، بل ربما كانت وخزة اللسان أشد وأنكَى، وقد قيل:

جراحاتُ السنانِ لها التئامٌ ولا يَلْتَامُ ما جرح اللسانُ[1]

(١) ذكره الثعالبي ولم ينسبه في اللطائف والظرائف صـ ١٠٤، نشر دار المناهل، بيروت.

QaradawiBooks.com

ولصيغة النهي في الآية إيحاء جميل، فهي تقول: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١]. والمراد: لا يلمز بعضكم بعضًا، ولكن القرآن يعبِّر عن جماعة المؤمنين كأنَّهم نفس واحدة؛ لأنَّهم جميعًا متعاونون متكافلون، فمن لمز أخاه فإنما يلمز نفسه في الحقيقة، لأنَّه منه وبه.

ومن اللمز المحرَّم: التنابز بالألقاب، وهو التنادي بما يسوء منها ويكره، ممَّا يحمل سخرية ولمزًا، ولا ينبغي لإنسان أن يسوء أخاه، فيناديه بلقب يكرهه ويتأذى منه، فهذا مدعاة لتغير النفوس، وعدوان على الأخوة، ومنافاة للأدب والذوق الرفيع.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ [الحجرات: ١١] أي: لا تتنابزوا بألقاب السوء، التي يكره الإنسان أن يُنادى بها، لا تقل لرجل: يا أعور، إذا كان يكره أن يقال له ذلك، أو يا أعرج، إذا كان يكره أن يقال له ذلك، نادِه بأحب الأسماء إليه.

وقد كان النبي ﷺ ينادي أصحابه بأحب الأسماء إليهم، بل كان يُغيِّر الأسماء الرديئة إلى أسماء حسنة وطيبة؛ ففي صحيح مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ غيّر اسم عاصية، وقال: «**أنت جميلة**»[(١)]. وقال لرجل ما اسمك؟ قال: حَزَن، فقال: «**أنت سهل**»[(٢)]. وحَزَن أي: صعب، والعرب كانوا يحبُّون الخشونة في الأسماء لأولادهم، لكن الإسلام لا يستحبُّ ذلك.

وقد اعتاد العرب أن ينادي بعضهم بعضًا بكنيته، مثل: يا أبا حفص، أو يا أبا الحسن، أو يا أبا ذر.

(١) رواه مسلم في الآداب (٢١٣٩)، وأحمد (٤٦٨٢)، وأبو داود في الأدب (٤٩٥٢).
(٢) رواه البخاري في الأدب (٦١٩٠).

QaradawiBooks.com

وقال عمر رضي الله عنه: ثلاث يُصفِّين لك ودُّ أخيك: أن تسلم عليه إذا لقيته، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه[١].

٧ ـ الغيبة:

وممَّا نهت عنه سورة الحجرات الغيبة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

إنَّ القرآن يصور المغتاب بصورة منفـرة، تتقزز منها النفوس، وتنبو عنها الأذواق الإنسان يأنف أن يأكل لحم أي إنسان، فكيف إذا كان لحم أخيه؟! وكيف إذا كان ميتًا؟!

وقد ظل النبي ﷺ يؤكِّد هذا التصوير القرآني في الأذهان، ويُثَبِّته في القلوب، كلما لاحت فرصة لهذا التأكيد والتثبيت.

قال ابن مسـعود: كنا عند النبي ﷺ فقام رجـل، فوقع فيه رجل مِنْ بعده، فقال النبي لهذا الرجل: «**تخلَّل**» فقال: مِمَّ أتخلَّل؟ ما أكلت لحمًا! قال: «**إنك أكلتَ لحم أخيك**»[٢].

وعن جابر قال: كنا عند النبي ﷺ، فهبَّت ريح منتنة، فقال الرسول ﷺ: «**أتدرون ما هذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين**»[٣].

---

(١) سبق تخريجه صـ٥٠٠.

(٢) رواه الطبراني (١٠/١٠٢)، وقـال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣١٤٥): رجاله رجال الصحيح. وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤٢٨).

(٣) رواه أحمد (١٤٧٨٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والبخاري في الأدب المفرد (٧٣٢)، وقال المنذري في الترغيـب (٤٢٩٩)، والهيثمي في مجمع الزوائـد (١٣١٢١): رواه أحمد ثقات. وحسَّنه الألباني في غاية المرام (٤٢٩).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مرخصة
QaradawiBooks.com

وقد حدد الرسول ﷺ مفهوم الغيبة لأصحابه على طريقته في التعليم بالسؤال والجواب، فقال لهم: «**أتدرون ما الغِيبة؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**ذكرك أخاك بما يكره**» قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتَّه**»[١]. أي: ارتكبتَ بُهتانًا في حقِّه.

وما يكرهه الإنسان يتناول خَلقه وخُلقه ونسبه، وعلمه وعمله، وأهله وأقاربه، وزملاءه وأصدقاءه، وكل ما يخصُّه.

عن عائشة قالت: قلت للنبيِّ ﷺ: حسبك من صفيَّة ـ زوج النبي وضرتها ـ كذا وكذا. تعني أنَّها قصيرة. فقال النبي ﷺ: «**لقد قلتِ كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجتْه**»[٢].

إنَّ الغِيبة هي شهوة الهدم للآخرين، هي شهوة النهش في أعراض الناس وكراماتهم وحرماتهم، وهم غائبون. إنَّها دليل على الخِسَّة والجُبْن؛ لأنَّها طعن من الخلف، وهي مظهر من مظاهر السلبيَّة، فإنَّ الاغتياب ـ كما قال المتنبي[٣] ـ جهد من لا جُهد له، وهي مِعول من معاول الهدم؛ لأن هواة الغيبة، قَلَّما يسلم من ألسنتهم أحد بغير طعن ولا تجريح.

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٨٩)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٢٥٥٦٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في الأدب (٤٨٧٥)، والترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥٠٢)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤٢٧).

(٣) قال المتنبي:

وأُكْبِرُ نفسي عن جزاءٍ بغِيبةٍ وكلُّ اغتيابٍ جهدُ مَنْ لا له جهدُ

انظر: الأمثال السائرة من شعر المتنبي للصاحب ابن عباد صـ ٣٢، نشر مكتبة النهضة، بغداد، ط ١، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م، وديوان المتنبي صـ ١٩٩.

QaradawiBooks.com

وأولى بالإنسان أن يشتغل بعيبه عن عيوب الناس، وأن يبحث عن الشيء الجميل في غيره بدل البحث عن عيوبه.

كان المسيح عليه السلام مع حوارييه، فوجدوا خنزيرا ميتًا، فنظروا فيه، فقال أحدهم: ما أقبح وجهه! وقال آخر: ما أنتن ريحه! وقال ثالث: ما أغلظ شعره! وقال المسيح عليه السلام: ما أحسن بياض أسنانه! إذا ذكرتم الشيء فاذكروه بأحسن ما فيه[1].

حدود الرخصة في الغيبة:

كل هذه النصوص تدلنا على قداسة الحرمة الشخصيَّة للفرد في الإسلام.

ولكن هناك صور استثناها علماء الإسلام من الغيبة المحرمة، وهي استثناء يجب الاقتصار فيه على قدر الضرورة.

ومن ذلك: **المظلوم الذي يشكو ظالمه**، ويتظلَّم منه فيذكره بما يسوؤه، ممَّا هو فيه حقًّا، فقد رُخِّص له في التظلم والشكوى، قال الله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨].

وقد يسأل سائل عن شخص معين ليشاركه في تجارة، أو يزوجه ابنته، أو يوليه من قِبَله عملًا هامًّا، وهنا تعارض واجب النصيحة في الدين وواجب صيانة عِرض الغائب، ولكن الواجب الأول أهم وأقدس فقُدِّم على غيره.

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (٢٩٥)، وأبو نعيم في الحلية (٣٨٢/٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد رأينا النبي ﷺ حين استشارته فاطمة بنت قيس في أمر زواجها، وقد أبدى الرغبة فيها رجلان: معاوية وأبو جهم، فقال لها: «**أمَّا معاوية، فصعلوكٌ لا مال له، وأمَّا أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه!**»[(١)]. يعني: أنَّه كثير الضرب للنساء.

ومن ذلك: **الاستفتاء والاستعانة على تغيير المنكر**، كما بيَّنت هند بنت عتبة للنبي ﷺ: أن زوجها أبا سفيان رجل شحيح، فهل يصح أن تأخذ من ماله بغير إذنه؟ فقال لها: «**خذي من ماله ما يكفيكِ وولدَكِ بالمعروف**»[(٢)].

ومن ذلك: أن يكون للشخص اسم أو لقب، أو وصف يكرهه، ولكنَّه لم يشتهر إلَّا به، كالأعرج والأعمش وابن فلانة.

ومن ذلك: تجريح الشهود، ورواة الأحاديث والأخبار، وبهذا قام علم الجرح والتعديل، فلولا هذا لقال مَن شاء ما شاء.

الضابط العام هنا:

والضابط العام في إباحة هذه الصور أمران:

١ ـ الحاجة:

فما لم تكن هناك حاجة ماسَّة إلى ذكر غائب بما يكره، فليس له أن يقتحم هذا الحِمَى المحرَّم، وإذا كانت الحاجة تزول بالتلميح، فلا ينبغي أن يلجأ إلى التصريح، أو بالتعميم فلا يذهب إلى التخصيص.

---

(١) رواه مسلم في الطلاق (١٤٨٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في النفقات (٥٣٦٤)، ومسلم في الأقضية (١٧١٤)، عن عائشة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فالمستفتي مثلًا إذا أمكن أن يقول: ما قولكَ في رجل يصنع كذا وكذا؟ فلا ينبغي أن يقول: ما قولك في فلان بن فلان؟ وكل هذا بشرط ألا يذكر شيئًا غير ما فيه، وإلا كان بُهتانًا حرامًا.

٢ ـ النية:

والنيَّة وراء هذا كله فيصل حاسم، والإنسان أدرى بحقيقة بواعثه من ذكر غيره، النية هي التي تفصل بين التظلم والتشفِّي، بين الاستفتاء والتشنيع، بين الغِيبة والنقد، بين النصيحة والتشهير. والمؤمن ـ كما قيل ـ أشدُّ حسابًا لنفسه من سلطان غاشم، ومن شريك شحيح[١].

السامع شريك المغتاب:

ومن المقرَّر في الإسلام: أنَّ السامع شريك المغتاب، وأن عليه أن ينصر أخاه في غَيْبته ويرد عنه، وفي الحديث: «**من ذَبَّ عن عرض أخيه بالغَيبة، كان حقًّا على الله أن يعتقه من النار**»[٢]. و«**من ردَّ عن عِرض أخيه في الدنيا ردَّ الله عن وجهه النار يوم القيامة**»[٣].

فمن لم تكن له هذه الهِمَّة، ولم يستطع رد هذه الألسنة المفترسة عن عرض أخيه، فأقل ما يجب عليه أن يعتزل هذا المجلس، ويُعرض عن القوم حتى يخوضوا في حديث غيره، وإلا فما أجدره بقول الله: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]!

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٥٣/٦١)، من قول ميمون بن مهران.

(٢) رواه أحمد (٢٧٦٠٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والطبراني (١٧٦/٢٤). وقال المنذري في الترغيب (٤٣١٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٣١٥٠)، والبوصيري في إتحاف الخيرة (٥٣٥٩/٥): إسناد أحمد حسن. وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤٣١)، عن أسماء بنت يزيد.

(٣) رواه أحمد (٢٧٥٤٣)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والترمذي في البر والصلة (١٩٣١)، وحسَّنه الألباني في غاية المرام (٤٣٢)، عن أبي الدرداء.

QaradawiBooks.com

٨ ـ النميمة:

وإذا ذكرت الغيبة في الإسلام ذُكرت بجوارها خصلة تقترن بها، حرمها الإسلام كذلك أشد الحرمة، تلك هي النميمة.

والنميمة نقل ما يسمعه الإنسان عن شخص إلى ذلك الشخص على وجه يوقع العداوة بين الناس، ويكدر صفو العلائق بينهم، أو يزيدها كدرًا.

وقد نزل القرآن بذمِّ هذه الرذيلة منذ أوائل العهد المكي، إذ قال: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١٠، ١١].

وقال ﷺ: «**لا يدخل الجنَّة قتَّات**»[(١)]. والقتَّات هو النمَّام.

وقيل: النمام هو الذي يكون مع جماعة يتحدَّثون حديثًا، فينم عليهم، والقتات: هو الذي يتسمَّع عليهم، وهم لا يعلمون ثم ينُم.

وقال ﷺ: «**شرار عباد الله المشَّاؤون بالنميمة، المُفرِّقون بين الأحبَّة، الباغون للبرآء العَنَت**»[(٢)].

إنَّ الإسلام، في سبيل تصفية الخصومة وإصلاح ذات البين، يبيح للمصلح أن يخفي ما يعلم من كلام سيئ قاله أحدهما عن الآخر، ويزيد من عنده كلامًا طيبًا، لم يسمعه من أحدهما في شأن الآخر، وفي الحديث: «**ليس الكذَّاب الذي يُصلح بين الناس، فيَنْمِي خيرًا أو يقول خيرًا**»[(٣)].

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٥٦)، ومسلم في الإيمان (١٠٥)، عن همام بن الحارث.
(٢) سبق تخريجه صـ ٥٠٩.
(٣) سبق تخريجه صـ ٦٣٠.

QaradawiBooks.com

ويغضب الإسلام أشد الغضب على أولئك الذين يسمعون كلمة السوء، فيبادرون بنقلها تزلفًا أو كيدًا، أو حبًّا في الهدم والإفساد.

ومثل هؤلاء لا يقفون عند ما سمعوا، إن شهوة الهدم عندهم تدفعهم إلى أن يزيدوا على ما سمعوا، ويختلقوا إن لم يسمعوا.

إنْ يسمعوا الخيرَ أخفَوْه، وإن سمعوا شرًّا أذاعوا، وإن لم يسمعوا كذبُوا[1]

دخل رجل على عمر بن عبد العزيز، فذكر له عن آخَرَ شيئًا يكرهه. فقال عمر: إن شئتَ نظرنا في أمرك، فإن كنتَ كاذبًا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]، وإن كنتَ صادقًا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ﴾ [القلم: ١١]، وإن شئتَ عفونا عنك. قال: العفو يا أمير المؤمنين، لا أعود إليه أبدًا[2].

٩ ـ الاستطالة على عرض المسلم:

لقد رأينا كيف صان الإسلام بتعاليمه وأحكامه الأعراض والحرمات، بل كيف وصل برعاية الحرمات للناس إلى حدِّ التقديس. وقد نظر عبد الله بن عمر رضي الله عنه يومًا إلى الكعبة فقال: ما أعظمك وأعظم حرمتك! والمؤمن أعظم حرمة منك[3]. وحُرمة المؤمن تتمثل في حرمة عرضه ودمه وماله.

---

(١) البيت لابن المطهر الحموي، كما في مجمع الآداب لابن الفوطي (٧١/٥)، تحقيق: محمد الكاظم، نشر مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، ط١، ١٤١٦هـ.

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي (٣٩/٢)، نشر دار الفكر، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

(٣) رواه الترمذي في البر والصلة (٢٠٣٢)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٣٢)، وابن حبان في الحظر والإباحة (٥٧٦٣)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده قوي. وحسَّنه الألباني في غاية المرام (٤٣٥)، وقال في صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٣٩): حسن صحيح.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وفي حجَّة الـوداع خطب النبي ﷺ في جموع المسـلمين فقال: «**إن أموالَكم وأعراضَكم ودماءَكـم حرامٌ عليكم، كحرمـةِ يومِكم هذا، في شـهرِكم هذا، في بلدِكم هذا**»(١). وفي الحديث الصحيح: «**كلُّ المسلمِ على المسلم حرام: دمه، وماله، وعِرْضه**»(٢).

وقد حفظ الإسـلام عِرْض الفرد من الكلمة التي يكرهها، تُذكر في غيبته وهي صدق، فكيف إذا كان الكلام افتراءً لا أصل له؟! إنَّها حينئذٍ تكون حُوبًا كبيرًا، وإثمًا عظيمًا.

وفي الحديث: «**من ذكر امرأً بشيء ليس فيه ليعيبه به، حبسه الله في نار جهنم، حتى يأتي بنفاذ ما قال فيه**»(٣).

وعن سـعيد بن زيد: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ مِنْ أربى الرِّبا الاستطالةَ في عِرْض المسلم بغير حق**»(٤). ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

رمي المؤمنات العفيفات بالفاحشة:

وأشـد هذا اللون مـن الاعتداء علـى الأعراض: رمـي المؤمنات العفيفات بالفاحشـة، لما فيه من ضرر بالغ بسمعتهن، وسمعة أسرهن،

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٧)، ومسلم في القسامة (١٦٧٩)، عن أبي بكرة.

(٢) سبق تخريجه صـ٥٩٨، وفيه: «لا تدابروا ولا تباغضوا».

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٨٩٣٦)، قال المنذري في الترغيب (٤٢٣٢): رواه الطبراني بإسناد جيد. وصحَّحه السيوطي في الصغير (٨٦٧٦). وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣١٤٧)، والألباني في غاية المرام (٤٣٧)، عن أبي الدرداء.

(٤) سبق تخريجه صـ ٤٠٦.

QaradawiBooks.com

ومن خطر على مستقبلهن، فضلًا عمَّا فيه من حب إشاعة الفاحشة في المجتمع المؤمن.

ولذا عدَّه الرسول من الكبائر السبع الموبقات[1]، وأوعد القرآن عليه بأشدّ أنواع الوعيد: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۞ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٣ ـ ٢٥]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

وقد أوجَبَ الإسلام حدًّا شرعيًّا، هو عقوبةٌ بدنيَّة تتمثَّل في ثمانين جلدةً، يُحَدُّ بها مَن قذف المحصنات الغافلات المؤمنات، إلى جوار عقوبات تابعة أخرى، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٤، ٥].

ومعنى رَمْي المحصنات أي: قذفهنَّ بالزنى، أو بنفي الولد. وجعل القرآن بعد الجلد عقوبة اجتماعية ثانية، وهي: ردَّ الشهادة وعدم قبولها. وهي عند أبي حنيفة وأصحابه لا تسقط أبدًا ولو بالتوبة، لقول الله: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا﴾، كما جعل القرآن بعد ذلك عقوبة دينيَّة عبر عنها بقوله: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟﴾، أي: إسقاط عدالتهم الدينية ما لم يتوبوا، فتقبل توبتهم بالإجماع، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٥].

---

(١) إشارة إلى الحديث المتفق عليه: «**اجتنبوا السبع الموبقات... وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**». رواه البخاري في الوصايا (٢٧٦٦)، ومسلم في الإيمان (٨٩) من حديث أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

١٠ ـ المراء والجدل:

ومن آفات اللسان التي يجب البعد عنها في أحاديثنا: المراء والجدل، وأدب المسلم في حديثه: ألَّا يجعلَ مهمَّتَه المراءَ مع المخالفين، والجدالَ مع الآخرين، يعيش في معاركَ متَّصلةٍ مع أهل المِلل والنِّحَل، وأهل الدعاوي والبدع، والمخالفين في السلوك، والمغايرين في الأدب، والمشاغبين في الفكر، والمخاصمين في السياسة، ومَن فتح حسابًا مع كل هذه الفئات، سينفَدُ رصيدُه، ويبقى صِفرًا، لِما يجلبه هذا الجدل الذي لا ينتهي عليه من إفلاس وإبلاس.

فعن أبي أُمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما ضلَّ قوم بعد هدى كانوا عليه، إلَّا أُوتوا الجَدَل**» ثم قرأ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨][(١)].

وقد ذكرنا عن الإمام المنذري في كتابنا «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» جملةً من الأحاديث الصحيحة والحسنة، انتقيتها من الكتاب، ويحسُن بنا أن نذكرها هنا، وكلُّها حولَ الترهيب من المِراء والجدال، والمخاصمة والمحاججة، والقهر والغلبة، والترغيب في ترْكها للمُحقِّ والمُبطِل.

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ترك المِراء وهو مُبطل بُنِي له بيتٌ في رَبَضِ الجنة، ومَن تركه وهو محق بُني له في وَسَطها، ومَن حسُن خلقُه بُني له في أعلاها**»[(٢)].

---

(١) رواه أحمد (٢٢١٦٤)، وقال مخرِّجوه: حسن بطرقه وشواهده. والترمذي في التفسير (٣٢٥٣)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في المقدمة (٤٨)، والحاكم في التفسير (٤٤٧/٢)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي.

(٢) سبق تخريجه صـ ٤٩٧.

QaradawiBooks.com

رَبَضُ الجنة: هو بفتح الراء والباء الموحدة وبالضاد المعجمة، وهو ما حولها.

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: كنا جلوسًا عند باب رسول الله ﷺ نتذاكر، ينزعُ هذا بآيةٍ، وينزع هذا بآية، فخرج علينا رسول الله ﷺ فكأنما يُفْقَأُ في وجهه حبُّ الرمان، فقال: «**يا هؤلاء، بهذا بعثتم؟! أم بهذا أمرتم؟! لا ترجعوا بعدي كفَّارًا يضرب بعضُكم رقابَ بعض**»(١).

وعن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إن أبغض الرجالِ إلى الله الألَدُّ الخَصِم**»(٢).

الألدُّ بتشديد الدال المهملة: هو الشديد الخصومة، الخَصِم بكسر الصاد المهملة: هو الذي يحُجُّ مَن يخاصمه.

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**المِراء في القرآن كُفْر**»(٣).

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٣٧/٦)، والأوسط (٨٤٧٠)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٤٠): صحيح لغيره.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٥٧)، ومسلم في العلم (٢٦٦٨).

(٣) رواه أحمد (٩٤٧٩)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وأبو داود في السُّنَّة (٤٦٠٣)، والنسائي في الكبرى في فضائل القرآن (٨٠٣٩).
وقال الخطابي في معالم السنن (٢٩٧/٤): اختلف الناس في تأويله فقال بعضهم: معنى المراء هنا الشك فيه كقوله: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧] أي في شك، ويقال: بل المراء هو الجدال المشكِّك فيه.
وتأوله بعضهم على المراء في قرآنه دون تأويله ومعانيه، مثل أن يقول قائل: هذا قرآن قد أنزله الله تبارك وتعالى. ويقول الآخر: لم ينزل الله هكذا. فيكفر به من أنكره، وقد أنزل سبحانه كتابه على سبعة أحرف كلها شاف كاف، فنهاهم ﷺ عن إنكار القراءة التي يسمع بعضهم بعضًا يقرؤها وتوعدهم بالكفر عليها، لينتهوا عن المراء فيه والتكذيب به، إذ كان القرآن منزلًا على سبعة أحرف، وكلها قرآن منزل يجوز قراءته ويجب علينا الإيمان به.
وقال بعضهم: إنَّما جاء هذا في الجدال بالقرآن في الآي التي فيها ذكر القدر والوعيد، وما =

QaradawiBooks.com

١١ ـ السِّباب والفُحش:

من آفات اللسان: السِّباب والفحش، والفحش: القبيح من القول والفعل، ويأتي بمعنى التعدي في الرد والجواب[١].

ومن شأن المسلم إذا تحدَّث: أن يبتعد كلَّ البُعد عن السَّبِّ والشتم، والفُحش في القول، فالوعاء الطيِّب لا يَخرُج منه إلَّا طيِّبٌ، والخبيثُ لا يأتي إلَّا بالخبيث، والشيء من معدِنِه لا يُستغرَب، وكل إناءٍ ينضح بما فيه.

والمسلم ـ بحكم تكْوينه الدينيِّ والخلقيِّ والأدبيِّ ـ ليس سبَّابًا ولا لعَّانًا ولا فاحشًا، إنَّما هو مصدرٌ لكل قول حسَنٍ، ولكلِّ فعْلٍ حسَنٍ، ويصعُب عليه أن ينطق لسانُه بهذا الذي نُسمِّيه سبًّا أو لعنًا أو فُحْشا يؤذي به المؤمنين والمؤمنات، وكل ما يؤذي المؤمنين والمؤمنات فهو مبغوض مذموم عند الله.

وقد ذكر الحافظ المنذري فيما انتقيناه من كتابه في «الترغيب والترهيب» جملةً وافرةً من الأحاديث الصحيحة والحَسَنَة في باب الترهيب من السَّبِّ، والترهيب مِن قذف المحصنة والمملوك، وكذا الترهيب من سبِّ الدهر، وهذه الأحاديث بلغتْ ستة عشر حديثًا نُسجِّل بعضها هنا لِما فيها من عبرة لأهل الإيمان، وتحذير من هذا السلوك الرديء.

= كان في معناهما على مذهب أهل الكلام والجدل، وعلى معنى ما يجري من الخوض بينهم فيها، دون ما كان منها في الأحكام وأبواب التحليل والتحريم والحظر والإباحة، فإن أصحاب رسول الله ﷺ قد تنازعوها فيما بينهم، وتحاجُّوا بها عند اختلافهم في الأحكام، ولم يتحرجوا عن التناظر بها وفيها. وقد قال سبحانه: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] فعلم أنَّ النهي منصرف إلى غير هذا الوجه والله أعلم.

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث (٤١٥/٣)، ولسان العرب مادة (ف. ح. ش).

QaradawiBooks.com

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**المُسْتَبَّان ما قالا فعلى البادئ منهما، ما لم يعْتدِ المظلوم**»(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سبابُ المسلم فسوق، وقتالُه كُفْر**»(٢).

وعن عِيَاض بن حِمَار رضي الله عنه قال: قلتُ يا نبيَّ الله، الرجلُ يشتمني وهو دونِي: أعليَّ مِن بأسٍ أن أنتصر منه؟ قال: «**المُسْتَبَّان شيطانان يتهاتران ويتكاذبان**»(٣).

وعن أبي جُرَيٍّ جابر بن سُلَيم رضي الله عنه قال: رأيتُ رجلًا يصدر الناسُ عن رأيه، لا يقول شيئًا إلَّا صدروا عنه، قلتُ: مَن هذا؟ قالوا: رسول الله ﷺ، قلت: عليك السلام، يا رسول الله. مرتين. قال: «**لا تقل: عليك السلام! عليك السلام تحية الميت، قل: السلامُ عليك**». قال: قلتُ: أنت رسول الله؟ قال: «**أنا رسول الله الذي إذا أصابَك ضرٌّ فدعوتَه كشفَه عنك، وإن أصابك عامُ سَنَةٍ(٤) فدعوتَه، أنبتَها لك، وإذا كنتَ بأرضٍ قفْرٍ أو فلاةٍ، فضلَّتْ راحلتُك فدعوتَه، ردَّها عليك**».

قال: قلت: اعهدْ إليَّ. قال: «**لا تَسُبَّنَّ أحدًا** ـ فما سببتُ بعدَه حُرًّا ولا عبدًا، ولا بعيرًا ولا شاةً ـ **وإن امرؤ شتمك وعيَّرك بما يعلم فيك، فلا تُعيِّرْه بما تعلم فيه، فإنما وبال ذلك عليه**»(٥).

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٨٧)، وأحمد (٧٢٠٥)، وأبو داود في الأدب (٤٨٩٤)، والترمذي في البر والصلة (١٩٨١).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤)، كلاهما في الإيمان.

(٣) رواه أحمد (١٧٤٨٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والطيالسي (١١٧٦) وابن حبان في الحظر والإباحة (٥٧٢٦).

(٤) السَّنَةُ: هي العام المقحط الذي لم تنبت فيه الأرض، سواء نزل غيث أو لم ينزل.

(٥) رواه أحمد (٢٠٦٣٥)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وأبو داود في اللباس (٤٠٨٤)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١١٠٩).

QaradawiBooks.com

ولابن حبان نحوه، وقال فيه: «**وإن امرؤ عيَّرك بشيءٍ يعلمه فيك، فلا تعيِّره بشيء تعلمه فيه، ودعه يكون وباله عليه وأجره لك، ولا تسبنَّ شيئًا**». قال: فما سببتُ بعد ذلك دابَّة ولا إنسانًا[١].

أحاديث في النهي عن السب واللعن من «صحيح الجامع»:

ومَن يقرأ كتابَ: «صحيح الجامع الصغير وزياداته» الذي اختاره الشيخ الألباني من كتاب «الجامع الصغير وزياداته» للسيوطي، يجِد ثلاثةَ عشرَ حديثًا كلُّها صحيحٌ في النَّهي عن السبِّ لكل أحد، وللصحابة، وللأموات، وللدهر، وللديك، وللريح، وللشيطان، ولتُبَّع، ولورقة بن نوفل، وللحُمَّى، وها نحن نضع هذه الأحاديث أمام عينك ـ أيها المسلم ـ حتى تكون نبراسًا لك، موقظة لقلبك:

«**لا تسبَنَّ أحدًا، ولا تَحْقِرَنَّ من المعروف شيئًا**»[٢].

«**لا تَسُبُّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدَكم أنْفَقَ مثلَ أُحدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدِهم ولا نَصِيفَه**»[٣].

«**لا تسبُّوا الأموات، فتؤذوا الأحياء**»[٤].

«**لا تسبُّوا الأموات؛ فإنهم قد أفضَوا إلى ما قدَّموا**»[٥].

---

(١) رواه ابن حبان في البر والإحسان (٥٢١)، وقال الأرناؤوط: حديث صحيح.

(٢) رواه أحمد (٢٠٦٣٦)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. عن جابر بن سليم

(٣) سبق تخريجه صـ ١٩٢.

(٤) رواه أحمد (١٨٢٠٩)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والترمذي في البر والصلة (١٩٨٢)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٣٩٧)، عن المغيرة بن شعبة.

(٥) رواه البخاري في الجنائز (١٣٩٣)، وأحمد (٢٥٤٧٠)، والنسائي في الجنائز (١٩٣٦)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

«لا تسبُّوا الدهر؛ فإنَّ الله هو الدهر»[١].

«لا تسبُّوا الديكَ؛ فإنه يوقظ للصلاة»[٢].

«لا تسبُّوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون، فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذا الريح، وخير ما فيها، وخيرِ ما أُمرتْ به، ونعوذ بك مِن شرِّ هذا الريح، وشر ما فيها، وشر ما أُمرتْ به»[٣].

«لا تسبوا الريح؛ فإنها من رَوْح الله تعالى، تأتي بالرحمة والعذاب، ولكن سَلُوا الله مِن خيرِها، وتعوذُوا بالله مِن شرِّها»[٤].

«لا تسبُّوا الريح؛ فإنَّها مِن رَوح الله، وسلوا الله خيرها، وخير ما فيها، وخير ما أُرسلتْ به، وتعوَّذوا بالله مِن شرِّها، وشرِّ ما فيها، وشرِّ ما أُرسلتْ به»[٥].

«لا تسبُّوا الشيطانَ، وتعوَّذوا بالله مِن شرِّه»[٦].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١٨١)، ومسلم في الألفاظ (٢٢٤٦)، عن أبي هريرة

(٢) رواه أحمد (٢١٦٧٩)، وقال مخرِّجوه: رجاله ثقات رجال الشيخين. وأبو داود في الأدب (٥١٠١)، وابن حبان في الحظر والإباحة (٥٧٣١)، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٧٩٧)، عن زيد بن خالد الجهني.

(٣) رواه الترمذي في الفتن (٢٢٥٢)، وقال: حسن صحيح. وصحح الألباني في صحيح الجامع (٧٣١٥)، عن أُبي بن كعب.

(٤) رواه أحمد (٧٤١٣)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود (٥٠٩٧)، وابن ماجه (٣٧٢٧)، كلاهما في الأدب، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٧٣١٦)، عن أبي هريرة.

(٥) رواه أحمد (٢١١٣٩)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٧٠٧)، والحاكم في التفسير (٢٧٢/٢)، وصحَّحه على شرطهما، وقال الذهبي: على شرط البخاري. وصحح الألباني في صحيح الجامع (٧٣١٧)، عن أبي بن كعب.

(٦) رواه أبو طاهر في المخلصيات (١٥٧٢)، وأبو القاسم تمام الرازي في الفوائد (٧٧٨)، ورجح الدارقطني في العلل (١٩٣٦) الموقوف. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٧٣١٨)، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مرخصة
QaradawiBooks.com

«**لا تسبُّوا تُبَّعًا، فإنه كان قد أَسْلَمَ**»[١].

«**لا تسبُّوا ورقةَ بن نَوْفَل، فإني قد رأيتُ له جنةً أو جنتين**»[٢].

وقال لأم المسيّب: «**لا تَسبِّي الحُمَّى؛ فإنها تُذْهِب خطايا بني آدم، كما يُذهب الكِيرُ خبَث الحديد**»[٣].

١٢ ـ من آفات اللسان: اللعن:

ومن آفات اللسان: اللعن لمؤمن أومؤمنة معروفين، أو للمؤمنين والمؤمنات، أو لمن لا يعرف أنَّه يستحق اللعنة.

ومعنى اللعنة: الطرد من رحمة الله.

ومن يملك هذا إلَّا الله سبحانه؟! ومن يخبرنا به إلَّا رسول الله ﷺ في كتابه المنزَّل عليه، أو في حديثه الصحيح؟!

فإذا لم يثبت شيء من هذا، فلا يجوز للمسلم أن يلعن أحدًا، إلَّا الطوائف التي ثبت كفرها بيقين، مثل المشركين والوثنيين، وعبَّاد النار من المجوس، واليهود والنصارى. ولا يجوز له أن يلعن شخصًا حيًّا معينًا، لاحتمال أن يغيِّر عقيدته، أو يغيِّر سلوكه، فيتغيَّر الحكم عليه.

قال مكيُّ بن إبراهيم: كُنَّا عند ابن عَون، فذكروا بلال بن أبي بُردة، فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه، وابن عون ساكت. فقالوا: يا ابن عون، إنَّما

---

(١) رواه أحمد (٢٢٨٨٠)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٧٣١٩)، عن سهل بن سعد.

(٢) رواه الحاكم في تواريخ المتقدمين (٦٠٩/٢)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، ورجح الدارقطني في العلل (٣٤٩٥)، المرسل، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٧٣٢٠)، عن عائشة.

(٣) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٧٥)، عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

نذكره لما ارتكب منك! فقال: إنَّما همـا كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيامة: لا إلٰـه إلَّا الله، ولعن الله فلانًا. فلأن يخـرج من صحيفتي: لا إلٰه إلَّا الله؛ أحب إلي من أن يخرج منها: لعن الله فلانًا[١].

وقد روى ثابت بن الضحاك، عن النبي ﷺ: «**لعْنُ المؤمنِ كقَتْله**»[٢].

وقـد جاءت نصـوص كثيرة تحـذر من اللعـن، وتحـذر اللعَّانين واللعَّانات، إلَّا من لعن من يستحق اللعن من الله تعالى.

تجنُّب لعن الأشخاص وكل من لا يستحق اللعن:

وقد ذكر الحافظ المنذري أيضًا فيما انتقيناه من كتابه في «الترغيب والترهيب» جملـةً وافرةً من الأحاديـث الصحيحة والحَسَـنَة في باب الترهيب من اللعن، ولا سيما لمعيَّنٍ، آدميًّا كان أو دابَّة أو غيرهما.

وفي هذه الأحاديث زجر عن اللعن، وتربية الإنسـان المسـلم على نظافة اللسان، فلا ينطق إلَّا بالخير، وكل إناء ينضح بما فيه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسـول الله ﷺ قال: «**لا ينبغـي لصِدِّيقٍ أن يكون لعَّانًا**»[٣].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ: «**لا يكون اللعَّانون شفعاء، ولا شهداء يوم القيامة**»[٤].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (٧٤١).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأيمان والنذور (٦٦٥٢)، ومسلم في الإيمان (١١٠).
(٣) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٩٧)، وأحمد (٨٤٤٧)، والبخاري في الأدب المفرد (٣١٧).
(٤) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٩٨)، وأحمد (٢٧٥٢٩)، وأبو داود في الأدب (٤٩٠٧).

QaradawiBooks.com

وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يكون المؤمنُ لعَّانًا**»[١].

وعن سلمة بن الأكوع ﷺ قال: كُنَّا إذا رأينا الرجل يلعن أخاه، رأينا أن قد أتى بابًا من الكبائر[٢].

فلم يكتفوا باعتبارهم أنَّه اقترف محرمًا من المحرمات البيِّنة، بل دخل في الكبائر الموبقة.

وعن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ العبد إذا لعن شيئًا صعدتِ اللعنة إلى السماء، فتُغلَق أبوابُ السماء دونها، ثم تهبط إلى الأرض فتُغلَق أبوابُها دونها، ثم تأخذ يمينًا وشمالًا، فإن لم تجد مساغًا رجعتْ إلى الذي لُعِنَ، فإن كان أهلًا، وإلَّا رجعتْ إلى قائلها**»[٣].

وعن سَمُرة بن جندب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تلاعنوا بلعنة الله، ولا بغضبه، ولا بالنار**»[٤].

---

(١) رواه الترمذي في البر والصلة (١٩٧٧)، وقال: حسن غريب. وأحمد (٣٨٣٩)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. ونصه: «ليس المؤمنُ بالطعَّان، ولا اللعَّان، ولا الفاحش، ولا البذيء». وقد بوَّب على هذا الحديث الإمام ابن حبان (٤٢١/١) بقوله: ذكر نفي اسم الإيمان عمَّن أتى ببعض الخصال التي تنقص بإتيانه إيمانه.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٦٦٧٤)، وجوَّد إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٤٢١٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٠٠٩)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٦٤٩).

(٣) رواه أبو داود في الأدب (٤٩٠٥)، والبزار (٤٠٨٤)، والبيهقي في الشعب (٤٧٩٩)، وجود إسناده ابن حجر في فتح الباري (٤٦٧/١٠)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (١٦٧٢). ويشهد له حديث ابن مسعود عند أحمد (٣٨٧٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده محتمل للتحسين. وصحَّح شاكر إسناده. وبمعناه ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤٢٢٠)، وقال بعده: إسناده جيد إن شاء الله تعالى.

(٤) رواه أحمد (٢٠١٧٥)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. وأبو داود في الأدب (٤٩٠٦)، والترمذي في البر والصلة (١٩٧٦)، وقال: حسن صحيح. والحاكم (٤٨/١)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رجلًا لَعَنَ الريح عند رسول الله ﷺ، فقال: «**لا تلعن الريح فإنَّها مأمورة، مَن لعنَ شيئًا ليس له بأهل، رجعتِ اللعنة عليه**»(١).

لعن أصناف وطوائف وأشخاص في القرآن والسُّنَّة:

وقد رأينا القرآن والسُّنَّة يلعنان أصنافا وطوائف من الكفار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٥٩ ـ ١٦١].

كما لعن رسول الله أصنافًا من أهل الكفر أو الفسوق أو العصيان، مثل قوله: «**لعن الله اليهود والنصارى اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»(٢)، ولعن آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه(٣)، وقال: «**لعن الله المتشبِّهين من الرجال بالنساء، والمتشبِّهات من النساء بالرجال**»(٤).

قال الإمام النووي في «الأذكار»: «وأمَّا لعن الإنسان بعينه ممَّنِ اتصفَ بشيءٍ من المعاصي؛ كيهودي، أو نصراني، أو ظالمٍ، أو زانٍ، أو مُصوِّرٍ، أو فاسقٍ، أو سارقٍ، أو آكلِ ربا. فظواهرُ الأحاديث أنَّه ليس

(١) رواه أبو داود في الأدب (٤٩٠٨)، والترمذي في البر والصلة (١٩٧٨)، وقال: حديث غريب. وفي بعض النسخ: حسن غريب. وابن حبان في الحظر والإباحة (٥٧٤٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٥٢٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري الجنائز (١٣٣٠)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٢٩)، عن عائشة.

(٣) رواه مسلم (١٥٩٧)، وأحمد (٣٨٠٩)، عن ابن مسعود.

(٤) سبق تخريجه صـ ٢٩٥.

QaradawiBooks.com

بحرام، وأشارَ الغزالي إلى تحريمه، إلَّا في حقِّ مَن عَلِمْنَا أنهُ مات على الكفر، كأبي لهبٍ، وأبي جهلٍ، وفرعونَ، وهامانَ، وأشباههم»[1].

المهم: أن نلعن من هو أهل اللعنة، ولا نلعن من لا يستحقها، فهنا الخطر الذي يجب أن يحذره كل من يخشى الله.

لعن بعض الطوائف المنحرفة لصحابة رسول الله رضوان الله عليهم:

وقد وجدنا أناسًا يستحلُّون لعن المسلمين، بل منهم من يستحلون لعن أصحاب رسول الله ﷺ، الذين أثنى عليهم الله في كتابه؛ وأثنى عليه الرسول في سنته، أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعائشة وأختها أسماء وحفصة بنت عمر، ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص.. وغيرهم.

بل ازداد تطرف بعض هؤلاء أكثر وأكثر فزعموا أنَّ الصحابة ارتدوا عن الإسلام إلَّا نفرا قليلا يعدون على اليدين بل ربما اليد الواحدة.

والحق أنَّ الصحابة هم ذلك الجيل المتميِّز الذي اختاره القدر الأعلى، ليتتلمذ في مدرسة محمد ﷺ، ويتلقَّى القرآن منه غضًّا طريًّا، وليأخذ هذا القرآن على أنَّه منهاج يُتَّبع، فهو يتلقَّاه للتنفيذ والاتباع، لا لمجرَّد الاستماع، وقد تحمل هذا الجيل القرآني الفريد ـ كما سمَّاه سيد قطب ـ عبء الدعوة إلى الله، وما تفرضه على أصحابها من معاناة، ومسِّ البأساء والضراء والزلزلة، وما يوجبه ذلك من تحمُّل ضريبة الجهاد بالنفس والمال، فهم أحقُّ الناس بوصف المؤمنين، الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

(١) الأذكار صـ ٥٦٠.

QaradawiBooks.com

وهم الذين أثنى عليهم الله تعالى ثناء عامًّا عاطرًا في ختام سورة الفتح: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

وأثنى ثناء خاصًّا على السابقين الأولين منهم من المهاجرين والأنصار فقال تعالى في سورة التوبة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فهذه الآية لم يُكتَفَ فيها بتسجيل مَن رضي الله عنهم من المهاجرين والأنصار وحدهم، بل ضُمَّ إليهم من اتَّبعهم بإحسان.

صحيح أنَّ الصحابة مراتب ومستويات في بذلهم وجهادهم، ولكن الله تعالى وسعهم جميعًا بفضله، فقال: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠]، فما أعظم هذا الوعد من ربنا: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

وقد حذَّرنا رسولنا الكريم من سب أصحابه، وقال: «**لا تسبُّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أُحُد ذهبًا، ما بلغ مُدَّ أحدِهم ولا نصيفه**»(١).

(١) سبق تخريجه صـ ١٩٢.

QaradawiBooks.com

ومن أصول أهل السُّنَّة والجماعة: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ، كما وصفهم الله به في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وإذا كان القرآن ينهى عن سب الأصنام، خشية أن يثير ذلك المشركين، فيسبوا الله تعالى دفاعًا عن آلهتهم المدعاة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، فما بالنا بمن يسب من رضي الله عنهم ورضوا عنه، ويسب من وعدهم الله الحسنى، لما كان بينهم من خلافات وفتن؟!

وإنَّما ينبغي للمؤمن أن يقول كما قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ حينما سئل عن هذه الفتن وما جرى فيها من دماء، فقال: تلك دماء طهر الله منها أيدينا، فلا نلطخ بها ألسنتنا[1]، ﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤].

تبرئة اللسان عن لعن من لا يستحق اللعنة:

والذي يجب أن نتشبَّث به نحن المسلمين: أن نُبرِّئَ ألسنتنا مِن لعن مَن لا يستحق اللعن، من إنسان أو حيوان أو جماد، فكل ذلك مذموم.

فعن عمران بن حصين قال: بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وامرأة من الأنصار على ناقة، فضجرت، فلعنتها، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**خذوا ما عليها ودعوها، فإنها ملعونة**». قال عمران: فكأني أراها الآن تمشي في الناس، ما يَعْرِض لها أحد[2].

(١) ذكره الخطابي في العزلة صـ٤٤، نشر المطبعة السلفية، القاهرة، ط٢، ١٣٩٩هـ.

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٩٥)، وأحمد (١٩٨٧٠)، وأبو داود في الجهاد (٢٥٦١)، عن عمران بن حصين.

QaradawiBooks.com

وعن أنس قال: كان رجل يسير مع رسول الله ﷺ على بعير، فلعن الرجل بعيره، فقال ﷺ: «**يا عبد الله، لا تسِرْ معنا على بَعِيرٍ ملعون**»[(١)].

وبهذا علَّمهم رسول الله أن يكونوا في غاية اليقظة العقليَّة، فلا يصبُّون لعنة الله على كل ما لا يروقهم حاله أو تصرُّفه، وربما كان فيه معذورًا، فكل ما جلَّلوه باللعنة، ينبغي أن يبتعدوا عنه ويحذروه[(٢)].

١٣ ـ الحذر من الكلمات التي نهى عنها الشرع:

من ذلك سبِّ الدهر، أو قول: يا خيبة الدهر! فقد قال ﷺ: «**لا تسبُّوا الدهر؛ فإنَّ الله هو الدهر**»[(٣)].

---

(١) رواه أبو يعلى (٣٦٢٢)، والطبراني في الأوسط (٤٢٢٤)، وابن أبي الدنيا في الصمت (٣٨٧)، وجوَّد إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٤٢٢٢)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٠٣٦): رجاله رجال الصحيح. وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٧٩٥): حسن لغيره. عن أنس.

(٢) قال الإمام النووي: «اعلم أن هذا الحديث قد يستشكل معناه، ولا إشكال فيه، بل المراد النهي أن تصاحبهم تلك الناقة، وليس فيه نهي عن بيعها وذبحها وركوبها في غير صحبة النبي ﷺ، بل كل ذلك وما سواه من التصرفات جائز، لا منع منه، إلَّا من مصاحبة النبي ﷺ بها؛ لأن هذه التصرفات كلها كانت جائزة، فمُنِع بعض منها، فبقي الباقي على ما كان، والله أعلم». انظر: رياض الصالحين صـ ٤٤٢. قلت: وفي الحديث تربية وزجر للمسلم أن يعود لسانه السب أو اللعن لأيِّ شيء.

(٣) سبق تخريجه صـ٦٧٦.
قال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب بعد الحديث (٤٢٤١): «ومعنى هذا الحديث: أنَّ العربَ كانتْ إذا نزلتْ بأحدهم نازلةٌ، وأصابته مصيبةٌ أو مكروهٌ: يسب الدهر، اعتقادًا منهم أنَّ الذي أصابه فعْلُ الدهر، كما كانتِ العربُ تستمطر بالأنواء وتقول: مُطرنا بنوء كذا. اعتقادًا أن ذلك فعلُ الأنواء، فكان هذا كاللعن للفاعل، ولا فاعل لكل شيء إلَّا الله تعالى، خالق كل شيء وفاعله، فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك».
وقال الخطابي: «معناه: أنا صاحب الدهر، ومدبِّر الأمور التي ينسبونها إلى الدهر، فمن سب الدهر من أجل أنَّه فاعل هذه الأمور، عاد سبه إلى ربه الذي هو فاعلها، وإنَّما الدهر زمان =

QaradawiBooks.com

وفي حديث آخر: يقول الله ﷻ: «**يُؤذيني ابنُ آدم فيسُبُّ الدهر، وأنا الدهر، بيدي الأمرُ، أُقَلِّبُ الليل والنهار**»(١).

وفي حديث ثالث: «**لا يقولَنَّ أحدُكم: يا خيبةَ الدهر**»(٢).

قال ابن القيم: «في هذا ثلاث مفاسد عظيمة. إحداها: سَبَّه من ليس بأهلٍ أن يُسَب، فإنَّ الدهرَ خَلْقٌ مُسخَّرٌ من خلق الله، منقادٌ لأمره، مُذلَّلٌ لتسخيره، فسابُّه أولى بالذم والسب منه.

الثانية: أن سبّه متضمِّن للشرك، فإنه إنَّما سبَّه لظنِّه أنَّه يضرُّ وينفع، وأنَّه مع ذلك ظالم قد ضرَّ من لا يستحق الضرر، وأعطى من لا يستحق العطاءَ، ورفع من لا يستحقُّ الرِّفعة، وحرم من لا يستحق الحرمان.

وهو عند شاتميه من أظلم الظلمة، وأشعارُ هؤلاء الظلمة الخونة في سبِّه كثيرةٌ جدًّا، وكثيرٌ من الجهال يُصرِّح بلعنه وتقبيحه.

الثالثة: أنَّ السبَّ منهم إنَّما يقع على من فعل هذه الأفعال، التي لو اتَّبَعَ الحقُّ فيها أهواءهم لفسدتِ السماواتُ والأرض، وإذا وقعتْ أهواؤهم، حَمِدُوا الدهر، وأثْنَوا عليه.

وفي حقيقة الأمر: فربُّ الدهر تعالى هو المعطي المانِعُ، الخافِضُ الرافِعُ، المُعِزُّ المُذِلُّ، والدهر ليس له من الأمر شيء، فمسبَّتهم للدهر

= جعل ظرفا لمواقع الأمور». أعلام الحديث للخطابي (١٩٠٤/٣)، تحقيق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، نشر جامعة أم القرى، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٨٢٦)، ومسلم في اللفاظ (٢٢٤٦) (٢)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في الألفاظ من الأدب (٢٢٤٦) (٤)، وأحمد (٧٦٨٣)، وأبو داود في الأدب (٥٢٧٤). ويدخل في هذا الترهيب ما ذكره بعض الأدباء المتأثرين بالغرب من عبارات مثل: قسوة القدر، والقدر الأعمى، ونحو ذلك.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

مسبَّة لله ﷻ، ولهذا كانت مؤذية للرب تعالى، كما في الصحيحين، من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: «**يُؤذيني ابنُ آدم: يسُبُّ الدهر، وأنا الدهر**»[(١)].

فسابُّ الدهر دائر بين أمرين لا بد له من أحدهما: إما سبُّه لله، أو الشركُ به، فإنه إذا اعتقد أنَّ الدهر فاعل مع الله فهو مشرك، وإن اعتقد أنَّ الله وحده هو الذي فعل ذلك، وهو يسب من فعله، فقد سب الله»[(٢)].

النهي عن قول: تعس الشيطان:

ومن الألفاظ المنهي عنها قول: تعس الشيطان.

فمع ثبوت عداوة الشيطان للإنسان، وطرده من رحمة الله مذؤومًا مدحورًا، نهى النبي ﷺ عن قول: تعس الشيطان، فقال ﷺ: «**لا يقولنَّ أحدُكم: تَعِسَ الشيطانُ. فإنه يتعاظم حتى يكون مثل البيت، فيقول: بقوتي صَرَعْتُه. ولكن ليقل: باسم الله؛ فإنه يتصاغر حتى يكون مثل الذباب**»[(٣)].

وذلك لأنَّ سب الشيطان عمل سلبيٌّ فارغ، لا وزن له؛ ولهذا يُقِرُّ عينَ الشيطان.

أمَّا ذكر اسم الله، فهو عمل إيجابي، يغيظ الشيطان، ويخنس منه ويتصاغر، حتى يكون أصغر من ذباب.

---

(١) سبق تخريجه صـ٦٨٥.

(٢) زاد المعاد (٣٢٣/٢، ٣٢٤).

(٣) رواه أحمد (٢٠٥٩١)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وأبو داود (٤٩٨٢)، والحاكم (٢٩٢/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، كلاهما في الأدب، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٤٨١٩)، عن رديف النبي ﷺ.

QaradawiBooks.com

قال ابن القيم: «ومثل هذا قولُ القائل: أخزى اللهُ الشيطان، وقبَّح الله الشـيطان. فإن ذلك كُلَّه يُفْرِحُه ويقول: علم ابن آدم أنِّي قد نلته بقوَّتي، وذلك ممَّا يُعِيْنُه على إغوائه، ولا يفيده شيئًا.

فأرشـد النبي ﷺ من مَسَّه شـيء من الشـيطان أن يذكر الله تعالى، ويذكر اسمه، ويستعيذ بالله منه، فإن ذلك أنفعُ له، وأغيظ للشيطان.

كراهة قول الرجل: خبثت نفسي، وقول «لو» بعد فوات الأمر:

ومن ذلـك: نهيُه ﷺ أن يقـول الرجل: خَبُثَتْ نفسـي. ولكن ليقل: لَقِسَتْ نفسـي[1]، ومعناهما واحد، أي: غَثَتْ نفسي، وساء خُلُقُها، فكره لهم لفظ «الخُبث» لما فيه من القبح والشـناعة، وأرشدهم إلى استعمال اللفظ الحسن، وهجران القبيح، وإبدال اللفظ المكروه بأحسن منه.

ومن ذلك: نهيه ﷺ عن قول القائل بعد فـوات الأمر: لو أنِّي فَعَلْتُ كذا، كان كذا وكـذا. وهذا الحديث كما رواه مسـلم عـن أبي هريرة: «**المؤمنُ القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير. احرص على ما ينفعُك، واسـتعن بالله ولا تعجِزْ، وإن أصابك شـيء، فلا تقل: لو أنِّي فعلتُ كذا؛ كان كذا وكذا. ولكن قلْ: قدر الله وما شـاء فعل، فإن «لو» تفتح عمل الشيطان**»[2].

فنهاه أن يستخدم لفظة «لو» المُتَمَنِّية والمتحسِّرة، التي ليس وراءها شيء غير تعب النفس، وضيق الصدر، ولذا قال الشاعر[3]:

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١٧٩)، ومسلم في الألفاظ (٢٢٥٠)، عن عائشة.

(٢) رواه مسلم في القدر (٢٦٦٤)، وأحمد (٨٧٩١)، وابن ماجه في المقدمة (٧٩)، عن أبي هريرة.

(٣) البيت لأبي زبيد الطائي، كما في الشعر والشـعراء لابن قتيبة (٢٩٥/١)، نشر دار الحديث، القاهرة.

QaradawiBooks.com

ليتَ شـــعري، وأين مِنِّي «ليتٌ»؟ إنَّ «ليتًـــا» وإن «لـــوًّا» عنـــاء!

ويقول شاعر آخر[١]:

وليـــس براجـــعٍ مـــا فـــاتَ مِنِّي بـ «لهف» ولا بـ «ليت» ولا «لوَ انِّي»!

ولهذا زجر الرسول الكريم في حديثه عن كلمة «لو» وما يجري مجراها، فإن «لـــو» تفتح عمل الشـــيطان ووسوســـته المضلِّلة عن الطريق الصحيح.

وأرشـــده إلى ما هو أنفع له من هذه الكلمة، وهو أن يقول: «**قدر اللهُ وما شـــاء فعل**»؛ وذلك لأن قوله: لـــو كنتُ فعلتُ كذا وكـــذا، لم يَفُتْني ما فاتني، أو لم أقع فيما وقعتُ فيه؛ كلام لا يُجْدِي عليه فائدةً البتة، فإنه غيرُ مستقبِلٍ لما استدبر من أمره، وغيرُ مستبقٍ عَثْرَتَه بـ «لو»، وفي ضمن «لو» ادِّعاء أنَّ الأمر لو كان كما قدَّره في نفســـه، لـــكان غيرُ ما قضاه الله وقدَّره وشـــاءه، فإن ما وقع ممَّا يتمنَّى خلافَه إنَّما وقع بقضاء الله وقدره ومشيئته. فإذا قال: لو أنِّي فعلت كذا، لكان خلافَ ما وقع، فهو مُحال، إذ خلافُ المقدَّر المَقْضِيِّ محال، فقد تضمن كلامه كذبًا وجهلًا ومحالًا، وإن ســـلم من التكذيب بالقدر، لم يَسْـــلَمْ من معارضتـــه بقوله: لو أنِّي فعلت كذا، لدفعتُ ما قدَّر الله عليَّ»[٢].

ويتابع الإمام ابن القيم الحديث عن المؤمن القوي، وأن ما وقع به قدر الله، فيقول: «وأمَّا إذا وقع، فلا سبيل إلى دفعه، وإن كان له سبيل إلى

(١) ذكره ابن مالك ولم ينسبه في شرح تسهيل الفوائد (٢٨٢/٣)، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد ود. محمد بدوي المختون، نشر هجر للطباعة والنشـــر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

(٢) زاد المعاد (٣٢٤/٢، ٣٢٥).

QaradawiBooks.com

دفعه أو تخفيفه بقدر آخر، فهو أولى به من قوله: لو كنتُ فعلته. بل وظيفتُه في هذه الحالة أن يستقبلَ فعلَه الذي يدفع به، أو يخفف أثرَ ما وقع، ولا يتمنَّى ما لا مَطْمع في وقوعه، فإنه عجز محضٌ، والله يلومُ على العجز، ويُحب الكَيْسَ، ويأمر به.

والكَيْسُ: هو مباشرةُ الأسباب التي ربطَ اللهُ بها مُسبِّباتِها النافعة للعبد في معاشه ومعاده، فهذه تفتح عمل الخير. وأمَّا العجز، فإنه يفتح عملَ الشيطان، فإنه إذا عَجَزَ عما ينفعُه، وصار إلى الأمانيِّ الباطلة بقوله: لو كان كذا وكذا، ولو فعلتُ كذا، يفتح عليه عمل الشيطان، فإن بابَه العجزُ والكسلُ، ولهذا استعاذ النبيُّ ﷺ منهما، وهما مفتاح كل شرٍّ، ويصدر عنهما الهمُّ والحزن والجبن والبخل وضلع الدين وغلبة الرجال، فمصدرُها كُلها عن العجز والكسل، وعنوانها «لو» فلذلك قال النبي ﷺ: «**فإن (لو) تفتح عمل الشيطان**».

فالمتمني من أعجزِ الناس وأفلسهم، فإنَّ التمني رأسُ أموال المفاليسِ، والعجزُ مفتاح كل شر»[(١)] اهـ.

وقد قال علي بن أبي طالب: إيَّاك والاتِّكال على المُنى، فإنها بضائع النَّوكى[(٢)]. أي الحمقى. وقد قال الشاعر[(٣)]:

ولا تكن عبد المُنى، فالمنى رؤوس أموال المفاليس!

(١) زاد المعاد (٣٢٦/٢).

(٢) ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد (١٠٢/٣)، وابن حمدون في التذكرة (٣٣٠/٣)، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، نشر الدار العربية للكتاب، ط ١٢، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

(٣) من شعر أبي بكر الخالدي، كما في التمثيل والمحاضرة صـ ١١٣.

QaradawiBooks.com

ألفاظ أخرى تكره:

وقد ذكر ابن القيم في «زاد المعاد»[١] ألفاظًا أخرى ممَّا لا ينبغي للمسلم الحديث بها، منها:

أن يُسَمّى شجر العنب كرمًا، نهى عن ذلك، وقال: «**لا تقولوا: الكَرْم، ولكن قولوا: العِنَب والحَبَلة**»[٢].

وكره أن يقول الرجل: هَلَكَ الناسُ، وقال: «**إذا قال ذلك، فهو أهلكهم**»[٣]. وفي معنى هذا: فسد الناس، وفسد الزمان ونحوه. وفي رواية: «**أَهْلَكُهم**» بضم الكاف، في هذه الرواية: أنَّه أشدُّهم هلاكًا، لتفريطه في أمره، وإسرافه على نفسه. وفي الرواية الثانية: «**أَهلَكَهم**» بفتح الكاف، وهذا إنكار عليه، بأنَّه يتهم الناس بالهلاك وضياع الدين، وهو الذي أهلك الناس بخطابه، وفساده في نفسه ومن حوله، فالأولى أن يتهم نفسه، بدل أن يتهم الناس كافة.

أمَّا إذا قال: هلك الناس، تحزُّنًا عليهم، وأسفًا وتحَسُّرًا عليهم في أنفسهم وفي أهليهم وأموالهم وحياتهم، فلا حرج في ذلك. فهو فرد من المسلمين يسرُّه ما يسرهم، ويؤلمه ما يؤلمهم.

ومنها: أن يُقال: مُطِرْنا بِنَوءِ كذا وكذا، بل يقول: مُطِرْنا بفضل الله ورحمته[٤].

---

(١) انظر: زاد المعاد (٤٢٨/٢) وما بعدها.

(٢) رواه مسلم في الألفاظ (٢٢٤٨)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٩٥)، عن وائل بن حُجر.

(٣) رواه مسلم في البر والصلة (٢٦٢٣)، وأحمد (٧٦٨٥)، وأبو داود في الأدب (٤٩٨٣)، عن أبي هريرة.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٨٤٦)، ومسلم في الإيمان (٧١)، عن زيد بن خالد الجهني. قال الإمام الشّافعي في (الأمّ): (من قال مُطرنا بنوء كذا وكذا على ما كان بعض أهل الشرك =

QaradawiBooks.com

ومنها: أن يحلِفَ بغير الله. صحَّ عنه ﷺ أنَّه قال: «**مَنْ حَلَفَ بغير الله فقد أَشْرَكَ**»[١].

ومنها: أن يقول في حَلِفِه: هو يهُودِي، أو نصراني، أو كافر، إن فعل كذا[٢].

ومنها: أن يقول: يا كافرُ[٣].

ومنها: أن يقول للسلطان: ملك الملوك[٤]. وعلى قياسه: قاضي القضاة. وإن كان قد ينازع في هذه بين المسلمين، وكذا ما سمّوا بعض القضاة الكبار: قاضي القضاة.

ومنها: أن يقول السيد لغلامه وجاريته: عَبْدِي، وأَمَتِي، ويقول الغلام لسيده: رَبِّي. وليقل السيد: فَتَاي وفتاتي. وليقل الغلام: سيدي وسيدتي[٥].

ومنها: الدعاء بدعوى الجاهلية[٦]، والتعزي بعزائهم[٧]، كالدعاء إلى

= يعنون من إضافة المطر إلى مطر نوء كذا، فذلك كفر كما قال رسول الله ﷺ؛ لأنّ النّوء وقت، والوقت مخلوق لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئًا، ومن قال: مطرنا بنوء كذا، بمعنى مُطرنا في وقت كذا، فلا يكون كفرًا، وغيره من الكلام أحبُّ إليّ منه) اهـ. انظر: الأم (٢٨٨/١)، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

(١) سبق تخريجه صـ٦٣٣.

(٢) إشارة إلى حديث المتفق عليه: «من حلف بملَّةٍ غير الإسلام كاذبًا متعمدًا، فهو كما قال، ومن قتل نفسه بحديدة عُذِّب به في نار جهنم». رواه البخاري في الجنائز (١٣٦٣)، ومسلم في الإيمان (١١٠)، عن ثابت بن الضحاك.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١٠٤)، ومسلم في الإيمان (٦٠)، عن ابن عمر.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٢٠٥)، ومسلم في الآداب (٢١٤٣)، عن أبي هريرة.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري في العتق (٢٥٥٢)، ومسلم في الألفاظ (٢٢٤٩)، عن أبي هريرة.

(٦) إشارة إلى الحديث المتفق عليه: «**ليس منَّا من لطم الخدود، وشقَّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية**». رواه البخاري في الجنائز (١٢٩٤)، ومسلم في الإيمان (١٠٣)، عن ابن مسعود.

(٧) إشارة إلى حديث: «**إذا سمعتم من يعتزي بعزاء الجاهلية، فأعضُّوه، ولا تكنوا**». رواه أحمد =

QaradawiBooks.com

القبائل والعصبيَّة لها وللأنســاب، ومثله التعصــب للمذاهب والطرائق والمشايخ، وتفضيلُ بعضها على بعض بالهوى والعصبية، وكونُه منتسبًا إليه، فيدعو إلى ذلك، ويُوالــي عليه، ويُعادِي عليه، ويَزِنُ الناس به، كل هذا من دعوى الجاهلية.

ومنها: تسمية العِشاء بالعَتَمَة[١] تسمية غالبة يُهجرُ فيها لفظُ العِشاء.

ومنها: النهيُ عن أن يتناجى اثنانِ دون الثالث[٢].

وأن تخبر المرأة زوجها بمحاسن امرأةٍ أُخْرَى[٣].

ومنها: أن يقول في دعائه: «**اللهمَّ اغفرْ لي إن شِئْتَ، وارحمني إن شئت**»[٤].

ومنها: أن يُسَمِّي المدينة بيثرب[٥].

تحريم تحديث الرجل بجماع أهله:

ومنها: أن يُحــدِّث الرجلُ بجِمَاع أهله، وما يكــون بينه وبينها، كما يفعله السِّفلَةُ. ولا يليق برجل مسلم أن يجعل هذه الأمور الخاصة مجالًا

= (٣٣٢١٢)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. والبخاري في الأدب المفرد (٩٦٣)، والنسائي في السنن الكبرى في السير (٨٨١٣)، عن عُتَي بن ضمرة.

(١) رواه مسلم في المساجد (٦٤٤)، وأحمد (٤٥٧٢)، عن ابن عمر.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الاستئذان (٦٢٨٨)، ومسلم في السلام (٢١٨٣)، عن ابن عمر.

(٣) رواه البخاري في النكاح (٥٢٤٠)، عن ابن مسعود.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٣٩)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٧٩)، عن أبي هريرة.

(٥) إشارة إلى الحديث المتفق عليه: «**أُمرت بقريةٍ تأكلُ القرى، يقولون: يثرب. وهي المدينة**». رواه البخاري في فضائل المدينة (١٨٧١)، ومسلم في الحج (١٣٨٢)، عن أبي هريرة.
قال الحافظ في الفتح (٨٧/٤): (أي إن بعض المنافقين يسميها يثرب، واسمها الذي يليق بها المدينة، وفهم بعض العلماء من هذا كراهة تسمية المدينة يثرب. وقالوا: ما وقع في القرآن إنَّما هو حكاية عن قول غير المؤمنين). وروى أحمد (١٨٥١٩)، عن البراء بن عازب مرفوعًا: «**مَن سمَّى المدينة يثرب، فليستغفر الله، هي طابة، هي طابة**».

QaradawiBooks.com

لأحاديث العامة، والسفهاء والصبيان وأشباه الصبيان، وقد فصَّلنا القول في ذلك في أثناء حديثنا عن آداب المعاشرة الزوجية.

لفظ «زعموا» ونحوها:

وممَّا يكره من الألفاظ: زعموا، وقد قال النبي ﷺ: «**بئس مَطِيَّة الرجل زعموا**»[١]. وقد قال العرب: زعموا: مظنَّة الكذب.

وإنَّما تقال: (زعموا) في حديث لا سند له، وإنَّما كلام يتردد بين الناس لا تُعلم حقيقته، فمن أكثر من ذلك لم يؤمن عليه الكذب، فضلا عن أن في ذلك شغل الوقت والعمر بما لا فائدة منه.

ومثل (زعموا) كل لفظ لا يدل على التوثق من الأخبار، مثل ذكروا وقالوا، ونحوها، وقد كره النبي ﷺ قيل وقال[٢].

تحذير المسلم من طغيان «أنا» و«لي» و«عندي»:

وليحذر المسلم الذي يرجو رحمة ربه، ويخاف عذابه، أن يوسوس له شيطانه أو شياطينه، وما أكثرهم! فيظهر على ألفاظه ما يشعر بالأنانية والغرور والكبر، ولذلك ألفاظ معروفة، وقد حذر الإمام ابن القيم منها حين قال:

«وليحذر كلَّ الحذر مِن طغيان (أنا)، و(لي)، و(عندي)، فإن هذه الألفاظ الثلاثة ابتُلي بها إبليسُ وفرعون وقارون، فـ ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ [الأعراف: ١٢] لإبليس، و﴿لِي مُلۡكُ مِصۡرَ﴾ [الزخرف: ٥١] لفرعون، و﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾ [القصص: ٧٨] لقارون. وأحسن ما وُضِعت (أنا) في قول

(١) رواه أحمد (١٧٠٧٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. وأبو داود في الأدب (٤٩٧٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٦٢)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٨٦٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٤٧٧)، ومسلم في كتاب الأقضية (٥٩٣).

QaradawiBooks.com

العبد: أنا العبد المذنب المخطئ المستغفر المعترِف.. ونحوه (لي)، في قوله: لي الذنب، ولي الجُرم، ولي المسكنة، ولي الفقر والذل.

و(عندي) في قوله: اغفر لي جِـدِّي وهَزْلي، وخَطَئِيْ وعَمْدِي، وكل ذلك عندي»[1].

• آداب الحديث:

وبعـد أن تحدثنا عن مجموعة مـن آفات اللسـان التي يجب على المسـلم أن يتوقَّى منها، نذكر بعض الآداب التي يجب أن يتَّصف بها، والتي تميِّزه في حديثه وشخصيَّته، ومن هذه الآداب:

١ ـ اختيار الألفاظ المناسبة:

ومن المهم هنا: أن يجعل المسـلم أُسـوته في هديه ﷺ، في أدب المحادثة بحفظ المنطق، واختيار الألفاظ المناسبة واللائقة، وتجنُّب كل ما يؤذى أحدًا، مـن الخلق كما قال تعالـى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

كان ﷺ يتخيَّر في خطابـه، ويختار لأمته أحسـن الألفاظ وأجملها وألطفهـا وأبعدها من ألفاظ أهـل الجفاء والغلظـة والفُحش، فلم يكن فاحشًا ولا متفحِّشًا، ولا صخَّابًا ولا فَظًّا ولا لعَّانًا.

وكان يكـره ـ كما يقـول ابن القيم ـ أن يُسـتعمل اللفظُ الشـريفُ المصونُ في حقِّ من ليس كذلك، وأن يُسـتعمل اللفظ المهين المكروه في حقِّ من ليس من أهله.

---

(١) زاد المعاد (٤٣٤/٢، ٤٣٥).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فمِن الأول: منعُه أن يُقال للمنافق: «يا سيدي أو يا سيدنا». وفي الحديث: «**لا تقولوا للمنافق: سَيِّد. فإنه إن يك سيدًا، فقد أسخطتم ربكم** ﷻ»[(١)].

ومنعُه تسمية أبي جهل بأبي الحكم، وكذلك تغييره لاسم أبي الحكم من الصحابة: بأبي شريح، وقال: «**إنَّ الله هو الحَكَم، وإليه الحُكْم**»[(٢)].

ومن هذا قولُه للخطيب الذي قال: من يُطِع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى: «**بئس الخطيبُ أنت**»[(٣)]. إنَّما أراد أن يقول: «**ومن يعص اللهَ ورسولَه**» لما أن في الجمع بين الاسمين في ضمير واحد ما قد يشعر بالتسوية.

ومن ذلك قوله: «**لا تقُولُوا: ما شَاءَ اللهُ وشَاء فلانٌ. ولكن قُولوا: ما شاء اللهُ ثُمَّ ما شاء فلانٌ**»[(٤)].

وقال له رجل: ما شاء الله وشئت. فقال: «**أجعلتني لله نِدًّا؟ قُلْ ما شاء الله وحدَه**»[(٥)].

---

(١) سبق تخريجه صـ٦٤٥.

(٢) رواه أبو داود في الأدب (٤٩٥٥)، والنسائي (٥٣٨٧)، والبخاري في الأدب المفرد (٨١١)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١٨٤٥).

(٣) رواه مسلم في الجمعة (٨٧٠)، وأحمد (١٨٢٤٧)، وأبو داود في الصلاة (١٠٩٩)، عن عدي بن حاتم.

(٤) رواه أحمد (٢٣٢٦٥)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وأبو داود في الأدب (٤٩٨٠)، والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٧٥٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٣٧)، عن حذيفة بن اليمان.

(٥) سبق تخريجه صـ٦٤٨.
وانظر: زاد المعاد (٣٢١/٢، ٣٢٢).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وليس معنى هذا أن يمنع ذكر اسم الله واسم أحد بعده بحرف (واو العطف) التي تفيد مطلق الجمع، ولكن هـذا يطلب فيما يوقع الإيهام. ويتطلب العطف بحرف (ثم). ومن هنا لا تجد بأسًـا في قولنا: عند الله وعندنا. أو: وعند المؤمنين. ونحن نطلب نصر الله ونصر المؤمنين، ونريد المحبَّة والعزَّة لله وللمؤمنين.. ونحو ذلك من العبارات.

وهو ما جـرى عليه القرآن الكريـم في كثير من كلماتـه في القرآن المكي والمدني، كما في قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافـر: ٣٥]، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢]، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائـدة: ٥٥]، ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبـة: ١٠٥]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

فليتنبَّه كثير من إخواننا الدعاة الذين يتشـدَّدون في هذه الأمور التي أجازها القرآن بوضوح.

٢ ـ عدم الإفصاح عن الأشياء التي ينبغي الكناية عنها:

ذكر ابن القيم أن من الألفاظ المكروهة الإفصاح عن الأشـياء التي ينبغي الكنايـة عنها بأسـمائها الصريحـة[(١)]، وخصوصًا فـي النواحي «الجنسـيَّة»، وما يتعلَّق بها، إلَّا ما يقتضي المقام بيانه، مثل قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣١].

فالمتحدِّث اللبق ينأى بنفسه عن كلِّ لفظٍ ينبو عنه الذوق الرفيع، أو يخدش الحياء. وإليك بعض الأمثلة في السُّنَّة النبويَّة:

(١) زاد المعاد (٤٣٣/٢).

QaradawiBooks.com

عن عباد بن تميم عن عمه رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لا ينصرف حتى يَسْمَع صوتًا، أو يجد ريحًا**»[١]. يعني المصلي.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضَّأ**»[٢].

ففي هذين الحديثَيْن لم ينطق النبي ﷺ بالاسم الصريح للحدث، وإنَّما عبَّر عنه بصفته.

وفي قصة ماعز الأسلمي رضي الله عنه لما أقرَّ على نفسه بالزنى، سأله النبي ﷺ عن ذلك، فقال له: «**هل غاب ذلك منك في ذلك منها؟**» قال: نعم. قال: «**كما يغيب المِرْود في المَكْحُلة والرِّشاء في البئر؟**» قال: نعم[٣].

فعفَّ لسانه ﷺ عن تسمية شيء من أعضاء الرجل أو المرأة، وكنَّى بما أفهم السائل المراد، فأجاب عن ذلك.

وإذا كان ذلك فيما يتعلق ببيان الأحكام، ففيما دون ذلك من باب أولى وأحرى.

ومن تأمل النصوص المتعلِّقة بأمور الطهارة، وعِشرة النساء، لن يجد فيها كلمة تنافي الحياء والعِفَّة.

٣ ـ اغضض من صوتك:

أصل الأدب في الحديث هو خفض الصوت بحيث يُسمِع ويُفهِم، لا رفعُه بحيث يزعج ويُقلق، ففي القرآن الكريم في وصيَّة لُقمان

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الوضوء (١٣٧)، ومسلم في الحيض (٣٦١).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الوضوء (١٣٥)، ومسلم في الطهارة (٢٢٥).

(٣) رواه أبو داود في الحدود (٤٤٢٨)، والنسائي في الكبرى في الرجم (٧١٢٦)، وابن حبان في الحدود (٤٣٩٩)، وضعفه الألباني في الإرواء (٢٣٥٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الحكيم رضي الله عنه لابنه: ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩]. أي: اخفض منه، ولا ترفعه عاليًا إذا حادثتَ الناس، فإنَّ الجهر الزائد بالصوت مُنكر وقبيح.

ويتأكد الأمر بخفض الصوت أثناء التحاور، لما له من أثر في سكون المحاور، وحفظ وقاره.

قال صديقنا العلامة المحدِّث الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى في رسالته النافعة: «من أدب الإسلام»: «ومن أدب المجالسة: أنك إذا حادثتَ ضيفك أو أحدًا من الناس، فليكن صوتك لطيفًا خفيضًا، وليكن جهرُك بالكلام على قدر الحاجة، فإنَّ الجهرَ الزائد عن الحاجة يُخِلُّ بأدب المتحدِّث، ويدل على قِلَّة الاحترام للمتحدَّث إليه. وهذا الأدب تنبغي مراعاته مع الصديق والمثيل، ومع مَن تعرفه ومَن لا تعرفه، ومع الأصغر منك والأكبر، وتزداد مراعاته تأكيدًا مع الوالدين أو من في مقامهما، ومع مَن تُعظِّمه من الناس الأفاضل والأكابر، وإليك بعض النصوص التي تدعو إلى ذلك:

روى البخاري، عن عبد الله بن الزبير قال: بعد أن نزلت آية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٢، ٣].

كان عمر بن الخطاب بعد نزول هذه الآية إذا حدَّث النبي ﷺ بحديث حدَّثه كأخي السِّرار ـ أي: كالمناجي المتحدث بسرٍّ ـ لم يُسمعه

QaradawiBooks.com

حتى يستفهمه، يخفض صوته ويبالغ، حتى يحتاج إلى استفهامه عن بعض كلامه[١].

وحكى الحافظ الذهبي رحمه الله في ترجمة: الإمام محمد بن سيرين ـ أحد التابعين والأئمة الأجلة الفقهاء ـ: قال بكَّار بن محمد عن عبد الله بن عون: إن محمد بن سيرين كان إذا كان عند أمِّه، لو رآه رجل لا يعرفه، ظنَّ أن به مرضًا من خفض كلامه عندها[٢].

وحكى الحافظ الذهبي أيضًا في ترجمة: عبد الله بن عون البصري ـ تلميذ الإمام ابن سيرين وأحد الأئمة الأعلام ـ أن أمه نادته، فعلا صوتُه صوتَها، فخاف، فأعتق رقبتين[٣].

وقال عاصم بن بَهْدَلة الكوفي المقرئ ـ صاحب القراءة المعروفة ـ: دخلتُ على عمر بن عبد العزيز، فتكلَّم رجل عنده، فرفع صوته، فقال عمر: مَهْ؟ كُفَّ، بحسب الرجل من الكلام ما أسمع أخاه أو جليسه[٤]»[٥].

٤ ـ أن يتكلم بما يُسمِع ويُفهِم:

فالمطلوب مِن كل مَن تكلَّم يُحدِّث غيره: أن يرفع صوتَه بحيث يُسمِع العددَ الذي يُنصت إليه، فإن كان يُكلِّم فردًا، كان صوتُه بحيثُ

(١) رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة (٧٣٠٢)، وأحمد (١٦١٣٣)، عن عبد الله بن الزبير.

(٢) سير أعلام النبلاء (٦٢٠/٤)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

(٣) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي (١٠١/٤)، تحقيق: بشار عوَّاد معروف، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣م.

(٤) تاريخ دمشق (٢٢٤/٢٥).

(٥) من أدب الإسلام صـ ٣٥، ٣٦.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

يُسمِع الفردَ، وإن كان يتحدَّث إلى جماعة، رفَعَ صوته بحيث يَسمَعُه الجميع، على حسب هدوء المنطقة التي يتحدث بها أو ضجيجها، وحسب كثرة الجماعة وقلتها، وحسب قوة صوته وضعفه.

ومعنى هذا التوسُّط بأن يتكلم بصوت مسموع، ليس بالمرتفع ولا بالمنخفض، وبعبارةٍ واضحة يفهمها الجميع، بعيدة عن التشدُّق والتفيهق، وعن التصنُّع والمغالاة.

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان كلامُ رسول الله ﷺ فصلًا يفهمه كلُّ مَن سمِعه[١].

وعن جابر بن عبد الله: كان في كلام رسول الله ﷺ ترْتيل أو ترْسيل[٢].

٥ ـ الإصغاء للمتحدِّث وعدم إظهار المعرفة بما يحدثك به:

وقال العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدَّة رحمه الله: «ومن أدب المحادثة أيضًا: أنك إذا حدَّثك جليسك بحديث ظنَّك لم تعرفه ـ وكنت تعرفه ـ فلا تُخْجله بإظهار معرفتك له، ولا تُداخله فيه، وأبْدِ له اهتمامك وإصغاءك.

قال التابعي الجليل الإمام عطاء بن أبي رباح: إنَّ الشاب ليحدِّثني بحديث، فأستمعُ له، كأنِّي لم أسمعْه، ولقد سمعتُه قبل أن يولَد[٣].

---

(١) رواه أبو داود في الأدب (٤٨٣٩)، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (٢٠٩٧).

(٢) رواه أبو داود (٤٨٣٨)، وابن أبي شيبة (٦٧)، كلاهما في الأدب، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٤٨٢٣). ومعنى الترتيل: التأني والتمهل وتبيين الحروف والحركات. وترسيل: التأني وعدم العجلة.

(٣) ذكره ابن مفلح في الآداب الشرعيَّة (١٧٠/٢).

QaradawiBooks.com

وقال خالد بن صفوان التميمي جليس الخليفة عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك: إذا رأيتَ مُحدِّثًا يُحدِّث حديثًا قد سمعتَه، أو يخبرك بخبر قد علمتَه، فلا تشاركْ فيه، حرصًا على أن يعلم مَن حضرك أنكَ قد علمتَه، فإن ذلك خفةٌ منك وسوءُ أدب[١].

قال الإمام الجليل عبد الله بن وهب القرشي المصري، صاحب الإمام مالك والليث بن سعد والثوري وغيرهم: إنِّي لأسمع من الرجل الحديث قد سمعتُه قبل أن يجتمع أبواه ـ يعني قبل ولادته ووجوده ـ فأُنصتُ له كأني لم أسمعْه[٢].

وقال إبراهيم بن الجُنيد: قال حكيم لابنه: تعلمْ حُسنَ الاستماع، كما تتعلم حُسن الكلام، فإن حُسْنَ الاستماع إمهالك للمتكلم حتى يُفضي إليك بحديثه، وإقبالك بالوجه والنظر عليه، وترك المشاركة له في حديث أنت تعرفه[٣].

وأنشد الحافظ الخطيب البغدادي في هذا المقام:

ولا تشارك في الحديث أهله وإن عرفت فرعه وأصله

٦ ـ الاستفهام بأدب ولطف:

ومن أدب المحادثة أيضًا: أنك إذا أشكل عليك شيء من حديث محدِّثِك، فاصبر عليه حتى ينتهي من الحديث، ثم استفهم منه بأدب ولطفٍ وتمهيدٍ حَسَنٍ للاستفهام، ولا تقطعْ عليه كلامه أثناء الحديث،

(١) رواه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٣٥٣)، تحقيق: د. محمود الطحان، نشر مكتبة المعارف، الرياض.

(٢) ذكره ابن مفلح في الآداب الشرعيَّة (١٧٠/٢).

(٣) رواه الخطيب في الفقيه والمتفقه (٦٢/٢).

QaradawiBooks.com

فإنَّ ذلك يُخلُّ بأدب الاستماع، ويُحرِّك في النفس الكراهية، إلَّا إذا كان المجلس مجلس دراسة وتعلُّم، فإن له حينئذٍ شأنًا آخر، ويحسُن فيه السؤال والمناقشة عند تمام الجملة أو المعنى الذي يشرحه المعلم، وينبغي أن تكون المناقشة فيه بأدب وكياسة، قال الخليفة المأمون: العلم على المناقشة أثبت منه على المتابعة.

٧ ـ عدم المبادرة إلى الإجابة:

ومن أدب المحادثة أيضًا: إذا سُئل جليسك عن شيء، ألَّا تبادرَ أنت إلى الإجابة عنه، بل ينبغي ألَّا تقولَ فيه شيئًا حتى تُسأل عنه، فإن ذلك أحفظ لأدبك، وأنبل لشخصك، وأرفع لحديثك مقامًا.

حكى التابعي الجليل مجاهد بن جَبْر، قال: قال لقمان لابنه: إياك إذا سُئل غيرك أن تكون أنت المجيب، كأنك أصبتَ غنيمةً، أو ظفِرتَ بعطيَّة، فإنَّك إنْ فعلتَ ذلك، أزريتَ بالمسؤول، وعنَّفتَ السائل، ودللْتَ السفهاء على سفاهة حِلمك وسوء أدبك.

قال الشيخ ابن بطَّة المحدث الفقيه الحنبلي: كنت عند الإمام أبي عمر ـ الزاهد الملقب: غلام ثعلب ـ فسُئل عن مسألة، فبادرتُ أنا فأجبتُ السائل، فالتفتَ إليَّ أبو عمر الزاهد فقال لي: تعرف الفضوليَّات المنتقبات؟! يعني: أنت فضوليٌّ، فأخْجلني!»[1].

٨ ـ أن يبتعد عن الإطناب المُمل، والإيجاز المُخلّ:

فالإيجاز في الحديث مُحبَّب إلى عامَّة الناس، ما لم يكن إيجازًا مُخِلًّا، كما يكرهون الإطناب المُمل، وخيرُ الأمور أوسطُها.

(١) ذكره ابن مفلح في الآداب الشرعيَّة (١٧١/٢).

QaradawiBooks.com

وعن عمرو بن العاص قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**لقد رأيتُ ـ أو أُمِرْتُ ـ أن أتَجَوَّز في القول، فإنَّ الجواز هو خير**»[١].

وقالت عائشة لعُبَيد الله بن عمر: إيَّاك وإملالَ الناس وتقنيطهم[٢].

وقال عبد الله بن مسعود: حدِّث القومَ إذا أقبلتْ عليك قلوبُهم، فإذا انصرفتْ عنك قلوبُهم فلا تحدِّثهم. قيل: وما علامة ذلك؟ قال: إذا أحدقوا إليك أبصارهم، فقد أقبلتْ عليك قلوبهم، فإذا اتَّكأ بعضُهم على بعض، وتثاءبُوا: فلا تحدِّثْهم[٣].

وعن أبي هريرة رفعه إلى النبيِّ ﷺ: «**ألا أخبركم بشرار هذه الأمة؟ الثَّرْثارون المُتَشَدِّقون المُتَفَيْهقون، أفلا أنبِّئكم بخيارهم؟ أحاسنُهم أخلاقًا**»[٤].

قال أبو عُبَيد: قلتُ: الثرثار: المِكْثار من الكلام، والمتفيْهق: الذي يتوسَّع في الكلام، ويفهق به فمه. قال الأصمعي: الفهق: الامتلاء[٥].

٩ ـ النظر إلى المحدَّث، وعدم مقاطعته وتسفيهه:

ومن أدب الحديث: أن يُشعِر المستمعُ محدِّثَه بأنَّه ينظر إليه، ويُصغِي إلى قوله، ويهتمَّ بما يرمي إليه.

---

(١) رواه أبو داود في الأدب (٥٠٠٨)، والبيهقي في الشعب (٤٦٢١)، وحسن إسناده الألباني في صحيح أبي داود (٤١٨٧).
(٢) رواه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٦٠٢).
(٣) المصدر السابق (٦٠٣).
(٤) رواه أحمد (٨٨٢٢)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والبيهقي في الآداب (٣١٥).
(٥) غريب الحديث لأبي عبيد (١٠٧/١).

QaradawiBooks.com

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ النبي ﷺ... لم يكن أحدٌ يصافحه إلَّا أقبل عليه بوجهه، ولم يصرفه عنه حتى يخلو من كلامه[١].

في الحديث بيان خُلق نبوي كريم عند التخاطب، وهو الإقبال على المتحدث، وعدم صرف الوجه عنه حتى يفرغ من حديثه، وهو متضمِّنٌ لحسن الإصغاء له، وعدم مقاطعته.

وعليه أن يفصل بين المقدِّمات والنتائج، وبين الأمثلة والقواعد، ويجتهد أن يعرف المقصد العام للمتكلِّم، ولا يُجيز لنفسه مقاطعتَه أثناء الحديث، وتسفيه رأيه أو تكذيبَه، إلَّا إذا قال كَذِبًا صُراحًا، وإذا اضْطُر لتصحيح خبرٍ أو فكرة، فليكن بالحكمة، وبصيغة المودَّة والتفاهم.

١٠ ـ إعطاء المجالس حقَّها:

أن يعطيَ المتحدِّث لكل مجلسٍ حقَّه، فلا يهزل في موضع الجِدِّ، ولا يمزح في موقفِ مفاصلة، ولا يضحك في مقامِ حزن، مراعاةً لشعور المحزونين على مَن حزنوا عليه، من أبٍ ميت، أو ابن حبيب، أو أخ عزيز، أو قريب، أو صديقٍ حميم، أو حادثٍ مؤلم وقع لبعضهم، أو أي شيء يؤذيهم وينغِّص عليهم.

وألَّا يتحدَّث عن العلاقة بين الجنسين بوجود نساء، أو بحضرة أقارب زوجته، وهكذا، فلكل مقامٍ مقال.

وفي الحديث عن علي رضي الله عنه قال: كنت رجلًا مذَّاءً، فاستحيَيْتُ أن أسأل رسول الله ﷺ، لمكانة ابنته منِّي، فأمرتُ المقدادَ فسأله[٢].

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٨٦٨٨)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤١٩٢): إسناد الطبراني حسن.
(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الغسل (٢٦٩)، ومسلم في الحيض (٣٠٣).

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

١١ ـ ألا يتكلم فيما لا يعنيه:

على المتحدِّث ألا يتعوَّد الثرثرة فيما يُجْدي وما لا يُجْدي، وأن يعلم أن كل كلامٍ مكتوب عليه أو له، وكل كلمةٍ لها تَبِعَة، وعليها مسؤوليَّة، فعليه ألَّا يُكثِر الكلام، وألَّا يتكلَّم فيما لا يَعْنِيه ـ أي: فيما لا يعود عليه بالنفع في دينه ودنياه ـ ففي الحديث: «**مِنْ حُسْنِ إسلام المَرْءِ تركُه ما لا يَعْنِيه**»[(١)].

قال إبراهيم بن أدهم: يُهْلِك الناسَ خَلَّتان: فضولُ المال، وفضولُ الكلام[(٢)].

١٢ ـ أن يُحدِّث الناسَ فيما ينفعهم، لا عن نفسه وأهله:

ألا يجعل نفسَه مركزَ الدائرة، ومحورَ العالم، وأصلَ الأصول، ويدير كل شيء حول ذاته، ومآثره ومنجزاته، ومدائح الناس له، حتى ولو كان هذا صحيحًا وصادقًا في نفسه، فإن هذا النوع من الحديث الذي يدور حول الذات وتضخيمها بغيض إلى الناس، والمتواضع يرفعه الله، والمتكبر يضعه الله.

وكذلك لا يُكثر الكلام عن مفاخر أهله، وأمْجاد أسرته، ومكارم قومه.

قيل لحكيم: ما الصدقُ القبيح؟ قال: ثناءُ المرءِ على نفسه. يقول الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

---

(١) رواه الترمذي في الزهد (٢٣١٧)، واستغربه. وابن ماجه في الفتن (٣٩٧٦)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٩١١)، وحسَّنه النووي في الأربعين (١٢)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (١٠٣).

QaradawiBooks.com

وقد ذمَّ الله اليهودَ الذين زكَّوْا أنفسهم، وزعموا أنهم شعب الله المختار، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۞ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ٤٩ ـ ٥٠].

وردَّ على اليهود والنصارى الذين زعموا لأنفسهم ما زعموا زُورًا وبُهتانًا، وتقوَّلُوا على الله تعالى ما لم يقُل، فقال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨].

﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١١، ١١٢].

الأمر عند الله ليس بالأسماء ولا العناوين ولا الشارات، بل بالإيمان الصادق والعمل الصالح، كما قال الله تعالى للمسلمين صراحة: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣، ١٢٤].

فعلى المتحدِّث أن يكون حديثُه في عملِ الخير وخيرِ العمل، مِن كلِّ ما يحبُّه الله ويرضاه، ممَّا يُصلِح الفردَ والأُسْرة والمجتمع، كبِرِّ الوالدين، أو صلة الأرحام، أو رعاية الأزواج، أو إصلاحٍ بين الناس، أو مودَّة لجارٍ، أو قِرى لضيف، أو رعايةٍ ليتيم، أو عناية بمسكين، قال تعالى في آية الحقوق العشر: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى

QaradawiBooks.com

﴿ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المجادلة: ٩].

١٣ ـ ضرورة التأكد من الأخبار:

ومن أدب الحديث: ألَّا ينقل خبرًا قبل التأكُّد منه، والتوثُّق من صحَّته، فكم من كلام في المجال العلميِّ أو الدينيِّ أو الأدبيِّ أو الكونيِّ لا دليلَ عليه، وكم من نظريَّات ظلتْ قرونًا يثق الناسُ بها، ولا دليلَ عليها مِن عقلٍ ولا نقل، ولا حِسٍّ ولا وحْي.

وكم مِن أخبار ينقلها الناسُ بعضُهم إلى بعض، ولا أصلَ لها، تداولها الناسُ فيما بينهم وصدَّقُوها، ولم يُدقِّق أحدٌ في أصلها الأول: مِن أين أتتْ؟ وهل لها أصل أصيل، أو أيّ دليل؟ لا يوجد شيء من ذلك، فمثل هذه الأخبار تسقط، ولا تُنقَل.

والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**كَفَى بالمرء كَذِبًا أن يُحدِّث بكل ما سمِع**»(١).

(١) رواه مسلم في المقدمة (١٠/١)، وأبو داود في الأدب (٤٩٩٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ومِن هنا اشترط المسلمون فيمَن ينقل حديثًا عن رسول الله ﷺ: أن ينقله بسنده، أي: برواته الذين نقلوه بعضُهم عن بعض إلى الصحابي، ولا بدَّ أن يكون كلُّ راوٍ معروفًا بنسبه وأهله وبلده، وشيوخه وتلاميذه، وسيرته وصدقه، وأن يكون كل راو قد أخذ عمَّن قبله مباشرة، وألا يسقط أيُّ راوٍ في وسط السلسلة، أو في أيِّ طريق منها؛ ولهذا قالوا: الإسناد مِن الدين، ولولا الإسناد لقال مَن شاء ما شاء[١]، ونظر ابن المبارك إلى كتابٍ في التفسير، فقال: يا له من علم لو كان له إسناد![٢].

وفي الآية: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [قَ: ١٨]. وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠].

وفي حديث معاذ بن جبل: «**وهل يكبُّ الناسَ في النار على مناخرهم إلَّا حصائدُ ألسنتهم**»[٣].

١٤ ـ ألا يفشي سرًّا اؤتُمِن عليه ما لم يأذن صاحبُه:

ومِن أدب حديث المسلم: أنَّ ما اؤتُمِن عليه من سرٍّ محفوظٌ عنده، هو في جوهرةٍ مكنونة، ودُرَّة مصونة، لا يُفرِّط فيه، ولا يُسْلمه لمن يُفشيه، فهو من الأمانة التي يجب أن تُحفظ لأهلها، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨]. وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

---

(١) رواه مسلم في المقدمة (١٥/١) من قول ابن المبارك.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١١٥/٦٠).

(٣) رواه أحمد (٢٢٠١٦)، وقال مخرِّجوه: صحيح بطرقه وشواهده. والترمذي في الإيمان (٢٦١٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وابن ماجه الفتن (٣٩٧٣)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١١٢٢)، عن معاذ بن جبل.

QaradawiBooks.com

ويقول الشاعر:

إذا أنــتَ حمَّلْتَ الخــؤونَ أمانةً فإنَّك قد أسندْتَها شــرَّ مسند![١]

وقد صرَّح يوسفُ بن يعقوب عليهما السلام لأبيه بما أراه الله من الكواكب الأحد عشرة، والشمس والقمر، رآهم له ساجدين، ففهِم الأبُ المقصود منهــا، وقــال: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [يوسف: ٥]. فهذا ســرٌّ ليوسف يجب أن يُصان له.

وقال النبــي ﷺ: «**إذا حدَّث الرجــلُ ثم التَفَتَ، فهــي أمانة**»[٢]. فإنَّ التفاته يمينًا وشــمالًا: يدلُّ على حِرْصه ألَّا يكون أحدٌ قد سمِع الحديث في غفلة منهما، ولذلك يجب حفظ ما ائتمنك صاحبُك عليه.

١٥ ـ الكلام عن الناس بحق وإعطاؤهم ما يستحقون:

من الآداب التي اهتم بها الإســلام، المتعلقة باللســان: الكلام عن الناس بحق، لا تذمُّهــم بالباطل، ولا تمدحهم بغير حق، بل تعطي لكل إنسان ما يســتحقه في الجانب الإيجابي أو الجانب السلبي. وليس هذا الأمر بالسهل، فقد تعوَّد الناس أن يمضوا على سَنَنِ الحُب والكره، فمن أحبوه مدحوه، وأســرفوا في مدحه، ومن كرهوه ذمُّوه وبالغوا في ذمه، وهذا عيب الإنسان: الخضوع لما تُمليه العواطف، لا الإذعان لما يوجبه الشرع، أو يهدي إليه العقل والحكمة.

---

(١) من شعر عَبِيد بن الأبرص، كما في منتهى الطلب صـ ٥٩

(٢) سبق تخريجه صـ٦١٦.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٦ ـ أن يُعرِض عن اللغو والسفاسف:

ومِن أدب المسلم في حديثه: أن يحرص على ما ينفع الناس، يُعلِّم الجاهل، ويُنبِّه الغافل، ويُحفِّز العامل، ويشغل العاطل، ويُصوِّب المخطِئ، ويدفع المصيبَ إلى ما هو أحسن، فترتقي الحياة، وتتزكى الأنفس، ويصعد المجتمع أبدًا إلى أعلى.

ولا ينبغي للمسلم أن يُضيِّع وقته وفكره وجهده في الثرثرة وكثرة الكلام، ولغو القول، الذي تذهب معه الأعمار والأوقات فيما لا فائدة فيه، ولا خيرَ مِن ورائه، والمرءُ مسؤول عن كل لحظة في عمره، فما هو إلَّا أيام معدودة، وأنفاس محدودة، ويسرُّني هنا أن أنقل كلمةً ممَّا كتبه شيخنا محمد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من كتابه «خلق المسلم»، قال: «والبُعْدُ عن اللغو من أركان الفلاح، ودلائل الاكتمال، وقد ذكره القرآن الكريم بين فريضتين من فرائض الإسلام المُحكمة، هما الصلاة والزكاة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٤].

ولو أنَّ العالَم أجْمَعَ أحصى ما يشغل فراغَه مِن لغو في القول والعمل: لراعه أن يجد أكثر القصص المنشورة، والصحف المشهورة، والخطب والإذاعات لغوًا مطردًا، تعْلق به الأعين، وتميل إليه الآذان، ولا ترجع بطائل! وقد كَرِهَ الإسلام اللغو؛ لأنَّه يكره التفاهات، وسفساف الأمور، ثم هو مضْيَعة للعمر في غير ما خُلِق الإنسانُ له مِن جِدٍّ وإنتاج.

وبقدْرِ تنزُّه المسلم عن اللغو، تكون درجته عند الله.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

عن أنس بن مالك قال: تُوفِّي رجل، فقال رجل آخر ورسول الله ﷺ يسمع: أبشرْ بالجنة. فقال رسول الله: «**أَوَلا تَدْرِي؟ فلعله تكلَّم فيما لا يعنيه، أو بَخِلَ بما لا يُنقِصُه**»(١).

واللاغي لضعف الصلة بين فكره ونطقه، يُرسِل الكلام على عواهنه، فربما قذَفَ بكلمةٍ سبَّبَتْ بوارَه، ودمَّرتْ مستقبله، وقد قيل: مَن كثر لَغَطه كثر غلطُه.

وفي الحديث: «**إنَّ العبد ليقول الكلمة، لا يقولها إلَّا ليُضحك بها المجلس، يهوى بها أبعد ما بين السماء والأرض! وإنَّ المرء ليزل عن لسانه أشد ممَّا يزلُّ عن قدميه**»(٢).

فإذا تكلم المرء، فليقل خيرًا، وليعود لسانَه الجميل من القول؛ فإنَّ التعبير الحسن عمَّا يجول في النفس أدبٌ عالٍ، أخذ الله به أهل الديانات جميعًا.

وقد أوضح القرآن أنَّ القول الحسن من حقيقة الميثاق المأخوذ على بني إسرائيل على عهد موسى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣].

---

(١) رواه الترمذي في الزهد (٢٣١٦)، وقال مخرِّجوه: حديث غريب. والبزار (٧٥٥٧)، وأبو يعلى (٤٠١٧)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٤٣٧١): رواته ثقات. وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٨٢): صحيح لغيره. عن أنس.

(٢) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق (٤٠٧)، والبيهقي في الشعب (٤٤٩٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

والكلام الطيِّب العفُّ، يجْمُل مع الأصدقاء والأعداء جميعًا، وله ثماره الحلوة.

فأمَّا مع الأصدقاء: فهو يحفظ مَودَّتهم، ويستديمُ صداقتَهم، ويمنع كيد الشيطان أن يُوهِي حبالهم، ويفسد ذات بينهم: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء: ٥٣].

إنَّ الشيطان متربِّص بالبشر، يريد أن يُوقع بينهم العداوة والبغضاء، وأن يجعل مِن النزاع التافه، عِراكًا داميًا، ولن يسُدَّ الطريق أمامه شيء: كالقول الجميل.

وأمَّا حُسن الكلام مع الأعداء: فهو يطفِئ خصومتَهم، ويكسِر حدَّتَهم، أو هو على الأقل يقِفُ تطورَ الشر، واستطارةَ شرره: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤][1] اهـ.

* * *

(١) خلق المسلم لمحمد الغزالي صـ٧٩، ٨٠، نشر دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

أدب التحدث في الهاتف

استحدث الناس في عصرنا أدوات ووسائل للاتصال فيما بين بعضهم وبعض، قرَّبت البعيد، ووسَّعت الضيِّق، وأعطت للإنسان قدرات هائلة، ما كان المرء ليحلم بها، أو يتخيَّلها. فإذا هو في كل مدة قليلة من الزمن يكتشف الكثير، ويخترع الجديد، وهذا من فضل الله على الإنسان، الذي علَّمه ما لم يكن يعلم، ورزقه من النعم ما لا يحصى، وكان فضل الله عليه عظيمًا.

من هذه الوسائل والأدوات المستحدثة: الهواتف (التليفونات)، والبرق (التلغراف)، و(الفاكس)، و(النت)، وما تفرع عنه من وسائل اتصال كثيرة، مثل: «فيس بوك»، و«تويتر»، و«واتس آب»، و«يوتيوب»، وهي وسائل تواصل قادرة على أضعاف أضعاف ما كان البشر يمارسونه بأنفسهم، وقد قال الله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

فانظر إلى هذا الهاتف الذي هيَّأه الله لخدمة البشر، يستطيع الإنسان أن يتصل بزوجه أو ابنه أو أبيه أو أمِّه، أو أخيه أو أخته، أو قريبه أو صديقه، أو معلِّمه أو تلميذه، أو أحب الناس إليه، في أيِّ وقت، وهو في أقصى الشرق، وصاحبه في أقصى الغرب، يطلبه للحديث، ويقول له كلَّ ما يريد، وبعضُ الهواتف تمكِّن المتصل من أن يرى من اتصل به، فتجمع بين السماع والرؤية.

نسخة مجانية

وقد تطورت صناعة الهواتف تطورًا ضخمًا، فأصبح هناك هواتف المنازل والمحلات والمكاتب وغيرها، وأصبح هناك التليفونات الشخصيَّة المنقولة (الجَوَّالات)، و«الهواتف الذكية» التي حملت من المنافع الكثير ما يذهل الناس لها، فهي «كمبيوتر» صغير، يحمله الإنسان، ويُسجِّل فيه ما يشاء من ذكريات، وصور، ووثائق، ومعلومات، وحسابات، وقرآن كريم، وأحاديث نبويَّة، ومواعيد.. إلخ. ويمكن أن يلتقي على الهاتف الواحد عدة أشخاص من بلاد مختلفة، بل من قارات مختلفة، يتباحثون ويتناقشون.

فلا غرو أن نهتم بفقه الهاتف إذا تحدثنا عن فقه الحديث والكلام مع الناس.

وقد كتب العالم الباحث السعودي د. بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ: رسالته «أدب الهاتف»، وضمَّنها مجموعة من النصائح والآداب الإسلاميَّة التي يحتاج إليها المسلم المعاصر في زماننا حول استخدام الهاتف استخدامًا يرضي عنه الله ورسوله والمؤمنون، وأذكر بعض هذه الآداب بتصرف واختصار:

الاطمئنان إلى صحَّة الرقم المطلوب:

فأول ما يجب على المتَّصل: أن يكون على يقين من صحَّة الرقم الذي يتصل به، فإنَّ الغلط في ذلك، قد يسيء إلى المتَّصَل به، فقد تكون امرأة لا يجوز الاتصال بها، وقد يكونون أطفالًا لا يسمح لهم بذلك، وقد يكونون مَرْضى، أو نائمين في الظهيرة، أو بعد العِشاء، أو شيخًا كبيرًا يصعب عليه القيام إلى مكان الهاتف، إلى غير ذلك من الملابسات والأعذار.

QaradawiBooks.com

ولذلك ينبغي للطالب أن يتحرى قبل الاتصال، فإن حدث خطأ بادر بالاعتذار عنه، بكل رفق ولطف إلى المتصل به. وهذا من حقه. وهذا من الرفق الذي أوصانا به النبي ﷺ، وقال: «**ما دخل الرفقُ في شيء إلَّا زانه، ولا نُزِعَ من شيء إلَّا شانه**»(١)، وقال: «**إنَّ الله يحبُّ الرفقَ في الأمر كلِّه**»(٢).

وعلى المتَّصل به أن يقبل هذا الاعتذار، فالغلط وارد وممكن من كل إنسان، وكثيرًا ما يخطئ الإنسان، فيسقط رقمًا، أو يضع رقمًا مكان رقم، وهذا ما يقع من الناس جيمعًا، فلا بد أن يسامح بعضهم بعضًا في ذلك.

الاستئناس في تعرُّف الوقت المناسب:

ومن أدب الاتصال بالهاتف: أن يحسن التعرُّف على الوقت المناسب للذي يتصل به، فهناك أناس ـ كما في بلاد الخليج ـ يتعوَّدون النوم في القيلولة، فهو وقت غير مناسب للاتصال بهم، وهناك ناس ينامون مبكرين، فلا بد أن تتصل بهم قبل موعد نومهم، وليس من حقك أن تفرض نفسك على الناس في أيِّ وقت شئت، حتى لو كان لك عند من تهاتفه حاجة مشروعة، كأن يكون عالمًا تسأله في فتوى، أو جارًا تحدِّثه في قضية مشتركة، أو قريبًا تناقشه في أمر من أمور العائلة تتطلب البحث والحوار.

ولهذا يقول الله تعالى في الزيارة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [النور: ٢٧] والاستئناس ـ كما تقدم ـ أمر أخص من الاستئذان؛ لأنَّ الاستئذان مجرّد طلب الإذن، أمَّا الاستئناس، فهو يقوم على حسن الإدراك، وتحسُّس الرَّغبات، فلو كان المرء قادمًا من سفر، فليس من اللازم أن تزيد في إرهاقه بالزيارة أو

(١) سبق تخريجه صـ٥٦٣.

(٢) سبق تخريجه صـ٥٣٣، وفيه تحريف اليهود السلام على سول الله ﷺ.

QaradawiBooks.com

بالمكالمة، ولو كان قادمًا من عمل مرهق، فلا تــزده إرهاقًا بالمكالمة. والناس إخوة متحابون، وإخوان متعاونون، ولا بد أن يرعى بعضهم حق بعض، ولا ينسى بعضهم أعذار بعض.

وهذا بخــلاف الأماكن المفتوحة لــكل من يريد مــن الناس، مثل المدارس والفنادق، وأقسام الشرطة والنجدة والإسعاف، والمستشفيات ونحوها، ممَّا هو موضوع أساسًا لخدمة الناس، فلا حرج في الاتصال به في أيِّ وقت، ولكن لا بد أن تكون هناك حاجة ملحَّة، أو مصلحة مهمة، تحتاج إلى أن تقضى من هذا المكان وفي هذا الزمان.

إقلال مدة الاتصال:

ومن أدب الاتصال: ألا يسرف في الوقت، ويطيله أكثر من المناسب لمثله، فبعض الناس تكفيهم دقيقة أو دقيقتان، وبعض الناس يحبُّون أن يطيلوا المكالمة، فلا تعجل عليهم.

الْبَــسْ لــكل حالــة لَبوســها إمــا نعيمهــا وإمــا بوســها[1]

فليراع مقدار ما تســتوعبه الحاجة، وليراع أيضًا مقدار الترحيب من المتكلِّم الآخر.

وعلى كل حال: فخير الكلام ما قلّ ودلّ.

السلام من المتِّصل بداية ونهاية:

وقال الشيخ بكر في رسالته «أدب الهاتف»: «المتَّصل هو القادم، فإذا رُفعت سماعة الهاتف فبادِرْ بالتحية الإســلاميَّة: «السلام عليكم»، فهي

(١) مثل سائر قاله بيهس الفزاري، انظر: أمثال العرب للمفضل الضبي صـ ٧٣، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.

QaradawiBooks.com

شعار الإســـلام، ومفتاح الأمان والسلام، وهي شـــرف لأمة محمد ﷺ، ويجب الجواب على سامعه، وبهذا وردت السُّنَّة الشريفة، فعن ربعي رضي الله عنه قال: أخبرنا رجلٌ من بني عامر أنَّه استأذَن على النبي ﷺ وهو في بيتٍ، فقال: أأَلِج؟ فقال ﷺ لخادمه: «**اخرج إلى هذا فعلِّمْه الاستئذان، فقُل له: قُل: السلام عليكم، أأَدْخُل؟**» فسَمِعَه الرجل فقال: السلام عليكم، أأدخل؟ فأذن له النبي ﷺ، فدخل[1].

فدلَّ على تقديم الســـلام، فليُقدِّم المهاتِفُ السلامَ على الكلام، ولا يسكت حتى يكلمه المتصَلُ به.

وممَّا يُنْهَى عنه هنا: هجر هذه التحيَّة الإســـلاميَّة المباركة، والعدول عنها إلى نحو: «صباح الخير.. صباح النور».

وممَّا يُنْهَى عنه هنا: المبـــادرة من المتهاتفين بلفظ: «ألو»، فهي لفظة مُولَّدة، فرنسيةُ المولد، يأباها اللسان العربي، وقد تقلَّص ظِلُّها.

وممَّـــا يُنْهَى عنه هنا: ســـكوت المتَّصِل إذا رُفِعت «الســـماعة» حتى يتكلم المتصَل به، وهذا فيه إخلال بالأدب من عِدة جهات لا تخفى:

منها: مخالفة السُّنَّة في بدء المستأذن والقادم بالسلام.

ومنها: أنَّ المتَّصِل هو الطالب، فعليه المبادرة بالسلام فالكلام.

ومنها: أن بعض من ضَعُف أدبهم، وضَمُر إحساسهم ولُطْفُهم، يقصد الفحص والتعرُّف، هل أنت موجود أم لا؟ فإذا رفعتَ الســـماعة، وقلت: نعم، عرف المراد، فوضعها. وهذا التفحُّص من التخوُّن المرذول.

---

(١) سبق تخريجه صـ٥١.

QaradawiBooks.com

ـ إذا أجابك صاحبُ الهاتف، وقال: من المتكلم؟ فقل: فلان الفلاني، أو بما يُعَرِّف شخصك عنده.

ـ واحذر الجواب بما فيه تعمية مثل: أنا. أنا صديقه. أنا جاره. وهكذا.

عن جابر رضي الله عنه قال: استأذنتُ على النبيِّ ﷺ، فقال: «**من هذا؟**» فقلت: أنا. فقال النبي ﷺ: «**أنا أنا!**»[1]. وفي رواية: كأنَّه كَرِهَه.

ومن التعريف المُبهَم ما يقوله بعضهم، إذا قيل له: مَن المتكلم؟ قال: أبو فلان. فما عرف هذا من طريقة السلف، أنهم يعرِّفون الناسَ على ذواتهم بالكنى، وإنَّما يكون التعريف بجرِّ النسبِ: فلان الفلاني. وكانوا يكتنون ليَدْعُوهم الطالِبُ بها.

هذا ما لم يشتهر الشخص بالكنية، حتى قامت مقام الاسم، ومنها في الصحابة رضي الله عنهم: أبو بكر، أبو ذر، أم هانئ رضي الله عنهم.

ـ واحذرْ أن تحجم عن الإخبار باسمك، إذا لم تجد الشخص المراد، ففي هذا نقصٌ في الأدب، واستصغار للآخرين، وإشغالٌ لبال أهل الدار.

خَتمُ المُهاتفة بالسلام:

كما بدأت المهاتفة بتحيَّة الإسلام، فاختمها كذلك بشعار الإسلام؛ السلام، فعن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا انتهى أحدُكم إلى مجلسٍ، فليُسلِّم، فإذا أراد أن يقوم، فليُسلِّمْ، فليست الأولى بأحقَّ من الآخِرة**»[2].

(١) سبق تخريجه صـ٥٦٦.

(٢) سبق تخريجه صـ٦١٩.

QaradawiBooks.com

خفض الصوت:

الزَمِ الأدب العام في المحادثة والكلام: «خَفْضَ الصوت»، فليكن صوتُك في الهاتف منخفضًا مسموعًا متوسط الأداء، لا مُزْعِجًا، ولا مُخافِتًا.

وفي هذا أدبٌ جمٌّ مع والديك، ومَن في درجتهما في القدر والمكانة، ومع ذي الشأن، ومع مَن هو دونك في السنِّ أو القدر، تدخل عليه السرور، وأن له عندك منزلة، فتكسب الأصدقاء والمحبِّين.

فاحذَرْ، رفع الصوت عن مقدار الحاجة، واحذر المخافتةَ، فكل منهما إخلال بما أدَّبك الله سبحانه به، في قوله تعالى في وصيَّة لقمان لابنه: ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَ﴾ [لقمان: ١٩]، وكم فيه من دلالة على ما لا ينبغي، ومنه قلة احترامك لمن تتحدَّث إليه، وكم كانت طريقة بعضهم في المكالمات سببًا للحرمان من المطلوب أو من خير كثير.

الهاتف للمرأة:

وإن كان أحد المهاتفين امرأة، فلتحذر الخضوع بالقول، فإنَّ الله سبحانه نهى نساء نبيِّه ﷺ أمهات المؤمنين رضي الله عنهن

اللاتي لا يطمع فيهن طامع، وهنَّ في عهد النبوة، وحياة الصحابة رضي الله عنهم، نهاهنَّ عن أن يخضعن بالقول، فقال تعالى: ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ [الأحزاب: ٣٢] فكيف بمن سواهن؟ ومعنى قوله: ﴿وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾، أي: بلا ترخيم ولا تمطيط، فلا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها.

ـ ولتحذر المرأة الاسترسال في الكلام مع الرجال الأجانب عنها [إلَّا على قدر الحاجة].

QaradawiBooks.com

ـ ولتحذر رفعَ الصوت عن المعتاد، وتمطيط الكلام، وتحسينه وتليينه وترخيمه، وترقيقه وتنغيمه بالنَّبْرَة اللَّيِّنة واللَّهْجة الخاضعة.

ـ وإذا كان يحرُم عليها ذلك، فيحرُم على الرجل سماع صوتها بتلذُّذ، وإذا شَعُرت المرأة بذلك حرم عليها الاستمرار في الكلام معه، لما يدعو إليه من الفتنة.

إنزال الناس منازلهم:

راعِ الأدبَ في المهاتفة حَسَبَ مَقام المتكلم معك ومنزلته، في السن والقدر والقرابة وذي الشأن، لا سيما العالم العامل.

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**أنزلوا الناس منازلهم**»[١].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس منا من لم يُوقِّر كبيرنا، ويَرحَم صغيرنا، ويَعرِف لعالمنا حقَّه**»[٢].

ـ إذا كلمك صاحبك، فوجدت حفاوته أقلَّ من المعتاد، فلا يؤثِّر ذلك عليك فَتَجْفُوه، والتمس له في نفسك العذر، فلعلَّ لديه اهتمامات أخرى هي أهم، أو ما غيَّر مزاجه، وكدَّرَ صفو حياته، فعليك بحسن الظن ـ رعاك الله ـ وإن تكون لديك بالقرائن لا بالوساوس، أنَّها جفوة لأجلك، فكن خفيف الظل، رعاك الله ثانية.

---

(١) رواه أبو داود في الأدب (٤٨٤٢)، وعلقه مسلم في مقدمة الصحيح (٦/١)، وصحَّحه الحاكم في معرفة علوم الحديث صـ ٤٨.

(٢) رواه أحمد (٢٢٧٥٥)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره دون قوله: «ويعرف لعالمنا حقَّه». والطحاوي في مشكل الآثار (٣٦٥/٣)، والحاكم في العلم (١٢٢/١)، وقال: ومالك بن خير الزيادي مصري ثقة، وأبو قبيل تابعي كبير. وقال الذهبي: مالك ثقة مصري. وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٦٤/١)، وحسَّنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٠١)، عن عبادة بن الصامت.

QaradawiBooks.com

ـ من الأدب ألَّا تتصل بشخص وأنت في دارك في وسط من اختلاط الأصوات، وضجيج الأولاد، فعليك بالتصون، وحفظ العورات، وإظهار المكرمات، ولا تحملك الألفة على التبذل.

ـ ولا تحملك الأُلفة ـ أيضًا ـ ومَتَانَةُ الصحبة، على القهقهة، والإسفاف، والتبذل، فإنه يجُرُّك إلى استمرائه مع الآخرين، فيصير طبعًا لك تُعرف به.

ـ ومن رعاية المصالح وحفظ الأمانة، أن تجعل لكل هاتف وظيفته، فلا تشغل هاتف المكتب ـ الذي تعمل فيه موظفًا ـ بشؤونك الخاصة، وتدبير أمورك، هذا هو الأصل، وللناس في ذلك أحوال، ضابطها: رعاية الأصلح[١].

استعمال هاتف غيرك:

اجتهد ما استطعت في ترك الاستعمال لهاتف غيرك، فإن أَلْجَأَتْكَ حاجةٌ، فاحذر من استعمال هاتفه إلَّا بَعْدَ التلطُّف باستئذانه، ولا تطلب الإذن من قليل ذات اليد، ولا من ضَيِّق نَفْسٍ؛ يأذَنُ وهو مُتَبَرِّم»[٢].

حكم التنصت على المكالمات وتسجيل مكالمات الآخرين دون علمهم:

التنصت على مكالمات الآخرين له حكم التجسس المنهي عنه في القرآن والسُّنَّة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات: ١٢]. وقال ﷺ: «**لا تحسَّسوا، ولا تجسَّسوا**»[٣].

---

(١) الذي نراه أن استخدام الهاتف في مكالمات يسيرة ممَّا يتسامح في مثله أصحاب الأعمال لا يضر ما دام لم يترتب عليه ضياع وقت، ولا ضياع مال ذي قيمة.

(٢) أدب الهاتف للدكتور بكر أبو زيد صـ ١٢ ـ ٢١ بتصرف واختصار، نشر دار العاصمة، ط٢، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

(٣) متفق عليه: البخاري في الآداب (٦٠٦٦)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٦٣)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ النبي ﷺ قال: «**من استمع إلى حديث قومٍ وهم له كارهون، صُبَّ في أذنيه الآنُك يوم القيامة**»[١].

ويدخل في ذلك تسجيل مكالمات الآخرين دون علمهم، لإفشائها للآخرين، أو للابتزازهم أو ما شابه.

وكذلك يحرم أن تسجل حديث مُهاتِفك من أجل إطلاع الآخرين عليه، ففي ذلك مكر وخديعة وإفشاء للسر وخيانة للأمانة، وفي الحديث: «**إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة**»[٢].

حرمة المعاكسة الهاتفية:

الهاتف نعمة من نعم الله، يقضي الناس بها مصالحهم، ويتواصلون، ويطمئن بعضهم على بعض، ونعم الله ينبغي أن تشكر وتصان، ولا يجوز أن تُسخِّر نِعَمَ الله في معصيته، ولكن وُجد في عصرنا مِن معدومي المروءة والشهامة والأخلاق وقليلي الدين والإيمان مَن يستخدمون الهاتف في معاكسة الفتيات أو النساء في بيوتهنَّ، فيقلب النعمة إلى نقمة، والعياذ بالله عزَّ وجلَّ.

ولا يشك عاقل في تحريم المعاكسات الهاتفية وشدة خطورتها على الفرد والأُسْرة والمجتمع، وأنَّها من خوارم المروءة وسبل الفساد.

ونذكر هؤلاء بقوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [قَ: ١٨].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

---

(١) سبق تخريجه صـ٦٠٥.

(٢) سبق تخريجه صـ٦١٦.

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

هذه جملة من آداب استعمال الهاتف، على المسلم التحلِّي بها، ومجموعة من المناهي والمحاذير التي يجب اجتنابها، وهي تدل على غيرها ممَّا لم يذكر، والحمد لله رب العالمين.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

الباب السادس

أدب المسلم مع الصحة والوقاية والمرض والتداوي والعيادة[1]

(١) أصل هذا الباب كان استجابة مني لطلب من كلية الطب، بجامعة الملك فيصل بالدمام بالمشاركة في كتاب جامع بعنوان: الخلق الطبي في الإسلام. وقد طلبت مني لجنة التحرير الكتابة عن حقوق وواجبات المريض وأهله. وقد أرسلته للجنة، ثم نشرته تعميما للفائدة في كتابي: فتاوى معاصرة الجزء الثاني، ثم رأيت أن أنقل هنا ما يتعلق منه بالمرض ضمن فقه الآداب، وما يتعلق بالوفاة والجنازة ضمن فقه الصلاة.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

الصحة نعمة من أجل نعم الله على الإنسان، التي يجب أن تقابل بالشكر، وأول شكر النعمة الحفاظ عليها، فينبغي للمسلم أن يحرص على أن يكون صحيح الجسم، وينبغي أن يحرص الأبوان على أن يكون ولدهما صحيح الجسم، وأن تحرص الدولة كذلك على صحة مواطنيها، وقاية وعلاجًا، والوقاية أولًا، ودرهم وقاية خير من قنطار علاج.

وشكر النعمة يكون بالمحافظة عليها، وَفق سنن الله في الأسباب والمسببات، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولما كانت الصحة والعافية من أجلِّ نِعم الله على عبده، وأجزل عطاياه، وأوفر منحه، بل العافية المطلقة أجل النعم على الإطلاق، فحقيق لمن رزق حظًّا من التوفيق مراعاتها وحفظها وحمايتها عمَّا يضادها، وقد روى البخاري في «صحيحه» من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**نِعْمَتَان مغبونٌ فيهما كثير من الناس: الصحةُ، والفراغ**»[1].

وفي الترمذي وغيره من حديث عبيد الله بن مِحْصَن الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أصبح مُعَافًى في جسده، آمنًا في سربه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا**»[2].

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٤١٢)، وأحمد (٣٢٠٧)، والترمذي في الزهد (٢٣٠٤).

(٢) رواه الترمذي في الزهد (٢٣٤٦)، وقال: حديث حسن غريب. وابن ماجه في الزهد (٤١٤١)، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (٢٣١٨).

QaradawiBooks.com

وفي الترمذي أيضًا، من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة من النعيم أن يقال له: ألم نُصِحَّ لك جِسْمَك ونُرْوِيك من الماء البارد؟**»[(١)].

ومن هاهنا قال من قال من السلف في قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ** ﴾ [التكاثر: ٨]، قال: عن الصحة.

سؤال الله العافية:

وفي مسند الإمام أحمد، أنَّ النبي ﷺ قال للعباس: «**يا عباس، يا عم رسول الله، سل اللهَ العافيةَ في الدنيا والآخرة**»[(٢)].

وفيه عن أبي بكر الصديق، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**سلُوا الله اليقينَ والمعافاة، فما أُوتي أحد بعد اليقين خيرًا من العافية**»[(٣)].

فجمع بين عافيتي الدين والدنيا، ولا يتم صلاح العبد في الدارين إلَّا باليقين والعافية، فاليقين يدفع عنه عقوبات الآخرة، والعافية تدفع عنه أمراض الدنيا في قلبه وبدنه.

وفي «سنن النسائي» من حديث أبي بكر[(٤)] يرفعه: «**سلُوا اللهَ العفوَ والعافيةَ والمعافاة، فما أُوتِيَ أحدٌ بعد يقينٍ خيرًا من معافاة**»[(٥)].

---

(١) رواه الترمذي في التفسير (٣٣٥٨)، وقال: حديث غريب. وابن حبان في مناقب الصحابة (٧٣٦٤)، وقال الأرناؤوط: حديث صحيح. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٢٢).

(٢) رواه أحمد (١٧٨٣)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والترمذي في الدعوات (٣٥١٤)، وقال: حديث صحيح. والبخاري في الأدب المفرد (٧٢٦)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٣٨).

(٣) رواه أحمد (٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في الدعوات (٣٥٥٨)، وقال: حسن غريب. وقال الألباني في صحيح الترغيب: حسن صحيح (٣٣٨٧).

(٤) في الأصل (أبي هريرة) والمثبت من سنن النسائي.

(٥) رواه النسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٦٥١).

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

وهذه الثلاثة تتضمن إزالة الشـــرور الماضية بالعفو، والحاضرة بالعافية، والمســـتقبلة بالمعافاة، فإنها تتضمن المداومة والاستمرار على العافية.

وفي الترمذي مرفوعًا: «**ما سُئل اللهُ شيئًا أحبَّ إليه من العافية**»[١].

ويذكر عن ابن عبـــاس: أن أعرابيًّا جاء إلى رســـول الله ﷺ فقال له: ما أسأل الله بعد الصلوات الخمس؟ فقال: «**سل اللهَ العافية**». فأعاد عليه، فقال له في الثالثة: «**سل الله العافية في الدنيا والآخرة**»[٢]»[٣].

* * *

(١) رواه الترمذي فـــي الدعوات (٣٥٤٨)، وقـــال: هذا حديث غريب لا نعرفـــه إلَّا من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي، وهو المكي المليكي، وهو ضعيف في الحديث، قد تكلم فيه بعض أهل الحديث من قبل حفظه. وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٩٧٩٦)، والطبراني في الدعاء (١٢٩٦)، والحاكم في الذكر والدعاء (٤٩٨/١)، وصحَّح إسناده.

(٢) رواه أبو العباس السراج في مسنده (٨٦١).

(٣) زاد المعاد (١٩٦/٤ ـ ١٩٨).

QaradawiBooks.com

الفصل الأول

آداب الصحة والوقاية من الأمراض

إن موقف الإسلام من الصحة والوقاية وسلامة الأبدان، موقف لا نظير له في أيِّ دين من الأديان. فقد حرص الإسلام في تشريعاته وتوجيهاته، على وقاية الإنسان من افتراس الأمراض، والتهام الأدواء، ووضع بعض الآداب والتعاليم التي ينبغي للمسلم الأخذ بها، عناية بعافيته وبصحة جسده، ووقاية من الأمراض، إرضاءً لربه، وحرصًا على توافر القوة له، ليُقوي بها الحق، ويدرأ بها الباطل، ويشتد بها أزر المجتمع، وتقوى بها الأمة الكبرى، وينفع أهل الخير، ويقاوم أهل الشر، ومن ذلك:

أولًا: العناية بالنظافة والطهارة:

من أوائل الآداب التي يُوليها المسلم والمسلمة عنايتهما بالنظافة، فقد كان ممَّا شرعه الإسلام في سبيل العناية بالأجسام: «الطَّهارة»، فجعلها عبادة وقربة، بل فريضة من فرائضه.

ولذا كانت كُتب الشريعة في الإسلام تبدأ أول ما تبدأ بالعبادات، لقول الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وأول العبادات وأعظمها: الصلاة. وأول شروط الصلاة أنَّها تبدأ بباب عنوانه «الطهارة» أي: النظافة. فهذا أول ما يدرسه المسلم والمسلمة

QaradawiBooks.com

من فقه الإسلام، وما ذلك إلَّا أنَّ الطهارة هي مفتاح العبادة اليومية (الصلاة)، كما أنَّ الصلاة مفتاح الجنة، فلا تصح صلاة المسلم ما لم يتطهر من الحدث الأصغر بالوضوء، ومن الحدث الأكبر بالغسل. والوضوء يتكرر في اليوم عدة مرات، تغسل فيه الأعضاء التي تتعرض للاتساخ والعرق والأتربة.

ومن شرط صحة الصلاة كذلك: نظافة الثوب والبدن والمكان، من الأخباث والقاذورات. وفوق ذلك أشاد القرآن والسُّنَّة بالنظافة وأهلها. فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وأثنى على أهل مسجد قُباء فقال: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

وقال النبي ﷺ: «**الطُّهور شَطْر الإيمان**»[(١)]، أي: نصفه.

وعند الطبراني بسند ضعيف: «**النظافةُ تدعو إلى الإيمان، والإيمان مع صاحبه في الجنَّة**»[(٢)].

ومن ذلك شاعت بين المسلمين هذه الحكمة التي ينطق بها خاصَّتهم وعامَّتهم، ولا يعرف لها مثيل عند غيرهم، وهي: «النظافة من الإيمان».

(١) سبق تخريجه صـ٩٤، وفيه: «الصبر ضياء».

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٧٣١١)، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (٦٣٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢١٢): فيه إبراهيم بن حيان، قال ابن عدي: أحاديثه موضوعة. وحسَّنه السيوطي في الصغير (٣٢٦٧)، والمناوي في التيسير (٩٠٤/١)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١٠٣/١): وقفه في الكبير على ابن مسعود بإسناد حسن، وهو الأشبه.

QaradawiBooks.com

ورُويَ في بعض الأحاديث التي ضعُف سندها: «**تنظَّفوا؛ فإنَّ الإسلامَ نظيف**»[١]. «**تنظَّفوا حتى تكونوا كالشَّامَةِ بينَ الأمم**»[٢]. وإن كان عندنا من الآيات وصحاح الأحاديث ما يكفي.

وقد عُني النبي ﷺ بنظافة الإنسان، فدعا إلى الاغتسال، وخاصة يوم الجمعة: «**غُسْل الجُمعة واجبٌ على كل مُحتلِم**»[٣]. و«**حقٌّ على كل مسلم في كل سبعة أيام يومٌ يغسل فيه رأسَه وجسده**»[٤].

وعُني **بنظافة الفم والأسنان خاصة**، فرغَّب في السواك أعظم الترغيب: «**السواكُ مَطْهَرةٌ للفَمِ مرضاةٌ للرَّبِّ**»[٥].

وبنظافة الشعر: «**مَنْ كان له شعرٌ فليُكْرِمْه**»[٦]. وبإزالة شعر الإبْط والعانة وتقليم الأظفار.

وعُني **بنظافة البيت وساحاته وأفنيته**، فقال: «**إنَّ الله جميل يحبُّ الجمال، طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، فنظفوا أفنيتكم، ولا تَشَبَّهوا باليهود**»[٧].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٤٨٩٣)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٥٧٩): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه نعيم بن مورع، وهو ضعيف. وذكره الألباني في ضعيف الجامع (٢٢٨١)، عن عائشة.

(٢) رواه أبو داود في اللباس (٤٠٨٩)، والطبراني (٩٤/٦)، والحاكم في اللباس (١٨٣/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وضعَّفه الألباني في الإرواء (٢١٣٣)، عن أبي الدرداء.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٨٧٩)، ومسلم (٨٤٦)، كلاهما في الجمعة، عن أبي سعيد الخدري.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٨٩٧)، ومسلم (٨٤٩)، كلاهما في الجمعة، عن أبي هريرة.

(٥) رواه أحمد (٢٤٢٠٣)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والنسائي (٥)، وابن حبان (١٠٦٧)، كلاهما في الطهارة، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٥١٧)، عن عائشة.

(٦) رواه أبو داود في الترجل (٤١٦٣)، والطحاوي في مشكل الآثار (٤٣٤/٨)، والطبراني في الأوسط (٨٤٨٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٥٠٠)، عن أبي هريرة.

(٧) رواه الترمذي في الأدب (٢٧٩٩)، وقال: هذا حديث غريب، وخالد بن إلياس يضعف. ورواه البزار (١١١٤)، وضعفه الألباني في تخريج الحلال والحرام (١١٣)، عن سعد بن أبي وقاص.

QaradawiBooks.com

وعُنِيَ بنظافة الطريق، وتوعد كل من ألقى فيه أذًى أو قذرًا، ووعد بالمثوبة من أماط ما يؤذي الناس عنه: «**وتميط الأذى عن الطريق صَدَقة**»[(١)].

وحذّر أشد التحذير من أعمال قد يرتكبها بعض الجهال دون اكتراث لنتائجها. مع أنَّها تعد من أشد مصادر العدوى خطرًا، فضلًا عما في ارتكابها من منافاة الذوق السليم، والبعد عن خصائص الإنسان الراقي.

ومن هذه الأعمال: البول في الماء، وبخاصة الراكد، والبول في الحمام (حوض الاستحمام)، والتبرز في الظل، أو في الطريق، أو في موارد الماء. وسمى النبي ﷺ هذه الأمور: «**الملاعنُ الثلاث**»[(٢)]؛ لأنَّها تجلب على صاحبها لعنة الله والملائكة والصالحين من الناس.

ثانيًا: الحرص على العمل والحركة:

ومن أدب المسلم: أن يعتني بكل ما عُنِي به الإسلام في جانب الصحة، ومن ذلك: دعوته إلى النشاط والعمل، والتعوُّذ بالله من العجز والكسل، والحثُّ على الحركة والبكور، لذلك رغب الإسلام في العمل والنشاط والحركة والبكور، كما جاء في الحديث: «**إنَّ الله بارك لأُمَّتي في بكورها**»[(٣)]. وفسَّر الرسول القوة في قوله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**﴾ [الأنفال: ٦٠] فقال: «**القوةُ الرَّمْيُ**»[(٤)]. أي: قوة الأبدان

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٨٩)، ومسلم في الزكاة (١٠٠٩)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أبو داود (٢٦)، وابن ماجه (٣٢٨)، والحاكم (١٦٧/١)، وصحَّح إسناده ووافقه الذهبي، والبيهقي (٩٧/١)، جميعهم في الطهارة، وحسَّنه الألباني في صحيح أبي داود (٢١)، عن معاذ.

(٣) سبق تخريجه صـ٢٤٧.

(٤) رواه مسلم في الإمارة (١٩١٧)، أحمد (١٧٤٣٢)، وأبو داود (٢٥١٤)، والترمذي (٣٠٨٣)، كلاهما في الجهاد، عن عقبة بن عامر.

QaradawiBooks.com

وتدريبها على الرمي بالسهام والمدافع والبنادق ونحوها. وحذَّر من التباطؤ والتكاسل والترهُّل: «**اللهمَّ إنِّي أعوذُ بك من العَجْز والكَسَل**»[١]. ودعا إلى رياضة الأجسام بالسباحة والرماية وركوب الخيل، وما شابهها من ألوان الفروسية، وفي الحديث: «**ارموا واركبوا**»[٢]. وجعل من حقِّ الأولاد على آبائهم أن يدربوهم على ذلك، وينشئوهم على رعاية القوة، وشرع التنافس والمسابقات تشجيعًا على ذلك، وإغراء به. وسبَّق النبي ﷺ بين الخيل، وأعطى السابق، كما شرع المسابقة على الأقدام ونحوها.

ثالثًا: البعد عن كل ما يضر الجسد من المسكرات والمفترات:

ومن أدب المسلم: المحافظة على جسده من كل ما يمرضه ويؤذيه ويضعفه ويضره، ومن هنا كانت عناية الإسلام بصحة الأجسام، وكان تحريمه المسكرات والمُفَتِّرات (المُخَدِّرات)، مهما اتخذت لها من أسماء وعناوين، وتشديده في ذلك غاية التشديد، وإيجابه العقوبة الشرعيَّة على من تناولها، وتأثيمه كل من شارك فيها بجهد ما، يساعد على تناولها، حتى إنَّه لعن في الخمر عشرة[٣]. والخمر ما خامر العقل، وأخرجه عن صفته، التي تجعله حاكمًا، ومميزًا بين الأشياء.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٢٣)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٦)، عن أنس.

(٢) رواه أحمد (١٧٣٠٠)، وقال مخرِّجوه: حسن بمجموع طرقه وشواهده. وأبو داود في الجهاد (٢٥١٣)، والترمذي في فضائل الجهاد (١٦٣٧)، وقال: حسن صحيح. والنسائي في الخيل (٣٥٧٨)، وابن ماجه في الجهاد (٢٨١١)، وحسَّنه السيوطي في الصغير (٩٥٥). وضعَّفه الألباني في غاية المرام (٣٨٨)، عن عقبة بن عامر الجهني.

(٣) رواه الترمذي في البيوع (١٢٩٥)، وقال: حديث غريب. وابن ماجه في الأشربة (٣٣٨١)، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب (٢٣٥٧)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

رابعًا: الاعتدال في تناول الطيبات، فلا يحرم الجسد منها، ولا يسرف فيها:

ومن أدب المسلم: التوسط والاعتدال في تناول الطيبات، فلا يحرم نفسه منها، ولا يسرف فيها، فإن موقف الإسلام هو القصد والاعتدال في تناول ما أحلَّ الله تعالى. فقد أنكر الإسلام على مَنْ حرَّم ما أحلَّ الله من الطيبات تديُّنًا، أو شحًّا، فقال: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ [المائدة: ٨٧].

وفي مقابل ذلك نهى عن الإسراف في الطعام والشراب، خشية الإضرار بالبدن: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]. والإسلام دين اعتدال وتوازن في كل شيء.

خامسًا: النهي عن إرهاق البدن:

وهكذا أدب المسلم في حياته كلها، فهو أبدًا مع توجيهات القرآن والسُّنَّة، ومع الإسلام الذي حرَّم إرهاق البدن بالعمل وطول السهر والجوع، وإن كان ذلك في صورة عبادة الله تعالى، فقد أنكر النبي ﷺ على رهط من أصحابه: أراد أحدهم أن يقوم الليل فلا ينام، والثاني أن يصوم الدهر فلا يفطر، والثالث أن يعتزل النساء فلا يتزوج. وقال لهم: «**أنا أعلمُكم باللهِ وأخشاكم له، ولكنِّي أقومُ وأنام، وأصومُ وأُفطر، وأتزوَّج النساء، فمن رغب عن سُنَّتي فليس مِنِّي**»[1]. كما أنَّه أنكر على عثمان بن مظعون وعبد الله بن عمرو وغيرهما الغلو في التعبد، مذكرًا بحق أبدانهم

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، كلاهما في النكاح، عن أنس.

QaradawiBooks.com

وأســـرهم ومجتمعهم عليهم. وقال لعبد الله بن عمرو: «**إن لبدنك عليك حقًّـــا** ـ أي: في الراحة ـ **وإن لعينـــك عليك حقًّا** ـ أي: فـــي النوم ـ **وإن لزَوْرك عليك حقًّا**»[1]. أي: في المشاركة. كما أن لربه سبحانه عليه حقًّا، فليعطِ كل ذي حقٍّ حقه.

سادسًا: العدول إلى الرخصة إذا كانت العزيمة تسبِّب أذًى للجسد:

ومن أدب المســـلم: ألا ينزع إلى التشـــديد على نفسه دائمًا، بل من حقِّه أن يميل أحيانًا إلى الرُّخَص، تاركًا العزائم، فمن عناية الإسلام بحقِّ الأجسام ما شـــرعه من رُخَص في أداء الفرائض، إذا كان العمل بالعزائم يؤذي الجسم، كأن يسبِّب له مرضًا محتملًا، أو يزيد في مرض قائم، أو يؤخر الشـــفاء منه، أو يؤدِّي إلى مشـــقة زائدة، فهنالك يدع الوضوء إلى التيمم، والصلاة قائمًا إلـــى الصلاة قاعدًا أو مضطجعًـــا، وله الفطر في رمضان، إلى غير ذلك من أنواع الرخـــص والتخفيف إلى بدل، أو إلى غير بدل، حتى أصبح مقررًا عند عامة المسلمين: أن صحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان.

وصدق الله إذ قـــال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقـــرة: ١٨٥]، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحـــج: ٧٨]، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩)، كلاهما في الصيام.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الفصل الثاني

آداب عامة للطب والتداوي

ومن أدب المسلم: أن يعرض نفسه على الطبيب المختص بالأُسْرة، أو بالمدرسة، أو بالمستشفى إذا احتاج إلى ذلك.

فالإسلام كما عُني بصحة الأجساد، عُني كذلك بتطبيبها، سواء كان طبًّا علاجيًّا أم وقائيًّا، وإن كانت عنايته بالوقائي أكثر، لما هو معلوم: أن درهم وقاية خير من قنطار علاج.

وقد ورد عن النبي ﷺ جملة أحاديث تصف بعض الأدوية لبعض الأمراض. وقد اهتمَّ بها بعض العلماء؛ ظانين أنَّها كلها جزء من الدين والوحي الإلٰهي، ولكن الواقع أن منها ما هو من خبرات البيئة ونتائجها، ومنها ما يليق ببيئة معينة، في حرارتها ومناخها وظروفها، كالبيئة الصحراوية العربية، ولا يمكن أن يحمل على العموم لكل الناس، كما بين ذلك المحقق ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ [1].

القواعد الإسلاميَّة لإقامة صحة إسلاميَّة وطب إسلامي:

على أن هناك جانبًا هامًّا يتعلق بالطب، يغفله الكثيرون ممَّن يروق لهم الحديث عن الطب النبوي، أو الطب في الإسلام، ذلك هو الجانب التوجيهي الذي يتصل بمهمة الدين ووظيفة الرسول.

---

(١) زاد المعاد (١٠٧/٤، ١٠٨).

QaradawiBooks.com

فقد أدخلت الأديان الوثنية والمحرفة أفكارًا فاسدة، وخرافات باطلة، عوَّقت نمو الطب الصحيح، وأفسدت الانتفاع به، فجاء نبي الإسلام، فطارد تلك الأوهام، وصحَّح تلك الأغلاط، ووضع جملة من المبادئ الخالدة، تعدُّ بحق حَجَر الأساس، لقيام صرح مَشِيد لصحَّة عامَّة، ولطبٍّ إنساني علميٍّ سليم، وهذه القواعد ليست قواعد نظرية، بل هي في الوقت نفسه آداب وقواعد ينبغي للمسلم أن يلتزمها ويتأدب بها ويطبقها كما سنرى.

من هذه القواعد أو المبادئ المحمدية: إقرار قيمة البدن وحقُّه:

من هذه المبادئ الإسلاميَّة في الصحة التي يحرص عليها كل من يتأدَّب بأدب الإسلام: إقرار قيمة البدن، ونعمة العافية في حياة الناس، فقد قرَّر قيمة البدن وحقَّه على صاحبه: حيث سمع الناس لأول مرة في جو الدين: «**إن لبَدَنِكَ عليك حقًّا**»[1].

وجعل الإسلام من حق البدن على صاحبه أن يطعمه إذا جاع، ويريحه إذا تعب، وينظفه إذا اتَّسخ، ويقويه إذا ضعف، وكذلك يداويه إذا مرض.

وهو حق وواجب، لا يجوز في نظر الإسلام أن يُنسى أو يُهمل لحساب الواجبات الأخرى، أو الحقوق الأخرى، ولو لحق الله ﷻ.

ورأى الناس الدين لأول مرة أن يعلم أتباعه أن يسألوا الله العافية، ففي دعاء القنوت يقول المسلم وهو يصلي: «وعافِني فيمن عافيت»[2].

---

(١) سبق تخريجه صـ٧٣٦.

(٢) رواه أحمد (١٧١٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات. وأبو داود في الصلاة (١٤٢٥)، والترمذي في الوتر (٤٦٤)، وقال: حسن. والنسائي في قيام الليل (١٧٤٥)، عن الحسن بن علي.

QaradawiBooks.com

وفي الدعاء بين السجدتين: «**اللهمَّ عافني وارزقني**»[١]، وفي الدعاء العام: «**اللهم إنِّي أسألك العفوَ والعافية**»[٢].

درء تعارض التداوي والإيمان بالقدر:

ومن أدب المسلم: أنَّه يفكر تفكيرًا سليمًا، ولا يعتقد أن هناك تعارضًا بين التداوي من الأمراض والإيمان بالقدر، فقد كان بعض المتدينين يعتقدون: أنَّ الإيمان بالقدر يعارض التداوي وطلب العلاج، ظانِّين أنَّ عليهم الصبر على البلاء، والرضا بالقضاء، وعدم تطلب الدواء. يقول أبو خزامة: قلت: يا رسول الله، أرأيت رُقًى نسترقيها، ودواء نتداوى به، وتُقاةً نتقيها، فهل ترد من قدر الله شيئًا؟ قال: «**هي من قَدَرِ الله**»[٣].

وجاءت الأعراب فقالوا: يا رسول الله، أنتداوى؟ قال: «**نعم، فإنَّ الله ﷻ لم يضع داء إلَّا وضع له شفاء**»[٤].

وهذا الجواب النبوي هو الجواب الحاسم، فإنَّ الله قدر الأسباب والمسبَّبات، وجعل من سننه في خلقه دفع قدر بقدر، فيدفع قدر الجوع بقدر الغذاء، ويدفع قدر العطش بقدر الشرب، وقدر الداء بقدر الدواء،

---

(١) رواه أبو داود (٨٥٠)، والترمذي (٢٨٤)، كلاهما في الصلاة، وحسَّنه النووي في الخلاصة (٤١٥/١)، وصحَّحه الألباني في صحيح الترمذي (٢٣٣)، عن ابن عباس.

(٢) رواه أحمد (٤٧٨٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح رجاله ثقات. وأبو داود في الأدب (٥٠٧٤)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٧١)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣١٢١)، عن ابن عمر.

(٣) رواه أحمد (١٥٤٧٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف على خطأ فيه. والترمذي (٢٠٦٥)، وقال: حسن. وابن ماجه (٣٤٣٧)، كلاهما في الطب، وحسَّنه الألباني في تخريج مشكلة الفقر (١١).

(٤) رواه أحمد (١٨٤٥٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (٣٨٥٥)، والترمذي (٢٠٣٨)، وقال: حسن صحيح، كلاهما في الطب، عن أسامة بن شريك.

QaradawiBooks.com

وكل من الدافع والمدفوع قدر الله، فإنه عليه السلام كان يتداوى في نفسه، ويأمر به لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه.

وفي الصحيح من حديث جابر، أنَّ النبي ﷺ بعث إلى أبيِّ بن كعب طبيبًا، فقطع له عرقًا، وكواه عليه[١].

وحينما ذهب عمر إلى الشام، وعلم قبل دخولها أن هناك طاعونًا، شاور أصحابه في الرجوع، واستقرَّ الرأي بعد مشاورات عدة على العودة بمن معه، بُعدًا بهم عن مواطن الخطر، فقد قال أبو عبيدة حينما لقي عمر: أنفرُّ من قَدَر الله يا أمير المؤمنين؟ قال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة! نعم، نفرُّ من قدر الله إلى قدر الله، أرأيتَ لو كان لك واديان أحدهما مُخصِب والآخر مُجدِب، أليس إن رعيت المُخصِب رعيته بقدر الله، وإن رعيت المجدب رعيته بقدر الله[٢]؟

إقرار الحجر الصحي:

ومن أدب المسلم: أن يحترز من الأمراض المعدية، حسب سنَّة الله في العدوى، كما يحترز من كل الشرور والآفات، فقد أقرَّ الإسلام سنَّة الله في العدوى، وأمر بالاحتراز والوقاية، والعزل الصحي، في الأوبئة العامة، كالطاعون ونحوه، بل وسَّع دائرة الوقاية حتى شملت الحيوان الأعجم. وقال ﷺ: «**لا يوردنَّ مُمْرِض على مُصِحّ**»[٣]، والمُمْرض: الذي

(١) رواه مسلم في السلام (٢٢٠٧)، وأحمد (١٤٣٧٩)، وأبو داود في الطب (٣٨٦٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٢٩)، ومسلم في السلام (٢٢١٩)، عن عبد الرحمن بن عوف.

وانظر: زاد المعاد لابن القيم (١٤/٤، ١٥).

(٣) سبق تخريجه صـ٢٧٨.

QaradawiBooks.com

إبلُه مِراض. والمُصحُّ: الذي إبلُه صحاح. ومعنى: لا يورد عليه: لا يخلط المريضة الجرباء بالصحيحة أثناء ورود الماء للشرب.

وقال الصادق المصدوق: «**فِرَّ من المجذوم فرارَك من الأسد**»[١].

وفي صحيح مسلم: أنَّه كان في وفد ثقيف رجل مجذوم، فأرسل إليه النبي ﷺ: «**ارجع فقد بايعناك**»[٢]. وقال: «**لا تُديموا النظر إلى المجذومين**»[٣]. وقال في شأن الطاعون ـ وهو وباء عام ـ: «**إذا سمعتم به بأرضٍ، فلا تدخلوا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها، فلا تخرجوا منها فرارًا منه**»[٤].

وهذا حصر للوباء في أضيق نطاق.

أمَّا حديث: «**لا عدوى**»[٥]. فهو صحيح، رواه البخاري، ولكن معناه: أنَّ الأمراض لا تعدي بطبعها وذاتها، كما يعتقد أهل الجاهلية، بل بتقدير الله تعالى، وبناء على سُنَنه الكونية.

مقاومة ما يسمى بـ «الطب الروحاني»:

ومن أدب المسلم: أن يحترم العلم والطب القائم على رعاية سنن الله في الكائنات، وقانون الأسباب والمسبَّبات، ولا يعتمد على خرافات العجائز وأساطير الدراويش، وقد وجد المسلم الإسلام يحترم الطب القائم على

(١) سبق تخريجه صـ٢٧٣.

(٢) رواه مسلم في السلام (٢٢٣١)، وأحمد (١٩٤٧٤)، والنسائي في البيعة (٤١٨٢)، وابن ماجه في الطب (٣٥٤٤)، عن الشريد الثقفي.

(٣) رواه أحمد (٢٠٧٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وابن ماجه في الطب (٣٥٤٣)، والطيالسي (٢٧٢٤)، وصحَّحه الألباني بشواهده في الصحيحة (١٠٦٤)، وضعف إسناده ابن حجر في فتح الباري (١٥٩/١٠)، عن ابن عباس.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٣٠)، ومسلم في الطاعون (٢٢١٩)، عن عبد الرحمن بن عوف.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٥٥)، ومسلم في السلام (٢٢٢٣)، عن أبي هريرة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الملاحظة والتجربة والأسباب والمسببات، ويحترم السنن الكونية والعلوم الإنسانية القائمة على التجربة والبرهان، وبذلك أبطل ما أشاعته الوثنية الجاهلية عند العرب وغيرهم، حتى عند أهل الكتاب، من اطِّراح الأسباب الظاهرة والسنن الكونية، والاعتماد على الأسباب الخفية والقوى المجهولة من تمائم ورقًى غير مفهومة، وشعوذة يروجها السحرة والدجَّالون.

فعن زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت: إن عبد الله إذا جاء من حاجة، فانتهى إلى الباب، تنحنح وبزق، كراهة أن يهجم منا على أمر يكرهه. قالت: وإنَّه جاء ذات يوم، فتنحنح، وعندي عجوز ترقيني من الحمرة[١]، فأدخلتها تحت السرير. قالت: فدخل فجلس إلى جانبي، فرأى في عنقي خيطًا، فقال: ما هذا الخيط؟! قلت: خيط رُقي لي فيه. فأخذه فقطعه، ثم قال: إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك! سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ الرُّقَى والتمائم والتِّوَلة شِرْك**». قالت: قلت له: لم تقول هذا، وقد كانت عيني تقذف، فكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقيها، فكان إذا رقاها سكنت؟ فقال: إنَّما ذاك من الشيطان، كان ينخسها بيده، فإذا رقاها كفَّ عنها، إنَّما يكفيك أن تقولي كما قال: النبي ﷺ: «**أذهب الباسَ ربَّ الناس، اشفِ وأنت الشافي، لا شفاءَ إلَّا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا**»[٢].

والرُّقَى: جمع رقية، وهي دعاء إلى الله، يدعو به المريض، أو من يعوده من المسلمين، أو يداويه، ليشفيه الله تعالى، ولها صيغ نبوية

(١) قال ابن منظور: والحمرة: داء يعتري الناس فيحمر موضعها، وتغالب بالرقية. قال الأزهري: الحمرة من جنس الطواعين، نعوذ بالله منها. اللسان (ح. م. ر).

(٢) رواه أحمد (٣٦١٥)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠)، كلاهما في الطب، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٨٤٥)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

معروفة، والمقصود هنا في الحديث غير هذا، وهو ما كان فيه استعانة بغير الله تعالى، أو كان بغير اللسان العربي.

والتِّوَلة: ما تصنعه المرأة من أشياء توصف لها، ليحبها الرجل، أو يصنعها الرجل لتحبه المرأة. وهو من ألوان السحر.

والتمائم: جمع تميمة، وهي: ما يعلق على المريض من خرز أو خيط، أو ورق كتب فيه ما لا يفهم، ليشفى به.

وعن عيسى بن عبد الرحمن قال: دخلتُ على عبد الله بن حكيم، وهو مريض، نعوده، فقيل له: لو تعلقت شيئًا. أي حجابًا، أو حِرْزًا أو نحو ذلك. فقال: أتعلق شيئًا وقد قال رسول الله ﷺ: «**مَن تعلَّق شيئًا وُكِلَ إليه**»[(١)].

وعن عُقْبة بن عامر، عن الرسول ﷺ: «**من علَّق تميمة، فقد أشرك**»[(٢)]. وفي رواية: «**من علَّق تميمة، فلا أتمَّ الله له، ومن علَّق وَدَعة، فلا ودع الله له**»[(٣)].

ووضع مبدأً تشريعيًّا بقطع الطريق على مَن يدَّعون الطب، وليسوا من أهله، فقال: «**مَن تطبَّب ولم يُعرف منه طبٌّ، فهو ضامن**»[(٤)].

أي: يدَّعي أنَّه يعلم الطب ولم يدرس، أو لم يعرف هذا التخصُّص، أو لم يحسنه، فالواجب عليه ألَّا يُدخل نفسه فيما لا يحسنه، وفي عصرنا:

---

(١) رواه أحمد (١٨٧٨١)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والترمذي في الطب (٢٠٧٢)، والنسائي في تحريم الدم (٤٠٧٩)، عن عبد الله بن حكيم.

(٢) رواه أحمد (١٧٤٢٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٩٢)، عن عقبة بن عامر.

(٣) رواه ابن حبان في الرقى والتمائم (٦٠٨٦)، والحاكم في الطب (٢١٦/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، عن عقبة بن عامر.

(٤) رواه أبو داود في الديات (٤٥٨٦)، والنسائي في القسامة (٤٨٣٠)، وابن ماجه (٣٤٦٦)، والحاكم (٢١٢/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، كلاهما في الطب، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (٦٣٥)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

لا بد أن يكون حاملًا للشهادة. ولذا كان من الواجب على من يعرف من نفسه أنَّه جاهل، أن يتأخَّر عن التطبيب.

وأمَّا الرُّقَى فهي دعاء وتضرُّع إلى الله، وليست بدواء، وقد حصر النبي ﷺ الأدوية بحسب زمنه، فقال: «**الشفاء في ثلاث: شربة عسل، وشَرْطة مِحْجم، وكيَّة بنار**»[١]. ولم يعُدَّ منها الرقية أو ما يماثلها.

فتح باب الأمل على مصراعيه أمام الأطباء والمرضى معًا:

ومن أدب المسلم: اتِّساع رجائه في رحمة الله تعالى، وفي أمله في قدرته على شفاء مَن يريد شفاءه، وأنَّه لا يوجد عند الله مرض ميئوس من شفائه، فكل مرض قابل لأن يزول، وكل مريض قابل لأن يشفى. وهذه من القواعد التي وضعها الإسلام أمام الجميع: أطباء، ومرضى، وأقرباء لهم، فتح باب الأمل أمامهم، وذلك في الشفاء من كل مرض، مهما طال واتصل، وقضى على اليأس المحطِّم، وعلى ما يسمى بالأمراض المستعصية، فقال ﷺ: «**ما أنزل الله داءً إلَّا أنزل له شفاء**»[٢].

وعن جابر بن عبد الله، أنَّ النبي ﷺ: «**لكلِّ داء دواء، فإذا أصيبَ دواءُ الداء، برئ بإذن الله تعالى**»[٣].

وروى أحمد، عن عبد الله بن مسعود مرفوعًا: «**إنَّ الله لم يُنزل داء إلَّا أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله**»[٤].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٠٢)، ومسلم في السلام (٢٢٠٥)، عن جابر.

(٢) رواه البخاري (٥٦٧٨)، والنسائي في الكبرى (٧٥١٣)، وابن ماجه (٣٤٣٩)، ثلاثتهم في الطب، عن أبي هريرة.

(٣) رواه مسلم في السلام (٢٢٠٤)، وأحمد (١٤٥٩٧)، عن جابر.

(٤) رواه أحمد (٣٥٧٨)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والحاكم في الطب (٣٩٩/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الضحايا (٣٤٣/٩)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٥١)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

قال الشوكاني: «فيه دليل على أنَّه لا بأس بالتداوي لمن كان به داء، قد اعترف الأطباء بأنَّه لا دواء له، وأقرُّوا بالعجز عنه»[١].

وقال ابن القيم في «زاد المعاد»: «في قوله ﷺ: «**لكل داء دواء**»، تقوية لنفس المريض والطبيب، وحثٌّ على طلب ذلك الدواء والتفتيش عليه، فإنَّ المريض إذا شعرت نفسه أن لدائه دواء، يزيد تعلُّق قلبه برَوْح الرجاء، وبردت عنده حرارة اليأس، وانفتح له باب الرجاء، ومتى قويت نفسه انبعثت حرارته الغريزية، وكان ذلك سببًا لقوة الأرواح الحيوية والنفسانية والطبيعية، ومتى قويت هذه الأرواح قويت القُوى التي هي حاملة لها، فقهرت المرض ودفعته.

وكذلك الطبيب إذا علم أن لهذا الداء دواء أمكنه طلبه والتفتيش عليه، وأمراض الأبدان على وزن أمراض القلوب، وما جعل الله للقلب مرضًا إلَّا جعل له شفاء بضده، فإن علمه صاحب الداء واستعمله، وصادف داء قلبه، أبرأه بإذن الله تعالى»[٢].

عناية الإسلام بالصحة النفسيَّة عناية فائقة:

ومن أدب المسلم: أنَّه يعتقد في إمكان الشفاء من الأمراض كلها بدنية كانت أو نفسية، ولا حرج على فضل الله، وقد عُني الإسلام ورسوله المعلِّم بالصحة النفسيَّة عناية بالغة، وكما قيل[٣]:

فأنت بالنَّفْسِ لا بالجِسْمِ إنسانُ

(١) نيل الأوطار (٢٣١/٨).

(٢) زاد المعاد (١٥/٤ ـ ١٦).

(٣) القائل أبو الفتح البستي، وهذا عجز بيت صدره:

أقبل على النفس فاستكمل فضائلها

انظر: ديوانه صـ ١٨٣.

QaradawiBooks.com

ولا ريب أن بين الناحية النفسية والناحية الجسمية تبادلًا في التأثير، كلاهما يؤثر في الآخر: قوة وضعفًا، وصحة وسقمًا، واعتدالًا وانحرافًا، وقد أثبت ذلك علماء النفس، وأطباء الجسم من قديم.

وقديمًا قالوا: العقل السليم في الجسم السليم. وعلق على ذلك برناردشو فقال: بل الجسم السليم في العقل السليم!

وقد أشار النبي ﷺ إلى قوة الرُّوح، وأثرها في قوة البدن، حين كانوا يبنون المسجد، والصحابة يحملون حجرًا حجرًا، وعمار بن ياسر يحمل حَجَرين حجرين، فقال: «**إنَّ عمَّارًا مُلئ إيمانًا من قَرْنه إلى قَدَمه**»(١).

وأشار إليها مرة أخرى حين نهاهم عن الوصال في الصيام، فقالوا له: تنهانا عن الوصال وتواصل؟ قال: «**وأيُّكم مثلي؟! إنِّي أبيتُ يطعمني ربي ويسقيني**»(٢). ومَنْ مثله في قوة الروح حتى يحتمل ما يحتمله عليه السلام؟

والمؤمن أقوى الناس رُوحًا، وأصحُّهم نفسًا، فقد ملأ الإيمان ما بين جوانحه أمنًا وطمأنينة، ورضًا وأملًا وحُبًّا، وطهَّر نفسه من أدران الحقد والغلِّ والحسد والبغضاء، وأمراض القلوب الفتاكة.

وإذا كان الحسد يأكل الحسنات، كما تأكل النار الحطب، كما روي ذلك في حديث النبي ﷺ(٣). فالحق أنَّه يأكل فوق ذلك: صحة

(١) رواه ابن حبان في المناقب (٧٠٧٩)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الصحيح. وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٣٩/١)، عن ابن عباس.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام الكتاب والسُّنَّة (٧٢٩٩)، ومسلم في الصيام (١١٠٣)، عن أبي هريرة.

(٣) إشارة إلى قوله ﷺ: «**إياكم والحسد، فإنَّ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**» أو قال: «العشب». رواه أبو داود في الأدب (٤٩٠٣)، وضعفه الألباني في الضعيفة (١٩٠٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الإنسان وأعصابه. وما أصدق القائل: لله در الحسد ما أعدله، بدأ بصاحبه فقتله!

والقائل:

اصبرْ على كَيْدِ الحسو دِ فإن صَبْرَكَ قاتلُهْ
النارُ تأكلُ نفسَها إنْ لم تجدْ ما تأكلُهْ[1]

وفي الحديث: «**دبَّ إليكم داءُ الأمم من قبلكم: الحسد والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة**»[2]. والحسد داء اجتماعي ونفسي لا ريب، ومع هذا فهو داء جسماني أيضًا.

هذه هي الآداب والمبادئ الخالدة التي أرسى الإسلام قواعدها، وحرص النبي ﷺ على تثبيتها، وتأديب أمته بها، وهي جديرة إذا روعيت وطُبِّقت: أن تنشئ أجيالًا من الأصحاء الأقوياء، الذين لا ينتصر الدين ولا ترقى الدنيا إلَّا بهم.

* * *

(١) من شعر عبد الله بن المعتزِّ، كما في المنتحل للثعالبي صـ ١٧٧، ١٧٨، تحقيق: الشيخ أحمد أبو علي، نشر المطبعة التجارية، الإسكندرية، ١٣١٩هـ ـ ١٩٠١م.

(٢) رواه أحمد (١٤١٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٠)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢١٢٢)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦١/٣): حسن لغيره. عن الزبير بن العوام.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

الفصل الثالث

أدب المريض وتصبُّره ورضاه

التغيُّر هو إحدى الظواهر العامة في المخلوقات المشهودة في عالمنا، وخصوصًا في الكائنات الحية، ولهذا تتعرض هذه الكائنات للصحة والمرض، الذي قد ينتهي بها إلى الموت.

والإنسان أرقى هذه الكائنات الحية، فلا غرو أن يصيبه ما يصيبها، بل ربما كان أكثر عرضة للإصابة بها من غيره، نتيجة لتدخل العوامل الإرادية مع العوامل الطبيعية في التأثير على حياته. ومن ثم اعتبرت الشريعة الإسلاميَّة المرض ظاهرة عادية في حياة الإنسان، يُبتلى به كما يبتلى بغيره من الآلام، وفقًا للسنن والنواميس التي تحكم نظام الكون والحياة والإنسان.

ومن نظر في القرآن الكريم وجد كلمة «المرض» وما يشتق منها قد ذُكرت نحو خمس وعشرين مرة. بعضها يتعلَّق بمرض القلوب، وأكثرها يتعلق بمرض الأبدان.

كما ذكر القرآن كلمة «الشفاء» وما اشتقّ منها ستّ مرات، جلُّها في الشفاء المعنوي. وقد عُني بذلك المحدِّثون أيضًا، كما عنى الفقهاء، ولهذا نجد في كتب الحديث التي أُلِّفت على الأبواب والموضوعات كتاب «الطب» كما في الصحيحين، وسنن أبي داود،

QaradawiBooks.com

والترمذي، والنسائي، وابن ماجه. وفي بعضها ـ مثل صحيح البخاري ـ كتاب «المرضى». هذا بالإضافة إلى أبواب في الرُّقى والتمائم، والعين والسحر ونحوها. كما أن بعض ما يتعلق بالمرض مذكور في كتاب «الجنائز».

ومن هنا جاءت الشريعة الإسلاميَّة بآداب وأحكام تتعلق بالمرض، ينبغي للمسلم أن يعرفها، أو يعرف الأهم منها، حتى يكيِّف حياته في مرضه ـ كما يكيِّفها في صحته ـ وفقًا لما يحبه الله تعالى ويرضاه، بعيدًا عما يكرهه ويسخطه.

ومن هذه الآداب ـ ما مرَّ معنا ـ ممَّا يتعلَّق بمداواة المرضي، وحكم هذا التداوي، ومن يقوم به، وما يتصل بذلك من أمور الطب والعلاج والدواء، وما للمرض من رخص وتخفيفات بالنسبة للفرائض والعبادات، أو بالنسبة للمحرمات والمنهيات. ويضاف إلى ذلك ما يتعلق بحال المؤمن مع الشدائد عمومًا، والمرض خصوصًا، وحقوق المريض وواجباته، ومن حوله، وسنعرض لذلك فيما يلي:

حال المؤمن مع الشدائد والمرض:

من أدب المسلم: أنَّه بمقتضى إيمانه بالله، وتوكله عليه: ثابت كالجبل، لا تزحزحه رياح الشدائد وإن عصفت، بل هو يرى أنَّ الابتلاء سنة من سنن الله في خلقه، جرت على الأولين كما تجري على الآخرين، فلا ينجو منه أحد، ويكون بالخير كما يكون بالشر، وفي كلّ ما يحبّ الإنسان ويكرَه، قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨]، وقال سبحانه: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، يقول ابن عباس رضي الله تعالى عنه: نبتليكم بالشدّة

QaradawiBooks.com

والرخاء، والصحّة والسّقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطّاعة والمعصية، والهدى والضلالة[١].

ويشتدُّ البلاء على الأنبياء والصالحين، كما قال ﷺ: «**أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حَسَب دينه، فإن كان في دينه صلبًا اشتد بلاؤه**»[٢].

والابتلاء بالمرض من أنواع المصائب التي تنزل بالإنسان، ويكاد يكون ملازمًا للإنسان في حياته الدنيا، فلا ينجو منه أحد، حتى الأنبياء والرسل، وقد ورد في القرآن الكريم قصة ابتلاء سيدنا أيوب وأهله بالمرض ـ قال المفسرون: ثمانية عشر عامًا ـ فكان من الصابرين المتضرعين إلى الله بالدعاء الخالص الصادق، فكشف الله عنه الضر، يقول ﷻ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤].

آداب المريض:

وللمرض إذا نزل بالمريض آداب ينبغي أن يتأدب بها نوجزها فيما يلي:

١ ـ الصبر والرضا وعدم الشكوى:

المؤمن دائمًا راض عن ربه، كيف لا وقد آمن بكماله وجماله، وأيقن بعدله ورحمته، واطمأن إلى علمه وحكمته؟! أحاط سبحانه بكل شيء

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٢٥/١٧).

(٢) رواه أحمد (١٤٨١)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والترمذي في الزهد (٢٣٩٨)، وقال: حسن صحيح. والنسائي في الكبرى كتاب الطب (٧٤٨١)، عن سعد بن أبي وقاص.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، ووسع كل شيء رحمة وعلمًا، لم يخلق شيئًا لهوًا، ولم يترك شيئًا سدًى، له الملك، وله الحمد، نعمه عليه لا تعد، وفضله عليه لا يحد، فما به من نعمة فمن الله، وما أصابه من حسنة فمن الله، وما أصابه من سيئة فمن نفسه، يردد دائمًا هذا الثناء الذي ردده من قبل أبونا إبراهيم خليل الرحمن: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ۞ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ۞ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۞ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ۞ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٧٨ ـ ٨٢].

ويعين المؤمن على الصبر في مرضه الذي نزل به عدة أمور:

ـ علمه أنَّ المرض وقع بقدر الله:

أولها أنَّه يعلم من كتاب ربه وسنة نبيه ﷺ: أنَّ الصحة والمرض هي بقدر الله، لذلك فحال المؤمنين أمام المرض ليس كحال غيرهم، فإيمانهم بالقدر يُهون عليهم البلاء، فهم يعلمون أنَّ ما ينزل بهم من مصائب ليس ضربات عجماء، ولا خبط عشواء، ولكنَّه وفق قدر معلوم، وقضاء مرسوم، وحكمة أزلية، وكتابة إلٰهية، فآمنوا بأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۞ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

ـ لطف الله تعالى:

ومنها: أن لطف الله مصاحب لقدره، فالمؤمنون يعرفون من صفات الله تعالى أنَّه يقدِّر ويلطف، ويبتلي ويخفِّف، ومن ظن انفكاك لطفه عن

QaradawiBooks.com

قدره، فذلك لقصور نظـــره: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

وكم في المحن من منح، والله تعالى يقـــول: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشـــرح: ٥، ٦]. فالعسر يلاصق اليســـر دائمًا، لذا استخدم القرآن لفظة (مع) الدالة على المصاحبة، فهو لا يتأخَّر عنه، بل يواكبه ويزاحمه حتى يطرده.

وعرفوا من لطف ربهم أن هذه الشـــدائد دروس قيِّمة لهم، وتجارب نافعة لدينهم ودنياهم، تُنضِج أنفســـهم، وتُصقل إيمانهم، وتُذهب صدأ قلوبهم، كما في الحديث: «**مثل المؤمن تُصيبه الوعْكة من البلاء، كمثل الحديدة تدخل النار، فيذهب خَبَثُها، ويبقى طيِّبُها**»[(١)].

وما أبلغ ما قال الرافعي: «ما أشبه النَّكْبة بالبَيضة! تُحسب سجنًا لما فيها، وهي تحوطه، وتربِّيه وتعينه على تمامه، وليس عليه إلَّا الصبر إلى مدة، والرضا إلى غاية، ثم تُنْقف البيضة، فيخرج خلقٌ آخر.

وما المؤمن فـــي دنياه إلَّا كالفرخ في بَيْضتـــه: عمله أن يتكوَّن فيها، وتمامه أن ينبثق شخصه الكامل، فيخرج إلى عالمه الكامل»[(٢)].

ـ شعور المؤمن بنعمة الله في السراء والضراء:

والمؤمنـــون عرفوا من مظاهر هذا اللطف والرحمـــة الإلٰهية ما عرفه أحد الســـلف حين قال: وما أصبت في دنياي بمصيبة، إلَّا رأيت لله عليَّ

(١) رواه الحاكم في الإيمان (٧٣/١)، وصحح إســـناده، ووافقه الذهبي، عن عبد الرحمن بن أزهر.

(٢) وحي القلم (٩٧/٢)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

QaradawiBooks.com

فيها ثلاث نعم: أنَّها لم تكن في ديني، وأنَّهـا لم تكن أكبر منها، وأنَّني أرجو ثواب الله عليها[١].

وتلك نعم تلابس كل مصيبة في دنيا الناس، جديرة أن تشعر المؤمن بشعور الشكر لله، فضلًا عن الرضا بقضائه، والصبر على بلائه.

ـ مصائب الدنيا تهون:

فكل مصيبة في دنيا الإنسان في بدنه أو صحته أو ماله أو غير ذلك، قد تُعوَّض بخير منها، أمَّا مصيبة الدين، فخسارة لا تُعوَّض، ولذلك حين خيِّر يوسف عليه السلام بين أن يصاب في دنياه، فيسجن ويكون من الصاغرين، وأن يصاب في دينه فيصبو إلى النسوة ويكون من الجاهلين، كما قالت امرأة العزيز للنسوة: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ۝ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٢، ٣٣].

حين خُيِّر يوسف بين الأمرين، كان لا بد أن يختار مصيبة الدنيا، فقال: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣].

وكان ممَّا علَّمه نبيُّ الإسلام لأمته أن يقولوا: «**اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبرَ همِّنا، ولا مَبْلَغَ عِلْمِنا**»[٢].

(١) انظر: إحياء علوم الدين (١٢٩/٤).

(٢) رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٠٢)، وقال الترمذي: حسن غريب. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠١٦١)، وحسَّنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٧٨٣)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

ـ بعض البلاء أهون من بعض:

وإن كل مصيبة لا شك أن هناك أكبر منها، وقديمًا قال الناس: بعض الشر أهون من بعض، وبلاء أخف من بلاء، ومن نظر لبلوى غيره، هانت عليه بلواه.

والمؤمن ينظر بعين بصيرته، فيحمد الله على أمرين:

أولهما: دفع ما كان يمكن أن يحدث من بلاء أكبر.

وثانيهما: بقاء ما كان يمكن أن يزول من نعمة غامرة وفضل جزيل.

فهو ينظر إلى النعمة الموجودة، قبل أن ينظر إلى النعمة المفقودة، وينظر إلى البلاء المتوقع، بجانب نظره إلى البلاء الواقع.

وهذا بلا شك يُحدث كثيرًا من الارتياح والرضا، فالبلاء المتوقع كثير، وقد دُفِع عنه، والنعم الموجودة كثيرة، وقد بقيت له.

وهذا عروة بن الزبير أحد فقهاء التابعين في الإسلام، وشقيق عبد الله بن الزبير، وابن أسماء بنت أبي بكر، مَثَل صالح للمؤمن الصابر الراضي، المقدِّر لنعم الله، فقد رَوَوْا أن رِجْله وقعت فيها الأَكِلة، فقرَّر الأطباء قطعها حتى لا تسري إلى ساقه كلها، ثم إلى فخذه، وربما ترقَّت إلى الجسد فأكلته، فطابت نفسه بنشرها. فعرضوا عليه أن يشرب شيئًا يغيب عقله، حتى لا يحس بالألم، ويتمكَّنوا من قطعها. فقال: ما ظننتُ أن أحدًا يؤمن بالله يشرب شيئًا يغيب عقله، حتى لا يعرف ربه ﷻ، ولكن هلموا فاقطعوها! فقطعوها من ركبته، وهو صامت لا يتكلم، ولا يُعرف أنَّه أنَّ (اشتكى وتوجع)!!.

QaradawiBooks.com

وشـــاء القدر أن يبتلى الرجل على قدر إيمانه، ففي هذه الليلة التي قطعت فيها رجله ســقط ابن له ـ كان أحب أولاده إليه ـ من ســطح، فمات، فدخلوا عليه فعَزَّوه فيه، فقال: اللهم لك الحمد، كانوا ســبعة، فأخذت واحدًا، وأبقيت ستة، وكان لي أطراف أربعة، فأخذت واحدًا، وأبقيت ثلاثة، فإن كنتَ أخذتَ، فلقد أعطيت، ولئن كنتَ قد ابتليت، فقد عافيت!![1].

صبر أيوب:

وقد ذكر الله لنا في موضعين من كتابه العزيز قصة أيوب وصبره على المرض وعلى ما ابتلاه الله به في نفسه وماله وولده، قال تعالى في سورة الأنبيـــاء: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۞ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤]. من أدبه أنَّه لم يسأل شيئًا، ولكن بيَّن حاله، وما أصابه، ولم يبالغ فيما ابتلي بـــه، وقال لربه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾، فهو مجرد شـــيء أصابه، وأثنى على ربه بمـــا هو أهله ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾. ولكن في هذا الثناء على الله دعاء بلسان الحال، وربما كان أبلغ من لســـان المقال. ولهذا قال تعالى عقب ذلك: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

يقول صاحب الظلال: «وقصة ابتلاء أيوب من أروع قصص الابتلاء. والنصوص القرآنية تشير إلى مجملها دون تفصيل. وهي في هذا الموضع تعرض دعاء أيوب واســـتجابة الله للدعاء؛ لأنَّ الســـياق سياق رحمة الله

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٧٩/٢).

QaradawiBooks.com

بأنبيائه، ورعايته لهم في الابتلاء. سواء كان الابتلاء بتكذيب قومهم لهم وإيذائهم، كما في قصص إبراهيم ولوط ونوح. أو بالنعمة في قصة داود وسليمان. أو بالضر كما في حال أيوب..

وأيوب هنا في دعائه لا يزيد على وصف حاله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾.. ووصف ربه بصفتــه: ﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾. ثم لا يدعو بتغيير حاله، صبرا على بلائه، ولا يقترح شيئًا على ربه، تأدبا معه وتوقيرا.

فهو نموذج للعبد الصابر لا يضيق صدره بالبــلاء، ولا يتململ من الضر الذي تضرب بــه الأمثال في جميع الأعصار، بــل إنَّه ليتحرج أن يطلب إلى ربه رفع البلاء عنه، فيدع الأمر كلــه إليه، اطمئنانا إلى علمه بالحال وغناه عن السؤال.

وفي اللحظة التي توجه فيها أيوب إلى ربه بهذه الثقة وبذلك الأدب كانت الاستجابة، وكانت الرحمة، وكانت نهاية الابتلاء: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾..

رفع عنه الضر في بدنه فإذا هــو معافى صحيح. ورفع عنه الضر في أهله فعوضه عمن فقد منهم، ورزقه مثلهم. وقيل هم أبناؤه فوهب الله له مثليهم. أو أنَّه وهب له أبناء وأحفادًا.

﴿رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا﴾ فكل نعمة فهي رحمة من عند الله ومنة.

﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾. تذكرهم بــالله وبلائه، ورحمتــه في البلاء وبعد البلاء. وإن في بلاء أيوب لمثلًا للبشرية كلها وإن في صبر أيوب لعبرة للبشــرية كلها. وإنَّه لأفق للصبر والأدب وحسن العاقبة تتطلع إليه الأبصار.

QaradawiBooks.com

والإشارة ﴿لِّلْعَٰبِدِينَ﴾ بمناسبة البلاء إشارة لها مغزاها. فالعابدون معرضون للابتلاء والبلاء. وتلك تكاليف العبادة وتكاليف العقيدة وتكاليف الإيمان. والأمر جد لا لعب. والعقيدة أمانة لا تسلم إلَّا للأمناء القادرين عليها، المستعدين لتكاليفها، وليست كلمة تقولها الشفاه، ولا دعوى يدعيها من يشاء. ولا بد من الصبر ليجتاز العابدون البلاء»[(١)].

وذكرت قصة أيوب وصبره ودعائه ورفع البلاء عنه، وتعويض الله له في أهله في الدنيا قبل التعويض الأكبر يوم القيامة في صورة (صٓ)، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۞ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۞ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۞ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [صٓ: ٤١ ـ ٤٤].

ـ حلاوة الثواب ومرارة الألم:

ورجاء مثوبة الله تعالى على ما يُبتلى به الإنسان في دنياه نعمة روحية أخرى تهوِّن على الإنسان البلاء، وهذه المثوبة تتمثل في تكفير السيئات، وما أكثرها!! وزيادة الحسنات، وما أحوج الإنسان إليها!! وفي الحديث الصحيح: «**ما يصيب المسلم من همٍّ ولا غمٍّ، ولا نَصبٍ ولا وصبٍ، حتى الشوكة يشاكها، إلَّا كفَّر الله بها من خطاياه**»[(٢)].

أصاب أَحَدَ الصالحين شيءٌ في قدمه، فلم يتوجَّع، ولم يتأوَّه، بل ابتسم واسترجع، فقيل له: يصيبك هذا ولا تتوجع؟ فقال: إن حلاوة ثوابه أنستني مرارة وجعه![(٣)].

---

(١) في ظلال القرآن (٤/٤٧٥٠، ٤٧٥١).

(٢) سيأتي تخريجه صـ٧٥٨.

(٣) انظر: مدارج السالكين (٢/١٦٧).

QaradawiBooks.com

فعلى كل من ابتلي في بدنه أو صحته أن يصبر على ما نزل به، ولا يتسخط، ويرضى بقضاء الله وقدره، والصبر ثوابه الجنة: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢]، ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢]، ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤].

ما جاء في ثواب الصبر على المرض:

ويحسن بنا أن نذكر طرفًا فيما جاء من أحاديث رسول الله ﷺ في جزاء من ابتلي بالمرض، وصبر عليه، ممَّا انتقيناه من «الترغيب والترهيب» للمنذري:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من يُرد الله به خيرًا يُصِبْ منه**»[(١)].

يصب منه: أي يوجِّه إليه مصيبة ويصيبه ببلاء.

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**ما يصيب المؤمن من نَصَب، ولا وَصَب، ولا همٍّ، ولا حزن، ولا أذًى، ولا غمٍّ، حتى الشوكة يشاكُها، إلَّا كفر الله بها من خطاياه**»[(٢)].

رواه البخاري، ومسلم ولفظه: «**ما يصيب المؤمن من وصَب، ولا نصَب، ولا سقم، ولا حُزْن، حتى الهمَّ يهمُّه، إلَّا كفَّر به من سيئاته**».

(١) رواه البخاري في المرضى (٥٦٤٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المرضى (٥٦٤١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٧٣).

QaradawiBooks.com

وفي رواية لابن أبي الدنيا[١]: «**ما من مؤمن يُشاكُ بشوكة في الدنيا يحتسبها، إلَّا قص بها من خطاياه يوم القيامة**».

النصب: التعب، والوصب: المرض.

وعن أبي بردة ﷺ قال: كنت عند معاوية، وطبيب يعالج قرحة في ظهره وهو يتضرر، فقلت له: لو بعض شبابنا فعل هذا لعبنا ذلك عليه، فقال: ما يسرني أنى لا أجده، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من مسلم يصيبه أذى من جسده، إلَّا كان كفارة لخطاياه**»[٢].

وروى المرفوع منه أحمد بإسناد رواته محتج بهم في الصحيح، إلَّا أنَّه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من شيءٍ يُصيب المؤمن في جسده يؤذيه إلَّا كفَّر الله به من سيئاته**»[٣].

وعن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مصيبة تصيب المسلم، إلَّا كفَّر الله عنه بها، حتى الشوكة يُشاكها**»[٤].

وفي رواية لمسلم[٥]: «**لا يصيب المؤمن شوكة، فما فوقها، إلَّا نقص الله بها من خطيئته**».

وفي أخرى[٦]: «**إلَّا رفعه اللهُ بها درجةً، وحطَّ عنه بها خطيئة**».

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات (٣٨).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات (١٦١).

(٣) رواه أحمد (١٦٨٩٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٧٩٣): رجاله رجال الصحيح.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في المرضى (٥٦٤٠)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٧٢).

(٥) في البر والصلة (٢٥٧٢) (٤٨) وفيه: «قصَّ» بدل «نقص».

(٦) في البر والصلة (٢٥٧٢) (٤٧).

QaradawiBooks.com

وفي أخرى له[١] قال: دخل شباب من قريش على عائشة رضي الله عنها وهي بمِنًى وهم يضحكون، فقالت: ما يضحككم؟ قالوا: فلان خرَّ على طُنُب فُسطاط، فكادت عنقه أو عينه أن تذهب، فقالت: لا تضحكوا، فإني سمعت رسول الله ﷺ، قال: «**ما من مسلم يُشاكُ بشوكةٍ فما فوقَها، إلَّا كتبت له بها درجة، ومُحيت عنه بها خطيئة**».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله، حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة**»[٢].

وعن عائشة أيضًا رضي الله عنها أنَّ النبي ﷺ قال: «**إذا اشتكى العبد المؤمن، أخلصه الله من الذنوب كما يُخْلِص الكيرُ خَبَثَ الحديد**»[٣].

وعن عطاء بن أبي رياح قال: قال لي ابن عباس: ألا أُريك امرأة من أهل الجنة؟ فقلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ، فقالت: إنِّي أصرع، وإنِّي أتكشَّف، فادع الله لي. قال: «**إن شئتِ صبرتِ ولكِ الجنة، وإن شئتِ دعوتُ الله أن يعافيك**» فقالت: أصبر. فقالت: إنِّي أتكشف، فادع الله لي ألَّا أتكشف، فدعا لها[٤].

---

(١) في البر والصلة (٢٥٧٢) (٤٦).

(٢) رواه الترمذي في الزهد (٢٣٩٩)، وقال: حسن صحيح. وابن حبان (٢٩٢٤)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. والحاكم (٣٤٦/١)، وصحَّحه على شرط مسلم، كلاهما في الجنائز

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (٤٩٧)، وابن أبي الدنيا في المرض والكفارات (٩٠)، وابن حبان في الجنائز (٢٩٣٦)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين غير عبد الرحمن بن إبراهيم، فإنه من رجال البخاري.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في المرضى (٥٦٥٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٧٦).

QaradawiBooks.com

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما ضرب على مؤمن عِرْق قط، إلَّا حط الله به عنه خطيئة، وكتب له حسنة، ورفع له درجة**»(١).

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مرض العبد أو سافر، كُتِب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا**»(٢).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**ما من أحد من الناس يصاب ببلاء في جسده إلَّا أمر الله عز وجل الملائكة الذين يحفظونه، قال: اكتبوا لعبدي في كل يوم وليلة ما كان يعمل من خير ما كان في وثاقي**»(٣).

وفي رواية لأحمد: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ العبد إذا كان على طريقة حسنة من العبادة، ثم مرض، قيل للملك الموكَّل به: اكتُبْ له مثلَ عمله إذا كان طليقًا، حتى أُطْلِقَه أو أَكْفِتَه إليَّ**»(٤).

قوله: «أكفته إلي» بكاف ثم فاء ثم تاء مثناة فوق، معناه: أضمه إليَّ وأقبضه.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا ابتلى اللهُ عز وجل العبدَ المسلمَ ببلاء في جسده، قال الله عز وجل للمَلَك: اكتبْ له صالحَ عملِه الذي كان يعمل. فإنْ شَفَاه غسله وطهَّره، وإن قبضه غَفَرَ له ورحمه**»(٥).

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات (٢٠٧)، والطبراني في الأوسط (٢٤٦٠)، والحاكم في الجنائز (٣٤٧/١)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، وعمران بن زيد التغلبي شيخ من أهل الكوفة. ووافقه الذهبي.

(٢) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٩٦).

(٣) رواه أحمد (٦٤٨٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والحاكم في الجنائز (٣٤٨/١)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٤) رواه أحمد (٦٨٩٥)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح.

(٥) رواه أحمد (١٢٥٠٣)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٨١٢): رجاله ثقات.

QaradawiBooks.com

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تبارك وتعالى: إذا ابتليتُ عبدي المؤمن فلم يَشْكُني إلى عوَّاده، أطلقتُه من إساري، ثم أبدلته لحمًا خيرًا من لحمه، ودمًا خيرًا من دمه، ثم يستأنف العمل**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال لمَّا نزلت: ﴿**مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ**﴾ [النساء: ١٢٣] بلغت من المسلمين مبلغًا شديدًا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**قاربوا وسدِّدوا، ففي كل ما يُصاب به المسلم كفَّارة، حتى النكبة ينكبها، أو الشوكة يُشاكُها**»(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رجلًا تلا هذه الآية: ﴿**مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ**﴾ [النساء: ١٢٣]، فقال: إنا نُجزى بكل ما عملنا؟ هلكنا إذن! فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «**نعم يُجزى به في الدنيا من مصيبة في جسده ممَّا يؤذيه**»(٣).

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنَّه قال: يا رسول الله كيف الصلاح بعد هذه الآية: ﴿**لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ**﴾ [النساء: ١٢٣].. الآية، وكل شيء عملناه جُزينا به؟ فقال: «**غفر الله لك يا أبا بكر، ألستَ تمرض؟ ألست تحزن؟ ألست يصيبك اللأواء؟**» قال: فقلت: بلى. قال: «**هو ما تُجْزَوْن به**»(٤).

واللأواء بهمزة ساكنة بعد اللام وهمزة في آخره ممدودة هي: شدة الضيق.

---

(١) رواه الحاكم في الجنائز (٣٤٨/١)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٧٤).

(٣) رواه ابن حبان في الجنائز (٢٩٢٣)، وقال الأرناؤوط: رجاله ثقات.

(٤) رواه أحمد (٦٨)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح بطرقه وشواهده. وابن حبان (٢٩١٠)، والحاكم (٧٤/٣)، وصحح إسناده ووافقه الذهبي. كلاهما في الجنائز

QaradawiBooks.com

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ، فمسسته فقلت: يا رسول الله إنك توعك وعكًا شديدًا؟ فقال: «**أجل إنِّي أُوعَكُ كما يُوعَكُ رجلان منكم**» قلت: ذلك بأن لك أجرين؟ قال: «**أجل ما من مسلم يُصيبه أذًى من مرض فما سواه، إلَّا حط الله به سيئاته كما تحطُّ الشجرةُ ورقَها**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال المَلِيلة والصُّداع بالعبد والأَمَة، وإن عليهما من الخطايا مثل أُحُد، فما تدعهما وعليهما مثقال خردلة**»(٢).

والمليلة: حرارة يجدُهَا الرَّجل، وَهِيَ حُمَّى في العَظْم(٣).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**من صُدِّع رأسُه في سبيل الله، فاحتسب، غُفر له ما كان قبل ذلك من ذنب**»(٤).

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على أم السائب ـ أو أم المسيّب ـ فقال: «**ما لك تُزَفْزِفين؟**» قالت: الحُمَّى، لا بارك الله فيها! فقال: «**لا تَسُبِّي الحمى، فإنها تُذهب خطايا بني آدم كما يُذهب الكِيرُ خَبَثَ الحديد**»(٥).

«تزفزفين» روى براءين وبزاءين، ومعناهما متقارب: وهو الرعدة التي تحصل للمحموم.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المرضى (٥٦٦٠)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٧١).

(٢) رواه أبو يعلى (٦١٥٠)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٧٩٧): رجاله ثقات.

(٣) لسان العرب مادة (م. ل. ل).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في الجهاد (١٩٨١٠)، والطبراني (٢٧/١٣)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٨٠٠): إسناده حسن.

(٥) سبق تخريجه صـ٦٧٧.

QaradawiBooks.com

وعن عائشة رضي الله عنها، أنَّ النبي ﷺ قال: «**الحُمَّى حظُّ كلِّ مؤمن من النار**»[١].

عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ الله عز وجل قال: إذا ابتليتُ عبدي بحبيبتيه فصبر، عوَّضته منهما الجنة**»[٢]. يريد عينَيْه.

رواه البخاري، والترمذي، ولفظه: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عز وجل: إذا أخذت كريمتَيْ عبدي في الدنيا، لم يكن له جزاء عندي إلَّا الجنة**»[٣].

وفي رواية له: «**من أذهبتُ حبيبتيه، فصبر واحتسب، لم أرضَ له ثوابًا دون الجنة**»[٤].

الرخصة للمريض بالشكوى من الألم:

ولا بأس للمريض أن يشكو إلى طبيبه أو ممرضه، أو قريبه أو صديقه: ما يجده من وجع، وما يحسه من ألم، ما لم يكن ذلك على سبيل التسخَّط للقدر، وإظهار الجزع والضجر.

وذلك أنَّ المشكو إليه وخصوصًا الطبيب والممرض، قد يكون عنده من الدواء ما يزيل ألمه، أو يخففه على الأقل. على أن في الشكوى لمن يثق الإنسان به نوعًا من التخفيف عن النفس، وخصوصًا إذا تجاوب معه المشكو إليه وواساه، وشاركه مشاركة وجدانية. وقديمًا قال الشاعر:

---

(١) رواه البزار كما في كشف الأستار (٧٦٥)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٨٢٥): إسناده حسن.

(٢) رواه البخاري في المرضي (٥٦٥٣).

(٣) رواه الترمذي في الزهد (٢٤٠٠).

(٤) رواه الترمذي في الزهد (٢٤٠١)، وقال: حسن صحيح. عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

شكوتُ وما الشكوى لمثليَ عادة ولكنْ تَفِيضُ الكأسُ عند امتلائها![١]

وقال آخر:

ولا بدَّ من شكوى إلى ذي مروءةٍ يُواسيك أو يُسْليك أو يتوجَّعُ![٢]

وقد روى البخاري، عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّ النبي ﷺ قال: «**إنِّي لأُوعَكُ كما يوعَكُ رجلانِ منكم**»[٣].

ورَوى عن القاسم بن محمد، أن عائشة رضي الله عنها قالت: وارأساه. وأنَّ النبي ﷺ قال: «**بل أنا وارأساه**»[٤].

ورَوى عن سعد قال: جاءني رسول الله ﷺ يعودني من وجع اشتدَّ بي زمن حجة الوداع، فقلت: بلغ مني الوجع ما ترى.. الحديث[٥].

وروى البخاري في الأدب المفرد عن عروة بن الزبير قال: دخلتُ أنا وعبد الله بن الزبير على أسماء ـ يعني بنت أبي بكر وهي أمهما ـ فقال لها عبد الله: كيف تجدينك؟ قالت: وجعة[٦].

وهذا يرد على من قال من العلماء: إن أنين المريض وتأوُّهه مكروه.

---

(١) من شعر أبي تمام، كما في شرح ديوانه للتبريزي (٤٢٣/٢)، تحقيق: راجي الأسمر، نشر دار الكتاب العربي.

(٢) نسبه المستعصمي لبشار بن برد في الدر الفريد (٤٤٦/١٠)، تحقيق: د. كامل سلمان الجبوري، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م.

(٣) سبق تخريجه صـ٧٦٣.

(٤) رواه البخاري في المرضى (٥٦٦٦)، وأحمد (٢٥١١٣).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٩٣٦)، ومسلم في الوصية (١٦٢٨).

(٦) رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٠٩)، وصحَّحه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٣٩٤).

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

وتعقبه النووي فقال: هذا ضعيف أو باطل، فإنَّ المكروه ما ثبت فيه نهي مقصود. وهذا لم يثبت فيه ذلك، ثم احتج بحديث عائشة. ثم قال: فلعلهم أرادوا بالكراهة خلاف الأولى، فإنه لا شك أن اشتغاله بالذكر أولى[١].

قال القرطبي: والتحقيق أنَّ الألم لا يقدر أحد على رفعه، والنفوس مجبولة على وجدان ذلك، فلا يستطاع تغييرها عما جُبلت عليه، وإنَّما كُلِّف العبد ألا يقع منه في حال المصيبة ما له سبيل إلى تركه، كالمبالغة في التأوه، والجزع الزائد؛ لأن من فعل ذلك خرج عن معاني أهل الصبر، وأمَّا مجرد التشكي فليس مذمومًا، حتى يحصل التسخط للمقدور[٢].

بل روى مسلم، عن عثمان بن أبي العاص، أنَّه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعًا يجده في جسده، فقال له: «**ضعْ يَدَك على الذي يألم من جسدك، وقل: باسم الله ثلاثًا، وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شرِّ ما أَجِدُ وأحاذر**»[٣].

قال العلماء: يؤخذ منه ندب شكاية ما بالإنسان لمن يتبرَّك به، رجاءً لبركة دعائه[٤].

وكان الإمام أحمد يحمد الله أولًا، ثم يخبر عما يجده، لخبر ابن مسعود: إذا كان الشكر قبل الشكوى فليس بشاكٍ[٥].

---

(١) فتح الباري (١٢٤/١٠).

(٢) نقله الحافظ في فتح الباري (١٢٤/١٠).

(٣) رواه مسلم في السلام (٢٢٠٢)، وأحمد (١٦٢٦٨).

(٤) ذكره العلامة القاري في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١١٢٦/٣)، نشر دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

(٥) المبدع في شرح المقنع لابن مفلح (٢١٥/٢)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

قال الحافظ ابن حجر تعقيبًا على قول النبي ﷺ في حديث عائشة: «**بل أنا وارأساه**»: «فيه أن ذكر الوجع ليس بشكاية، فكم من ساكت وهو ساخط، وكم شاك وهو راض. فالمعول في ذلك على عمل القلب، لا على نطق اللسان»[١].

التخفيف عن المريض باللمسة الحانية والدعاء الصالح والتذكير بالصبر:

وينبغي لمن شَكا إليه المريض أن يخفِّف عنه باللمسة الحانية، والكلمة الهادية، والدعوة الصالحة، كما فعل الرسول الكريم مع سعد، فقد روت عائشة بنت سعد أن أباها قال: تشكيت بمكة شكوى شديدة، فجاء النبي ﷺ يعودني... الحديث، وفيه: ثم وضع يده، ثم مسح يده على وجهي وبطني، ثم قال: «**اللهمَّ اشفِ سعدًا، وأتمِمْ له هجرتَه**» قال: فما زلت أجد برده على كبدي فيما يخال إليَّ حتى الساعة[٢].

وقال ابن مسعود: دخلتُ على رسول الله ﷺ، وهو يُوعَك وعكًا شديدًا، فمسسته بيدي، وقلت: يا رسول الله، إنك توعك وعكًا شديدًا. فقال رسول الله ﷺ: «**أجل، كما يُوعَكُ رجلان منكم**» فقلت: ذلك أن لك أجرين؟ قال: «**أجل**» ثم قال: «**ما من مسلمٍ يُصيبُه أذًى؛ مرضٌ فما سواه؛ إلَّا حطَّ الله سيئاته، كما تحطُّ الشجرةُ ورقَها**»[٣].

وهنا ينبغي لمن شكا إليه المريض أن يخفف عنه، بذكر فضل الصبر على البلاء، والرضا بالقضاء، وثواب من ابتلى فصبر واحتسب، وأن

(١) فتح الباري (١٠/١٢٥، ١٢٦).
(٢) رواه البخاري في المرضى (٥٦٥٩).
(٣) متفق عليه: رواه البخاري في المرضى (٥٦٤٧)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٧١).

QaradawiBooks.com

ما يصيبه من ألم هو طهارة له وكفارة لسيئاته، أو زيادة في حسناته، أو رفع لدرجاته، وأن أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، ويذكر له من الآيات والأحاديث، وسير الصالحين، ما يثبت قلبه دون أن يمله ويثقل عليه، كما يحسن أن يعلمه ما يرقي به نفسه، كما فعل النبي ﷺ مع عثمان بن أبي العاص. وهذا في الشكوى إلى الخَلْق.

الشكوى إلى الخالق تبارك وتعالى:

أمَّا الشكوى إلى الخالق جل شأنه، فقد حكاه القرآن الكريم عن أنبياء الله تعالى ورسله الكرام: فعن يعقوب عليه السلام قال: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]. وعن أيوب عليه السلام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وفي هذا رد على من زعم من الصوفية: أنَّ الدعاء بكشف البلاء يقدح في الرضا والتسليم[1]، وفي هذا يقول بعضهم: علمه بحالي يغني عن سؤالي!

ولكن المؤكد أنَّ الدعاء والابتهال إلى الله عبادة، بل «هو العبادة» كما صح في الحديث عن رسول الله ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**»[2]؛ لأن معنى العبادة التوجه إلى الله بصدق، والشعور بالافتقار إليه.

إنَّما المكروه حقًّا هو شكوى العبد ربه! وشكواه إنَّما هو ذكره للناس على سبيل التضجُّر، وهذا متفق عليه، وهو ما يقع فيه بعض من يغفل عن النعم، ولا يذكر إلَّا البلاء.

---

(١) فتح الباري (١٢٤/١٠).

(٢) رواه أحمد (١٨٣٥٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الوتر (١٤٨١)، والترمذي في تفسير القرآن (٢٩٦٩)، وقال: حديث صحيح. وابن ماجه في الدعاء (٣٨٢٨)، عن النعمان بن بشير

QaradawiBooks.com

تمنى المريض الموت:

وإذا جاز للمريض أن يشكو ممَّا يجده من ألم، كما ذكرنا، فليس يحسُن به أن يتمنى الموت، أو يدعو به للضر الذي به، لما روى الشيخان، عن أنس أنَّ النبي ﷺ قال: «**لا يتمنينَّ أحدُكم الموتَ من ضرٍّ أصابه، فإن كان لا بد فاعلًا، فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفَّني إذا كانت الوفاة خيرًا لي**»(١).

وقد بيَّن حديث أبي هريرة عند البخاري وغيره الحكمة في هذا النهى، فقال: «**ولا يتمنينَّ أحدكم الموت، إما محسنًا فلعله أن يزداد خيرًا، وإما مسيئًا، فلعله يَسْتَعْتِب**»(٢). ومعنى يستعتب: أي يرجع عما أوجب العتب عليه، وذلك بالتوبة النصوح.

وفي صحيح مسلم عنه، أنَّ النبي ﷺ قال: «**لا يتمنينَّ أحدكم الموت، ولا يدعُ به من قَبْل أن يأتيه، إنَّه إذا مات أحدكم انقطع عملُه، وإنَّه لا يزيد المؤمنَ عمرُه إلَّا خيرًا**»(٣).

قال العلماء: إنَّما يكره تمنِّي الموت إذا كان لضر في بدنه، أو ضيق في دنياه، ولا يكره إذا كان لخوف فتنة في دينه لفساد الزمان، وهو مفهوم من حديث أنس المذكور. وقد جاء عن كثير من السلف تمنِّي الموت حين خافوا على دينهم(٤).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المرضى (٥٦٧١)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٨٠)، عن أنس.

(٢) رواه البخاري في التمني (٧٢٣٥)، وأحمد (٧٥٧٨).

(٣) رواه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة (٢٦٨٢)، وأحمد (٨١٨٩).

(٤) انظر: شرح السُّنَّة للبغوي (٢٥٩/٥)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، والمجموع للنووي (١٠٦/٥، ١٠٧).

QaradawiBooks.com

ويؤيِّد ذلك حديث معاذ بن جبل من دعاء النبي ﷺ: «**اللهمَّ إنِّي أسألُك فعلَ الخيرات، وتركَ المنكرات، وحبَّ المساكين، وإذا أردت بقومٍ فتنةً، فتوفَّني إليك غير مفتون**»(١).

وقد جاء في أحاديث أشراط الساعة: أنَّ الرجل يمر بقبر أخيه، فيقول: يا ليتنى كنتُ مكانه(٢).

كما أن كراهية تمنِّي الموت مقيَّدة بما إذا فعل ذلك قبل أن تحل به مقدماته، أمَّا عند مجيئها، فلا مانع من تمنيه، رضًا بلقاء الله تعالى، وحبًّا للقائه ﷻ. ولهذا ذكر البخاري في هذا الباب حديث عائشة، قالت: سمعت النبي ﷺ وهو مستندٌ إليَّ يقول: «**اللهم اغفرْ لي وارحمني، وألحقْني بالرفيق الأعلى**»(٣). إشارة إلى أنَّ النَّهْيَ مختصٌّ بالحالة التي قبل نزول الموت(٤).

* * *

(١) رواه أحمد (٢٢١٠٩)، وقال مخرِّجوه: ضعيف لاضطرابه. والترمذي في التفسير (٣٢٣٥)، وقال: حسن صحيح. وذكر تصحيحه عن البخاري. ورواه أيضًا البزار (٢٦٦٨)، وصحَّحه الألباني في المشكاة (٧٤٧)، عن ابن عباس.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٧١١٥)، ومسلم (١٥٧)، كلاهما في الفتن، عن أبي هريرة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في المرضى (٥٦٧٤)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٤٤).

(٤) انظر: فتح الباري (١٣٠/١٠).

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الفصل الرابع

عيادة المريض وآدابها

المريض إنسان ضعيف، يحتاج إلى الرعاية والمساندة، والرعاية أو المساندة ليست مادية فحسب، كما يحسب الكثيرون، بل هي مادية ومعنوية معًا.

من أجل ذلك كانت «عيادة المريض» من هذا الباب، فهي تُشعره بأهميته لدى من حوله، وحُبِّهم له، وحرصهم عليه، وتمنِّيهم لشفائه، وهذه المعاني تمنحه قوة نفسية، يقاوم بها هجمة المرض المادية.

وبذلك تكون عيادة المريض والسؤال عنه والدعاء له جزءًا من العلاج عند العارفين من أهل الذكر، فليس العلاج كله ماديًّا، ومن هنا كانت من الآداب الأساسية في الإسلام.

ولهذا حثَّت الأحاديث النبويَّة على «عيادة المريض» بأساليب شتى، وألوان من الترغيب والترهيب، حتى جعلها النبي ﷺ من الحقوق الأساسية للمسلم على المسلم.

ففي الحديث الصحيح المتفق عليه، عن أبي هريرة، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**حقُّ المسلمِ على المسلم خمس: ردُّ السلام، وعيادة المريض، واتِّباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس**»[1].

(١) سبق تخريجه صـ٦٠٦.

QaradawiBooks.com

وقال رسول الله ﷺ: «**أطعموا الجائعَ، وعُودوا المريضَ، وفُكُّوا العاني**»[١]. بهذا الأسلوب الآمر.

وقال البراء بن عازب: أمرنا رسول الله ﷺ بسبعٍ.. وذكر منها: عيادة المريض[٢].

حكم عيادة المريض:

واختلف العلماء: هل الأمر في هذا الحديث والذي قبله للوجوب أو للاستحباب؟ فذهب الإمام البخاري إلى أنَّ الأمر هنا للوجوب، وترجم في صحيحه لذلك بقوله: «باب وجوب عيادة المريض»[٣].

«وقال ابن بَطَّال: يحتمل أن يكون الأمر على الوجوب بمعنى الكفاية، كإطعام الجائع، وفك الأسير.

ويحتمل أن يكون للندب، للحث على التواصل والألفة.

وجزم الدَّاودي بالأول، فقال: هي فرض يحمله بعض الناس عن بعض.

وقال الجمهور: هي في الأصل ندب، وقد تصل إلى الوجوب في حق بعض دون بعض.

وعن الطبري: تتأكد في حق من تُرجى بركته، وتُسن فيمن يُراعى حاله، وتباح فيما عدا ذلك.

ونقل النووي الإجماع على عدم الوجوب، يعني: على الأعيان»[٤].

---

(١) رواه البخاري في الأطعمة (٥٣٧٣)، عن أبي موسى.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٢٣٩)، ومسلم في اللباس (٢٠٦٦).

(٣) صحيح البخاري قبل الحديث (٥٦٤٩)..

(٤) فتح الباري (١١٢/١٠، ١١٣).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

والــذي يترجَّح لي مــن ظاهر الأحاديــث: أنَّها فــرض من فروض الكفاية، على معنى أنَّه لا يجــوز أن يُهمل المريض دون أن يعوده أحد، فيجب على المجتمع المســلم بالتضامن أن يكون منهم من يســأل عن المرضي ويعودهم، ويدعو لهم بالشــفاء والعافيــة، وقد كان بعض أهل الخير من المسلمين في الزمن الماضي يخصصون بعض الوقف الخيري لمثل ذلك، مراعاة منهم لهذا الجانب الإنساني.

وأمَّا في حق عموم الناس، فهي مستحبة استحبابًا مؤكدًا، قد يرتقى إلى الوجوب في حــقِّ بعض الناس، الذين لهــم بالمريض صلة خاصة وثيقــة؛ كالقرابة، والمصاهــرة، والجــوار اللصيق، والزمالــة الطويلة، والأستاذية، والصداقة الحميمة، أو نحو ذلك، بحيث يتأثر المريض كثيرًا بعدم عيادته من فلان هذا ويفتقده.

ولعل هذا النوع من الناس هو المقصود بكلمة (حق) في قوله: «**حقُّ المســلمِ على المســلمِ خَمْــسٌ**»[1]. إذ لا يتصور أن يطلــب من جميع المســلمين أن يعودوا كل مريــض، بل يطلب ممَّن له بــه صلة خاصة، تقتضي منه مثل هذا الحق.

قال الحافظُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد تبيَّــن أنَّ معنى (الحقِّ) هنا الوجوب، خلافًا لقول ابن بطَّال: المراد حقُّ الحرمة والصحبة.

والظاهر أنَّ المراد به هنا وجوب الكفاية»[2].

وقال الشوكاني في «نيل الأوطار»: «والمراد بقوله: «حق المسلم»: أنَّه لا ينبغي تركه ويكــون فعله: إما واجبًــا، أو مندوبًا ندبًا مؤكدًا شــبيهًا

(١) سبق تخريجه صـ٦٠٦.

(٢) فتح الباري (١١٣/٣).

QaradawiBooks.com

بالواجب. ويكون استعماله في المعنيين من باب استعمال المشترك في معنييه، فإن «الحق» يستعمل في معنى «الواجب». وكذا يستعمل في معنى «الثابت» ومعنى «اللازم» ومعنى «الصدق» وغير ذلك»[١].

فضل عيادة المريض وثوابها:

وممَّا يؤكد استحباب عيادة المريض: ما جاء في فضلها ومثوبة من قام بها من أحاديث مثل:

حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ، عن رسول الله ﷺ، قال: «**مَنْ عاد مريضًا لم يزل في خُرْفة الجنَّة**». قيل: يا رسول الله، وما خرفة الجنة؟ قال: «**جَناها**»[٢]. والجنى: ما يجنى من الشجر.

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: «**مَن عاد مريضًا نادى منادٍ من السماء: طبتَ وطاب ممشاك، وتبوَّأت من الجَنَّة منزلًا**»[٣].

وحديث أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، مرضتُ فلم تعُدْني! قال: يا رب، كيف أعودك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده؟ أمَّا علمتَ أنَّك لو عُدْتَه لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم، استطعمتُك فلم تُطعمني! قال: يا رب، كيف أُطْعِمُكَ وأنت رب العالمين؟! قال: استطعمك عبدي فلانٌ فلم تُطعمه، أما علمتَ أنَّك لو أطعمته لوجدتَ**

---

(١) نيل الأوطار للشوكاني (٤/٤٣، ٤٤).

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٨).

(٣) رواه أحمد (٨٥٣٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي في البر والصلة (٢٠٠٨)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه (١٤٤٣)، وابن حبان (٢٩٦١)، كلاهما في الجنائز، وحسَّنه الألباني في صحيح ابن ماجه (١١٨٤).

QaradawiBooks.com

ذلك عندي؟! يا ابن آدم، استسقيتُكَ فلم تَسْقِني؟ قال: يا رب، كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟! قال: استسقاك عبدي فلانٌ فلم تسقه، أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي؟!»[1].

وحديث عليٍّ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**ما من مسلمٍ يعود مسلمًا غدوة، إلَّا صلَّى عليه سبعون ألف ملك حتى يُمسي، وإن عاده عشيَّة، صلَّى عليه سبعون ألف ملك حتى يُصبح، وكان له خريف في الجنة**»[2].

والخريف الثمر المخروف.

آداب عيادة المريض:

ولعيادة المريض آداب، أجملها الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني في «الفتح» فقال: «وجملة آداب العيادة عشرة أشياء، ومنها ما لا يختص بالعيادة:

ألا يقابل الباب عند الاستئذان، وأن يدقَّ الباب برفق، وألا يُبهم نفسه، كأن يقول: أنا. وألَّا يحضر في وقت يكون غير لائق بالعيادة، كوقت شرب المريض الدواء [أو وقت التغيير على جرحه، أو وقت نومه وراحته]، وأن يخفف الجلوس [إلَّا لمن له به علاقة خاصة كما سيأتي] وأن يغض البصر (أي إذا كان في المكان نساء غير محارم له) وأن يقلِّل السؤال، ويظهر الرقَّة، وأن يُخلص الدعاء، وأن يُوسع للمريض في

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٩).

(٢) رواه أحمد (٦١٢)، وقال مخرِّجوه: صحيح موقوفًا، رجاله ثقات رجال الشيخين، لكن اختلف في وقفه ورفعه، والوقف أصح. وأبو داود (٣٠٩٨، ٣٠٩٩)، والترمذي (٩٦٩)، وقال: حديث حسن غريب. كلاهما في الجنائز .

QaradawiBooks.com

الأمل، وأن يُشـير عليه بالصبر، لما فيه من جزيل الأجر، ويحذره من الجزع لما فيه مـن الوزر»[١]. وفيمـا يلي تفصيل بعـض هذه الآداب والزيادة عليها:

غير مرخصة للطباعة

١ ـ النية الصالحة:

بأنْ يَقصد بعيادة المريض وجْهَ الله ﷻ، وتحصيل الأَجْر منه سبحانه، والفوز بِثَوابه، وأن يقوم بأداء حقِّ أخيه المسلم، ليزداد التَّرابط والتَّراحم بين المسلمين.

ومِمَّا يُعينه على تلك النِّية أن يَعرف فضل عيادة المريض، وقد ذكرنا بعض الأحاديث في فضلها.

٢ ـ اختيار الوقت المناسب:

على العائد أن يَختار الأوقات التي اعتادها النَّاس، أو الأوقات التي يُسـمَح فيها بالزِّيارة، فلا يعود في وقتٍ يسـبِّب له حَرجًا أو ضجرًا، أو يشـقُّ فيه على أهل المريض، ولذلك لم تنـصَّ الأحاديثُ على تحديد أوقاتٍ لعيادة المريض.

قال ابن القيِّـم رحمه الله: «ولم يكن من هدْيِـه ﷺ، أن يخص يومًا من الأيام بعيادة المريـض، ولا وقتًا مـن الأوقات، بل شَـرع لأمته عيادة المريض ليلًا ونهارًا، وفي سائر الأوقات»[٢].

(١) فتح الباري (١٢٦/١٠)، بزيادات زدناها بين معقوفين، وبعض ما ذكره ابن حجر هو آداب عامة للزيارة سواء أكانت عيادة مريض أم غيرها من الزيارات، وبعضها مختص بعيادة المريض.

(٢) زاد المعاد (٤٧٨/١).

QaradawiBooks.com

متى يُبدأ بعيادة المريض؟

قد ذهب بعضُ العلماء إلى أنَّ عيادة المريض تبدأ بَعْد ثلاثة أيام من بداية مرَضه، وجزم بذلك الغزاليُّ في «إحياء علوم الدين»، ومستندهم في ذلك ما رواه ابن ماجه، عن أنس: كان النبيُّ ﷺ لا يعود مريضًا إلَّا بعد ثلاث[١]. وهو حديثٌ ضعيف جدًّا، لا يجوز الاحتجاج به.

والرَّاجح ما ذهب إليه جمهورُ العلماء: أنَّ ابتداء الزيارة لا يُخَصُّ بوقت يمضي من ابتداء مرضه، لعموم أدلة الأمر بالعيادة، ومنها قوله ﷺ: «**عُودوا المريض**»[٢]. قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويُؤخَذ من إطلاقه: عدمُ التَّقييد بزمانٍ يَمضي من ابتداء مرَضِه، وهو قول الجمهور»[٣].

٣ ـ مشروعية العيادة لكل المرضى:

وفي الأحاديث الآمرة والمرغبة في عيادة المريض: دلالة على مشروعية العيادة لكل مريض، سواء كان مرضه شديدًا أم خفيفًا، وأمَّا ما أخرجه البيهقي والطبراني مرفوعًا: «**ثلاثة ليس لهم عيادة: العينُ، والدُّمَل، والضِّرس**»[٤]، فصحَّح البيهقي أنَّه موقوف على يحيى بن أبي كثير[٥]، ومعنى هذا أنَّه لم يصح مرفوعًا إلى النبي ﷺ، ولا حجة إلَّا في كلامه.

---

(١) رواه ابن ماجه (١٤٣٧)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٢٠/٢): في إسناده مسلمة بن علي قال فيه البخاري وأبو حاتم وأبو زرعة منكر الحديث. وقال الحافظ في فتح الباري (١١٣/١٠): وجدت له شاهدًا من حديث أبي هريرة عند الطبراني في الأوسط، وفيه راوٍ متروك أيضًا.

(٢) سبق تخريجه صـ٤٦١.

(٣) فتح الباري (١١٤/١٠).

(٤) رواه الطبراني في الأوسط (١٥٢)، والبيهقي في الشعب (٨٧٥٥).

(٥) شعب الإيمان (٤١٤/١١).

QaradawiBooks.com

قال الحافظ ابن حجر: «وقد جاء في عيادة الأرمد بخصوصها حديث زيد بن أرقم قال: عادني رسول الله ﷺ من وجع كان بعيني»[(١)].

كما تشرع عيادة المريض سواء كان متعلمًا أم جاهلًا، حضريًّا أم بدويًّا، يقدر معنى العيادة أم لا يقدرها.

وقد ذكر الإمام البخاري في «كتاب المرضى» من صحيحه «باب عيادة الأعراب» ذكر فيه حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أنَّ النبي ﷺ دخل على أعرابي يعوده، قال له: «**لا بأسَ، طهورٌ إن شاء الله**». قال ـ أي الأعرابي ـ: قلتَ: طهور! كلا، بل هي حمى تفور ـ أو تثور ـ على شيخ كبير، تُزيره القبور. فقال النبي ﷺ: «**فنعم إذن**»[(٢)].

ومعنى قول النبي ﷺ: «**لا بأس، طهورٌ إن شاء الله**» أنَّه يرجو للأعرابي زوال البأس والشدة عنه، كما يرجو أن يكون المرض مُطهِّرًا له من ذنوبه ومكفِّرًا لخطاياه، فإن حصلت العافية، فقد حصلت الفائدتان، وإلا حصل ربح التكفير.

ومن جفاء هذا الأعرابي أنَّه أنكر رجاء النبي ﷺ ودعاءه، فولاه النبي الكريم ما تولَّى، وقال له: «**فنعم إذن**». أي: إذا أبيت، فنعم، أي كان كما ظننتَ. وقد ذكر في «الفتح» أنَّ الدولابي في «الكنى» وابن السكن في «الصحابة» أخرجا قصة الأعرابي وفيها: فقال النبي ﷺ: «**ما قضى الله فهو كائن**». فأصبح الأعرابي ميتًا![(٣)].

---

(١) فتح الباري: (١١٣/١٠)، والحديث رواه أبو داود (٣١٠٢)، والحاكم (٣٤٢/١)، وصحَّحه على شرط الشيخين، كلاهما في الجنائز، وصحَّحه النووي في المجموع (١١٢/٥)، وحسَّنه الألباني في صحيح أبي داود (٢٦٥٩).

(٢) رواه البخاري في المناقب (٣٦١٦).

(٣) الكنى والأسماء للدولابي (٢٤٩/١)، تحقيق: نظر محمد الفاريابي، نشر دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

QaradawiBooks.com

ونقل عن المهلب قوله: فائدة هـذا الحديث أنَّه لا نقص على الإمام في عيادة مريض من رعيته، ولـو كان أعرابيًّا جافيًا، ولا على العالم في عيادة الجاهل، ليعلِّمه، ويذكِّره بما ينفعه، ويأمره بالصبر، لئلَّا يتسـخَّط على قدر الله، فيسخط عليه، ويُسليه عن ألمه، بل يُغبطه بسقمه، إلى غير ذلك من جبر خاطره، وخاطر أهله.

وفيه: أنَّه ينبغي للمريض أن يتلقى الموعظة بالقبول، ويحسن جواب من يذكره بذلك[١].

عيادة الصبي والمغمى عليه:

على أن عيادة المريض ليست له فقط، إنَّما هي مجاملة لأهله أيضًا. ولذلك لا بأس أن يُعـاد الطفل المريض الذي لا يُميِّز، فإن ذلك يسـرُّ أهله، ويجبُر خاطرهم.

ومثل ذلك: المريض في حالة الغيبوبة، فإن زيارته إنَّما هي مواسـاة لأهله وذويه، وتخفيف عنهم. وقد يفيق المريض، ويمنُّ الله عليه بالعافية، فيذكر له من زاره أثناء غياب وعيه، فيجد في ذلك راحة وسرورًا.

وفي صحيـح البخاري «بـاب عيـادة الصبيان»، ذكـر فيه حديث أسـامة بن زيد رضي الله عنهما، أن ابنة النبي ﷺ أرسـلت إليه ـ وهو مع النبي ﷺ وسـعد وأُبيّ ـ نحسـب أن ابنتي قد حُضرت، فاشـهدنا ـ وفي رواية: فاشهدها ـ فأرسل إليها السـلام، ويقول: «**إنَّ لله ما أخذ وما أعطى، وكل شيء عنده بأجلٍ مُسَمًّى، فلتحتسبْ ولتصبرْ**». فأرسلت إليه تقسم عليه... فقام النبي ﷺ وقمنا... فَرُفع الصبيّ في حجر النبي ﷺ، ونفسه تقعقع[٢]،

(١) فتح الباري (١١٩/١٠).

(٢) تقعقع: أي تتحرك وتضطرب.

QaradawiBooks.com

ففاضت عينا النبي ﷺ ـ أي بالدمع ـ فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «**هذه رحمةٌ وضعها الله في قلوب من شاء من عباده، ولا يرحم الله من عباده إلَّا الرحماء**»(١).

ومعنى «حُضِرت»: أي حضرها الموت، فهي في اللحظات الأخيرة. ومعنى «فاشهدنا»: أي احضرنا.

وفي البخاري أيضًا «باب عيادة المُغمى عليه»: ذكر فيه حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: مرضتُ مرضًا، فأتاني النبي ﷺ، يعودني وأبو بكر، وهما ماشيان، فوجداني أُغمِيَ عليّ، فتوضأ النبي ﷺ، ثم صبَّ وضوءه عليَّ، فأفقتُ، فإذا النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله، كيف أصنع في مالي؟ كيف أقضي في مالي؟ فلم يجبني بشيء، حتى نزلت آية الميراث(٢).

قال ابن المنيِّر: «فائدة الترجمة [أي عنوان الباب] ألا يعتقد أن عيادة المغمى عليه ساقطة لكونه لا يعلم بعائده.. قال الحافظ: ومجرد علم المريض بعائده لا تتوقف مشروعية العيادة عليه؛ لأن وراء ذلك جبر خاطر أهله، وما يُرجى من بركة دعاء العائد، ووضع يده على المريض، والمسح على جسده، والنفْث عليه عند التعويذ، إلى غير ذلك»(٣).

عيادة النساءِ للرجال:

والعيادة المشروعة للمريض تشمل فيما تشمل عيادة النساء للرجال، ولو كانوا أجانب عنهنَّ، كما تشمل عيادة الرجال للنساء: ومن أبواب

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المرضى (٥٦٥٥)، ومسلم في الجنائز (٩٢٣).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المرضى (٥٦٥١)، ومسلم في الفرائض (١٦١٦).
(٣) فتح الباري (١١٤/١٠).

QaradawiBooks.com

البخاري في «كتاب المرضى» من صحيحه: «باب عيادة النساء الرجال». وذكر في هذا حديثًا معلَّقًا: أن أم الدرداء عادت رجلًا من أهل المسجد من الأنصار.

وقد وصله البخاري في «الأدب المفرد» من طريق الحارث بن عُبَيد، قال: رأيت أمَّ الدرداء على رحالها أعوادٌ ليس عليها غشاء، عائدة لرجل من الأنصار في المسجد[1]. كما ذكر حديث عائشة رضي الله عنها قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، وعك أبو بكر، ووعك بلال رضي الله عنهما، قالت: فدخلتُ عليهما، فقلت: يا أبتِ، كيف تجدك؟ ويا بلال كيف تجدك؟ قالت: وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرئ مصبَّح في أهله ... والموت أدنى من شراك نعله!

وكان بلال إذا أقلعت عنه يقول:

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً ... بواد وحولي إذْخِر وجليل؟!
وهل أرِدَنْ يومًا مياه مَجَنّة؟ ... وهل يبدُوَنْ لي شامةٌ وطَفِيلُ؟!

قالت عائشة: فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «**اللهم حبِّب إلينا المدينةَ كحبِّنا مكَّة أو أشد**»[2].

والشاهد في الحديث: دخول عائشة على أبيها وعلى بلال، وقولها لكلٍّ منهما: كيف تجدك؟ وبلال لم يكن محرمًا لأم المؤمنين.

وممَّا لا ريب فيه أن هذه العيادة مقيَّدة بشروطها الشرعيَّة المعتبرة: من الاحتشام، والالتزام باللباس الشرعي، وأدب المسلمة في المشي

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٣٠)، وضعف إسناده الألباني في ضعيف الأدب المفرد صـ ٥٦.
(٢) متفق عليه: رواه البخاري في فضائل المدينة (١٨٨٩)، ومسلم في الحج (١٣٧٦)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

والحركة والنظر والقول، وعدم الخلــوة، وأمن الفتنة، بالإضافة إلى إذن الزوج للمتزوجة، أو الولي لغير المتزوجة.

ولا ينبغي للزوج أو الولي أن يمنعها من عيادة مَن له حق عليها، من قريب غير محرم، أو صهر، أو أستاذ، أو زوج قريبة، أو والدها، أو أخيها، أو نحو ذلك بالشروط المعتبرة المذكورة.

عيادة الرجال للنساء:

وكما أجازت الأحاديث عيادة النساء للرجال بشروطها، إذا كان لهنَّ بهم صلة، ولهم عليهنّ حق، فإن عيادة الرجال للنساء مشروعة كذلك بالشروط نفسها، إذا كان لهم بهن صلة وثيقة، من قرابة، أو مصاهرة، أو جوار، أو غير ذلك من الأواصر التي تجعل لها حقوقًا اجتماعية أكثر من غيرهم.

ومن الأدلة على ذلــك: عموم الأحاديــث التي حثَّــت على عيادة المرضى، ولم تفرِّق بين رجل وامرأة.

ومن الأدلة الخاصة لذلك: ما رواه الإمام مســلم في صحيحه، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رســول الله ﷺ دخل على أم الســائب ـ أو أم المسيّب ـ فقال: «**ما لكِ يا أمَّ الســائب** ـ أو يا أم المسيّب ـ **تُزَفْزِفِينَ؟**». قالت: الحُمَّــى، لا بارك الله فيها! فقال: «**لا تَسُــبِّي الحُمَّى؛ فإنها تُذهب خطايا بني آدم، كما يُذهب الكير خَبَث الحديد**»[1]. ولم تكن أم السائب هذه من محارمه ﷺ.

ولا بد من رعاية الشروط الشرعيَّة، ومنها: أمن الفتنة، ومراعاة العرف كذلك، فالعرف في الشرع له اعتبار.

---

(١) سبق تخريجه صـ٦٧٧.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

عيادة غير المسلم:

وجَعْل عيادة المريض من حق المسلم على أخيه المسلم فيما ذُكر من الأحاديث؛ لا يعني أنَّ المريض غير المسلم لا يُعاد إذا مرض، فإن عيادة المريض أيًّا كان جنسه أو لونه أو دينه أو وطنه عمل إنساني، يعتبره الإسلام عبادة وقربة.

ولا غرو أن عاد النبي ﷺ غلامًا يهوديًّا كان يخدمه، فمرض، فذهب يعوده، وعرض عليه الإسلام، فنظر إلى أبيه، فأشار إليه أبوه أن أطع أبا القاسم، فأسلم قبل أن يموت، فقال ﷺ: «**الحمدُ لله الذي أنقذه بي من النار**»[(١)]. ويتأكَّد ذلك إذا كان لغير المسلم حقٌّ على المسلم من جوار أو زمالة، أو قرابة أو مصاهرة، أو نحو ذلك.

إنَّما أفادت الأحاديث السابقة تأكيد حق المسلم، لما توجبه الرابطة الدينية من حقوق، فإذا كان جارًا أصبح له حقان: حق الإسلام، وحق الجوار. فإذا كان قريبًا، غدا له ثلاثة حقوق: حق الإسلام، وحق الجوار، وحق القرابة.. وهكذا.

وقد عقد الإمام البخاري بابا في «عيادة المشرك» ذكر فيه حديث أنس بشأن الغلام اليهودي، الذي عاده النبي ﷺ ودعاه إلى الإسلام فأسلم، كما ذكرنا.

وحديث سعيد بن المسيب عن أبيه: لما حُضِر أبو طالب جاءه النبي ﷺ.. الحديث، وقد رواه كل من الإمام البخاري في غير هذا الموضع والإمام مسلم موصولًا[(٢)].

---

(١) رواه البخاري في الجنائز (١٣٥٦)، عن أنس.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٣٦٠)، ومسلم في الإيمان (٢٤)، عن المسيب بن حزن.

نسخة ثانية
QaradawiBooks.com

ونقل ابن حجر في «الفتح» عن ابن بطال أن عيادة غير المسلم إنَّما تشرع إذا رُجي أن يجيب إلى الدخول في الإسلام، فأما إذا لم يطمع في ذلك، فلا.

قال الحافظ: «والذي يظهر أن ذلك يختلف باختلاف المقاصد، فقد يقع بعيادته مصلحة أخرى.

قال الماوردي: عيادة الذمّي جائـزة، والقربة موقوفة على نوع حرمة تقترن بها، من جوار أو قرابة»[١].

عيادة العصاة:

وإذا كانت عيادة المريض الكافر مشروعة، وربما كانت قربة وعبادة، فمن باب أولى أن تكون مشروعة في حقِّ المسلم العاصي.

وذلك أنَّ الأحاديث التي أمرت بعيـادة المريض، وجعلتها من حق المسلم على المسـلم، لم تخص بها أهل الطاعة والصلاح من غيرهم، وإن كان حقهم أوكد.

قال الإمام البغوي في «شرح السُّـنَّة» بعد ذكر حديث أبي هريرة في «الحقوق الستة» للمسـلم على المسـلم، وحديث البراء بن عازب في السبع المأمور بها: «هذه المأمورات كلها من حق الإسلام، يستوي فيها جميع المسلمين برهم وفاجرهم، غير أنَّه يخص البر بالبشاشة والمساءلة والمصافحة، ولا يفعلها في حق الفاجر المظهر للفجور»[٢].

واستثنى بعض العلماء المبتدعين، فلا يعادون، إظهارًا للبغض في الله[٣].

(١) فتح الباري (١١٩/١٠).
(٢) شرح السُّنَّة للبغوي (٢١١/٥، ٢١٢).
(٣) المبدع في شرح المقنع لابن مفلح الحنبلي (٢١٥/٢).

QaradawiBooks.com

والذي أرجِّحه أن بدعة هؤلاء، أو معصيــة أولئك، لا تخرجهم من دائرة الإســلام، ولا تحرمهم من حق المســلم على المسلم، وقد تكون عيادتهم دون ترقب منهم ولا توقع ـ وخصوصًا من مسلم صالح أو عالم أو داعية ـ سفير خير، ورسول صدق، إلى قلوبهم، فتنشرح صدورهم بعد ذلك لتلقي الحق، واســتماع الكلمة الطيبة، والإنســان أسير الإحسان، وكما شرع الإســلام تألف قلوب بعض الناس بالمال، فلا غرو أن يشرع تألف آخرين بالبر واللطف وحســن المعاشــرة، وهذا أمر جربه الدعاة الصادقون، ففتح الله لهم به كثيرًا من القلوب المغلقة.

قال العلماء: «ويستحبُّ أن يعم بعيادته الصديق والعدو، ومَن يعرفه ومَن لا يعرفه، لعموم الأحاديث»[1].

٤ ـ كم يعاد المريض؟ وما مدة العيادة؟

وإذا كانت عيادة المريض واجبًا أو سنة على ذويه وجيرانه وأصحابه، فكم مرة تكون؟ وما مدة العيادة؟

أعتقد أن هذا أمر متروك للعرف ولظروف الناس، وظروف المريض نفســه، ولمدى قوة الصلة بالمريض. والمريض الذي يطول مرضه يزار بين كل فترة وأخرى، وليس في ذلك زمن محدَّد.

قال بعض العلماء: ينبغي أن تكون العيادة للمريض غِبًّا، لا يواصلها كل يوم إلَّا أن يكون مغلوبًا. وقال بعضهم: كل أسبوع مرة.

وتعقب ذلك النووي قائلًا: «هذا لآحــاد الناس، أمَّا أقارب المريض وأصدقاؤه ونحوهم، ممن يأتنس بهم، أو يتبرَّك بهم، أو يشق عليهم إذا

(١) المجموع للنووي (١١١/٥، ١١٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لم يروه كلَّ يوم، فليواصلوها، ما لم ينْهَ، أو يعلم كراهية المريض لذلك. وإذا عاد المريض كره إطالة القعود عنده، لما فيه من إضجاره، والتضييق عليه، ومنعه من بعض تصرفاته»[١].

أمَّا مقدار اللُّبث عند المريض:

فلم يأتِ في ذلك نصٌّ من كتابٍ ولا سُنَّة، لكن يُراعى في ذلك عدم المشقَّة على المريض، فلا يطولنَّ في المكث عنده.

قال طاووس رَحِمَهُ اللَّهُ: أفضلُ العيادة أخَفُّها[٢].

وعاد الأوزاعيُّ ابنَ سيرين وهو مريض، فكان يعوده قائمًا[٣].

وهذا أيضًا لا ينطبق على كل عائد، فقد يحب المريض من بعض عُوَّاده أن يطيلوا المكث عنده، وخصوصًا من طال مرضه، واعتبر العيادة إيناسًا له وتهوينًا عليه، ولا سيما إن طلب ذلك بنفسه.

٥ ـ تعهد المريض وتفقد أحواله:

والمريض الغائب أو البعيد ـ ممن له الحق ـ تكون عيادته بالسؤال عنه بالهاتف، لمن قدر عليه، أو بالبرق، وخصوصًا بعد نجاح العمليات الجراحية الخطيرة ونحوها، أو بالبريد.

وما زلت أذكر يوم قُدِّر لي أن أجري عملية الانزلاق الغضروفي التي عملتها في «بون» بألمانيا، صيف سنة ١٩٨٥م، وأمضيت فترة بعدها تحت

---

(١) المجموع للنووي (١١٢/٥).

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر (٢٧٧/٢٤)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، نشر وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلاميَّة، المغرب، ١٣٨٧هـ.

(٣) المصدر السابق.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

العلاج الطبيعي، أذكر كيف توافدت عليّ الهواتف (التليفونات) الأخوية من الدوحة والقاهرة وغيرهما ومن أوربا وأمريكا، مستفسرة وداعية. وكم كان لها في نفسي من أثر طيب، خفَّف عني الألم، وقرَّبني من الشفاء.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويلتحق بعيادة المريض: تعهُّده وتفقُّد أحواله والتلطُّف بـه، وربَّمـا كان ذلك في العادة سـببًا لوجود نشـاطه وانتعـاش قوته»[١].

وفي «صحيح البخاري»، عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفِّي فيه، فقال الناس: «**يا أبا الحسَن، كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ قال: أصبحَ بِحَمد الله بارئًا...**» الحديث[٢].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُسنُّ السُّؤال عن حاله مِمَّن يَعلمه؛ لأنَّ المريض إذا بلَغَه ذلك يُسَرُّ به»[٣].

٦ ـ قول: «لا بأس طَهورٌ إن شاء الله» والقعود عند رأس المريض:

من الآداب عند زيارتك للمريض أن تبدأ بالسَّلام، ثم تدْعو له بهذا الدُّعاء: «**لا بأس، طَهورٌ إن شـاء الله**»؛ وذلك لما ثبتَ في الحديث عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النبي ﷺ دخل على أعرابِي يعوده، قال: وكان النبيُّ ﷺ إذا دخل على مريضٍ يعوده، قال له: «**لا بأس، طَهورٌ إن شاء الله**»[٤].

---

(١) فتح الباري (١١٣/١٠).

(٢) رواه البخاري في المغازي (٤٤٤٧). ومعنى قوله: «أصبح بحمد الله بارئًا». أيْ: قريبًا من البرء، وذلك بحسَـب ظنِّه، أو قال ذلك على سـبيل التَّفاؤل، أو المعنى بارئًا من كل ما يعترض المريض من قلقٍ وغفلة.

(٣) نقلًا من الفتوحات الربانية لابن علان (٥٢/٤).

(٤) سبق تخريجه صـ٧٧٨.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ومن الأدب أيضًا: أن تقعد عند رأسه إن أمكنَك ذلك؛ لأنَّ فيه إيناسًا للمريض، ولأنَّ ذلك يكون أسهلَ عليك في وضع يدك على المريض، والدُّعاء له بالرُّقْية الشرعيَّة.

وأمَّا دليل القعود عند رأس المريض: فقد تقدَّم أنَّ النبيَّ ﷺ عندما عاد الغلام اليهوديَّ، قعد عند رأسه، لكن قد لا يتيسَّر له ذلك؛ لكثرةِ العُوَّاد مثلًا، أو لِضيق المكان، أو لغير ذلك، فلا بأس أن يجلس في أيِّ مكان.

٧ ـ سؤال المريض عن حاله:

وذلك لما ثبت في الحديث عن أنسٍ رضي الله عنه قال: دخل النبيُّ ﷺ على شابٍّ وهو في الموت، فقال: «**كيف تجِدُك؟**» قال: أرجو الله، يا رسول الله، وأخاف ذنوبي. فقال رسولُ الله ﷺ: «**لا يجتمعان في قلب عبدٍ في مثل هذا الموطن، إلَّا أعطاه الله ما يَرجوه، وأمَّنَه مِمَّا يخاف**»(١).

ويسنُّ للمريض إذا سأله العائد عن حاله أن يقول خيرًا؛ كأنْ يحمدَ الله، أو أنَّه يرجو رحمة الله، ولا يقول كلامًا فيه تسخُّط وضجَر واعتراضٌ على قدَرِ الله.

٨ ـ وعلى العائد أن يبشِّر المريض بثواب المرض:

فعن أمِّ العلاء رضي الله عنها قالت: عادني رسولُ الله ﷺ وأنا مريضة، فقال: «**أبْشري يا أمَّ العلاء، فإنَّ مرض المسلم يُذهب الله به خطاياه، كما تُذهب النار خَبَثَ الذَّهب والفِضَّة**»(٢).

---

(١) رواه الترمذي في الجنائز (٩٨٣)، وقال: غريب. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٨٣٤)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٦١)، وجوَّد النووي إسناده في خلاصة الأحكام (٩٠٢/٢).

(٢) رواه أبو داود في الجنائز (٣٠٩٢)، وعبد بن حميد في المنتخب (١٥٦٤)، والطبراني (١٤١/٢٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٧١٤).

QaradawiBooks.com

وعن أبي هُريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: أنَّه عاد مريضًا ومعه أبو هريرة مِن وَعَكٍ كان به، فقال رسولُ الله ﷺ: «**أَبْشِر؛ فإنَّ الله يقول: هي ناري أسلِّطها على عبدي المؤمن في الدُّنيا، لتكون حظَّه من النَّار في الآخرة**»(١).

ومعنى أنَّ الحُمَّى حظُّ المؤمن من النار؛ أي: إنَّ الله عز وجل يُسلِّطها على عبده المؤمن في الدنيا، ليكون ذلك نجاةً له من عذاب النار، فهي فكاكه إنْ كان عليه ما يوجب دخولَ النار، وذلك من رحمة الله بعباده المؤمنين.

٩ ـ الثناء على المريض بمحاسن عمله:

يُسنُّ للعائد أن يُذكِّر المريض بمحاسن عمَلِه، وبما أعدَّه الله من ثوابٍ لِهذه الأعمال، وذلك ليذهب عنه خوفه، وليحسن الظن بربِّه.

ففي «صحيح البخاري»: عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال: لَمَّا طُعِن عمر جعل يألَم، فقال له ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما وكأنَّه يجزِّعه(٢): يا أمير المؤمنين، ولئنْ كان ذلك؛ لقد صَحِبتَ رسول الله ﷺ، فأحسنتَ صحبته، ثم فارقتَه وهو عنك راضٍ، ثم صبحتَ أبا بكرٍ فأحسَنْت صحبته، ثم فارقته وهو عنك راضٍ، ثم صحبت صحبتَهم، فأحسنتَ صحبتهم، ولئن فارقتَهم لَتُفارقنَّهم وهم عنك راضون.. الحديث(٣).

---

(١) رواه أحمد (٩٦٧٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده جيد. والترمذي (٢٠٨٨)، ابن ماجه (٣٤٧٠)، كلاهما في الطب، والحاكم في الجنائز (٣٤٥/١)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٢).

(٢) يجزِّعه؛ أيْ: يزيل عنه الجزع، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ [سبأ: ٢٣]. أيْ: أُزِيل عنهم الفزَع.

(٣) رواه البخاري في أصحاب النبي ﷺ (٣٦٩٢).

QaradawiBooks.com

وفي «صحيح البخاري» أيضًا أنَّ عمر ﷺ لما احتُمِل إلى بيته بعدما طعنَه أبو لؤلؤة المجوسيُّ:... وجاء رجلٌ شابٌّ فقال: أبشِرْ يا أمير المؤمنين، بِبُشرى الله لك، مِن صحبةِ رسول الله ﷺ، وقدَمٍ في الإسلام ما قد عَلِمتَ، ثم وليتَ فعدَلْت، ثم شهادة. قال عمر: وددتُ أنَّ ذلك كَفَافٌ لا عليَّ ولا لي.. الحديث[١].

وفي «صحيح مسلم»: عن أبي شماسة قال: حُضِر عمرُو بن العاص وهو في سياقة الموت يبكي طويلًا، وحوَّل وجهه إلى الجدار، فجعل ابنُه يقول: يا أبتاه، ألَمْ يُبشِّرْك رسولُ الله ﷺ بكذا، ألم يبشرك رسول الله ﷺ بكذا[٢]؟

وفي «صحيح البخاري»، عن القاسم بن أبي بكر، أن عائشة ﵂ اشتكَت، فجاء ابنُ عبَّاس ﵄ فقال: يا أمَّ المؤمنين، تَقْدمين على فرَطِ صِدْق[٣]؛ على رسول الله ﷺ وعلى أبي بَكْر[٤].

١٠ ـ تقوية الرجاء في العافية عند المريض:

وإذا عاد المسلم أخاه المريض، فيحسن به أن يغذِّي فيه رُوح التفاؤل والرجاء، ويحمل إليه البشرى والأمل في الشفاء، وأنَّ المؤمن لا ييئس من رَوْح الله، ولا يقنط من رحمة ربه، وأنَّ الذي كشف الضر عن أيوب، ورد البصر إلى يعقوب، قادر أن يكشف عنه ضره، ويرد عليه عافيته، ويبدله من السقم صحة، ومن الضعف قوة.

---

(١) رواه البخاري في أصحاب النبي ﷺ (٣٧٠٠).

(٢) رواه مسلم في الإيمان (١٢١).

(٣) الفرَط هو الذي يَسبق القوم، ليعدَّ لهم السِّقاء. والمقصود: أنَّها تَقْدم على رسول الله ﷺ وعلى أبي بكر ﵁.

(٤) رواه البخاري في أصحاب النبي ﷺ (٣٧٧١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولا يحسن به أن يذكر للمريض الذين ماتوا، بل يذكر الذين استردُّوا عافيتهم بعد المرض الطويل، وبعد جراحات خطيرة، وذلك لتقوية روحه المعنوية، وهذا جزء من العلاج عند حُذَّاق الأطباء قديمًا وحديثًا، إذ لا انفصال بين النفس والجسم، إلَّا في البحث النظري أو التجريد الفلسفي.

ولهذا كان النبي ﷺ يقول للمريض إذا عاده: «**لا بأس، طهور إن شاء الله**» كما تقدم في الصحيح[١].

ومعنى «لا بأس» أي: لا شدة ولا حرج، فهو تفاؤل ودعاء بأن يزول عنه البأس والضر، وترجع إليه الصحة والعافية، فضلًا عما وراءها من التطهير والتكفير.

وقد روى الترمذي وابن ماجه، عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا: «**إذا دخلتم على المريض، فنفِّسوا له في أجله، فإن ذلك لا يردُّ من القدر شيئًا، وهو يُطَيِّبُ نفسَه**»[٢].

ومعنى «نفِّسُوا له»: أي أطمعوه في الحياة وطول الأجل، كأن يقول له: إن شاء الله تسترجع عافيتك، وتقوم بالسلامة، ويرزقك الله طولَ العمر، وحسن العمل، ونحو هذه العبارات. ففي ذلك تنفيس لما هو فيه من الكرب، وطمأنينة لقلبه. قال النووي: وهو معنى قوله ﷺ للأعرابي: «**لا بأس**»[٣].

---

(١) سبق تخريجه صـ٧٧٨.

(٢) رواه الترمذي في الطب (٢٠٨٧) واستغربه، وابن ماجه في الجنائز (١٤٣٨)، وقال الحافظ في فتح الباري (١٢١/١٠): سنده لين. وقال الإمام النووي في الأذكار صـ ٢٥٦: ويغني عنه حديثُ ابن عباسٍ رضي الله عنهما السابق في: باب ما يُقال للمريض: «لا بأسَ، طهورٌ إنْ شاءَ اللهُ» عند البخاري في المناقب (٣٦١٦).

(٣) انظر: فتح الباري (١٢١/١٠، ١٢٢).

QaradawiBooks.com

ومن وصل به المرض إلى حالة لم يعد يُرجى شفاؤه منها ـ وَفْق سنن الله ـ سأل الله له أن يلطف به، ويخفف عنه، ويختار له الخير، يقول ذلك في نفسه، ولا يسمعه إياه، حتى لا يؤثر ذلك على نفسيته.

غير مرخصة للطباعة

١١ ـ وضع اليد على المريض:

وممَّا يرفع من معنوية المريض ويُطيِّب نفسه، ويشعره براحة نفسية: وضع اليد عليه، أو على موضع الوجع منه، مع الدعاء له، وخصوصًا لمَن يظن بهم الخير والصلاح، كما فعل النبي ﷺ، مع سعد بن أبي وقاص، فقد مسح على وجهه وبطنه، ودعا له بالشفاء.

فعن سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه قال: «**تشكَّيتُ بمكَّة شَكْوى شديدة، فجاءني النبيُّ ﷺ، يعودني...**»، فذكر الحديثَ إلى أن قال: ثُم وضعَ يده على جبهتي، ثُمَّ مسح يده على وجهي وبطني، ثم قال: «**اللهمَّ اشف سعدًا، وأتْمِم له هجرتَه**» فما زلت أجدُ بَرْدَه على كبدي فيما يخال إليَّ[(١)].

وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: دخلتُ على رسول الله ﷺ وهو يُوعَك وعكًا شديدًا، فمسِسْتُه بيدي، فقلت: إنَّك توعك وعكًا شديدًا، قال: «**أجَل، كما يُوعَكُ رجلانِ منكم**»[(٢)].

وقد وردَتْ أحاديثُ أخرى في هذا المعنى، مِنْها عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسولُ الله ﷺ إذا عاد مريضًا يضع يده على المكان الذي يألَم، ثُم يقول: «**باسم الله**»[(٣)].

---

(١) سبق تخريجه صـ٧٦٧.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المرضى (٥٦٤٨)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٧١).

(٣) رواه أبو يعلى (٤٤٥٩)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٧٨٠): رجاله موثقون. وحسَّنه الحافظ في فتح الباري (١٢١/١٠).

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

قال ابن بطَّال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي وضع اليد على المريض تأنيسٌ له، وتعرُّفٌ لشِدَّة مرَضِه، لِيَدعو له بالعافية على حسب ما يبدو له منه، وربَّما رقَاه بيده، ومسح على ألَمِه بما ينتفع به العليل، إذا كان العائدُ صالحًا».

قال الحافظُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد يكون عارفًا بالعلاج، فيعرف العلَّة، فيصف له ما يُناسبه»[١].

١٢ ـ الدعاء للمريض ورقيته:

ويتميز أدب عيادة المسلم لأخيه المريض من عيادة غيره، بما يصحبها من دعاء ورقية.

فمن السُّنَّة: أن يدعو عائد المريض له، ويرقيه بما أُثِر عن رسول الله ﷺ.

وقد ترجم الإمام البخاري لذلك بقوله: «باب دعاء العائد للمريض»، وذكر حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن رسول الله ﷺ كان إذا أَتَى مريضًا، أو أُتِيَ به إليه، قال عليه الصلاة والسلام: «**أذهب الباس، رب الناس، اشفِ وأنت الشافي، لا شفاء إلَّا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا**»[٢].

وقد عاد النبي ﷺ سعد بن أبي وقاص، ودعا له فقال: «**اللهمَّ اشفِ سعدًا، وأتمِمْ له هِجْرته**»[٣].

ومن الغريب ما ذكره في «الفتح» من استشكال بعضهم الدعاء للمريض بالشفاء، مع ما في المرض من كفارة الذنوب والثواب، كما تضافرت الأحاديث بذلك.

---

(١) فتح الباري (١٠/١٢٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المرضى (٥٦٧٥)، ومسلم في السلام (٢١٩١).

(٣) سبق تخريجه صـ٧٦٧.

QaradawiBooks.com

وأجاب الحافظ: «أنَّ الدعاء عبادة، ولا ينافى الثواب والكفارة؛ لأنهما يحصلان بأول مرض، وبالصبر عليه، والداعي بين حسنتين: إما أن يحصل له مقصوده، أو يعوَّض عنه بجلب نفع أو دفع ضرر. وكلٌّ من فضل الله تعالى»[١].

ثم إنَّ المسلم يصبر على المرض إذا أصابه، وعلى البلاء إذا حلَّ به، ولكنَّه يسأل الله تعالى العافية، كما في الحديث الصحيح: «**لا تتمنَّوا لقاء العدو، وسلُوا الله العافيةَ، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أنَّ الجَنَّة تحت ظلالِ السُّيُوف**»[٢].

وفي الحديث: «**سلوا اللهَ العفوَ والعافية، فإن أحدًا لم يُعطَ بعد اليقين خيرًا من العافية**»[٣].

وفي حديث ابن عباس أنَّ النبي ﷺ قال: «**أَكْثِرْ من الدعاء بالعافية**»[٤].

ومن أدعيته ﷺ: «**اللهمَّ إنِّي أسألُك العفوَ والعافيةَ في دنياي وديني وأهلي ومالي**»[٥].

---

(١) فتح الباري (١٣٢/١٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٦٥، ٢٩٦٦)، ومسلم (١٧٤٢)، كلاهما في الجهاد والسير، عن عبد الله بن أبي أوفى.

(٣) رواه أحمد (٣٤)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في الدعوات (٣٥٥٨)، وقال: حسن غريب. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٣٢)، عن أبي بكر.

(٤) رواه الطبراني (٣٣٠/١١)، والحاكم في الدعاء (٥٢٩/١)، وصحَّحه على شرط البخاري، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٣٧٤): رواه الطبراني، وفيه هلال بن خباب، وهو ثقة، وقد ضعَّفه جماعة، وبقية رجاله ثقات. وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (١١٩٨).

(٥) سبق تخريجه صـ٧٣٩.

QaradawiBooks.com

ومن الأدعية المأثورة:

ما رواه عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا جاء الرجلُ يعود مريضًا، فليقل: اللهمَّ اشفِ عبدَك، ينكأ لك عدُوًّا، ويمشِي لك إلى صلاة**»(١).

يعني: إن في شفاء المؤمن خيرًا لنفسه بالصلاة، ولأمته بالجهاد.

ومنها: ما رواه ابن عباس، عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**مَن عاد مريضًا لم يحضر أجله، فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك، إلَّا عافاه الله من ذلك المرض**»(٢).

الرقية للمريض:

وممَّا يقترب من هذا الباب: الرُّقية الشرعيَّة البريئة من الشرك، ولا سيما بالمأثور من رُقى رسول الله ﷺ، وخصوصًا إذا كانت من مسلم صالح.

روى مسلم، عن عوف بن مالك قال: كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله، كيف ترى في ذلك؟ فقال: «**اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقى، ما لم يكن فيه شرك**»(٣).

---

(١) رواه أحمد (٦٦٠٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود (٣١٠٧)، وابن حبان (٢٩٧٤)، والحاكم (٣٤٤/١)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، ثلاثتهم في الجنائز، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٣٠٤).

(٢) رواه أحمد (٢١٣٧)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وأبو داود في الجنائز (٦ ٣١٠) والترمذي في الطب (٢٠٨٣)، وقال: حسن غريب. والحاكم في الطهارة (٣٤٢/١)، وصحَّحه على شرط البخاري ووافقه الذهبي، وصحح إسناده ابن حجر في نتائج الأفكار (١٨٤/٤).

(٣) رواه مسلم في السلام (٢٢٠٠)، وأبو داود في الطب (٣٨٨٦).

QaradawiBooks.com

ورَوى عن جابر، نهى رسول الله ﷺ عن الرُّقى، فجاء آل عمرو بن حزم فقالوا: يا رسول الله، إنَّه كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب! قال: فعرضوا عليه، فقال: «**ما أرى بأسًا، من استطاع أن ينفع أخاه فلينفعه**»[١].

قال الحافظ: «وقد تمسك قوم بهذا العموم، فأجازوا كل رقية جُرِّبت منفعتها، ولم يُعقل معناها، لكن دل حديث عوف: أنَّه مهما كان من الرقى يؤدي إلى الشرك يُمنع، وما لا يعقل معناه لا يُؤمن أن يؤدِّي إلى الشرك، فيُمنع احتياطًا»[٢]. وشرط المنفعة لا بد منه.

وقد ثبتت شرعية الرقية، بالسُّنَّة القولية والفعلية والتقريرية.

فقد رقى النبي ﷺ بعض أصحابه بنفسه، ورقاه جبريل عليه السلام، وأمر بعض أصحابه بالرقية، وكذلك نصح بعض أهله وذويه، وأقر من رقى من الصحابة على فعله.

فعن عائشة: أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه، أو كانت به قرحة أو جرح، قال النبي ﷺ بإصبعه هكذا، ووضع سفيان ـ راوي الحديث ـ سبابته بالأرض، ثم رفعها: «**باسم الله، تربةُ أرضنا، بريقةِ بَعْضِنا، يُشفى به سقيمُنا، بإذن ربنا**»[٣].

ومعنى الحديث: أنَّه يأخذ من ريق نفسه على إصبعه السبابة، ثم يضعها على التراب، فيعلق بها منه شيء، فيمسح به على الموضع العليل أو الجريح، ويقول هذا الكلام في حال المسح.

---

(١) رواه مسلم في السلام (٢١٩٩)، وأحمد (١٤٣٨٢).

(٢) فتح الباري (١٠/١٩٥، ١٩٦).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٤٥)، ومسلم في السلام (٢١٩٤).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وعنها قالت: كان إذا اشتكى رسول الله ﷺ رقاه جبريل[١].

وعن أبي سعيد، أن جبريل أتى النبي ﷺ وقال: «**يا محمد، اشتكيتَ؟**». فقال: «**نعم**». قال: «**باسم الله أَرْقيك، من كلِّ شيءٍ يؤذيك، من شر كلِّ نفسٍ أو عينِ حاسد الله يشفيكَ، باسم الله أرقيكَ**»[٢].

وعن عائشة: أنَّ النبي ﷺ، كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوِّذات وينفث، فلما اشتد وجعه، كنت أقرأ عليه، وأمسح عنه بيده، رجاء بركتها[٣]. والنفث: نفخ لطيف بلا ريق.

وعنها: أن رسول الله ﷺ كان يأمرها أن تسترقي من العين[٤].

وعن جابر: أنَّ النبي ﷺ قال لأسماء بنت عُمَيس: «**ما لي أرى أجسام بني أخي ضارعة** ـ أي نحيفة ـ **تصيبهم الحاجة؟**» قالت: لا، ولكن العين تسرع إليهم. قال: «**ارقِيهم**». قالت: فعرضت عليه، فقال: «**ارقيهم**»[٥].

يعني: أولاد ابن عمه جعفر بن أبي طالب، وكانت أسماء زوجته.

وقال للصحابة الذين رقى واحد منهم سيد الحي في سفر لهم بفاتحة الكتاب، فأعطاه قطيعًا من الغنم، فأبى أن يقبلها، حتى يسأل النبي ﷺ، فأتى النبيَّ ﷺ، فذكر ذلك له، وقال: واللهِ ما رقيتُ إلَّا بفاتحة الكتاب، فقال ﷺ: «**خذوا منهم، واضربوا لي بسَهْم معكم**»[٦].

---

(١) رواه مسلم في السلام (٢١٨٥)، وأحمد (٢٥٢٧٢).

(٢) رواه مسلم في السلام (٢١٨٦)، وأحمد (١١٢٢٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في فضائل القرآن (٥٠١٦)، ومسلم في السلام (٢١٩٢).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٣٨)، ومسلم في السلام (٢١٩٥).

(٥) رواه مسلم في السلام (٢١٩٨).

(٦) متفق عليه: رواه البخاري في الإجارة (٢٢٧٦)، ومسلم في السلام (٢٢٠١)، عن أبي سعيد.

QaradawiBooks.com

١٣ ـ أمر العائدِ المريضَ بالمعروف ونهيه عن المنكر:

ومن الأدب الجميل لعائد المريض المسلم أن ينصح له بصدق، ويأمره بالمعروف، وينهاه عن المنكر، فإنَّ الدين النصيحة، والأمر والنهى فريضة، ومرض المسلم لا يعفيه من تقبل الكلمة الطيبة، والنصيحة المخلصة، وكل ما هو مطلوب أن يُراعي الناصح حاله، فيرفق به، ولا يُثقل عليه، والله تعالى يُحبُّ الرفق في الأمر كله، ومع الناس جميعًا، وهو مع المريض أولى.

وما دخل الرفق في شيء إلَّا زانه، وما نزع من شيء إلَّا شانه.

ويتأكد طلب الرفق إذا كان المريض يجهل ما ضيَّع من معروف، أو ما وقع فيه من منكر، مثل كثير من أبناء المسلمين الذين يجهلون أوليات الإسلام.

فمن عاد مريضًا ووجده لا يصلي كسلًا أو جهلًا، لظنِّه أنَّه لا يستطيع الصلاة، لعدم قدرته على الوضوء، أو عجزه عن القيام أو الركوع أو السجود، أو عدم تمكُّنه من التوجه إلى القبلة، أو غير ذلك، فالواجب أن ينبِّهه على أنَّ الصلاة تجب على المريض وجوبها على الصحيح، وأنَّها لا تسقط إلَّا بفقد الوعي، وأنَّ المريض الذي يعجز عن الوضوء يمكنه أن يتيمم بأي شيء من جنس الأرض، ويمكن مساعدته بإحضار بعض الرمل النظيف في علبة أو كيس، أو حجر أو بلاطة، أو نحو ذلك.. على مذهب من يرى ذلك صعيدًا طيبًا. وأنا منهم.

وكذلك يستطيع المريض أن يصلى كيفما استطاع: قاعدًا إن لم يستطع القيام أو مضطجعًا على جنب، أو مستلقيًا على ظهره، إن لم يستطع القعود، ويكفيه الإيماء والإشارة. وقد قال النبي ﷺ

QaradawiBooks.com

لعمران بن حصين: «**صلِّ قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطعْ فعلى جَنْب**»(١).

والله تعالى يقول: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. والرسول الكريم يقول: «**إذا أمرتكم بأمر، فأْتوا منه ما استطعتم**»(٢).

وكذلك إذا لم يتمكَّن من استقبال القبلة، فإنها تسقط عنه، ويصلِّي إلى أي جهة، فكل شروط الصلاة تسقط بالعجز، وقد قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

وإن وجد المريض متضجِّرًا من المرض، ضائقَ الصدر به، فينبغي أن يذكره بما للمريض عند الله من عظيم المثوبة، وأنَّ الله يطهره بالمرض من خطاياه، وأن أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، وما يزال البلاء ينزل بالعبد حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة، كما صحَّت بذلك الأحاديث.

وإذا وجد عند المريض ما لا يجوز شرعًا، نهاه عنه بلطف وحكمة، وذكر له من أدلة الشرع ما يُزيح عنه الجهل والغفلة، دون تعنيف له، ولا استعلاء عليه، وخصوصًا ما عمَّت به البلوى في كثير من المجتمعات؛ مثل تعليق التمائم ونحوها، ولُبس الرجال خواتم الذهب، أو السلاسل في الرقبة، فهذه لا تجوز للرجال، وإن كانت من فضة أو نحاس، فإذا كانت من ذهب كانت أشد حُرْمة، وإذا كان يعتقد في بركتها، فهي أشد إثمًا؛ لأنَّها تكون تميمة.

---

(١) رواه البخاري في أبواب تقصير الصلاة (١٠٦٦)، عن عمران بن حصين.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة (٧٢٨٨)، ومسلم في الحج (١٣٣٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

فعلى من يعود من كان هذا حاله أن يُعلِّمه من كتاب الله ومن سُـنَّة رسوله ﷺ ما يرشده إلى الحق، ويهديه إلى الصواب، مثل قوله ﷺ: «**من علَّق تميمةً، فقد أشرك**»[١].

ولا ينبغي أن ينكر على المريض إلَّا ما أجمع العلماء على أنَّه منكر، أمَّا ما اختلف فيه ثقات أهل العلم بين مجيز ومانع، ففيه فسحة لمن أخذ بأحد الرأيين، مجتهـدًا كان أو مقلِّدًا، ولا داعي للدخول في جدل حول أي الرأيين أصح وأرجح، فظروف المرض لا تسمح بذلك، إلَّا إذا سأل هو أو رغب في ذلك.

حكم تعليق التمائم المشتملة على كلام الله ورسوله:

مثال ذلك: تعليـق التمائم إذا كانـت من آيات القـرآن الكريم، أو الحديث الشريف، أو مشتملة على ذكر الله تعالى، والثناء عليه، والدعاء له. فهذا ممَّا اختُلف فيه بين الإجازة والكراهة.

روى الإمام أحمد، عـن عبد الله بن عمرو قال: كان رسـول الله ﷺ يعلمنا كلمات نقولهنَّ عند الفزع من النوم: «**باسم الله، أعوذ بكلمات الله التامَّـة: من غضبـه وعقابه وشـرِّ عباده، ومـن همزات الشـياطين وأن يحضرون**». فكان عبد الله يعلمها مـن بلغ من ولده أن يقولها عند نومه، ومن كان منهم صغيرًا لا يعقل أن يحفظها كتبها له، فعلَّقها في عنقه[٢].

وقال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون التمائم كلها، من القرآن وغيره[٣].

---

(١) سبق تخريجه صـ٧٤٣.

(٢) رواه أحمد (٦٦٩٦)، وقال مخرِّجوه: حديث محتمل للتحسين. وأبو داود في الطب (٣٨٤٣)، والترمذي في الدعوات (٣٥١٩)، وقال: حسن غريب.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في الطب (٢٣٩٣٣).

QaradawiBooks.com

وقوله: (كانوا) يشـــير إلى أصحاب ابن مسعود، مثل الأسود وعلقمة ومسروق، وغيرهم. والكراهية دون الحرمة.

ولا بأس أن يُذكِّر للمريض برفـــق: أنَّ الأولى والأحوط ترك التمائم كلها، لعموم النهي، وســـدًّا للذريعة، وخشـــية أن يدخل بها المرحاض ونحوه، على ألا يشتد عليه في ذلك، لوجود الاختلاف فيه.

* * *

نسخة مجانية
غير مرخصة للبيع
QaradawiBooks.com

الفصل الخامس

أهل المريض وماذا عليهم تجاهه؟

يجب على أهل المريض أن يعتنوا به العناية اللائقة بمثل حاله، وألا يضيقوا به، بل يصبروا عليه، ولا يجعلوه يحس بأنَّه عبء ثقيل، وأشد من ألم المرض أن يشعر المريض أنَّه أصبح عبئًا على أهله، وأن يرى ذلك على صفحات وجوههم، وفي نظرات أعينهم، وفلتات ألسنتهم، وهناك واجبات عليهم تجاهه، وآداب ينبغي لهم أن يتأدبوا بها، وهي:

١ ـ الصبر على المريض:

أول هذه الآداب التي ينبغي على أهل المريض وقرابته الأخذ بها، والحرص عليها ـ بل هي من قبيل الآداب الواجبة ـ أن يصبروا عليه، ولا يضيقوا به، أو يملُّوا منه، وخصوصًا إذا طال مرضه. فإنَّ الأشد من المرض إيجاعًا وإيلامًا، أن يشعر المريض أنَّه أصبح عبئًا على أهله، وأنهم يتمنون أن يريحهم الله منه، يرى ذلك على صفحات وجوههم، وفي نظرات أعينهم، وفلتات ألسنتهم.

وإذا كان صبر المريض على ما ابتلي به من المرض، من أعظم ما يثيب الله تعالى عليه، كما صحَّت بذلك الأحاديث، فإن صبر آله وذويه على تمريضه ومعاونته على الشفاء لا يقل مثوبة عنه، بل قد يزيد عليه؛

QaradawiBooks.com

لأن صبر المريض أشبه بصبر الاضطرار، وصبر أهله صبر اختيار، ذلك صبر على البلاء، وهذا صبر على فعل الخير.

صبر كل من الزوجين على مرض الآخر:

ومن أوجب من يجب عليه الصبر على صاحبه إذا حلَّ به المرض: الزوج على زوجته، والزوجة على زوجها. فالحياة أزهار وأشواك، ونفحات ولفحات، ولذَّات وآلام، وصحة وسقام، ودوام الحال من المحال. ولا يجوز لرجل ذي دين وخلق أن ينعم بزوجته حال الصحة، ويتبرَّم بها عند المرض، فيأكلها لحمًا، ويرميها عظمًا، ويمص عصارتها شابة، ثم يرمي بها قشرة حالة الضعف والعجز، فليس هذا من الوفاء، ولا من حسن العشرة، ولا من أخلاق الرجال، ولا خصال المؤمنين.

كما لا يجوز لامرأة سعدت بالحياة مع زوجها شابًّا صحيح البدن، قوى البنية أن تضيق ذرعًا به إذا داهمه المرض، فاعتلَّ بعد صحة، وضعف بعد قوة، وتنسى أنَّ الحياة الزوجية الفاضلة: هي التي تقوم على التعاون الدائم على الحلوة والمرة، والعافية والبلاء.

وقد شكا الشاعر العربي قديمًا من امرأته «سُليمى» حين ضجرت منه لمرضه، فلما سُئِلت عنه قالت: لا حيٌّ فيرجَى، ولا ميْت فيُنْسى! على حين كانت أمه حانية عليه، ملهوفة على شفائه، حريصةً على بقائه، فقال في ذلك:

أرى أم صخر ما تجف دموعها ... وملَّت سُلَيْمَى مضجعي ومكاني!
فأي امرئ ساوى بأمٍّ حليلةً ... فلا عاش إلَّا في أسًى وهوان!
لعمري لقد نبَّهت من كان نائمًا ... وأسمعت من كانت له أذنان![1]

(١) الأبيات لصخر بن عمرو بن الشريد السلمي، انظر: الأصمعيات صـ ١٤٦، وعيون الأخبار (١١٦/٤)، والكامل في اللغة (٥١/٤).

QaradawiBooks.com

الصبر على مرض الأبوين:

وأوجب من صبر كل من الزوجين على مرض صاحبه، وشريك حياته: صبر الابن على مرض الوالدين. فإن حقهما بعد حق الله تعالى، وبرهما من أصول الفضائل التي جاءت بها الرسالات الإلٰهية، ولهذا وصف الله تعالى يحيى عليه السلام بقوله: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٤]. وأنطق المسيح عيسى ابن مريم في المهد صبيا، فكان ممَّا وصف به نفسه: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢].

ومثل الابن: البنت، بل هي أحق برعاية أبويها وتمريضهما، وأقدر عليه من الابن لما حباها الله به من حنان دافق، وعاطفة فياضة، لا تتوافر دائمًا عند الأبناء الذكور.

وقد جعل القرآن الإحسان بالوالدين بعد توحيد الله تعالى، كما في قوله عز وجل: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦]، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقد نبَّه القرآن في هذه الآية الكريمة على حالة خاصَّة، أو مرحلة معينة من العمر، يتأكَّد فيها البر والإحسان، وهي حالة الكبر والشيخوخة، التي يكون فيها الأبوان في غاية من الحساسية النفسية لأي كلمة تصدر من أولادهما، تشعرهما بالتأفُّف أو الضجر من وجودهما، وهو ما صرح القرآن بالنهى عنه تعيينًا وتحديدًا في قوله سبحانه: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣ ـ ٢٤].

QaradawiBooks.com

وتعبير القــرآن بقوله: ﴿يَبْلُغَنَّ عِندَكَ﴾ يدل على أنَّه أصبح مسـؤولًا عنهما، وأنهما أصبحا في عداد عياله.

والصبر علــى الأبوين في حالة الضعف والكبر من أوســع الأبواب المؤدِّية إلى الجنة والمغفرة، ومَن ضيَّع هذه الفرصة فقد ضيَّع على نفسه مغنمًا كبيرًا، وخسر خسرانًا مبينًا.

وقد ثبت في الحديث الصحيــح، أنَّ النبي ﷺ قال فيما رواه عنه أبو هريــرة: «**رَغِــمَ أنفه، ثم رغــم أنفه، ثم رغــم أنفه!**» قِيــلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**من أدرك أبويه عند الكِبَر، أحدهما أو كليهما، ثم لم يدخل الجنة**»[1].

وفي الحديث الآخر، الذي رواه كعب بن عجــرة وغيره: أن جبريل أمين الوحي دعا على من أضاع هذه الفرصة على نفسه، وأمَّن على ذلك النبي ﷺ ونص دعوة جبريل: «**بعُد من أدرك أبويه عند الكبر أو أحدهما فلم يدخل الجَنَّة**»[2]. ومثل حالة الشيخوخة: حالات المرض كلها، التي تجعل الإنســان في صورة من الضعف والحاجة إلى رعاية الغير، وعدم القدرة على الاستقلال بشؤون النفس.

وإذا كان هذا في شــأن الأبوين عامَّة، فإنَّ الأم خاصَّة أحق بالرعاية لتأكيد القرآن والسُّنَّة الوصية بها. قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقــاف: ١٥].

---

(١) سبق تخريجه صـ٣١٦.

(٢) رواه الطبراني (١٤٤/١٩)، والحاكم في البر والصلة (١٥٣/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٣١٧): الطبراني رجاله ثقات. وقال الألباني في صحيح الترغيب (٩٩٥): صحيح لغيره.

QaradawiBooks.com

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان: ١٤].

وروى الطبراني في الصغير عن بريدة: أن رجلًا جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنِّي حملتُ أمِّي على عنقي فرسخين في رمضاء شديدة، لو ألقيت فيها بَضْعة لحم لنضجت، فهل أديتُ شكرها؟ قال: «**لعله أن يكون لطَلْقَةٍ واحدة**»[(١)].

وحكوا أن رجلًا قال لعمر بن الخطاب: إن أمي قد بلغت من الضعف والهَرَم بحيث لا تقضي حاجتها إلَّا وظهري لها مطية ـ يعني أنَّه صنع لها ما كانت تصنع هي له ـ فهل وفيت ديني لها؟ قال: إنك تصنع لها ذلك، وترتقب موتها غدًا أو بعد غد، أمَّا هي فكانت تصنع ذلك لك، وهي ترجو لك عمرًا طويلًا![(٢)].

مسؤولية الأهل تجاه المريض فاقد الأهلية:

وتزداد مسؤولية الأهل عن المريض إذا كان فاقد الأهلية، مثل الطفل، ولا سيما غير المميز والمجنون، لما يحتاج إليه كل منهما من رعاية مكثفة، وعناية بالغة.

فالإنسان المميز والعاقل يستطيع أن يطلب ما يريده، ويشرح ما هو في حاجة إليه، ويستعجل طلبه إذا تأخر عنه، ويقنع من يقوم على علاجه أو تمريضه بضرورته، أمَّا الطفل أو المجنون أو من في حكمهما،

(١) رواه الطبراني في الصغير (٢٥٥)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٣٩٤): رواه الطبراني في الصغير، وفيه الحسن بن أبي جعفر وهو ضعيف من غير كذب، وليث بن أبي سليم مدلس.

(٢) انظر: البر والصلة لابن الجوزي صـ ٤٠، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

QaradawiBooks.com

فلا يمكنه شيء من ذلك، ومن ثم يتضاعف العبء على أهله، فعليهم أن يكونوا في غاية اليقظة لحالته الصحية، وما يعطى له من أدوية موصوفة في مواعيدها المنتظمة، وما قد يطرأ عليه من تطورات تحتاج إلى عرضه على الطبيب المعالج، أو إدخاله مستشفى متخصِّصًا، أو غير ذلك ممَّا لا يمكن حصره وضبطه من الأحوال.

مراعاة المريض مرضًا نفسيًّا:

وممَّا ينبغي التنبيه عليه هنا: المريض مرضًا نفسيًّا، فإن كثيرًا من الناس، حتى أهل المريض نفسه، وأقرب الناس إليه يغفلون عنه، ولا يهتمون بحقوقه عليهم؛ لأنَّهم لا يرون عليه أي أثر لمرض عضوي، فيضعونه في زمرة الأصحاء، وهو غير صحيح، ونظرًا لأن مرضه غير مشاهد ولا ملموس، وإنَّما يتعلق بوجدانه ومشاعره وأحاسيسه، أو بأفكاره ونظرته إلى الناس والحياة، فينبغي مراعاة ذلك في التعامل معه، والتدقيق في الكلمة والنظرة معه، والاستئناس في ذلك برأي الطبيب المختص.

٢ ـ النفقة على علاج المريض:

ومن الآداب التي رغب فيها الإسلام، وخصوصًا على أهل المريض وذويه: أن يتكفَّلُوا بنفقة علاجه، إذا لم يكن لديه من سعة المال ما يُمكِّنه من ذلك، وكان لديهم من السعة واليسار ما يقدرون به على ذلك: من العرض على الطبيب المختص، وأجرة الدواء، وما يلزم من دخول المستشفى، وإجراء الفحوص الضرورية، أو العملية الجراحية، وذلك في حدود مقدرتهم وحاجته، دون إسراف ولا تقتير، ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٦]. ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق: ٧].

QaradawiBooks.com

وليس هذا لازمًا لكل مرض، بل المرض الذي يؤلم صاحبه، أو يُخشى ازدياده، أو يعطِّله عن واجب، وله علاج مجرَّب وناجح، وفْق ما جرت به سنن الله في الناس.

وكلما كان المرض أشد، والدواء أنجع، والمريض أحوج إلى العون، كانت النفقة على علاجه من أعظم القربات، فإن من نفَّس عن مسلم كربة من كربات الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه. ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

وليس من اللازم أن يتحمَّل القريب أو الصديق ـ أيضًا ـ كل نفقات العلاج، فقد يُساهم في جزء منه مع غيره، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧]، ويمكن أن يكون ذلك قبل العلاج، ويمكن أن يكون ذلك بعد العلاج، حين يطلب من المريض عند خروجه من المستشفى مبلغٌ كبير لا يقدر على دفعه، فمن أغاث لهفته في تلك الساعة الحرجة كان من الله بمكان.

وأهل المريض بالنسبة للإنفاق على علاجه ينقسمون إلى قسمين:

١ ـ قسم من الناس يبخل على المريض بما يحتاج إليه من نفقات العلاج والغذاء، وكل ما يعينه على استرداد عافيته، ولو كان هذا المريض أمه التي ولدته، أو أباه الذي رباه، أو ابنه وفلذة كبده، أو زوجته وأم أولاده، وهؤلاء يكون المال أعز عليهم من أهليهم وأقرب الناس إليهم.

فقد تكون راحة المريض وشفاؤه في دواء ناجع مجرَّب وصفه له طبيب مختص، أو في إجراء عملية جراحية معتادة يجريها له نِطَاسي ماهر، أو في دخول مستشفى أو مِصَحَّة فترة من الزمن يكون فيها

QaradawiBooks.com

تحت الرعاية الشاملة، ويحتاج كل ذلك إلى قدر من المال يُبذل لإنقاذ المريض، فلا تجود أنفس أهله به، ولا تنبسط أيديهم ببذله، نتيجة لغلبة الشح، والشح أحد المهلكات وفي الحديث الصحيح: «**اتقوا الشُّحَّ، فإنه أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلُّوا محارمَهم**»[1].

٢ ـ وقسم آخر من أهالي المرضى يتباهون بالإنفاق عليهم، فيما ينبغي وما لا ينبغي، وفيما يُحتاج إليه، وما لا يُحتاج إليه، تظاهرًا بالغنى، ومكاثرة بالمال، ومراءاة للناس.

فتراهم ينتقلون بمريضهم من طبيب إلى طبيب، ومن مستشفى إلى غيره، ومن بلد إلى آخر، مع أنَّ المرض قد عُرِف، والتشخيص قد اتَّضح، والأطباء قد وقفوا فيه عند حد انتهت إليه قدرتهم، وعجز عمَّا بعده علمهم، ولم يبق إلَّا ما هو أكبر منهم: أمر الله الذي لا مردَّ له، بالعافية، أو بالموت، وكثيرًا ما يكون في هذا التنقُّل زيادة متاعب على المريض، لا ضرورة لها، فضلًا عن متاعبهم هم من وراء ذلك.

وكثيرًا ما يكون المريض أقرب إلى الموت، وأولى به أن يموت في بلده وبين أهله وأرحامه وخِلَّانه، ولكن المبالغة في إظهار العناية به، وعدم البخل عليه، وإبراز القدرة على الإنفاق، وإن بلغ ما بلغ، قد يؤدي إلى هذه المبالغة.

وأولى بهم أن ينفقوا هذا المال باسمه صدقة في وجوه الخير، وخصوصًا على المستشفيات الخيرية، وعلاج الفقراء وذوى الدخل

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٧٨)، عن جابر.

QaradawiBooks.com

المحدود من الناس. فهـذا قد يدفع بعض المنتفعين بـه إلى الدعاء له بالشفاء بظهر الغيب، فيسـتجيب الله له. ولهذا ورد في الحديث: «**داوُوا مرضاكم بالصَّدَقة**»[1].

ولو وَضِع هذا المـال في صورة صدقة جارية، فـإن له أجره ما دام ينتفع به منتفعٌ إلى يوم القيامة.

المريض الذي مات دماغه يعتبر ميتًا شرعًا:

وهنا ينتهي بنا البحث إلـى حالات معينة لبعض المرضى، لا يكون المريض فيها أقـرب إلى الموت، بـل يكون قد مات دماغـه بالفعل، وتعطَّلت كل أجهزته الدماغية تعطلًا نهائيًّا لا رجعة فيه، في نظر الأطباء والثقات المتخصصين، ومع هذا يصر أهلـه وذووه على أن يظل تحت أجهزة الإنعاش، التي توفِّـر له الغذاء والتنفس واسـتمرار عمل الدورة الدموية، وقد يدوم على هذا الحال شـهورًا أو سنين، وهم ينفقون عليه بسخاء، ويتجشَّمون البقاء من حوله، ولو بالتناوب، ويظنُّون بذلك أنهم يراعون مريضهم ولا يهملونه.

والحق الصراح في ذلك أن ذلك الراقد على سـريره لم يعد في عالم المرضى، بل هو في الواقع في عالم الأموات، منذ تحقَّق موت دماغه بالكلية.

وبهذا يكون الاسـتمرار في علاجه بطريق أجهزة الإنعاش ضربًا من العبث، وإضاعة الجهد والمال والوقت في غير طائل، وهو ينافي ما جاء به الإسلام.

---

(١) رواه أبو داود في المراسيل (١٠٥)، عن الحسن البصري مرسلًا.

QaradawiBooks.com

ولو فقه أهل المريض دينهم حقًّا، ووعوا حقيقة الأمر وعيًا جيدًا، لأيقنوا أنَّ الأولى بهم والأكرم لميتهم ـ الذي يعدونه مريضًا ـ أن توقف عنه الأجهزة الصناعية، وعندئذ ستتوقف تلك المضخة التي تمد عروقه بالدم، ويرى الجميع أنَّه ميت حقًّا.

وحينئذٍ يوفر أهل المريض جهدهم ومالهم، ويوفِّرون سريرًا لمريض آخر، محتاج إليه، وأجهزة الإنعاش هي في العادة محدودة قليلة العدد، ليستفيد منها مريض حي بالفعل.

إن هذا الذي أقوله لم يعد رأيًا خاصًّا لي، بل هو قرار اتخذه المجمع الفقهي الإسلامي العالمي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، والذي درس هذا الموضوع دراسة مستفيضة في دورتين من دوراته، وقدم فيه عدد من البحوث من الفقهاء والأطباء المعنيين، وبعد البحث والمناقشة أصدر المجمع قراره التاريخي في دورته التي عقدت في مدينة عمان بالأردن من (٨ ـ ١٣ صفر ١٤٠٧هـ) إلى (١١ ـ ١٦ أكتوبر ١٩٨٦م)، بعد تداوله في سائر النواحي التي أثيرت حول موضوع (أجهزة الإنعاش) واستماعه إلى شرح مستفيض من الأطباء المختصين.

قرر ما يلي:

يعتبر شرعًا أنَّ الشخص قد مات وتترتب عليه جميع الأحكام المقررة شرعًا للوفاة عند ذلك إذا تبينت فيه إحدى العلامتين التاليتين:

١ ـ إذا توقف قلبه وتنفسه توقفًا تامًّا، وحكم الأطباء بأن هذا التوقف لا رجعة فيه.

٢ ـ إذا تعطَّلت جميع وظائف دماغه تعطلًا نهائيًّا، وحكم الأطباء الاختصاصيون الخبراء بأن هذا التعطل لا رجعة فيه، وأخذ دماغه في

QaradawiBooks.com

التحلُّل، وفي هذه الحالة يسوغ رفع أجهزة الإنعاش المركبة على الشخص، وإن كان بعض الأعضاء كالقلب لا يزال يعمل آليًّا بفعل الأجهزة المركبة. والله أعلم!!

وترتب على هذا القرار جملة أحكام شرعية، منها:

أولًا: جواز رفع أجهزة الإنعاش والتنفس عن هذا الشخص لعدم جدوى بقائها.

بل أقول: يجب رفع هذه الأجهزة أو إيقافها؛ لأن إبقاءها يخالف الشريعة في أمور عدة، منها:

تأخير تجهيز الميت ودفنه بلا ضرورة، وتقسيم تركته، ودخول زوجته في العدة، إلى غير ذلك ممَّا يترتب على الحكم بالوفاة.

ومنها: إضاعة المال وإنفاقه في غير جدوى، وهي منهيٌّ عنها.

ومنها: الإضرار بالآخرين بحرمانهم من الانتفاع بالأجهزة التي تستخدم لإنعاشه بغير حق، ومن القواعد القطعية التي نطق بها الحديث النبوي: «**لا ضرر ولا ضرار**»[1].

---

(١) رواه أحمد (٢٨٦٥)، وقال مخرِّجوه: حسن. وابن ماجه في الأحكام (٢٣٨١)، عن ابن عباس. ورواه الدارقطني في البيوع (٧٧/٣)، عن أبي سعيد الخدري، وقال النووي في الأربعين (الحديث الثاني والثلاثون): حديث حسن، رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما مسندًا، ورواه مالك في الموطأ مرسلا، عن عمرو بن يحيى، عن أبيه، عن النبي ﷺ، فأسقط أبا سعيد. وله طرق يقوي بعضها بعضًا. قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم في شرحه للحديث: وقال أبو عمرو بن الصلاح: هذا الحديث أسنده الدارقطني من وجوه، ومجموعها يقوي الحديث ويحسنه، وقد تقبله جماهير أهل العلم، واحتجوا به، وقول أبي داود: إنَّه من الأحاديث التي يدور الفقه عليها يشعر بكونه غير ضعيف، والله أعلم. وقال ابن الملقِّن: وصحَّحه إمامنا ـ أي الشافعي ـ في حرملة. خلاصة البدر المنير (٤٣٨/٢)، نشر مكتبة الرشد، =

QaradawiBooks.com

وثانيًا: يجوز التبرع ببعض أعضائه في هذه الحالة، وتكون صدقة له يثاب عليها، وإن لم يوصِ بها.

وقد صح في الحديث أنَّ الإنسان يثاب على ما يؤكل من ثمر زرعه وغرسه، سواء أكله إنسان أو طير أو بهيمة، ويكون له به صدقة[١]. وإن لم يقصد ذلك.

بل قد ثبت أنَّ المؤمن يثاب على ما يصيبه من نصب أو وصب أو غم أو حزن أو أذًى أو بلاء، حتى الشوكة يشاكها، يكفر الله بها من خطاياه[٢].

فلا غرو أن يؤجر الإنسان المسلم إذا تبرع أهله عنه ببعض أعضائه عند ثبوت موت دماغه، لمريض آخر يحتاج إلى هذا العضو لإنقاذ حياته أو استرجاع بصره أو صحته. ولا يرتاب مسلم في فضل هذا العمل وعظيم قيمته ومثوبته عند الله تعالى.

وإذا تم هذا التبرع جاز أخذ هذه الأعضاء قبل نزع أجهزة الإنعاش؛ لأنَّها أُخذت من ميت بالفعل حسب القرار المذكور؛ ولأن أخذها بعد نزع الأجهزة يحول دون الاستفادة منها، في عملية الزرع لإنسان آخر؛ لأنَّها تكون قد فقدت حرارة الحياة، وأصبحت أعضاء ميتة

= ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م. وقال ابن رجب: وقد استدل الإمام أحمد بهذا الحديث. في جامع العلوم والحكم (٢/٢١٠).

(١) إشارة إلى حديث: «ما من مسلم يغرس غرسًا، أو يزرع زرعًا، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلَّا كان له به صدقة». رواه البخاري في المزارعة (٢٣٢٠)، عن أنس، ومسلم في المساقاة (١٥٥٢)، عن جابر.

(٢) سبق تخريجه صـ٧٥٨.

QaradawiBooks.com

رفع أجهزة الإنعاش عن المريض الميئوس منه:

وأكثر من ذلك: أنَّ المريض الذي طال مرضه، وظل تحت أجهزة الإنعاش، ما شاء الله له، ولم يتقدم إلى الأمام خطوة، وقرَّر أطباؤه المعالجون والمختصون أن شفاءه ـ وفق سنن الله تعالى ـ لا أمل فيه، وأن إبقاءه تحت الأجهزة لا نفع فيه ولا طائل تحته، وأنَّ الذي يبقيه على قيد الحياة ربطه بهذه الأجهزة، فلو رفعت عنه لفارق الحياة بعد قليل؛ أقول: هذا المريض لا حرج شرعًا في رفع الأجهزة عنه، وتركه لقدَرِه المقدور، دون تدخل منَّا.

وهذا لا يدخل فيما يسمونه (قتل الرحمة)؛ لأننا لم نقتله، كل ما فعلناه أننا أوقفنا مداواته أو معالجته عن طريق الأجهزة الصناعية.

ولا يستطيع فقيه واحد أن يقول: إنَّ المعالجة عن طريق تلك الأجهزة واجب شرعًا لا يجوز الإخلال به، حتى إذا ما أوقفت نكون قد خالفنا حكم الشرع.

بل من المقرر المعلوم لدى علماء الشريعة أنَّ التداوي كله لدى المذاهب الأربعة، وجمهور الفقهاء: حكمه الإباحة وليس الوجوب اللازم.

وقليل جدًّا من الفقهاء من قال باستحبابه، وأقل منه من قال بوجوبه[1].

والذي أرجحه هو القول بالوجوب إذا كان المرض شديدًا، والدواء مجرَّبًا ناجحًا، حسب الغالب المعتاد.

---

(١) انظر: الهداية مع تكملة فتح القدير (١٦٤/٨)، والمجموع (١٠٦/٥)، والمبدع لابن مفلح (٢١٧/٢)، والإنصاف (٤٦٣/٢)، وقد عقد الإمام الغزالي في (الإحياء) بابًا في الرد على من قال: ترك التداوي أفضل بكل حال!

QaradawiBooks.com

أمَّا عندما يكـــون الأمل ضعيفًا ـ بل يكـــون معدومًا أحيانًا ـ وفق تقرير المختصين؛ فلا مجال للقول بالوجوب، ولا الاستحباب بالنسبة للعلاج والتداوي.

وبهذا يكون إيقاف أجهزة الإنعاش بالنظر لمثل هذا المريض، ليس أكثر من ترك أمر مباح، إن لم يكن هـــو الأفضل، كما يرى الإمام أحمد وغيره، بل الذي أراه أرجح هو الوجوب.

٣ ـ التبرع بالدم للمريض:

ومن أفضل ما يُقدِّمه أهل المريض وأصحابه له: التبرع بالدم له إذا احتاج إليه عنـــد إجراء جراحة، أو لإســـعافه وتعويضه عما نزف منه، فهذا من أعظم القربات وأفضل الصدقـــات؛ لأن إعطاء الدم في هذه الأحوال بمثابة إنقاذ الحياة، وقـــد قرَّر القرآن الكريم في معرض بيان قيمة النفس الإنسانية: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

وإذا كان للصدقة بالمال منزلتها في الدين، وثوابها عند الله، حتى إنَّ الله تعالى يتقبَّلها بيمينه، ويضاعفها أضعافًا كثيرة إلى ســـبعمائة ضعف، إلى ما شـــاء الله، فإنَّ الصدقة بالدم أعلى منزلة وأعظم أجرًا؛ لأنَّه سبب الحياة، وهو جزء من الإنسان، والإنسان أغلى من المال، وكأن المتبرع بالدم يجود بجزء من كيانه المادي لأخيه حُبًّا وإيثارًا.

ويزيد من قيمة هذا العمل الصالح: أن يغيث بـــه ملهوفًا، ويُفرِّج به كربة مكروب، وهذه مزية أخرى تجعل له مزيدًا من الأجر عند الله تعالى،

QaradawiBooks.com

ففي الصحيح: «**من فرَّج عن مسلم كُربة من كُرَبِ الدنيا فرَّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة**»(١).

بل صح عن رسول الله ﷺ أن إغاثة الحيوان المحتاج إلى الطعام أو الشراب له عظيم الأجر عند الله، كما في حديث الرجل الذي سقى كلبًا عطشان، وجده يلهث يأكل الثرى من شدة العطش، فملأ خفه ماء من البئر، وأمسكه بفيه، وسقاه حتى ارتوى، قال النبي ﷺ: «**فشكر الله له، فغفر له**». قال الصحابة دَهِشِين: أئنَّ لنا في البهائم لأجرًا يا رسول الله؟! قال: «**نعم، في كل كبد رطْبة أجر**»(٢).

ويبدو أنَّ الصحابة كانوا يظنون أنَّ الإحسان إلى هذه المخلوقات لا يقابله أجر عند الله، وأنَّ الدين لا يهتم به، فبيَّن لهم الرسول الكريم أنَّ الإحسان إلى أي كائن حي فيه أجر، ولو كان حيوانًا أو كلبًا، فما بالك بالإنسان؟ وما بالك بالإنسان المؤمن؟

والصدقة بالدم لها ثوابها الجزيل بصفة عامة، ولكن صدقة القريب على قريبه مضاعفة بصفة خاصة، لما فيها من توثيق روابط القربى، وتأكيد الصلة بين الأرحام.

وفي هذا يقول الرسول ﷺ: «**الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم ثنتان: صدقة وصلة**»(٣).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٠)، عن ابن عمر.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٦٦)، ومسلم في السلام (٢٢٤٤)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد (١٦٢٣٣)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والترمذي (٦٥٨)، وقال: حديث حسن. والنسائي (٢٥٨٢)، وابن ماجه (١٨٤٤)، ثلاثتهم في الزكاة، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٥٨)، عن سلمان بن عامر الضَّبي.

QaradawiBooks.com

ويتضاعف ذلك الأجر إذا لم تكن العلاقة على ما يرام بين الأقارب بعضهم وبعض، بأن نزغ الشيطان بينهم، وأوقد بينهم نار الخصومة والقطيعة، فإذا انتصر أحدهم على نفسه وشيطانه، وتخطَّى هذه الجفوة المذمومة عند الله وعند الناس، وبذل لقريبه المحتاج من ماله، أو تبرع له من دمه، فإن هذا يعده الرسول ﷺ أفضل الصدقات بالنسبة للمتصدق عليه، وفي هذا يقول: «**أفضل الصدقة على ذي الرَّحِمِ الكاشح**»[1]. يعني بذي الرحم الكاشح الذي يضمر العداوة في كشحه، وليس صافيًا ولا وادًّا لقريبه.

٤ ـ تذكير المريض بالتوبة والوصية:

ومن الآداب المستحبة لأهل المريض وأصدقائه، ومن يعوده من أهل الخير والصلاح، أن يذكِّروه بالمبادرة بالتوبة إلى الله تعالى، والندم على ما فرط في جنب الله، والعزم على طاعة الله تعالى، والخروج من مظالم العباد، وردِّ حقوقهم إليهم مهما صغرت، فإنَّ حقوق الله مبنية على المسامحة، وحقوق العباد مبنية على المشاحَّة.

وإنَّ التوبة مطلوبة من جميع المؤمنين كما قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

وهي على المريض أوجب، وهو إليها أحوج، والربح بها عظيم، والخسارة بضياعها هائلة، والسعيد من بادر قبل فوات الأوان: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ [النساء: ١٨].

---

(١) رواه أحمد (٢٣٥٣٠)، وقال مخرِّجوه: صحيح. والطبراني في الكبير (١٣٨/٤)، والأوسط (٣٢٧٩)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١١١٠)، عن أبي أيوب الأنصاري.

QaradawiBooks.com

وكل إنسان مهما اجتهد في طاعة الله وفي نصرة دينه، وإقامة الحق، ومقاومة الباطل، فإنه لا ينفكَّ من لحظة يغفل فيها عن ربه، وعن بعض ما يجب عليه، أو يستحبَّ منه، فالأولى أن يسارع إلى التوبة، فإنَّ الله غفور رحيم.

وكذلك **ينبغي تذكير المريض بالوصية**، ورد ما عنده من حقوق الناس، وبحث ما له عند غيره، وكذلك بفعل الخير عنه، إن لم يكن وصَّى من قبل، وقد قال ﷺ: «**ما حقُّ امرئٍ مسلمٍ له شيءٌ يوصي به، يبيتُ لَيْلتين إلَّا ووصيته مكتوبة عنده**»(١).

وإذا قُدِّر للمريض أن يكتب الله له الشفاء من مرضه، استُحبَّ وعظه وتذكيره بالوفاء بما عاهد الله عليه وقت المرض من التوبة وعمل الصالحات، وفعل الخيرات، شكرًا لله تعالى، ووفاء بعهده.

وينبغي للمريض المحافظة على ذلك، فقد قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]. وقد مدح الله أهل البر والتقوى بقوله: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟﴾ [البقرة: ١٧٧].

ومن دلائل الخير: أن يوفق المرء قبل موته لعمل صالح يُختم له به، فإنما الأعمال بالخواتيم. ومن الأحاديث المأثورة: «**اللهمَّ اجعلْ خيرَ عُمري آخرَه، وخيرَ عملي خواتِمَه**»(٢). وقد رُوي أكثر من حديث في ذلك منها حديث أنس: «**إذا أراد الله بعبد خيرًا استعمله**». قيل: كيف يستعمله؟

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٧٣٨)، ومسلم (١٦٢٧)، كلاهما في الوصية، عن ابن عمر.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٩٤١١)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (١٢١)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٩٧٤): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه أبو مالك النخعي، وهو ضعيف. عن أنس.

QaradawiBooks.com

قال: «**يوفِّقُه لعملٍ صالح قبل الموت، فيقبضه عليه**»[١]. وفي بعض طرقه: «**عَسَّله**» بدل «**استعمله**» أي طيَّب ثناءه بين الناس.

ومنها حديث أبي أمامة: «**إذا أراد الله بعبد خيرًا طهَّره قبل موته**» قالوا: وما طُهور العبد؟ قال: «**عملٌ صالحٌ يُلهمه إياه، حيث يقبضه عليه**»[٢].

* * *

غير مرخصة للطباعة

(١) رواه أحمد (١٢٠٣٦)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والترمذي في القدر (٢١٤٢)، وقال: صحيح. وابن حبان في البر والإحسان (٣٤١)، والحاكم في الجنائز (٣٣٩/١، ٣٤٠)، وصحَّحه على شرط الشيخين، وصحَّحه الألباني في صحيح الترمذي (١٧٤١).

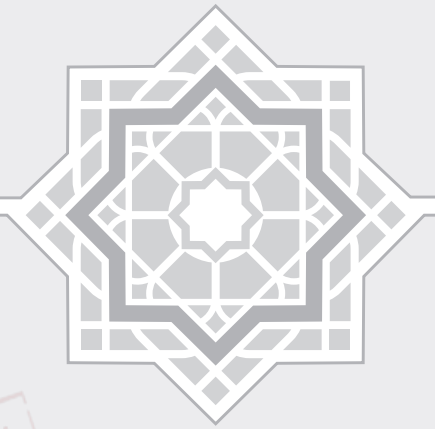
(٢) رواه الطبراني (٢٣٠/٨)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٩٣٢): رواه الطبراني من طرق وفي بعضها: «عسله» بدل «طهره». وفي إحدى طرقه بقية بن الوليد، وقد صرح بالسماع، وبقية رجالها ثقات. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٦).

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي



الباب السابع

أدب المسلم

مع الضحك والمزاح واللهو



غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الضَّحِـكَ مِن خصائـص الإنسـان، فالحيوانـات لا تضْحَك؛ لأنَّ الضحك يأتي من الضاحك، بعد نوع من الفهْم والمعرفة لقولٍ يسـمعُه، أو موقفٍ يراه، فيضحك منه. وهذا لا يتيسر للحيوان.

ولهذا قيل: «الإنسـان حيوان ضاحـك»، ويصْدُقُ القـولُ هنا: «أنا أضحك، إذن أنا إنسان».

وحاجة الإنسـان السـويِّ إلى اللهو: حاجةٌ فطريَّة. بـل قال الإمامُ الغزالي: «اللهو مُروح للقلب، ومُخفِّفٌ عنه أعبـاءَ الفكْر، والقلوب إذا أُكرهتْ عَمِيتْ، وترويحُها إعانةٌ لها على الجِدِّ.

فالمواظبُ على التفكُّر مثلًا ينبغي أن يتعطَّل يومَ الجمعة؛ لأن عُطلة يومٍ تساعدُ على النشاط في سائر الأيام، والمواظب على نوافل الصلوات في سـائر الأوقات ينبغي أن يتعطَّل في بعض الأوقات، ولأجله كُرهتْ الصلاة في بعض الأوقات، فالعطْلة معُونة على العمل، واللَّهو مُعِين على الجـدِّ، ولا يصْبِـر على الجـدِّ المحْـض، والحـق المُـرِّ، إلَّا نفوسُ الأنبياء عليهم السلام.

فاللهـو دواء القلب مِن داءِ الإعياء، فينبغـي أن يكون مُباحًا، ولكنْ لا ينبغي أن يُستكثَر منه، كما لا يُستكثَر مِن الدواء. فإذن اللهو على هذه النيَّة يصير قربةً»[1]، وهو كلامٌ نفيس يعبِّر عن روح الإسلام الحقَّة.

(١) إحياء علوم الدين (٣٨٧/٢)، كتاب السَّماع.

QaradawiBooks.com

رسول الله هو الأُسْوة في المداعبة والمباسطة والمزاح:

وأُسْوة المسلمين في ذلك هو: رسول الله ﷺ، فقد كان ـ برغم همومه الكثيرة والمتنوعة ـ يمزح ولا يقول إلَّا حقًّا، ويَحْيا مع أصحابه حياةً فطريَّة عاديَّة، يُشاركُهم في ضحِكهم ولعِبهم ومزاحهم، كما يشاركُهم آلامِهم وأحزانهم ومصائِبَهم.

يقول زيد بن ثابت ـ وقد طُلِب إليه أن يحدِّثهم عن حال رسول الله ﷺ ـ: كنتُ جارَه، فكان إذا نزل عليه الوحْيُ بعَثَ إليَّ فكتبتُه له، فكان إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا، وإذا ذكرْنا الآخرة ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا، وقال: فكُلُّ هذا أحدِّثُكم عن رسول الله ﷺ[1]؟

وقد رأيناه في بيته ﷺ يُمازح زوجاتِه ويُداعبُهنَّ، ويستمع إلى أقاصيصهنَّ، كما في حديث أُمِّ زرع الشهير[2].

وكما رأينا في تسابقه مع عائشة رضي الله عنها، حيث سبقتْه مرة، وبعد مدة تسابقا، فسبقَها، فقال لها: «**هذه بتلك!**»[3] أي: «تعادُلٌ» بلغة الكرة اليوم!

وأذكر أنِّي كنتُ أدرِّس لطالباتِي في جامعة قطر «السيرة النبويَّة»، وذكرتُ لهُنَّ القصة، وقلتُ لهُنَّ: ماذا تقُلْنَ لو رأيتُنَّنِي مرةً أتسابق في العَدْو مع زوجتي؟ ستقلْنَ: جُنَّ الشيخ!

وقد ورَدَ أنَّه ﷺ وطَّأَ ظهرَه لسبْطيه: الحسن والحسين، في طفولتهما ليركبَا، ويستمتعا دون تزمُّتٍ ولا تَحرُّجٍ، وقد دخل عليه أحد الصحابة

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٤٠/٥) والأوسط (٨٦٩٧)، والبيهقي في الدلائل (٣٢٤/١)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤١٩٩): إسناده حسن.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥١٨٩)، ومسلم في الفضائل (٢٤٤٨)، عن عائشة.

(٣) سبق تخريجه صـ٣٣٨.

QaradawiBooks.com

ورأى هذا المشهد، فقال: نِعْم المركَبُ ركِبتُما. فقال ﷺ: «**ونِعْمَ الفارسان هما**»![1].

ورأيناه يمزح مع تلك المرأة العجوز التي جاءت تقول له: ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال لها: «**يا أمَّ فلان، إنَّ الجنَّة لا يدخلها عجوز!**» فبكَتِ المرأةُ حيثُ أخذتِ الكلام على ظاهره، فأفهمها: أنَّها حين تدخل الجنة لن تدخلها عجوزًا، بل شابة حسناء، تنشأ إنشاء جديدًا، يجرى عليها تحسين إلٰهي جديد.

وتلا عليها النبي ﷺ قول الله تعالى في نساء الجنة: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٥ ـ ٣٧][2].

وجاء رجل يسأله ﷺ أن يحمله على بعيرٍ، فقال له ﷺ: «**إنَّا حامِلُوكَ على ولد الناقة**»! فقال: يا رسول الله، وماذا أصنع بولد الناقة؟! ـ انصرف ذهنه إلى الحُوار الصغير ـ فقال ﷺ: «**وهل تلدُ الإبلَ إلَّا النوق؟**»[3]

وقال زيد بن أسلم: إن امرأةً يُقال لها: أم أيمن، جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن زوجي يدعوك، قال: «**ومن هو؟ أهو الذي بعينه بياض؟**» قالت: والله ما بعينه بياض. فقال: «**بلى، إنَّ بعَيْنِه بياضًا**» فقالت: لا والله. فقال ﷺ: «**ما من أحد إلَّا بعينه بياض**»[4]. وأراد به البياض المحيط بالحدقة.

---

(١) رواه البزار (٢٩٣)، وأبو يعلى كما في المطالب العالية (٣٩٦٨)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٠٧٨): رواه أبو يعلى في الكبير، ورجاله رجال الصحيح، ورواه البزار بإسناد ضعيف. عن عمر بن الخطاب.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٥٥٤٥)، والترمذي في الشمائل (٢٤٠)، والبيهقي في البعث والنشور (٣٣٥)، وحسَّنه الألباني في غاية المرام (٣٧٥)، عن عائشة.

(٣) رواه أحمد (١٣٨١٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الأدب (٤٩٩٨)، والترمذي في البر والصلة (١٩٩١)، وقال: صحيح غريب. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٧١٢٨)، عن أنس.

(٤) قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء (١٠١٩/١): رواه الزبير بن بكار في الفكاهة والمزاح، وابن أبي الدنيا من حديث عبيدة بن سهم الفهري مع اختلاف.

QaradawiBooks.com

وقال أنس: كان لأبي طلحة ابنٌ صغير يُقال له: أبو عُمَيْر، وكان رسول الله ﷺ يأتِيهم ويكلم الطفل، ويقول: «**يا أبا عُمَيْر، ما فعل النُّغَيْر؟**» لنُغَيْرٍ كان يلعب به[١]. وهو فرخ العصفور.

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان عندي رسول الله ﷺ وسودة بنت زمعة، فصنعت حريرةً[٢] وجئتُ به، فقلتُ لسودةَ: كُلِي. فقالتْ: لا أحبُّه. فقُلتُ: والله لتأكلِنَّ أو لأُلَطِّخَنَّ به وجهَكِ. فقالتْ: ما أنا بِذائقتِه. فأخذتُ بيدي من الصحفة شيئًا منه، فلطختُ به وجهَها، ورسول الله ﷺ جالس بيني وبينها، فخفض لها رسول الله ركبتيه لتستقيد مني، فتناولتْ من الصحفة شيئًا فمسحتْ به وجهي! وجعل رسول الله ﷺ يضحك[٣].

ورُوي أنَّ الضحَّاك بن سفيان الكلابي كان رجلًا دميمًا قبيحًا، فلما بايعَه النبيُّ ﷺ، قال له الضحاكُ: إن عندي امرأتين أحسن من هذه الحميراء ـ وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب ـ أفلا أنزل لك عن إحداهنَّ فتتزوجها؟! وعائشة جالسة تسمع، فقالتْ: أهي أحسنُ أم أنتَ؟ فقال: بل أنا أحسن منها وأكرم، فضحِك رسول الله ﷺ من سؤالها إياه؛ لأنَّه كان دميمًا[٤].

---

(١) سبق تخريجه صـ٥٣.

(٢) دقيقٌ يطبخُ بلبنٍ أو دَسَمٍ.

(٣) رواه النسائي في عشرة النساء (٨٨٦٨)، وأبو يعلى (٤٤٧٦)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٦٨٣): رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح خلا محمد بن عمرو بن علقمة، وحديثه حسن. وحسَّنه الألباني في الصحيحة (٣١٣١).

(٤) قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١٠٢٠/١): أخرجه الزبير بن بكار في الفكاهة من رواية عبد الله بن حسن مرسلًا أو معضلًا، وللدارقطني نحو هذه القصة مع عيينة بن حصن الفزاري بعد نزول الحجاب من حديث أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وكان ﷺ يحب إشاعة السرور والبهجة في حياة الناس، وخصوصًا في المناسبات السائدة مثل: الأعياد والأعراس.

ولما أنكر الصديق أبو بكر رضي الله عنه غناء الجاريتين يوم العيد في بيته وانتهرهما، قال له الرسول الكريم: «**دعهما يا أبا بكر، فإنها أيام عيد**»![1] وفي بعض الروايات: «**إن لكل قوم عيدًا، وهذا عيدنا**»[2].

وقد أذن للحبشة أن يلعبوا بحِرابهم في مسجده عليه الصلاة والسلام في أحد أيام الأعياد، وكان يحرِّضُهم ويقول: «**دونكم يا بني أَرْفِدة**»![3].

وأتاح لعائشة أن تنظر إليهم مِن خلفه[4]، وهم يلعبون ويرقصون، ولم يرَ في ذلك بأسًا ولا حرجًا.

كما أتاح لها أن تلعب بالبنات (اللُّعَب) مع صويحباتها[5].

واستنكر يومًا أن تُزفَّ فتاةٌ إلى زوجها زفافًا صامتًا، لم يصحبه لهو ولا غناء، وقال: «**ما كان معها لهو؟! فإنَّ الأنصارَ يُعجبهم اللهو**»[6]. وفي بعض الروايات: «**هلَّا بعثتُم معها مَن تغنِّي وتقول: أتيناكم أتيناكم.. فحيُّونا نُحيِّيكم**»[7].

---

(١) رواه البخاري في كتاب العيدين (٩٤٩)، ومسلم في كتاب صلاة العيدين (٨٩٢)، عن عائشة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٩٨٧)، ومسلم (٨٩٢)، كلاهما في صلاة العيدين، عن عائشة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٩٤٩، ٩٥٠)، ومسلم (٨٩٢)، كلاهما في صلاة العيدين، عن عائشة.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٥٤)، ومسلم في صلاة العيدين (٨٩٢)، عن عائشة.

(٥) سبق تخريجه صـ٥٤.

(٦) رواه البخاري في النكاح (٥١٦٢)، عن عائشة.

(٧) رواه أحمد (١٥٢٠٩)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. وابن ماجه (١٩٠٠)، والنسائي في الكبرى (٥٥٤٠)، كلاهما في النكاح، وحسَّنه الألباني في غاية المرام (٣٩٨). عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

الصحابة على هَدْي رسول الله:

وكان أصحاب النبي ﷺ ومَن تبِعهم بإحسان في خيرِ قرونِ الأمة يضحكون ويمزحون، اقتداءً بنبيِّهم ﷺ، واهتداء بهَدْيه، حتى إنَّ رجلًا مثل عمر بن الخطاب ـ على ما عُرف عنه من الصرامة والشدة ـ يُروى عنه أنَّه مازح جاريةً له، فقال لها: خلقَنِي خالقُ الكرام، وخلقكِ خالقُ اللئام! فلما رآها ابتأستْ مِن هذا القول، قال لها مُبيِّنًا: وهل خالق الكرام واللئام إلَّا الله ﷻ[1]؟

وقد عُرِف بعضُهم بذلك في حياته ﷺ، وأقرَّه عليه، واستمرَّ على ذلك مِن بعده، وقبِله الصحابةُ، ولم يجدوا فيه ما يُنكَر، برغم أن بعض الوقائع المرويَّة في ذلك لو حدثتِ اليوم لأنكرها مُعظم المتديِّنين أشدَّ الإنكار، وعدُّوا فاعلها مِن الفاسقين أو المنحرفين!

حدود المشروعيَّة في الضحك والمزاح:

ومن هنا نقول: إنَّ الضحك والمرح والمزاح: أمر مشروع في الإسلام، كما دلتْ على ذلك النصوص القولية، والمواقف العمليَّة للرسول الكريم ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

وما ذلك إلَّا لحاجة الفطرة الإنسانيَّة إلى شيء من الترويح يخفِّف عنها لأْواءَ الحياة وقسوتَها، وتشعُّبَ همومها وأعبائها.

وفي هذا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: روحوا عن القلوب، وابتغوا لها طرائف الحكمة، فإنها تملُّ كما تملُّ الأبدان[2].

---

(١) معرفة الرجال لابن معين (١٦٥/١)، نشر مجمع اللغة العربية، دمشق، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، وأخبار الحمقى لابن الجوزي (١٥٥) مختصرًا، نشر دار الفكر اللبناني، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

(٢) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق (٧١٩).

QaradawiBooks.com

كما أن هذا الضرب من اللهو والترفيه يقوم بمهمة التنشيط للنفس، حتى تستطيع مواصلة السير والمضيَّ في طريق العمل الطويل، كما يريح الإنسان دابته في السفر، حتى لا تنقطع به.

وفي هذا يقول أبو الدرداء رضي الله عنه: إنِّي لأستجم نفسي بالشيء من الباطل[١]، ليكون أقوى لها على الحق[٢]. ويراد بالباطل: اللهو واللعب.

شروط مشروعية المزاح:

فمشروعيَّة الضحك والمرح والمزاح لا شك فيها في الأصل، ولكنَّها مقيدةٌ بقيود وشروط لا بد أن تُراعى:

١ ـ اجتناب الكذب في المزاح:

ألا يكون الكذبُ والاختلاق أداةً الإضحاك للناس، كما يفعل بعضُ الناس في أولِ إبريل (نيسان) فيما يسمُّونه: كذبة إبريل.

ولهذا قال ﷺ: «**ويْلٌ للذي يُحدِّث فيكْذِب، ليُضحك القوم، ويْلٌ له، ويْلٌ له**»[٣]. وقد كان ﷺ يمزح ولا يقول إلَّا حقًّا[٤].

---

(١) يقصد بالباطل ما لا فائدة فيه إلَّا مجرد اللهو. انظر: السياسة الشرعيَّة لابن تيمية صـ ١٥٩، نشر دار المعرفة.

(٢) ذكره المبرد في الكامل في اللغة والأدب (٢/٢١١).

(٣) رواه أحمد (٢٠٠٢١)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الأدب (٤٩٩٠)، والترمذي في الزهد (٢٣١٥)، وقال: حديث حسن. وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٧١٣٦)، عن معاوية بن حيدة.

(٤) رواه أحمد (٨٤٨١)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي. والترمذي في البر والصلة (١٩٩٠)، وقال: حديث حسن. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٧٢٦)، عن أبي هريرة بلفظ: «**إنِّي لا أقول إلَّا حقًّا**»، قال بعض أصحابه: فإنك تداعبنا يا رسول الله، فقال: «**إنِّي لا أقول إلَّا حقًّا**».

QaradawiBooks.com

هل النِّكات تعد من الكذب؟

النكات من الوسائل التي ابتكرها الناس للترويح أو الإضحاك، وقد برع فيها المصريون، واشتهروا بها بين الشعوب، وهي أنواع مختلفة، ولها مهمات متعددة، ومنها: «النكت السياسية» التي تهزأ بالحُكَّام الظالمين وأعوانِهم، وخصوصًا في أوقات التسلُّط والاستبداد السياسي.

ولا يكاد يجلس الناسُ بعضُهم إلى بعض إلَّا حكَوا من هذه النكت ما يُضحكهم ويسرِّي عنهم بعضَ ما يعانون. أحيانًا يسندونها إلى أسماء معروفة، مثل (جُحا)، أو أبي نواس، أو غيرهما، وأحيانًا لا ينسبونها إلى معيَّن.

وليس من الضروري أن تكون النكت مخبرة عن واقع حقيقي، بل قد تكون مختلقة، كما يختلق القَصّاص والروائيّ الأحداث، لينسج منها قصةً قصيرةً أو رواية طويلة، ولا يعتبر هذا من الكذب المحرم؛ والناس يعلمون أن هذه الأحداث من نسج وخيال القصاص الروائي الأديب. وكذلك النكت.

وهذا موجود لدى الشعوب عامة، حتى إن كثيرًا من النكت التي نسمعها في مصر عن «الصعايدة» وجدتُها في باكستان يحكونها أو مثلها تمامًا عن «السيخ».

وفي سوريا نجد نكتًا عن أهل حلب وأهل حماة وعن أهل حمص. وأهل البلدان المختلفة يتسامحون في العادة في إنشاء هذه النكت أو روايتها. حتى إنِّي رأيت بعض «الصعايدة» ينكتون على «الصعايدة».

QaradawiBooks.com

وهناك أنـــاس لا يقتصرون على حكاية النكت عـــن غيرهم، بل هم ينشئون نكتًا على البديهة، وهذا شأن الشخصيات الفكِهة، مثل «أشعب» قديمًا، ومثل الشيخ «عبد العزيز البشري» حديثًا في مصر.

وممَّا يحكونه عن الشيخ البشري: أن امرأةً أعطته رسالةً ليقرأها لها، فلم يُحسِـــن قراءتها لرداءةِ الخـــطِّ. فقال لها: يا خالتي، لم أســـتطع أن أقرأهـــا. فقالت له: رجل محترم بعمامة، ولا تُحســـن أن تقرأ رســـالة؟! فوضع العمامة على رأسها، وقال: هذه هي العمامة. اقرئيها أنت الآن!!

وكانت في مصر بعض المجلات المتخصِّصة في هذا اللون، أشهرها مجلة «البعكوكة».

ويلحق بذلك فن «القفشـــات» وما يســـمِّيه المصريون «الدخول في قافية»، وهو لون من اســـتخدام المجاز والتورية حـــول موضوع واحد، يتطارح فيه الطرفان.

٢ ـ ألَّا تشتمل على احتقار أو سخرية للآخر:

ألا يشتمل المزاحُ والمرحُ على تحقيرٍ لإنســـان آخر، أو استهزاءٍ به وسخرية منه، إلَّا إذا أذِنَ بذلك ورضي. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]. على أنَّه لا يجوز الإذن إلَّا في حقة الشخصي، ولا يتناول الأُسْرة أو القبيلة، أو ما هو أكبر.

وجاء في الحديث الصحيح: «**بحسْـــبِ امرئٍ من الشـــرِّ أنْ يحقِر أخاه المسلم**»[(١)].

(١) سبق تخريجه صـ٤٩٨.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وذكرتْ عائشة أمام النبي ﷺ إحدى ضرائرها، فوصفتها بالقِصَر، تعِيبُها به، فقال: «**يا عائشة، لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته**»(١). قالت: وحكيتُ له إنسانًا ـ أي قلَّدته في حركته أو صوته أو نحو ذلك ـ فقال: «**ما أحِبُّ أنِّي حكيتُ إنسانًا وأنَّ لي كذا وكذا**»(٢).

٣ ـ ألَّا يترتب عليه ترويع لأحد:

ألا يترتب عليه المزاح والمرح تفْزيع وترويع لمسلم. فقد روى أبو داود عن عبد الرحمن بن أبي ليلي، قال: حدثنا أصحاب محمد ﷺ، أنهم كانوا يسيرون مع النبي ﷺ، فقام رجل منهم، فانطلق بعضُهم إلى حبْل معه فأخذه، ففزع! فقال رسول الله ﷺ: «**لا يحلُّ لمسلمٍ أن يُرَوِّع مسلمًا**»(٣).

وعن النُّعْمان بن بَشِير قال: كُنَّا مع رسول الله ﷺ في مسير، فخفق رجل على راحلته ـ أي نعس ـ فأخذ رجل سهمًا من كنانته، فانتبه الرجل، ففزع، فقال رسول الله: «**لا يحل لرجل أن يروِّع مسلمًا**»(٤). والسياق يدل على أنَّ الذي فعل ذلك كان يُمازحه. وقد جاء في الحديث الآخر: «**لا يأخذنَّ أحدُكم متاعَ أخيه لاعبًا ولا جادًّا**»(٥).

---

(١) سبق تخريجه صـ٦٦٣.

(٢) رواه أحمد (٢٤٩٦٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في الأدب (٤٨٧٥)، عن عائشة.

(٣) رواه أحمد (٢٣٠٦٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الأدب (٥٠٠٤)، وصحَّحه الألباني في تخريج الحلال والحرام (٤٤٧).

(٤) رواه الطبراني في الكبير (١١٦/٢١)، والأوسط (١٦٧٣)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٥٢٩): رواته ثقات. عن النعمان بن بشير.

(٥) رواه أحمد (١٧٩٤٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الأدب (٥٠٠٣)، والترمذي في الفتن (٢١٦٠)، وقال: حسن غريب. وحسَّنه الألباني في إرواء الغليل (١٥١٨)، عن يزيد بن ثمامة الكندي.

QaradawiBooks.com

٤ ـ ألَّا يضع المزاح في موضع الجد:

ألا يهزل في موضع الجِدِّ، ولا يضحك في مجالٍ يستوجب البكاء، فلكل شـــيء أوانُه، ولكل أمرٍ مكانُه، ولكل مقام مقال. والحكمة وضع الشيء في موضعه المناسب.

ومِن مَمَادح الشعراء:

إذا جـــدَّ عند الجِـــدُّ أرضاك جدُّه وذو باطلٍ إن شـــئتَ ألهـــاك باطلُه![١]

والباطل هنا يقصد به اللهو والمرح.

وقال آخر:

أُهازِلُ حيثُ الهزْلُ يحسُن بالفتى وإنِّي إذا جَدَّ الرجالُ لذو جِدِّ![٢]

وقد قال أبو الطيب[٣]:

ووضْعُ النَّدَى في موضِعِ السَّيْفِ بِالعُلا مُضِرٌّ كوضعِ السيفِ في موضع النَّدَى

وفي الحديث: «**ثلاثٌ جِدُّهن جِد، وهَزْلُهـــنّ جِدّ: النكاح، والطلاق، والعِتاق**»[٤]. وقد أخذ به من أخذ من الفقهاء.

وقد عاب الله تعالى على المشركين أنهم كانوا يضحكون عند سماع القرآن وكان أولي بهم أن يبكـــوا، فقال تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ [النجم: ٥٩ ـ ٦١].

---

(١) من شعر زينب بنت الطثرية. انظر: ديوان المعاني (٥٧/١)، نشر دار الجيل، بيروت.

(٢) محاضرات الأدباء (١٢٩/١).

(٣) سبق عزوه صـ٣٨٦.

(٤) رواه أبو داود (٢١٩٤)، والترمذي (١١٨٤)، وقال: حديث حســـن غريب. وابن ماجه (٢٠٣٩)، ثلاثتهم في الطلاق، وحسَّنه الألباني في إرواء الغليل (١٨٢٦)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

كما أنكَرَ عليهم ضحِكَهم من المؤمنين، استهانةً بهم، وسخريةً منهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ۞ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۞ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾ [المطففين: ٢٩ ـ ٣١].

وعاب على المنافقين فرَحَهم وضحِكَهم لتخلُّفهم عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وافتعالهم الأعذار الكاذبة للقعود مع الخوالف، فقال تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ۞ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨١ ـ ٨٢].

٥ ـ الاعتدال والقصْد، وعدم الغلو والإسراف:

أن يكون المزاح والمرح بقدرٍ معقول، وفي حدودِ الاعتدال والتوازن، الذي تقبله الفطرةُ السليمة، ويرضاه العقل الرشيد، ويلائم المجتمع الإيجابي العامل، ولا يطغى على الحقوق المفروضة لله وللناس.

والإسلام يكره الغلو والإسراف في كل شيء، ولو في العبادة، فكيف باللهو والمرح؟!

ولهذا كان التوجيه النبوي: «**ولا تُكْثِرْ من الضحك، فإن كثرةَ الضحكِ تُميت القلب**»[(١)]. فالمنهيُّ عنه: هو الإكثار والمبالغة.

وقد قيل: أعطِ الكلام من المزح، بمقدار ما تعطي الطعام من المِلْح[(٢)].

---

(١) رواه أحمد (٨٠٩٥)، وقال مخرِّجوه: حديث جيد. والترمذي (٢٣٠٥)، وقال: حديث غريب. والطبراني في الأسط (٧٠٥٤)، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (٩٣٠)، عن أبي هريرة.

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب (٤/٧١).

QaradawiBooks.com

وهو قولٌ حكيم، يدل على عدم الاستغناء عن المزح، كما يدل على ضرر الإفراط فيه.

والمبالغة: هي التي يُخشَى من ورائها الإلهاءُ عن الأعباء، أو تجريء السفهاء، أو إغضاب الأصدقاء.

فالمبالغة في المزاح كالمماراة، كلتاهما تؤدِّي إلى إيغار الصدور.

وقال سعيد بن العاص لابنه: اقتصد في مزاحك، فالإفراط فيه يذهب البهاء، ويجرِّئ عليك السفهاء، وتركه يقبض المؤانسين، ويوحش المخالطين[١].

وخير الأمور هو الوسط دائمًا، وهو نهْج الإسلام وخصيصته الكبرى، ومناط فضل أمته على غيرها. وهو الصراط المستقيم الذي ندعو الله أن يهدينا إليه، ويثبِّتنا عليه في الأقوال والآراء والأعمال والمواقف، اللهم آمين.

* * *

(١) محاضرات الأدباء للراغب والأصبهاني (٣٤٦/١).

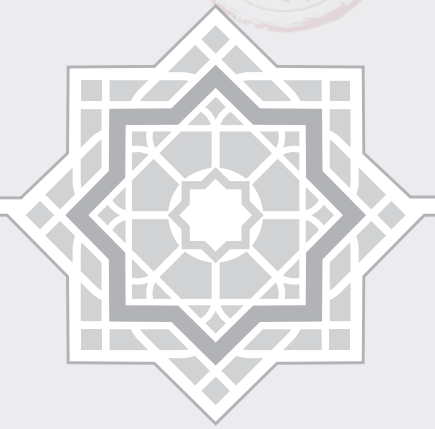
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي



الباب الثامن

أدب المسلم في السفر والارتحال



QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

أودع الله في فطرة الإنسان حبَّ وطنه، الذي ولد ونشأ ورُبِّيَ فيه، وعرف فيه أمَّه وأباه، وإخوته وأقاربه، وزملاءه وأصدقاءه، عرفهم وعرفوه، وأحبهم وأحبوه، فلذلك يرتبط قلبه وعواطفه بهذا الموضع، وكل ما فيه من أناس ومنازل وحيوان وطيور وأشجار وزرع ومياه وصحراء، وأرض وسماء، وحبال ووديان. كل هذه الأشياء التي يختزنها في ذهنه وفي ذاكرته، تجعله محبًّا لهذا المكان؛ لكل من فيه، وكل ما فيه، وفي ذلك يقول ابن الرومي[1]:

وحَبَّبَ أوطانَ الرجال إليهمُو ... مآربُ قضَّاها الشباب هُنالِكا
إذا ذكروا أوطانهمُ ذكَّرتهمُو ... عهودَ الصِّبَا فيها فحنُّوا لذلِكا

الحاجة إلى السفر:

ومع هذا، فإن ظروف الحياة وتقلباتها، وحاجات الناس وتصرفاتها، وطلب أناس أشياء ليست في أوطانهم، وحاجة الناس إلى من ينقلها إليهم، وتعثُّر الحياة في بعض البلدان، اضطر الناس أن يهاجروا من بلادهم، إلى بلاد أخرى، لقضاء مطالبهم، أو لزيارة أقاربهم، أو غير ذلك من الأغراض.

بل قد تجد القبيلة الواحدة، بل العائلة الواحدة متفرقة في بلدان عدة.

(١) ديوانه (١٤/٣).

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

ولهذا تجد الشعراء من قديم يحثون على السفر، ويشوِّقون الناس إليه بما يسوقونه من أمثلة وعبر.

يقول الإمام الشافعي:

ما في الْمُقام لذي عقلٍ وذي أدبِ ... من راحةٍ فَدَعِ الأوطانَ واغتربِ
سافرْ تجدْ عِوَضًا عمَّن تُفارِقُه ... وانصبْ فإنَّ لذيذَ العيشِ في النَّصَبِ
إنِّي رَأَيتُ وقوفَ الماءِ يُفْسِدُه ... إن سال طاب، وإن لم يجْرِ لم يَطِبِ
والشمسُ لو وقفتْ في الفُلْك دائمةً ... لملَّها الناسُ مِنْ عُجْمٍ ومِنْ عَرَبِ
الأُسْدُ لولا فراقُ الغابِ ما افترست ... والسهمُ لولا فراقُ القَوْسِ لم يُصِبِ
والتِّبْرُ كالتُّرْبِ ملقًى في أماكِنِه ... والعُودُ في أرضِهِ نوعٌ من الحَطَبِ
فإنْ تَغَرَّبَ هذا عزَّ مطلبُه ... وإنْ تغرَّبَ ذاك اعتزَّ كالذهبِ

ويقول الطغرائي الشاعر المشهور في لاميته[1]:

إنَّ العُلا حدثتني وهي صادقة ... فيما تُحَدِّث: أنَّ العز في النُّقَلِ
لو أنّ في شرف المأوى بلوغَ مُنًى ... لم تبرحِ الشمسُ يومًا دارة الحَمَلِ

أحكام السفر وآدابه:

ولا غرو أن اهتم الإسلام بالسفر، وجعل له دائرة في شريعته، فيها أحكامه وآدابه ورخصه ووصاياه، واهتمَّ به الصوفية في كتبهم، وجعل له الإمام الغزالي في الربع الثاني من كتابه «إحياء علوم الدين» وهو يتعلَّق بالعادات والمعاملات جزءًا من الأجزاء العشرة، وألَّف فيه الإمام الزركشي كتابه «الغرر السوافر عما يحتاج إليه المسافر» الذي حققه في الأردن الأستاذ أحمد مصطفى القضاة حفظه الله.

(١) انظر: ديوانه صـ ٣٠٦، تحقيق د. علي جواد طاهر ود. يحيى الجبوري ، نشر مطابع الدوحة الحديثة، ط ٢، ١٩٨٦م.

QaradawiBooks.com

وكتب فيه العلامة أحمد بك الحسيني كتابه: «دليل المسافر»، كما ألّف فيه أحد إخواننا من علماء الأزهر، الذين أعيروا إلى جامعة قطر عدة سنوات، وزاملنا، وانتفعنا به.

وكتب الدكتور محمد حسين قنديل أستاذ الشريعة في الفقه المقارن كتابه: «الأحكام المتعلقة بالسفر في الفقه الإسلامي»

وقد نشرت مكتبة وهبة بالقاهرة رسالة في «أحكام السفر في الإسلام» للأستاذ على يحيى معمر، وهو ليبي ينتمي إلى المذهب الإباضي، وإن لم يذكر ذلك في كتابه، وحاول أن يقدم الأحكام بعيدًا عن التعصب المذهبي.

وقد طلب مني الأستاذ الدكتور عبد الله عمر نصيف عندما كان أمينًا عامًّا لرابطة العالم الإسلامي: أن أكتب كتابًا مُيَسَّرًا عصريًّا في قضية «السفر وأحكامه وآدابه» على طريقتي التي أَلِفها الناس في كتبي من الاستناد إلى الأدلة الشرعيَّة، مع مراعاة الواقع وحسن تكييفه، دون الاعتماد على مذهب معيَّن.

وكنت بدأت الكتابة في هذا الكتاب، وأكملت ـ على ما أذكر ـ أكثر من نصفه، ثم لا أدري ما الذي شغلني عنه، فلم أُكمله، وظلَّ أمامي سنين طويلة، كغيره من الكتب الناقصة، ثم اختفى عن عيني، لا أدري أين ذهب، مع أن أوراقي المكتوبة عادة لا تضيع. فأنا في غاية الاهتمام بها.

أسفار العصر مغايرة تمامًا لأسفار القرون الماضية:

وأحب أن أذكر هنا: أنَّ السفر في أيامنا لم يعد كالسفر في أيام الرسول الكريم ﷺ والصحابة الميامين رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان، والقرون الماضية بصفة عامة.

QaradawiBooks.com

ولا بد للفقيه المسلم أن يدرك الفرق الواضح والحاسم بين الأمور المهمة في مختلف العصور، والفرق بينها وبين عصرنا الحاضر.

فلقد تغيَّرت الأمور تغيُّرًا كليًّا وجذريًّا، وأصبح كثير ممَّا يقوله الناس قديمًا، لا مجال له اليوم، ولا يجد المرء له مساغًا.

أصبح السفر أمرًا ميسَّرًا لمعظم الناس، السفر القصير، والسفر المتوسط، والسفر الطويل، ولم يعد ـ كما كان في السابق ـ بالمشي على الأقدام، أو بالدواب، فمعظم السفر اليوم عن طريق القطارات (السكك الحديد)، وعن طريق السيارات (الحافلات أو السيارات الصغيرة)، وعن طريق البواخر في البحار، وعن طريق الطائرات في الجو، وأصبح الناس يفكرون فيما سيجري في المستقبل، هل يمكن استعمال المراكب الفضائيَّة لسكنى المريخ أو غيره من الكواكب؟

هذه حقائق لا بد أن تُعرف وأن يُسلَّم بها.

ولا بد أن نسلِّم أنَّ السفر من بلد إلى بلد آخر، أصبح ضرورة لا بد منها في حياتنا؛ لأنَّ العالم يقترب بعضه من بعض، حتى قال بعضهم: إنَّ العالم هو قريتنا الصغرى! ذلك لأنَّ القرى الكبيرة كان لا يعلم الناس بعض الأحداث فيها إلَّا في اليوم التالي، ونحن نعلم أحداث العالم في ساعة وقوعها، وتنقل إلينا بالتلفزيون وغيره من وسائل الاتصال الحديثة.

وأصبحت صلة البلاد بعضها من بعض، أشبه بصلة القرى المتصلة قديمًا بعضها ببعض، حيث لم تكن قرية تستغني عن قرية، ولا أهل هذه عن أهل تلك.

ولهذا تقوم علميات الاستيراد والتصدير في العالم كله، شرقه وغربه، وشماله وجنوبه، على قدم وساق.

QaradawiBooks.com

كل بلد لديها بضائع تفيض عنها، وتزيد عن حاجاتها من زراعتها أو من صناعاتها وما عملته أيديها، أو من معادن نفيسة في أرضها، تحتاج إلى أن تصدرها إلى غيرها، وبلاد أخرى تحتاج إلى هذه البضائع، لتستوردها، ولتصدر مكانها بضائع من عندها لا تحتاج إليها.

ولا بد أن تنتظم هذه المعاملات بين الناس في كل بلد بين بعضها وبعض، وبين البلدان المختلفة بعضها وبعض، ولا بد أن تقوم مؤسسات دوليَّة، ترعى هذه الشركات العابرات للقارات، وأن توضع القوانين اللازمة لها، والمحاكم التي تلجأ إليها عند المنازعات.

ولا شك أن هيئة الأمم المتَّحدة، وما تفرَّع عنها من منظَّمات ومؤسَّسات دوليَّة، مثل منظمة اليونسكو، والمحاكم الدولية، وغيرها كلها تقوم بنصيبها في حفظ هذا الهيكل العالمي وتحريكه.

وحاجة العالم بعضه إلى بعض تتمثل في أمور أخرى كثيرة: في الطب والعلاج، حيث يحتاج بعض المرضى إلى السفر إلى الخارج، لعلاج ما عجز الأطباء المحليون عن معرفة حقيقته، أو لم يجدوا عندهم الأدوية أو الأجهزة اللازمة له، أو التمريض الملائم له، فيذهب إلى البلد الأنسب لهذا المريض، ومعالجة هذا المرض.

وهناك بعض البلاد ليس عندها القدرة على تعليم بعض أنواع من العلوم التي ارتقت في بعض البلاد إلى درجات عليا، لم تبلغها بعض البلاد التي أخَّرها الاستعمار في هذه النواحي تأخرًا كثيرًا، فلذلك تفتح البلاد المتقدمة جامعاتها لاستقبال الطلاب من تلك البلاد التي تفتقر إلى هذه المزيَّة.

وهناك الكثير من الناس ممَّن يحب أن يعرف العالم، وما تزدان به أسواق العالم، وموائد العلم، وأنواع الفنون، وروائع الصناعة

QaradawiBooks.com

والتكنولوجيا، وآيات الله في العالم، فهو يريد أن يستكشف هذا العالم الجديد، ويطلع عليه بنفسه، ويرى بعينيه، ويسمع بأذنيه، ويحس بأدواته، ويدرك بعقله ووجدانه وإرادته ما في العالم من عجائب كشف عنها الكاتبون، وقرأ عنها القارئون.

هذا هو عالَمنا الجديد:

وقد تقارب هذا العالم في كل شيء، وأصبحت هناك باستمرار مؤتمرات وندوات ولقاءات عالمية وإقليمية ومحلية، في ميادين العلوم والآداب والفنون، والدين والأخلاق، والثقافة وتنمية المجتمعات، وأصبحت لها مكتسبات هائلة، وأصبح لها رجال ومدارس وأنصار وخصوم، ولا بد لنا نحن المسلمين، ونحن أمَّة كبرى تبلغ مليارًا وثلاثة أرباع المليار من البشر، وربما تزيد، أن نسافر أسفارًا متواصلة، لملاحقة هذا العالم، ومعرفة ما فيه، وتحليله وتأويله وتنزيله، حتى نحدِّد موقفنا منه، ولا نقف متخلِّفين أو رافضين لكل شيء.

كان السفر قديمًا يعني: الانقطاع عن الأهل والأصدقاء والوطن، ويعني: أن يهيِّئ الرجل نفسه ومَن يصحبه لتحمُّل الآلام في البر أو البحر، والتعرُّض لأخطار الطريق، وربما يخرج من داره، فلا يعود إليها، حيث تنقطع الأخبار، وتتباعد المسافات، ومن هنا كان الناس يعتبرون المسافر في غمٍّ وهمٍّ واكتئاب، للبُعد الشديد عن وطنه وأقاربه، فلا يعرف عنهم شيئًا، ولا يعرفون عنه شيئًا.

ومن هنا كان خطر الأسفار وثقلها على النفس، وشدة وطأتها على الخلق. ولذلك قالوا: الغربة دُربة، لولا أنَّها كُرْبة، وفي السفر اهتمام، لولا أنَّه اغتمام.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولهذا قالوا: إنَّ الشاعر المعروف الحطيئة، أراد يومًا سفرًا، فلما أعد العدة للركوب، قالت له زوجته: متى الرجوع؟ فأنشد:

عُدِّي السنين لغَيْبَتي وتصَبَّرِي ودعي الشهورَ فإنهنَّ قصارُ!

فردَّت عليه بشعر من البحر نفسه والقافية نفسها:

اذكر صبابتنا إليك وشوقنا وارحم بناتك إنهنَّ صغارُ

فحطَّ رحله، وعدل عن السفر[1].

لذا كان الحكماء والأدباء والشعراء يحثُّون على السفر إذا كان وراءه غرض صحيح، ولم يكن طريقه مخوفًا، وكان مع المسافر رفقة موافقة، وليس هناك آفات تخشى من وراء السفر، وكانت صحة المسافر مواتية لأعباء السفر، وأولاده من بعده مؤمَّنِينَ وفي عافية، وكل الأمور ميسَّرة له.

تحذير الحكماء والشعراء من السفر والاغتراب:

فإذا لم يكن السفر كذلك، حذَّروا من هذا السفر، وشنَّعوا على صاحبه، وهلَّلوا ورحَّبوا بالمقيم، الذي يعيش بين أهله ويكره الاغتراب عنهم، وأنشدوا:

وإن اغتراب المرء من غير حاجة ولا فاقة يسمو لها لَعجيبُ
فحسْبُ الفتى ذُلًّا وإن أدرك الغنى وإن نال ملكًا أن يقال: غريبُ[2]

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف للأبشيهي صـ ٢٩٣، نشر عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

(٢) ذكره الجاحظ ولم ينسبه في المحاسن والأضداد صـ١٢٠ ، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

QaradawiBooks.com

وأنشدوا أيضًا:

وكل غريب سوف يمشي بذلة إذا بان عن أوطانه وجفا الأهلا[١]

وذكر أبو نعيم، أنَّ الإمام الشافعي، خرج في بعض أسفاره، فضمَّه الليل إلى مسجد، فبات فيه، وإذا بالمسجد قوم يتحدثون ويضربون ألوانًا من اللحن، فأنشد:

وأنزلني طول النَّوى دار غربة إذا شئت لاقيتُ الذي لا أشاكلُهْ
أحامقه حتى يقال: سجيَّة ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله[٢]

ولذا قيل لأعرابي: ما الغِبْطة؟ قال: الكفاية مع لزوم الأوطان، والجلوس مع الإخوان. قيل: فما العزلة؟ قال: التنقل في البلدان، والتنحي عن الأوطان[٣].

وقال حكيم: عُسْرك في بلدك خير من يُسْرك في غربتك.

ولا عجب أن يذكروا في عيوب السفر أمورًا كبيرة، من أهمها: فقد الأحباب، وفراق الأصحاب، والبعد عن الأولاد، وتقطيع الأكباد، وترك المألوف، واقتحام المخوف، والدخول في المجهول، والوصول إلى غير الموصول، مع ما يقابلها، من المشقَّات والأزمات، مع طول المسافات، وقلة المساعد والمعين، إلى غير ذلك ممَّا حكاه المسافرون، وما يعرفه العارفون.

---

(١) ذكره الجاحظ في الرسائل دون أن ينسبه لأحد. انظر: رسائل الجاحظ (٤٠٤/٢)، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٥٢/٩).

(٣) رسائل الجاحظ (٤٠٧/٢).

غير مرخصة للطباعة
نسخة رقمية
QaradawiBooks.com

ولذلك روى البخاري في صحيحه من طريق مالك، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**السفرُ قطعةٌ من العذاب، يمنع أحدَكم طعامه وشرابه ونومه، فإذا قضى نَهمته فلْيُعَجِّلْ إلى أهله**»(١).

قال النووي: «معناه: يمنعه كمالَها ولذيذَها؛ لِمَا فيه من المشقَّة والتعب، ومقاساة الحر والبرد، والسُّرَى والخوف، ومفارقة الأهل والأصحاب، وخشونة العيش»(٢).

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: ««**السفرُ قطعةٌ من العذابِ**»؛ أي: جزء منه، والمراد بالعذاب الألَم الناشئ عن المشقَّة، لِمَا يحصل في الركوب والمشي من ترك المألوف»(٣).

قال الزركشي في «الغرر السوافر عما يحتاج إليه المسافر»: «ولا معارضة بينه وبين الأحاديث الدالة على مدح السفر، كما ظنَّه قوم، لاحتمال أن يكون العذاب، وهو التعب والنصب، مبتدأ للصحة والراحة.

قال ابن بطال: لأن في الحركة والرياضة منفعة، ولا سيما لأهل الدَّعة والرفاهية، كالدواء المرّ المُعْقِب للصحة، وإن كان في تناوله كراهية»(٤).

وقوله في آخر الحديث: إلى أهْلِه: «**فإذا قضى نَهمته، فليعجِّل إلى أهله**». أي: يسرع الرجوع إليهم، ليزول عذابه، ويطيب له طعامه وشرابه.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العمرة (١٨٠٤)، ومسلم في الإمارة (١٩٢٧).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٧٠/١٣).

(٣) فتح الباري (٦٢٣/٣).

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤٥٥/٤)، والغرر السوافر عما يحتاج إليه المسافر للزركشي صـ ٣٩، تحقيق: أحمد مصطفى القضاة، نشر دار عمار، الأردن، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

قال الإمام النووي: «في هذا الحديث: استحباب تعجيل الرجوع إلى الأهل بعد قضاء شغله، ولا يتأخر بما ليس له بمهم»[١].

«وذكر الإمام الخطابي: أن في الحديث حجة لمن رأى في تغريب الزاني سُنَّة بعد جلده، لقوله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢][٢].

وقال ابن عبد البر: فيه دليل على أن طول التغريب عن الأهل والوطن لغير حاجة من دين أو دنيا لا يصلح ولا يجوز، وأن من انقضت حاجته لزمه الاستعجال لأهله»[٣].

على أن من المسافرين من يظفر في سفره بما يحب، فمنهم من يجمع المال، ومنهم من يُرزق بالأولاد، ومنهم من يجمع العلم الغزير، ومنهم من يحصل على الأدب الوفير، ومنهم من يعود كما ذهب: خاوي الوفاض، بادي الإنفاض[٤]، كما قال الشاعر:

وما زلتُ أقطع عَرْض البلاد ... من المشرقين إلى المغربين
وأدَّرع الخوف تحت الدُّجى ... وأستصحِب الجَدْيَ والفَرْقَدَين
وأطوى وأنشر ثوب الهموم ... إلى أن رجعت بخُفَّيْ حُنَيْن[٥]

وقد قال امرؤ القيس[٦]:

لقد طوفْتُ في الآفاق حتى ... رضيتُ من الغنيمة بالإياب!

---

(١) شرح مسلم للنووي (٧٠/١٣).
(٢) أعلام الحديث للخطابي (٩١٥/٢).
(٣) التمهيد (٣٦/٢٢). والغرر السوافر عما يحتاج إليه المسافر صـ ٤٠.
(٤) أنفض القوم: هلكت أموالهم وفني زادهم.
(٥) هذه الأبيات وردت في العقد الفريد (٣٤٠/٢).
(٦) في ديوانه صـ٧٩.

QaradawiBooks.com

فوائد السفر لأصحابه:

هناك من الناس من ذمُّوا السفر، ورغَّبوا في الإقامة، وقالوا: لزوم الإقامة، دليل على الاستقامة. ولكن هناك أكثر منهم من عشقوا السفر، وألفوا الارتحال، ورغَّبوا فيه غيرهم، بما نالوا ما ذكروه في فضله وآثاره الطيبة من شعر ومن نثر.

ومن أشعر من رُوِي عنه في ذلك الإمام محمد بن إدريس الشافعي صاحب المذهب، وفقيه السُّنَّة رضي الله عنه، فهو الذي جاءت عنه الأشعار الكثيرة في السفر وفضائله.

ومن أبرز ما قيل في فضل السفر وفوائده: ما جاء في ديوان الشافعي ممَّا حفظناه صغارًا، ورددناه كبارًا في خطبنا ودروسنا ومحاضراتنا ووصايا ديننا:

تغرّبْ عن الأوطان في طلب العلا وسافرْ ففي الأسفار خمسُ فوائدِ
تفرُّج همٍّ واكتساب معيشة وعلم وآداب وصحبة ماجدِ

وقد اجتهد العلامة الزركشي أن يشرح هذه الفوائد الخمس، شرحًا جيدًا، يحسن أن نذكر منه هنا ما يفيدنا بتصرف واختصار مع بعض إضافات نضيفها.

الفائدة الأولى: انفراج الهم:

فإنَّ الله أجرى العادة بأنَّ الملازم لمكان واحد، ولطعام واحد، يسأم منه، لا سيما إذا كان في همٍّ كثير.

فإذا انتقل عن تلك الحالة أو تشاغل بغيرها، انصرف عنه الهم على التدريج، وانبعثت روحانيته لما يروم.

QaradawiBooks.com

قال يحيى بن عـــدي: إنَّ الطبيعة تمَلُّ الشـــيء الواحد إذا دام عليها، ولذلك اتُّخِذَتْ ألوان الطعام، وأُطلِقَ التزويج بأربع نسوة، ورُسِمَ التنزه والتحول من مكان إلى مكان، والإكثار من الإخوان، والتفنُّن في الآداب، والجمع بين الجدِّ والهزل.

قال الحريري:

وجدتُ بهـــا ما يملأُ العيـــنَ قُرَّةً ويسلي عن الأوطانِ كلَّ غريبِ[1]

وهذا ما نصح به الأطبَّاء النفسيون، فقد نَصَحوا مَن أصيب بذلك أن يسافر، وقد قيل:

لَا يُصلحُ النفس إذ كانت مدبِّرة إِلا التنقـــلُ من حـــال إِلى حال[2]

والفائدة الثانية: اكتساب المعيشة:

فإنهـــا لا تكـــون إلَّا بالحركة. وقد قـــال العرب: الحركـــة بركة، والجمود هلكة.

فمَن ضاق عليه رزقه في بلـــده، فلا حرجَ عليه في الســـفر إلى بلدٍ أخرى؛ سعيًا للرزق، وطلبًا له، فقد أرشد الله عباده إلى ذلك، فقال ممتنًّا عليهـــم: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: فســـافروا حيث شئتُم من أقطارها، وتردَّدوا في أقاليمها وأرجائها، في أنواع المكاسب والتجارات»[3].

---

(١) مقامات الحريري صـ ٥٢٤.

(٢) من شعر أبي العتاهية. انظر: زهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق القيرواني صـ ٥٢٤، نشر دار الجيل، بيروت.

(٣) تفسير ابن كثير (١٧٩/٨).

QaradawiBooks.com

وقد شـــاهدنا أناسًـــا كثيرًا كانتْ أرزاقهم مضيَّقة عليهم في بلدانهم، فلما ســـافروا لطلب الرزق الحلال، فتح الله عليهـــم من خزائنه الملأى، وأغدق عليهم من فضله الجزيل.

وقال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠].

وفي التوراة: ابن آدم، خُلقت من الحركة فتحرَّك، وإنِّي معك[١].

وأعتقد أن ما يقوله العلماء العرب عن التوراة، كثيرًا ما يقصدون به الكتابات الإسرائيليَّة، ولو كانت من غير الأسفار الخمسة المعروفة أنَّها هي التوراة عند القوم.

ومن الكلم النوابغ: صعود الآكام وهبـــوط الغِيضَان ـ أي: الوديان ـ خير من القعود بين الحيطان.

وقال الشاعر:

ليس ارتحالك ترتادُ الغِنَى ســـفرًا بل المُقام على بؤس هو السفر[٢]

وقال رجل لمعروف الكرخي: يا أبا محفوظ! أتحرك لطلب الرزق أم أجلس؟ قال: لا، بل تحرك، فإنه أصلح لك. فقال له: أتقول هذا؟! فقال: ما أنا قلت، ولكن الله ﷻ أمر به، حيـــث قال لمريم: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥] ولو شاء أن ينزله عليها ـ أي من غير هز ـ لفعل[٣].

---

(١) انظر: زهر الأكم في الأمثال والحكم لليوسي (٢١٣/١)، تحقيق: د. محمد حجي ود. محمد الأخضر، نشر دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

(٢) من شعر ابن السكيت. انظر: روض الأخيار للأماسي صـ ٣٨٥، نشر دار القلم العربي، حلب، ط١، ١٤٢٣هـ.

(٣) نثر الدر في المحاضرات للآبي (١١٦/٤)، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

وأنشد الثعالبي:

ألـم تَـرَ أنَّ الله قـال لمريـم ... وهزي إليك الجذع يسَّاقَطْ الرُّطبْ
ولو شاء أن تجْنيه من غير هزِّها ... جنَتْه، ولكنْ كلُّ شيء له سببْ[١]

وقال النابغة:

إذا المرء لم يطلب معاشًا لنفسهِ ... شكا الفقرَ، أو لامَ الصديقَ فأكثرا
فَسِـرْ في بلاد الله والتمس الغنى ... تَعش ذا يَسار أو تموتَ فتُعذرا[٢]

وقال ابن عبد ربِّه: هل يجوز في عقـل، أو يمثلُ في وهم، أو يصحُّ في قياس: أن يُحصَد زرع بغير بذر، أو يُجْنى ثمر بغير غرس، أو يُورَى زَنْدٌ بغير قَدْح، أو ينمو مال بغير طلب[٣]؟

الفائدة الثالثة: حصول العلم:

ومن الفوائد التي ذكرها الزركشي في فوائد التغرُّب والسفر: تحصيل العلم، بـكل ألوانه وأنواعـه: العلم الدينـي، والعلم الدنيـوي، والعلم الإنساني، والعلم الكوني، وعلم كل حقيقة يعرفها الإنسان في هذا العالم.

وأول علم حصله المسـلمون: هو علم القرآن وما يتعلق به، ثم علم السُّـنَّة وعلومها التي بلغت تسـعين علمًا، ذكرها السيوطي في كتابه «تدريب الرواي في تقريب النـواوي»، ثم علوم اللغة وآدابها، ثم علـوم السِّـيَر، والتواريخ، تواريـخ الأمم، وتواريـخ الطبقات،

(١) التمثيل والمحاضرة لأبي منصور الثعالبي صـ ٢٦٩، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، نشر الدار العربية للكتاب، ط ٢، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

(٢) البيتان نسـبهما الأصفهاني في محاضرات الأدباء (٥٧٢/١) لعروة بن الورد، ونسـبهما ابن حمدون لأبي عطاء السندي في التذكرة (٩٩/٨).

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه (٣٣٩/٢).

QaradawiBooks.com

وتواريخ الشخصيَّات، وتاريخ الأمة الإسلاميَّة في مختلف مراحلها، وفي سائر بلدانها.

ثم دخل المسلمون في العلوم الطبيعيَّة والكونيَّة والرياضيَّة، وعلوم الفلك والبحار، والطب والهندسة والتشريح والجراحات.. وغيرها، حتى فاقوا أمم الأرض كلها في وقت ازدهارهم ورُقي حضارتهم واتِّساعها، وترجموا العلوم من اللغات المختلفة، وشرحوا وتوسعوا، وهذَّبوا وأصلحوا واخترعوا.

ولولا السفر، ما وصل المسلمون إلى هذا الحد العلمي الهائل، فبسفر المسلمين إلى بلاد الآخرين، وسفر الآخرين إلى بلادهم، ونشاط الجميع في خدمة العلم، وترقيته ونموه وتوسعته، حقق المسلمون ما حقَّقوا.

رحلة الصحابة في طلب العلم:

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم وتلاميذهم وأتباعهم يرحلون ويسافرون، من أجل طلب حديث واحد، كما قال الإمام سعيد بن المسيّب: إن كنتُ لأسير الليالي في طلب الحديث الواحد[1].

والصحابة هم أول من سنُّوا هذه السُّنَّة، حتى إنَّ الواحدَ منهم كان يقطع المسافات الطويلة ليسمع حديثًا واحدًا من أحاديث رسول الله ﷺ.

فهذا جابر بن عبد الله رضي الله عنه رحل مسيرةَ شهرٍ إلى عبد الله بن أُنَيس في حديثٍ واحد، كما روى البخاري في «الأدب المفرد» أن جابر بن

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٥٦٩)، نشر دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

عبد الله قال: بلغنِـي حديثٌ عن رجلٍ من أصحـاب النبي ﷺ، فابتعتُ بعيرًا، فشـددتُ إليه رَحْلي شهرًا، حتى قدمتُ الشـام، فإذا عبد الله بن أُنَيس، فبعثـتُ إليه أن جابـرًا بالباب، فرجع الرسـول، فقال: جابر بن عبد الله؟! فقلت: نعم، فخرج فاعتنقنِي، قلتُ: حديثٌ بلغنِي لم أسمعْه، خشيتُ أن أموت أو تموت.. فذكر الحديث[١].

وهذا عُقْبة بن الحارث سافر من مكة إلى المدينة ليلقى رسول الله ﷺ يسألُه عن مسـألة رضاعٍ وقعتْ له؛ فعن عقبة بن الحارث: أنَّه تزوج ابنةً لأبي إهاب بن عَزيز، فأتتْـه امرأةٌ فقالت: إنِّي قـد أرضعتُ عقبة والتي تزوج. فقال لها عقبةُ: ما أعلـمُ أنك أرضعتِني، ولا أخبرتِني! فرَكِب إلى رسول الله ﷺ بالمدينة فسأله، فقال رسـول الله ﷺ: «**كيف وقد قيل؟!**» ففارقها عُقبة، ونكحتْ زوجًا غيره[٢].

وهكذا سافر التابعون وتابعوهم، ورحلوا لطلب العلم وتحصيله.

قال الإمام الشـعبي: لو سافر رجل من الشـام إلى أقصى اليمن في كلمة تدله على هدى، أو ترده عن ردى (هلاك)، ما كان سفره ضائعًا[٣].

وقد سـافر وارتحل لطلب العلم وتحصيله وجمعـه أنبياءُ الله ﷻ، ومنهم كليمُ الله موسـى عليه السلام في قصته مـع الخضر، وسـافر الصحابة الكرام، وقطعوا لهذا الغرض الفيافِي والقِفَار.

---

(١) رواه أحمد (١٦٠٤٢)، وقال مخرِّجوه: إسـناده حسـن. والبخاري في الأدب المفرد (٩٧٠)، والحاكم في التفسير (٤٣٧/٢، ٤٣٨)، وصحَّح إسناده ووافقه الذهبي، والخطيب في الرحلة في طلب الحديث (٣١)، وحسَّنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٥٧٠).

(٢) رواه البخاري في العلم (٨٨)، وأحمد (١٦١٥٤).

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣١٣/٤).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولما سُئِل الشعبي عن هذا العلم الغزير الذي وهبه الله: من أين لك هذا العلم؟ قال: بنفي الاعتماد، والسير في البلاد، وصبر كصبر الجماد، وبكورٍ كبكور الغراب[١].

ولم يزلِ العلماء يسافرون لطلب العلم وتحصيله، ولا يزالون كذلك ما بقيت الحياة.

ويروى عن موسى عليه السلام أنَّه قال: لا تلوموا السفر، فإني أدركت منه ما لم يدركه أحد[٢].

قال الزركشي: يريد: أنَّ الله تعالى كلَّمه.

يعني أنَّه لم يحصل على مكالمة الله تعالى إلَّا بعد أن سافر فارًّا من فرعون وجنده إلى مدين، وأتم الأجل الذي اشترطه عليه الرجل الصالح، وفي طريق عودته إلى مصر، رأى إلى جانب الطور نارًا ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۞ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٢٩، ٣٠].

وكلَّمه الله أيضًا حين أتمَّ ميقات ربه، وودَّع قومَه، وولَّى عليهم أخاه هارون، وقال له: ﴿ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

وكان ربه قد وعده ثلاثين ليلة، ثم أتمها بعشر ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣٠٠/٤).

(٢) العقد الفريد (٣٣٨/٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وفُتن قوم موسى من بعده فتنةً كبيرة، حيث عبدوا العجل الذي اتخذه لهم للسامري ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

وأيضًا عرف موسى فضل السفر حينما سافر هو وفتاه حتى بلغا مجمع البحرين، وقال موسى: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢]. ولقي موسى الخضر وكان من أمره ما ذكره القرآن في سورة الكهف.

والفائدة الرابعة: تحصيل الأدب:

التي ذكرها الشافعي في الآداب التي يحصلها الإنسان في أسفاره: الأدب. فالعلم وحده لا يكفي. لا بد مع العلم من أدب. وكم من علماء عندهم علم متين، ولكنَّه يصعب أن ينتفع الناس به، إلَّا مع أدب مُعين، وهو ما يكسبه من الناس في بلدانهم المختلفة، وفي مكتباتهم ومدارسهم وجامعاتهم وجوامعهم.

قال الزركشي: كما يرى من الأدباء، ولقاء العلماء والعقلاء الذين لا يَرِدُون قُطْره، فيكتسب من أخلاقهم وخلائقهم، ويتحلى بفوائدهم وحقائقهم، كما قيل:

إذا أعجبتكَ خلالُ امرئٍ ... فكُنه، يكُنْ فيكَ ما يُعجبُكْ
فليس على المجدِ والمكرُماتِ ... إذا رُمتها حاجبٌ يحَجبُكْ[1]

(١) ذكره أبو الهلال العسكري ولم ينسبه في ديوان المعاني صـ ١٠٧، نشر دار الجيل، بيروت.

QaradawiBooks.com

الفائدة الخامسة: صحبة الأمجاد:

وهي فائدة غالية، يشهد لها الحق والواقع. وصحبة الأمجاد ترفع المنقوص، وترقيه إلى رتبة أهل الخصوص، وتدخله في زمرتهم، وتنسجه في لحمتهم، ولله در القائل[١]:

نزلتُ على آل المُهَلَّب شاتيًا ... غريبًا عن الأوطان في زمن المَحْلِ[٢]
فما زالَ بي إحسانهم، وجميلهم ... وبرهمُو، حتى حسبتهُمو أهلي

وقال آخر:

لولا الضروراتُ ما فارقتكم أبدًا ... ولا تقلَّبتُ من ناسٍ إلى ناسِ[٣]

وآخر[٤]:

وكلُّ امرئٍ يُولِي الجميلَ محبَّبٌ ... وكلُّ مكانٍ يُنْبِتُ العِزَّ طيِّبُ!

ومن فضائل السفر التي لم تذكر:

وقال الثعالبي: من فضائل السفر: أن صاحبه يرى من عجائب الأمصار، ومن بدائع الأقطار، ومحاسن الآثار، ما يزيده علمًا بقدرة الله تعالى، ويدعوه إلى تذكر نعمه[٥].

وقال المأمون: لا شيءَ ألذّ من السفر في كفاية؛ لأنك كل يوم تحل محَلَّة لم تحلها، وتعاشر قومًا لم تعاشرهم[٦].

---

(١) هو بكير بن الأخنس، كما في البيان والتبيين للجاحظ (١٥٨/٣)، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

(٢) المحل: انقطاع المطر ويبس الأرض من الزرع.

(٣) البيت ورد في الوافي بالوفيات (٢٢٧/١٠)، أنَّ الخزندار كتبه حينما اشتراه الظاهر بيبرس.

(٤) من شعر المتنبي، كما في ديوانه صـ ٤٦٨.

(٥) التمثيل والمحاضرة صـ ٣٩٩.

(٦) العقد الفريد (٣٣٨/٢).

QaradawiBooks.com

وقال عنترة: السفر يشدُّ الأبدان، وينشط الكسلان، ويُشَهِّي الطعام.

وقال ابن رشيق: كتب إليَّ بعض إخواني: مثل الرجل القاعد ـ أعزك الله ـ كمثل الماء الراكد، إن تُرِكَ تغير، وإن حُرِّكَ تكدَّر، ومثل المسافر كالسحاب الماطر، هؤلاء يدعونه رحمة، وهؤلاء يدعونه نقمة، فإذا اتصلت أيامُه، ثقل مُقامه، وكثر لُوَّامه[١]، فأجمع لنفسك فرحة الغَيْبة، وفرحة الأوبة، والسلام[٢].

وقال الحكماء: لا تُدرَك الراحة إلَّا بالتعب، ولا الرغبة إلَّا بالنصب.

قال الزركشي: ولهذه الفوائد أو بعضها أكثر الناس من الأسفار حتى قيل:

كريشةٍ بمَهَبِّ الريحِ ساقطةٍ ... لا تستقرُّ على حالٍ من القَلَقِ[٣]

أو كما قال ابن اللبَّانة:

كأنَّما الأرضُ عنِّي غيرُ راضيةٍ ... فليس لي وطنٌ فيها ولا وَطَرُ[٤]

أو كما قال الشهاب المناوي[٥]:

إن عشتُ عشتُ بلا أهل ولا وطنٍ ... وإن قضيتُ فلا قبرٌ ولا كفنُ
أظنُّ قبري بُطونَ الوحشِ ترحلُ بي ... بعد الممات، ففي الحالين لي ظَعَنُ[٦]

---

(١) أي من يستبطئه وينتظره.

(٢) شرح مقامات الحريري للشريشي (٢٣٨/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

(٣) من شعر المتنبي، كما في ديوانه صـ ٢٣٤.

(٤) انظر: شرح لامية العجم صـ ٢٩، تحقيق: د. جميل عبد الله عويضة، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

(٥) المصدر السابق صـ ٢٩، ٣٠.

(٦) انظر: الغرر السوافر صـ ١٥ ـ ٢٧.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أحكام السفر الشرعيَّة الخمسة:

السفر يختلف حكمه باختلاف المسافر، ووجهته، ونيته من سفره، وطبيعة السفر.

قال الإمام الزركشي: «اعلم أنَّ السفر مشروع في الجملة، ولكنَّه ينقسم إلى: طلب وهرب، وكل منهما ينقسم إلى الأحكام الخمسة[١].

سفر الخروج والهرب:

أمَّا الهرب، فينقسم إلى: واجب، ومستحب، وحرام، ومكروه، ومباح.

أمَّا الواجب: فالخروج من أرضٍ غَلب فيها الحرام، فإنَّ طلبَ الحلال فريضة على المسلم.

وأمَّا المستحبُّ: فالخروج من أرضٍ غَلب فيها البِدَع، إذا لم يقدر على إنكارها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦٨].

وأمَّا الحرام: فالخروج من أرض تعيّن عليه فيها وظيفةٌ، كمن يتعيَّن عليه قضاء البلد.

[وذلك كما إذا كان البلد في حاجة إلى قاضٍ يقضي بأحكام الشرع، ولا يعرف الناسُ من يستوفي شروط القضاء إلَّا فلان بن فلان. فالواجب عليه: أن يقبل، إلَّا أن يمنع مانعٌ شرعي أو واقعي].

وأمَّا المكروه: فالخروج من أرض وقع فيها الطاعون فرارًا منه، فقد نهى النبي ﷺ عن ذلك[٢].

---

(١) أي الأحكام الشرعيَّة الخمسة، وهي: الوجوب، والندب، والإباحة، والكراهة، والتحريم.

(٢) سبق تخريجه صـ٧٤٠.

QaradawiBooks.com

وأمَّا المباح: فخروج المريض مـــن الأرض الوَخِمة إلى النزهة، وقد أذن النبي ﷺ في ذلك للرعاء حين استوخموا المدينة[١].

سفر الطلب:

وأمَّا ســـفر الطلب: فينقســـم أيضًا إلى: واجب، ومنـــدوب، وحرام، ومكروه، ومباح.

فالواجب: ســـفر الجهاد والحـــج وتحصيل القـــوت، لأن ما لا يتم الواجب إلَّا به فهو واجب.

والمســـتحب: الســـفر لطلب العلم، والزيارة للأرحـــام والأصدقاء، والعِشرة والرباط، والحج والعمرة في غير الفريضة المطلوبة.

والحرام: سفر المعاصي.

والمكروه: سفر الاستكثار من المال وغيره.

والمباح: ســـفر التنزُّه والتجارة، وكســـب الزائد علـــى القوت الذي لا ينتهي به إلى حد الطغيان للغنى»[٢].

من السفر المستحبُّ ما قد يكون واجبًا:

وأحب أن أقول هنا كلمة لا بد منها: وهي الأصل في الســـفر لطلب العلم هو أن يكون مستحبًّا، لكن إذا قلَّ طلاب العلم المتميِّزون، ووجد

(١) إشـــارة إلى الحديث المتفق عليه: أن ناســـا من عكل وعرينة قدموا المدينة على النبي ﷺ وتكلموا بالإســـلام، فقالوا يا نبي الله: إنا كنا أهل ضرع، ولم نكن أهل ريف، واستوخموا المدينة، فأمر لهم رســـول الله ﷺ بذود وراع، وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشـــربوا من ألبانها وأبوالها.. رواه البخاري في المغازي (٤١٩٢)، ومسلم في القسامة (١٦٧١)، عن أنس.

(٢) الغرر السوافر صـ ٤٦ ـ ٤٨.

QaradawiBooks.com

هذا الطالب نفسه متميزًا، وعنده القدرة على التوسُّع والتبحر، بحيث يكون مرجعًا للناس، فهنا يصبح الأمر واجبًا عليه.

كما أنَّ السفر في طلب المال والغنى الشخصي الذي قد يُعتبر لبعض الأشخاص مباحًا، ولبعضهم مكروهًا، فأرى أنَّ الأمر يختلف إذا نظرنا إلى الأمر نظرة كليَّة، باعتبار حاجات الأمم، فإذا نظرنا إلى أنَّ الأمم يجب أن تقوى، وتكثر أموالها، وتمتد مزروعاتها، وتكثر منتجاتها، وتنتشر صناعاتها، وتنافس غيرها من الأمم.. وقوة الأمم تقاس بما تملك من عشرات المليارات أو مئاتها، أو آلافها، أو أكثر من النقود.. فهنا يكون للفرد موقف آخر، ونرى أن واجبًا عليه أن يخطو خطوات كبرى في سبيل التقدم المادي، وامتلاك الثروة، التي يدَّخرها لقومه، ويعتبر غناه جزءًا من غنى أمته.

سفر السياحة:

وقد ذكر الزركشي أن سفر السياحة لا لغرض، ولا إلى مكان مقصود منهيٌّ عنه.

ونقل عن الإمام أحمد: ما السياحة من الإسلام في شيء، ولا من فعل النبيين، ولا الصالحين[1]. ولأنَّ السفر مشتت للقلب، فلا ينبغي للمريد أن يسافر إلَّا في طلب علم أو مشاهدة شيخ يقتدي به. انتهى.

وفي الحديث: «**سياحةُ أُمَّتي الجهاد، ورهبانيتهم الجلوس في المسجد، وانتظار الصلاة**»[2].

(١) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة صـ ١٢١، نشر مكتبة دار البيان، دمشق، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

(٢) رواه أبو داود في الجهاد (٢٤٨٦)، والطبراني (١٦٨/٨)، والحاكم في الجهاد (٧٣/٢)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وحسَّنه الألباني في صحيح أبي داود (٢٢٤٧)، عن أبي أمامة.

QaradawiBooks.com

وعن عكرمة في قوله تعالى: ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ [التوبة: ١١٢] قال: هم طلبة الحديث[(١)(٢)].

غير أنِّي أنظر إلى السياحة نظرة أخرى، غير نظرة القدماء، فهناك سياحة للتعرف على العالم، وما فيه من آثار قديمة نفيسة، ومن أشياء جديدة رائعة. ولا بد من الانتفاع بنفاسة القديم، وروعة الجديد، وكيف وصل القوم إلى ما وصلوا إليه، ولا يكون هذا إلَّا بالسفر والنظر والتأمل، والسؤال، وحسن التعامل مع الناس.

كلام الإمام الغزالي عن السفر في الإحياء:

وللإمام الغزالي أبي حامد في «الإحياء» كلام عن السفر ننقل خلاصة ما قاله مع زيادات وتعليقات:

«في آداب المسافر من أول نهوضه إلى آخر رجوعه، وهي:

قضاء الديون ورد المظالم:

أن يبدأ بردَّ المظالم، وقضاء الديون، وإعداد النفقة لمن تلزمه نفقته، وبرد الودائع إن كانت عنده، ولا يأخذ لزاده إلَّا الحلال الطيِّب، وليأخذ قدرًا يوسع به على رفقائه.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: من كرم الرجل طيب زاده في سفره[(٣)].

---

(١) رواه الخطيب في الرحلة في طلب الحديث (١١).

(٢) انظر: الغرر السوافر صـ ٤٨، ٤٩.

(٣) رواه عبد الله بن أيوب المخزومي في جزء حديثي (٣٥٦)، ضمن سلسلة مجاميع الأجزاء الحديثية. تحقيق: نبيل سعد الدين جرار، نشر أضواء السلف. وقال الزبيدي: وهذا يحتمل أن يكون معناه نفاسة زاده، أو المراد طِيبُ نفسه في بذله. انظر: إتحاف السادة المتقين للزبيدي (٧٣٢/٤) نشر دار الكتب العلمية، بيروت. =

QaradawiBooks.com

ولا بد في السفر من طيب الكلام، وإطعام الطعام، وإظهار مكارم الأخلاق في السفر، فإنه يخرج خبايا الباطن. ومن صلح لصحبة السفر، صلح لصحبة الحضر. وقد يصلح في الحضر من لا يصلح في السفر. ولذلك قيل: إذا أثني على الرجل معاملوه في الحضر، ورفقاؤه في السفر، فلا تشكُّوا في صلاحه.

والسفر من أسباب الضجر، ومن أحسن خُلقه في الضجر فهو لحسنُ الخلق، وإلا فعند مساعدة الأمور على وَفق الغرض قلَّما يظهر سوء الخلق.

وقد قيل: ثلاثة لا يُلامون على الضجر: الصائم والمريض والمسافر[1].

وتمام حُسن خُلق المسافر: الإحسان إلى المُكارِي، ومعاونة الرُّفقة بكل ممكن، والرِّفق بكل منقطع، بألا يُجاوزه إلَّا بالإعانة بمركوبٍ، أو زاد، أو توقُّفٍ لأجله. وتمام ذلك مع الرُّفقاء بمزاح ومطايبة في بعض الأوقات، من غير فحش ولا معصية، ليكون ذلك شفاءً لضجر السفر ومشاقِّه.

الرفيق قبل الطريق:

أن يختار رفيقًا، فلا يخرج وحده، فالرفيق ثم الطريق.

= قلت: وهذا ما ذكره الإمام الغزالي في إحيائه. وهو مبنيٌّ على طبيعة السفر القديم. الذي كان المسافر يغيب عن أهله وبلده، فلا يعرفون عن حاله شيئًا كأنَّما هو مفقود. ولم يعد السفر في عصرنا يتطلب ذلك، فمن الناس من يسافر يوميًّا من بلده ويعود إليها. ومنهم من يسافر أسبوعا ومنهم.. ومنهم.. وهؤلاء لا يحتاجون إلى قضاء الديون، ولا إلى رد الودائع، ولا إعداد النفقة لمن تلزمه نفقته. فلا بد من النظر إلى تغيُّر طبيعة السفر من العصور السابقة إلى عصرنا.

(١) ذكره أبو طالب المكي في قوت القلوب (٣٤٧/٢).

QaradawiBooks.com

[قلت: وهذا في السفر الذي يطول عادة، مثل الحج، أو الدراسة، أو العلاج في الخارج. أمَّا الأسفار اليوميَّة فلا تحتاج إلى مثل ذلك، وإن كان الأولى إذا كثر المسافرون أن يختار من بينهم الموافق له].

وليكن رفيقه ممَّن يعينه على الدين، فيذكِّره إذا نسي، ويساعده إذا ذكر، فإنَّ المرء على دين خليله، ولا يعرف الرجل إلَّا برفيقه.

وقد نهى ﷺ عن أن يسافر الرجل وحده[(١)]. وقال أيضًا: «**إذا كنتم ثلاثةً في السفر فأمِّروا أَحَدِكم**». وكانوا يفعلون ذلك، ويقولون: هذا أميرنا أمَّره رسول الله ﷺ[(٢)].

وليؤمِّروا أحسنهم أخلاقًا، وأرفقهم بالأصحاب، وأسرعهم إلى الإيثار وطلب الموافقة. وإنَّما يُحتاج إلى الأمير؛ لأنَّ الآراء تختلف في تعيين المنازل والطرق ومصالح السفر، ولا نظام إلَّا في الوَحْدة، ولا فساد إلَّا في الكَثْرة. وإنَّما انتظم أمر العالم؛ لأن مدبِّر الكل واحد: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]. ومهما كان المدبِّر واحدًا انتظم أمر التدبير. وإذا كثر المُدبِّرون فسدت الأمور في الحضر والسفر، إلَّا أن مواطن الإقامة لا تخلو عن أمير عام، كأمير البلد، وأمير خاص كربِّ الدار»[(٣)].

---

(١) روى البخاري في الجهاد والسير (٢٩٩٨): «لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم، ما سار راكب بليل وحده». عن ابن عمر مرفوعًا. وعنه رضي الله عنه قال: نهى ﷺ عن الوحدة، أن يبيتَ الرجلُ وحده. أو يسافرَ وحده. رواه أحمد (٥٦٥٠)، وقال مخرِّجوه: صحيح. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٢٠٨): رجاله رجال الصحيح. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٦٩١٩). عن ابن عمر.

(٢) رواه البزار (٣٢٩)، والحاكم في الصوم (٤٤٣/١)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٣٠٥): رجاله رجال الصحيح خلا عمار بن خالد، وهو ثقة. عن عمر بن الخطاب.

(٣) إحياء علوم الدين (٢٥١/٢ ـ ٢٥٣) بتصرف وزيادة بين معكوفين.

QaradawiBooks.com

الوداع للرفقاء والأصدقاء:

ومن الآداب التي ذكرها الغزالي: أن يودِّع رفقاء الحضر والأهل والأصدقاء.

قلت: وهذا في سفر الأزمنة الماضية، وما كان مثله أو يقاربه في الزمن الحاضر، أمَّا الأسفار المستمرة التي تتكرر باستمرار، فلا تحتاج إلى مثل هذا الوداع.

قال الغزالي: «وليدعُ عند الوداع بدعاء رسول الله ﷺ.

قال بعضهم: صحبتُ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من مكة إلى المدينة حرسهما الله، فلما أردت أن أرافقه شيَّعني، وقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**قال لقمان: إنَّ الله تعالى إذا استودع شيئًا حَفِظَه. وإنِّي أستودعُ اللهَ دينَكَ وأمانتَكَ وخواتيمَ عَملِكَ**»[(١)].

وقال موسى بن وردان: أتيتُ أبا هريرة رضي الله عنه أودعه لسفر أردته، فقال: ألا أعلِّمُك يا ابن أخي شيئًا علَّمَنيه رسول الله ﷺ عند الوداع. فقلتُ: بلى. قال: قل: «**أستودعُكَ اللهَ الذي لا تضيع ودائعه**»[(٢)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رجلًا أتى النبيَّ ﷺ فقال: إنِّي أريد سفرًا فأوصني، فقال له: «**في حفظ الله، وفي كَنَفه، زوَّدكَ اللهُ التقوى،**

---

(١) رواه أبو داود في الجهاد (٢٦٠٠) مختصرا، والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٢٧٣)، وجوَّد إسناده العراقي في تخريج الإحياء صـ ٧٢٢، والألباني في الصحيحة (١٤).

(٢) رواه أحمد (٩٢٣٠)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٢٦٩)، وابن ماجه في الجهاد (٢٨٢٥)، والطبراني في الدعاء (٨٢٠)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٦).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وغفر ذنبَك، ووجَّهك للخير حيث كنت» أو «**أينما كنت**»[(١)]. شـــكَّ فيه الراوي[(٢)].

ويُستحبُّ له أن يطلب الوصية من أهل الخير:

فعن أبي هريرة ﷺ أن رجلًا قال: يا رســـول الله، إنِّي أريد أن أسافر فأوصني. قال: «**عليك بتقوى الله تعالى، والتكبير على كل شَرَفٍ**». فلما ولَّى الرجل قال: «**اللهمَّ اطْوِ له البعيد، وهوِّن عليه السفر**»[(٣)].

والشَّرف: هو المكانُ العالي المرتفع.

صلاة الاستخارة:

وأن يصلي قبل سفره صلاة الاستخارة، فمن همَّ بأمر وكان لا يدري عاقبتـــه، ولا يعرف أنَّ الخير في تركه أو في الإقـــدام عليه، ينبغي له أن يســـتخير الله الذي يعلم بيده الأمر، فعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يعلِّمُنا الاســـتخارةَ في الأمور كلِّها كما يعلمنا السورةَ من القرآن، يقول: «**إذا همَّ أحدُكم بالأمرِ، فلْيركعْ ركعتين من غيرِ الفريضة، ثم ليقل: اللهمَّ إنِّي أستخيرك بعلمك، وأستقْدرك بقدْرتك، وأسألك من**

---

(١) رواه الدارمي في الاستئذان (٢٧١٣)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (٨٠٨)، وابن السني في عمل اليوم الليلة (٥٠٣).
وعن أنس ﷺ قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رســـول الله، إنِّي أريدُ سفرًا، فزوِّدني. فقال: «**زوَّدك اللهُ التقوى**» قال: زدني. قال: «**وغفر ذنبَك**» قال: زدني. قال: «**ويسَّر لك الخيرَ حيثما كنت**». رواه الترمذي (٣٤٤٤) وحسَّنه، وابن خزيمة (٢٥٣٢).

(٢) إحياء علوم الدين (٢٥١/٢ ـ ٢٥٣).

(٣) رواه أحمد (٨٣٨٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والترمذي في الدعوات (٣٤٤٥)، وقال: حســـن. وابن ماجه في الجهاد (٢٧٧١)، والحاكم في الصوم (٤٤٥/١)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علَّام الغيوب. اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري، وعاجله وآجله؛ فاقدره لي، وبارك لي فيه، ثم يسِّره لي. وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني، ودنياي، وعاقبة أمري، وعاجله وآجله؛ فاصرفني عنه واصرفه عني، واقدر لي الخير أينما كان، إنك على كل شيء قدير»[(١)].

أدعية السفر:

ومن المطلوب أن يردِّد المسافر المسلم الأذكار المأثورة في السفر، فيقول **إذا خرج من بيته:**

«باسم الله، توكلتُ على الله، اللهم إنَّا نعوذ بك من أن نَزِلَّ أو نُزَلَّ، أو نَضِلَّ أو نُضَلَّ، أو نظلم أو نُظلم، أو نجهل، أو يُجهل علينا»[(٢)].

وأن يودِّع أهله وإخوانه ويستودعهم الله: فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ الله تعالى إذا استُودِع شيئًا حفظه**»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٨٢)، وأحمد (١٤٧٠٧)، وأبو داود في فضائل القرآن (١٥٣٨).

(٢) رواه أحمد (٢٦٦١٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. وأبو داود في الأدب (٥٠٩٤)، والترمذي في الدعوات (٣٤٢٧)، وقال: حسن صحيح. والنسائي في الاستعاذة (٥٤٨٦)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٨٤)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٣١٦٣)، عن أم سلمة.
وعن أنس رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «**من قال ـ يعني ـ إذا خرجَ من بيتِه: باسمِ الله، توكلتُ على الله، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله، يُقال له: هُدِيتَ، وكُفِيتَ، ووُقيت، وتنحَّى عنه الشَّيطان**». وفي رواية: «**فيقول ـ يعني ـ الشيطان لشيطان آخر: كيف لك برجلٍ قد هُدِي وكُفي ووُقي**». رواه أبو داود (٥٠٩٥)، والترمذي (٣٤٢٦)، وحسَّنه الحافظ في نتائج الأفكار.

(٣) رواه أحمد (٥٦٠٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٢٧٣)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٤).

QaradawiBooks.com

والسُّنَّة أن يقول له من يودِّعه ما رواه أبو داود في سننه عن قزعة قال: قال لي ابن عمر رضي الله عنهما: تعالَ أودِّعك كما ودَّعني رسول الله ﷺ: «**أستودع الله دِينَك وأمانَتَكَ وخواتيمَ عَمَلِك**»[١].

قال الإمام الخطابي: الأمانة هنا: أهله ومن يُخلِّفه، وماله الذي عند أمينه. وإنَّما ذكرَ الدِّين مع الوداع؛ لأنَّ السَّفر موضعُ خوف وخطر، وقد يصيبه من المشقةِ والتعب، فيكون سببًا لإهمالِ بعض الأمور المتعلِّقة بالدين، فدعا له بالمعونةِ والتَّوفيق فيها[٢].

وروى الترمذي أيضًا عن نافع عن ابن عمر قال: كان النبي ﷺ إذا ودَّع رجلًا أخذ بيده، فلا يدعها حتى يكون الرجل هو الذي يدع يد رسول الله ﷺ، ويقول: «**أستودعُ الله دينَك وأمانتك وآخر عملك**»[٣].

وعن أنس رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبيِّ ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنِّي أريد سفرًا، فزودني. فقال: «**زوَّدك اللهُ التقوى**». قال: زدني. قال: «**وغفرَ ذنبَك**». قال: زدني. قال: «**ويسَّر لك الخير حيثما كنتَ**»[٤].

الدعاء عند ركوب وسيلة النقل:

ويسنُّ له أن يقول إذا ركب دابَّته أو ما يقوم مقامها من وسائل المواصلات الحديثة أن يقول ما أمر به القرآن في قوله تعالى:

---

(١) رواه أحمد (٤٥٢٤)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وأبو داود في الجهاد (٢٦٠٠)، والترمذي في الدعوات (٣٤٤٣)، وقال: حسن صحيح غريب. وابن ماجه في الجهاد (٢٨٢٦)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٤)، عن ابن عمر.

(٢) معالم السنن للخطابي (٧٦/٣).

(٣) رواه الترمذي في الدعوات (٣٤٤٢) وقال: غريب.

(٤) رواه الترمذي في الدعوات (٣٤٤٤)، وقال: حسن غريب. والبزار (٦٩٣٣)، وصحَّحه الألباني في صحيح الترمذي (٢٧٣٩)، عن أنس.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ۞ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۞ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٢ ـ ١٤].

وعن علي بن ربيعة قال: شهدت علي بن أبي طالب ﷺ، أُتِي بدابَّة ليركبها، فلما وضع رِجله في الركاب قال: باسم الله. فلما استوى على ظهرها قال: الحمد لله. ثم قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۞ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٣، ١٤]. ثم قال: الحمد لله. ثلاث مرات. ثم قال: الله أكبر. ثلاث مرات. ثم قال: سبحانك إنِّي ظلمت نفسي فاغفر لي، إنَّه لا يغفر الذنوب إلَّا أنت. ثم ضحك، فقيل: يا أمير المؤمنين، من أيِّ شيء ضحكتَ؟ قال: رأيتُ النبي ﷺ فعل مثل ما فعلتُ ثم ضحك. فقلتُ: يا رسول الله، من أي شيء ضحكتَ؟ قال: «**إن ربَّك سبحانه يَعْجَبُ من عبده إذا قال: اغفرْ لي ذنوبي، يعلم أنَّه لا يغفر الذنوب غيري**»[(١)].

وعن عبد الله بن سَرْجِسَ ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر يتعوذ من وَعْثاء السفر، وكآبة المنقلب، والحَوْر بعد الكَوْر، ودعوة المظلوم، وسوء المنظر في الأهل والمال[(٢)].

---

(١) رواه أحمد (٧٥٣)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. وأبو داود في الجهاد (٢٦٠٢)، والترمذي في الدعوات (٣٤٤٦)، وقال: حسن صحيح. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (٨٧٤٨)، وصحَّحه الألباني في صحيح الترمذي (٢٧٤٢).

(٢) رواه مسلم في الحج (١٣٤٣)، وأحمد (٢٠٧٧١)، والنسائي في الاستعاذة (٥٤٩٩).
ومعنى: «وعْثاء السَّفر»: شدَّته ومشقته. وكآبة المنقلب؛ أي: تغيُّر النفس من حزنٍ وغيره؛ أي: لا ينقلبُ إلى أهله من سفره كئيبًا غير مقضي الحاجة، أو منكوبًا ذهب مالُه أو أصابته آفة في سفره، أو أن يرِدَ على أهله، فيجدهم مرضى، أو يفقد بعضَهم، أو غير ذلك من المكروه. والحَوْر بعد الكَوْر؛ أي: الرجوع من الاستقامةِ إلى الانحراف، ومن الإيمان إلى الكفر، ومن الطَّاعةِ إلى المعصية. ومن دعوة المظلوم؛ أي: الظُّلم وما يترتب عليه دعوة المظلوم.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ، كان إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر كبَّر ثلاثًا، ثم قال: «﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٣، ١٤]. **اللهمَّ إنا نسألُك في سفرنا هذا البرَّ والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هوِّن علينا سفرنا هذا، واطْوِ عنَّا بعده. اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إنِّي أعوذ بك من وَعْثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل**». وإذا رجع قالهنَّ، وزاد فيهنَّ: «**آيبون تائبون عابدون، لربِّنا حامدون**»[(١)].

ويستحب له أن يكثر من الدعاء في السفر؛ لأنَّ السفر من مظانِّ الإجابة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد**»[(٢)].

وقد يجمع شخص واحد هذه الدعوات الثلاثة، كأن يكون مظلومًا ومسافرًا ووالدًا، أو اثنتين منها.

فالسفر مظِنَّة لاستجابة الدعاء، وخاصة إذا كان السفر طويلًا، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي فيه: ثم ذكر الرجل يُطِيل السفر، أشعثَ أغبر، يمدُّ يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطْعمُه حرام، ومَشْرَبُه حرام، ومَلبَسه حرام، وغُذِّي بالحرام، فأنَّى يستجاب لذلك؟![(٣)].

---

(١) رواه مسلم في الحج (١٣٤٢)، وأحمد (٦٣٧٤).

(٢) رواه أحمد (٧٥١٠)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. وأبو داود في فضائل القرآن (١٥٣٦)، والترمذي في البر والصلة (١٩٠٥) وحسَّنه، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٦٢).

(٣) رواه مسلم في الزكاة (١٠١٥)، وأحمد (٨٣٤٨)، والترمذي في تفسير القرآن (٢٩٨٩).

QaradawiBooks.com

قال الحافظ ابن رجب: «ومتى طال السفر كان أقرب إلى إجابة الدعاء؛ لأنَّه مظنة حصولِ انكسارِ النفس بطول الغربة عن الأوطان، وتحمُّلِ المشاقِّ. والانكسارُ من أعظم أسباب إجابة الدعاء»[١].

الدعاء إذا رأى قرية يريد دخولها:

فإذا رأى قرية يريد دخولها قال: «**اللهم ربَّ السماوات السبع وما أظللْنَ، وربَّ الأَرَضِين السبع وما أقللْنَ، وربَّ الشياطين وما أضللن، وربَّ الرياح وما ذرَيْن، أسألُكَ خيرَ هذه القرية وخير أهلها، وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرِّها، وشرِّ أهلها، وشرِّ ما فيها**»[٢].

ويُروى أنَّه ﷺ كان يقول: «**اللهمَّ بارك لنا فيها ـ ثلاثَ مرات ـ اللهم ارزقنا جَنَاها، وحبِّبْنا إلى أهلِها، وحبِّب صالحي أهلِها إلينا**»[٣].

التعجيل بالرجوع:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**السَّفر قطعةٌ من العذاب، يمنع أحدَكم طعامَه وشرابه ونومه، فإذا قضى أحدكم نَهمتَه من وجهه، فلْيُعَجِّل إلى أهلِه**»[٤].

ومعنى «نهمته»؛ أي: حاجتَه ومقصوده، فيسنُّ للإنسان الرجوعُ إلى بلدِه بعد قضاء حاجته وغرضه من سفرِه.

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢٦٩/١).

(٢) رواه النسائي في الكبرى في السير (٨٧٧٥)، والبزار (٢٠٩٣)، وابن خزيمة في المناسك (٢٥٦٥)، وابن حبان في الصلاة (٢٧٠٩)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. وصحَّحه الألباني في تخريج الكلم الطيب (١٧٩).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٤٧٥٥)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧١١٥): إسناده جيد.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الحج (١٨٠٤)، ومسلم في الإمارة (١٩٢٧).

QaradawiBooks.com

إحضار الهدايا للأهل:

ويُستحسن أن يحمل لأهل بيته وأقاربه هدية من مطعومٍ أو غيره على قدر إمكانه. وفي هذا مبالغة في الاستحثاث على هذه المكرمة؛ لأنَّ الأعين تمتد إلى القادم من السفر والقلوب تفرح به، فيتأكد الاستحباب في تأكيد فرحهم وإظهار التفات القلب في السفر إلى ذكرهم بما يستصحبه في الطريق لهم.

وهذا ممَّا استحبَّه العلماءُ واستحسنوه؛ لأنَّ فيه إدخالَ السرور على الأهل، وقد ورد في الحديث: «**أحبُّ الأعمالِ إلى الله ﷻ سرورٌ يدخله على مسلم، أو يكشف عنه كربة، أو يقضي عنه دَيْنًا**»[(١)].

لكن الأحاديث الواردة في ذكر الهدية على وجهِ الخصوص في السَّفرِ لا تصحُّ.

عدم طروق المسافر أهلَه ليلًا:

وممَّا ذكره حجة الإسلام أبو حامد[(٢)]: ألَّا يُقدِمَ على أهله ليلًا يفجؤهم بقدومِه، بل السنَّةُ أن يقدمَ عليهم أولَ النهار أو آخره؛ فعن أنس ﵁ قال: كان النبي ﷺ لا يطرقُ أهلَه ليلًا، وكان يأتيهم غدوةً وعشية[(٣)].

وقد بيَّنت الأحاديثُ العلةَ من ذلك، فعن جابر ﵁: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**أمهلوا حتى تدخلوا ليلًا ـ أي عشاء ـ لكي تمتشط الشَّعِثة، وتستحدَّ المُغِيبة**»[(٤)].

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (٦٨٤)، عن أبي شريك.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين (٢٦١/١).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الحج (١٨٠٠)، ومسلم في الإمارة (١٩٢٨).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٠٧٩)، ومسلم في الإمارة (٧١٥).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

و«الشعثة»: التي تفرَّق شعر رأسِها.

و«تستحدّ» أي: تُزيل شعرَ العانَة، و«المُغِيبة» التي غاب زوجُها.

وهذا الحكمَ يدور مع العلةِ وجودًا وعدمًا، فإنه إذا أمكنَ إخبارُ الأهلِ بوقت قدومِه، فإنه يجوزُ الطروقُ ليلًا لزوالِ العلة.

وعلى كل حال، لم يعد وقت القدوم في يد مسافر، إلَّا إذا كان مسافرًا في سيارته، أو نحو ذلك، وإلا فالأمر ليس في يده، وإنَّما في يد صاحب آلة السفر.

فليحضر في أي وقت، وليُعلم أهله بموعده قبل ذلك بالهاتف أو بغيره.

قد تيسَّرت لنا في هذا الزمان وسائلُ التخاطبِ عبر الهاتف، ممَّا يعينُ على تعريفِ وإخبار أهله بوقتِ قدومِه، فلا بأسَ إذن بعد إعلامِهم أن يقدمَ عليهم ولو كان ذلك ليلًا، أو في أيِّ وقت. والله أعلم.

وليخبر أهله برجوعه:

أي إنَّه إذا قربَ من وصولِه إلى بيته، فيستحبُّ إرسال من يخبرهم بقدومِه.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويستحبُّ إذا قرب من وطنِه أن يبعثَ إلى أهله مَن يخبرهم لئلا يقدمَ بغتة، فإن كان في قافلةٍ كبيرة واشتهر عند أهلِ البلد وصولهم ووقت دخولهم، كفاه ذلك عن إرسالِه مُعينًا»[1].

(١) المجموع (٣٩٩/٤).

QaradawiBooks.com

استقبال المسافر:

يسـنُّ للأقاربِ والأصحاب تلقي المسافرين لا سـيما القادمون من مكان بعيد، وبعد زمن مديد، وأن يُخرجوا معهم الأطفالَ لاسـتقبالِهم، لحديث ابنِ عباس رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ قدم من سفرٍ، فاستقبله أُغيلمةُ بني عبد المطلب، فجعل واحدًا بين يديه وآخر خلفه[١].

وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا قدم من سفرٍ تُلقِّي بصبيانِ أهل بيته، وإنَّه قدم من سفرٍ فسُبِق بي إليه، فحملني بين يديه، ثم جيء بأحـدِ ابني فاطمة فأردَفَهُ خلفَـه، فدخلنا المدينةَ ثلاثة على دابة[٢].

فهذه جملةٌ من الآداب الظاهرة التي ذكرها الإمام الغزالي مع زيادات وإضافات وتعليقات[٣].

الآداب الباطنة للمسافر:

وبعد أن ذكر الغزالي الآداب الظاهرة للمسـافر شرع على عادته في الإحياء في بيان الأداب الباطنة.

قال الإمام الغزالي: «وأمَّا الآداب الباطنة، فهي:

ألَّا يسافر إلَّا إذا كان زيادة دينه في السـفر، ومهما وجد قلبه متغيرًا إلى نقصان فيقف ولينصـرف، ولا ينبغي أن يجاوز همه منزله، بل ينزل حيث ينزل قلبه.

---

(١) رواه البخاري في الحج (١٧٩٨).

(٢) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٤٢٨)، وأحمد (١٧٤٣).

(٣) انظر: إحياء علوم الدين (٢/٢٥١ ـ ٢٥٤).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وينوي في دخول كل بلدةٍ أن يرى شيوخها، ويجتهد أن يستفيد من كل واحد منهم أدبًا أو كلمة لينتفع بها، لا ليحكي ذلك، ويُظهر أنَّه لقي المشايخ.

ولا يقيم ببلدة أكثر من أسبوع أو عشرة أيام، إلَّا أن يأمره الشيخ المقصود بذلك...

وإن كان قصده زيارة أخ فلا يزيد على ثلاثة أيام، فهو حد الضيافة، إلَّا إذا شقَّ على أخيه مفارقته.

وإذا قصد زيارة شيخ فلا يقيم عنده أكثر من يوم وليلة.

ولا يشغل نفسه بما لا فائدة فيه، فإن ذلك يقطع بركة سفره.

وكلما دخل بلدًا لا يشتغل بشيء سوى زيارة الشيخ بزيارة منزله، فإن كان في بيته فلا يدق عليه بابه، ولا يستأذن عليه، إلى أن يخرج، فإذا خرج تقدَّم إليه بأدب فسلم عليه، ولا يتكلم بين يديه إلَّا أن يسأله، فإن سأله أجاب بقدر السؤال، ولا يسأله عن مسألة ما لم يستأذن أولًا.

وإذا كان في السفر فلا يكثر ذكر أطعمة البلدان وأسخيائها، ولا ذكْر أصدقائه فيها، وليذكر مشايخها وفقراءها[1].

ولا يهمل في سفره زيارة قبور الصالحين، بل يتفقدها في كل قرية وبلدة.

(١) الفقراء مصلح يطلقه الصوفية على أنفسهم، والحق أنَّه ينبغي أن يذكر أهل التقوى والورع من كل المشارب الإسلاميَّة الملتزمة بصحيح الدين وبالسُّنَّة النبويَّة العطرة.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

قال القرضـــاوي: والمقابر العامـــة يختلط فيها المقبـــورون بعضهم ببعض، فإن كان هناك قبر لصالح معروف فليـــزره، وإلا فليزر الجميع، وليدع للصالحين.

قال الغزالـــي: **ولا يظهر حاجته إلَّا بقدر الضـــرورة ومع من يقدر على إزالتها.**

ويلازم في الطريق الذكـــر وقراءة القرآن، بحيث لا يســـمع غيره، وإذا كلمه إنسان فليترك الذكر وليجبه ما دام يحدثه، ثم ليرجع إلى ما كان عليه.

فإن تبرَّمت نفسه بالســـفر أو بالإقامة فليخالفها، فالبركة في مخالفة النفس، وإذا تيسَّرت له خدمة قوم صالحين فلا ينبغي له أن يسافر تبرُّمًا بالخدمة، فذلك كُفران نعمة. ومهما وجد نفسه في نقصان عما كان عليه في الحضر فليعلم أن سفره معلول، وليرجع إذ لو كان لحَقٍّ لظهر أثره.

قال رجل لأبي عثمان المغربي: خرج فلان مســـافرًا. فقال: الســـفر غربة، والغربة ذِلة، وليس للمؤمن أن يذل نفسه[١]. وأشار به إلى أن مَن ليس له في الســـفر زيادة دين، فقد أذل نفسه، وإلا فعز الدين لا ينال إلَّا بذلة الغربة.

فليكن سفر المريد من وطن هواه ومراده وطبعه، حتى يعز في هذه الغربة ولا يذل، فإن من اتبع هواه في ســـفره ذل لا محالة، إما عاجلًا وإما آجلًا»[٢].

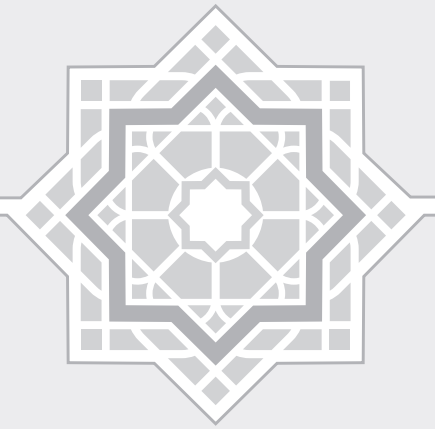
* * *

(١) انظر: المحاسن والأضداد صـ ١١٨.

(٢) إحياء علوم الدين (٢/٢٥٧).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي



الباب التاسع

أدب المسلم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر



غير مرخصة للطبع
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

من الآداب المهمة، التي عُني بها الإسلام في قرآنه وسنَّته، وعُني بها الصحابة ومن اتَّبعهم بإحسان، وعُني بها علماء الأمَّة في شتى الأعصار، وفي مختلف الأقطار، من مفسِّرين ومُحدِّثين، وفقهاء، وأخلاقيين، ولغويين وأدباء وعلماء كونيين، ورجال سلوك وتربية: أدب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لقد عُني علماؤنا في عدد من التَّخصُّصات التي تهتم بالإنسان، وتعمل على رُقيِّ أفكاره واعتقاده وعمله ودعوته، وتكوين شخصيته المتوازنة والمتكاملة، التي تكتمل فيها جوانب الحق والخير والجمال، ولكنها لا تكتفي بذلك، بل تعمل بكل طاقتها على إيصال ما عندها من حقٍّ وخير وجمال إلى غيرها، إذ لا يكفي المسلم الحق أن يكون صالحًا في نفسه، إلَّا بكونه مصلحًا لغيره، ولمجتمعه وأمته، وللبشرية جمعاء، وذلك عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند العلماء:

والمعروف: هو اسم جامع لكل ما عُرِف من طاعة الله تعالى والتقرب إليه، والإحسان إلى الناس.

والمنكر: ضد المعروف، وهو: كل ما قبَّحه الشرع وحرَّمه؛ فهو منكر.

فالمعروف هو: كل ما أمر الله به ورسوله ﷺ.

والمنكر هو: كلُّ ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ.

QaradawiBooks.com

والأمر بالمعروف: الدعوة إليه، والترغيب فيه، وتمهيد أسبابه حتى تتوطد أركانه وتتبين سبله، ويعم الخير به.

والنهي عن المنكر: الصدُّ عنه، والتنفير منه، ومقاومته، وقطع السبل عليه، حتى لا يقع أصلًا، أو يتكرَّر.

وهو ما فرضه الإسلام على المسلم فرضًا بالنصوص الصريحة، المستمدة من كتاب الله، ومن أحاديث رسوله الكريم.

التواصي بالحق والتواصي بالصبر:

انظر إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

هذه سورة مكية أقسم الله تعالى فيها بالعصر، وهو الزمان، ومن حقِّه أن يقسم بما شاء من خلقه، ليلفتنا إلى آثاره وأهميته، أقسم على أن كل إنسان خاسر وضائع، إذا مشى وحده، بعيدًا عن ربِّه ووحيه، واستثنى من ذلك من جمع أربعة أوصاف أساسية، هي: الإيمان، وعمل الصالحات، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

والذي يهمنا هنا الأخيران: التواصي بالحق، والتواصي بالصبر. إذ الوصفان الأولان، وهما الإيمان وعمل الصالحات، مفروغ منهما.

ومعنى التواصي بهما: أن يُوصي كلُّ مؤمن غيرَه بالحق: من الإيمان به، وفرضيَّة الدعوة إليه، ويوصيه أيضًا بضرورة الصبر عليه؛ إذ لا حق إلَّا بصبر. فهو يوصي بهذا، ويقبل الوصيَّة من غيره إذا وصَّاه، وهذا معنى التواصي. فهو على صيغة التفاعُل التي تعني أنَّ الفعل من الجانبين.

QaradawiBooks.com

فلا يقبل الإسلام من مسلم أن يعيش وحده مصلِّيًا صائمًا عاملًا للصالحات، ولكن والفساد يعيث في الأرض من حوله، والظلم يتبختر في الأرض، ولا يجد من يقف في وجهه. فكان لا بد من هذا التواصي، فليس هناك أحد أصغر من أن يُوصِي، ولا آخر أكبر من أن يُوصَى.

على كل مؤمن أن يكون داعية:

وبهذا كلف الإسلام كل مؤمن أن يكون داعية لدينه، على قدر ما يتَّسع واديه، لأنَّ الله تعالى خاطب الناس جميعًا بقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]. فهذا خطاب للرسول ولكل من يصلح خطابه من المؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣]. فقدّم الدعوة إلى الله على العمل الصالح، ليدلُّنا على أهمية الدعوة في الحياة الإسلاميَّة.

وقال ﷻ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف: ١٠٨]. فهذه سبيل محمد رسول الله، وسبيل كل من اتبع سبيله، فإن كنت ممَّن اتَّبع سبيل محمد ﷺ، فهذه سبيله، فكُنْ معه، ولا تتخلَّف عنه، فتكون مع القاعدين، ومع الخالفين، الذين ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة: ٨٧].

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الفريضة الخامسة:

وهذه هي الفريضة أو الشعيرة الخامسة من فرائض الإسلام وشعائره، وهي سياج الشعائر السابقة وحارستها.

QaradawiBooks.com

وربما استغرب بعض الناس أن تكون هذه ضمن الفرائض الأساسية في الإسلام.

ولكن المتتبع للقرآن والسُّنَّة يجد ذلك أوضح من فلق الصباح.

فالقرآن يجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الخصيصة الأولى التي تميَّزت بها هذه الأمة المسلمة، وفاقت بها أمم الأرض، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فبيَّن سبحانه أنَّ خيريَّة هذه الأمة على الأمم كلها إنَّما وضعت وتمَّت لأمرين: الأمر والنهي أولًا، والإيمان بالله ثانيًا.

وهذا يدل على فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ بيَّن أنهم كانوا به خير أمة أخرجت للناس.

فالأمة المحمديَّة خير أمة أُخْرِجت للناس، ما دامت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وسوف تظل خير الأمم وأعلاها ما دام أبناؤها قائمين على هذا الواجب، أمَّا إذا تخلَّت عنه، فسوف تسقط عنها هذه الخيرية، وتصبح أمة ضعيفة ذليلة، لا قيمة لها، ولا وزن.

وقدَّم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الذكر على الإيمان، مع أنَّ الإيمان هو الأساس؛ لأنَّ الإيمان بالله قدْر مشترك بين الأمم الكتابية جميعًا، ولكن الأمر والنهي فضيلة هذه الأمة، التي لم تخرج للوجود من نفسها، بل أخرجها الله إخراجًا، ولم يخرجها لتعيش لنفسها، فحسب، بل أُخرجت للناس، للبَشرية كلها، فهي أمة دعوة ورسالة، همها أن تُشيع المعروف وتُثبِّته، وأن تزيل المنكر وتمنعه.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

ولأنَّ الأمـــر بالمعروف والنهي عـــن المنكر سِـــياج الإيمان، وبهما يستمرُّ نقاؤه وصَفاؤه، بل اســـتمراره، وكلَّما ضعُف الإيمان ضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكلَّما ضعُف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضعُف الإيمان، ودخلت عليه البِدَع والمعاصي التي تَحُول دون تمامه وقوته[١].

وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وقبل الآية المذكورة من ســـورة آل عمران: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ..﴾ [آل عمـــران: ١١٠]، ببضع آيات جاء قولـــه تبارك وتعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وفي الآية بيـــان الإيجاب، فإن قوله تعالـــى: ﴿وَلْتَكُن﴾ أمر، وظاهر الأمر الإيجاب، وخصوصًا إذا كان في القرآن.

وفيهـــا: بيـــان أنَّ الفـــلاح منوط بـــه إذ حصر، قـــال: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. فهم وحدهم المفلحون، ولا فلاح لغيرهم.

(من) في قوله (منكم) للبيان لا للتبعيض:

وقد فهم بعض النـــاس من هذه الآية: أن (مِـــنْ) في قوله: ﴿مِّنكُمْ﴾ للتبعيض، وأنَّـــه واجب على بعض الناس أن يدعـــوا إلى الخير ويأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، وليس ذلك واجبًا على الجميع.

(١) انظر: تفسير إرشاد العقل الســـليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (٧١/٢)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، والمنار (٥٣/٤، ٥٤).

QaradawiBooks.com

ولكن هذا الرأي لا يناسب ختام الآية: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، فحصر الفلاح فيهم، وليس في أحد غيرهم. ومعنى هذا: أنَّه يجب على الجميع أن يحرصوا على الدعوة والأمر والنهي.

وإذن تكون (مِنْ) في الآية ليست للتبعيض، ولكنها للبيان، أشبه بقولهم: ليكن لي منك الصديق الوفي. أي: كنت أنت الصديق الوفي لي. فيكون معنى الآية: كونوا أمة تدعو إلى الخير، حتى تستحقوا الفلاح وحدكم.

وهذا يتفق مع الآيات التي جعلت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، صفات عامة للمؤمنين، كقوله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْأٓمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].

وعلى المعنى الثاني للآية: أن تكون «مِنْ» في ﴿مِّنكُمْ﴾، للتبعيض كما هو الشائع المتبادر وهو خلاف ما رجحتُه، فمقتضى هذا أن يكون في المجتمع المسلم طائفة متخصصة قادرة متمكنة، مُعَدة الإعداد الملائم، لتقوم بواجب الدعوة والأمر والنهي، والمخاطَب بهذا الأمر الإلٰهي (إيجاد الطائفة المذكورة) هم جماعة المسلمين كافة، وأولو الأمر خاصة، فعليهم تهيئة الأسباب لوجودها، وإعانتها ماديًّا وأدبيًّا لتقوم برسالتها، فإذا لم توجد هذه الأمة أو هذه الطائفة المنشودة، عمَّ الإثم جميع المسلمين، ككل فرض كفائي يُترك ويُهمل.

ولا يكفي أن يوجد أفراد متناثرون، يقومون بالوعظ والإرشاد، في دولة تدير لهم ظهرها، ومجتمع ينأى عنهم بجانبه، فالقرآن لم يرد ذلك،

QaradawiBooks.com

إنَّما أراد وجود «أمة»، فالأفراد المتناثرون لا يكوِّنون «أمة»، كما يُفترض أن تكون لهذه الأمة حرية الدعوة إلى الخيـر، وأعظم أبواب الخير هو الإسلام. وأن تكون قادرة على أن تأمر وتنهى.

والأمر والنهي شـيء أخص وأكبر من الوعـظ والتذكير، فكل ذي لسان قادر على أن يعظ ويذكِّر، وليس قادرًا دائمًا أن يأمر وينهى، والذي طالبت به الآية الكريمة إنَّما هو إيجاد أمة، تدعو وتأمر وتنهى.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من سمات المجتمع المسلم:

وفي بيان السـمات العامة لمجتمع المؤمنيـن، والتي يتميز بها عن مجتمع المنافقين يقول القرآن في سـورة التوبة: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١].

ومن الجميل في الآية أنَّهـا قرنت المؤمنـات بالمؤمنين، وجعلت الجميـع بعضهم أولياء بعـض، وحمَّلتهم ـ رجالًا ونسـاءً ـ تبعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقدمَّت شـعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الصلاة والزكاة؛ لأنَّها السمة الأولى للمجتمع المسلم، ولأفراد المجتمع المسلم.

وفي سـورة التوبة أيضًا، بيان لأوصاف المؤمنين الذين اشـترى الله منهم أنفسـهم وأموالهـم بأن لهـم الجنة، وذلـك قوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١١٢].

QaradawiBooks.com

وفي سورة الحج ذكر القرآن أهم واجبات الأمة المسلمة حين يمكِّن الله لها في الأرض، ويكون لها دولة وسلطان، فقال: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ إلى جانب الصلاة والزكاة ـ أهم ما تقوم به دولة الإسلام بعد أن يمكِّن الله لها وينصرها على عدوها، بل هي لا تستحق نصر الله، إلَّا بهذا، كما بيَّنت الآيتان الكريمتان.

هذه هي فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن، إنَّها عَلَم على وجوب التكافل الأدبي بين المسلمين، كما أنَّ الزكاة عَلَم على وجوب التكافل المادي بينهم.

عدم التناهي عن المنكر سبب في الطرد من رحمة الله:

إنَّ الله لعن بني إسرائيل على لسان أنبيائه، وضرب قلوب بعضهم ببعض، وسلّط عليهم مَن لا يرحمهم، لانتشار المنكرات بينهم دون أن تجد مَن يغيِّرها أو ينهى عنها.

قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ۝ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨ ـ ٧٩].

وأسوأ ممَّا ذكرنا أن يموت الضمير الاجتماعي للأمة، أو يمرض على الأقل، بعد طول الإلف للمنكر والسكوت عليه، فيفقد المجتمع حسه الديني والأخلاقي، الذي يعرف به المعروف من المنكر، ويفقد العقل

QaradawiBooks.com

البصير الذي يميز الخبيث من الطيب، والحلال من الحرام، والرشد من الغي، وعند ذلك تختل موازين المجتمع وتضطَرِبُ مقاييسه، فيرى السُّنَّة بدعة، والبدعة سُنَّة، أو يرى ما نحسه ونلمسه في عصرنا عند كثيرين من أبناء المسلمين، من اعتبار التدين رجعية، والاستقامة تزمُّتًا، والاحتشام جمودًا، والفجور فنًّا، والإلحاد تحررًا، والانحلال تقدُّمًا، والانتفاع بتراث السَّلَف تخلُّفًا في التفكير، إلى آخر ما نعلم وما لا نعلم.

وبعبارة موجزة: يصبح المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا!

وأسوأ من هذا وذاك: أن يخفت صوت الحق، وتتعالى صيحات الباطل، تتجاوب بها الأرجاء داعية إلى الفساد، آمرة بالمنكر، ناهية عن المعروف. صيحات الذين وصفهم الحديث الشريف بأنَّهم دعاة على أبواب جهنم، مَن أجابهم إليها قذفوه فيها[1].

هذا هو شأن مجتمع المنافقين الذين جعلهم القرآن في الدرك الأسفل من النار، وهو المجتمع الذي حدَّدت معالمه الآية الكريمة: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٦٧].

وهذه الخصال مناقضة تمام المناقضة لمجتمع المؤمنين، كما صوَّرته آية: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [التوبة: ٧١]، والذي يعنينا هنا أنَّه مجتمع منكوس على رأسه، يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الفتن (٧٠٨٤)، ومسلم في الإمارة (١٨٤٧)، عن حذيفة.

QaradawiBooks.com

فإذا ارتفع فيه للحق صوت يدعو إلى الله، ويأمر بالقسط، وينهى عن الفساد والظلم، كان جزاؤه الموت جهارًا على حبل المشنقة في وضح النهار، أو الاغتيال خفية ـ بالرصاص أو بسياط التعذيب ـ في جنح الليل. كما صنع بنو إسرائيل بأنبيائهم حين قتلوهم بغير حق، فمنهم مَن ذبحوه بالسكين، ومنهم مَن نشروه بالمنشار، ومنهم مَن تآمروا على قتله وصلبه، فرفعه الله إليه. وحق على قتلة الأنبياء والدعاة إلى الله قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٢١، ٢٢].

إن هذه المراحل المتدرجة في الانحطاط والفساد يأخذ بعضها بحُجزِ بعض، ويجر بعضها إلى بعض، فالشبهات تجر إلى صغائر المحرّمات، والصغائر تجر إلى الكبائر، والكبائر تجر إلى الكفر، والعياذ بالله.

المهم هو تأكيد هذه الفريضة العظيمة وإحياؤها، وإحياء وظيفة «المحتسب» الذي جسَّد هذه الشعيرة في الحياة العملية، وكان له شأن خطير في مجتمع المسلمين.

وإذا كان بعض الناس في عصرنا يتحدثون عن «الرأي العام» وأثره في الرقابة على رعاية مبادئ الأمة وأخلاقها وآدابها ومصالحها، وتقويم ما يعوجُّ من شؤون حياتها، فإن فريضة الأمر والنهي كفيلة بأن تنشئ الرأي العام الواعي البصير، المستند إلى أقوم المعايير الأخلاقية والأدبية، وأعدلها وأخلدها وأثبتها؛ لأنَّها معايير مستمَدة من الحق الأزلي الأبدي من الله ﷻ.

QaradawiBooks.com

كلام الإمام الغزالي في فرضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وقد ذكر الإمام الغزالي في الإحياء ما يؤيِّد ذلك، فقال: «ويدل على ذلك ـ بعد إجماع الأمة عليه وإشارات العقول السليمة إليه ـ الآيات القرآنيَّة، والأحاديث، وإجماع الأمة».

آيات القرآن الدالة على وجوب الأمر والنهي:

أمَّا الآيات، فقد ذكر من الآيات سوى ما قدَّمته من آيتَي آل عمران والتوبة والحج الآيات التالية:

١ ـ قال تعالى: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۞ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣، ١١٤]. فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرَّد الإيمان بالله واليوم الآخر، حتى أضاف إليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ۞ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩]، وهذا غاية التشديد، إذ علل استحقاقهم للَّعنة بتركهم النهي عن المنكر.

٣ ـ وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥]. فبيَّن أنهم استفادوا النجاة بالنهي عن السوء. ويدل ذلك على الوجوب أيضًا.

٤ ـ وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]. وهو أمر جزم، ومعنى التعاون: الحث عليه وتسهيل طرق الخير، وسد سبل الشر والعدوان بحسَب الإمكان.

QaradawiBooks.com

٥ ـ وقال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣] فبيَّن أنهم أثموا بترك النهي.

٦ ـ وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ١١٦]. فبيَّن أنَّه أهلك جميعهم، إلَّا قليلًا منهم، كانوا ينهون عن الفساد.

٧ ـ وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥]، وذلك هو الأمر بالمعروف، للوالدين والأقربين.

٨ ـ وقال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

٩ ـ قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]. قال الإمام الغزالي تعليقًا على الآية: أفهمت الآية أن من هجرهما خرج من المؤمنين[(١)].

وقال القرطبي: جعله الله تبارك وتعالى فرقًا بين المؤمنين والمنافقين[(٢)].

وقد نصَّ عدد من الفقهاء رحمهم الله على أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعد من كبائر الذنوب. ومن أولئك الإمام بدر الدين

(١) إحياء علوم الدين (٣٠٧/٢).
(٢) تفسير القرطبي (٤٧/٤).

QaradawiBooks.com

الزركشي[١] والإمام ابن حجر الهيتمي في كتابه «الزواجر عن اقتراف الكبائر»، حيث عدَّ ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع القدرة من الكبائر[٢].

١٠ ـ وقال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى﴾ [الحجرات: ٩] الآية.

والإصلاح نهي عن البغي، ودعوة للعودة إلى الطاعة، فإن لم تفعل فقد أمر الله تعالى بقتالها، فقال: ﴿فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾، وذلك هو النهي عن المنكر.

الأحاديث النبويَّة الدالة على وجوب الأمر والنهي:

وكما وجدنا جملة كبيرة من آيات القرآن الدالة بوضوح على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الأمة (أمَّة الإسلام) في الفرائض العامة، والمُحرَّمات العامة، التي لا تخفى على أحد، وجدنا عددًا كبيرًا من الأحاديث النبويَّة انتقيناها ممَّا وضعه الحافظ المنذري في كتابه: «الترغيب والترهيب» تحت عنوان:

«أحاديث الترغيب في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والترهيب من تركهما، والمداهنة فيهما».

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَن رأى منكم مُنكَرًا فليُغَيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[٣].

(١) البحر المحيط (١٥٥/٦).

(٢) الزواجر (٢٧١/٢).

(٣) رواه مسلم في الإيمان (٤٩)، وأحمد (١١٤٦٠).

QaradawiBooks.com

رواه مسلم، عن طريق طارق بن شهاب عن أبي سعيد، وعنده قال: أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة: مروان، فقام إليه رجل، فقال: الصلاة قبل الخطبة، فقال: قد ترك ما هنالك. فقال أبو سعيد: أمَّا هذا فقد قضى ما عليه. أي: لزمه الإنكار فأنكر، ثم روى هذا الحديث.

ورواه الترمذي، وابن ماجه، والنسائي ولفظه: أن رسول الله ﷺ قال: «**من رأى منكم مُنْكَرا فغَيَّره بيده، فقد بَرِئَ، ومن لم يستطع أن يغيِّره بيده فغيَّره بلسانه، فقد برئ، ومن لم يستطع أن يغيِّره بلسانه فغيَّره بقلبه، فقد برئ، وذلك أضعف الإيمان**»(١).

وعن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: بايَعْنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليُسر، والمنْشَط والمكْرهِ، وعلى أثَرةٍ علينا، وألا نُنَازع الأمر أهلَه، إلَّا أن تروا كفرًا بَواحًا عندكم من الله فيه برهان، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم(٢).

وعن أبي ذر رضي الله عنه، أن أناسًا قالوا: يا رسول الله، ذهب أهلُ الدُّثُور بالأجور، يُصلُّون كما نصلِّي، ويصومون كما نصوم، ويتصدَّقون بفضول أموالهم، قال: «**أوَليس قد جعل الله لكم ما تصدَّقون به؟ إنَّ بكل تسبيحة صدقة، وبكل تكبيرة صدقة، وبكل تحميدة صدقة، وبكل تهليلة صدقة، وأمْرٌ بالمعروف صدقة، ونَهْي عن منكرٍ صدقةٌ**»(٣).

فهذا الحديث يجعل للأمر والنهي مكانة في عبادة المسلم، وطاعته اليومية لله.

---

(١) رواه الترمذي في الفتن (٢١٧٢)، والنسائي في الإيمان (٥٠٠٨)، وابن ماجه في الصلاة (١٢٧٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الفتن (٧٠٥٥، ٧٠٥٦)، ومسلم في الإمارة (١٧٠٩).

(٣) سبق تخريجه صـ٣٤٨، وفيه: «وفي بُضع أحدكم صدقة».

QaradawiBooks.com

وعن أبي عبد الله طارق بن شهاب البَجَلِيّ الأحمسي، أن رجلًا سأل النبي ﷺ، وقد وضع رجله في الغَرْز: أيُّ الجهاد أفضل؟ قال: «**كلمةُ حقٍّ عند سلطان جائر**»[(١)].

وإنَّما كان أفضل الجهاد؛ لأنَّ فيه مخاطرة بالنفس في سبيل الله، أكثر من مخاطرة المقاتل، الذي كثيرًا ما يسلم ويعود بالأجر والغنيمة، ولأنَّ الفساد الداخلي ـ وبخاصة طغيان الحكام ـ أشد خطرًا من الغزو الخارجي، فلهذا كانت مقاومته أفضل.

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**سيِّدُ الشهداءِ: حمزةُ بن عبد المطلب، ورجلٌ قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله**»[(٢)].

وعن النُّعمان بن بَشير رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**مَثَل القائمِ في حدودِ الله والواقع فيها، كمَثَل قومٍ استَهَمُوا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استَقَوْا من الماء مَرُّوا على مَن فوقهم، فقالوا: لو أنَّا خرقنا في نصيبنا خَرْقًا، ولم نُؤذِ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نَجَوا، ونجوا جميعًا**»[(٣)].

وهكذا صور الرسول العظيم الأمم أبناء المجتمع الواحد، كأهل السفينة الواحدة، وإن قُسمت إلى طابقين أو أكثر، فلا يجوز لأحد في أيِّ مكان من السفينة أن يُحدث خرقًا فيها، وإن كان دافعه طيبًا: أن يخفف

(١) رواه أحمد (١٨٨٣٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والنسائي في البيعة (٤٢٠٩). والغَرْز بفتح الغين المعجمة وسكون الراء بعدهما زاي: هو ركاب كور الجمل إذا كان من جِلْد أو خشب، وقيل: لا يختص بهما.

(٢) رواه الحاكم في معرفة الصحابة (١٩٥/٣)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجها. وقال الذهبي: الصفار لا يُدرى من هو. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٣٧٤).

(٣) سبق تخريجه صـ٦٣.

QaradawiBooks.com

عن الآخرين. فإن أي خرق في السفينة، وإن كان صغيرًا، يؤدي إلى غرقها كلها. فلا يجوز التساهل في ذلك أبدًا.

وعن ابن مسعود ﵁، أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من نبيٍّ بَعَثَه الله في أمَّة قبلي، إلَّا كان له من أمَّته حواريُّون وأصحابٌ يأخذون بسُنَّته، ويقتدون بأمره، ثم إنَّها تَخْلُف من بعدهم خُلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمَن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومَن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومَن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**»[(١)].

سمَّى الحديث الأمرَ والنَّهيَ جهادًا في سبيل الله، وهو كذلك، لما فيه من إعلاء الخير على الشر، ونشر الفضيلة ضد الرذيلة، ومن قُتِل في سبيل ذلك فهو شهيد.

وعن زينبَ بنت جحش ﵂، أنَّ النبي ﷺ دخل عليها فزعًا يقول: «**لا إله إلَّا الله، ويلٌ للعرب مِن شرٍّ قد اقترب، فُتِح اليوم من رَدْم يأجوج ومأجوج مثل هذه**». وحلَّق بين أُصبعيه: الإبهام والتي تليها، فقلت: يا رسول الله، أنهلِك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم، إذا كثُر الخَبَث**»[(٢)].

علَّق الرسول هلاك المجتمع وهلاك الأمَّة على كثرة الخبَث، ويعني به: الظلم والشر والفساد، فإذا كثُر الذين يمثلون الخبث والفساد، كما في بعض الأحاديث: «**إذا كثر الخُبُث**» أي: جمع خبيث. قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ ﴾ [الأنفال: ٢٥].

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (٥٠)، وأحمد (٤٣٧٩). و(الْحَوَارِيّ): هو الناصر للرجل، والمختص به، والمُعِين، والمُصَافي.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٤٦)، ومسلم في الفتن (٢٨٨٠).

QaradawiBooks.com

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلتُ: يا رسول الله، إنَّ الله إذا أنزل سطوته بأهل الأرض، وفيهم الصالحون، فيهلكون بهلاكهم؟ فقال: «**يا عائشة، إنَّ الله عز وجل إذا أنزل سطوته بأهل نقمته وفيهم الصالحون، فيصيرون معهم، ثم يُبْعَثون على نيَّاتهم**»(١).

والله سبحانه هو الذي يعلم النيَّات، فمن كان من أهل الإيمان والصدق ظهر ذلك في نيَّته وأُثيب عليها، ومن كان عكس ذلك، عرفه الله تعالى، وعرَّف به ملائكته، فنال ما يستحقُّه من عقاب.

وعن حُذيفة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لتأمُرُنَّ بالمعروف، ولتنْهَوُنَّ عن المنكر، أو ليوشكنَّ الله أن يبعث عليكم عذابًا منه، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم**»(٢).

إذا ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كان دليلًا على غضب الله على الجماعة، ولم ينفعهم دعاء الصالحين لهم.

وعن قيس بن أبي حازم قال: قام أبو بكر رضي الله عنه، فحمد الله عز وجل وأثنى عليه، فقال: يا أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ [المائدة: ١٠٥]. وإنكم تضعونها

(١) رواه ابن حبان في مناقب الصحابة (٧٣١٤)، وقال الأرناؤوط: صحيح لغيره. وأصل الحديث متفق عليه: رواه البخاري في البيوع (٢١١٨)، ومسلم في الفتن (٢٨٨٤). ولفظه عند البخاري: «يغزو جيشٌ الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض، يخسف بأولهم وآخرهم» قالت: قلت: يا رسول الله، كيف يخسف بأولهم وآخرهم، وفيهم أسواقهم، ومن ليس منهم؟ قال: «**يخسف بأولهم وآخرهم، ثم يبعثون على نيَّاتهم**».

(٢) رواه أحمد (٢٣٣٠١)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والترمذي في الفتن (٢١٦٩)، وقال: حديث حسن غريب.

QaradawiBooks.com

على غير موضعها، وإنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيِّروه**[١]**، أوشك الله أن يَعُمَّهم بعقابه**»[٢].

وفي رواية: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من قوم يُعمل فيهم بالمعاصي، ثم يقدرون على أن يغيِّروا، ثم لا يغيِّروا إلَّا يوشك أن يعمَّهم الله منه بعقابٍ**»[٣].

وقد دلَّنا هذا الحديث على ضرورة الربط بين القرآن والسُّنَّة، حتى لا نسيء فهم القرآن.

والاستدلال بقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٥] على ترك الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو من ضرب النصوص الشرعيَّة بعضها ببعض، ووضع لهذه الآية في غير موضعها، فإنَّ الله تعالى قال في الآية: ﴿إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾. ومن الهداية: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأخذ على يد الظالم، فإن فعل المسلم كل ذلك فلا يضرُّه من ضلَّ.

وعن أبي كثير السُّحَيْمي، عن أبيه قال: سألتُ أبا ذر، قلتُ: دُلَّني على عمل إذا عمل العبد به دخل الجنة. قال: سألتُ عن ذلك رسول الله ﷺ، قال: «**تؤمن بالله واليوم الآخر**». قلتُ: يا رسول الله، إنَّ مع

---

(١) كذا هي بحذف النون.

(٢) رواه أحمد (١) وقال مخرجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين . وأبو داود في الملاحم (٤٣٣٨)، والترمذي في الفتن (٣٠٥٧) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في الفتن (٤٠٠٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٦٤)، عن أبي بكر الصديق .

(٣) رواه أبو داود في الملاحم (٤٣٣٨)، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٣١٧).

QaradawiBooks.com

الإيمان عملًا؟ قال: «**يرضخ ممَّا رزقه الله**». قلت: يا رسول الله، أرأيت إن كان فقيرًا لا يجد ما يرضخ به؟ قال: «**يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر**». قال: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن كان عَيِيًّا لا يستطيع أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر؟ قال: «**يصنع لأخرق**». قلت: أرأيت إن كان أخرق لا يستطيع أن يصنع شيئًا؟ قال: «**يُعين مغلوبًا**». قلتُ: أرأيت إن كان ضعيفًا لا يستطيع أن يعين مغلوبًا؟ قال: «**ما تريد أن يكون في صاحبك من خير! يُمْسك عن أذى الناس**».

فقلتُ: يا رسول الله، إذا فعل ذلك دخل الجنة؟ قال: «**ما من مسلم يفعل خَصلة من هؤلاء إلَّا أَخَذتْ بيده حتى تدخله الجنة**»(١).

هذا الحديث يدعو المسلم مهما يكن ضعيفًا في قدرته الماليَّة أو المهنيَّة أو الجسديَّة، أن يُؤدِّي ما يستطيع لخدمة المجتمع ولرفعته ونمائه، إسهامًا منه في خيره، فإن لم يستطع فعليه أن يمسك عن أذى الناس، حتى يمكنه دخول الجنة.

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عُودًا عُودًا، فأيّ قلب أُشربها نُكِتت فيه نُكْتة سوداء، وأيُّ قلب أنكرها نُكِتت فيه نُكْتة بيضاء، حتى تصير على قَلبين: على أبيضَ مثل الصَّفا، فلا تضرُّه فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مُربادًّا كالكوز مُجَخِّيًا، لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا، إلَّا ما أُشْرِب من هواه**»(٢).

---

(١) رواه الطبراني (١٥٦/٢)، وابن حبان في البر والإحسان (٣٧٣)، والحاكم في الإيمان (٦٣/١)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني لغيره في الصحيحة (٢٦٦٨).

(٢) رواه مسلم في الإيمان (١٤٤). وقوله: مُجَخِّيًا هو بميم مضمومة، ثم جيم مفتوحة، ثم خاء معجمة مكسورة: يعني مائلًا، وفسره بعض الرواة بأنَّه المنكوس.

QaradawiBooks.com

فذكر في وصف صاحب القلب الأسود المرباد أنَّه لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا.

ومعنى الحديث: أنَّ القلب إذا افتُتِن، وخرجت منه حرمة المعاصي والمنكرات، خرج منه نور الإيمان، كما يخرج الماء من الكوز إذا مال أو انتكس.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**إذا رأيتَ أمَّتي تهاب أن تقول للظالم: يا ظالم. فقد تُوُدِّع منهم**»(١).

أي: استوى وجودهم وعدمهم، أو تُركوا وخُذلوا وحُرموا من تأييد الله تعالى. فهو لا يريد من المسلم الاستكانة، ولكنَّه يُجرِّئه على أن يرفع رأسه، ويعلي صوته، في وجه الظالم المتجبِّر في الأرض. والله معه، والمؤمنون معه، والملائكة بعد ذلك ظهير.

وعن عُرْس بن عَميرة الكِندي رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إذا عُملت الخطيئة في الأرض، كان مَنْ شهدها وكرهها ـ وفي رواية: فأنكرها ـ كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها**»(٢).

ومعنى هذا: أن أخطر الأشياء هو الرضا بالمعصية، فمن رضيَها ولو كان غائبًا عنها، كان كمن شهدها وشارك فيها، أمَّا من شهدها، ولكنَّه كرهها وأنكرها بلسانه أو بقلبه على قدر استطاعته، كان كمن غاب عنها.

وعن ابن عباس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**ليس مِنَّا من لم يرحم صغيرنا، ويُوقِّر كبيرنا، ويأمر بالمعروف، ويَنْهَ عن المنكر**»(٣).

---

(١) سبق تخريجه صـ٦٤٥.

(٢) رواه أبو داود في الملاحم (٤٣٤٥)، وحسَّنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٢٣).

(٣) رواه أحمد (٢٣٢٩)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والترمذي في البر والصلة (١٩٢١)، واستغربه. وابن حبان في البر والإحسان (٤٥٨).

QaradawiBooks.com

دلَّ هذا الحديث على أمور مهمة من مقومات للمجتمع المسلم، مَن حافظ عليها، كان جزءًا من هذا المجتمع، ومن أضاعها، فلا يجوز أن يعدَّ نفسه من هذا المجتمع، ويبرأ الرسول منه. من هذه الأساسيات: رحمة الصغير، وتوقير الكبير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

من ترك هذه الأمور، فقد قال رسولنا: ليس منا، ليحاول أن يستعيد حياته الإسلاميَّة، وصلته الربَّانية والمحمديَّة.

دلالة هذه الأحاديث على وجوب إنكار المنكر بحسب القدرة عليه:

هذه الأحاديث وغيرها تدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد ذكر الإمام ابن رجب بعضًا منها وذكر غيرها في «جامع العلوم والحكم» ثم قال الإمام: «فدلَّت هذه الأحاديث كلها على وجوب إنكار المنكر بحسب القدرة عليه، وأن إنكاره بالقلب لا بد منه، فمن لم ينكر قلبه المنكر، دلَّ على ذهاب الإيمان من قلبه.

وقد رُوي عن أبي جُحيفة، قال: قال علي: إن أول ما تُغلبون عليه من الجهاد: الجهاد بأيديكم، ثم الجهاد بألسنتكم، ثم الجهاد بقلوبكم، فمن لم يعرف قلبُه المعروفَ، وينكر قلبُه المنكرَ، نُكِس فجعل أعلاه أسفله[1].

وسمع ابن مسعود رجلًا يقول: هلك من لم يأمر بالمعروف، ولم ينْه عن المنكر، فقال ابن مسعود: هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر[2]. يشير إلى أن معرفة المعروف والمنكر بالقلب فرض لا يسقط عن أحد، فمن لم يعرفه هلك.

(١) رواه ابن أبي شيبة في الفتن (٣٨٧٣٣).

(٢) رواه نعيم بن حماد في الفتن (٤١١)، وابن أبي شيبة في الفتن (٣٨٧٣٦).

QaradawiBooks.com

الإنكار باليد واللسان بحسب الطاقة:

وأمَّا الإنكار باللسان واليد، فإنما يجب بحسب الطاقة، وقال ابن مسعود: يوشك مَن عاش منكم أن يرى منكرًا لا يستطيع له غير أن يعلم الله من قلبه أنَّه له كاره[١].

الإنكار بالقلب فرضٌ على كل مسلم في كل حال:

فتبيَّن بهذا أنَّ الإنكار بالقلب فرضٌ على كل مسلم، في كل حال، وأمَّا الإنكار باليد واللسان فبحسب القدرة، كما في حديث أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «**ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي، ثم يقدرون على أن يغيِّروا، فلا يغيِّروا، إلَّا يوشك أن يعمَّهم الله بعقاب**». أخرجه أبو داود بهذا اللفظ، وقال: قال شعبة فيه: «**ما من قومٍ يُعمل فيهم بالمعاصي هم أكثر ممن يعمله**»[٢].

وخرَّج أيضًا من حديث جرير: سمعت النبيَّ ﷺ يقول: «**ما من رجُلٍ يكون في قوم يَعمَل فيهم بالمعاصي، يقدرون أن يغيِّروا عليه، فلا يُغيِّرون، إلَّا أصابهم الله بعقاب قبل أن يموتوا**»[٣].

وخرَّجه الإمام أحمد، ولفظه: «**ما من قومٍ يُعمَل فيهم بالمعاصي هم أعزُّ وأكثر ممن يعمله، فلم يغيّروه، إلَّا عمَّهم الله بعقابٍ**»[٤].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في الفتن (٣٨٧٣٧).

(٢) سبق تخريجه صـ٨٩٦.

(٣) رواه أبو داود في الملاحم (٤٣٣٩)، وابن ماجه في الفتن (٤٠٠٩)، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (٣٣٥٣).

(٤) رواه أحمد (١٩٢٥٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وخرَّج أيضًا من حديث عديّ بن عَميرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ الله لا يعـذِّب العامَّة بعمل الخاصَّة، حتى يَـروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكـروه، فلا ينكرونه، فإذا فعلوا ذلك، عذَّب الله الخاصَّة والعامَّة**»[(١)].

وعن أبي سعيدٍ الخُدْري، قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «**إنَّ الله ليسأل العبدَ يومَ القيامة، حتى يقول: ما منعك إذا رأيتَ المنكر أن تُنكره؟ فإذا لقَّن اللهُ عبدًا حُجَّته، قال: يا رب، رجوتُك، وفَرِقْتُ الناس**»[(٢)].

وعن أبي سعيد أيضًا، عن النبي ﷺ أنَّه قال في خطبته: «**ألا لا يمنعنَّ رجلًا هيبةُ الناس أن يقول بحقٍّ إذا علمه**»[(٣)]. وبكى أبو سعيد، وقال: قد والله رأينا أشياء، فهِبنا.

وهذا الحديث محمول على أن يكون المانع لـه من الإنكار مجرَّدَ الهيبة، دون الخوف المسقط للإنكار.

أمر السلطان بالمعروف ونهيه عن المنكر:

قال سـعيد بن جبير: قلت لابـن عباس: آمرُ السـلطانَ بالمعروف، وأنهاه عـن المنكر؟ قال: إن خفت أن يقتلك، فـلا. ثم عدت، فقال لي

(١) رواه أحمد (١٧٧٢٠)، وقال مخرِّجوه: حسـن لغيره. وابن أبي شيبة في مسنده (٥٨٦)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٤٣١).

(٢) رواه أحمد (١١٢٤٥)، وقال مخرِّجوه: إسـناده حسن. وابن ماجه في الفتن (٤٠١٧)، وعبد بن حميد (٩٧٤)، وأبو يعلى (١٣٤٤)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٢٤٤).

(٣) رواه والترمذي (٢١٩١)، وحسَّنه، وابن ماجه (٤٠٠٧)، كلاهما في الفتن، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٢٣٧).

QaradawiBooks.com

مثل ذلك، ثم عدتُ، فقال لي مثل ذلك، وقال: إن كنت لا بد فاعلًا، ففيما بينك وبينه[١].

وقال طاوس: أتى رجلٌ ابنَ عباس، فقال: ألا أقوم إلى هذا السلطان، فآمره وأنهاه؟ قال: لا تكن له فتنة. قال: أفرأيتُ إن أمرني بمعصية الله؟ قال: ذلك الذي تريد، فكن حينئذٍ رجلًا[٢].

وعن ابن مسعود أن رسول ﷺ قال: «**ما من نبيٍّ بعثه الله في أُمَّة قبلي إلَّا كان له من أُمَّته حواريون وأصحاب يأخذون بسُنَّته، ويقتدون بأمره، ثم إنَّها يخلف من بعدهم خُلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده، فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**»[٣]. وهذا يدل على جهاد الأمراء باليد.

وقد استنكر الإمام أحمد هذا الحديث في رواية أبي داود، وقال: هو خلاف الأحاديث التي أمر رسول الله ﷺ فيها بالصبر على جَور الأئمة.

وقد يجاب عن ذلك: بأنَّ التغيير باليد لا يستلزم القتال. وقد نصَّ على ذلك أحمد أيضًا في رواية صالح، فقال: التغيير باليد ليس بالسيف والسلاح. وحينئذٍ فجهاد الأمراء باليد: أن يُزيل بيده ما فعلوه من المنكرات، مثل أن يُريق خمورهم، أو يكسر آلات الملاهي [أي:

---

(١) رواه سعيد بن منصور في التفسير (١٦٥٧/٤)، وابن أبي الدنيا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٨٠)، والبيهقي في الشعب (٧١٨٦).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١٠٤)، والبيهقي في الشعب (٧١٨٧).

(٣) سبق تخريجه صـ٨٩٤.

QaradawiBooks.com

المحرّمة] التي لهم، ونحو ذلك، أو يُبطل بيده ما أمروا به من الظلم إن كان له قدرة على ذلك، وكل هذا جائز، وليس هو من باب قتالهم، ولا من الخروج عليهم الذي ورد النهي عنه، فإن هذا أكثر ما يخشى منه أن يقتل الآمر وحده»[١].

تخشين القول ومنع المنكر بالقهر حق للحاكم وليس للرعية:

وأنقل هنا ما قاله أبو حامد الغزالي في إحيائه والذي يتوافق مع ما قاله ابن رجب الحنبلي، قال الإمام الغزالي مُبيِّنًا درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: «أوله: التعريف. وثانيه: الوعظ. وثالثه: التخشين في القول. ورابعه: المنع بالقهر في الحمل على الحق بالضرب والعقوبة. والجائز من جملة ذلك مع السلاطين الرتبتان الأُوليان، وهما التعريف والوعظ.

وأمَّا المنع بالقهر، فليس ذلك لآحاد الرعيَّة مع السلطان، فإن ذلك يحرِّك الفتنة، ويُهيِّج الشر، ويكون ما يتولَّد منه من المحذور أكثر.

وأمَّا التخشين في القول كقوله: يا ظالم. يا من لا يخاف الله. وما يجري مجراه، فذلك إن كان يحرك فتنة يتعدَّى شرها إلى غيره لم يجز، وإن كان لا يخاف إلَّا على نفسه، فهو جائز، بل مندوب إليه. فلقد كان من عادة السلف التعرض للأخطار، والتصريح بالإنكار، من غير مبالاة بهلاك المُهجة، والتعرض لأنواع العذاب، لعلمهم بأن ذلك شهادة»[٢].

(١) جامع العلوم والحكم (٢/٢٤٥ ـ ٢٤٩).
(٢) إحياء علوم الدين (٢/٣٤٣).

QaradawiBooks.com

الخروج بالسيف على الحكام:

قال الحافظ ابن رجب: «وأمَّا الخروج عليهم بالسيف، فيُخشى منه الفِتنُ التي تُؤدِّي إلى سفك دماء المسلمين. نعم، إنْ خشي في الإقدام على الإنكار على الملوك: أن يؤذي أهلَه أو جيرانه، لم ينْبَغِ له التعرُّض لهم حينئذٍ، لما فيه من تعدِّي الأذى إلى غيره، كذلك قال الفضيل بن عياض وغيره. ومع هذا، فمتى خاف منهم على نفسه السيف أو السوط، أو الحبس، أو القيد، أو النفي، أو أخذ المال، أو نحو ذلك من الأذى، سقط أمرُهم ونهيُهم، وقد نصَّ الأئمة على ذلك، منهم: مالك وأحمد وإسحاق وغيرهم.

قال أحمد: لا يُتعرَّض للسلطان، فإن سيفَه مسلول.

وقال ابن شُبرمة: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر كالجهاد، يجب على الواحد أن يصابر فيه الاثنين، ويَحْرُم عليه الفرارُ منهما، ولا يجب عليهم مصابرة أكثر من ذلك.

فإن خاف السَّبَّ، أو سماعَ الكلام السيئ، لم يسقط عنه الإنكار بذلك. نصَّ عليه الإمام أحمد.

وإن احتمل الأذى، وقَوِي عليه، فهو أفضل، نصَّ عليه أحمد أيضًا.

وقيل له: أليس قد جاء عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**ليس للمؤمن أن يُذِلَّ نفسه**»، أن يُعَرِّضها من البلاء لما لا طاقة له به[1]. قال: ليس هذا من ذلك.

(١) رواه أحمد (٢٣٤٤٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي (٢٢٥٤)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه (٤٠١٦)، كلاهما في الفتن، وحسَّنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٢٤٣).

QaradawiBooks.com

ويدلُّ على ما قالــه ما خرّجه أبو داود، وابن ماجــه، والترمذي من حديث أبي سعيد

عن النبي ﷺ، قال: «**أفضلُ الجهاد كلمةُ عدل عند سلطان جائر**»[١]. وخرَّج ابن ماجه معناه من حديث أبي أمامة[٢]»[٣].

وأقول هنا: إنَّ الخروج على الحــكام المنهي عنه في الأحاديث، وفي كلام الفقهاء، إنَّما هو الخروج المســلح، أمَّــا طرق المعارضة الأخرى (أو الإنــكار بالاصطلاح الشــرعي) من العصيــان المدني والمظاهرات والمعارضة السياســية وغيرها، فليست من المنهي عنه في الأحاديث.

الحافظ ابن رجب يرى سقوط الأمر والنهي عند عدم القبول والانتفاع به:

قال الحافظ ابن رجب: «وقد ورد ما يُســتدلُّ به على ســقوط الأمر والنهي عند عدم القبول والانتفاع به.

ففي سُــنَن أبي داود، عن عبد الله بن عمرو قــال: بينما نحن حول رســول الله ﷺ، إذ ذكر الفتنة، فقال: «**إذا رأيتُم الناس مَرَجَتْ عهودهم، وخفَّت أماناتهم، وكانوا هكذا**». وشبَّك بين أصابعه، فقمت إليه، فقلتُ: كيف أفعل عند ذلك، جعلني الله فداك؟ قال: «**الزمْ بَيْتَك، واملِكْ عليك**

(١) سبق تخريجه صـ٨٩٣.

(٢) رواه ابن ماجه في الفتن (٤٠١٢)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٠٧): حسن صحيح.

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/٢٤٩، ٢٥٠).

QaradawiBooks.com

لسانك، وخُذْ بما تعرف، ودعْ ما تُنْكر، وعليك بأمر خاصَّة نفسك، ودع عنك أمر العامَّة»[١].

وكذلك رُوي عن طائفة من الصحابة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ [المائدة: ١٠٥]. قالوا: لم يأتِ تأويلُها بعد، إنَّما تأويلها في آخر الزمان[٢].

وعن ابن مسعود، قال: إذا اختلفت القلوب والأهواء، وأُلبِسْتم شِيَعًا، وذاق بعضكم بأس بعض، فيأمر الإنسان حينئذٍ نفسَه، حينئذٍ تأويل هذه الآية[٣].

وعن ابن عمر، قال: هذه الآية لأقوام يجيئون من بعدنا، إن قالوا لم يُقبل منهم[٤]. وقال جبير بن نُفَير، عن جماعة من الصحابة، قالوا: إذا رأيت شُحًّا مطاعًا، وهوًى متَّبعًا، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك، لا يضرُّك من ضلَّ إذا اهتديت[٥].

وعن مكحول، قال: لم يأتِ تأويلها بعد، إذا هاب الواعظ، وأنكر الموعوظ، فعليك حينئذٍ بنفسك، لا يضرك من ضلَّ إذا اهتديت[٦].

وعن الحسن: أنَّه كان إذا تلا هذه الآية، قال: يا لها من ثقة ما أوثقها! ومن سعة ما أوسعها![٧].

---

(١) رواه أحمد (٦٥٠٨)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وأبو داود (٤٣٤٢)، والحاكم (٤/٤٣٥)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، كلاهما في الفتن.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/١٤٢).

(٣) رواه القاسم بن سلام في الناسخ والمنسوخ (٥٢٦).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١١/١٣٩).

(٥) المصدر السابق (١١/١٤٢، ١٤٣).

(٦) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٥/١٧٩).

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/٢١٨) لعبد بن حميد وأبي الشيخ.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وهذا كله قد يُحمل على أن مَن عجز عن الأمر بالمعروف، أو خاف الضرر، سقط عنه.

وكلام ابن عمر يدل على أن من علم أنَّه لا يُقبل منه لم يجب عليه، كما حُكي روايةً عن أحمد، وكذا قال الأوزاعيُّ: مُرْ من ترى أن يقبل منك»[(١)].

لا يسقط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعدم الاستجابة:

ولكن بعض العلماء يرى أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يسقط على مَن علم أو غلبه الظن بعدم استجابة المأمور بالمعروف أو المنهي عن المنكر، بل يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لطلب رضا الله ﷻ، وإحياءً لهذه الشعيرة، ولتحجيم المنكر وتقليله، ولأنَّه أيضًا من الذكرى النافعة للمؤمنين التي ربما تؤثر ولو بعد حين، كما أنَّ القيام به عذر أمام الله. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

والمطلوب من المسلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الخير، ولو لم تتحقق النتائج المرجوة، إذ لو كانت الاستجابة شرطًا لما تعيَّن الإنكار القلبي على كل مسلم.

قال النووي: «قال العلماء ﷺ ولا يسقط عن المكلَّف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكونه لا يفيد في ظنه، بل يجب عليه فعله، فإنَّ الذكرى تنفع المؤمنين، وقد قدمنا أنَّ الذي عليه: الأمر والنهي، لا القبول»[(٢)].

(١) جامع العلوم والحاكم (٢/٢٥٢، ٢٥٣).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/٢٣).

QaradawiBooks.com

الإنكار باليد والتغيير بالقوة المادية:

الإنكار باليد إذا لم تخشَ منه مفسدة راجحة ليس مختصًّا بالحاكم، وهو قول جمهور العلماء، بل ادَّعى عليه الإجماع ابن عبد البر والجُوَيني، وقد دلَّ على ذلك الكتابُ والسُّنَّةُ، فقد قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]: «المقصودُ مِنْ هذه الآية أنْ تكونَ فِرْقةٌ من هذه الأمَّةِ مُتَصدِّيةً لهذا الشأنِ، وإن كان ذلك واجبًا على كلِّ فردٍ من الأمَّةِ بحسبِه، كما ثبتَ في صحيح مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من رأى منكم منكرا فلْيُغَيِّرْه بيدِه...**». ثم ساق الحديث[(١)].

وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال أبو بكرٍ الجصَّاصُ بعد أن ذكرَ طائفةً من الآياتِ في هذا الصَّددِ: «فهذه الآي ونظائرُها مُقتضيةٌ لإيجابِ الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المُنكر، وهي على منازلَ أولها: تغييرُه باليدِ ـ إذا أمكن ـ فإذا لم يمكن وكان في نفسِه خائفًا على نفسِه إذا أنكرَ بيدِه، فعليه إنكارُه بلسانِه، فإن تعذَّرَ ذلك لما وصفنا فعليه إنكاره بقلبِه»[(٢)].

وقال ابنُ عبد البرِّ رحمه الله: «وأجمع المسلمون على أنَّ تغيير المنكر واجبٌ على من قَدِرَ عليه، وإنَّه إذا لم يلحقه بتغييرِه إلَّا اللَّوم الذي

(١) تفسير ابن كثير (٩١/٢)، والحديث في صحيح مسلم (٤٩) من حديث أبي موسى الأشعري، قال الشيخ أحمد شاكر: وهم الحافظ ابن كثير وهما شديدا، فحديث: «من رأى منكم منكرًا» هو حديث أبي موسى.

(٢) أحكام القرآن للجصاص (٣٨/٢)، نشر دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

لا يتعدَّى إلى الأذى، فإنَّ ذلك لا يجب أن يمنعه، فإن لم يقدرْ فبلسانِه، فإن لم يقدرْ فبقلبِه، ليس عليه أكثر من ذلك، وإذا أنكر بقلبِه فقد أدَّى ما عليه إذا لم يسْتَطِعْ سوى ذلك»[١].

وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»: «والناس في تغيير المنكر والأمر بالمعروف على مراتب:

ففرض العلماء فيه: تنبيه الحكام والولاة، وحملهم على جادة العلم.

وفرض الولاة: تغييره بقوتهم وسلطانهم، ولهم هي اليد.

وفرض سائر الناس: رفعه إلى الحكام والولاة بعد النهي عنه قولًا. وهذا في المنكر الذي له دوام، وأمَّا إن رأى أحد نازلة بديهة من المنكر، كالسلب والزنى ونحوه، فيغيرها بنفسه بحسب الحال والقدرة، ويحسن لكل مؤمن أن يحتمل في تغيير المنكر وإن ناله بعض الأذى»[٢].

ولكن ينبغي أن يُعلم أنَّ التغيير باليد منوط بالقدرة، ومتعلِّق بالموازنة بين المصلحة والمفسدة، فلا يكون إنكاره مؤدِّيا لمنكر آخر أكبر منه، فلا ينكر المنكر إذا كان إنكاره يؤدي إلى مفسدة أرجح، وغالبًا ما يكون تصدِّي آحاد الناس لإنكار المنكر باليد مؤديًا إلى مفاسد راجحة، كما أنَّه لا يجوز إتلاف ما يستعمله مرتكب المنكر في وجه مباح، ولا إفساد ماله المحترم لما في ذلك من إضاعة المال.

فإذا ترتب عليه منكر أكبر، فلا يجوز عندئذ الإنكار باليد.

قال ابن القيم في «إعلام الموقعين»: «إنكار المنكر أربع درجات:

(١) التمهيد (٢٨١/٢٣).

(٢) المحرر الوجيز (٤٨٦/١).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الأولى: أن يزول ويخلفه ضده.

الثانية: أن يقل وإن لم يزل بجملته.

الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله.

الرابعة: أن يخلفه ما هو شرٌّ منه.

فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرَّمة»[1].

شروط تغيير المنكر باليد:

لتغيير المنكر شروط يجب أن يعلمها من يغير المنكر، أذكر منها ما ذكرته في كتابي: «فتاوى معاصرة» حيث قلت:

«كل ما هو مطلوب من الفرد المسلم، أو الفئة المسلمة، أن يراعي الشروط التي لا بد منها عند التغيير.

الشرط الأول: أن يكون مُحرَّمًا مجمعًا عليه:

أي أن يكون «منكرًا» حقًّا، ونعني هنا: المنكر الذي يطلب تغييره باليد أولًا، ثم باللسان، ثم بالقلب عند العجز.

ولا يطلق «المنكر» إلَّا على «الحرام» الذي طلب الشارع تركه طلبًا جازمًا، بحيث يستحق عقاب الله من ارتكبه. وسواء أكان هذا الحرام فِعْلَ محظور، أم ترْك مأمور.

وسواء أكان الحرام من الصغائر، أم من الكبائر، وإن كانت الصغائر قد يتساهل فيها ما لا يتساهل في الكبائر، ولا سيما إذا لم يُواظَب عليها،

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (١٢/٣).

QaradawiBooks.com

وقد قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

وقال ﷺ: «**الصلواتُ الخمس، والجمعةُ إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفِّراتٌ لما بينهن، إذا اجتُنبت الكبائر**»(١).

فلا يدخل في المنكر ـ إذن ـ المكروهات، أو ترك السنن والمستحبَّات، وقد صحَّ في أكثر من حديث أن رجلًا سأل النبي ﷺ عما فرض الله عليه في الإسلام، فذكر له الفرائض من الصلاة والزكاة والصيام، وهو يسأل بعد كل منها: هل عليّ غيرها؟ فيجيبه الرسول الكريم: «**لا، إلَّا أن تَطوَّع**» حتى إذا فرغ منها، قال الرجل: والله يا رسول الله، لا أزيد على هذا ولا أنقص، منه فقال عليه الصلاة والسلام: «**أفلح إن صدق**»، أو «**دخل الجنة إن صدق**»(٢).

وفي حديث آخر: «**مَن سرَّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فلْينظرْ إلى هذا**»(٣).

لا بد ـ إذن ـ أن يكون المنكر في درجة «الحرام»، وأن يكون منكرًا شرعيًّا حقيقيًّا، أي ثبت إنكاره بنصوص الشرع المحكمة، أو قواعده القاطعة، التي دلَّ عليها استقراء جزئيات الشريعة.

وليس إنكاره بمجرَّد رأي أو اجتهاد، قد يصيب وقد يُخطئ، وقد يتغيَّر بتغيُّر الزمان والمكان والعرف والحال.

---

(١) رواه مسلم في الطهارة (٢٣٣)، وأحمد (٩١٩٧)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٦)، ومسلم (١١)، كلاهما في الإيمان، عن طلحة بن عبيد الله.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٣٩٧)، ومسلم في الإيمان (١٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وكذلك يجب أن يكون مُجْمَعًا على أنَّه منكــر، فأما ما اختلف فيه العلماء المجتهدون قديمًا أو حديثًا، بيــن مجيز ومانع، فلا يدخل دائرة «المنكر» الذي يجب تغييره باليد، وخصوصًا للأفراد.

فإذا اختلف الفقهاء في حكم التصوير، أو الغناء بآلة، وبغير آلة، أو في كشف وجه المرأة وكفَّيها، أو في تولي المرأة القضاء ونحوه، أو في إثبات الصيام والفطــر برؤية الهلال في قطر آخــر، بالعين المجرَّدة، أو بالمرصد أو بالحســاب أو غير ذلك من القضايا التي طال فيها الخلاف قديمًا وحديثًا. لم يجُز لإنسان مسلم، أو لطائفة مسلمة أن تتبنى رأيًا من الرأيين، أو الآراء المختلف فيها، وتحمل الآخرين عليه بالعنف.

حتى رأي الجمهــور والأكثريَّة، لا يســقط رأي الأقــل، ولا يُلغي اعتباره، حتى لو كان المخالف واحدًا، ما دام من أهل الاجتهاد، وكم من رأي مهجور في عصر ما، أصبح مشهورًا في عصر آخر.

وكم ضُعِّف رأي لفقيه، ثم جاء مَن صحَّحه ونصره وقوَّاه، فأصبح هو المعتمد والمفتى به.

وهذه آراء شــيخ الإسلام ابن تيمية ومدرســته، في الطلاق وأحوال الأُسْرة، قد لقي من أجلها ما لقي في حياته، وظلت تقاوم قرونًا عدَّة بعد وفاته، ثم هيَّأ الله لها في عصرنا مَن نشــرها وأيَّدهــا، حتى غدت عمدة الإفتاء والقضاء والتقنين في كثير من الأقطار الإسلاميَّة.

إنَّ المنكر الذي يجب تغييره بالقوة لا بد أن يكون منكرًا بيِّنًا ثابتًا، اتفق أئمة المســلمين على أنَّه منكر، وبدون ذلك يفتح باب شر لا آخر له، فكل من يرى رأيًا يريد أن يحمل الناس عليه بالقوة!

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

في بعض الأقطار الإسلاميَّة قام مجموعة من الفتيان المتحمسين لتحطيم المحلات التي تبيع الدمى «العرائس واللعب» للأطفال؛ لأنَّها أصنام، وصور مجسَّمة تعتبر من أكبر الكبائر!

ولما قيل لهم: إنَّ العلماء من قديم أجازوا لعب الأطفال، لما فيها من امتهان الصورة، وانتفاء تعظيمها.. إلخ، قالوا: كان هذا في صور غير هذه الصور المتقنة التي تفتح عينيها وتغلقها.

قيل لهم: ولكن الطفل يرمي بها يمينًا وشمالًا، ويخلع ذراعها ورجلها، ولا يمنحها أي قدر من التعظيم أو التقديس. لم يجدوا جوابًا!

وفي بلاد إسلاميَّة أخرى قام بعض الشباب يحاول أن يغلق المطاعم ومحلات العصير والقهوة ونحوها بالقوة، حين أعلنت بعض الأقطار الإسلاميَّة بدء الصيام، ورؤية الهلال، فرأى هؤلاء المتحمسون أن رمضان قد ثبت، فلا يجوز المجاهرة بالإفطار.

ومثل ذلك ما قام به بعض الشباب المسلم الغيور في مصر في أحد أعياد الفطر حيث ترجَّح لدى الجهات الشرعيَّة في مصر عدم ثبوت شهر شوال لاعتبارات شتى، منها: قطع الفلك أن من المستحيل رؤية الهلال تلك الليلة. ولم يُر الهلال في مصر، ولكن بعض الأقطار أعلنت رؤية الهلال، فأصرَّ هؤلاء على أن يفطروا ويقيموا شعائر العيد وحدهم، ضد الدولة، وأغلبيَّة الأمة، وحدث من جراء ذلك صدام مع أجهزة الأمن لا مبرِّر له.

ورأيي أن هؤلاء وأولئك أخطؤوا من جملة أوجه:

الأول: أنَّ الفقهاء مختلفون في طريق إثبات الهلال، فمنهم مَن اكتفى بشاهد واحد، ومنهم من طلب شاهدين، ومنهم من اشترط في حالة

QaradawiBooks.com

الصحو شهادة الجمع الغفير، ولكلٍّ أدلته ووجْهته. فلا يجوز إجبار الناس على مذهب واحد، من غير ذي سلطة.

الثاني: أنهم اختلفوا كذلك في مسألة اعتبار اختلاف المطالع أو عدم اعتبارها، وفي عدد من المذاهب: أن لكل بلد رؤيته، ولا يلزم بلد برؤية بلد آخر، وهو مذهب ابن عباس ومن وافقه، كما هو معروف من حديث كريب في صحيح مسلم[١].

الثالث: أن من المقرَّر في الفقه: أن حكم الإمام أو القاضي في الأمور الخلافيَّة يرفع الخلاف، ويلزم الأمة اتباعه. ولهذا إذا أخذت السلطات الشرعيَّة بقول إمام أو اجتهاد مذهب في هذه القضايا فالواجب اتِّباعها، وعدم تفريق الصف.

وقد قلت في بعض ما أفتيت به: إذا لم نصل إلى وحدة المسلمين جميعًا في الصيام والفطر، فعلى الأقل يجب أن يتَّحد أهل البلد الواحد في شعائرهم، فلا يقبل بحال أن ينقسم أهل البلد الواحد إلى فريقين: فريق صائم وفريق مفطر.

ولكن هذا الخطأ في الاجتهاد من شباب مخلصين لا يقاوم بالرصاص، بل بالإقناع»[٢].

الشرط الثاني: ظهور المنكر

أي أن يكون المنكر ظاهرًا مرئيًّا، فأما ما استخفى به صاحبه عن أعين الناس وأغلق عليه بابه، فلا يجوز لأحد التجسُّس عليه، بوضع

(١) في الصيام (١٠٨٧).

(٢) فتاوى معاصرة (٦٨٣/٢ ـ ٦٨٦)، نشر دار الوفاء، ط ٣، ١٩٩٤م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أجهزة التصنُّت عليه، أو كاميرات التصوير الخفية، أو اقتحام داره عليه لضبطه متلبِّسًا بالمنكر.

وهذا ما يدل عليه لفظ الحديث: «**من رأى منكم منكرًا فلْيُغيِّرْه**»، فقد ناط التغيير برؤية المنكر ومشاهدته، ولم يَنُطه بالسماع عن المنكر من غيره.

وهذا لأنَّ الإسلام يدع عقوبة من استتر بفعل المنكر ولم يتبجَّح به إلى الله تعالى يحاسبه في الآخرة، ولم يجعل لأحدٍ عليه سبيلًا في الدنيا، حتى يُبدي صفحته ويكشف ستره.

حتى إنَّ العقاب الإلٰهي ليُخفَّف كثيرًا على من استتر بسِتْر الله، ولم يظهر المعصية كما في الحديث الصحيح: «**كل أُمَّتي معافًى إلَّا المجاهرين**»[(١)].

لهذا لم يكن لأحد سلطان على المنكرات الخفية، وفي مقدمتها معاصي القلوب من الرياء والنفاق والكبر والحسد والشح والغرور ونحوها... وإن اعتبرها الدِّين من أكبر الكبائر، ما لم تتجسد في عمل ظاهر، وذلك لأننا أُمِرْنا أن نحكم بالظواهر، ونكل إلى الله تعالى السرائر.

ومن الوقائع الطريفة التي لها دلالتها في هذا المقام ما وقع لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو ما حكاه الغزالي في كتاب «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» من «الإحياء»: أن عمر تسلَّق دار رجل، فرآه على حالة مكروهة، فأنكر عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، إن كنتُ أنا قد عصيتُ الله من وجه واحد، فأنت قد عصيتَه من ثلاثة أوجه، فقال: وما

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٦٩)، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٩٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

هي؟ قال: قد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات: ١٢]، وقد تجسَّستَ، وقال تعالى: ﴿وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]، وقد تسوَّرت من السطح، وقال تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧] وما سلمت، فتركه عمر، وشرط عليه التوبة[1].

الشرط الثالث: أن يكون مريد التغيير باليد قادرًا على التغيير:

ومن الشروط أيضًا: أن يكون مريد التغيير باليد قادرًا بنفسه أو بمن معه من أعوان على التغيير بالقوة.

بمعنى أن يكون لديه قوة ماديَّة أو معنويَّة تُمكِّنه من إزالة المنكر بسهولة.

وهذا الشرط مأخوذ من حديث أبي سعيد أيضًا؛ لأنَّه قال: «**فمن لم يستطع، فبلسانه**». أي: فمن لم يستطع التغيير باليد، فليدع ذلك لأهل القدرة، وليكتفِ هو بالتغيير باللسان والبيان، إن كان في استطاعته.

وهذا في الغالب إنَّما يكون لكلِّ ذي سلطان في دائرة سلطانه، كالزوج مع زوجته، والأب مع أبنائه وبناته، الذين يعُولهم ويلي أمورهم، وصاحب المؤسسة في داخل مؤسسته، والأمير المطاع في حدود إمارته أو سلطته، وحدود استطاعته.. وهكذا.

وإنَّما قلنا: القوة الماديَّة أو المعنويَّة؛ لأن سلطة الزوج على زوجته أو الأب على أولاده، ليست بما يملك من قوة ماديَّة، بل بما له من احترام وهيبة تجعل كلمته نافذة، وأمره مطاعًا.

(١) انظر: إحياء علوم الدين للغزالي (٢/٣٢٥).

QaradawiBooks.com

إذا كان المنكر من جانب الحكومة:

هنا تظهر مشكلة، إذا كان المنكر من جانب الحكومة أو الدولة، التي تملك مقاليد القوة الماديَّة والعسكريَّة، ماذا للأفراد والفئات أو عليهم أن يعملوا لتغيير المنكر الذي ترتكبه السلطة أو تحميه؟

والجواب: أنَّ عليهم أن يملكوا القوة التي تستطيع التغيير، وهي في عصرنا إحدى ثلاث:

الأولى: القوات المسلحة التي يستند إليها كثير من الدول في عصرنا ـ ولا سيما في العالم الثالث ـ في إقامة حكمها، وتنفيذ سياستها، وإسكات خصومها بالحديد والنار، فالعمدة لدى هذه الحكومات ليس قوة المنطق، بل منطق القوة، فمن كان معه هذه القوات استطاع أن يضرب بها كل تحرك شعبي يريد التغيير، كما رأينا ذلك في بلاد شتى آخرها في سوريا واليمن ومصر وليبيا.

الثانية: المجلس النيابي الذي يملك السلطة التشريعيَّة، وإصدار القوانين وتغييرها، وفْقًا لقرار الأغلبية، المعمول به في النظام الديمقراطي، فمن ملك هذه الأغلبية في ظل نظام ديمقراطي حقيقي غير مزيَّف، أمكنه تغيير كل ما يرى من منكرات بوساطة التشريع الملزم، الذي لا يستطيع وزير، ولا رئيس حكومة، ولا رئيس دولة أن يقول أمامه: لا.

الثالثة: قوة الجماهير الشعبيَّة العارمة التي تشبه الإجماع، والتي إذا تحركت لا يستطيع أحد أن يواجهها، أو يصدَّ مسيرتها؛ لأنَّها كموج البحر الهادر أو السيل العرم، لا يقف أمامه شيء، حتى القوات المسلحة نفسها؛ لأنَّها في النهاية جزء منها، وهذه الجماهير ليسوا إلَّا أهليهم

QaradawiBooks.com

وآباءهم وأبناءهم وإخوانهم. كما رأينا ذلك بوضوح في ثورات شعوب العالم، وثورة تونس ومصر وليبيا.

فمن لم يملك إحدى هذه القوى الثلاث، فما عليه إلَّا أن يصبر ويصابر ويرابط، حتى يملكها، وعليه أن يغيِّر باللسان والقلم، والدعوة والتوعية والتوجيه، حتى يوجد رأيًا عامًّا قويًّا يطالب بتغيير المنكر، وأن يعمل على تربية جيل طليعي مؤمن يتحمل تبعة التغيير[(١)].

الشرط الرابع: ألا يخشى من أن يترتَّب على إزالة المنكر بالقوة منكر أكبر منه، كأن يكون سببًا لفتنة تسفك فيها دماء الأبرياء، وتنتهك الحرمات، وتنتهب الأموال، وتكون العاقبة أن يزداد المنكر تمكنًا، ويزداد المتجبرون تجبرًا وفسادًا في الأرض.

ولهذا قرَّر العلماء مشروعيَّة السكوت على المنكر مخافة ما هو أنكر منه وأعظم، ارتكابًا لأخف الضَّرَرين، واحتمالًا لأهون الشرين.

وفي هذا جاء الحديث الصحيح، أنَّ النبي ﷺ قال لعائشة: «**لولا أن قومَكِ حديثو عهد بشرك، لبنيتُ الكعبة على قواعد إبراهيم**»[(٢)].

وفي القرآن الكريم ما يؤيِّد ذلك، وهو موقف هارون عليه السلام مع قومه في قصة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل، حين ذهب إلى موعده مع ربه، الذي بلغ أربعين ليلة، وفي هذه الغيبة فتنهم السامري بعِجْله الذهبي، حتى عبده القوم، ونصحهم أخوه هارون، فلم ينتصحوا وقالوا: ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٩١].

---

(١) انظر: فتاوى معاصرة (٦٨٤/٢ ـ ٦٨٩)، وفقه الجهاد (١١٤٩/٢ ـ ١١٥٢)، نشر مكتبة وهبة، ط ٣، ٢٠٠٩م.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٥٨٣)، ومسلم (١٣٣٣)، كلاهما في الحج.

غير مرخصة للطباعة
نسخة كيلة
QaradawiBooks.com

وبعد رجوع موسى ورؤيته لهذا المنكر البشع ـ عبادة العجل ـ اشتدَّ على أخيه في الإنكار، وأخذ بلحيته يجره إليه من شدة الغضب، ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ۞ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ۞ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٢ ـ ٩٤].

ومعنى هذا: أن هارون قدَّم الحفاظ على وحدة الجماعة في غَيْبة أخيه الأكبر، حتى يحضر، ويتفاهما معًا كيف يواجهان الموقف الخطير بما يتطلبه من حزم وحكمة.

هذه هي الشروط التي يجب أن تتوافر لمن يريد تغيير المنكر بيده، وبتعبير آخر: بالقوة المادية المرغمة.

تغيير المنكرات الجزئيَّة ليس علاجًا:

وأودُّ أن أنبَّه هنا على قضية في غاية الأهمية لمن يشتغلون بإصلاح حال المسلمين، وهي أنَّ التخريب الذي أصاب مجتمعاتنا، خلال عصور التخلف، وخلال عهود الاستعمار الغربي، وخلال عهود الطغيان والحكم العلماني؛ تخريب عميق ممتد، لا يكفي لإزالته تغيير منكرات جزئيَّة، كحفلة غناء ماجن، أو تبرج امرأة في الطريق، أو بيع أشرطة «كاسيت» أو «فيديو» تتضمن ما لا يليق أو ما لا يجوز.

إنَّ الأمر أكبر من ذلك وأعظم، لا بد من تغيير أشمل وأوسع وأعمق.

تغيير يشمل الأفكار والمفاهيم، ويشمل القيم والموازين، ويشمل الأخلاق والأعمال، ويشمل الآداب والتقاليد، ويشمل الأنظمة والتشريعات.

QaradawiBooks.com

وقبل ذلك لا بد أن يتغير الناس من داخلهم بالتوجيه الدائم، والتربية المستمرة، والأسوة الحسنة، فإذا غيَّر الناس ما بأنفسهم كانوا أهلًا لأن يغير الله ما بهم وفق السُّنَّة الثابتة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١][1].

نظام الحِسْبة في الإسلام:

اختار الإمام الغزالي في «الإحياء» عبارة «الحسبة» بدلًا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي نظام اتَّخذه المسلمون، وعيَّنوا له رجالًا لهم فهم شرعي، ولهم سلطة تنفيذيَّة، أشبه بعصرنا بما يسمى بالضبطية القضائية.

وقد سمى الفقهاء الآمرَ الناهيَ بالمحتسِب، وسموا عمله احتسابًا؛ لأنَّه يحتسب ذلك العمل عند الله.

فالحِسبة لغة: مشتقة من الاحتساب وهو طلب الأجر كما في الحديث: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا**». أي طلبًا للأجر من الله تعالى.

والحسبة عند الفقهاء: أمرٌ بالمعروف إذا ظهر ترْكُه، ونهيٌ عن المنكر إذا ظهر فعله.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أعم من الحسبة، فيؤمر بالمعروف وإن لم يترك، وينهى عن المنكر وإن لم يرتكب، كما يفعل الخطباء والعلماء من الحث على فعل الخيرات وترك المنكرات، فتكون الحِسْبة أخص من حيث إنَّها تتعلق بالمعروف الذي ترك، والمنكر الذي فعل».

(١) فتاوى معاصرة (٦٩٠/٢، ٦٩١)، وفقه الجهاد (١١٥٤/٢، ١١٥٥).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أركان الحسبة وشروطها:

قال الإمام الغزالي: «اعلـــم أنَّ الأركان في الحســـبة التي هي عبارة شاملة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أربعة: **المحتسِب، والمحتَسَب عليه، والمحتسَب فيه، ونفس الاحتساب.**

فهذه أربعة أركان، لكلِّ واحد منها شروطه:

• الركن الأول: المُحْتَسِب

وله شـــروط خمســـة فصَّلها الإمام الغزالي، وســـننقلها هنا أو أهم ما فيها؛ ليعرف القارئ المسلم ما فيها من فقه يجب معرفته.

١ ـ شرط التكليف:

الشرط الأول: وهو التكليف، فلا يخفى وجه اشتراطه، فإنَّ غير المكلَّف لا يلزمه أمر، وما ذكرناه أردنا به شرط الوجوب، فأما إمكان الفعل وجوازه، فلا يستدعي إلَّا العقل؛ حتى إنَّ الصبي المراهِق للبلوغ المميِّز وإن لم يكن مكلفًا، فله إنكار المنكر، وله أن يريق الخمر ويكســـر الملاهي، وإذا فعل ذلك نال به ثوابًا، ولم يكن لأحد منعه من حيث إنَّه ليس بمكلَّف.

٢، ٣ ـ شرطا الإيمان والعدالة:

الشرط الثاني: وهو الإيمان، فلا يخفى وجه اشتراطه؛ لأن هذا نصرة للدين، فكيف يكون من أهله من هو جاحد لأصل الدين وعدوٌّ له؟

الشـــرط الثالث: وهو العدالة، فقد اعتبرها قوم، وقالوا: ليس للفاسق أن يحتسب»[1].

(١) إحياء علوم الدين (٣١٢/٢).

QaradawiBooks.com

الرد على من منع الفاسق من الاحتساب:

وقد ذكر الغزالي ما ربما يستدل به هؤلاء من النكير الوارد على من يأمر بما لا يفعله، مثل قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣].

وما روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأيت ليلة أُسْرِيَ بي رجالًا تُقرض شفاههم بمقاريض من النار، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: الخطباء من أمتك، الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون؟**»[(١)].

وفي رواية قال: «**أتيتُ ليلةَ أسري بي على قوم تُقرض شفاهُهم بمقاريض من نار، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: خطباء أُمَّتِك الذين يقولون ما لا يفعلون، ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون به**»[(٢)].

وقد أورد المنذري في «الترغيب والترهيب» هذين الحديثين في الترهيب من أن يأمر بمعروف وينهى عن منكر ويخالف قولُه فعلَه، وقد انتقيتهما منه مع حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يُؤْتى بالرجل يوم القيامة، فيُلْقَى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار في الرَّحى، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يا فلان، ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر؟! فيقول: بلى، كنت آمرُ بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه**»[(٣)].

---

(١) رواه أحمد (١٢٢١١)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وابن أبي الدنيا في الصمت (٤٥)، وابن حبان في الإسراء (٥٣).

(٢) رواه البيهقي في الشعب (١٦٣٧)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (١٢٩).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٦٧)، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٨٩).

QaradawiBooks.com

والجواب عن هذا الاستدلال: أنَّ الوعيد على ترك المعروف وليس على الأمر بالمعروف، فإنَّ الذم في الآية الأولى ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤] إنَّما هو على ترك البر لا على الأمر بالبر.

قال القرطبي: «اعلم وفَّقك الله تعالى أنَّ التوبيخ في الآية بسبب ترك فعل البر لا بسبب الأمر بالبر، ولهذا ذمّ الله تعالى في كتابه قومًا كانوا يأمرون بأعمال البر ولا يعملون بها، وبَّخهم به توبيخًا يُتْلَى على طول الدهر إلى يوم القيامة»[1].

وممَّا يجاب به عن تلك الشبهة، أن ترك أحد الواجبَيْن ليس مسوِّغًا لترك الواجب الآخر، فهناك واجبان على المسلم هما: فعل المعروف واجتناب المنكر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فإذا ما قصَّر الإنسان في أحد الواجبين فليس ذلك مُخَوِّلًا له أن يقصر في الواجب الثاني، فإذا كان على سبيل المثال مُقصِّرًا في الصلاة، فإنه يلزمه الأمر بها، وكذلك في جانب المنكر، إذا كان يأكل الربا مثلًا، فإنه يلزمه النهي عن أكل الربا.

فليس هذا الوعيد في الآيات والأحاديث في حق من يخالف فعلُه قوله فقط، وإنَّما لمن ترك الامتثال مع علمه بوجوب ذلك، وفعل المحذور مع علمه بوجوب تركه، ولذا دخل معه في النار من كان يأمرهم وينهاهم، فمن كان عالـمًا ويخالف ذلك كان هذا عقابه.

فارتكاب المعاصي ليس عُذْرًا في عدم قيامه بهذه الشعيرة، بل يجب عليه الأمر والنهي في حق نفسه، وكذلك في حق غيره، فإن أخلَّ

(١) تفسير القرطبي (٣٦٦/١).

QaradawiBooks.com

بأحدهمـــا لم يجُز له الإخـــلال بالآخر، ثم إنَّه لا يوجد أحد ســـالم من المعاصي البتة.

وقد ذكر المُناوي أنَّه قيل للحســـن: فلان لا يعظ، ويقول: أخاف أن أقول ما لا أفعل. قال: وأيُّنا يفعل ما يقول؟! ودَّ الشـــيطان لو ظفر بهذه منكم، فلا يأمر أحد بمعروف، ولا ينهى عن منكر[١]).

وقال ابن عطية: «قال بعـــض الأصوليين: فرضٌ على الذين يتعاطون الكؤوس أن ينهى بعضُهم بعضًا»[٢].

وقال حجة الإســـلام الغزالي في الرد على قول مشترطي العدالة فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بعد أن ذكر بعض ما يستدلون به من جهة القياس: «وكل ما ذكروه خيالات، وإنَّما الحق أن للفاسق أن يحتسب.

وبرهانه: هو أن نقول: هل يشـــترط في الاحتساب أن يكون متعاطيه معصومًا عن المعاصي كلها؟

فإن شَـــرَط ذلك، فهو خرْق للإجماع، ثم حسْم لباب الاحتساب، إذ لا عصمة للصحابة فضلًا عمَّن دونهم... ولهذا قال سعيد بن جبير: إن لم يأمر بالمعروف ولم ينْه عن المنكر إلَّا من لا يكون فيه شـــيء، لم يأمر أحد بشيء[٣]. فأعجب مالكًا ذلك من سعيد بن جبير»[٤].

---

(١) فيض القدير (٥٢٢/٥).

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٢٢٤/٢).

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره (٢٤٧/١).

(٤) إحياء علوم الدين (٣١٢/٢، ٣١٣).

QaradawiBooks.com

٤ ـ شرط الإذن من الإمام والراجح عدم اشتراطه:

قال الإمام الغزالي: «**الشرط الرابع:** كونه مأذونًا من جهة الإمام والوالي، فقد شرط قوم هذا الشرط، ولم يثبتوا للآحاد من الرعيَّة الحسبة.

وهذا الاشتراط فاسد؛ فإنَّ الآيات والأخبار التي أوردناها، تدل على أن كل من رأى منكرًا فسكت عليه عصى، إذ يجب نهيه أينما رآه، وكيفما رآه على العموم، فالتخصيص بشرط التفويض من الإمام تحكُّم لا أصل له.

فإن قيل: في الأمر بالمعروف إثبات سلطنة وولاية واحتكام على المحكوم عليه، ولذلك لم يثبت للكافر على المسلم مع كونه حقًّا، فينبغي ألَّا يثبت لآحاد الرعيَّة إلَّا بتفويض من الوالي وصاحب الأمر.

فنقول: أمَّا الكافر، فممنوع لما فيه من السلطنة وعز الاحتكام، والكافر ذليل، فلا يستحق أن ينال عزَّ التحكم على المسلم، وأمَّا آحاد المسلمين، فيستحقُّون هذا العز بالدين والمعرفة، وما فيه من عزِّ السلطنة والاحتكام لا يحوج إلى تفويض، كعزِّ التعليم والتعريف، إذ لا خلاف في أن تعريف التحريم والإيجاب لمن هو جاهل ومقدَّم على المنكر بجهله، لا يحتاج إلى إذن الوالي، وفيه عزُّ الإرشاد وعلى المعرِّف ذلك التجهيل، وذلك يكفي فيه مجرد الدين وكذلك النهي.

كما رُوِيَ أن مروان بن الحكم خطب قبل صلاة العيد، فقال له رجل: إنَّما الخطبة بعد الصلاة، فقال له مروان: اتركْ ذلك يا فلان. فقال أبو سعيد: أمَّا هذا، فقد قضى ما عليه، قال لنا رسول الله ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فلْيُنْكره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه،**

QaradawiBooks.com

وذلك أضعف الإيمان»[١]. فلقد كانوا فهموا مـــن هذه العمومات دخول السلاطين تحتها، فكيف يحتاج إلى إذنهم؟»[٢]

غير مرخصة للطباعة

٥ ـ قدرة المحتسب:

«**الشرط الخامس**: كونه قادرًا، ولا يخفى أنَّ العاجز ليس عليه حِسْبة إلَّا بقلبه، إذ كلُّ من أحب الله يكره معاصيه ويُنكرها.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: جاهدوا الكفار بأيديكم، فإن لم تستطيعوا إلَّا أن تكفهروا في وجوههم فافعلوا[٣].

واعلم أنَّه لا يقف سقوط الوجوب على العجز الحسِّي، بل يلتحق به ما يخاف عليه مكروهًـــا يناله، فذلك في معنى العجـــز، وكذلك إذا لم يَخَفْ مكروهًا، ولكن علم أن إنكاره لا ينفع، فليلتفت إلى معنيين:

أحدهما: عدم إفادة الإنكار امتناعًا، **والآخر**: خوف مكروه.

ويحصل من اعتبار المعنيين أربعة أحوال:

أحدها: أن يجتمع المعنيان بأن يعلم أنَّه لا ينفع كلامه، ويُضرب إن تكلم، فلا تجب عليه الحِسْـــبة، بل ربما تحرم في بعض المواضع، نعم يلزمه ألَّا يحضر مواضع المنكر، ويعتزل في بيته حتى لا يشـــاهد، ولا يخرج إلَّا لحاجة مهمة أو واجب، ولا يلزمه مفارقة تلك البلدة والهجرة، إلَّا إذا كان يُرهَق إلى الفساد، أو يُحْمَل على مساعدة السلاطين في الظلم

---

(١) سبق تخريجه صـ٨٩١، ٨٩٢.

(٢) الإحياء (٢/٣١٥، ٣١٦).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١١٦).

QaradawiBooks.com

والمنكرات، فيلزمه الهجرة إن قدر عليها، فإنَّ الإكراه لا يكون عذرًا في حقِّ من يقدر على الهرب من الإكراه.

الحالة الثانية: أن ينتفي المعنيان جميعًا، بأن يعلم أنَّ المنكر يزول بقوله وفعله، ولا يُقدَرَ له على مكروه، فيجب عليه الإنكار، وهذه هي القدرة المطلقة.

الحالة الثالثة: أن يعلم أنَّه لا يفيد إنكاره، لكنَّه لا يخاف مكروهًا، فلا تجب عليه الحسبة لعدم فائدتها، ولكن تُستحب لإظهار شعائر الإسلام، وتذكير الناس بأمر الدين.

الحالة الرابعة: عكس هذه، وهو أن يعلم أنَّه يُصاب بمكروه، ولكن يبطل المنكر بفعله، كما يقدر على أن يرمي زجاجة الفاسق بحجر فيكسرها، ويريق الخمر، ويتعطَّل عليه هذا المنكر، ولكن يعلم أنَّه يرجع إليه فيضرب رأسه، فهذا ليس بواجب، وليس بحرام، بل هو **مستحب**، ويدل عليه الخبر: «**كلمةُ حقٍّ عند إمام جائر**»[1] ولا شك في أن ذلك مظنَّة الخوف.

ويدل عليه أيضًا: ما رُوِيَ عن أبي سليمان الداراني رحمه الله أنَّه قال: سمعت من بعض الخلفاء كلامًا، فأردت أن أنكر عليه، وعلمت أنِّي أقتل، ولم يمنعني القتل، ولكن كان في ملأ من الناس، فخشيت أن يعتريني التزيُّن للخلق، فأقتل من غير إخلاص في الفعل»[2].

وقد تقدم رأينا في شرط القدرة في الاحتساب باليد والتغيير بالقوة المادية.

---

(١) سبق تخريجه صـ٨٩٣.

(٢) قوت القلوب لأبي طالب المكي (٢/٢٣١).

QaradawiBooks.com

معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾:

قال الإمام الغزالي: «فإن قيل: فما معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]؟

قلنا: لا خلاف في أنَّ المسلم الواحد له أن يهجم على صف الكفار ويقاتل وإن علم أنَّه يقتل، وهذا ربما يظن أنَّه مخالف لموجب الآية، وليس كذلك، فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس التهلكة ذلك، بل ترك النفقة في طاعة الله تعالى[1].

أي: من لم يفعل ذلك فقد أهلك نفسه.

وإذا جاز أن يقاتل الكفار حتى يُقتل، جاز أيضًا له ذلك في الحسبة، ولكن لو علم أنَّه لا نكاية لهجومه على الكفار كالأعمى يطرح نفسه على الصف، أو العاجز، فذلك حرام، وداخل تحت عموم آية التهلكة، وإنَّما جاز له الإقدام إذا علم أنَّه يقاتل إلى أن يقتل، أو علم أنَّه يكسر قلوب الكفار بمشاهدتهم جراءته واعتقادهم في سائر المسلمين قلة المبالاة وحبهم للشهادة في سبيل الله، فتنكسر بذلك شوكتهم.

فكذلك يجوز للمحتسب، بل يُستحب له أن يعرض نفسه للضرب وللقتل، إذا كان لحسبته تأثير في رفع المنكر، أو في كسْر جاه الفاسق، أو في تقوية قلوب أهل الدين، وأمَّا إن رأى فاسقًا متغلِّبًا وعنده سيف، وبيده قَدَح، وعلم أنَّه لو أنكر عليه لشرب القدح وضرب رقبته، فهذا ممَّا لا أرى للحسبة فيه وجهًا، وهو عين الهلاك، فإنَّ المطلوب أن يؤثر في الدين أثرًا ويفديه بنفسه، فأما تعريض النفس للهلاك من غير أثرٍ، فلا وجه له، بل ينبغي أن يكون حرامًا.

---

(١) تفسير الطبري (٣/٥٨٤).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وإنَّما يستحب له الإنكار إذا قدر على إبطال المنكر، أو ظهر لفعله فائدة، وذلك بشرط أن يقتصر المكروه عليه، فإن علم أنَّه يضرب معه غيره من أصحابه أو أقاربه أو رفقائه، فلا تجوز له الحسبة، بل تحرم؛ لأنَّه عَجَز عن دفع المنكر، إلَّا بأن يفضي ذلك إلى منكر آخر[١].

ولا يبعد أن يفرق بين درجات المنكر المغيَّر، والمنكر الذي تفضى إليه الحسبة والتغيير، فإنه إذا كان يذبح شاة لغيره ليأكلها، وعلم أنَّه لو منعه من ذلك لذبح إنسانًا وأكله، فلا معنى لهذه الحسبة، نعم لو كان منعه عن ذبح إنسان أو قطع طرفه يحمله على أخذ ماله، فذلك له وجه، فهذه دقائق واقعةٌ في محل الاجتهاد، وعلى المحتسب اتباع اجتهاده في ذلك كله.

ولهذه الدقائق نقول: العامي ينبغي له ألَّا يحتسب إلَّا في الجليات المعلومة، كشرب الخمر والزنى وترك الصلاة، فأما ما يعلم كونه معصية بالإضافة إلى ما يطيف به من الأفعال ويفتقر فيه إلى اجتهاد، فالعامي إن خاض فيه كان ما يفسده أكثر ممَّا يصلحه»[٢].

ما حد المكروه الذي يسقط وجوب الأمر والنهي به؟

قال الإمام الغزالي: «المكروه نقيض المطلوب، ومطالب الخلق في الدنيا ترجع إلى أربعة أمور:

أمَّا في النفس، فالعلم.

---

(١) ولما كان هذا الباب موضع اجتهاد، فلا يجوز أن يقتحمه إلَّا العلماء الذين يحسنون تقدير المصالح والمفاسد، وليس ذلك لآحاد الناس، خصوصا في الأمور العامة الدقيقة، التي تحتاج إلى حسن تقدير.

(٢) إحياء علوم الدين (٣١٩/٢، ٣٢٠).

QaradawiBooks.com

وأمَّا في البدن، فالصحة والسلامة.

وأمَّا في المال، فالثروة. ومعنى الثروة: ملك الدراهم.

وأمَّا في قلوب الناس، فقيام الجاه. ومعنى الجاه: ملك قلوب الناس.

وكل واحدة من هذه الأربعة يطلبها الإنسان لنفسه ولأقاربه والمختصين به، ويكره زوالها.

وفوات الأمور الأربعة مكروه، ومعتبر في جواز السكوت، إلَّا العلم، فإن فواته غير مَخُوف، إلَّا بتقصير منه، وإلا فلا يقدر أحد على سلب العلم من غيره، وإن قدر على سلب الصحة والسلامة والثروة والمال، وهذا أحد أسباب شرف العلم، فإنه يدوم في الدنيا ويدوم ثوابه في الآخرة، فلا انقطاع له أبد الآباد.

وأمَّا الصحة والسلامة، ففواتهما بالضرب، فكل من علم أنَّه يُضرب ضربًا مؤلمًا يتأذَّى به في الحِسْبة، لم تلزمه الحِسْبة، وإن كان يُستحبُّ له ذلك كما سبق، وإذا فَهِمَ هذا في الإيلام بالضرب، فهو في الجرح والقطع والقتل أظهر.

وأمَّا الثروة، فهو بأن يعلم أنَّه تُنهب داره، ويخرب بيته، وتسلب ثيابه، فهذا أيضًا يُسقط عنه الوجوب، ويبقى الاستحباب، إذ لا بأس بأن يفدي دينه بدنياه.

وأمَّا الجاه، ففواته بأن يُضرب ضربًا غير مؤلم في ملأ من الناس، أو يُطرح منديله في رقبته ويدار به في البلد، أو يسوَّد وجهه ويطاف به، وكل ذلك من غير ضرب مؤلم للبدن، وهو فادحٌ في الجاه ومؤلمٌ للقلب، وهذا له درجات: فالصواب أن يُقسم إلى

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

ما يعبر عنه بسقوط المروءة، كالطواف به في البلد حاسرًا حافيًا، فهذا يُرخَّص له في السكوت؛ لأنَّ المروءة مأمور بحفظها في الشرع، وهذا مؤلِمٌ للقلب ألمًا يزيد على ألم ضربات متعددة، وعلى فوات دريهمات قليلة.

أمَّا لو علم أنَّه لو احتسب لكُلِّف المشي في السوق في ثياب لا يعتاد هو مثلها، أو كُلِّف المشي راجلًا وعادته الركوب، فهذا من جملة المزايا، وليست المواظبة على حفظها محمودةٌ، وحفظ المروءة محمودٌ، فلا ينبغي أن يسقط وجوب الحِسْبة بمثل هذا القدر.

وفي معنى هذا: ما لو خاف أن يُتعرَّض له باللسان، إما في حضرته بالتجهيل والتحميق، والنسبة إلى الرياء والبهتان، وإما في غَيْبته بأنواع الغِيبة، فهذا لا يسقط الوجوب، إذ ليس فيه إلَّا زوال فضلات الجاه، التي ليس إليها كبير حاجة.

وأمَّا امتناعه لخوف شيء من هذه المكاره في حقِّ أولاده وأقاربه، فهو في حقِّه دونه؛ لأن تأذيه بأمر نفسه أشد من تأذيه بأمر غيره، ومن وجه الدِّين هو فوقه؛ لأن له أن يسامح في حقوق نفسه، وليس له المسامحة في حق غيره، فإذن ينبغي أن يمتنع، فإنه إن كان ما يفوت من حقوقهم يفوت على طريق المعصية كالضرب والنهب، فليس له هذه الحِسْبة؛ لأنَّه دفْع منكر يفضي إلى منكر، وإن كان يفوت لا بطريق المعصية فهو إيذاء للمسلم أيضًا، وليس له ذلك إلَّا برضاهم.

فإذا كان يؤدي ذلك إلى أذى قومه فليتركه، وذلك كالزاهد الذي له أقارب أغنياء، فإنه لا يخاف على ماله إن احتسب على السلطان، ولكنَّه يقصد أقاربه انتقامًا منه بواسطته، فإذا كان يتعدَّى الأذى من حسبته إلى

QaradawiBooks.com

أقاربه وجيرانه، فليتركها فإن إيذاء المسلمين محذور كما أنَّ السكوت على المنكر محذور.

نعم إن كان لا ينالهم أذى في مال أو نفس، ولكن ينالهم الأذى بالشتم والسب، فهذا فيه نظر، ويختلف الأمر فيه بدرجات المنكرات في تفاحشها، ودرجات الكلام المحذور في نكايته في القلب وقدحه في العرض»[1].

آداب المحتسب:

ذكر الإمام الغزالي أنَّه لا بد من ثلاث صفات في المحتسب: العلم، والورع، وحسن الخُلُق.

١، ٢ ـ العلم والورع:

أمَّا العلم: فليعلم مواقع الحِسْبة وحدودها، ومجاريها وموانعها، ليقتصر على حد الشرع فيه.

والورع: ليردعه عن مخالفة معلومة، فما كل من علم عمل بعلمه.

٣ ـ حسن الخُلُق:

وأمَّا حسن الخلق: فليتمكن به من اللطف والرفق، وهو أصل الباب وأسبابه.

والعلم والورع لا يكفيان فيه، فإنَّ الغضب إذا هاج، لم يكف مجرَّد العلم والورع في قمعه، ما لم يكن في الطبع قبوله بحُسن الخلق.

---

(١) إحياء علوم الدين (٣٢١/٢، ٣٢٣).

غير مرخصة للطباعة
نسخة معاينة
QaradawiBooks.com

وعلى التحقيق فلا يتمُّ الورع إلَّا مع حُسن الخلق، والقدرة على ضبط الشهوة والغضب، وبه يصبر المحتسب على ما أصابه في دين الله، وإلا فإذا أصيب عرضه أو ماله أو نفسه، بشتم أو ضرب نسي الحسبة، وغفل عن دين الله، واشتغل بنفسه، بل ربما يُقدِم عليه ابتداء لطلب الجاه والاسم.

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: إذا كنت ممَّن يأمر بالمعروف، فكن من آخَذِ الناس به وإلا هلكت[١]. وقد قيل:

لا تَلُمِ المَرْءَ على فِعْلِه وأنت مَنْسُوبٌ إلى مِثْلِهِ
مَنْ ذمَّ شيئًا وأتى مِثْلَه فإنما يُزرِي على عَقْلِه[٢]

ولسنا نعني بهذا أنَّ الأمر بالمعروف يصير ممنوعًا بالفسق، ولكن يسقط أثره عن القلوب، بظهور فسقه للناس.

٤ ـ توطين النفس على الصبر:

وأوصى بعض السلف بنيه، فقال: إن أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف فليوطِّن نفسه على الصبر، وليثق بالثواب من الله، فمن وثق بالثواب من الله لم يجد مسَّ الأذى.

فإذن من آداب الحسبة: **توطين النفس على الصبر**، ولذلك قرن الله تعالى الصبر بالأمر بالمعروف، فقال حاكيًا عن لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ﴾ [لقمان: ١٧][٣].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٩٨).

(٢) من شعر محمد بن عيسى بن طلحة التيمي القرشي، كما في معجم الشعراء للمرزباني صـ ٤١٥.

(٣) قال القرطبي في التفسير (٦٨/١٤): قوله تعالي: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ﴾ يقتضي حضًّا على تغيير المنكر وإن نالك ضرر؛ فهو إشعار بأنَّ المغيِّر يؤذى أحيانا؛ وهذا القدر على جهة الندب والقوة في ذات الله؛ وأمَّا على اللزوم، فلا.

QaradawiBooks.com

٥ ـ تقليل العلائق وقطع الأطماع عن الخلائق:

ومن الآداب: تقليل العلائق حتى لا يكثر خوفه.

وقطع الطمع عن الخلائق حتى تزول عنه المداهنة، فمن لم يقطع الطمع من الخلق لم يقدر على الحسبة، ومن طمع في أن تكون قلوب الناس عليه طيبة وألسنتهم بالثناء عليه مطلقة، لم تتيسر له الحسبة.

٦ ـ ضرورة الرفق في الإنكار:

وينبغي لمن ينهى عن المنكر أن يعامل الناس بالرفق ويتلطف في دعوته لهم، فذلك أزكى عند الله، وأدعى إلى الاستماع إليه، ففي الصحيحين من حديث عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله يحبُّ الرفق في الأمر كله**»[(١)]. وعنها أنَّه قال: «**إنَّ الله رفيقٌ يحبُّ الرِّفْق، ويعطي على الرِّفْق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه**»[(٢)].

قال الإمام الغزالي: «**ويدل على وجوب الرفق**، ما استدلَّ به المأمون إذ وعظه واعظ، وعنَّف له في القول، وكان المأمون على فقه وحلم، فلم يعالجه بالعقاب، كما يفعل كثيرون من الخلفاء والأمراء، بل قال له: يا رجل ارفق، فقد بعث الله مَنْ هو خير منك إلى مَنْ هو شرٌّ مني. وأمره بالرفق [يريد إرسال موسى وهارون إلى فرعون] فقال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طـه: ٤٤]. فليكن اقتداء المحتسب في الرفق بالأنبياء صلوات الله عليهم»[(٣)].

---

(١) سبق تخريجه صـ٥٣٣.

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٩٣)، عن عائشة.

(٣) انظر: إحياء علوم الدين (٣٣٣/٢، ٣٣٤).

QaradawiBooks.com

قلت: وهذا التعليل بحرف الترجي ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ برغم ما ذكره الله تعالى من طغيان فرعون ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ دليل على أنَّ الداعية لا ينبغي أن يفقد الأمل فيمن يدعوه مهما يكن كفره وظلمه، ما دام مستخدمًا طريق اللين والرفق، لا طريق الخرق والعنف.

وأورد الغزالي في كلامه عن وجوب الرفق هذا الحديث:

روى أبو أمامة أنَّ غلامًا شابًّا أتى النبيَّ ﷺ، فقال: يا نبي الله، تأذن لي في الزنى؟ فصاح الناس به، فقال النبي ﷺ: «**قرِّبوه، ادْنُ**» فدنا حتى جلس بين يديه، فقال النبي ﷺ: «**أتحبُّه لأُمِّك؟**» فقال: لا، جعلني الله فداك. قال: «**كذلك الناس لا يحبُّونه لأمَّهاتهم. أتحبُّه لابنتك؟**» قال: لا، جعلني الله فداك. قال: «**كذلك الناس لا يُحبُّونه لبناتهم. أتحبه لأختك؟**» وزاد ابن عوف: حتى ذكر العمَّة والخالة، وهو يقول في كل واحد: لا، جعلني الله فداك. وهو ﷺ يقول: «**كذلك الناس لا يحبُّونه**». وقالا جميعًا في حديثهما ـ أعني ابنَ عوف والراوي الآخر ـ: فوضع رسول الله ﷺ يده على صدره، وقال: «**اللهمَّ طهِّرْ قلبَه، واغفرْ ذنبه، وحصِّنْ فرجَه**» فلم يكن شيء أبغض إليه منه، يعني: من الزنى[(١)] اهـ[(٢)].

قال الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم»: «وبكل حال يتعيَّن الرفق في الإنكار، قال سفيان الثوري: لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلَّا من كان فيه خصال ثلاث: رفيق بما يأمر، رفيق بما ينهى، عدلٌ بما يأمر، عدلٌ بما ينهى، عالم بما يأمر، عالم بما ينهى[(٣)].

---

(١) رواه أحمد (٢٢٢١١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والطبراني (١٦٢/٨)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٤٣): رجاله رجال الصحيح.

(٢) إحياء علوم الدين (٣٣٤/٢، ٣٣٥).

(٣) رواه الخلال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صـ٢٤ ، تحقيق د. يحيى مراد، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

QaradawiBooks.com

وقال أحمد: الناس محتاجـــون إلى مداراة ورفـــق الأمر بالمعروف بلا غِلظة، إلَّا رجل معلن بالفسق، فلا حرمة له. قال: وكان أصحاب ابن مسعود إذا مرُّوا بقوم يرون منهم ما يكرهون، يقولون: مهلًا رحمكم الله، مهلًا رحمكم الله[١].

وقال أحمد: يأمر بالرفق والخضوع، فإن أسمعوه ما يكره، لا يغضب، فيكون يريد ينتصر لنفسه»[٢].

• الركن الثاني للحسبة: ما فيه الحسبة

قال الإمام الغزالي: «وهو كل منكر موجود في الحال، ظاهر للمحتسب بغير تجسُّس، معلوم كونه منكرًا بغير اجتهاد. فهذه أربعة شروط:

أن يكون منكرًا محذور الوقوع في الشرع:

الشرط الأول: كونه منكرًا، ونعني به أن يكون محذور الوقوع في الشـــرع، وعدلنا عن لفظ المعصيـــة إلى هـــذا؛ لأنَّ المنكر أعم من المعصية، إذ من رأى صبيًّا أو مجنونًا يشـــرب الخمر، فعليه أن يُريق خمرَه ويمنعه. وكذا إن رأى مجنونًا يزني بمجنونة أو بهيمة، فعليه أن يمنعه منه.

وليس ذلك لتفاحش صورة الفعل وظهوره بين الناس، بل لو صادف هذا المنكر في خلوة لوجب المنع منه، وهذا لا يســـمَّى معصية في حق المجنون، إذ معصية لا عاصي بها محال، فلفظ: المنكر، أدل عليه وأعم من لفظ المعصيـــة، وقد أدرجنـــا في عموم هـــذا الصغيـــرةَ والكبيرة، فلا تختص الحســـبة بالكبائر، بل كشـــف العورة في الحمـــام، والخلوة

(١) ذكره ابن مفلح في الآداب الشرعيَّة (١٩١/١).
(٢) جامع العلوم والحكم (٢٥٦/٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بالأجنبية، وإتباع النظر للنسوة الأجنبيات، كل ذلك من الصغائر، ويجب النهي عنها.

أن يكون موجودًا في الحال:

الشـــرط الثاني: أن يكون موجودًا في الحال، وهـــو احتراز أيضًا عن الحِسبة على من فرغ من شرب الخمر، فإن ذلك ليس إلى الآحاد، وقد انقرض المنكر، واحتراز عما سيوجد في ثاني الحال، كمن يُعلَم بقرينةِ حالٍ أنَّه عازم على الشرب في ليلته، فلا حســبة عليه، إلَّا بالوعظ، وإن أنكر عزمه عليه، لم يجُز وعظه أيضًا، فإن فيه إساءة ظن بالمسلم، وربما صدق في قوله، وربما لا يقدم على ما عزم عليه لعائق.

أن يكون ظاهرًا للمحتسب بغير تجسس:

الشـــرط الثالث: أن يكون المنكر ظاهرًا للمحتســـب، بغير تجسُّس، فكل من ســـتر معصية في داره، وأغلق بابه، لا يجوز أن يُتجسَّس عليه، وقد نهى الله تعالى عنه.

ولذلك شاور عمر الصحابة رضي الله عنهم وهو على المنبر، وسألهم عن الإمام إذا شاهد بنفسه منكرًا، فهل له إقامة الحد فيه؟ فأشار علي رضي الله عنه بأن ذلك منوط بعدلين، فلا يكفي فيه واحد»[1].

حد الظهور والاستتار:

وقد بين الإمام الغزالي أن من أغلق باب داره، وتســـتَّر بحيطانه، فلا يجوز الدخول عليه بغير إذنه، لنعـــرف المعصية، إلَّا أن تظهر في

(١) إحياء علوم الدين (٣٢٤/٢، ٣٢٥).

QaradawiBooks.com

الدار ظهـــورًا يعرفه من هو خـــارج الدار، وكـــذا إذا ارتفعت أصوات السكارى بالكلمات المألوفة بينهم، بحيث يسمعها أهل الشوارع، فهذا إظهار موجب للحِسْبة. فإذا رؤي فاسق، وتحت ذيله شيء، لم يجز أن يكشف عنه، ما لم يظهر بعلامة خاصة، فإن فسقه لا يدل على أنَّ الذي معه خمر، إذ الفاســق محتــاج أيضًا إلى الخل وغيــره، فلا يجوز أن يُســتدل بإخفائه، وأنَّه لو كان حــلالًا لما أخفــاه، لأنَّ الأغراض في الإخفاء ممَّا تكثر، وإن كانت الرائحة فائحة، فهذا محل النظر، والظاهر أن له الاحتساب؛ لأن هذه علامة تفيد الظن، والظن كالعلم في أمثال هذه الأمور»[1].

أن يكون معلومًا بغير اجتهاد:

«**الشرط الرابع**: أن يكون كونه منكرًا معلومًا بغير اجتهاد، فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة، فليس للحنفي أن ينكر على الشافعي أكله الضَّب والضَّبُع ومتروك التســمية، ولا للشــافعي أن ينكر على الحنفي شربه النبيذ الذي ليس بمســكر، وتناوله ميراث ذوي الأرحام، وجلوسه في دار أخذها بشفعة الجوار، إلى غير ذلك من مجاري الاجتهاد»[2].

• الركن الثالث: المُحتَسب عليه

قال الإمام الغزالي: «وشــرطه: أن يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه في حقه منكرًا، وأقل ما يكفي في ذلك: أن يكون إنسانًا، ولا يشترط كونه مكلَّفًا، فالصبي لو شــرب الخمر منع منه واحتسب عليه وإن كان

(١) إحياء علوم الدين (٣٢٥/٢).

(٢) المصدر السابق (٣٢٥/٢، ٣٢٦).

QaradawiBooks.com

قبل البلوغ، ولا يشترط كونه مميزًا إذ بينا أنَّ المجنون لو كان يزني بمجنونة منعه منه.

نعم من الأفعال ما لا يكون منكرًا في حق المجنون، كترك الصلاة والصوم وغيره، ولكنا لسنا نلتفت إلى اختلاف التفاصيل، فإن ذلك أيضًا ممَّا يختلف فيه المقيم والمسافر والمريض والصحيح.

فإن قلت: فاكتفِ بكونه حيوانًا، ولا تشترط كونه إنسانًا، فإنَّ البهيمة لو كانت تفسد زرعًا لإنسان لكُنا نمنعها منه، كما نمنع المجنون من الزنى، وإتيان البهيمة.

فاعلم أن تسمية ذلك حسبة لا وجه لها، إذ الحسبة عبارة عن المنع عن منكر لحق الله، صيانة للممنوع عن مقارفة المنكر، ومنع المجنون عن الزنى، وإتيان البهيمة لحق الله، وكذا منع الصبي عن شرب الخمر.

والإنسان إذا أتلف زرع غيره منع منه لحقين:

أحدهما: حق الله تعالى، فإن فعله معصية.

والثاني: حق المُتلَف عليه، فهما علَّتان تنفصل إحداهما عن الأخرى.

فلو قطع طرف غيره بإذنه، فقد وُجِدَت المعصية، وسقط حق المجني عليه بإذنه، فتثبت الحسبة والمنع بإحدى العلتين.

هل كل من رأى بهائم قد استرسلت في زرع إنسان يجب عليه إخراجها؟ وكل من رأى مالًا لمسلم أشرف على الضياع يجب عليه حفظه؟

القول الوجيز فيه أن نقول: مهما قدر على حفظه من الضياع من غير أن يناله تعب في بدنه أو خسران في ماله أو نقصان جاهه وجب عليه ذلك، فذلك القدر واجبٌ في حقوق المسلم»[1].

(١) إحياء علوم الدين (٣٢٧/٢، ٣٢٨).

QaradawiBooks.com

• الركن الرابع: نفس الاحتساب

قال الإمام الغزالي: «وله درجات وآداب.

درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

أمَّا الدرجات، فأولها: التعرُّف، ثم التعريف، ثم النهي، ثم الوعظ والنصح، ثم السبُّ والتعنيف، ثم التغيير باليد، ثم التهديد بالضرب، ثم إيقاع الضرب وتحقيقه، ثم شهر السلاح، ثم الاستظهار فيه بالأعوان وجمع الجنود.

١ ـ درجة التعرف:

أمَّا الدرجة الأولى: وهي التعرف، ونعني طلب المعرفة بجريان المنكر، وذلك منهيٌّ عنه وهو التجسس. فلا ينبغي أن يستنشق ليدرك رائحة الخمر، ولا أن يستخبر من جيرانه ليخبروه بما يجري في داره، نعم لو أخبره عدلان ابتداء من غير استخبار بأن فلانًا يشرب الخمر في داره، أو بأن في داره خمرًا أعدَّه للشرب، فله إذ ذاك أن يدخل داره، ولا يلزم الاستئذان، ويكون تخطِّي ملكه بالدخول للتوصل إلى دفع المنكر...

٢ ـ درجة التعريف:

الدرجة الثانية التعريف: فإنَّ المنكر قد يُقدم عليه المُقدم بجهله، وإذا عرف أنَّه منكر تركه، ويجب التعريف باللطف من غير عنف؛ وذلك لأن ضمن التعريف نسبة إلى الجهل، وقلما يرضى الإنسان بأن ينسب إلى الجهل بالأمور لا سيما بالشرع، ولذلك ترى الذي يغلب عليه الغضب كيف يغضب إذا نُبِّه على الخطأ والجهل، والطباع أحرص على ستر عورة

QaradawiBooks.com

الجهل منها على ستر العورة الحقيقية، فلذلك يعظم تألم الإنسان بظهور جهله، ويعظم ابتهاجه في نفسه بعلمه، وإذا كان التعريف كشفًا للعورة مؤذيًا للقلب فلا بد وأن يعالج دفع أذاه بلطف الرفق.

فإن إيذاء المسلم حرامٌ محذورٌ، كما أن تقريره على المنكر محذورٌ، وليس من العقلاء من يغسل الدم بالدم أو بالبول، ومن اجتنب محذور السكوت على المنكر، واستبدل عنه محذور الإيذاء للمسلم مع الاستغناء عنه، فقد غسل الدم بالبول.

٣ ـ درجة الوعظ والنصح والتخويف:

الدرجة الثالثة: النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله تعالى، وذلك فيمن يُقدم على الأمر، وهو عالم بكونه منكَرًا، أو فيمن أصرَّ عليه بعد أن عرف كونه منكرًا، كالذي يواظب على الشرب، أو على الظلم، أو على اغتياب المسلمين، أو ما يجري مجراه، فينبغي أن يوعظ ويُخوف بالله تعالى، وتُورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد في ذلك، وتُحكى له سيرة السلف، وعبادةُ المتقين، وكل ذلك بشفقة ولطف، من غير عنف وغضب، بل ينظر إليه نظر المترحِّم عليه، ويرى إقدامه على المعصية مصيبة على نفسه، إذ المسلمون كنفس واحدة.

وهاهنا **آفة عظيمة** ينبغي أن يتوقَّاها، فإنها مَهلَكة، وهي أنَّ العالِم يرى عند التعريف عزَّ نفسه بالعلم، وذُلَّ غيره بالجهل، فربما يقصد بالتعريف الإدلال وإظهار التمييز بشرف العلم، وإذلال صاحبه بالنسبة إلى خسَّة الجهل، فإن كان الباعث هذا، فهذا المنكر أقبح في نفسه من المنكر الذي يعترض عليه.

QaradawiBooks.com

وذلك يرجع إلى الرياء وطلب الجاه، وهو الشهوة الخفية الداعية إلى الشـــرك الخفي، وله مَحَك ومعيار ينبغي أن يمتحن المحتسب به نفسه وهو: أن يكون امتناع ذلك الإنسان عن المنكر بنفسه أو باحتساب غيره أحب إليه من امتناعه باحتسابه.

٤ ـ السب والتعنيف بالقول الغليظ الخَشِن:

وذلك يعدل إليـــه عند العجز عـــن المنع باللطـــف، وظهور مبادئ الإصرار والاســـتهزاء بالوعظ والنصح، وذلك مثل قـــول إبراهيم عليه السلام: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٧].

ولسنا نعني بالسب والفحش بما فيه نســـبة إلى الزنى ومقدِّماته، ولا الكـــذب، بل أن يخاطبه بما فيه، ممَّا لا يعـــدُّ من جملة الفحش، كقوله: يا فاســـق، يا أحمـــق، يا جاهل، ألا تخـــاف الله يا غبي؟! وما يجري هذا المجرى.

ولهذه الرتبة أدبان:

أحدهما: ألَّا يقدم عليها إلَّا عند الضرورة والعجز عن اللطف.

والثاني: ألا ينطق إلَّا بالصدق، ولا يسترسل فيه، فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج إليه، بل يقتصر على قدر الحاجة.

٥ ـ درجة التغيير باليد:

وذلك ككسر الملاهي «المحرمة»، وإراقة الخمر، وخلع الحرير من رأسه، وعن بدنه، ومنعه من الجلوس عليه، ودفعه عن الجلوس على مال الغير، وإخراجه من الدار المغصوبة بالجر برجله، وإخراجه من المسجد إذا كان جالسًا وهو جنب، وما يجري مجراه.

QaradawiBooks.com

ويتصور ذلك في بعض المعاصي دون بعض.

فأما معاصي اللسان والقلب، فلا يُقدر على مباشرة تغييرها، وكذلك كل معصية تقتصر على نفس العاصي وجوارحه الباطنة.

وفي هذه **الدرجة أدبان:**

أحدهما: ألَّا يباشـــر بيده التغيير، ما لم يعجز عن تكليف المحتسب عليه ذلك، فإذا أمكنه أن يُكلِّفه المشي في الخروج عن الأرض المغصوبة والمسجد، فلا ينبغي أن يدفعه أو يجره.

الثاني: أن يقتصر في طريق التغيير على القدر المحتاج إليه، وهو ألَّا يأخذ بلحيته في الإخراج، ولا برجلـــه إذا قدر على جرِّه بيده، فإن زيادة الأذى فيه مستغنًى عنه.

٦ ـ درجة التهديد والتخويف:

كقوله: دع عنك هذا، أو لأكســـرنَّ رأســـك، أو لأضربنَّ رقبتك، أو لآمرنَّ بك، وما أشبهه.

وهذا ينبغي أن يُقدَّم على تحقيق الضرب إذا أمكن تقديمه.

والأدب في هذه الرتبة: ألَّا يهدِّده بوعيد لا يجوز له تحقيقه، كقوله: لأنهبنَّ دارك، أو لأضربنَّ ولدك، أو لأسبينَّ زوجتك، وما يجري مجراه، بل ذلك إن قاله عن عزم، فهو حرام، وإن قاله من غير عزم فهو كذب.

٧ ـ الضرب بغير السلاح:

الدرجة السابعة: مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك، ممَّا ليس فيه شهر سلاح، وذلك جائز للآحاد بشرط الضرورة، والاقتصار على قدر الحاجة في الدفع، فإذا اندفع المنكر فينبغي أن يكف.

QaradawiBooks.com

٨ ـ الاستعانة بالأعوان وشهر السلاح:

الدرجة الثامنة: ألَّا يقدر عليه بنفسه، ويحتاج فيه إلى أعوان يُشهرون السلاح، وربما يستمد الفاسق أيضًا بأعوانه، ويؤدِّي ذلك إلى أن يتقابل الصفان، ويتقاتلا، فهذا قد ظهر الاختلاف في احتياجه إلى إذن الإمام، فقال قائلون: لا يستقل آحاد الرعيَّة بذلك؛ لأنَّه يؤدِّي إلى تحريك الفتن وهيجان الفساد وخراب البلاد.

وقال آخرون: لا يحتاج إلى الإذن، **وهو الأقيس**؛ لأنَّه إذا جاز للآحاد الأمر بالمعروف، وأوائل درجاته تجر إلى ثوان، والثواني إلى ثوالث. وقد ينتهي لا محالة إلى التضارب، والتضارب يدعو إلى التعاون، فلا ينبغي أن يبالي بلوازم الأمر بالمعروف»[1].

والذي أراه: أن أمر الاستعانة بالأعوان وشهر السلاح خطير جدًّا، وخصوصًا في عصرنا الذي تطور فيه السلاح تطورًا بالغًا، وبلغت شدته مبلغًا لم يكن يتصوره القوم في العصور السابقة، وفتح الباب للزيادة في العدد والعدة لا حد له.

فأرى ضرورة التأكيد على حرمة الدماء، والعمل على صيانتها، حتى لا تسيل أنهارًا.

اللهم احم المسلمين وأعنهم على أن يحافظوا على أنفسهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

* * *

(١) إحياء علوم الدين (٣٢٩/٢ ـ ٣٣٣).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

الفهارس العامة

- فهـرس الآيات القرآنيـة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـريفة.
- فهرس الموضوعات.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية



فهرس الآيات القرآنية الكريمة



الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾	١	٢٥٨
﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾	٥	٢٠، ٤١٧
﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾	٦	٨، ٤١٧
﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾	٧	٨
سورة البقرة		
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾	٨	٦٢٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾	٢١	١٣٨
﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾	٢٧	٣٩٩
﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾	٢٩	١٤
﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾	٣٠	٢٥٤
﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾	٤٤	٩٢٢، ٩٢٣
﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا ﴾	٥١، ٥٢	٨٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾	٥٥	١٠٣
﴿وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾	٥٧	٥٨٧
﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾	٥٨	٥٢٥
﴿لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا﴾	٦١	١٠٢، ١٥٠
﴿فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ﴾	٧٩	١٣٦
﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾	٨٣	٣١٥، ٣٩٥، ٣٩٩، ٥٣٢، ٧١١
﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦ﴾	١٠٢	٣٣١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾	١٠٤	٤١٧
﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾	١٠٩	٢٣٦
﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ﴾	١١١	٢١٣، ٧٠٦
﴿بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾	١١٢	٢١٣، ٧٠٦
﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾	١١٥	١٤، ٧٩٩
﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ﴾	١٢٠	٢١٧
﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	١٣١	١٧
﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾	١٣٢	١٧
﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ﴾	١٣٤	٦٨٣
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾	١٤٣	٧، ٦١، ١٥٧
﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ﴾	١٥٥ ـ ١٥٧	٩٣
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ﴾	١٥٩ ـ ١٦١	٦٨٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ ﴾	١٦٥	٨٣
﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾	١٦٦ ـ ١٦٧	٢٢٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾	١٦٨	٢٥٤
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ ﴾	١٧٠ ـ ١٧١	٢١٩
﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾	١٧٧	٣٩٧، ٤٣٧، ٥٧٣، ٨١٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ﴾	١٧٨	١١٩
﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾	١٨٠	١١٩، ٣٩٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾	١٨٣	١١٩، ١٤٣
﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾	١٨٥	٧٣٦
﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾	١٨٦	٨٤
﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ ﴾	١٨٧	٣٤٥
﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ ﴾	١٨٨	٨٠
﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ﴾	١٨٩	٩١٦
﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾	١٩٥	٩٢٨
﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً ﴾	٢٠١	١٤٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾	٢٠٨	١٤٥
﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ ﴾	٢١٤	٩٤، ٩٨
﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ ﴾	٢١٥	٣٩٦، ٤٣٦
﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ ﴾	٢١٦	١١٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ﴾	٢٢٠	٤٢٨
﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى﴾	٢٢٢	٣٥١، ٣٥٢، ٧٣١
﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ﴾	٢٢٣	٣٤٥، ٣٥٠، ٣٥٢
﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ﴾	٢٢٤	٦٣٢
﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	٢٢٨	٨٠، ٣١٠، ٣٦١
﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ﴾	٢٢٩	٣٥٨
﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ﴾	٢٣٣	٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١
﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾	٢٣٦	٣٥٩، ٨٠٧
﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾	٢٣٧	٤٨٠
﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾	٢٣٨	٢٤٧
﴿وَلِلْمُطَلَّقَـٰتِ مَتَـٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾	٢٤١	٣٦٠
﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾	٢٤٣	٤٧٢
﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾	٢٤٩، ٢٥٠	٢٢٩
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾	٢٦٤	٨٦، ٩١
﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾	٢٦٥	٢٣٠
﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾	٢٧٣	٤٣٢
﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ﴾	٢٨٥	٧٩، ١٢٠، ٢١٠
﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ﴾	٢٨٦	٢٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة آل عمران		
﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾	٨، ٩	٢٤
﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ﴾	١٤	١٥١
﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾	١٩	١٧
﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾	٢١، ٢٢	٨٨٨
﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	٢٨	٥٣٨
﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾	٣١	٣٥، ١٨٣
﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾	٣٥ ـ ٣٧	٣٧٠
﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾	٤٢ ـ ٤٣	٣٧١
﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ ﴾	٥٠	١٥
﴿ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ ﴾	٥٢	١٧
﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾	٦٧	١٧
﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾	٧٧	٦٣١
﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ﴾	٨٠	١٧
﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾	٨٥	١٧
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾	١٠٠	١٥٣، ١٥٤
﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ﴾	١٠١	١٥٣
﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾	١٠٣	١٥٤، ١٥٧

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾	١٠٤	٤٧، ٦١، ١٥٨، ٨٨٣، ٨٨٤، ٩٠٨
﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾	١٠٥	١٥٤
﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾	١١٠	٦١، ١٥٦، ٨٨٢، ٨٨٣، ٩٠٨
﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾	١١٣، ١١٤	٨٨٩
﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	١٢٣ ـ ١٢٧	١٨٩
﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾	١٢٨	٣٧
﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	١٣٤	٤، ٣٦، ٥١٠
﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا ﴾	١٤٧	٢٣، ١١٣، ٢٣٠
﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	١٤٨	١٤٩
﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ ﴾	١٥٢	١٩٠
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾	١٥٥	١٩٠
﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾	١٥٩	٥٢١
﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ ﴾	١٨٥	١٤٠، ١٤٩
﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾	١٨٦	٩٦
﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾	١٩٠	١٢٥، ٢٥١
﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾	١٩١	١٢٥
﴿ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾	١٩٥	٦٢
﴿ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾	١٩٧	١٥١

QaradawiBooks.com



الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النساء		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾	١	٣٩٨ ،١١
﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ﴾	٢	٤٢٧
﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾	٣	٨٠
﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ﴾	٤	٨٠
﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾	٦	٤٢٧، ٥٥١
﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ﴾	٨	٣٩٧، ٤٢٧
﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ﴾	٩	٤٢٧
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾	١٠	٤٢٧
﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً﴾	١١	٣٩٣
﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾	١٢ ـ ١٤	٣٩٤
﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾	١٨	٨١٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ﴾	١٩	٨٠، ٣١٠، ٣٣٧
﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾	٢٠	٨٠، ٣٣١
﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾	٢١	٨٠، ٣٣٧
﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾	٢٢	٨٠
﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾	٢٨	٧٣٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾	٢٩	٨٠، ٢٥٧
﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾	٣١	٩١١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾	٣٢	٨٤
﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾	٣٤	٣٣٠، ٣٣١، ٣٥٨
﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ﴾	٣٥	٣٤٤
﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾	٣٦	٧٣، ٣١٣، ٣٣٧، ٣٩٥، ٤٣١، ٤٣٦، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٦، ٧٠٦، ٨٠٤
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾	٤٩ ـ ٥٠	٦٤٤، ٧٠٦
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾	٥٨	٨١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾	٥٩	١٨٣، ١٨٤، ٦٧٣
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾	٦٥	١٨٤
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾	٦٦	٢٣٠
﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾	٧٧، ٧٨	١٥٢
﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾	٨٠	١٨٣
﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾	٨٣	٢٢٥
﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾	٨٦	٥٠، ٥٣٣، ٥٣٩
﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ﴾	١٠٢	١٦٠
﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾	١٠٣	٢٤٦
﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾	١١٠	٩٩

QaradawiBooks.com



الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾	١١٤	٧٠٧، ٨٩٠
﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾	١١٩	١٤٥
﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾	١٢٣	٧٠٦، ٧٦٢
﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾	١٢٤	٧٠٦
﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾	١٢٩	٣٤٣
﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾	١٣٠	٣٦٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾	١٣٥	٣٩٨، ٨٩٠
﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾	١٣٦	١٦٣
﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾	١٣٨، ١٣٩	٥٣٨
﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾	١٤٠	٥٩٥، ٥٩٦، ٦٢٨، ٦٦٦
﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾	١٤٧	٩٩
﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾	١٤٨	٦٦٤
﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾	١٥٧	٢١٤
﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾	١٦٠، ١٦١	١٦، ٢٥٧
﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾	١٧٦	٣٩٤
سورة المائدة		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾	١	٦٣٨
﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾	٢	١٥٧، ٨٨٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾	٣	١٦
﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾	١٣	٤، ٣٦، ٤٧٨
﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾	١٥، ١٦	١٧٩
﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾	١٨	٧٠٦
﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾	٢١	١٠٣
﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا﴾	٢٢	١٠٣
﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾	٢٣	١٠٣
﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا﴾	٢٤	١٠٣
﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾	٢١ ـ ٢٦	١٠٤
﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾	٢٧ ـ ٣١	١٤٤، ٢١٥، ٤٠٠، ٤٠١
﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾	٣٢	٨٠٨، ٨١٥
﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾	٤٤	٨١
﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾	٤٥	٨١
﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾	٤٧	٨١
﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾	٤٨	١٥
﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾	٤٩	٨١، ١٤٤، ١٥٣، ٢١٧
﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾	٥٠	٨١
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾	٥٤	٨٣، ٣١٨

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للبيع

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾	٥٥	٦٩٦
﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾	٦٣	٨٩٠
﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾	٧٢	٧٧
﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ﴾	٧٨ ـ ٧٩	٨٨٦، ٨٨٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾	٨٧	٢٥٨، ٧٣٥
﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾	٨٨	٢٥٨
﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾	٨٩	٦٣٢
﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	٩٨	٩٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾	١٠٥	٨٩٥، ٨٩٦، ٩٠٦
﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾	١٠٦	٣٩٨
﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾	١١٦	١٠٦، ١٠٧، ١٠٨
﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾	١١٧	١٠٦، ١٠٧، ١٠٨
﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾	١١٨	١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩
سورة الأنعام		
﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾	٨	١٧١
﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾	٩	١٧١
﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾	١٤	٧٨
﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ﴾	٣٤	٩٧
﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾	٣٦	٤٨٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾	٥٤	٥٢٧
﴿ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾	٥٦	٢١٧
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾	٦٠	٢٤٥
﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾	٦٨	٥٩٥، ٦٢٨، ٨٥٩
﴿ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾	٧٤	٣١٤
﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾	١٠٨	٦٨٣
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾	١١٢	١٥٢
﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مُفَصَّلًا ﴾	١١٤	٧٨
﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	١١٦	١٥٢، ٤٧٢
﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾	١٤٠	٣٦٨
﴿ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾	١٤١	٢٥٥
﴿ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ﴾	١٤٢	٢٥٥
﴿ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾	١٤٣	٢١٣
﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ﴾	١٤٨	٢١٣
﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾	١٥١	٣٦٧، ٤٢٦
﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾	١٥٢	٣٩٨، ٤٢٦
﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾	١٥٣	١٢، ٨٢، ٤٢٦
﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾	١٦١	١٠
﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾	١٦٢	١٠، ١٢٦، ١٣٨، ٢٠٨، ٢١٧

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾	١٦٣	١٢٦، ١٣٨، ٢٠٨، ٢١٧
﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ ﴾	١٦٤	٧٨، ٦٥٨
سورة الأعراف		
﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾	١٢	١٤٥، ٦٩٣
﴿ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ ﴾	١٧	١٤٥
﴿ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ﴾	٢٢	٢٨١
﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾	٢٣	١٠٢، ١١٠، ١٢٦
﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾	٢٦	٢٨١
﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ ﴾	٢٧	٢٨٢
﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ ﴾	٣١	٥٠، ١١٤، ١٤٩، ٢٥٨، ٢٨٣، ٣٤٢، ٦١٥، ٧٣٥
﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ ﴾	٣٢	٥٠، ١٤٩، ٢٥٨، ٢٨٣، ٢٨٥، ٧٣٥
﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾	٣٣	٥٠
﴿ قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا ﴾	٣٨	٢٢٠
﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾	٤٣	١٠١
﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾	٧٠	٢١٩
﴿ وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾	٧٩	٥٠٥

QaradawiBooks.com



الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾	٨٩	٢٣
﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾	٩٩	٨٧
﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾	١١٣ ـ ١٢٦	٩٧، ٢٣٣
﴿يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ﴾	١٣٤	١٠٣
﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ﴾	١٤٢	٨٥٥
﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ﴾	١٥٠	٨٥٦
﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾	١٥١	٤٠٣
﴿قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾	١٥٦	٩٩
﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا﴾	١٥٧	١٦
﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾	١٥٨	١٨٣
﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ﴾	١٦٤	٩٠٧
﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾	١٦٥	٨٨٩
﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾	١٦٨	٧٤٩
﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾	١٧٩	٤٧٢
﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	١٨٧	٤٧٢
﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾	١٩٩	٤، ٣٦، ٤٧٦
﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾	٢٠٥	١٢٦
سورة الأنفال		
﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾	١١	٢٢٨
﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ﴾	١٢	٢٢٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾	٢٤	١٨٤
﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ ﴾	٢٥	٨٩٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ ﴾	٢٧	٧٠٨
﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ ﴾	٤١	٤٢٩، ٤٣٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾	٤٥	٨٤، ٢٢٨، ٦٢٠
﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾	٤٦	١٥٧
﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ ﴾	٦٠	١٦٣، ٧٣٣
﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	٦٢	١٩١، ٦٩٦
﴿ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ﴾	٦٣	١٩١
﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾	٦٧	٢٤٠
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	٧٤	١٨٩
﴿ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾	٧٥	٣١١، ٣٩٩
سورة التوبة		
﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ ﴾	٢٤	٨٤
﴿ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا ﴾	٢٥	٨٧
﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾	٣١	٧٧، ١٢٣، ١٢٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ ﴾	٣٤	٢٣٧
﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ ﴾	٤٣	٢٤٠
﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا ﴾	٦٠	٤٣٧
﴿ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ ﴾	٦٧	٨٨٧

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾	٧١	٤٥١، ٨٨٥، ٨٨٧، ٨٩٠
﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ ﴾	٧٧	٦٣٥
﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾	٨١، ٨٢	١٩٥، ١٩٦، ٨٣٤
﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ﴾	٨٦	١٩٦
﴿ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾	٨٧	١٩٦، ٨٨١
﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾	٨٨	١٩٦
﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾	١٠٠	١٨٩، ٦٨٢
﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾	١٠٣	١٤٣
﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾	١٠٥	٦٩٦
﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾	١٠٨	٧٣١
﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ﴾	١١٢	٨٦٢، ٨٨٤، ٨٨٥
﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾	١١٣	٦٣٥
﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ ﴾	١١٤	٣١٥، ٦٣٥
﴿ ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ﴾	١١٨	٥٤٣
سورة يونس		
﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ ﴾	٢	١٧٢
﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾	١٠	٥٢٥
﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾	٣١	٧٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾	٣٢	٧٦، ٢٣٥
﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾	٣٦	٢١٤
﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾	٥٨	١٣
﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	٦٢	٤٧٠، ٤٧٦
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾	٦٣	٤٧٦
﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾	٧٢	١٧
﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾	٨٤	١٧
﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	٨٥، ٨٦	٦٩
﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى ﴾	١٠٤ ـ ١٠٦	٧٨
سورة هود		
﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾	١	١٦
﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾	٦	٣٥٦
﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾	١١	٩١
﴿ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ﴾	١٧	٦٧٢
﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	١٧	٤٧٢
﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	٤١	٢٥٨
﴿ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ ﴾	٥٣	٩٥
﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾	٦١	٢٥٤، ٤٠٠
﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ ﴾	٦٩	٥٢٧، ٥٨٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾	٨٧	٢١٩
﴿فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾	١٠١	٣٨٨
﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾	١١٣	٦٤٥
﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾	١١٤	٣١٨
﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ﴾	١١٦	٨٩٠
﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾	١٢٠	٢٢٩
سورة يوسف		
﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾	٤	٤٠١
﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ﴾	٥	٤٠١، ٧٠٩
﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾	١٨	٤٠١
﴿مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾	٢٣	٩٢
﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ﴾	٣١	٩٢
﴿قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ﴾	٣٢	٩٢، ٧٥٣
﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ﴾	٣٣	٧٥٣
﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾	٣٧، ٣٨	١٠٢
﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾	٥٣	١٤١
﴿قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ﴾	٧٤ ـ ٧٥	٤٣٩
﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾	٧٦	٢٢٥، ٢٤١
﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾	٨٤	١٣

QaradawiBooks.com



الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾	٨٦	١٣، ٧٦٨
﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾	٨٧	٦٩، ٨٧
﴿قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ﴾	٨٩ ـ ٩٠	٤٠٢
﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾	٩٩	٥٢٥
﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ﴾	١٠٠	١١٠، ٤٠٢، ٥١٣، ٥٢٥، ٧٥٢
﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾	١٠١	١٧
﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾	١٠٣	٤٧٢
﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾	١٠٨	٨٨١
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ﴾	١١٠	٩٨
سورة الرعد		
﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾	٦	٩٩
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾	١١	١٦٤، ٩٢٠
﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ﴾	٢٢	٧٥٨
﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾	٢٤	٥٢٥، ٧٥٨
﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ﴾	٢٥	٤٠٠
سورة إبراهيم		
﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾	٧	٨٨
﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ﴾	٩	٢٣١
﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾	١٠	٢١٩، ٢٣١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾	١١	٢٣١
﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾	١٢	٢٣١، ٩٧
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ﴾	١٣	٢٣١
﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾	١٤	٢٣١
﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾	١٥	٢٣١
﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾	٢٢	٦٣٦
﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾	٢٤ ـ ٢٧	٢٢٩، ٢٣٠، ٦٢٨
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾	٣٢	٧٤
﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾	٣٣	٧٤
﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾	٣٤	٧٤، ١٤١، ٤٤٦
﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾	٤٠	٢٣
﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾	٤١	٢٣، ٣١٥، ٣٢٥
سورة الحجر		
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾	٩	١٦
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾	٢٦	٥٧، ١٦٩
﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾	٢٧	١٦٩
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾	٢٨	١١، ١٦٩
﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾	٢٩	١١، ١٦٩
﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾	٣٠	١١، ١٧٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾	٣١	١١، ١٧٠
﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾	٣٢	١١
﴿ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴾	٣٣	١١
﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴾	٣٤	١١
﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾	٣٥	١١
﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾	٣٦	١١
﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴾	٣٧	١١
﴿ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴾	٣٨	١١
﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾	٣٩	١١، ١٤٦
﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾	٤٠	١١، ١٤٦
﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴾	٤١	١١، ١٤٦
﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾	٤٢	١٤٦
﴿ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴾	٤٩ ـ ٥٠	١٠٠
سورة النحل		
﴿ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۚ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴾	٥	٢٨١
﴿ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾	٨	٧١٣
﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ﴾	٣٢	٥٢٦
﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾	٣٦	٧٧، ١٤٦
﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾	٤٣	٢٠٠، ٢٢٤، ٢٢٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾	٥٣	٧٥، ٢٦٧
﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾	٥٨، ٥٩	٣٣٦، ٣٦٨
﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾	٦٣، ٦٤	١٧٤
﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾	٧٢	٣٠٩، ٣٣٣
﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ﴾	٨١	٢٨١
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾	٩٠	٤، ٢٧، ٣٦، ٩١، ٣٩٥
﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ﴾	٩٤	٢٣٠
﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾	٩٨	١٤٦
﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾	١٠٢	٢٢٩
﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾	١٠٥	٦٢٩
﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ﴾	١٢١	٢٥٥
﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾	١٢٣	٦٣٦
﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾	١٢٥	٨٨١
﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾	١٢٧	٩٦
سورة الإسراء		
﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾	١١	١٤١
﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾	١٥	٦٥٨

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ﴾	٢٣	٣١٣، ٣١٦، ٣١٧، ٨٠٤، ٨٠٤
﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾	٢٤	٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٨٠٤
﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ﴾	٢٥	٣١٦، ٣١٨
﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾	٢٦	٣٩٧، ٤٣٣، ٤٣٦
﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾	٢٩	٣٤٢
﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ﴾	٣١	٣٦٧
﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ﴾	٣٤	٤٢٦، ٨١٨
﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾	٣٦	٧٢٢
﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ﴾	٥٣	٥١٣، ٧١٢
﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾	٥٧	٩٩
﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾	٦٤	١٣٧
﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾	٦٥	١٤٦
﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾	٧٤، ٧٥	٢٢٩
﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾	٨٠	٦٩
﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾	٩٥	١٧١
سورة الكهف		
﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾	٢٨	١٤٤، ١٥٣، ٢٠٧، ٢١٧، ٥٩٩
﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ﴾	٥٠	١٤٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾	٥٤	١٤١
﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾	٦٢	٨٥٦
﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾	٦٥	٤٦٥
﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾	٦٦ ـ ٦٨	٤٦٥
﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾	٦٩	٤٦٥
﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾	٧٩	١٠٩
﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾	٨٢	١٠٩، ٤٦٦
سورة مريم		
﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾	١٤	٣١٥، ٨٠٤
﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾	١٥	٥٢٦، ٨٥١
﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾	٣٢	٣١٥، ٨٠٤
﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾	٣٣	٥٢٦
﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾	٤١ ـ ٤٦	٣١٤
﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾	٤٧	٣١٤، ٥٢٧، ٥٣٢، ٦٣٦
﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾	٥٤	٦٣٨، ٦٣٩
﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾	٦٥	٨٩
سورة طه		
﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ﴾	١٦	١٤٤
﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ۝ هَٰرُونَ أَخِى ۝ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ۝ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى﴾	٢٩ ـ ٣٢	٤٠٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾	٤٤	٩٣٤
﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ﴾	٤٧	٥٢٧، ٥٣٧
﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾	٥٠ ـ ٥٢	٤٧
﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾	٥٦ ـ ٧٦	٢٣٣، ٢٣٤
﴿ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾	٩١	٩١٨
﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴾	٩٢ ـ ٩٤	٩١٩، ٤٠٣
﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ ﴾	١٣٢	٨٩
سورة الأنبياء		
﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴾	٨	٢٥٣
﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾	٢٢	٨٦٤
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ ﴾	٢٥	٧٧
﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾	٣٥	٧٤٩
﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾	٦٧	٩٤٢
﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾	٨٣	٩٣، ١٠٤، ١١٠، ٦٥١، ٧٥٠، ٧٥٥، ٧٦٨
﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ ﴾	٨٤	٩٣، ٦٥١، ٧٥٠، ٧٥٥
﴿ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	٨٧	٤٤، ١٠٥
﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٨٨	١٠٥
﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾	٩٢	١٨، ١٣٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحج		
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾	٨	٢١٣
﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا ﴾	٢٧، ٢٨	١٤٣
﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ ﴾	٣١	٥٥
﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾	٣٢	٨٦
﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾	٣٧	٨٦
﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾	٣٩	٢٣٢
﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾	٤٠	٢٣٢، ٨٨٦
﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾	٤١	٦٦، ٨٨٦
﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾	٧٨	٧٣٦
سورة المؤمنون		
﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾	١ ـ ٤	٧١٠
﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾	٨	٧٠٨
﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾	٩	١١٧
﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ ﴾	٢٨	٢٦٧
﴿ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴾	٤٧	٢٣٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾	٥١	٢٥٦
﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾	٥٢	١٣٨
﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ ﴾	٦٣ ـ ٧٤	١٩٨
﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾	٩٧، ٩٨	١٤٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النور		
﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	٢	٨٤٨
﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾	٤	٦٧٠
﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	٥	٦٧٠
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾	١٩	٦٧٠
﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾	٢٢	٣٦، ٣٩٨، ٤٧٩، ٤٨٠
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾	٢٣ ـ ٢٥	٦٧٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾	٢٧	٥٠، ٥٥١، ٥٥٣، ٥٥٥، ٧١٥، ٩١٦
﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾	٢٨	٥٠، ٥٥٣، ٥٥٥، ٥٦١، ٥٦٤، ٦٢٠
﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾	٣١	٦٩٦
﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	٣١	٨١٧
﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾	٣٢	٨٠، ٣٦٠
﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾	٤٧	١٨١، ١٨٤
﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾	٤٨	١٨١، ١٨٤
﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾	٤٩	١٨١
﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ﴾	٥٠	١٨١
﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾	٥١	١٢١، ١٨١، ١٨٤، ٢١١

QaradawiBooks.com



الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾	٥٢	١٨١
﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ ﴾	٥٤	١٨٣
﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ ﴾	٥٩	٥٥٧
﴿ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡ ﴾	٦١	٤٨٨
﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ ﴾	٦٢	١٨٢، ٢٠٠
﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗا ﴾	٦٣	١٨٢، ١٨٤، ١٩٩
سورة الشعراء		
﴿ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ۞ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴾	٧٨ ـ ٨٢	٥٧، ١٠٦، ١٠٩، ٧٥١
﴿ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾	٨٦	٦٣٥
﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	٢١٥	٣١٧
﴿ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾	٢١٦	٥٠٨
﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ۞ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ﴾	٢٢٤ ـ ٢٢٧	٦٥٥
سورة النمل		
﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ ﴾	١٤	٢٣٥
﴿ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ ﴾	١٩	٦٩
﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴾	٣٠ ـ ٣١	٢٥٨
﴿ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ ﴾	٤٠	٥٧
سورة القصص		
﴿ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾	١١	٤٠٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾	١٢ ـ ١٣	٤٠٢
﴿قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ﴾	١٥، ١٦	١٠٢
﴿رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾	١٧	٦٩، ١٥٧
﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾	٢٢	٦٩
﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾	٢٤	١١٠
﴿قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ﴾	٢٩، ٣٠	٨٥٥
﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾	٣٤	١٠٥
﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ﴾	٥٠	١٤٣، ٢٠٧، ٢١٦
﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾	٥٥	٥٢٧
﴿لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾	٧٦	١٣
﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾	٧٨	٦٩٣
﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾	٨١	١٣
سورة العنكبوت		
﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾	٢، ٣	٩٣
﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾	٥، ٦	١٥٩
﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ﴾	٢٥	٤٦٣
﴿نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ۞ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾	٥٨، ٥٩	٩١
﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ﴾	٦٤	١٤٩
﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾	٦٩	٢٠٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الروم		
﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾	٢١	٣٠٩، ٣٣٤
﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴾	٣٠	٤٣
﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ﴾	٣٨	٣٩٧، ٤٣٦
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ﴾	٥٤	٤٢٢
سورة لقمان		
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ ﴾	١٢	٨٩
﴿ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾	١٣	٣١٣
﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾	١٤	٨٩، ٣١٣، ٣١٩، ٨٠٦
﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾	١٥	٣١٤
﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾	١٧	٣٦، ٩٥، ٩٣٣
﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ ﴾	١٨	٤، ٥٠
﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾	١٩	٤، ٥٠، ٦٩٨، ٧١٩
سورة الأحزاب		
﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ ﴾	٦	١٨٠، ٣٩٩
﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾	١٠ ـ ١١	٩٣
﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾	٢١	١٧١، ١٨٠، ١٨٤، ٢٣١، ٦٩٤
﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾	٢٢	٩٣، ١٩٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾	٢٣	١٩٠
﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾	٣٢	٧١٩
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾	٣٦	١٢، ٧٣، ١٢١، ١٨١، ١٨٤، ٢١١
﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾	٣٧	٢٤٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾	٤١، ٤٢	٨٤، ١٢٦، ٦٢٠
﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾	٤٤	٥٢٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾	٥٣	٤٩، ٦١٩
﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ﴾	٥٦	٨٤، ١٨١
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾	٥٧	١٨١
﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾	٥٨	١٨١، ٤٥٢، ٦٦٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	٥٩	١٨١
﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾	٦٠	١٨١، ٤٤٧
﴿مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾	٦١	١٨١
﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾	٦٢	١٨١
﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾	٦٣	١٨١
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾	٦٤	١٨١
﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾	٦٥	١٨١
﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾	٦٦	١٨١، ٢٢٠
﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾	٦٧	٢٢٠

QaradawiBooks.com



الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾	٦٨	٢٢٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾	٧٠	٧٠٨، ٩٤٤
﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾	٧١	٧٣، ٧٩، ٩٤٤
﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ ﴾	٧٢	٢٧، ١٤١
سورة سبأ		
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ﴾	١٠، ١١	٨٨
﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾	١٣	٨٨، ١٥٣، ٤٧٢
﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ﴾	١٥ ـ ١٧	٨٨
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾	٢٣	٧٨٩
﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾	٣١ ـ ٣٣	٢٢١
سورة فاطر		
﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾	٢	٤٥
﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾	١٤	٢٢٥
﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾	١٨	٦٥٨
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾	٢٩، ٣٠	٢٣، ٨٥
سورة يس		
﴿يسٓ ۞ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۞ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾	١ ـ ٤	١١٣
﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ ﴾	٦٠، ٦١	١٣٨، ٣٩٩
﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا ﴾	٧١	٤٤٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الصافات		
﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ۞ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾	٦٩ ـ ٧٠	٢٢٣
﴿سَلَـٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾	٧٩	٥٢٦
﴿سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾	١٠٩	٥٢٦
﴿سَلَـٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ﴾	١٢٠	٥٢٦
﴿سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾	١٣٠	٥٢٦
﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾	١٨٠، ١٨١	٥٢٦
سورة ص		
﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾	٢٤	١٥٣، ٤٧٢
﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾	٢٦	٨١، ١٤٣، ٢٠٧، ٢١٤، ٢١٦
﴿لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾	٢٩	١٢٥
﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾	٤١	٧٥٧
﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَـٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾	٤٢	٧٥٧
﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾	٤٣	٧٥٧
﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَـٰهُ صَابِرًا ۚ﴾	٤٤	٩٣، ٦٥١، ٧٥٧
سورة الزمر		
﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾	٧	٦٥٨
﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾	٩	٩٩
﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾	١٠	٧٥٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾	٥٣	٤٥، ٩٩
﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾	٧٣	٥٢٦
سورة غافر		
﴿حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾	١، ٢	٥٠٧
﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾	٣	١٠٠، ٥٠٧
﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾	٣٥	٦٩٦
﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾	٦٠	٣٦، ٨٤
﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾	٧٥	١٣
سورة فصلت		
﴿حمٓ ۝ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾	١ ـ ٥	٩٦
﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾	١٣	٢٣٢
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾	٣٣	٦٥٢، ٨٨١
﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾	٣٤	٣٦، ٧١٢
﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾	٤٢	١٨٠
سورة الشورى		
﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾	١٣	١٥
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾	٢٨	٤٤
﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾	٣٧	٤٨٠
﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾	٣٨	٤٨٦
﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾	٤٩، ٥٠	٣٧٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الزخرف		
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾	٩	٧٦
﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾	١٢	١٥، ٨٦٩
﴿ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴾	١٣	١٥، ٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠
﴿ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾	١٤	١٥، ٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠
﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾	٢٢	٢٢٣
﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ ﴾	٢٣	٢٢٠، ٢٢٣
﴿ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ﴾	٢٤	٢٢٣
﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾	٣١	٢٣٥
﴿ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾	٥١	٢٣٥، ٦٩٣
﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾	٥٢	٢٣٥
﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾	٥٨	٦٧١
﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾	٦٧	١٥٧، ٤٦٣
﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾	٨٠	٦٢٥
﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾	٨٩	٤٧٨، ٥٣١
سورة الجاثية		
﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا ﴾	١٨	١٤، ٨٢، ١٤٤، ١٥٣، ٢١٧
﴿ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ ﴾	١٩	١٤، ٨٢، ١٥٣، ٢١٧

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾	٢٠	١٤، ٢١٧
﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ ﴾	٢٣	١٤٣، ٢٠٧، ٢١٨
سورة الأحقاف		
﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ ﴾	١٥	٣١٩، ٨٠٥
﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا ﴾	٢٠	٢٨٨
سورة محمد		
﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۞ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾	٤ ـ ٥	٦١٤
﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾	١٢	١٤٩
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴾	١٦	١٤٤، ٢٠٧، ٢١٧
﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾	٢٢، ٢٣	٤٠٠، ٤٠٦
﴿ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾	٣٣	٩١
سورة الفتح		
﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾	١٨	١٩٠
﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾	٢٩	١٨٨، ٤٩١، ٦٨٢
سورة الحجرات		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ ﴾	١	١٨٠، ١٩٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ ﴾	٢	٤٩، ١٨٠، ٦٩٨
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾	٣	٤٩، ١٨٠، ٦٩٨
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾	٤	٤٩، ١٨٠، ٥٦٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	٥	٤٩، ١٨٠
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾	٦	٦٦٨، ٧٠٧
﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ﴾	٩	٨٩١
﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	١٠	٤٥٦، ٦٥٩
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾	١١	٦٥٩، ٦٦١، ٨٣١
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ﴾	١٢	٤، ٣٦، ٥٠١، ٦٦٢، ٧٢١، ٩١٦
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾	١٣	٥٩٨
﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾	١٥	١٧٢، ١٨٨، ٦٨١
سورة ق		
﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾	١٨	٦٢٥، ٧٠٨، ٧٢٢
﴿هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾	٣٢	٣١٩
﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾	٣٣	١٠٠
سورة الذاريات		
﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۞ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾	٢٠، ٢١	١٢٥
﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾	٢٤	٥٧٣، ٥٨٦
﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾	٢٥	٥٧٣
﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾	٢٦	٥٧٣، ٥٨٦
﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾	٢٧	٥٧٣
﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ﴾	٢٨	٥٧٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾	٤٩	٣١١
﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾	٥٦	١٤، ٢٥٤، ٧٣٠
﴿ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴾	٥٧	١٤
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾	٥٨	١٤
سورة الطور		
﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ۞ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾	٣٥ ـ ٣٦	٧٦، ٢١٣
سورة النجم		
﴿ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۞ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾	١١، ١٢	١١١
﴿ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾	١٧	١١٠
﴿ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم ﴾	٢٣	٢١٨
﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ ﴾	٢٨	٢١٤
﴿ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴾	٢٩ ـ ٣٠	٢٣٧
﴿ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ﴾	٣١ ـ ٣٢	٤٨٠
﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ ﴾	٣٢	٤٨٠، ٦٤٤، ٧٠٥
﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ﴾	٤٨	٢٦٦
﴿ أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ تَعۡجَبُونَ ۞ وَتَضۡحَكُونَ وَلَا تَبۡكُونَ ۞ وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ ﴾	٥٩ ـ ٦١	٨٣٣
سورة الرحمن		
﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۞ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۞ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۞ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴾	١ ـ ٤	٦٢٤
﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۞ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ﴾	٧ ـ ٩	٧
﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴾	١٤ ـ ١٦	١٦٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الواقعة		
﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾	٢٠	٥٨٧
﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾	٢١	٥٨٧
﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾	٣٥ ـ ٣٧	٨٢٥
﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾	٥٨ ـ ٧٤	٧٥
سورة الحديد		
﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ ﴾	١٠	١٩١، ٦٨٢
﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ ﴾	٢٠	١٠٠، ١٤٩
﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾	٢١	١١٣
﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ﴾	٢٢	٧٥١
﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾	٢٣	٣٠٠، ٧٥١
سورة المجادلة		
﴿ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾	٧	١٥٠
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾	٩	٧٠٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ ﴾	١١	٥٠، ٥٩٨، ٦٠٢، ٦٠٤، ٦٢٠
﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ ﴾	١٩	١٤٧
﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾	٢٢	٥٤٧
سورة الحشر		
﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾	٧	١٨٣، ٤٢٩، ٤٣٧

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾	٨	٥٨، ١٨٩
﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾	٩	٥٨، ١٨٩، ٤٧٢، ٥١٤، ٥٧٥
﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا﴾	١٠	٢٤، ٥٨، ١٩٢، ٦٨٣
سورة الممتحنة		
﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾	٤، ٥	٦٩
﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾	٧	٥١١
﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾	٨	٣٢٤، ٤٤٩، ٥٣٢
﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾	٩	٥٣٨
سورة الصف		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾	٢	٦٣٥، ٦٤٠
﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾	٣	٦٣٥، ٦٤٠، ٩٢٢
﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾	٤	٦١، ٤٥٨
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾	١٠، ١١	١٧٢
سورة المنافقون		
﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾	١	٦٢٩
﴿لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾	٨	١٨٧، ٣١٧، ٦٩٦
سورة التغابن		
﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾	١٤	١٥٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾	١٥	١٥٦
﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾	١٦	٧٩٩
سورة الطلاق		
﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ ﴾	٣	١٦٧
﴿ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ ﴾	٦	٣٨٠
﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ﴾	٧	٨٠٧
سورة التحريم		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾	٦	٤١، ٣٤٣، ٣٨٧
﴿ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ ﴾	١١	٤٤٥
سورة القلم		
﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴾	١	٦٢٤
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾	٤	٣٧
﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾	٨	١٥٣
﴿ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ﴾	٩	١٥٣
﴿ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ﴾	١٠	١٥٣، ٦٣١، ٦٦٧
﴿ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ﴾	١١	١٥٣، ٦٦٧، ٦٦٨
﴿ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ﴾	١٢	١٥٣
﴿ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾	١٣	١٥٣
﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ ﴾	١٤	١٥٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحاقة		
﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾	٣٣ ـ ٣٤	٤٣٣
سورة المعارج		
﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾	٢٣	١١٦
سورة نوح		
﴿رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۞ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا﴾	٥ ـ ٧	٩٥
﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾	١٠ ـ ١٢	٨٤
﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾	٢٨	٣١٥، ٣٢٥
سورة الجن		
﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾	١٠	١٠٦، ١٠٩
سورة المزمل		
﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾	١٠	٩٧
﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾	٢٠	٨٥١
سورة المدثر		
﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾	٤	٥٥
﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾	٣٨	٦٥٨
﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ۞ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ۞ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾	٣٩ ـ ٤٤	٤٣٣
سورة الإنسان		
﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾	١٢	٧٥٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النبأ		
﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۞ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۞ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾	٩ ـ ١١	٢٤٥
سورة النازعات		
﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾	٢٤	٩٠
﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۞ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾	٤٠، ٤١	١٤٣
سورة عبس		
﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۞ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۞ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾	١ ـ ١٢	٢٣٩، ٥٩٩
سورة التكوير		
﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾	٨ ـ ٩	٣٦٨، ٣٦٩
سورة الانفطار		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۞ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾	٦ ـ ٨	٥٥
﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۞ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۞ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾	١٠ ـ ١٢	٢٥٣
سورة المطففين		
﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۞ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾	١ ـ ٣	٤٩٤
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ﴾	٢٩ ـ ٣٤	٦٦٠، ٨٣٤
سورة البروج		
﴿ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾	١٤	٩٩
سورة الأعلى		
﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۞ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۞ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾	١ ـ ٤	٤٧، ٧٧
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۞ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾	١٤ ـ ١٥	١٤٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفجر		
﴿كَلَّا بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ﴾	١٧	٤٢٥
﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾	١٨	٤٢٥، ٤٣٣
سورة البلد		
﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۞ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ﴾	٨ ـ ٩	٦٢٤
﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ﴾	١٧	٤٢٣
سورة الشمس		
﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۞ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾	٧ ـ ١٠	١٤١، ٢٠٥
سورة الضحى		
﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ﴾	٦	٤٢٤
﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾	٩	٣١٧، ٤٢٥
﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾	١٠	٣١٧
سورة الشرح		
﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۞ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا﴾	٥، ٦	٧٥٢
سورة العلق		
﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾	١	٥٥
﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۞ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۞ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۞﴾	٣ ـ ٤	٦٢٤
سورة البينة		
﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾	٥	٨٦، ٩١، ١٢٥

غير مرخصة للبيع
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الزلزلة		
﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾	٧	٨٠٨
سورة العاديات		
﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾	٦	١٤١
سورة التكاثر		
﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾	٨	٧٢٨
سورة العصر		
﴿وَٱلْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾	١ ـ ٣	٩٤، ٨٨٠
سورة الماعون		
﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۞ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴾	١ ـ ٣	٤٢٥، ٤٣٣
سورة الإخلاص		
﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾	١	٢٥٠
سورة الفلق		
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾	١	٢٥٠
سورة الناس		
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۞ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۞ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾	١ ـ ٦	١٤٦، ٢٥٠

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
آيِبون تائبون عابدون، لربنا حامدون	٣١٩، ٨٧٠
آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان	٦٣٦، ٦٣٩، ٦٤٠
آية المنافق ثلاث وإن صام وصلى وزعم أنَّه مسلم	٦٣٦
أَبْشِر؛ فإنَّ الله يقول: هي ناري أسلِّطها على عبدي المؤمن في الدُّنيا	٧٨٩
أبْشري يا أمَّ العلاء، فإنَّ مرض المسلم يُذهب الله به خطاياه	٧٨٨
أتأذَنُ لي أَن أُعطيَ هؤلاء؟	٥٤، ٢٧٧
أتانا رسول الله ﷺ ونحن صبيان، فسلم علينا، وأرسلني في حاجة...	٥٢٩
أتدرون ما الغِيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم	٦٦٣
أتدرون ما هذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين	٦٦٢
أتدري مَن هذا؟ قلتُ: لا. قال: جبريل ﷺ، ما زال يوصيني بالجار	٤٥٨
أتضحكون من دقَّة ساقيه، والذي نفسي بيده، لهُمَا أثقلُ في الميزان	٦٥٩
أتعجبون من غَيْرة سعد؟ وأنا والله أغير منه، والله أغير مني	٣٤١
اتقِ الحَيْضةَ والدُّبُر	٣٥١
اتقوا الشُّحَّ، فإنه أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم	٨٠٩
اتقوا اللهَ واعدلوا في أولادكم	٣٩٢

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
اتَّقُوا اللاعِنَيْنِ قالوا: وما اللَّاعِنانِ يا رسولَ الله؟	٥٣
أتيتُ ليلةَ أسري بي على قوم تُقرض شفاهُهم بمقاريض من نار	٩٢٢
أجارك الله يا كعب بن عُجْرة من إمارة السفهاء	٦٤٥
اجتنبوا السبع الموبقات... وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات	٦٧٠
أجدُني أعافُه	٢٦٩
أجعلتني لله ندًّا؟! قل: ما شاء الله وحده	٦٤٨، ٦٩٥
أجل إنِّي أُوعَكُ كما يُوعَكُ رجلان منكم قلت: ذلك بأن لك أجرين؟	٧٦٣، ٧٦٥، ٧٦٧، ٧٩٢
أجل ـ لعَمْري ـ لقد استيقنوا بذلك	٦٣٤
اجلس على هذه قلت: بل أنت، فاجلس عليها. قال: بل أنت	٥٦٨
أحبُّ الأسماء إلى الله: عبد الله، وعبد الرحمن	٣٧٦
أحبُّ الأعمالِ إلى الله ﷻ سرورٌ يدخله على مسلم، أو يكشف عنه كربة	٨٧٢
أحبِبْ حبيبَكَ هونًا ما، عسى أن يكون بغيضَكَ يومًا ما	٥١١
احفظ عورتك إلَّا من زوجتك	١١٤، ٢٨٢
أُحِلَّ الذهب والحرير للإناث من أمَّتي، وحرِّم على ذكورها	٢٨٦
أحيٌّ والداك؟. قال: نعم. قال: ففيهما فجاهد	٣٢١
إخْ إخْ	٣٦٦
اخرج إلى هذا، فعَلِّمْه الاستئذانَ، فقل له: قل: السَّلامُ عليكم، أأدخُل؟	٥١، ٥٦٦، ٧١٧
أخرجت (عائشةُ) إلينا إزارًا غليظًا مما يصنع باليمن، وكساء...	٢٩٧
أخشيت يا فلان أن يعدو غناك عليه، وأن يعدو فقره عليك؟!	٥٩٩
إخوانُكم خَوَلُكم، جعلهم الله تحت أيديكم	٤٤١
أدَّبني ربي فأحسن تأديبي	١٩، ٣٢، ٣٥
ادعُهم إلى شهادة أن لا إلٰه إلَّا الله، وأنِّي رسول الله	٤٣٣

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إذا ابتلى اللهُ ﷻ العبدَ المسلمَ ببلاء في جسده	٧٦١
إذا أتاكم من ترضون دينه وخُلُقه فزوِّجوه، إلَّا تفعلوه تكنْ فتنةٌ	٣١٠
إذا أتى أحدَكم خادمُه بطعامه، فإن لم يُجلسه معه، فليُناوله لُقمةً	٤٤١
إذا أتيتَ مضجعك، فتوضَّأ وُضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقِّك الأيمن	٤٦
إذا أحبَّ أحدُكم أخاه فليُعلمه	٤٩٩
إذا أخذ مضجعه من الليل، وضع يده تحت خده...	٢٥٠
إذا أراد أحدكم جماع امرأته، فلا يتجردان تجرُّد البَعِيرين أو العَيْرين	٣٤٩
إذا أراد الله بعبد خيرًا استعمله	٨١٨
إذا أراد الله بعبد خيرًا طهَّره قبل موته قالوا: وما طُهور العبد؟	٨١٩
إذا استأذنَ أحدُكم ثلاثًا فلم يُؤذن له، فلْينصرفْ	٥٦٠
إذا اشتكى العبد المؤمن، أخلصه الله من الذنوب كما يُخْلِص الكيرُ	٧٦٠
إذا أكل أحدكم طعامًا، فلا يأكل من أعلى الصَّحْفة	٢٦٣
إذا أكل أحدكم طعامًا فلْيَقُل: اللهمَّ بارك لنا فيه، وأطعمنا خيرًا منه	٢٦٦، ٢٧٨، ٢٧٩
إذا أكل أحدكم، فلْيذكر اسم الله، فإن نَسِيَ اسم الله في أوله	٢٥٩
إذا أمرتكم بأمر، فأْتوا منه ما استطعتم	٧٩٩
إذا انتعل أحدُكم فليبدأ باليُمْنى، وإذا انتزع فليبدأْ بالشِّمال	٥٢، ٥٦٨
إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليُسلِّم، فإن بَدا له أن يجلس فليجلسْ	٦١٩، ٧١٨
إذا انقطع شِسْعُ أحدكم ـ أو انقطع شِسْع نعله ـ فلا يمشِ في نعلٍ واحدة	٥٢
إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتلُ والمقتولُ في النار	١٢٩
إذا جاء الرجلُ يعود مريضًا، فليقل: اللهمَّ اشفِ عبدَك	٧٩٥
إذا حدث الرجل بالحديث ثم التفتَ، فهي أمانة	٤٩٥، ٦١٦، ٧٠٩، ٧٢٢
إذا حدَّث النبيَّ ﷺ بحديث حدثه كأخي السِّرار لم يُسْمِعْه حتى يستفهمه	٦٩٩

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إذا دخلتم على المريض، فنفِّسوا له في أجله	٧٩١
إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه	٢٦٠
إذا دعا الرجل لأخيه بظهر الغيب، قال الملَك: ولك مِثْلُ ذلك	٥١٢
إذا دعي أحدكم، فليجب، فإن كان صائما، فليصل، وإن كان مفطرا، فليطعم	٢٧٠
إذا رأيتَ أمَّتي تهاب أن تقول للظالم: يا ظالم. فقد تُوُدِّع منهم	٦٤٥، ٨٩٨
إذا رأيتم المدَّاحين فاحثوا في وجوههم التراب	٦٤٦، ٦٤٩
إذا رأيتُم الناس مَرَجَتْ عهودهم، وخفَّت أماناتهم، وكانوا هكذا	٩٠٥
إذا سقطت لُقْمَةُ أحدكم، فَلْيُمِطْ ما بها من الأذى ولْيَأْكُلْهَا	٢٦٤
إذا سلَّم عليكم أهلُ الكتاب، فقولوا: وعليكم	٥٤١
إذا سَلَّم عليكم اليهودُ، فإنما يقول أحدُهم: السام عليك. فقُل: وعليك	٥٤١
إذا سمعتم به بأرضٍ، فلا تدخلوا عليه	٧٤١، ٨٥٩
إذا سمعتم من يعتزي بعزاء الجاهلية، فأعضُّوه، ولا تكنوا	٦٩١
إذا صلَّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها	٣٦١
إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمِّتوه، فإن لم يحمد الله فلا تشمتوه	٦٠٦
إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله. وليقُل له أخوه أو صاحبه	٦٠٧، ٦١١
إذا عطس أحدُكم فليقل: الحمد لله. وليقُلْ مَن عنده: يرحمُك الله	٦٠٨
إذا عُملت الخطيئة في الأرض، كان مَنْ شهدها وكرهها	٨٩٨
إذا قال ذلك، فهو أهلكهم	٦٩٠
إذا قام أحدُكم مِن مجلسه ثم رجع إليه، فهو أحقُّ به	٦٠١
إذا كان في سفر فعرس بليل، اضطجع على يمينه...	٢٥٢
إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما، فإن ذلك يحزنه	٦٠٥، ٦٩٢
إذا كنتم ثلاثةً في سفر، فأمِّروا أحدَكم	٢٤٨، ٨٦٤
إذا مرض العبد أو سافر، كُتِب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا	٧٦١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إذا همَّ أحدُكم بالأمرِ، فلْيركعْ ركعتين من غيرِ الفريضة	٨٦٦
أذكِّرُكم اللهَ في أهل بيتي، أذكِّركم الله في أهل بيتي	١٩٢
أذن رسول الله ﷺ في أذني الحسن حين ولدته فاطمة بالصلاة	٣٧٦
أذهب الباسَ ربَّ الناس، اشفِ وأنت الشافي، لا شفاءَ إلَّا شفاؤك	٧٤٢، ٧٩٣
اذهبْ فاصبرْ. فأتاه مرتين أو ثلاثًا، فقال: اذهبْ فاطرحْ متاعك في الطريق	٤٥٧
أرْبَعٌ مِن السعادة: المرأةُ الصالحة، والمسكنُ الواسع	٤٥٩
أربع من كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا	٦٣٦
ارجع فقد بايعناك	٧٤١
ارموا واركبوا، وأن ترموا أحبُّ إليَّ من أن تركبوا	٣٩٠، ٧٣٤
الإزارُ إلى نصف الساق. فشقَّ عليهم، فقال: أو إلى الكعبين	٢٩١
إزْرة المؤمن إلى عَضَلة ساقه، ثم إلى نصف ساقه، ثم إلى كعبه	٢٩١
أستودع الله دينك وأمانتك...	٩٩٧
أستودعُكَ اللهَ الذي لا تضيع ودائعه	٨٦٥
استوصوا بأهل مصر خيرًا، فإن لكم فيهم رحمًا وصهرًا	٣٣٤
استيقظ رسول الله ﷺ، فجلس يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات	٢٥١
أسرَّ إليَّ النبي ﷺ سرًّا...	٦١٧
اسكتي عن هذه، وقولي الذي كنتِ تقولين قبلها	٣٣٧
أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حَسَب دينه	٧٥٠
الإشراك بالله. قال: ثم ماذا؟ قال: ثم عقوقُ الوَالِدَيْن	٦٣١
اشْرَب، فما زال يقول اشْرَب	٢٧١
أصبحنا وأصبح الملك لله، والحمد لله، لا شريك له	٢٦٧
اصبري لأمر الله، وأنت يا جَزَّار، فسقها إلى الموت سوقًا رفيقًا	٥٤
اصنعوا كلَّ شيءٍ إلَّا النكاح	٣٥٢

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
أطعموا الجائع، وعُودوا المريض، وفكُّوا العانِي	٤٦١، ٧٧٢، ٧٧٧
اطَّلعتُ في النار، فإذا أكثر أهلِها النساء. فقلن: لِمَ يا رسول الله؟	٣٦٢
اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم	٣٩٢
اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقى، ما لم يكن فيه شرك	٧٩٥
اعزلْ عنها إن شئت، فإنه سيأتيها ما قُدر لها	٣٥٧
أعطيني هذه الخُمْرة أي: الغطاء. فقالت: يا رسول الله، إنِّي حائض	٣٥٣
اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم	١٩٢
أعيدوا سَمْنَكم في سِقائه، وتَمْرَكم في وعائه، فإني صائم	٢٧٠
أفضلُ الجهاد كلمةُ عدل عند سلطان جائر	٩٠٥
أفضل الصدقةِ الصدقةُ على ذي الرحم الكاشِح	٤٠٧
أفضل الصدقة على ذي الرَّحِمِ الكاشح	٨١٧
أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامَكمُ الأبرارُ، وصلَّت عليكم الملائكة	٢٧١
أفلح ـ وأبيه ـ إن صدق	٦٣٤
اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه	١٢٦
أكْثِرْ من الدعاء بالعافية	٧٩٤
أكثروا من معرفة الناس، فإنَّ لكلِّ مؤمن شفاعة	١٦٥
أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وألطفهم بأهله	٣٣٩
ألا أخبركم بالمؤمن؟ مَن أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم	٢٠٥
ألا أخبركم بشرار هذه الأمة؟ الثَّرْثارون المُتَشَدِّقون المُتَفَيْهقون	٧٠٣
ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثًا، قلنا: بلى، يا رسول الله	٣٢٧
ألا إنِّي أوتيتُ الكتاب ومثله معه، ألا إنِّي أوتيتُ القرآن ومثله معه	١٨٦
ألا رجل يُضيف هذا رحمه الله؟!	٢٧٢
إلَّا رفعه اللهُ بها درجةً، وحطَّ عنه بها خطيئة	٧٥٩

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ألا لا يمنعنَّ رجلًا هيبةُ الناس أن يقول بحقٍّ إذا علمه	٩٠١
ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عنِّي وهو متكئ على أريكته	١٨٦
ألا وإن في الجسد مُضْغة، إذا صَلَحت صَلَح الجسدُ كُلُّه	٨٧، ٦٤٧
ألا وإنَّ لله أواني في أرضه، وهي القلوب	٤٩٠
الذي يشرب في آنية الفضة إنَّما يُجَرْجِر في بطنه نار جهنم	٢٦٩
ألكَ والدان؟ قلتُ: نعم. قال: الزمهما؛ فإنَّ الجَنَّة تحت أرجلهما	٣٢٢
اللهمَّ اجعلْ خيرَ عُمري آخرَه، وخيرَ عملي خواتِمَه	٨١٨
اللهمَّ اشفِ سعدًا، وأتمِمْ له هجرتَه	٧٦٧، ٧٩٢، ٧٩٣
اللهم أطْعِمْ من أطْعَمني، واسْقِ من سقاني	٢٧٢، ٥٧٠
اللهمَّ اغفرْ لي إن شِئْتَ، وارحمني إن شئت	٦٩٢
اللهم اغفرْ لي وارحمني، وألحقْني بالرفيق الأعلى	٧٧٠
اللهمَّ إنِّي أسألُك العفوَ والعافيةَ في دنياي وديني وأهلي ومالي	٧٣٩، ٧٩٤
اللهمَّ إنِّي أسألُك فعلَ الخيرات، وتركَ المنكرات، وحبَّ المساكين	٧٧٠
اللهم إنِّي أعوذ بك من جار السوء في دار المُقامة، فإن جار البادية يتحوَّل	٤٥٦
اللهمَّ إنِّي أعوذُ بك من العَجْز والكَسَل	٧٣٤
اللهمَّ إنِّي كان لي أبوان شيخان كبيران، فكنتُ أخرج فأرعى	٣٢٤
اللهم بارِكْ لأمَّتي في بُكُورها	٢٤٧، ٧٣٣
اللهمَّ بارك لنا فيها ـ ثلاثَ مرات ـ اللهم ارزقنا جَنَاها	٨٧١
اللهمَّ باركْ لهم فيما رزقتهم، واغفرْ لهم وارحمْهم	٢٧١
اللهمَّ جنِّبني منكرات الأخلاق	٣٦
اللهم حبِّب إلينا المدينةَ كحبِّنا مكَّة أو أشد	٧٨١
اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم...	٢٥١
اللهم ربَّ السماوات السبع وما أظللْنَ، وربَّ الأَرَضِين السبع	٨٧١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
اللهمَّ عافني وارزقني	٧٣٩
اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك	٢٥١
اللهمَّ كما أحسنتَ خَلقي فحسِّن خُلقي	٣٦
اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبرَ همِّنا	٧٥٣
اللهم لك الحمدُ، أَنتَ كَسَوتَنِيه، أسألك من خَيره وخَيْرِ ما صُنع له	٣٠٥
اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن	٢٥٢
اللهم هذا قَسْمي فيما أملك، فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك	٣٤٤
أله إخوة؟ قال: نعم. قال: فكلَّهم أعطيتَ مثل ما أعطيتَه؟ قال: لا	٣٩٢
أمَا إنكِ لو لم تعطِيه شيئًا، كُتِبَت عليك كذبة	٦٤١
أمَّا إنَّه لو سَمَّى، كفاكم	٢٥٩
أمَا كان يجد هذا ما يغسل به ثيابَه؟!	٣٠٣
أمَّا معاوية، فصعلوكٌ لا مال له	٦٦٥
أمَا يجد هذا ما يسكِّن به رأسه؟	٣٠٣
أُمرت بقريةٍ تأكلُ القرى، يقولون: يثرب. وهي المدينة	٦٩٢
أمرنا النبي ﷺ بسبع...	٧٧٢
أمُّك. قال ثم من؟ قال: أمُّك. قال ثم من؟ قال: أمُّك	٣١٩
أمهلوا حتى تدخلوا ليلًا ـ أي عشاء ـ لكي تمتشط الشَّعِثة	٨٧٢
إن أبَرَّ البِرِّ صلةُ الولدِ أهلَ وُدِّ أبيه	٣٢٦
إن أبغض الرجالِ إلى الله الألَدُّ الخَصِم	٦٧٢
إنَّ أزواج النبي ﷺ ليراجعنه	٣٣٨
إنَّ أعمالَ بني آدم تُعرَضُ كلَّ خميسٍ ليلةَ الجمعة	٤٠٨
إنَّ الذي يأكل أو يشرب في آنية الذهب والفضة	٢٦٩
إنَّ الله اصطفى بني إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل كنانة	١٩٣

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إنَّ الله تعالى خَلَقَ الخَلْقَ، حتى إذا فرغ منهم، قامتِ الرَّحِمُ	٤٠٥
إنَّ الله تعالى يغار، والمؤمن يغار	٣٤١
إنَّ الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابُّون بجلالي؟	٤٦٧
إنَّ الله جميل يحبُّ الجمال، طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة	٧٣٢
إنَّ الله حرَّم عليكم: عقوقَ الأمهات، ووأدَ البنات، ومنعًا وهات	٣٢٧
إنَّ الله رفيقٌ يحبُّ الرِّفْق، ويعطي على الرِّفْق ما لا يعطي على العنف	٩٣٤
إنَّ الله سائلٌ كلَّ راعٍ عمَّا استرعاه، حفظ أم ضيَّع	٣٧٨
إنَّ الله ﷻ قال: إذا ابتليتُ عبدي بحبيبتيه فصبر، عوَّضته منهما الجنة	٧٦٤
إنَّ الله ﷻ يحبُّ ثلاثةً ويبغض ثلاثةً	٤٥٧
إن الله ﷻ يحب معالي الأمور	٣٧
إنَّ الله ﷻ يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، مرضتُ فلم تعُدْني!	٧٧٤
إنَّ الله قد أوجب لها بها الجنة. أو: أعتقها بها من النار	٤٣٤
إنَّ اللهَ كان أحقَّ أن يُجار عائذُه. قال: يا رسول الله، فإنه حُرٌّ لوجه الله	٤٤٢
إن الله كره لكم ثلاثا: قيل وقال...	٦٩٣
إنَّ الله لا يعذِّب العامَّة بعمل الخاصَّة	٩٠١
إنَّ الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس	٢٢٦
إنَّ الله لا ينظر إلى أجسامِكم ولا صُوَرِكم، ولكن ينظرُ إلى قلوبِكم	٨٧، ٦٤٧، ٦٥٩
إنَّ الله لم يُنزل داء إلَّا أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله	٧٤٤
إنَّ الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكْلَة فيحمده عليها	٢٦٦
إنَّ الله ليسأل العبدَ يومَ القيامة، حتى يقول: ما منعك إذا رأيتَ المنكر	٩٠١
إنَّ الله هو الحَكَم، وإليه الحُكْم	٦٩٥
إنَّ الله يحب العُطاس، ويكره التثاؤب، فإذا عطس أحدُكم وحَمِدَ اللهَ	٦٠٦
إنَّ الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم	٦٣٣

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إن أموالَكم وأعراضَكم ودماءَكم حرامٌ عليكم، كحرمةِ يومِكم هذا	٦٦٩
إن أول ما دخل النقصُ على بني إسرائيل: أنَّه كان الرجلُ يلقى الرجلَ	٥٤٧
إنَّ أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد...	٨٧
أن تجعل لله نِدًّا وهو خلقك قيل: ثم أي؟	٤٥٣
إنَّ الدنيا حُلْوة خَضِرَة، وإنّ اللهَ مُستخلِفُكم فيها، فناظرٌ كيف تعملون	١٥٠
أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى، فأرصد الله له، على مدرجته، ملكًا...	٤٦٨
إنَّ الرجل إذا غرم ـ أي: استدان ـ حدَّث فكذب، ووعد فأخلف	٦٣٧
إنَّ الرجل ليُحرَم الرزقَ بالذنب يُصيبه، ولا يردُّ القدرَ إلَّا الدعاءُ	٣٢٣
إنَّ الرجل ليدرك بحسن خُلْقه درجة الصائم القائم	٥٨٩
إنَّ الرَّحِمَ شِجْنَةٌ مِن الرحمن، تقول: يا رب! إنِّي قُطِعْتُ يا رب!	٤٠٦، ٤٠٧
إنَّ الرِّفْقَ لا يكون في شيء إلَّا زانه، ولا يُنْزَع من شيء إلَّا شانه	٥٦٣، ٧١٥
إنَّ الرُّقَى والتمائم والتِّوَلة شِرْك	٧٤٢
إن ساقي القوم آخرهم شُربًا	٢٧٨
إن شئتِ صبرتِ ولكِ الجنة، وإن شئتِ دعوتُ الله أن يعافيك	٧٦٠
إنَّ الشيطان يحضُرُ أحدَكم عند كل شيء من شأنه	٢٦٤
إنَّ الشيطانَ يستحلُّ الطعام الذي لم يذكر اسم الله عليه	٢٦٠
إنَّ العبد إذا كان على طريقة حسنة من العبادة، ثم مرض	٧٦١
إنَّ العبد إذا لعن شيئًا صعدتِ اللعنة إلى السماء	٦٧٩
إنَّ العبد ليقول الكلمة، لا يقولها إلَّا ليُضحك بها المجلس	٧١١
إنَّ عمَّارًا مُلئ إيمانًا من قَرْنه إلى قَدَمه	٧٤٦
إن كان خرج يسعى على ولده صغارًا، فهو سبيل الله	٤٢٢
إن كنتَ عبد الله فارفعْ إزارَك	٢٩٢
إنْ كنتَ كَمَا قلتَ، فكأنَّما تُسِفُّهم المَلَّ	٤٠٧

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إن لبدنك عليك حقًّا ـ أي: في الراحة ـ وإن لعينك عليك حقًّا	٧٣٦، ٧٣٨
إن لكل قوم عيدًا، وهذا عيدنا	٨٢٧
إن للرَّحِمِ حُجْنَةً متماسكة بالعرش، تَكَلَّمُ بلسانٍ ذَلْقٍ	٤٠٦
إنَّ لله ما أخذ وما أعطى، وكل شيء عنده بأجلٍ مُسَمًّى، فلتحتسبْ ولتصبرْ	٧٧٩
إن لله ملائكةً يطوفون في الطُّرق، يلتمسون أهلَ الذكر	٥٩٤
إنَّ من إجلالِ اللهِ: إكرامَ ذي الشَّيْبَة المسلم	٥، ٥٢، ٤٢٢
إن مِن أرْبى الرِّبا: الاستطالةُ في عِرْض المسلم بغير حقٍّ	٤٠٦، ٦٦٩
إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة، الرجل يفضي إلى امرأته	٣٥٤، ٣٦٠
إنَّ مِن أكبر الكبائر: أن يلعن الرجل والديه	٣٢٨
إن من التواضعِ لله الرضا بالدون من المجلس	٥٨٥
إنَّ من عباد الله عبادًا ليسوا بأنبياء، يغبطهم الأنبياء والشهداء	٤٦٩
إن من الغَيْرة غيرةً يبغضها الله ﷻ، وهي غيرة الرجل على أهله	٣٤١
إنَّ الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيِّروه، أوشك الله أن يَعُمَّهم بعقابه	٨٩٦
أن النبي ﷺ أولم على صفية بتمر وسويق	٣٣٦
أنَّ النبي ﷺ زجر عن الشرب قائمًا	٢٧٦
أن النبي ﷺ كان إذا أراد حاجة لا يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض	٥٣
أن النبي ﷺ كان إذا ذهب المذهب أبعد	٥٣
أن النبي ﷺ كان يتنفس ثلاثًا	٢٧٢
أنَّه مر على صبيان فسلم عليهم	٥٢٩
إن هذا تَبِعَنا، فإن شئتَ أن تأذن له، وإن شئتَ رجع	٢٧١
إن هذا المال خَضِرة حُلْوة، فنِعْمَ صاحبُ المسلم ما أعطى منه	٤٣٣
إن هذين حرامٌ على ذكورِ أُمَّتي	٢٨٧
أنا أعلمُكم باللهِ وأخشاكم له، ولكنِّي أقومُ وأنام، وأصومُ وأُفطر	٧٣٥

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
أنا أول من يفتح باب الجنة، إلَّا أنِّي أرى امرأةً تُبادرني	٤٣٠
إنَّا حامِلُوكَ على ولد الناقة	٨٢٥
أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا	٤٣٠
أنتِ أحقُّ به ما لم تَنْكحي	٣٧٩
أنت جميلة	٦٦١
أنت سهل	٦٦١
أنت مع من أحببتَ	٤٧٠
أنزلوا الناس منازلهم	٧٢٠
إنكَ جئتني وفي يدك جمرة من نار	٢٨٩
إنَّكم تُدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم، فأحسنوا أسماءكم	٣٧٧
إنَّما الأعمال بالنيات، وإنَّما لكل امرئٍ ما نوى	٩١، ٥٨٤
إنَّما بُعثتُ لأتمم صالح الأخلاق	٥
إنَّما بُعثت لأتمِّم مكارم الأخلاق	٣٧، ٥٩
إنَّما ظننتُ ظنًّا فلا تؤاخذوني بالظن، أنتم أعلمُ بأمر دُنياكم	٢١٠
إنّما كان فراش رسول الله ﷺ الذي ينام عليه من أدم حشوه ليف	٢٥٠
إنَّما يأكلُ الذئبُ من الغنم القاصية	٤١٧
إنَّما يتجالس المتجالسان بالأمانة	٦١٦
إنَّما يلبس هذه مَن لا خَلَاقَ له في الآخرة	٣٠١
إنَّه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعلَّ الله أن يكون قد اطَّلع	١٩٠
إنَّها ستأتي على الناس سِنُونَ خدَّاعة، يُصدَّق فيها الكاذبُ	٦٢٦
إنَّها كانتْ تأتينا أيامَ خديجة، وإنّ حُسْنَ العهدِ من الإيمان	٤٨٣، ٥١٣
إنَّها واحدة	٣٥٩
إنِّي راكبٌ غدًا إلى يهود، فلا تبدؤوهم بالسلام	٥٣٦

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إنِّي صائم	٢٧٠
إنِّي لا أقول إلَّا حقًّا، قال بعض أصحابه: فإنك تداعبنا يا رسول الله	٨٢٩
إنِّي لأعلم إذا كنتِ عنِّي راضية، وإذا كنت عليَّ غَضْبى	٣٣٨
أهرقها. قال: فإني لا أروى من نَفَس واحد؟	٢٧٣
أهلكتم ـ أو قطعتم ـ ظهر الرجل	٦٥٠
أوصيكم بالجار	٤٥٨
أوصيكم بتقوى الله، والسمعِ والطاعة وإن تأمَّر عليكم عبدٌ	١٨٥
أَوَفعلتِ؟ قالت: نعم. قال: أمَا أنَّكِ لو أعطيتِها أخْوالَكِ كان أعظمَ لأجرِكِ	٤٠٥
أول خَصْمين يوم القيامة: جاران	٤٥٦
أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة من النعيم	٧٢٨
أوَلا تَدْرِي؟ فلعله تكلَّم فيما لا يعنيه، أو بَخِلَ بما لا يُنقِصُه	٧١١
أوَليس قد جعل الله لكم ما تصدَّقون به؟ إنَّ بكل تسبيحة صدقة	٣٤٨، ٨٩٢
أيُّ عُرى الإسلام أوثق قالوا: الصلاة. قال: حسنةٌ، وما هي بها	٤٧٠، ٥٤٧
إياكم والجلوسُ على الطرقات. قالوا: يا رسول الله، لا بد لنا من مجالسنا	٥٩٢
إياكم والحسد، فإنَّ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب	٧٤٦
إيَّاكم والظنَّ؛ فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديث	٢١٤، ٤٩٣
أيُّما امرأةٍ سألت زوجها طلاقها من غير ما بأس	٣٥٨
أيُّما امرأةٍ ماتت وزوجُها عنها راضٍ دخلت الجَنَّة	٣٦١
أيُّما أهل عَرْصَة أصبح فيهم امرؤٌ جائع، فقد برِئَتْ منهم ذمَّةُ الله ﷻ	٤٦١
ب	
بارك اللهُ لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير	٣٣٦، ٣٦٩
باسم الله	٧٩٢
باسم الله، أعوذ بكلمات الله التامَّة: من غضبه وعقابه وشرِّ عباده	٨٠٠

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
باسم الله، تربةُ أرضنا، بريقةِ بَعْضِنا، يُشفى به سقيمُنا، بإذن ربنا	٧٩٦
باسم الله، توكلتُ على الله، اللهم إنَّا نعوذ بك من أن نَزِلَّ أو نُزَلَّ	٨٦٧
باسم الله. فإذا فرغ قال: اللهمَّ أطْعمتَ وأسقيْتَ وأقنيْتَ وهديْتَ	٢٦٦
بايعنا على السمع والطاعة، في منشطنا ومكرهنا...	٨٩٢
البَرَكة تنزل وسَطَ الطعام، فكلوا من حافَّتيه، ولا تأكلوا من وَسَطه	٢٦٣
بركةُ الطعام الوضوءُ قَبْلَه والوضوء بعده	٢٦٧
بَرُّوا آباءَكم، تبَرّكُم أبناؤكم، وعِفوا تعفَّ نساؤُكم	٣٢٣
البسوا ثيابَ البياض، فإنها أطهرُ وأطيب، وكفِّنوا فيها موتاكم	٢٩٠
البَسوا من ثيابكم البياض؛ فإنها من خير ثيابكم، وكفِّنوا فيها موتاكم	٢٨٩
بعث رسول الله ﷺ إلى أبي بن كعب طبيبا، فقطع منه عرقا، ثم كواه عليه	٧٤٠
بعُد من أدرك أبويه عند الكبر أو أحدهما فلم يدخل الجَنَّة	٨٠٥
بل أنا وارأساه	٧٦٥، ٧٦٧
بلى، إنَّهم حرّموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام	١٢٣
بئس الخطيبُ أنت	٦٩٥
بئس مَطِيَّة الرجل زعموا	٦٩٣
بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر، فمالوا إلى غار في الجبل	٣٨
ت	
تجدون الناس كإبلٍ مائةٍ، لا يجد الرجلُ فيها راحلة	٤٧٥
تخلَّل فقال: مِمَّ أتخلَّل؟ ما أكلت لحمًا! قال: إنك أكلتَ لحم أخيك	٦٦٢
تُزكِّي نفسَها!	٣٧٧
تُطْعِم الطعام، وتقرأ السلامَ على مَن عرفتَ ومَن لم تعرِف	٥٢٨، ٥٣٣
تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عُودًا عُودًا	٨٩٧
تعس عبدُ الدينار، تعس عبدُ الدرهم، تَعِسَ عبدُ القَطِيفة	٢٣٧

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
تكلَّف لكَ أخوكَ وتقول: إنِّي صائم!	٥٨٢
تنظَّفوا حتى تكونوا كالشَّامَةِ بينَ الأمم	٧٣٢
تنظَّفوا؛ فإنَّ الإسلامَ نظيف	٧٣٢
تهادَوْا تحابُّوا	٥٠٠
تُؤخذ من أغنيائهم لتردَّ على فقرائهم	٤٣٤
تؤمن بالله واليوم الآخر	٨٩٦
ث	
ثلاثٌ جِدُّهن جِد، وهَزْلُهنّ جِدّ: النكاح، والطلاق، والعِتاق	٨٣٣
ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم	٨٧٠
ثلاثٌ مَنْ كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه...	٥، ١٢، ٨٣، ٤٦٦، ٤٦٧
ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاقُّ لوالديه، والدَّيُّوث، ورَجُلة النساء	٢٩٦
ثلاثة لا يُكلِّمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم	٢٩٢
ثلاثة ليس لهم عيادة: العينُ، والدُّمَل، والضِّرس	٧٧٧
ثلاثة من الفَواقِر: إمامٌ إنْ أحسنتَ لم يشكُرْ وإن أسأتَ لم يغفر	٤٥٤
الثلث، والثلث كثير	٣٩٧
ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء...	٨٧٠
ج	
جاءته امرأة من غامد من الأزد، فقالت: يا رسول الله، طهرني...	١١
جئتُ أبايعك على الهجرة، وتركتُ أبويَّ يبكيان	٣٢٢
الجارُ أحقُّ بشُفعة جاره. وقال: جارُ الدار أحقُّ بالدار	٤٥٠
جارُ الدار أحقُّ بدار الجارِ أو الأرض	٤٥٠
جلس إحدى عشرة امرأة، فتعاهدن وتعاقدن ...	٨٢٤

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ح	
حقَّت محبَّتي على المتحابِّين فِيَّ، وحقَّت محبَّتي على المتناصحين فِيَّ	٤٦٩
حقَّت محبَّتي للمتحابِّين فيَّ، وحقَّت محبَّتي للمتواصلين فيَّ	٤٦٩
حقٌّ على كل مسلم في كل سبعة أيام يومٌ يغسل فيه رأسَه وجسده	٧٣٢
حقُّ المسلمِ على المسلم خمس: ردُّ السلام، وعيادة المريض	٧٧١، ٧٧٣
حقُّ المسلم على المسلم ستٌّ، وذكر منها: إذا عطس فشمِّتْه	٦٠٦، ٦٠٩
حق الولد على الوالد أن يعلِّمه الكتابة والسباحة والرماية	٣٩٠
الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور	٢٥١، ٢٦٧
الحمد لله الذي أطعم وسقى، وسوَّغه وجعل له مخرجًا	٢٦٥
الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي	٢٥١
الحمدُ لله الذي أنقذه بي من النار	٧٨٣
الحمدُ لله الذي كَساني هذا ورَزَقَنِيه من غير حولٍ مني ولا قُوة	٦٧، ٣٠٥
الحمد لله الذي كفانا وأروانا، غير مَكفيٍّ ولا مكفور	٢٦٥
الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، غير مكْفيٍّ ولا مُودَّع	٢٦٥
الحُمَّى حظُّ كلِّ مؤمن مـن النار	٧٦٤
خ	
خذوا ما عليها ودعوها، فإنها ملعونة	٦٨٣
خذوا منهم، واضربوا لي بسَهْم معكم	٧٩٧
خذي من ماله ما يكفيكِ وولدَكِ بالمعروف	٦٦٥
خرج عام الفتح إلى مكة في رمضان فصام حتى بلغ كراع الغميم...	٥٨٢
خرج النبي ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود	٢٩٧
خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعًا	٥٢٤، ٥٢٧
خمِّروا الآنية، وأوكوا الأسقية، وأجيفوا الأبواب، وكُفُّوا صبيانكم	٢٧٩

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
خمْسٌ تجبُ للمسلم على المسلم	٦٠٩
خمس من حق المسلم على المسلم: رد التحية...	٦٠٩
خيرُ الأصحاب عند الله خيرُهم لصاحبِه	٤٥٤
خيرُكم خيرُكم لأهله، وأنا خيرُكم لأهلي	٣٣٩، ٣٤٢
خيرُكم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم	١٨٨
د	
داوُوا مرضاكم بالصَّدَقة	٨١٠
دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد، والبغضاء	٤١٨، ٧٤٧
دخلتُ أنا وهو الجَنَّة كهاتين	٣٧١
دخلت مع النبي ﷺ على غلام له خياط، فقدَّم إليه قصعة فيها ثريد...	١٨٨
الدعاء هو العبادة	٧٦٨
دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها	٨٨٧
دعهما يا أبا بكر، فإنها أيام عيد	٨٢٧
دعوةُ أخي ذي النُّون، ما دعا بها مكروبٌ إلَّا فرج الله كربته	١٠٥
دعوةُ الرجلِ لأخيه في ظهر الغيبِ مستجابة	٥١٢
دونكم يا بني أَرْفِدة	٨٢٧
دينارٌ أنفقتَه في سبيل الله، ودينار أنفقتَه في رقبة	٣٤٢
ذ	
ذاك أشر أو أخبث	٢٧٧
ر	
رأى رسول الله ﷺ مستلقيا في المسجد، واضعا إحدى رجليه على الأخرى	٢٥٠
الرَّاحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمْكم مَن في السَّماء	٤٢٣
رأيت رسول الله ﷺ فعل كما رأيتموني فعلتُ	٢٧٧

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
رأيت رسول الله ﷺ يتتبع الدباء من حوالي الصحفة	٢٦٤
رأيت ليلة أُسْرِيَ بي رجالًا تُقرض شفاههم بمقاريض من النار	٩٢٢
رأيتُ ليلةً أُسري بي في الجنة قصرًا، وبفنائه جارية	٣٤١
رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه، وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد...	٣٣٨، ٨٢٧
رُبَّ أشعثَ أغبر، مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبرَّه	٥٩٨
ربَّنا ولك الحمد	١٣٠
رجلٌ كان له جارُ سوءٍ يؤذيه، فيصبر على أذاه، حتى يكفيه اللهُ إياه	٤٥٨
رحم الله من غسَّل واغتسل..	٣٤٦
الرَّحِم متعلِّقةٌ بالعرش، تقول: مَن وصلني وصله الله، ومَن قطعني قطعه الله	٤٠٥
رضا الله في رضا الوالد، وسخط الله في سخط الوالد	٣٢٥
رَغِم أنفُ، ثم رغِم أنفُ، ثم رغم أنفُ. قيل: من يا رسول الله؟	٣١٦، ٨٠٥
رؤوسهن كأسنمة البُخت	٢٩٤
ز	
زارتنا سودة يوما فجلس رسول الله ﷺ بيني وبينها...	٨٢٦
زوَّدك اللهُ التقوى قال: زدني. قال: وغفر ذنبَك قال: زدني	٨٦٦، ٨٦٨
س	
الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله	٤٣١
سبابُ المسلم فسوق، وقتالُه كُفْر	٦٧٤
﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾	٨٧٠
سبعة يُظلُّهم الله في ظلِّه، يوم لا ظل إلَّا ظله... ورجلان تحابَّا في الله	١٠٠، ٤٦٧، ٥١٢
سترت النبي ﷺ وهو يغتسل من الجنابة، فغسل يديه...	٣٤٧
السَّفر قطعةٌ من العذاب، يمنع أحدَكم طعامَه وشرابه ونومه	٨٤٧، ٨٧١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
سقيت رسول الله ﷺ من زمزم فشرب وهو قائم	٢٧٦
سل اللهَ العافية. فأعاد عليه، فقال له في الثالثة: سل الله العافية	٧٢٩
سلامٌ على من اتبع الهدى	٥٣٨
السلام عليكم، السلام عليكم	٥١، ٥٦٦
السلام عليك ورحمة الله	٥٦٠
سلوا اللهَ العفوَ والعافية، فإن أحدًا لم يُعطَ بعد اليقين خيرًا من العافية	٧٩٤
سلُوا اللهَ العفوَ والعافيةَ والمعافاة، فما أُوتِيَ أحدٌ بعد يقينٍ خيرًا من معافاة	٧٢٨
سلُوا الله اليقينَ والمعافاة، فما أُوتي أحد بعد اليقين خيرًا من العافية	٧٢٨
سمُّوا باسمي، ولا تَكَنَّوا بكُنْيتي	٣٧٦
السواكُ مَطْهَرةٌ للفَمِ مرضاةٌ للرَّبِّ	٧٣٢
سياحةُ أُمَّتي الجهاد، ورهبانيتهم الجلوس في المسجد، وانتظار الصلاة	٨٦١
السيِّدُ الله. قالوا: وأفضلنا فضلًا، وأعظمنا طَوْلًا	٦٤٨
سيِّدُ الشهداءِ: حمزةُ بن عبد المطلب	٨٩٣
ش	
شرار عباد الله المشَّاؤون بالنميمة، المُفرِّقون بين الأحبَّة	٥٠٩، ٦٦٧
شرب من في قربة معلقة قائما	٢٧٥
شرُّ الطعامِ طعامُ الوليمة، يُدْعى إليها الأغنياء دون الفقراء	٥٧٩
الشفاء في ثلاث: شربة عسل، وشَرْطة مِحْجم، وكيَّة بنار	٧٤٤
الشُّفعة في كل رَبْعَةٍ أو حائط	٤٥٠
ص	
الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم ثنتان: صدقة وصلة	٨١٦
صلِّ قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطعْ فعلى جَنْب	٧٩٩
الصلاةَ الصلاة، وما ملكت أيمانُكم	٤٤٠، ٤٤٢

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
الصلواتُ الخمس، والجمعةُ إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان	٩١١
صلُّوا كما رأيتموني أصلِّي	٣٥
صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر	٢٩٤
ض	
ضحك رسول الله ﷺ من سؤالها إيَّاه	٨٢٦
ضعْ يَدَك على الذي يألم من جسدك، وقل: باسم الله ثلاثًا	٧٦٦
ط	
طلِّقْها	٣٢٣
الطُّهور شطر الإيمان... والصبر ضياء	٩٤، ٢٦٨
طَوْق من نار يوم القيامة	٢٨٨
ع	
عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كلَّه خير، وليس ذاك لأحد إلَّا للمؤمن	٨٩
عشر من الفطرة: قصُّ الشارب، وإعفاء اللحية، والسِّواك	٤٥
علِّمُوا الصبيَّ الصلاةَ ابنَ سبعِ سنين، واضربوه عليها ابن عشر	٣٨٣
على اليَدِ ما أخذت	٤٤٣
عليك بتقوى الله تعالى، والتكبير على كل شَرَفٍ	٨٦٦
عليكم بالصدق، فإنَّ الصدقَ يهدي إلى البرِّ	٦٢٩
عن الغلام شاتان مكافأتان، وعن الجارية شاة	٣٧٧
غ	
غُسْل الجُمعة واجبٌ على كل مُحتلِم	٧٣٢
غَطُّوا الإناء، وأوكوا السقاء، وأغلقوا الباب، وأطفئوا السراج	٢٧٩
غفر الله لك يا أبا بكر، ألستَ تمرض؟ ألست تحزن؟	٧٦٢
غنيمةُ مجالس الذكر: الجنةُ	٥٩٤

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ف	
فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله	٣٣٧
فإذا أكل أحدكم طعامه فليذكر اسم الله عليه	٢٥٩
فإذا رسول الله ﷺ، فأشار إليه يأمره: «أن يصلي»	٣٩
فاظفَرْ بذاتِ الدِّين تَرِبَتْ يداك	٣١٠
فأمر لهم رسول الله ﷺ بذود وراع، وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا...	٨٦٠
فإن (لو) تفتح عمل الشيطان	٦٨٩
فِرَّ من المجذوم فرارَك من الأسد	٢٧٣، ٧٤١
فِراش للرجل، وفراشٌ للمرأة، وفراش للضيف، والرابع للشيطان	٥٩٠
فشكر الله له، فغفر له. قال الصحابة دَهِشِين: أئنَّ لنا في البهائم لأجرًا	٨١٦
فصلٌ ما بين الحلال والحرام الدفُّ والصوت في النكاح	٣٣٧
فضلُ عائشةَ على النساء كفضلِ الثَّرِيد على سائر الطعام	١٩٣
فلا يؤذِ جاره	٤٤٩
فلا يتناجى اثنان دونَ الثالثِ إلَّا بإذنه	٦٠٥
فلما جاوزتُه بكى، قيل: ما يبكيك؟ قال: أبكي أنَّ غلامًا بُعث بعدي	١١٢
فهل مِن والديك أحدٌ حيٌّ؟. قال: نعم، بل كلاهما حيٌّ	٣٢١
في حفظ الله، وفي كَنَفه، زوَّدكَ اللهُ التقوى، وغفر ذنبَك	٨٦٥
ق	
قاربوا وسدِّدوا، ففي كل ما يُصاب به المسلم كفَّارة	٧٦٢
قال الله تبارك وتعالى: إذا ابتليتُ عبدي المؤمن	٧٦٢
قال الله تبارك وتعالى: وجَبَتْ مَحبَّتي للمتحابِّين فِيَّ	٤٦٨
قال لقمان: إنَّ الله تعالى إذا استودع شيئًا حَفِظَه	٨٦٥
قال: ما يبكيه؟ قال: يزعم بنو إسرائيل أني أفضل الخلق، وهذا قد خلفني	١١٣

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
قد تركتُ فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا: كتاب الله، وسُنَّة نبيِّه	١٨٥
قدر اللهُ وما شاء فعل	٦٨٨
قرِّبوه، ادْنُ فدنا حتى جلس بين يديه	٩٣٥
القوةُ الرَّمْيُ	٧٣٣
قوموا إلى سيدكم	٦٠٠
ك	
كافلُ اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجَنَّة	٤٣٠
كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ القميص	٢٩١
كان إذا اشتكى رسول الله ﷺ رقاه جبريل	٧٩٧
كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما فقرأ فيهما...	٢٥٠
كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث	٧٩٧
كان إذا عطس غطى وجهه بيده أو بثوبه وغض بها صوته	٦٠٨
كان خلقه القرآن	٣٦
كان رسول الله ﷺ إذا رأى ما يحب قال: «الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات»	١٠١
كان رسول الله ﷺ إذا سافر يتعوذ من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب...	٨٦٩
كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تلقي بصبيان أهل بيته...	٨٧٤
كان رسول الله ﷺ يأمرني أن أسترقي من العين	٧٩٧
كان رسول الله ﷺ يدخلها (بيرحاء) ويشرب من ماء فيها طيب	٢٧٩
كان رسول الله ﷺ يزور الأنصار فيسلم على صبيانهم، ويمسح برؤوسهم	٥٢٩
كان رسول الله ﷺ يعجبه التيمن، في تنعله، وترجله، وطهوره، وفي شأنه كله	٣٠٥
كان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج، كان يصلي، جاءته أمه فدعته	٣٨
كان في كلام رسول الله ﷺ ترتيل، أو ترسيل	٧٠٠
كان كلام رسول الله ﷺ كلاما فصلا يفهمه كل من سمعه	٧٠٠

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
كان لا يطرق أهله ليلا، وكان يأتيهم غدوة، أو عشية	٨٢٧
كان له برد يمني وإزار من نسج عمان، فكان يلبسهما في الجمعة...	٣٠٣
كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل اليد اليمنى على ذراعه اليسرى في الصلاة	٩
كان النبي ﷺ لا يعود مريضا إلا بعد ثلاث	٧٧٧
كان النبي ﷺ يكره أن يأتي الرجل أهله طروقا	٥٥٨
كان وسادة رسول الله ﷺ التي يتكئ عليها من أدم حشوها ليف	٢٥٠
كان يجعل يمينه لطعامه وشرابه وثيابه	٢٧٢
كان يستقى له الماء العذب من بيوت السقيا	٢٧٩
كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ على المنبر، وعليه عمامة سوداء...	٢٩٠
الكبائر: الإشراكُ بالله، وعقوقُ الوالدين، وقتلُ النفس، واليمينُ الغموس	٣٢٧، ٦٣١
كبِّر كبِّرْ	٦١٨
كبِّرْ الكُبْرَ في السن	٦١٨
كفى بالمرء إثمًا أن يحبس عمَّن يملك قُوتَه	٤٤١
كفى بالمرء إثمًا أن يُضيِّع من يقوت	٣٧٨
كَفَى بالمرء كَذِبًا أن يُحدِّث بكل ما سمِع	٧٠٧
كل أُمَّتي معافًى إلَّا المجاهرين	٩١٥
كلُّ أُمَّتي يدخلون الجنَّة إلَّا مَن أبَى	١٨٥
كُلْ بيمِينِك. قال: لا أستطيع. قال: لا استطعتَ	٢٦٢
كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس	٤١٨
كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته	٦٤
كلُّكم راعٍ ومسؤول عن رَعِيَّته، فالإمام راعٍ وهو مسؤول عن رعيته	٣٧٨
كلُّ المسلمِ على المسلم حرام: دمه، وماله، وعِرْضه	٦٦٩
كلمتانِ خفيفتانِ على اللسان، ثقيلتان في الميزان	٨٦

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
كلمةُ حقٍّ عند سلطان جائر	٨٩٣، ٩٢٧
كلوا واشربوا والْبَسوا من غير سَرَفٍ ولا مَخِيلة	٣٠٠
كم من أشعث أغبر، ذي طِمْرين، لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبره	٢٩٨
كما يغيب المِرْود في المَكْحُلة والرِّشاء في البئر؟	٦٩٧
كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك نبي الله ﷺ، فلم ينهنا	٣٥٧
كنت أشرب وأنا حائض، ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فيَّ...	٢٧٨، ٣٥٣
كنت اغتسل أنا وحِبِّي ﷺ من الإناء الواحد	٣٤٧
كنتُ ألعب بالبنات عند النبي ﷺ، وكان لي صواحب يلعبن معي...	٥٤، ٨٢٧
كنت جاره، فكان إذا نزل الوحي أرسل إلي، فكتبت الوحي...	٨٢٤
كنت رجلا مذاء فأمرت رجلا أن يسأل النبي ﷺ، لمكان ابنته، فسأل	٧٠٤
كيف تجِدُك؟ قال: أرجو الله، يا رسول الله، وأخاف ذنوبي	٧٨٨
كيف رأيتُم صحبةَ صاحبِكم؟ قال: فإما شكوتُه أنا	١٨٧
كيف وقد قيل؟!	٨٥٤
كيف يُفلح قَوْمٌ خَضَبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم؟	٣٧
ل	
لا، إلَّا أن تَطوَّع حتى إذا فرغ منها، قال الرجل: والله يا رسول الله	٩١١
لا أُلْفِيَنَّ أحدَكم متكئًا على أريكته، يأتيه الأمر من أمري	١٨٦
لا إلٰه إلَّا الله، ويلٌ للعرب مِن شرٍّ قد اقترب	٨٩٤
لا إله إلا أنت، سبحانك، اللهم أستغفرك لذنبي، وأسألك رحمتك...	٢٥١
لا بأسَ، طهورٌ إن شاء الله. قال ـ أي الأعرابي ـ: قلتَ: طهور! كلا	٧٧٨، ٧٨٧، ٧٩١
لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلَّا قالت زوجته من الحور العين	٣٦٤
لا تأكل إلَّا طعامَ تَقِي، ولا يأكل طعامَك إلَّا تَقِي	٥٧٨
لا تباشر المرأة المرأة، فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها	٦٩٢

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لا تبدؤوا اليهودَ والنصارى بالسلام، واضطروهم إلى أضيقِ الطريق	٥٣٢
لا تتمنَّوا لقاء العدو، وسلُوا الله العافيةَ، فإذا لقيتموهم فاصبروا	٧٩٤
لا تحسَّسوا، ولا تجسَّسوا، ولا تقاطعوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا	٤٩٣، ٧٢١
لا تحلُّ الصدقةُ لغنيٍّ	٤٣٤
لا تَدَابروا، ولا تَبَاغضوا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخوانًا	٤٩٨، ٥٠١، ٥٢٠، ٦٦٩، ٨٣١
لا تدخلون الجنَّة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا	٥٢٨
لا تُديموا النظر إلى المجذومين	٧٤١
لا ترجعوا بعدي كفَّارًا يضرب بعضكم رقاب بعض	١٥٤
لا تزالُ أُمَّتي بخيرٍ ـ أو قال: على الفِطرةِ ـ ما لم يُؤَخِّروا المَغرِبَ	٤٦
لا تزال المَلِيلة والصُّداع بالعبد والأَمَة، وإن عليهما من الخطايا	٧٦٣
لا تَسُبَّنَّ أحدًا ـ فما سببتُ بعدَه حُرًّا ولا عبدًا، ولا بعيرًا ولا شاةً ـ	٦٧٤
لا تسبَنَّ أحدًا، ولا تَحْقِرَنَّ من المعروف شيئًا	٦٧٥
لا تَسبُّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أُحُد	١٩٢، ٦٧٥، ٦٨٢
لا تسبُّوا الأموات؛ فإنهم قد أفضَوا إلى ما قدَّموا	٦٧٥
لا تسبُّوا الأموات، فتؤذوا الأحياء	٦٧٥
لا تسبُّوا تُبَّعًا، فإنه كان قد أَسْلَمَ	٦٧٧
لا تسبُّوا الدهر؛ فإنَّ الله هو الدهر	٦٧٦، ٦٨٤
لا تسبُّوا الديكَ؛ فإنه يوقظ للصلاة	٦٧٦
لا تسبُّوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون، فقولوا: اللهم إنا نسألك	٦٧٦
لا تسبوا الريح؛ فإنها من رَوْح الله تعالى، تأتي بالرحمة والعذاب	٦٧٦
لا تسبُّوا الريح؛ فإنَّها مِن رَوح الله، وسلوا الله خيرها، وخير ما فيها	٦٧٦
لا تسبُّوا الشيطانَ، وتعوَّذوا بالله مِن شرِّه	٦٧٦

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لا تسبُّوا ورقةَ بن نَوْفَل، فإني قد رأيتُ له جنةً أو جنتين	٦٧٧
لا تستقبلوا القبلة، ولا تستدبروها	١١٦
لا تُشهدني على جور، إن لبنيكَ عليكَ من الحق أن تعدل بينهم	٣٩٢
لا تُصاحِبْ إلَّا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلَّا تقيٌّ	٤٧١، ٥٧٨
لا تطرُقوا النساء ليلًا	٣٤٠
لا تُطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم	٦٤٧
لا تعطه يا خالد، لا تعطه يا خالد، هل أنتم تاركون لي أمرائي؟	٣٨
لا تغضبْ	٤٨٣
لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ	٦٩٧
لا تقل: عليك السلام! عليك السلام تحية الميت، قل: السلامُ عليك	٦٧٤
لا تقولوا: الكَرْم، ولكن قولوا: العِنَب والحَبَلة	٦٩٠
لا تقولوا للمنافق: سيِّد! فإنه إن يك سيدًا، فقد أسخطتم ربَّكم ﷻ	٦٤٥، ٦٩٥
لا تقُولُوا: ما شَاءَ اللهُ وشَاء فلانٌ. ولكن قُولوا: ما شاء اللهُ ثُمَّ ما شاء فلانٌ	٦٩٥
لا تكونوا إمَّعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنَّا، وإن ظلموا ظلمنا	٢٢٥
لا تكونوا عونًا للشيطانِ على أخيكم	٥٠٩
لا تلاعنوا بلعنة الله، ولا بغضبه، ولا بالنار	٦٧٩
لا تلبسوا الحرير؛ فإنه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة	٢٨٦
لا تلبَسوا الحريرَ ولا الدِّيباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة	٢٦٩، ٢٨٦
لا تلعن الريح فإنَّها مأمورة، مَن لعنَ شيئًا ليس له بأهل	٦٨٠
لا تمنعوا إماء الله مساجد الله	٣٤٢
لا خير فيها، هي في النار. وقيل له: إن فلانة تصلي المكتوبة	٤٥٣
لا صلاةَ لمنفردٍ خلفَ الصَّفِّ	٤١٨
لا ضرر ولا ضرار	٨١٢

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لا عدوى	٧٤١
لا يأخذنَّ أحدُكم متاعَ أخيه لاعبًا ولا جادًّا	٨٣٢
لا يأكلنَّ أحدُكم بشماله، ولا يشربنَّ بها؛ فإنَّ الشيطان يأكل بشماله	٢٦٢
لا يتمنينَّ أحدُكم الموتَ من ضرٍّ أصابه، فإن كان لا بد فاعلًا	٧٦٩
لا يتمنينَّ أحدكم الموت، ولا يدعُ به من قَبْل أن يأتيه	٧٦٩
لا يَجْزي ولدٌ والدَه، إلَّا أن يجدَه مملوكًا، فيشتريَه فيُعتقَه	٣٢٠
لا يَحِلُّ لامرئٍ أن ينظرَ إلى جوفِ بيتٍ حتى يستأذن، فإن فعل فقد دَخَل	٥٥٩
لا يحلُّ لامرأةٍ تؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ أن تُحِدَّ على ميتٍ	٣٦٦
لا يحِلُّ لرجل أن يُفرِّق بين اثنين إلَّا بإذنهما	٦٠٤
لا يحلُّ لمسلمٍ أن يُرَوِّع مسلمًا	٨٣٢
لا يحلُّ لها أن تُطعم من بيته إلَّا بإذنه، إلَّا الرَّطب من الطعام	٣٦٣
لا يَخرُجُ الرجلانِ يَضرِبانِ الغائِطَ كاشِفَينِ عن عَورَتهِما يتحدَّثانِ	٥٣
لا يدخل الجَنَّة قاطع	٤٠٨
لا يدخل الجنَّة قتَّات	٦٦٧
لا يدخل الجَنَّةَ من كان في قلبه مثقالُ ذرَّةٍ من كِبْر	٢٨٤
لا يدخل الجنة مَن لا يأْمن جارُه بوائقَه	٤٥٣
لا يزال لسانُك رطبًا من ذكر الله	١٢٦، ٦٢٠
لا يشربنَّ أحدُكم قائمًا	٢٧٦
لا يصيب المؤمن شوكة، فما فوقها، إلَّا نقص الله بها من خطيئته	٧٥٩
«لا يُفضض فاك» مرتين	٤٩١
لا يقعد قومٌ يذكرون الله، إلَّا حفَّتْهم الملائكةُ، وغشيتهم الرحمة	٦٢١
لا يُقِمِ الرجلُ الرجلَ من مجلسه، فيجلس فيه، ولكن تفسَّحوا أو توسَّعوا	٦٠٣، ٦٠٤
لا يقولنَّ أحدُكم: تَعِسَ الشيطانُ. فإنه يتعاظم حتى يكون مثل البيت	٦٨٦

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لا يقولَنَّ أحدُكم: يا خيبةَ الدهر	٦٨٥
لا يقوم الرجلُ للرجلِ مِن مجلسه، ولكنِ افْسَحوا يفسح الله لكم	٦٠٣
لا يكون اللعَّانون شفعاء، ولا شهداء يوم القيامة	٦٧٨
لا يكون المؤمنُ لعَّانًا	٦٧٩
لا يَمشِ أحدُكم في نَعل واحدة، ليُحْفِهما جميعًا، أو لِيُنْعِلْهُما جميعًا	٥٢
لا يمنعَنَّ أحدُكم جارَه أن يغرز خشبةً في جداره	٤٦٠
لا ينبغي لصِدِّيقٍ أن يكون لعَّانًا	٦٧٨
لا ينبغي هذا للمُتَّقين	٢٨٧
لا ينصرف حتى يسمع صوتاً، أو يجد ريحا	٦٩٧
لا ينظر اللهُ إلى من أتى امرأته في دُبُرها	٣٥١
لا ينظر الله يوم القيامة إلى مَن جرَّ إزاره بطَرًا	٢٩٢
لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرَّ ثوبَه خُيَلاء	٢٩٢
لا يوردن مُمْرِضٌ على مُصِحٍّ	٢٧٨، ٧٤٠
لا يؤمنُ أحدُكم حتى يكونَ هواه تبعًا لما جئتُ به	١٢
لا يَؤُمَّنَّ الرجلُ الرجلَ في سلطانه ـ أي منزله ومكان سلطته ـ	٥٦٩
لأن يؤدِّب الرجلُ ولَدَه خيرٌ من أن يتصدَّق بصاعٍ	٤٢
لعله أن يكون لطَلْقَةٍ واحدة	٨٠٦
لعن الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل	٢٩٦
لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات...	٢٩٥
لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة	٧٣٤
لعن الله المتشبِّهين من الرجال بالنساء، والمتشبِّهات من النساء بالرجال	٦٨٠
لعن الله اليهود والنصارى اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد	٦٨٠
لعْنُ المؤمنِ كقَتْله	٦٧٨

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لعن النبي ﷺ المخنثين من الرجال، والمترجلات من النساء	٢٩٥
لقد رأيتُ ـ أو أُمِرْتُ ـ أن أتَجَوَّز في القول، فإنَّ الجواز هو خير	٧٠٣
لقد عَجِبَ اللهُ من صَنِيعِكما بضيفكما الليلةَ	٢٧٢، ٥٧٤
لقد قلتِ كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجتْه	٦٦٣، ٨٣٢
لقد وُفِّق أو لقد هُدِيَ قال: كيف قلتَ؟ قال: فأعادها	٤٠٤
لكلِّ داء دواء، فإذا أصيبَ دواءُ الداء، برئ بإذن الله تعالى	٧٤٤، ٧٤٥
للمملوكِ طعامُه وكُسوته، ولا يُكلَّف من العمل إلَّا ما يُطيق	٤٤١
لم يكن أحد يكلمه إلا أقبل عليه بوجهه، ثم لم يصرفه حتى يفرغ من كلامه	٧٠٤
لم يكن ثوب أحب إلى رسول الله ﷺ من قميص	٢٩١
لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ...	٧٨٣
لما قدم النبي ﷺ مكة، استقبلته أغيلمة بني عبد المطلب...	٨٧٤
لو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينك، إنَّما جعل الاستئذان من أجل البصر	١٣٢، ٥٦٠
لو أمرتُ أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها	٣٦٢
لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: اللهمَّ جنِّبْني الشيطانَ	٦٧، ٣٤٥
لو دُعيتُ إلى كُراعٍ لأجبتُ	٥٨٠، ٥٨٢، ٥٨٣
لولا أن قومَكِ حديثو عهد بشرك، لبنيتُ الكعبة على قواعد إبراهيم	٩١٨
لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم، ما سار راكب بليل وحده	٨٦٤
ليأكلْ أحدُكم بيمينه، وليشربْ بيمينه، وليأخذْ بيمينه، ولْيُعْطِ بيمينه	٢٦٢
ليس الشديدُ بالصُّرَعة، إنَّما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب	٤٣٢
ليس الكذَّاب الذي يُصلح بين الناس	٦٣٠، ٦٦٧
ليس المؤمن الذي يشبع وجارُه جائعٌ	٤٥٤
ليس المسكينُ الذي يطوف على الناسِ تردُّه اللقمةُ واللقمتان	٤٣٢
ليس منَّا من لطم الخدود، وشقَّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية	٦٩١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ليس مِنَّا من لم يرحم صغيرنا، ويُوقِّر كبيرنا، ويأمر بالمعروف	٥٢، ٤٢٢، ٨٩٨
ليس منا من لم يُوقِّر كبيرنا، ويَرحَم صغيرنا، ويَعرِف لعالمنا حقَّه	٧٢٠
ليس الواصل بالمُكافِئ، ولكنَّ الواصِلَ الذي إذا قُطعتْ رحِمُه وصَلَها	٤٠٧
لِيَلِنِي منكم أولو الأحلام والنُّهى، ثم الذين يَلُونَهم، ثم الذين يلونهم	٥٩٨
لينتهين أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة، أو لا ترجع إليهم	١١٥
م	
ما آمَنَ بي مَنْ باتَ شبعانًا وجارُه جائعٌ إلى جَنْبِه، وهو يعلم	٤٥٤
ما أتاني جبريل وأنا في لحاف امرأة منكن غير عائشة	٢٥٠
ما أحِبُّ أنِّي حكيتُ إنسانًا وأنَّ لي كذا وكذا	٨٣٢
ما أردتِ أن تُعطيه؟	٦٤١
ما أرى بأسًا، من استطاع أن ينفع أخاه فلينفعه	٧٩٦
ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار	٢٩١
ما أطعمتَ نفسَكَ، فهو لك صدقة، وما أطعمتَ ولدَك	٤٤٠
ما أنزل الله داءً إلَّا أنزل له شفاء	٧٤٤
ما تحابَّ رجلان في الله إلَّا كان أحبَّهما إلى الله ﷻ	٤٦٧
ما تركت بعدي فتنةً أضرَّ على الرجال من النِّسَاء	١٥٥
ما تقولون في الزنى؟ قالوا: حرام حرَّمه الله ورسوله	٤٥٥
ما تواد اثنان ففُرِّقَ بينهما، إلا بذنب يحدثه أحدهما	٥١٣
ما حقُّ امرئٍ مسلمٍ له شيءٌ يوصي به، يبيتُ لَيْلتين إلَّا ووصيته مكتوبة	٨١٨
ما زار رجلٌ رجلًا في الله شوقًا إليه ورغبة في لقائه	٥٤٩
ما زال جبريل عليه السلام يوصيني بالجار حتى ظننْتُ أنَّه سَيُورِّثُه	٤٥٨، ٤٥٩
ما سُئل اللهُ شيئًا أحبَّ إليه من العافية	٧٢٩
ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده، ولا امرأة، ولا خادمًا	٣٨٤

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ما ضرب على مؤمن عِرْق قط، إلَّا حط الله به عنه خطيئة	٧٦١
ما ضلَّ قوم بعد هدى كانوا عليه، إلَّا أُوتوا الجَدَل	٦٧١
ما عاب النبي ﷺ طعاما قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه	٢٦٩
ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم جمعة سوى ثوب مهنته؟!	٣٠٣، ٦١٥
ما عليكم أن لا تفعلوا ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة	٣٥٥
ما قضى الله فهو كائن	٧٧٨
ما قعد قومٌ مقعدًا لم يذكروا الله ﷻ فيه، ويصلوا على النبي ﷺ	٦٢١
ما كان معها لهو؟! فإنَّ الأنصارَ يُعجبهم اللهو	٨٢٧
ما لك تُزَفْزِفين؟ قالت: الحُمَّى، لا بارك الله فيها!	٦٧٧، ٧٦٣، ٧٨٢
ما لي أرى أجسام بني أخي ضارعة ـ أي نحيفة ـ تصيبهم الحاجة؟	٧٩٧
ما مَثَلُ الدنيا في الآخرة إلَّا مثل ما يجعلُ أحدُكم إصبعه هذه	١٦٨
ما من أحد من الناس يصاب ببلاء في جسده إلَّا أمر الله ﷻ الملائكة	٧٦١
ما مِن ذنْبٍ أجدر أنْ يعجِّلَ اللهُ لصاحبه العقوبةَ في الدنيا	٤٠٨
ما من رجُلٍ يكون في قوم يَعمَل فيهم بالمعاصي	٩٠٠
ما من رجلين تحابَّا في الله بظهر الغيب	٤٦٨، ٤٨٨
ما من شيءٍ يُصيب المؤمن في جسده يؤذيه إلَّا كفَّر الله به من سيئاته	٧٥٩
ما من قوم يُعمل فيهم بالمعاصي، ثم يقدرون على أن يغيِّروا	٨٩٦، ٩٠٠
ما من قومٍ يُعمَل فيهم بالمعاصي هم أعزُّ وأكثر ممن يعمله	٩٠٠
ما من قومٍ يُعمل فيهم بالمعاصي هم أكثر ممن يعمله	٩٠٠
ما من قوم يقومون من مجلسٍ لا يذكرون الله تعالى فيه	٦٢٣
ما من مؤمن يُشاكُ بشوكة في الدنيا يحتسبها، إلَّا قص بها من خطاياه	٧٥٩
ما من مسلم يُشاكُ بشوكةٍ فما فوقَها، إلَّا كتبت له بها درجة	٧٦٠
ما من مسلم يغرس غرسًا، أو يزرع زرعًا..	٨١٣

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ما من مسلم يصيبه أذى من جسده، إلَّا كان كفارة لخطاياه	٧٥٩
ما من مسلمٍ يعود مسلمًا غدوة، إلَّا صلَّى عليه سبعون ألف ملك	٧٧٥
ما من مسلم يفعل خَصلة من هؤلاء إلَّا أَخَذتْ بيده حتى تدخله الجنة	٨٩٧
ما من مصيبة تصيب المسلم، إلَّا كفَّر الله عنه بها، حتى الشوكة يُشاكها	٧٥٩
ما من نبيٍّ بَعَثَه الله في أمَّة قبلي، إلَّا كان له من أمَّته حواريُّون	٨٩٤، ٩٠٢
ما منكم من أحد إلَّا وقد وُكل به قرينه من الجن	١٥٥
ما نَحَلَ والدٌ ولدًا أفضل من أدب حسن	٤١
ما هذا؟ فقال: تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب	٣٣٦
ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله	٧٦٠
ما يصيب المؤمن من نَصَب، ولا وَصَب، ولا همٍّ، ولا حزن	٧٥٨
ما يصيب المؤمن من وصَب، ولا نصَب، ولا سقم، ولا حُزْن	٧٥٧، ٧٥٨، ٨١٣
المتحابُّون في الله في ظلِّ العرش يوم لا ظل إلَّا ظله	٤٦٩
مَثَلُ الذي يذكر ربَّه والذي لا يذكر ربَّه، مَثَلُ الحيِّ والميِّت	٦٢١
مَثَلُ الجليس الصالح والجليسِ السوء، كمثل حامل المِسْك	٥٩٣
مَثَلُ القائم على حدود الله والواقع فيها	٦٣، ٨٩٣
مثل المؤمن تُصيبه الوعْكة من البلاء، كمثل الحديدة تدخل النار	٧٥٢
مَثَلُ المؤمنين في تراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد	٦٢
المرءُ مع مَنْ أحبَّ	٤٧١
المِراء في القرآن كُفْر	٦٧٢
المرأة كالضِّلَع إن قوَّمْته كسرته، فدعه، تستمتع به على عِوَج	٣٤٠
مرحبًا يا ابنتي. ثم أجْلسها عن يمينه، أو عن شماله، ثم سارَّها	٦١٧
مر علينا النبي ﷺ في نسوة فسلم علينا	٥٣٠
مرضت مرضا، فأتاني النبي ﷺ يعودني، وأبو بكر...	٧٨٠

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
مُرْه فليراجعْها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء طلقها	٣٥٨
مُرُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر	٣٨٣
المُسْبِل، والمَنَّان، والمُنَفِّق سِلْعَتَه بالحلف الكاذب	٢٩٢
المُسْتَبَّان شيطانان يتهاتران ويتكاذبان	٦٧٤
المُسْتَبَّان ما قالا فعلى البادئ منهما، ما لم يعْتدِ المظلوم	٦٧٤
مع الغلام عقيقتُه، فأَهَريقوا عنه دمًا، وأميطوا عنه الأذى	٣٧٧
الملاعنُ الثلاث	٧٣٣
ملعونٌ مَنْ أتى امرأته في دُبُرها	٣٥١
من ابتاع شيئًا من الخَدَم، فلم توافق شيمته شيمَتَه، فليبِعْ	٤٤٢
مَن ابتُلي من هذه البنات بشيء، كنَّ له سِتْرًا من النار	٣٧١
مَنْ أحبَّ أنْ يُبسط له في رزقه، ويُنسَأ له في أثره: فليصِلْ رحِمَه	٤٠٣
مَن أحبَّ أن يصِلَ أباه في قبره، فليصِل إخوانَ أبيه بعده	٣٢٧
من أحبَّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان	٤٧٠
من أذهبتُ حبيبتيه، فصبر واحتسب، لم أرضَ له ثوابًا دون الجنة	٧٦٤
مَن استمع إلى حديث قومٍ وهم له كارهون، صُبَّ في أُذُنَيْه الآنُك يوم القيامة	٦٠٥، ٧٢٢
من أصبح مُعَافًى في جسده، آمنًا في سربه، عنده قوت يومه	٧٢٧
من أصبح منكم اليوم صائمًا؟ قال أبو بكر: أنا	٤٣٤
مَن أطاعني دخل الجَنَّة، ومَن عصاني فقد أبَى	١٨٥
من أطعمه الله الطعام فليقل: اللهمَّ بارك لنا فيه، وأطعمنا خيرًا منه	٢٧٩
من أكبر الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس	٦٣١
من أكل طعامًا ثم قال: الحمد لله الذي أطعمني هذا	٢٦٦
من أكل من هذه الشجرة ـ يعني الثُّوم ـ فلا يقربنَّ مسجدنا	٦١٥
مَنْ تركَ المِراءَ وهو مُبْطِل، بُنِيَ له بيت في رَبَض الجنة	٤٩٧، ٦٧١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
مَن تطبَّب ولم يُعرف منه طبٌّ، فهو ضامن	٧٤٣
مَن تعلَّق شيئًا وُكِلَ إليه	٧٤٣
مَن جرَّ إزاره لا يريد بذلك إلَّا المَخِيلَة، فإنَّ الله ﷻ لا ينظر إليه يوم القيامة	٢٩٣
من جرَّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة فقال أبو بكر الصديق ﷺ	٢٩٣، ٣٠٠
مَن جعل الهمومَ همًّا واحدًا، كفاه الله همَّ دنياه	١٥٠
مَن جلس في مجلسٍ كثُر فيه لغطُه، فقال قبل أن يقوم مِن مجلسه ذلك	٦٢٢
مِنْ حُسْنِ إسلام المَرْءِ تركُه ما لا يَعْنِيه	٧٠٥
من حلف بغير الله فقد أشرك	٦٣٣، ٦٩١
من حلف بملة غير الإسلام كاذبا متعمدا، فهو كما قال	٦٩١
من ذا؟ فقلتُ: أنا. فقال: أنا أنا!	٥٦٦، ٧١٨
من ذَبَّ عن عرض أخيه بالغَيبة، كان حقًّا على الله أن يعتقه من النار	٦٦٦
من ذكر امرأً بشيء ليس فيه ليعيبه به، حبسه الله في نار جهنم	٦٦٩
من رأى منكم مُنْكَرا فغَيَّره بيده، فقد بَرِئَ، ومن لم يستطع أن يغيِّره بيده	٨٩٢
مَن رأى منكم مُنكَرًا فليُغَيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه	٨٩١، ٩٠٨، ٩١٥، ٩٢٥
من ردَّ عن عِرض أخيه في الدنيا ردَّ الله عن وجهه النار يوم القيامة	٦٦٦
مَنْ ستر عورةَ أخيه ستره الله تعالى يوم القيامة	٤٩٥
مَنْ ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة	٤٩٥
من ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة	٤٩٥
من سرَّه أن يجد حلاوة الإيمان، فليحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلَّا لله	٤٦٧
من سرَّه أن يَمثُل له الرجال قيامًا، فليتبوَّأ مقعده من النار	٦٠١
مَن سرَّه أن يُمَدَّ له في عُمرِه، ويُزاد في رزقه، فليبرَّ والديه، وليصِلْ رحِمَه	٣٢٣
مَنْ سَرَّه أن يُمَدَّ له في عمره، ويُوسَّع له في رزقه	٤٠٤

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
مَن سرَّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فلْينظرْ إلى هذا	٩١١
مِن سعادة المرء: الجارُ الصالح، والمركب الهنِيء، والمسكنُ الواسع	٤٥٩
من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سهَّل الله له طريقًا إلى الجنة	١٢٥
مَن سمَّى المدينة يثرب، فليستغفر الله، هي طابة، هي طابة	٦٩٢
مَن شرب في إناءٍ من ذهب أو فضة، فإنما يُجَرْجر في بطنه نارًا من جهنم	٢٦٩
من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا	٩٢٠
من صُدِّع رأسُه في سبيل الله، فاحتسب، غُفر له ما كان قبل ذلك من ذنب	٧٦٣
من ضمَّ يتيمًا بين مُسلِمَيْن في طعامه وشرابه حتى يستغني عنه	٤٣٠
مَن عاد مريضًا لم يحضر أجله، فقال عنده سبع مرات	٧٩٥
مَنْ عاد مريضًا لم يزل في خُرْفة الجنَّة	٧٧٤
مَن عاد مريضًا نادى منادٍ من السماء: طبتَ وطاب ممشاك	٧٧٤
مَن عال ابنتين أو ثلاث بنات، أو أختين، أو ثلاث أخوات	٣٧١
مَن عالَ جاريتين حتى تبلغَا، جاء يوم القيامة أنا وهو هكذا	٣٧١
من عُرض عليه ريحانٌ، فلا يردّه، فإنه طيِّب الريح، خفيفُ المَحْمَل	١٣٤
من علَّق تميمة، فقد أشرك	٧٤٣، ٨٠٠
من علَّق تميمة، فلا أتمَّ الله له، ومن علَّق وَدَعة، فلا ودع الله له	٧٤٣
من علم الرمي، ثم تركه، فليس منا أو قد عصى	٣٩٠
من فرَّج عن مسلم كُربة من كُرَبِ الدنيا فرَّج الله عنه كربة	٨١٦
من قال إذا خرجَ من بيتِه: باسمِ الله، توكلتُ على الله	٨٦٧
من قال: سبحان الله وبحمده، سبحانك اللهم وبحمدك...	٦٢٢
من قال لصبي: تعالَ هذا لك، ثم لم يعطِه شيئًا، فهي كذبة	٦٤١
مَن كانت الآخرةُ همَّه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شَمْله	١٥٠
من كان حالفًا فليحلفْ بالله أو ليَذَرْ	٦٣٣

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
من كان له امرأتان، فمال إلى إحداهما دون الأخرى	٣٤٣
مَن كان له ثلاثُ بناتٍ، فصبَرَ على لأْوائِهنَّ وضرَّائِهنَّ وسرَّائهنَّ	٣٧٢
مَن كان له ثلاث بنات، فصبر عليهن، وأطعمهن، وسقاهن، وكساهن	٣٧٢
مَن كان له ثلاث بنات يُؤويهنَّ ويَكْفِيهنَّ ويرحمهن	٣٧٢
مَنْ كان له شعرٌ فليُكْرِمْه	٧٣٢
من كان منكم مادحًا أخاه لا محالة، فليقل: أحسِبُ فلانًا والله حسيبُه	٦٤٦
من كان يؤمنُ بالله واليومِ الآخِر، فلا يجلسْ على مائدةٍ يُدارُ فيها الخمر	٥٩٦
مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرمْ جارَه	٤٤٩
من كان يؤمنُ بالله واليومِ الآخر فليُكْرِمْ ضيفه جائزته	٥٧٦
مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرِمْ ضيْفه	٤٠٣، ٥٧٦، ٥٨٦، ٥٨٨، ٥٨٩
من الكبائر شتمُ الرجل والديه	٣٢٨
من كذب عليَّ متعمِّدًا، فليتبوَّأْ مقعدَه من النار	٢٨٨
من لبس ثوب شهرة في الدنيا: ألبسه الله ثوب مذلَّة يوم القيامة	٣٠٠، ٣٠٢
من لبس الحرير في الدنيا حرَمه الله أن يَلْبَسه في الآخرة	٢٨٨
من لَبِسَ الحريرَ في الدنيا، فلن يلبسَه في الآخرة	٢٨٦
من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة	٢٨٧
من لم يُجِب الداعيَ، فقد عصى الله ورسوله	٥٨٣
مَن مات على هذا كان مع النبيِّين والصِّدِّيقين والشهداء يوم القيامة	٣٢٨
من نام وفي يده غَمَر ولم يغسله، فأصابه شيء؛ فلا يلومنَّ إلَّا نفسه	٢٦٨
من هذا؟ فقلت: أبو ذر	٥٦٧
من هذه؟ قلتُ: أمُّ هانئ بنت أبي طالب. فقال: مرحبًا بأمِّ هانئ	٥٣٠، ٥٦٧
مَن يُحرم الرفقَ، يُحرم الخيرَ كله	٥٦٣، ٥٦٩

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
من يُرد الله به خيرًا يُصِبْ منه	٧٥٨
من يُضيف هذا الليلة رحمه الله؟	٥٧٤
مهلًا يا عائشة، فإنَّ الله يحبُّ الرفقَ في الأمر كلِّه	٥٣٣، ٥٤٠، ٧١٥، ٩٣٤
المؤمنُ القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف	٦٨٧
المؤمنُ للمؤمن كالبنيان، يشُدُّ بعضه بعضًا	٦٢، ١٥٨، ١٦٠، ٢٤٦
المؤمنُ مرآةُ المؤمن	٥٠٣
المؤمنون عند شروطهم	٦٤١
ن	
الناس على شروطهم ما وافق الحق	٦٤٢
النظافةُ تدعو إلى الإيمان، والإيمان مع صاحبه في الجنَّة	٧٣١
نِعْم الأُدْم الخَل	٢٧٠
نعم إذا توضأ	٣٥٤
نعم، إذا خرج الرجل إلى إخوانه فلْيُهَيِّئ من نفسه	٣٠٤
نعم، الصلاةُ عليهما، والاستغفارُ لهما، وإنفاذُ عهدهما مِن بعدهما	٣٢٦
نعم، صِلِي أمَّكِ	٣٢٤
نعم، فإنَّ الله ﷻ لم يضع داء إلَّا وضع له شفاء	٧٣٩
نعم. فقال الرجل: إنِّي معها في البيت	٥٥٦
نعم. قال: قلتُ: يا رسول الله، أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله؟	٤٠٤
نعم يُجزى به في الدنيا من مصيبة في جسده ممَّا يؤذيه	٧٦٢
نِعْمَتَان مغبونٌ فيهما كثير من الناس: الصحةُ، والفراغ	٧٢٧
نهى أن يتنفس في الإناء	٢٧٣
نهى أن يشرب الرجل من في السقاء وأن يتنفس في الإناء	٢٧٢

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
نهى أن يشرب من في السقاء	٢٧٥، ٢٧٦
نهى رسول الله ﷺ عن اختناث الأسقية، يعني أن تكسر أفواهها فيشرب منها	٢٧٤
نهانا النبي ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة...	٢٨٨
نهاني رسول الله ﷺ أن أقرأ راكعًا أو ساجدًا	١١٥
نهى عن طعام المتباريين	١٣٣
نهى عن الوحدة، أن يبيت الرجل وحده أو يسافر وحده	٨٦٤
هـ	
هذا حَمِدَ الله، وهذا لم يَحْمَدِ الله	٦١٠
هذه بتلك!	٨٢٤
هذه رحمةٌ وضعها الله في قلوب من شاء من عباده	٧٨٠
هكذا عَنْك. يعني: نحَّاه وأمره بالتباعد قليلًا عن مواجهة فتحة الباب	٥١، ٥٥٩
هل تدرون ما قال؟ قالوا: نعم، سَلَّم علينا. قال: إنَّه قال: السام عليكم	٥٤١
هل تُنصرون وتُرزقون إلَّا بضعفائكم؟!	٤١٩
هل عندكم طعام؟	٢٦٩
هل غاب ذلك منك في ذلك منها؟	٦٩٧
هل غاب ذلك منك في ذلك منها، قال نعم	٦٩٧
هل كان رسول الله ﷺ يصافحكم إذا لقيتموه؟ فقال: ما لقيته قط إلا صافحني	٥١
هل لك من أمٍّ؟ قال: لا. قال: فهل لك من خالة؟ قال: نعم	٣٢٥، ٣٢٦
هل لكَ من أمٍّ؟ قال: نعم. قال: فالزمها، فإنَّ الجنَّة عند رِجْلها	٣٢٢
هل لك من مال؟ قلتُ: نعم. قال: من أي المال؟	٣٠٣
هل مِنْكُم الرجلُ إذا أتى أهله فأغلق عليه بابه، وألْقَى عليه سِتْرَه	٣٥٤
هلَّا بعثتُم معها مَن تغنِّي وتقول: أتيناكم أتيناكم.. فحيُّونا نُحيِّيكم	٨٢٧

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
هو أمرأ وأروى	٢٧٤
هي من قَدَرِ الله	٧٣٩
و	
وابدؤوا بالكبراء. أو قال: بالأكابر	٦١٨
وأتْبِعِ السيئةَ الحسنةَ تمحُها	٣١٨
الوالدُ أوسطُ أبواب الجنة، فإن شئتَ فأضِعْ هذا البابَ أو احفظْه	٣٢٢
الوالدُ أوسطُ أبواب الجنة، فحافظْ على ذلك الباب إنْ شئتَ، أو دَعْ	٣٢٣
والذي نفسي بيده، لا يؤمن عبدٌ حتى يحبَّ لجارِه	٤٥٦
والذي نفسي بيده لتأمُرُنَّ بالمعروف، ولتنْهَوُنَّ عن المنكر	٨٩٥
والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن قيل: مَن يا رسول الله؟	٤٥٣، ٤٥٥
والله ما الفقرُ أخشى عليكم، ولكنِّي أخشى أن تُبْسَط عليكم الدنيا	١٥١
والله يا رسول الله، إنِّي لأَنْفُضها نَفْضَ الأديم	٣٥٥
والله يا عمّ، لو وضعوا الشمسَ في يميني والقمرَ في يساري	٢٣٢
وإن امرؤ عيَّرك بشيءٍ يعلمه فيك، فلا تعيِّره بشيء تعلمه فيه	٦٧٥
وأيَّ شيء فعلتُ؟ نظرتُ في ظلِّ الماء، فهيَّأتُ من لحيتى ورأسي	٣٠٤
وَأْيِ المؤمن حق واجب	٦٤١
وأْيُ المؤمنِ واجب	٦٤١
وأيُّكم مثلي؟! إنِّي أبيتُ يطعمني ربي ويسقيني	٧٤٦
وتميط الأذى عن الطريق صَدَقة	٧٣٣
ولا تَعِدْ أخاك عِدَة وتُخلِفه، فإن ذلك يورث بينك وبينه عداوة	٦٤١
ولا تُكْثِرْ من الضحك، فإن كثرةَ الضحكِ تُميت القلب	٨٣٤
ولا يتمنينَّ أحدكم الموت، إما محسنًا فلعله أن يزداد خيرًا	٧٦٩

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ولا يحل لرجل مسلم أن يُقيم عند أخيه حتى يُؤْثِمه	٥٧٥
ولا يحلُّ له أن يَثْوي عنده حتى يُحرجه	٥٧٥
ولستَ تُنفقُ نفقةً تبتغي بها وجه الله، إلَّا أُجِرْتَ بها	٢٥٦
وما أعددتَ لها؟ قال: لا شيء، إلَّا أنِّي أحبُّ الله ورسوله	٤٧٠
ومن هو؟ أهو الذي بعينه بياض؟ قالت: والله ما بعينه بياض	٨٢٥
ومن يعص اللهَ ورسولَه	٦٩٥
ونِعْمَ الفارسان هما	٨٢٥
ونقِّني من الخطايا، كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس	٢٩٠
وهل يكبُّ الناسَ في النار على مناخرهم إلَّا حصائدُ ألسنتهم	٧٠٨
ويْلٌ للذي يُحدِّث فيكْذِب، ليُضحك القوم، ويْلٌ له، ويْلٌ له	٨٢٩
ويلَك قطعتَ عنق صاحبك، قطعت عنق صاحبِكَ مرارًا	٦٤٦، ٦٥٠
ي	
يا أبا جُحَيْفة، إنَّ أطول الناس جوعًا يوم القيامة أكثَرهم شِبَعًا في الدنيا	٦١٥
يا أبا الحسَن، كيف أصبح رسول الله ﷺ ؟ قال: أصبحَ بِحَمد الله بارئًا	٧٨٧
يا أبا عُمَيْر، ما فعل النُّغَير؟	٥٣، ٨٢٦
يا أبا هريرة، أَحْسِنْ مجاورةَ من جاورك تكُنْ مسلمًا	٥٠٣
يا أمَّ فلان، إنَّ الجنَّة لا يدخلها عجوز!	٨٢٥
يا عائشة، إنَّ الله ﷻ إذا أنزل سطوته بأهل نقمته وفيهم الصالحون	٨٩٥
يا عبادي، إنِّي حرَّمتُ الظلم على نفسي، وجعلتُه بينكم محرَّمًا	٨٥
يا عباس، يا عم رسول الله، سل اللهَ العافيةَ في الدنيا والآخرة	٧٢٨
يا عبد الله، لا تسِرْ معنا على بَعِيرٍ ملعون	٦٨٤
يا عقبة، صِلْ مَن قطعك، وأعْطِ من حرمك، وأعرضْ عمَّن ظلمك	٤٠٨

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
يا غلام، سَمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ ممَّا يليك	٢٦٢، ٢٧١
يا محمد، اشتكيتَ؟. فقال: نعم. قال: باسم الله أَرْقيك	٧٩٧
يا هؤلاء، بهذا بعثتم؟! أم بهذا أمرتم؟! لا ترجعوا بعدي كفَّارًا	٦٧٢
يجزئُ عن الجماعة إذا مرُّوا أن يُسَلِّم أحدهم	٥٢٨، ٦١٩
يجيب دعوة العبد	٥٨٠
يخسف بأولهم وآخرهم، ثم يبعثون على نيَّاتهم	٨٩٥
يد الله مع الجماعة، فمن شذَّ شذ في النار	٤١٧
يرضخ ممَّا رزقه الله. قلت: يا رسول الله، أرأيت إن كان فقيرًا	٨٩٧
يُسلِّم الراكبُ على الماشي، والماشي على القاعد	٥٢، ٥٢٨
يُطعمها إذا طعم، ويكسوها إذا اكتسى، ولا يقبِّح الوجه	٣٤٥
يَعْمِدُ أحدُكم إلى جمرة من نار، فيطرحُها في يده	٢٨٩
يغفر الله لنا ولكم	٦١١
يقول الله تعالى: أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني	٦٢١
يقول الله ﷻ: إذا أخذت كريمتَيْ عبدي في الدنيا	٧٦٤
يقول العبد: مالي، مالي، إنَّما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى	١٥١
يَهديكم الله ويصلحُ بالكم	٦٠٧، ٦١٠
يُؤْتى بالرجل يوم القيامة، فيُلْقَى في النار، فتندلق أقتاب بطنه	٩٢٢
يُؤذيني ابنُ آدم فيسُبُّ الدهر، وأنا الدهر، بيدي الأمرُ	٦٨٥، ٦٨٦
يوفِّقُه لعملٍ صالح قبل الموت، فيقبضه عليه	٨١٩

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

فهرس الموضوعات

❖ **من الدستور الإلهي للبشرية** **٤**

❖ **من مشكاة النبوة الخاتمة** **٥**

• **مقدمة** **٧**

الامتداد الطولي للمنهج الإسلامي ٩

الامتداد العرضي والأفقي للمنهج الإسلامي ١٠

الامتداد العمقي للمنهج الإسلامي ١٠

المسلم مقيَّد بشرع الله في كل حياته ١٢

ربط المسلم بربه دائمًا ١٤

الإسلام هو دين الله الواحد ١٥

منهجنا في هذا الكتاب ١٨

تمهيد

❖ **مفهوم «الأدب» في تراثنا العربي والإسلامي** **٢٧**

معنى كلمة (أدب) في «القاموس» وشرحه «التاج» ٢٨

استعمال كلمة «أدب» في علوم اللغة العربية ٣١

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

كلمة «الأدب» عند أهل العلوم الدينيَّة ٣٤

حول معنى حديث: «أدبني ربِّي» ٣٥

تأديب الله حبيبه وصفيه محمدًا بالقرآن ٣٦

❖ **أهمية الأدب في حياة المسلم وطرق اكتسابه ٣٨**

أدب الظاهر عنوان أدب الباطن ٣٩

لزوم الأدب للعلم والعمل ٤٠

طرق اكتساب الأدب ٤١

١ ـ التربية ٤١

٢ ـ الاقتداء بالنبي ﷺ ٤٢

٣ ـ الاعتبار بالغير ٤٢

٤ ـ الاعتبار بالحوادث والأيام ٤٢

❖ **ملامح عامة للآداب الإسلاميَّة ٤٣**

١ ـ ملاءمة الفطرة السليمة وتكميلها ٤٣

٢ ـ ترقية الذوق الإنساني ٤٦

٣ ـ الارتفاع بالإنسان عن مستوى الغرائز الحيوانية ٥٤

٤ ـ الارتفاع بالإنسان من درك الأنانية إلى الأخوة والإيثار ٥٧

٥ ـ الحرص على تميز المجتمع المسلم بمظهره ومخبره عن غيره من المجتمعات ٥٩

٦ ـ تكافل المجتمع في رعاية هذه الآداب وحمايتها ٦١

غير مرخصة للطباعة

نسخة تجريبية

QaradawiBooks.com

٧ ـ مسؤولية الدولة عن تعهُّد هذه الآداب وحراستها ٦٤

٨ ـ ربط الإنسان بربه في كل أحواله وأحيانه ٦٦

الباب الأول

الأدب مع الله ورسوله

❖ **الفصل الأول: الأدب مع الله تعالى ٧٣**

ذروة الأدب: الأدب مع الله ٧٤

❖ **الأدب مع الله بتوحيده وطاعته واتباع منهجه ٧٦**

أولًا: توحيد الربوبيَّة أو الخالقيَّة ٧٦

ثانيًا: توحيد العبادة لله رب العالمين، أو توحيد الإلٰهيَّة ٧٧

ثالثًا: توحيد الحاكميَّة ٧٧

❖ **طاعة الله فيما أمر به ٧٩**

❖ **اتباع المنهج الذي أمر الله به ٨١**

❖ **محبة الله تعالى وعبادته الباطنة ٨٣**

لا تقبل العبادات الشعائريَّة إلَّا بعبادات قلبيَّة وأولها الإخلاص ٨٦

عبادة: الشكر لله ٨٨

عبادة الصبر لله ٨٩

الصبر على طاعة الله ٨٩

الصبر عن معصية الله ٩٢

QaradawiBooks.com

الصبر على البلاء ٩٣
الصبر على الدعوة ومشاقِّها ومتاعبها ٩٤
صور تمثِّل مشاقَّ الدعوة إلى الله ٩٥
الرجاء في رحمة الله والخوف من عذابه ٩٨

❖ **إسناد العبدِ الخيرَ والطاعةَ إلى ربِّه**
والشرَّ والمعصيةَ إلى نفسه ١٠١
نماذج عليا في الأدب مع الله ١٠٤
أدب أيوب عليه السلام مع ربِّه ١٠٤
أدب موسى عليه السلام ١٠٥
أدب ذي النون عليه السلام ١٠٥
أدب إبراهيم عليه السلام ١٠٦
أدب المسيح عيسى عليه السلام ١٠٦
نماذج أخرى من أدب الأنبياء والصالحين ١٠٩
أدب النبي محمد ﷺ مع ربه ١١٠
من أدب المؤمنين في الدعاء ١١٣
نماذج من أدب المسلم مع ربه في العبادات ١١٤
أدب المسلم في صلاته ١١٥
ألَّا يستقبل بيت الله ولا يستدبره عند قضاء الحاجة ١١٦
وضع اليمنى على اليسرى عند القراءة ١١٦

QaradawiBooks.com

أدب المصلي في حال قيامه ١١٦
أدب المصلي في ركوعه ١١٧
❖ **شمولية العبادة وعلاقتها بالأدب مع الله ١١٨**
العبادة انقياد لمنهج الله وشرعه ١٢٠
من اتبع غير منهج الله فقد أشرك في عبادته ١٢٢
شمول العبادة لكيان الإنسان كله ١٢٤
مراتب العبوديَّة الخمسون موزَّعة على القلب والبدن ١٢٧
حظ القلب من العبوديَّة لله ١٢٧
حظُّ اللسان من العبوديَّة لله ١٣٠
حظ النظر ١٣١
حاسة الذوق وحظها من العبودية لله ١٣٢
حاسة الشم ١٣٣
حاسة اللمس ١٣٤
البطش باليد والرجل ١٣٥
حتى الركوب على الدابة ١٣٧
❖ **مقاومة قطاع الطريق إلى الله ١٤٠**
القاطع الأول: النفس ١٤١
التزكية: طهارة ونماء ١٤٢
التحذير من اتباع هوى النفس وأهواء الآخرين ١٤٣

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

القاطع الثاني: الشيطان ١٤٥
القاطع الثالث: الدنيا ١٤٧
القاطع الرابع: الناس ١٥٢
أخالف الإمام الغزالي في الدعوة إلى العزلة عن الناس ١٥٦
مناقشة الغزالي في الدعوة إلى الخلوة ١٥٨
❖ **الفصل الثاني: أدب المسلم مع رسول الله ﷺ ١٦٨**
حاجة البشر إلى الهداية والترقية والتربية ١٦٩
الحكمة من اختيار الرسل من البشر ١٧٠
وجوب الإيمان بالرسل ١٧٢
الحكمة العظمى من إرسال الرسل (تبليغ الوحي) ١٧٢
حاجة البشرية في عصرنا هذا إلى الوحي المحمدي ١٧٥
❖ **كيف نتأدب مع رسول الله ﷺ ؟ ١٨٠**
الأدب مع النبي ﷺ في القرآن ١٨٠
سورة النور نموذج للأدب مع رسول الله ﷺ ١٨١
١ ـ طاعة الرسول ﷺ ١٨٣
٢ ـ تعظيم ما عظمه رسول الله وتحقير ما حقره ١٨٦
٣ ـ المخاطرة بالنفس والمال وكل محبوب أدبًا مع رسول الله ﷺ ١٩٤
كلام ابن القيم في الأدب مع الرسول ١٩٦
٤ ـ كمال التسليم له ١٩٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة معاينة
QaradawiBooks.com

٥ ـ لا يتقدَّم بين يديه بأمر ولا نهي ١٩٩
٦ ـ لا ترفع الأصوات فوق صوته ١٩٩
٧ ـ ألا يجعَل دعاءه كدعاء غيره ١٩٩
٨ ـ ألَّا يذهب حتى يستأذنه ٢٠٠
٩ ـ ألَّا يستشكل قوله ٢٠٠

الباب الثاني
الأدب مع النفس

❖ **الفصل الأول: أدب المسلم في التبصُّر وتكوين الرأي والنهج ٢١٠**
السبيل إلى معرفة الحق ٢١٠
الرجوع إلى الله ورسوله في أمور الدين ٢١١
عوائق في سبيل تكوين الرأي ٢١٢
العائق الأول: اتِّباع الظنِّ والتخمين في موضع اليقين ٢١٢
العائق الثاني: اتِّباع الهوى ٢١٤
من أمارات اتِّباع الهوى ٢١٥
العائق الثالث: التقليد الأعمى ٢١٨
أنواع التقليد المذموم ٢١٩
تقليد الآباء والأجداد ٢١٩
تقليد الزعماء والكبراء ٢٢٠
التقليد العلمي والمذهبي ٢٢١
تحذير ابن الجوزي من خطر التقليد ٢٢٢

QaradawiBooks.com

اتباع التقاليد الفاسدة ٢٢٤
العائق الرابع: الغرور وادِّعاء المعرفة ٢٢٥
❖ **الفصل الثاني: أدب المسلم في التمسُّك بالحق والثبات عليه ٢٢٨**
القرآن يمدح الثبات وأصحابه ٢٢٨
الرسل الكرام المثل الأعلى للتمسك بالحق ٢٣٠
خاتم الرسل محمد رسول الله ٢٣١
سحرة فرعون مثل للتمسك بالحق إذا ظهر للإنسان ٢٣٣
ما الذي يبعد الناس عن التمسُّك بالحق ٢٣٥
أ ـ الكِبْر ٢٣٥
ب ـ الحسد ٢٣٦
جـ ـ الطمع وحب الدنيا ٢٣٦
❖ **الفصل الثالث الرجوع إلى الحق ٢٣٩**
الصحابة يرجعون إلى الحق إذا تبيَّن لهم ٢٤٠

الباب الثالث

أدب المسلم في الحياة اليومية

❖ **الفصل الأول: أدب المسلم في النوم واليقظة ٢٤٥**
النوم من الحاجات الأساسية للإنسان ٢٤٥
معيشة الإنسان بين الليل والنهار ٢٤٦
تقسيم عمل المسلم وتنظيمه ٢٤٧

QaradawiBooks.com

تهيئة الله سبحانه أسباب المعيشة للخلق ٢٤٨
في هديه ﷺ وسيرته في نومه وانتباهه ٢٤٩
❖ **الفصل الثاني: أدب المسلم في طعامه وشرابه ٢٥٣**
حاجة الإنسان إلى الطعام ٢٥٤
كلمات نيِّرة للإمام الغزالي ٢٥٦
آداب الأكل والشرب ٢٥٧
١ ـ الحرص على أن يكون الطعام حلالًا طيِّبًا ٢٥٧
٢ ـ البدء بالتسمية ٢٥٨
٣ ـ استحضار نيَّة التعبُّد بالأكل ٢٦٠
٤ ـ الأكل باليمين والتحذير من الأكل بالشمال ٢٦١
٥ ـ استحباب الأكل من جوانب القصعة دون أعلاها ٢٦٣
٦ ـ استحباب رفع اللقمة عند سقوطها ومسحِ ما علق بها وأكلِها ٢٦٤
٧ ـ الأكل بالأيدي وخصوصًا لمن تعوَّده ٢٦٥
٨ ـ حَمْد اللهِ عند الفراغ من الأكل ٢٦٥
٩ ـ غسل اليد بعد الطعام ٢٦٧
١٠ ـ تحريم الأكل في أواني الذهب والفضة ٢٦٨
هدي الرسول ﷺ في طعامه ٢٦٩
أكله مع أصحابه وعند من يدعوه وهديه في ذلك ٢٧٠
دعاؤه ﷺ لمن أكل عندهم، ولمن أطعم غيره ٢٧١
هديُه ﷺ في شرابه ٢٧٢

QaradawiBooks.com

نهيه عن التنفس في الإناء والشرب من في السقاء ٢٧٢
النهي عن الشرب من الثُّلمة الموجودة في القَدَح ومن أفواه السقاء ٢٧٤
شربه ﷺ من في القربة ٢٧٥
الشرب قائمًا وقاعدًا ٢٧٦
حكم الشرب من إناء واحد ٢٧٧
ساقي القوم آخرهم شربًا ٢٧٨
حبه ﷺ للبن والماء العذب ٢٧٨
النهي عن ترك الآنية مكشوفة ٢٧٩
❖ **الفصل الثالث: أدب المسلم في اللباس والزينة** **٢٨١**
وجوب ستر العورة ٢٨٢
الإسلام يدعو إلى الزينة ٢٨٣
تحريم الذهب والحرير على الرجال وإباحتهما للنساء ٢٨٥
ترهيب الرجال من الحرير والذهب ٢٨٦
الترغيب في لُبس الأبيض من الثياب ٢٨٩
الترغيب في لبس القميص (الجلابية) والترهيب من طوله وجرِّه خُيلاء ٢٩٠
الوعيد على لُبس النساء الرقيق من الثياب ٢٩٣
تشبُّه الرجل بالمرأة وتشبُّه المرأة بالرجل ٢٩٥
السُّنَّة تُرهِّب من لباس الشهرة والفخر والمباهاة ٢٩٦
هل مطلوب من المسلم أن يهمل مظهره؟ ٢٩٩

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

التسمية عند لُبس الثياب وخلعها ٣٠٥
البدء باليمين عند اللبس ٣٠٥
ذكر الله عند لبس الثياب، والذكر المأثور في ذلك ٣٠٥

الباب الرابع
آداب الأُسْرة

❖ **الفصل الأول: أدب البنوة ٣١٣**
الإحسان بالوالدين والطاعة لهما ٣١٤
حق الوالدين في سورة الإسراء ٣١٦
الإسلام يطلب البرَّ للأبوين، ويؤكِّد حقَّ الأم ٣١٩
السُّنَّة ترسُم معالم تفصيليَّة لبرِّ الوالدين ٣٢٠
بِرُّ الوالدين بعدَ وفاتِهما، وكيف يكون ٣٢٥
السُّنَّة تحذِّر بشدة مِن عقوق الوالدين ٣٢٧
كثرة العقوق والجفاء من الأولاد ٣٢٨
❖ **الفصل الثاني: أدب الزواج والعِشْرة الزوجية ٣٣٠**
الصاحبُ بالجنب: الزوج والزوجة ٣٣٠
الصاحب بالجنب هو الزوج، بمعنى كل من الرجل والمرأة ٣٣١
الرفيق في السفر أو العلم أو الحرفة ٣٣٢
مقاصد الزواج في الإسلام ٣٣٣

غير مرخصة للطباعة
نسخة مكتبية
QaradawiBooks.com

آداب المعاشرة الزوجيَّة ٣٣٥
١ ـ الوليمة للعرس ٣٣٥
تهنئة الزوجين ٣٣٦
إظهار النكاح ٣٣٧
٢ ـ حُسن الخُلْق مع الزوجة واحتمال الأذى منها ٣٣٧
٣ ـ المداعبة والملاعبة ٣٣٨
٤ ـ الاعتدال في الدعابة والملاطفة ٣٣٩
٥ ـ الاعتدال في الغيرة معها وعليها ٣٤٠
٦ ـ النفقة على المرأة بلا إسراف ولا تغيير ٣٤٢
٧ ـ أن يتعلم من فقه النساء ما لا بدَّ منه ٣٤٣
٨ ـ العدل بين النساء إن كان للرجل أكثر من زوجة ٣٤٣
٩ ـ تحكيم الشرع عند النشوز والخصام ٣٤٤
١٠ ـ مراعاة الحق الجنسي للمرأة والرجل ٣٤٥
آداب الجماع ٣٤٥
أوقات الجماع ٣٤٦
حكم تعري الزوجين وعدم التغطية أثناء عملية الجماع ٣٤٧
النهي عن الإتيان في الدبر ٣٥٠
الاستمتاع بالزوجة أثناء الحيض ٣٥٢
النهي عن إفشاء الأسرار التي تتعلق بالمعاشرة الزوجية ٣٥٤
حكم العزل عن المرأة ٣٥٥

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١١ ـ الطلاق عند تعذر الوفاق ٣٥٨
المتعة للمرأة المطلقة ٣٥٩
❖ **آداب الزوجة مع الزوج ٣٦١**
١ ـ طاعة الزوج ٣٦١
٢و٣ ـ الصيانة والستر، وترك المطالبة بما وراء الحاجة ٣٦٢
٤ ـ أن تحفظ على الزوج ماله ولا تفرط فيه ٣٦٢
من وصايا الآباء لبناتهم عند الزواج ٣٦٣
وصية رجل لزوجته ٣٦٣
٥ ـ تقدير المرأة لزوجها وعدم التفاخر عليه ٣٦٤
٦ ـ الانبساط في حضرة الزوج والانقباض في غيبته ٣٦٤
القول الجامع في آداب المرأة ٣٦٥
٧ ـ خدمة منزل زوجها بما تقدر عليه ٣٦٥
٨ ـ الحداد على الزوج ٣٦٦
❖ **الفصل الثالث: أدب الأبوة والأُمُومة ٣٦٧**
مِن أدب الأبوة والأمومة ٣٦٨
البناتُ كالأبناء نعمةٌ مِن الله ٣٧٠
تربية البنات وتثقيفهن فيه الأجر الكبير ٣٧١
ما صنعه الإسلام بالآباء بالنسبة للبنات ٣٧٢
آداب الولادة ٣٧٦
وجوب الرعاية والعناية ٣٧٨

QaradawiBooks.com

من الرعاية الواجبة: الرضاعة والحضانة ٣٧٩
ومن الآداب الواجبة على الوالدين: تربية الأبناء وتأديبهم ٣٨٣
التربية الإسلاميَّة أوسع من التربية الدينية ٣٨٦
التربية الإسلاميَّة والتربية القومية ٣٨٧
تربية الأبناء التربية البدنية والرياضية ٣٩٠
إعداد الأبناء للمستقبل ٣٩١
ومن آداب الأبوة والأمومة: التسوية بين الأبناء في العطاء ٣٩٢
الوقوف في الميراث عند حدود الله ٣٩٣
❖الفصل الرابع: أدب المسلم مع أُولِي القُربَى ٣٩٥
تأكيد القرآن لحقِّ القرابة ٣٩٥
الوصية الواجبة لأولاد الأبناء المتوفين ٣٩٦
حق ذوي القربى في المال ٣٩٧
العدل ولو على ذوي القربى ٣٩٨
صلة الأرحام ٣٩٨
ما ذكره القرآن في صلة الإخْوة بعضهم ببعض ٤٠٠
قصة يوسف وإخوته ٤٠١
أخت موسى عليه السلام ٤٠٢
موسى وأخوه هارون عليهما السلام ٤٠٢
السُّنَّة ترغب في صلة الرحم وترهب من قطيعتها ٤٠٣

QaradawiBooks.com

انتشار قطيعة الرحم ٤٠٨
وجوبُ صبْر الأقاربِ بعضُهم على بعض ٤٠٩
الحلم على القريب الحَقُود ٤١١

الباب الخامس

أدب المسلم في مجتمعه

❖ **الفصل الأول: أدب المسلم مع اليتامى والمساكين وابن السبيل وما ملكت الأيْمان ٤٢٠**
الطفولة مرحلة الضعف ٤٢٢
١ ـ الأدب مع اليتيم ٤٢٣
الرحمة باليتيم ٤٢٣
يتامى وآباؤهم أحياء ٤٢٤
إكرام اليتيم ٤٢٥
حفظ مال اليتيم ٤٢٦
حقوق اليتامى في الأموال العامة ٤٢٨
السُّنَّة تُعنى بأمور اليتامى ٤٢٩
٢ ـ أدب التعامل مع المساكين وابن السبيل وما ملكت الأيْمان ٤٣١
المسكين من فئة الضعفاء الذين يستحقون العناية ٤٣٢
عناية القرآن بالمساكين ٤٣٣
عناية السُّنَّة بالفقراء والمساكين وأبناء السبيل ٤٣٣
لا يُعطى من سهم الفقراء والمساكين غنيٌّ ٤٣٤

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

الفقير القادر على الكسب ٤٣٥
ابن السبيل ٤٣٥
عناية القرآن بابن السبيل ٤٣٦
ما ملكت الأيْمان ٤٣٩
سبب العناية بما ملكت الأيْمان ٤٤٠
واعلم أنَّ الإحسان إليهم من وجوه ٤٤٢
القرآن ينهى عن الفخر والاختيال على الضعفاء من اليتامى والمساكين وأبناء السبيل وما ملكت الأيمان ٤٤٣

❖ **الفصل الثاني: أدب المسلم مع الجار ٤٤٥**

علاقةُ الجِوار لها منزلةٌ وأهمِّية ٤٤٥
الجار شريك في الوصية بالإحسان مع الوالدين وذوي القربى وبقية الأصناف ٤٤٦
معنى: الجار ذي القربي والجار الجنب ٤٤٧
خيار أهل الجاهلية كانوا يرعَونَ حقَّ الجِوار ٤٤٨
إكرام الجار واجب ٤٤٩
إجارة الجار ٤٥١
الدور تَغْلُو وترْخُصُ بجيرانِها ٤٥٢
إيذاء الجار محرَّم ٤٥٢
عناية السُّنَّة بحق الجار ٤٥٥
الاستعاذة من جار السوء ٤٥٦
شكوى الجار المؤذي للناس ٤٥٧

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الصبر على أذى الجار ٤٥٧
الوصية بالجار ٤٥٨
من سعادة المرء: الجار الصالح ٤٥٩
لا يمنع الجارَ مِن وضْع خشبة في جدار داره ما لم يضره ٤٥٩
❖ **الفصل الثالث: أدب المسلم مع الأصحاب والأصدقاء ٤٦٢**
الأخلاء والأصدقاء الذين يضرون في الآخرة ٤٦٢
الأخلاء الذين ينفعون في الآخرة ٤٦٣
مبالغات الشعر في التحذير من الأصدقاء ٤٦٤
البحث عن الصحبة الصالحة ٤٦٥
السُّنَّة تؤكد على التماس الخلة الصالحة، وفضل الحب في الله ٤٦٦
حسن اختيار الأخ والصديق ٤٧١
الصاحب لا يضيع صاحبه ٤٧٣
الصديق الحقيقي يعرف في النائبات ٤٧٤
جوامع العِشْرة الصادقة للأصحاب والإخوان ٤٧٦
المصاحبة على الوفاء والدِّين وترك المداهنة ٤٧٧
المسامحة عند الخطأ وعدم المحاسبة والتدقيق ٤٧٧
قبول العذر ممَّن أساء إليك ٤٧٨
الصفح عن عثرات الإخوان وموافقتهم ٤٨٠
الذَّبُّ عن الأصحاب والإخوان ٤٨٢

نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

احتمال الأذى ٤٨٢
حفظُ المودة القديمة والأخوَّة الثابتة ٤٨٣
حقوق الأُخوَّة والصحبة عند الإمام الغزالي ٤٨٤
الحق الأول: في المال ٤٨٤
الحق الثاني: في الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة ٤٨٩
الحق الثالث: في اللسان بالسكوت مرة وبالنطق أخرى ٤٩١
الحذر من إساءة الظن ٤٩٢
الستر والسكوت على المساوئ والعيوب ٤٩٣
أقل درجات الأخوة ٤٩٤
كتمان السر ٤٩٤
السكوت عن المماراة ٤٩٧
الحق الرابع: على اللسان بالنطق ٤٩٩
معياران في التقدير ٥٠١
إحسان الصحبة من الإيمان ٥٠٣
المواساة بالتعليم وبالنصيحة في السر ٥٠٣
الحق الخامس: العفو عن الزلات والهفوات ٥٠٦
الصداقة لُحمة كلُحْمة النسب ٥٠٨
لا تكونوا عونًا للشيطان على أخيكم ٥٠٩

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحق السادس: الدعاء للأخ في حياته وبعد مماته ٥١١
الحق السابع: الوفاء والإخلاص ٥١٢
الحق الثامن: التخفيف وترك التكلف والتكليف ٥١٧
ومن التخفيف وترك التكلف: ألَّا يعترض في نوافل العبادات ٥١٩
تقييد حقوق الإخوان بجميع الجوارح ٥٢١
❖ **الفصل الرابع: أدب المسلم في السلام والتَّحِيَّة ٥٢٤**
تحية الإسلام: السلام في الدنيا والآخرة ٥٢٥
السلام تحيَّة الله لأنبيائه ٥٢٦
السلام تحية الأنبياء جميعًا ٥٢٦
تحية المؤمنين ٥٢٧
قواعد في أدب التحيَّة ٥٢٨
في التحيَّة والتسليم يكفي البعض على الكل ٥٢٨
التسليم على الصِّبيان ٥٢٩
التسليم على الجنس الآخر ٥٣٠
التحيَّة في مكالمة الهاتف ٥٣٠
ابتداء غير المسلم بالتحيَّة ٥٣١
رأي السيد محمد رشيد رضا في السلام على غير المسلمين ٥٣٣
التضييق في التحية بلفظ السلام أمَّا بغيره فلا ٥٣٧
الملاحدة والمحاربون والمرتدون المجاهرون بالعداء للإسلام لا نُسلِّم عليهم ٥٣٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

اختيار ما رجحه الطبري ٥٣٩
الرد على غير المسلم ٥٣٩
لا سلام على ظالم وفاجر ومبتدع ٥٤١
حصار الثلاثة الذين خلفوا ٥٤٣
السلف ومقاطعة المجاهرين بالفسق والظلم والابتداع ٥٤٤
❖ **الفصل الخامس: أدب المسلم في الزيارة وحق الضيف ٥٤٦**
من تزور؟ ٥٤٦
لماذا تزور؟ ٥٤٨
متى تزور؟ ٥٥٠
كم تزور؟ ٥٥٢
كيف تزور؟ ٥٥٣
ضرورةُ الاستئذان وحكمتُه ٥٥٣
الاستئذان على المحارم ٥٥٥
عدم مفاجأة الزوجة ٥٥٨
الاستئذان من أجل البصر ٥٥٩
كم مرة يستأذن؟ ٥٦٠
دق الباب برفق ٥٦٢
رجوع المستأذن عن طيب نفس إذا لم يُؤذن له ٥٦٤
صيغة الاستئذان وكيفيته ٥٦٥

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

من أدب الإسلام في الزيارة ٥٦٧
كم يمكث الزائر؟ ٥٧٠
❖ **حق الضيف** **٥٧٢**
حكم الضيافة ٥٧٧
آداب الضيافة ٥٧٨
آداب الدعوة ٥٧٨
إجابة الدعوة وآدابها ٥٨٠
النية في إجابة الدعوة ٥٨٣
أدب حضور الدعوة ٥٨٥
من آداب المضيف للضيف والضيف للمضيف ٥٨٥
آداب إحضار الطعام ٥٨٦
آداب الانصراف وتوديع الضيف ٥٨٨
❖ **الفصل السادس: أدب المسلم في المجالس ومع الجلساء** **٥٩١**
ـ النهي عن الجلوس في الطرقات ٥٩١
ـ اختيار الجليس الصالح ٥٩٢
تحرِّي مجالس الخير ٥٩٣
البُعد عن مجالس الريبة ٥٩٥
ـ اجلس حيث ينتهي بك المجلس ٥٩٦
تقديم أهل الفضل والصلاح ٥٩٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ـ التواضع للفقراء والضعفاء ٥٩٨
ـ لا تقوموا كما يقوم الأعاجم ٦٠٠
ـ من جلس في موضع فهو أحق به ٦٠١
ـ افسحوا يفسح الله لكم ٦٠٢
ـ لا يُقِمِ الرجلُ الرجلَ من مجلسه ليجلس فيه ٦٠٣
ـ لا يفرق بين اثنين إلَّا بإذنهما ٦٠٤
ـ لا يتناجى اثنان دون الثالث ٦٠٥
ـ تشْمِيتُ العاطس ٦٠٦
آداب العاطس ومَن سمعه ٦٠٧
استحباب خفض العاطس صوته ما استطاع ٦٠٨
حكم تشميت العاطس ٦٠٨
من يُستثنى من عموم الأمر بالتشميت ٦١٠
وجوب رد العاطس على من شمته ٦١١
وجه الحكمة في حمد العاطس وتشميته ٦١١
أولًا: ربط المسلم بربه في كل أمور حياته ٦١٢
ثانيًا: ربط المسلم بإخوانه في المجتمع ٦١٢
ثالثًا: إبطال اعتقادات الجاهلية ٦١٣
ـ الحديث بما يناسب المقام ٦١٤
ـ لا يؤذي الجلوس بما يكرهون ٦١٥

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ـ حفْظ سرِّ الجليس ٦١٦
ـ إلقاء السلام عند الحضور والانصراف ٦١٨
الانصراف إذا رغب صاحب المجلس ٦١٩
ختام المجلس ٦٢٠
❖ **الفصل السابع: أدب المسلم في الحديث والكلام مع الناس ٦٢٤**
أهمية أدب الكلام ٦٢٤
مسؤولية الكلمة ٦٢٥
ممَّا ابتلينا به في زماننا التافهون يتحدثون في أمر العامة ٦٢٥
تحذير المصلحين والحكماء والأدباء من تأثير الكلمة ٦٢٧
التحذير من الكلمة السيئة ٦٢٨
• آفات اللسان وحصائد الألسنة ٦٢٩
١ ـ الكذب ٦٢٩
الكذب في اليمين ٦٣١
البعد عن الحلف بالله ٦٣٢
الابتعاد عن الحلف بغير الله مطلقًا ٦٣٣
الحلف بالطلاق ٦٣٤
٢ ـ الوعد الكاذب ٦٣٤
رأي الإمام الغزالي ٦٣٨
رأي جماعة من السلف في وجوب الوفاء بالوعد ٦٣٩

QaradawiBooks.com

أدلة ابن القيم في وجوب الوفاء بالوعد ٦٤٠
نقل العلامة الزبيدي ٦٤٢
رأينا في حكم الوفاء بالوعد ٦٤٣
٣ ـ مدح نفسه والمبالغة في مدح الآخرين بغير حق ٦٤٤
على المادح أن يتحرَّى عدة أمور ٦٤٤
أن يمدحه بما هو فيه ٦٤٤
أن يمدحه بصيغة غير مبالغ فيها ٦٤٦
ألا يكثر من المدح ٦٤٦
موقف الممدوح ٦٤٧
موقف المسلم الحق من المدح ٦٤٩
مدح الله لبعض عباده ٦٥١
مدح الإنسان نفسه وقومه (الفخر) ٦٥٢
أفاضل الخلفاء والأمراء العرب من الأمويين والعباسيين يحبون
المديح المعتدل ٦٥٥
٤ ـ الهجاء بغير حق ٦٥٧
٥ ـ السخرية والاستهزاء ٦٥٨
٦ ـ اللمز والتنابز بالألقاب ٦٦٠
٧ ـ الغيبة ٦٦٢
حدود الرخصة في الغيبة ٦٦٤
الضابط العام هنا ٦٦٥
السامع شريك المغتاب ٦٦٦

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٨ ـ النميمة ٦٦٧
٩ ـ الاستطالة على عرض المسلم ٦٦٨
رمي المؤمنات العفيفات بالفاحشة ٦٧٠
١٠ ـ المراء والجدل ٦٧١
١١ ـ السِّباب والفُحش ٦٧٣
أحاديث في النهي عن السب واللعن من «صحيح الجامع» ٦٧٥
١٢ ـ من آفات اللسان: اللعن ٦٧٧
تجنُّب لعن الأشخاص وكل من لا يستحق اللعن ٦٧٨
لعن أصناف وطوائف وأشخاص في القرآن والسُّنَّة ٦٨٠
لعن بعض الطوائف المنحرفة لصحابة رسول الله رضوان الله عليهم ٦٨١
تبرئة اللسان عن لعن من لا يستحق اللعنة ٦٨٣
١٣ ـ الحذر من الكلمات التي نهى عنها الشرع ٦٨٤
النهي عن قول: تعس الشيطان ٦٨٦
كراهة قول الرجل: خبثت نفسي، وقول «لو» بعد فوات الأمر ٦٨٧
ألفاظ أخرى تكره ٦٩٠
تحريم تحديث الرجل بجماع أهله ٦٩٢
لفظ «زعموا» ونحوها ٦٩٣
تحذير المسلم من طغيان «أنا» و«لي» و«عندي» ٦٩٣
• آداب الحديث ٦٩٤
١ ـ اختيار الألفاظ المناسبة ٦٩٤
٢ ـ عدم الإفصاح عن الأشياء التي ينبغي الكناية عنها ٦٩٦

غير مرخص للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

٣ ـ اغضض من صوتك ٦٩٧
٤ ـ أن يتكلم بما يُسمِع ويُفهِم ٦٩٩
٥ ـ الإصغاء للمتحدِّث وعدم إظهار المعرفة بما يحدثك به ٧٠٠
٦ ـ الاستفهام بأدب ولطف ٧٠١
٧ ـ عدم المبادرة إلى الإجابة ٧٠٢
٨ ـ أن يبتعد عن الإطناب المُمل، والإيجاز المُخلّ ٧٠٢
٩ ـ النظر إلى المحدَّث، وعدم مقاطعته وتسفيهه ٧٠٣
١٠ ـ إعطاء المجالس حقَّها ٧٠٤
١١ ـ ألا يتكلم فيما لا يعنيه ٧٠٥
١٢ ـ أن يُحدِّث الناسَ فيما ينفعهم، لا عن نفسه وأهله ٧٠٥
١٣ ـ ضرورة التأكد من الأخبار ٧٠٧
١٤ ـ ألا يفشي سرًّا اؤتُمِن عليه ما لم يأذن صاحبُه ٧٠٨
١٥ ـ الكلام عن الناس بحق وإعطاؤهم ما يستحقون ٧٠٩
١٦ ـ أن يُعرِض عن اللغو والسفاسف ٧١٠

❖ **أدب التحدث في الهاتف ٧١٣**

الاطمئنان إلى صحَّة الرقم المطلوب ٧١٤
الاستئناس في تعرُّف الوقت المناسب ٧١٥
إقلال مدة الاتصال ٧١٦
السلام من المتِّصل بداية ونهاية ٧١٦
خَتمُ المُهاتفة بالسلام ٧١٨
خفض الصوت ٧١٩

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الهاتف للمرأة ٧١٩
إنزال الناس منازلهم ٧٢٠
استعمال هاتف غيرك ٧٢١
حكم التنصت على المكالمات وتسجيل مكالمات الآخرين دون علمهم ٧٢١
حرمة المعاكسة الهاتفية ٧٢٢

الباب السادس

أدب المسلم مع الصحة والوقاية والمرض والتداوي والعيادة

سؤال الله العافية ٧٢٨
❖ **الفصل الأول: آداب الصحة والوقاية من الأمراض ٧٣٠**
أولًا: العناية بالنظافة والطهارة ٧٣٠
ثانيًا: الحرص على العمل والحركة ٧٣٣
ثالثًا: البعد عن كل ما يضر الجسد من المسكرات والمفترات ٧٣٤
رابعًا: الاعتدال في تناول الطيبات، فلا يحرم الجسد منها، ولا يسرف فيها ... ٧٣٥
خامسًا: النهي عن إرهاق البدن ٧٣٥
سادسًا: العدول إلى الرخصة إذا كانت العزيمة تسبِّب أذًى للجسد ٧٣٦
❖ **الفصل الثاني: آداب عامة للطب والتداوي ٧٣٧**
القواعد الإسلاميَّة لإقامة صحة إسلاميَّة وطب إسلامي ٧٣٧
من هذه القواعد أو المبادئ المحمدية: إقرار قيمة البدن وحقُّه ٧٣٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

درء تعارض التداوي والإيمان بالقدر ٧٣٩
إقرار الحجر الصحي ٧٤٠
مقاومة ما يسمى بـ «الطب الروحاني» ٧٤١
فتح باب الأمل على مصراعيه أمام الأطباء والمرضى معًا ٧٤٤
عناية الإسلام بالصحة النفسيَّة عناية فائقة ٧٤٥
❖ **الفصل الثالث: أدب المريض وتصبُّره ورضاه ٧٤٨**
حال المؤمن مع الشدائد والمرض ٧٤٩
آداب المريض ٧٥٠
١ ـ الصبر والرضا وعدم الشكوى ٧٥٠
ـ علمه أنَّ المرض وقع بقدر الله ٧٥١
ـ لطف الله تعالى ٧٥١
ـ شعور المؤمن بنعمة الله في السراء والضراء ٧٥٢
ـ مصائب الدنيا تهون ٧٥٣
ـ بعض البلاء أهون من بعض ٧٥٤
صبر أيوب ٧٥٥
ـ حلاوة الثواب ومرارة الألم ٧٥٧
ما جاء في ثواب الصبر على المرض ٧٥٨
الرخصة للمريض بالشكوى من الألم ٧٦٤
التخفيف عن المريض باللمسة الحانية والدعاء الصالح والتذكير بالصبر ٧٦٧
الشكوى إلى الخالق تبارك وتعالى ٧٦٨
تمنى المريض الموت ٧٦٩

QaradawiBooks.com

❖ **الفصل الرابع: عيادة المريض وآدابها** ٧٧١

حكم عيادة المريض ٧٧٢

فضل عيادة المريض وثوابها ٧٧٤

آداب عيادة المريض ٧٧٥

١ ـ النية الصالحة ٧٧٦

٢ ـ اختيار الوقت المناسب ٧٧٦

متى يُبدأ بعيادة المريض؟ ٧٧٧

٣ ـ مشروعية العيادة لكل المرضي ٧٧٧

عيادة الصبي والمغمى عليه ٧٧٩

عيادة النساءِ للرجال ٧٨٠

عيادة الرجال للنساء ٧٨٢

عيادة غير المسلم ٧٨٣

عيادة العصاة ٧٨٤

٤ ـ كم يعاد المريض؟ وما مدة العيادة؟ ٧٨٥

٥ ـ تعهد المريض وتفقد أحواله ٧٨٦

٦ ـ قول: «لا بأس طَهورٌ إن شاء الله» والقعود عند رأس المريض ٧٨٧

٧ ـ سؤال المريض عن حاله ٧٨٨

٨ ـ وعلى العائد أن يبشِّر المريض بثواب المرض ٧٨٨

٩ ـ الثناء على المريض بمحاسن عمله ٧٨٩

١٠ ـ تقوية الرجاء في العافية عند المريض ٧٩٠

١١ ـ وضع اليد على المريض ٧٩٢

QaradawiBooks.com

١٢ ـ الدعاء للمريض ورقيته ٧٩٣
ومن الأدعية المأثورة ٧٩٥
الرقية للمريض ٧٩٥
١٣ ـ أمر العائدِ المريضَ بالمعروف ونهيه عن المنكر ٧٩٨
حكم تعليق التمائم المشتملة على كلام الله ورسوله ٨٠٠
❖ **الفصل الخامس: أهل المريض وماذا عليهم تجاهه؟** **٨٠٢**
١ ـ الصبر على المريض ٨٠٢
صبر كل من الزوجين على مرض الآخر ٨٠٣
الصبر على مرض الأبوين ٨٠٤
مسؤولية الأهل تجاه المريض فاقد الأهلية ٨٠٦
مراعاة المريض مرضًا نفسيًّا ٨٠٧
٢ ـ النفقة على علاج المريض ٨٠٧
المريض الذي مات دماغه يعتبر ميتًا شرعًا ٨١٠
رفع أجهزة الإنعاش عن المريض الميئوس منه ٨١٤
٣ ـ التبرع بالدم للمريض ٨١٥
٤ ـ تذكير المريض بالتوبة والوصية ٨١٧

الباب السابع
أدب المسلم مع الضحك والمزاح واللهو

رسول الله هو الأُسْوة في المداعبة والمباسطة والمزاح ٨٢٤
الصحابة على هَدْي رسول الله ٨٢٨
حدود المشروعيَّة في الضحك والمزاح ٨٢٨

QaradawiBooks.com

شروط مشروعية المزاح ٨٢٩
١ ـ اجتناب الكذب في المزاح ٨٢٩
هل النِّكات تعد من الكذب؟ ٨٣٠
٢ ـ ألَّا تشتمل على احتقار أو سخرية للآخر ٨٣١
٣ ـ ألَّا يترتب عليه ترويع لأحد ٨٣٢
٤ ـ ألَّا يضع المزاح في موضع الجد ٨٣٣
٥ ـ الاعتدال والقصْد، وعدم الغلو والإسراف ٨٣٤

الباب الثامن
أدب المسلم في السفر والارتحال

الحاجة إلى السفر ٨٣٩
أحكام السفر وآدابه ٨٤٠
أسفار العصر مغايرة تمامًا لأسفار القرون الماضية ٨٤١
هذا هو عالَمنا الجديد ٨٤٤
تحذير الحكماء والشعراء من السفر والاغتراب ٨٤٥
فوائد السفر لأصحابه ٨٤٩
الفائدة الأولى: انفراج الهم ٨٤٩
والفائدة الثانية: اكتساب المعيشة ٨٥٠
الفائدة الثالثة: حصول العلم ٨٥٢
رحلة الصحابة في طلب العلم ٨٥٣
والفائدة الرابعة: تحصيل الأدب ٨٥٦
الفائدة الخامسة: صحبة الأمجاد ٨٥٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

أحكام السفر الشرعيَّة الخمسة ٨٥٩
سفر الخروج والهرب ٨٥٩
سفر الطلب ٨٦٠
من السفر المستحبُّ ما قد يكون واجبًا ٨٦٠
سفر السياحة ٨٦١
كلام الإمام الغزالي عن السفر في الإحياء ٨٦٢
«في آداب المسافر من أول نهوضه إلى آخر رجوعه، وهي ٨٦٢
قضاء الديون ورد المظالم ٨٦٢
الرفيق قبل الطريق ٨٦٣
الوداع للرفقاء والأصدقاء ٨٦٥
ويُستحبُّ له أن يطلب الوصية من أهل الخير ٨٦٦
صلاة الاستخارة ٨٦٦
أدعية السفر ٨٦٧
الدعاء عند ركوب وسيلة النقل ٨٦٨
الدعاء إذا رأى قرية يريد دخولها ٨٧١
التعجيل بالرجوع ٨٧١
إحضار الهدايا للأهل ٨٧٢
عدم طروق المسافر أهلَه ليلًا ٨٧٢
وليخبر أهله برجوعه ٨٧٣
استقبال المسافر ٨٧٤
الآداب الباطنة للمسافر ٨٧٤

غير مرخصة للطباعة
نسخة محتبة
QaradawiBooks.com

الباب التاسع

أدب المسلم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند العلماء ٨٧٩
التواصي بالحق والتواصي بالصبر ٨٨٠
على كل مؤمن أن يكون داعية ٨٨١
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الفريضة الخامسة ٨٨١
وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٨٨٣
(من) في قوله (منكم) للبيان لا للتبعيض ٨٨٣
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من سمات المجتمع المسلم ٨٨٥
عدم التناهي عن المنكر سبب في الطرد من رحمة الله ٨٨٦
كلام الإمام الغزالي في فرضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٨٨٩
آيات القرآن الدالة على وجوب الأمر والنهي ٨٨٩
الأحاديث النبويَّة الدالة على وجوب الأمر والنهي ٨٩١
دلالة هذه الأحاديث على وجوب إنكار المنكر بحسب القدرة عليه ٨٩٩
الإنكار باليد واللسان بحسب الطاقة ٩٠٠
الإنكار بالقلب فرضٌ على كل مسلم في كل حال ٩٠٠
أمر السلطان بالمعروف ونهيه عن المنكر ٩٠١
تخشين القول ومنع المنكر بالقهر حق للحاكم وليس للرعية ٩٠٣
الخروج بالسيف على الحكام ٩٠٤
الحافظ ابن رجب يرى سقوط الأمر والنهي عند عدم القبول والانتفاع به ٩٠٥

QaradawiBooks.com

لا يسقط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعدم الاستجابة ٩٠٧
الإنكار باليد والتغيير بالقوة المادية ٩٠٨
شروط تغيير المنكر باليد ٩١٠
الشرط الأول: أن يكون مُحرَّمًا مجمعًا عليه ٩١٠
الشرط الثاني: ظهور المنكر ٩١٤
الشرط الثالث: أن يكون مريد التغيير باليد قادرًا على التغيير ٩١٦
إذا كان المنكر من جانب الحكومة ٩١٧
تغيير المنكرات الجزئيَّة ليس علاجًا ٩١٩
نظام الحِسْبة في الإسلام ٩٢٠
أركان الحسبة وشروطها ٩٢١
• الركن الأول: المُحْتسِب ٩٢١
١ ـ شرط التكليف ٩٢١
٢، ٣ ـ شرطا الإيمان والعدالة ٩٢١
الرد على من منع الفاسق من الاحتساب ٩٢٢
٤ ـ شرط الإذن من الإمام والراجح عدم اشتراطه ٩٢٥
٥ ـ قدرة المحتسب ٩٢٦
ما حد المكروه الذي يسقط وجوب الأمر والنهي به؟ ٩٢٩
آداب المحتسب ٩٣٢
١، ٢ ـ العلم والورع ٩٣٢
٣ ـ حسن الخُلُق ٩٣٢
٤ ـ توطين النفس على الصبر ٩٣٣
٥ ـ تقليل العلائق وقطع الأطماع عن الخلائق ٩٣٤
٦ ـ ضرورة الرفق في الإنكار ٩٣٤

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

- الركن الثاني للحسبة: ما فيه الحسبة ٩٣٦
أن يكون منكرًا محذور الوقوع في الشرع ٩٣٦
أن يكون موجودًا في الحال ٩٣٧
أن يكون ظاهرًا للمحتسب بغير تجسس ٩٣٧
حد الظهور والاستتار ٩٣٧
أن يكون معلومًا بغير اجتهاد ٩٣٨
- الركن الثالث: المُحتَسب عليه ٩٣٨
- الركن الرابع: نفس الاحتساب ٩٤٠
درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٩٤٠
١ ـ درجة التعرف ٩٤٠
٢ ـ درجة التعريف ٩٤٠
٣ ـ درجة الوعظ والنصح والتخويف ٩٤١
٤ ـ السب والتعنيف بالقول الغليظ الخَشِن ٩٤٢
٥ ـ درجة التغيير باليد ٩٤٢
٦ ـ درجة التهديد والتخويف ٩٤٣
٧ ـ الضرب بغير السلاح ٩٤٣
٨ ـ الاستعانة بالأعوان وشهر السلاح ٩٤٤

- **فهرس الآيات القرآنية الكريمة ٩٤٧**
- **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ٩٩٣**
- **فهرس الموضوعات ١٠٣٥**

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com